

كتاب
قطف الزهور
في
تاريخ الدهور

تأليف
يوحنا افندي ابكار يوس
عُني عنه
طبعة ثانية ...

طبع في بيروت سنة ١٨٨٥

فهرس الكتاب

وجه

١

الفاتحة

٢

المقدمة . في وصف التاريخ والجغرافية

القسم الاول

في مالک قارة اسيا وشعوبها ودولها وما يتعلق بها وفيه ثلاثة عشر فصلاً

١٠

الفصل الاول . في مناخ اسيا وحواصلها وجبالها وحيواناتها

١٢

الفصل الثاني . في الخلقة والطوفان وتشعب الارض ثانية

الفصل الثالث في مملكة اشور وفيه خمسة ابواب

١٦

الباب الاول . في نينوى وبابل

١٨

الباب الثاني . في اخبار الملكة سميراميس

الباب الثالث . في ذكر الملك نيناس وولاية الملك سردنقول

٢١

وخراب مملكة اشور الاولى

٢٢

الباب الرابع . في ذكر بعض ملوك اشور

٢٦

الباب الخامس . في ديانة الاشوريين وفنونهم

الفصل الرابع في تاريخ العبرانيين وفيه سبعة ابواب

٢٩

الباب الاول . في ذكر ابراهيم وارتمال يعقوب وابولاده الى مصر

الباب الثاني . في خروج بني اسرائيل من مصر تحت رياسة موسى

٢٢

واسيلائهم على ارض كنعان مع جدول قضائهم

٢٦

في ذكر جدعون وشمشون من قضاة الاسرائيليين

521523

2276

972

374

وجه

٤٠

الباب الرابع . في ذكر شاول وداود وسليمان

الباب الخامس . في انقسام ملكة اليهود والاسر البالي مع جدول

٤٥

٣

ملوك يهوذا واسرائيل

الباب السادس . في تغلب ملوك مصر وسوريا على اليهودية واسنيلاء

٤٩

الرومانيين عليها الى حين خراب اورشليم

الباب السابع . في ذكر بعض انبياء اليهود وعجيء المسيح وتفرق اليهود

٥٢

في العالم

الفصل الخامس في تاريخ الماديين والفرس وفيه ستة ابواب

٥٥

الباب الاول . في بعض ملوكهم واحوال ميلاد كورش

الباب الثاني . في اصل الاعجم وتدمير كورش ملكة بابل ومغازيه

٦١

المشهوره وموتو

٦٤

الباب الثالث . في ولاية كميز بن كورش

الباب الرابع . في ولاية الملك داريوس وهودارا الاول احد ملوك

٦٨

الفرس وابنه زر كسيس

٧٢

الباب الخامس . في اكاسرة العجم

٧٥

الباب السادس . في الكلام على شاهات العجم

الفصل السادس في ملكة الصين وفيه بابان

٧٧

الباب الاول . في وصف بلاد الصين ومدنها واهلها وعوائدها

٨٢

الباب الثاني . في تاريخ ملكة الصين

الفصل السابع في تاريخ العرب وفيه ستة ابواب

٩١

الباب الاول . في جغرافية بلاد العرب

٩٢

الباب الثاني . في اصل العرب وصفاتهم وما يتعلق بهم

٩٦

الباب الثالث . في ذكر العرب قبل الاسلام

وجه

١٠٣ الباب الرابع . في ذكر دول العرب الاسلامية واولها دولة الصحابة

١٠٦ الباب الخامس في ذكر بني أمية

١١٠ الباب السادس . في ذكر الدولة العباسية

الفصل الثامن في تاريخ سوريا وفيه ثلاثة ابواب

١٢٢ الباب الاول . في جغرافية سوريا وسكانها الاولين

١٢٥ الباب الثاني . في الدولة السلوقدية ومن خلفها الى هذه الايام

الباب الثالث . في شعوب سوريا وملائنها الشهيرة مع ذكر الملكة زينب المعروفة عند اليونان واللاتين بزينوبيا وشي من اخبار

١٢٨ لبنان

الفصل التاسع في تاريخ فينيقية وفيه بابان

١٣٥ الباب الاول . في اصل الفينيقيين وعوائدهم واديانهم واكتشافاتهم

١٣٨ الباب الثاني . في ذكر مدائن فينيقية ونجومها وتجارتها وتقدمها ثم انحطاطها

الفصل العاشر في الحروب الصليبية وفيه بابان

١٤٢ الباب الاول . في منشأ الحروب الصليبية الى نهاية اعمال التجريدة الثانية

الباب الثاني . في ذكر الحوادث والوقائع التي جرت من بدء التجريدة

الثالثة الى نهاية التجريدة التاسعة التي هي ختام الحروب الصليبية

١٥٤ الفصل الحادي عشر . في اسيا الصغرى

١٥٧ الفصل الثاني عشر . في وصف بلاد الهند وتاريخها

١٦٦ الفصل الثالث عشر . في باقي ممالك اسيا كبلاد النهر وبابان وارمينيا

القسم الثاني

في قارة افريقية ويشتمل على ستة فصول

١٧١ الفصل الاول . في جغرافية افريقية واهلها وهوائها

وجه

الفصل الثاني في تاريخ مصر وفيه احد عشر باباً

١٧٤

اب الاول . في جغرافية مصر

اب الثاني . في تاريخ مصر واهم الحوادث المتعلقة بفراعنتها من

١٧٦

سنة ٢٢٠٠ ق م الى خروج الاسرائيليين

اب الثالث . في ولاية فرعون شيشق سنة ٩٩٠ ق م الى بداية

١٨٦

حكم الدولة البطليموسية سنة ٢٢٢ ق م

اب الرابع . في تمدن المصريين القدماء وصنائعهم وعقائدهم وما

١٩٢

يتعلق بهم

اب الخامس . في الدولة البطليموسية التي تغلبت على الديار

١٩٦

المصرية بعد الفراعنة

اب السادس . في من تولى مصر من اوائل ظهور الاسلام الى

٢٠٠

الدولة الفاطمية

٢٠١

اب السابع . في الدولة الفاطمية

٢٠٤

اب الثامن . في الدولة الايوبية

٢٠٨

اب التاسع . في الدولة المجرسية احدي فروع الدولة التركية

٢٠٩

اب العاشر . في العائلة الحمدية العلوية وهي الخديوية المصرية

اب الحادي عشر . في الثورة العربية ودخول الانكليز البلاد

المصرية وظهور الثورة السودانية وذلك مدة ثلاث سنين

٢١٤

من اواسط سنة ١٨٨٢ الى اواسط سنة ١٨٨٥

الفصل الثالث في تاريخ قرطاجنة وفيه بابان

اب الاول . في وصف قرطاجنة وحروبها مع الرومان من

٢١٩

سنة ٨٤٠ الى سنة ٢٦٤ ق م

اب الثاني . في الحروب بين قرطاجنة ورومية من سنة ٢٦٤ ق م الى

وجه

- ٢٤٢ الباب الثالث . في اخبار سلا وماربوس الى قتل يوليوس قيصر
- ٢٤٧ الباب الرابع . في حكم اوغسطس قيصر وامتداد السلطنة في ايامه مع ذكر الوسائط التي سببت لها هذه الشهرة والقوة
- ٢٥١ الباب الخامس . في تعداد امبراطرة الرومانيين وبعض اخبارهم
- ٢٦١ الباب السادس . في اخبار باقي قياصرة رومية الى انقراض السلطنة
- ٢٧١ الباب السابع . في انقسام الدولة الرومانية الى سلطنتين وانقراض الغرية منها
- ٢٧٤ الباب الثامن . في عوائد الرومانيين القدماء وبعض اصطلاحاتهم
- ٢٨٢ الفصل الثالث في اخبار ايطاليا وفيه بابان
- ٢٨٦ الباب الاول . في جغرافية ايطاليا
- ٢٩٢ الباب الثاني . في تاريخ ايطاليا ويتضمن بعض اخبار البندقية
- ٢٩٢ الفصل الرابع . في اخبار رومية وبعض اخبارها
- ٢٩٩ الفصل الخامس . في اخبار الدولة الرومانية الشرقية بعد انفصالها عن السلطنة الغرية وذلك من سنة ٢٩٥ الى سنة ١٤٥٢ عبارة عن ١٠٥٨ سنة
- ٤١٤ الفصل السادس في مملكة اسبانيا وفيه ثلاثة ابواب
- ٤١٥ الباب الاول . في جغرافية هذه البلاد
- ٤١٥ الباب الثاني . في تاريخ اسبانيا منذ منشأها الى ظهور فردينند وايزابلا في الجيل الخامس عشر للميلاد
- ٤٢١ الباب الثالث . في اخبار الملك فردينند والملكة ايزابلا والتفتيش الديني الذي حصل في ايامها وخروج المسلمين من اسبانيا
- ٤٢٩ وحوادث اخرى الى سنة ١٨٧٤
- ٤٢٩ الفصل السابع . في وصف مملكة بورتوغال وتاريخها

وجه

الفصل الثامن في تاريخ فرانس وفيه ستة ابواب

٤٢٤

الباب الاول . في وصف فرانس الحالي

الباب الثاني . في اصل فرانس وشعوبها القدماء واديانهم وعوائدهم
وتغلب الرومانيين ثم الافرنك عليهم وتأسيس الدولة الاولى
الملكية المعروفة بالمير وفنجية سنة ٤٨١ بم ثم سقوطها وانقراضها

٤٢٦

سنة ٧٥٢

الباب الثاني . (تكراراً) في قيام الدولة الفرنساوية الثانية وانقراضها وهي

٤٤٢

المعروفة بالكارلوفنجية من سنة ٧٥٢ الى ٩٨٧

الباب الثالث . في قيام الدولة الثالثة المعروفة بالكابينيانية وسقوطها

٤٤٦

من سنة ٩٨٧ الى سنة ١٧٨٩

الباب الرابع . في الثورة الفرنساوية واسبابها وقيام الجمهورية الى

٤٥٩

الامبراطورية الاولى من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٠٤

الباب الخامس . في قيام الامبراطورية الفرنساوية الاولى وسقوطها
وارجاع الملكية وسقوطها ايضاً الى قيام الجمهورية الثانية
والامبراطورية الثالثة وذلك من سنة ١٨٠٤ الى سنة

٤٧١

١٨٤٨

الباب السادس . في قيام الجمهورية الثانية من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٥٢

وقيام الامبراطورية الثالثة من سنة ١٨٥٢ الى ١٨٧١ وسقوطها

٤٧٧

وقيام الجمهورية الثالثة سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٨٤

الفصل الرابع (صوابه التاسع) في تاريخ مملكة الانكيز وفيه احد عشر باباً

٤٨٥

الباب الاول . في جغرافية انكلترا ووصفها الحالي

الباب الثاني . في اصل البريتانيين القدماء ولوصافهم وديانهم وتلك

٤٨٨

الرومانيين على بلادهم الى سنة ٤٢٠ للميلاد

وجه

الفصل الرابع عشر في بلاد النمسا اي اوستريا وفيه بابان

٥٧٨

الباب الاول . في وصف هذه البلاد

٥٧٩

الباب الثاني . في تاريخ بلاد النمسا

الفصل الخامس عشر في مملكة بروسيا وفيه بابان

٥٨٤

الباب الاول . في وصف بروسيا واهلها

٥٨٦

الباب الثاني . في تاريخ مملكة بروسيا

الفصل السادس عشر في تاريخ روسيا وفيه ستة ابواب

٥٩٣

الباب الاول . في جغرافية هذه المملكة

الباب الثاني . في اصل الروسيين وبداية ملكتهم وديانهم وعوائدهم من

٥٩٥

قبل الميلاد الى سنة ١٤٦٣ للميلاد

الباب الثالث . في ما جرى منذ تولى ايثان الثالث من سنة ١٤٦٣ الى

٦٠٠

سنة ١٥٨٤

الباب الرابع . في ما حدث منذ وفاة ايثان الرابع وانقراض سلالة

٦٠٥

روريك الى ظهور بطرس الاكبر من سنة ١٥٨٤ الى سنة ١٦٨٢

الباب الخامس . في استيلاء بطرس الكبير واعماله العظيمة وما حصل

من المشاجرات والفتن في ايامه والحروب الى غير ذلك من سنة

٦١٠

١٦٨٢ الى سنة ١٧٢٥

الباب الخامس . (صوابه السادس) في ذكر ما حدث بعد موت بطرس

الكبير وانقطاع سلالة رومانوف وقيام الدولة الهولستينية من سنة

٦١٦

١٧٢٥ الى سنة ١٨٨٤

٦٢٢

الفصل السابع عشر . في وصف بلاد اسوج ونروج وتاريخها

٦٢٨

الفصل الثامن عشر . في وصف مملكة دنبارك وتاريخها

القسم الرابع

في تاريخ اميركا وفيه تسعة فصول

٦٣٢ الفصل الاول . في وصف قارة اميركا واهلها القدماء

الفصل الثاني . في اكتشاف اميركا من سنة ١٤٩٢ الى موت كريستوفورس

٦٣٥ كولبوس سنة ١٥٠٦

الفصل الثالث . في مداومة اكتشافات الاسبانيولين وسبب تسمية القارة

٦٤٤ اميركا الى حين اكتشاف مكسيكو

٦٤٧ الفصل الرابع . في الاستبطنات الاوروية

الفصل الخامس . في البلاد المتحدة الاميركانية وفيه بابان

الباب الاول . في وصف البلاد المتحدة وذكر الاسباب التي هيأت انفصالها

٦٥٢ عن انكلترا

٦٥٥ الباب الثاني . في استقلالية البلاد المتحدة وحوادثها الى هذا اليوم

٦٦٣ الفصل السادس . في وصف بلاد مكسيكو وتاريخها

٦٦٨ الفصل السابع . في الكلام عن الهند الغربية

٦٧٢ الفصل الثامن . في اميركا الوسطى

الفصل التاسع . في الكلام عن اشهر اقسام اميركا الجنوبية وفيه اربعة ابواب

٦٧٤ الباب الاول . في وصف اميركا الجنوبية وتعداد بلادها

٦٧٦ الباب الثاني . في جمهورية كولومبيا

٦٧٧ الباب الثالث . في سلطنة برازيل

٦٧٩ الباب الرابع . في بلاد بيرو

القسم الخامس

وجه

في اوسيانكا او اوسيانيا وفيه ثلاثة فصول

٦٨٢

الفصل الاول . في الكلام على ماليزيا

٦٨٥

الفصل الثاني . في اوستراليا

٦٨٨

الفصل الثالث . في بوليتيزيا

٦٩٥

جدول يتضمن ملخص الاختراعات والاكتشافات الكلية

٧٠٥

جدول تاريخي يتضمن اشهر حوادث العالم



والمبادرة الى انخاف ابناء الوطن . في هذا الزمن . بولفاتٍ مستوفية شافية .
في فن التاريخ وعلم الجغرافية . ليكون قطر الشام . متقدماً عاماً بعد عام . في
ريادة التقدم وكمال الانتظام . ولما تم جمعه . وطاب سمعه . سميت قطف الزهور
في تاريخ الدهور . وقسمته الى خمسة اقسام بحسب اقسام الكرة الارضية يتضمن
كل منها تاريخ دول كل قارة والى فصولٍ يتضمن كل منها تاريخ دولة منذ
نشأها الى الوقت الحاضر . وانا التمس من اطلع عليه . ونظر بعين البصيرة
اليه ان يقض الطرف عما يرى فيه من الخلل والتقصير .

ويسبل ذيل المعذرة على ما حذف عمداً اوسهواً

فان العصمة والكمال لله وحده

وهو العليم الخبير



المقدمة

في وصف التاريخ والجغرافية

التاريخ قصة الجنس البشري ويتضمن ذكر الوقائع والاخبار المتعلقة بالقبائل والاقاليم منذ خلقه العالم ولولاه انطست اخبار الاولين وجهلت حوادث الملوك الماضين ولم يعلم شيء من عوائدهم واصطلاحاتهم وعقائدهم . وقد قسم العلماء التاريخ الى ثلاثة اقسام كبرى . فالاول تاريخ الازمنة القديمة من عهد الخليفة الى انقراض السلطنة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ لليلاد المسيحي وهو يتضمن تاريخ اليهود واسور وبابل والفرس والصين والهند ومصر وطوائف اليونان والرومان وذكر نهوضهم وسقوطهم وما يتعلق بعوائدهم واديانهم وحروبهم واحكامهم الى غير ذلك . والثاني تاريخ القرون المتوسطة من سنة ٤٧٦ الى سنة ١٤٥٣ حينما سقطت السلطنة الشرقية ودخلت الدولة العثمانية الى القسطنطينية . ويشتمل هذا القسم على ظهور الاسلام وامتداد سلطة اهل وسوكنهم وعلى اخبار البرابرة وغزواتهم في اوربا وعلى تاريخ التزامات الامراء وسلطنة شارلمان وانقسامها وقيام السلطنة الالمانية ومنازعات ملوكها مع احبار رومية وعلى الخصام والاختلاف الذي وقع بين الاحبار المذكورين وبين ملوك اوربا وامرائها من جهة حقوق نسمة الاكلدروس وتصرفهم وبخونوي

على تاريخ الحروب الصليبية وغيرها من الاضطرابات والوقائع التي حدثت في جهات اوروبا . واما الثالث فهو من سنة ١٤٥٣ الى يومنا هذا ويشتمل على الاكتشافات العظيمة كأمريكا والهند وغيرها والاصلاح الديني الذي نبغ في المانيا وبلاد السويس وامتد الى أكثر الاقطار الاوروبية وعلى حروب فرنسا ومانيا في زمن شارلكان وخلفائه وعلى الثورة الانكليزية التي حدثت في القرن السابع عشر واستقلالية اميركا وظهور نابليون الاول ومغازيه الى غير ذلك مما لا يسعنا ذكره هنا . ولكننا لم نسلك في هذا الكتاب على هذا الترتيب العام نظراً لصعوبة مناوئته في المطالعة لان القصد بالمطالعة هو الاستفادة والفكاهة معاً فلا يجدها القاري في مؤلف ترتبت صفحاته على النسق المذكور لانه يضطر في أكثر الاحيان ان يشغل من قصة الى قصة ومن ذكر دولة الى اخرى بحسب وقوع الحوادث وتواريخها بدون ان يستوفي الكلام عليها الا بعد مطالعة الكتاب بأسره فلذلك فتحنا لكل دولة فصلاً مخصوصاً يتضمن اخبارها منذ منشأها الى الان تسهيلاً للمطالع

اما الجغرافية فعلم مداره هيئة الارض واقسامها وانواع اهلها ووصف مدنها وانهرها وجبالها واقاليها وما يتعلق بمواصلها وغلاتها . فالتاريخ من شأنه ان يسجل الحوادث التي جرت والجغرافية من شأنها ان تنبئنا بالامكن والبلدان التي حدثت فيها تلك الحوادث . واذ كانت بينهما علاقة كلية فلا بد من معرفتها ولو على سبيل الاجاز وهذا هو المقصود من هذا المختصر وفي اثناء الكلام على اخبار الدول وما حدث فيها من التغيرات والحروب سنذكر ان شاء الله اعمال بعض افراد الرجال الذين اتصفوا بالمعارف واشتهر فخرهم بين الناس وما ينسب اليهم من الاعمال الغريبة والاختراعات العجيبة . واذ كانت تواريخ الناس القدماء الذين عاشوا قبل الطوفان مجهولة الحال ولا يعلم المؤرخون شيئاً عنهم اذ لم يمتدوا الا في قسم صغير من اسيا فقط ضربنا عنهم صفحاتاً . وقبل ان نتقدم في الكلام على اخبار الامم وتواريخ الممالك

سكان الهند ثم اتت ثم العرب ثم الاتراك ولم ممالك متسعة في قارة اوروبا
وسياتي ذكرهم مفصلاً

ثانيها قارة افريقيا وهي بلاد العبيد وتشغل على بلاد نوبيا والحبشة ومصر
وغيرها وعدد اهلها نحو مئة مليون

ثالثها قارة اوربا وهي تنقسم الى جملة ممالك كثيرة كانكترا وجرمانيا
وفرانسا وقسم من المملكة العثمانية والمسكوب والنمسا واطاليا وغيرها وفيها اكبر
مدن العالم واحسنها وعدد سكان هذه القارة لا يزيد على ٢٠٠ مليون

رابعها اميركا وهي قارة متسعة جداً وفيها جملة جمهوريات كجمهورية
البلاد المتحدة والمكسيك وممالك كملكة برازيل والاملاك الانكليزية وغيرها
واعظم هذه البلاد واشهرها الولايات المتحدة في اميركا الشمالية واهلها المعروفون
بالاميركانيين الذين اشتهروا بالحرية وجودة العقل حتى انهم يعتقدون
بشعوب العالم من الرتبة الاولى ويوجد في هذه القارة جملة مدائن كبيرة وجميلة
واكثرها من نصف هذه القارة خال من السكان وعدد اهلها نحو مئة مليون

وبقي غير القارات المذكورة عدة جزائر في البحر المحيط تُعد كقسم خامس
للعالم منها جزائر الاوقيانوس الباسيفيكي كجزيرة جافا وسومطرا وبورنيو واكبر
جزيرة بين جزائر العالم جزيرة بنغال ما اوستراليا سياتي الكلام عليها في محلها
ان شاء الله تعالى وعدد سكان هذه الجزائر نحو ٢٠ مليوناً

اما الاديان في العالم فتقسم الى اربعة اقسام كبرى وهي وثنية ومسيحية
واسلامية ويهودية كما ترى مجموعها في هذا الجداول

شعوبها زماناً طويلاً حتى انها من بعد فقد هذه المعرفة وتوغل شعوبها في العبادات الاصنامية كانت اصنامها اسي من اصنام باقي طوائف العالم فانهم اتخبوا آلهتهم من الاجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم بينما كانت الهة غيرهم من دبابات الارض وصخور الحجر. اما العائلة اليافنية فتتضمن كل الشعوب التي تتكلم باللغات المعروفة بالهندية الجرمانية او الهندية الوروبية كاللغة السنسكريتية وهي لغة مقدسة عند الهنود القدماء واللغة الزندية وهي من اللغات المقدسة ايضاً عند الفرس الاولين ثم اللغة السلاوية التي منها نشق اللغات المسكوية والبولونية والسرية وغيرها. ثم اللتين الالمانية والكتية اي الغالية القديمة ثم اليونانية واللاتينية وغيرها. وهذه الشعوب اليافنية لم تبقى على حالها الاولى متفرقة في البوادي ومشتغلة بالملاهي ورعي المواشي كالشعوب السامية بل انعكف اكثرها على الزراعة واكتساب الصنائع والعلوم وانشاء العمار والابنية ففاقوا على باقي اخوانهم تمدناً وقوة وشهرة غير ان معتقداتهم الدينية كانت في رتبة ادنى من الساميين فانهم لتفرقهم وهجرهم مواطنهم وتوغلهم في البراري والغفار نسوا تلك المعارف الدينية المتصلة اليهم من نوح ولولاده فاشركوا بالله بان عبدوا معه القوات الطبيعية والمناظر الرائقة التي كانت تترامى لهم كالرعد والحجر والنور والظلام وغير ذلك

اما القسم الثاني وهو الاصفر فيمتاز باصفرار البشرة التي هي اشبه بريت الزيتون ولا يعلم الى من من اولاد نوح ينسب هذا الجنس من البشر على انه بالنظر الى المعارف والاداب هو ادنى جداً من القسم الاول مع انه كثير العدد ويتضمن كل شعوب اسيا الشرقية كالمغول الذين هم جنس من التتر ثم التتر والهنود واهل الصين وياپان وبعض شعوب روسيا في اوروبا وسكان شمالي اميركا المعروفين بالاسكيمو وغيرهم

واما القسم الثالث وهو الجنس الاسود فتغني اشكاله عن الوصف. ومنه اكثر سكان اواسط افريقيا وجنوبها وسكان اميركا الاصليون الذين

وُجدوا قبل دخول الأوروبيين الى تلك القارة ثم سكان اوستراليا والجزائر
المجاورة لها . وكان عدد كثير من هذا الجنس قد اتى وسكن في غرب اسيا
وجنوبها كبايلونيا وبلاد العرب وكنعان وفينيقية ومصر واخلط مع العائلة
السامية فنتج من ذلك الاختلاط فروع عديدة . وهذا الجنس اقل تمدناً من
الجنس المغولي وكثير منه في حالة التوحش التام وهم يعبدون الاصنام من
الدرجة الدنيا كالحيونات والدبابات والاشجار وكهنهم من الصحرة اهل
الخداع والنفاق الذين يضرون كثيراً بالشعب ويتصرفون في اموالهم ونفوسهم
بزعمهم ان ذلك ما يصرف غضب الالهة عنهم

وقد قسم العلماء اهل العالم الى اربع مراتب وكل رتبة تتأزماً سواها
بالمعارف والفنون فاصحاب الرتبة الاولى يقال لهم المتنورون والثانية المتمدنون
والثالثة نصف المتدنين والرابعة المتوحشون او البرابرة

اما المتنورون فهم الذين في اعلى درجة من التمدن والمعارف وعندهم
انواع الكتب النفيسة والمدارس الكلية والابنية الفاخرة والمراكب البخارية
والسكك الحديدية . واما المتمدنون فهم الذين عندهم نوع من التنوير ولكنهم
لم يصلوا الى درجة الكمال فلم عناية ومعرفة بالصنائع والمهن وبعض العلوم غير
ان مدارسهم قليلة والعلوم فيها بسيطة حتى ان كثيرين منهم لا يتعلمون القراءة
والكتابة ومنهم اهل الصين والهند والبعض الآخر من اهالي اسيا وافريقيا
واوروبا . واما نصف المتدنين فهم الذين في الحال البربرية يسكنون في اكواخ
من طين وليس عندهم معابد ولم عوائد غليظة ردية ومنهم اغلب العبيد في
افريقيا وغيرهم من عشائر اسيا . واما المتوحشون فهم الذين يعيشون كالوحوش
والبهائم بين الاجام والغابات ويتقنون من الصيد بالقوس والنباب ومنهم هنود
اميركا وبعض العبيد في افريقيا وبعض سكان اسيا وجزائر الاوقيانوس

القسم الاول

في قارة اسيا وشعوبها ودولها وممالكها وما يتعلق بها

الفصل الاول

في مناخ اسيا وحواصلها وجمالها وحيواناتها

قد ذكرنا فيما سبق ان اسيا هي بلاد متسعة جداً تحوي على مدن عديدة

وشعوب كثيرة وبراير واسعة وتكلم عليها الآن بلوضع بيان فنقول

ان هذه القارة واقعة في الجهة الشرقية من الكرة الشرقية والحواء في جنوبها جارجنا واكثر اراضيها مخصصة بنمو فيها البن والفلفل والفسق والوز والزيتون وقصب السكر والارز والموز والكافور والعود والند وغير ذلك من الاصناف كالرياحب والنبال والافيون والصبر والازهار البهجة ذوات الروائح الذكية وفي جنوبي هذه القارة مملكة الصين والهند والعم والترك والعرب

وفي اواسط اسيا جبال شاهقة رؤوسها مغمورة بالثلج الدائم وهي من اعلى جبال الدنيا يبلغ ارتفاع بعضها نحو ستة اميال تقريباً . وفي شمال هذه الجبال اراض باردة فيها سهول متسعة واهلها قبائل من التتر يحتفلون من مكان الى مكان في طلب المرعى الجمالم وخيولهم ومواشيهم . وليس في تلك السهول المتفرقة سوى قليل من المدن والقرى واكثر اهلها يسكنون في الخيام ويتنانون من لحوم مواشيهم والبانها ويقتنصون الابل وحمار الوحش وغير ذلك من الحيوانات البرية في تلك النواحي والاقاليم

الفصل الثاني

في الخليفة والطوفان وتشعب الارض ثانية

كان خلق العالم منذ نحو ستة الاف سنة وتفصيل حديثه مذكور بعبارات راقية واضحة في الاصحاح الاول من سفر التكوين
اما آدم وحواء فخلقهما الله عز وجل ووضعها في بستان عدن الذي هو في القسم الغربي من اسيا بالقرب من نهر الفرات وقد كانا الشخصين الوحيدين في هذا العالم ولم يكونا يشعران بالوحدة لان الله كان معها . ثم ولد لهما اولاد وعلى تنادي الايام كثر نسلها جداً وابتنوا لهم قرى ومدناً في تلك الجهات المجاورة للفرات وسكنوها ولكنهم زاغوا اخيراً وارتركبوا الشرور وتركوا عبادة الله حتى امتلات الارض ظلماً منهم

ولما رأى الله ان شر الانسان قد كثر على الارض وان كل تصور افكار قلبه انما هو شرير قصد اهلاكهم وابادتهم بالطوفان ولم تكن تلك الدينونة التي نزلت بهم قصاصاً لهم فقط بل موعظة وانذاراً لجميع شعوب الامم في القرون المستقبلية ليعلموا بان الشر والويل يعقبان الخطية

وما يستحق العجب انه لم يكن بين تلك الطوائف المذكورة رجلاً صالحاً غير نوح فسر الله ان ينجيه مع عائلته من ذلك البلاء فاعلمه بقصده وامره ان يبني لنفسه فلكاً ليعوم على الماء وان يدخل ذلك الفلك هو وبنوه وامرأته ونساء بنيه ويدخل معه ازواجاً من اجناس الحيوانات والذبابات والطيور لكي يملأوا الارض ثانية بعد اتمام حكمه . ففعل نوح كما امره الله وبعد ان صاروا جميعاً داخل الفلك انفتحت كوى السماء وانفجرت كل يابيع الغمر وغطت

امرٌ عجيب يستحق الذكر وهو ان الله سبحانه وتعالى بلبل الستمهم حتى لم يعد
 بينهم احدثهم كلام الآخرون من الاختلاف في النعم فبح الاختلاف في الاراء بين
 الروساء والمرووسين

فهذه الحادثة العجيبة اقلقتهم وشوشت افكارهم حتى اضطروا ان يكفوا
 عن بناء البرج والصعود الى السماء . ولما خلب امهم وحبط عملهم تأسفوا
 غاية الاسف على عدم نجاحهم وعزموا على الانتقال من هناك والجولان في اقطار
 العالم . والمظنون ان كل فرقة منهم من كانت تتكلم بلفظ واحدة تجمعت
 وانضم بعضها الى البعض وذهبت الى جهة معلومة من الارض . ودعي
 اسم ذلك البرج برج بابل الى يومنا هذا

وقد سبق القول ان الارض تشعبت بعد الطوفان باولاد نوح وهم سام
 وحام ويافت . وكان ليافت هذا سبعة بنين

الاول جومر وهو الذي هاجر الى الشاطي الشمالي من البحر الاسود ومن ثم
 تفرق نسله غرباً وسكنوا في الجنوب الغربي من اوروبا وفي جزائر بريطانيا
 واكثر الاوروبيين من نسله . وقد كانت لجومر ثلاثة بنين الاول اشكناز ومحلة
 الشاطي الجنوبي من البحر الاسود . الثاني ريفاث ومحلة شرقي اشكناز . الثالث
 تجرمة ومحلة الجانب الشرقي من ريفاث

الثاني ماجوج ومحلة بلاد التترامي الشاطي الشمالي من بحر الخزر واكثر
 سكان اواسط اسيا من نسله كالمغول . الثالث ماداي ومحلة شمالي بلاد العجم .
 الرابع ياولف ومحلة بلاد اليونان وباسموسى دانياال النبي اهالي هذه البلاد .
 وكان لياوان هذا اربعة بنين الاول اليشة ومحلة هلاس وهي الولاية الجنوبية
 الغربية من بلاد اليونان . الثاني ترشيش ومحلة كيليكيا في اسيا الصغرى في
 الاناضول وباسموسى سميت مدينة ترشيس وذهب بعضهم الى ان من نسله من
 سكن ايضاً في بلاد اسبانيا . الثالث كنيم ومكانة عند شطوط بحر ايطاليا
 وبلاد اليونان . الرابع دودانيم ومكانة البانيا اي بلاد الارناوط جنوباً من

شالح الذي ولد عابر المأخوذ منه اسم العبرانيين وله فالج ويقطان وكان
ليفطان اخي فالج ثلاثة عشر ولداً منهم قبائل بلاد العرب المخصصة وسكن
الاسماعيليون بينهم . الرابع لود ومنه اللواديون وعلمهم بر الاناضول . الخامس
ارام ومحلته بين النهرين ولذلك سميت هذه الارض سهل ارام وكان له اربعة بنين .
الاول عوص ومحلته عند راس خليج العجم . الثاني حول ومحلته عند مخرج نهر
الاردن حيث يدعى باسمه . الرابع ماش وقد سكن الاناضول ايضاً
فينين لنا ما تقدم ان اكثر اهالي اوروبا وشمالى اسيا ايضاً من نسل
يافت وان اهل اواسط اسيا من نسل سام واما اكثر اهالي افريقيا من نسل حام .
واما بلاد اميركا وجزائر البحر فقد عمرت من اسيا وافريقيا بانتقال بعض
الناس اليها وتوطنهم بها مارتن بيوغاز يدين الذي يظن انه كان برزخاً
وقد اكتشف بعض السياح المتأخرين على شاطئ الفرات تلة كبيرة من
الطين مجبولاً بالحجر مجففاً بالشمس والارجح ان هذه التلة من آثار خراب برج
بابل الذي شرع به اولئك القوم بينونة من نحو اربعة الاف سنة

الفصل الثالث

في مملكة اشور

الباب الاول

في نينوى وبابل

اشتهرت هذه الدولة بالدولة الاشورية نسبة الى اشور بن سام بن نوح
اول ملوكها وكان من امرها انه عند تفرق الناس في العالم كما سبقت

الاشارة استوطن منهم جماعة في بلاد شنعار بالقرب من برج بابل وتمكنوا فيها وكانت حارة الهواء ومخصصة التربة فكسوها بالمدن والقرى . ولما حشنت احوالهم وانتظمت امورهم اتحدوا وارتبطوا معاً وصاروا امةً مستقلة وكانت اول مملكة في العالم . وكان موقعها شرقي الدجلة يحدها شمالاً بلاد الارمن وغرباً ما بين النهرين وشرقاً بلاد ماداي وجنوباً بابلونيا وكانت متحفزة منفصلة عن مملكة اشور . ولول ملوك هذه الدولة اشور المذكور وباسمهم دعي البلاد كما مر . وكان ملكاً مقتدرًا ذا شوكة عظيمة وهو الذي بنى مدينة نينوى سنة ٢٢٢٩ ق م وبني لها سوراً متيناً بلغ ارتفاعه ٥٠ ذراعاً واقام لوقايها وصيانتها خمسة عشر برجاً علو كل منها مئة ذراع . قبل ان المدينة كانت كبيرة متسعة حتى لم يكن احد يستطيع ان يدور حولها ماشياً باقل من ثلاثين ساعة . وقد اكتشف احد المباحين مخبراً بين خرائبها بعض عادات مردومة واصاوير منقوشة ومرسومة على الفايث والاحجار فنقلت بعضها الى بلاد الانكليز وبعضها الى فرنسا وغيرها من البلاد الاوروبية

واما بابل عاصمة بابلونيا فهي مدينة كبيرة شهيرة اعظم من نينوى اتساعاً واحملها رونقاً وحسناً بناها نمرود حفيد حام اي الابن السادس لكوش ابن حام الذي كان معاصراً لاشور المذكور . وكانت هذه المدينة قائمة في وسط سهل فسيح وارض مخصبة جداً يجرها نهر الفرات جارياً في وسطها من الشمال الى الجنوب . ويحيط بها سوران عظيمان يبلغ محيطها ستين ميلاً وعرضها سبعاً وثمانين قدماً بحيث تجري فوقها ست مركبات صفًا واحداً وارتفاعها ثلثاية وخمسين قدماً وكان لها مئة باب من نحاس من كل جهة خمسة وعشرون باباً وكان لها ايضاً خمس وعشرون سوقاً تمر من جانب الى جانب شرقاً وغرباً وكذا شمالاً وجنوباً اي سوق ممتدة من كل باب الى ما يقابله في الجهة المقابلة وانقسمت المدينة بهذه الاسواق الى ٦٧٦ مربعاً بيت البيوت حولها وفي وسطها احسن البساتين والمنزهات . وكان في وسطها هيكل بعلى الاله اشور بين بتة

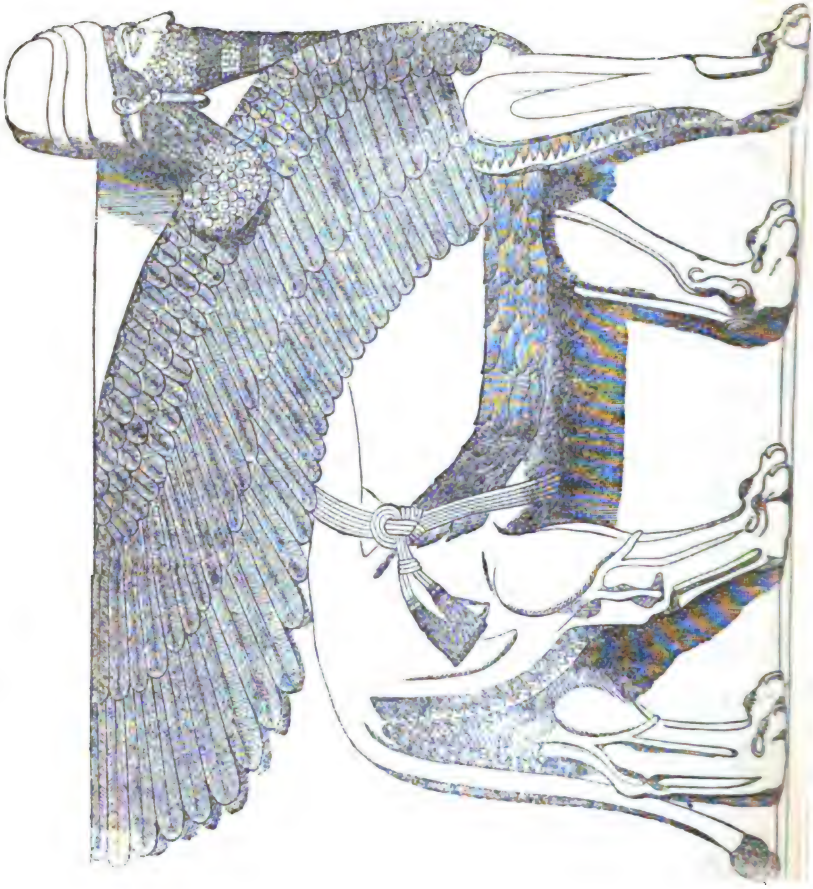
الملكة سميرامس الآتي ذكرها واقامت فيه تماثلاً من ذهب للصنم المذكور
 علوه ٤٠ قدماً وكان من اعظم الهياكل واعلى من كل ما بناه البشر يبلغ
 ارتفاعه ٦٦٠ قدماً وهو اعلى من اعظم الاهرام المصرية وقد وصفه هيرودوتس
 المؤرخ اليوناني فقال انه كان مربع الشكل ومساحته من كل الجهات ٤٠٠
 ذراع وفي وسطه برج عظيم يبلغ ارتفاعه سفاية قدم . ويعلو هذا البرج سبعة
 ابراج علو كل واحد منها ٧٥ قدماً . وكان في البرج الاخير مسجد فيه مائة
 من ذهب وفي البرج الاسفل مسجد آخر فيه تماثيل من ذهب وبقربه مائة
 وكربي من ذهب يساوي ثمنها نحو ٢٢٥ مليوناً من الفروش وكان خارج هذا
 المسجد مذبحان احدهما من ذهب يقدمون عليه الذبائح وهي من اناث الحيوانات
 واما الآخر فكان عظيماً جداً قد اعدوه لتقديم الذبائح المعتادة . وكانوا
 يوقدون عليه كل سنة في عيد الاله المذكور ٢٠٠٠ اقة بخور

الباب الثاني

في اخبار الملكة سميرامس

وكانت الملكة سميرامس المقدم ذكرها زوجة الملك نينوس الذي كان
 قد انفرد باحكام مملكة اشور واستولى على جميع الممالك الواقعة بين نهر
 الهند والبحر المتوسط فتبالت على الملكة بعد وفاة زوجها وبذلت الهمة في تحسين
 مدينة بابل وترميمها فاقامت فيها الابنية العظيمة والهياكل المتظمة وانشأت
 القصور والبساتين والدرع والفتاطر وغير ذلك من المباني المزخرفة والمنترحات
 البهجة

ومن العجائب ان هذه الملكة لم تكتف بما كانت عليه من العظمة والجاه
 وطيب العيش بل اهاجها الطمع الى الاستيلاء على باقي ممالك الدنيا فجمعت
 جيشاً عظيماً وزحمت به على بلاد هندستان في الجنوب الشرقي من مملكة اشور



مبع اشور بے براس انسان و اچھے طائر دلالة على القوة والمعرفة في مملكة
اشور

بعد ان كانت قد استظهرت على بلاد مصر والحبشة واستولت على جميع مدن فلسطين

وكان ملك الهند يومئذ رجلاً غنياً مقتدرًا فلما بلغه قدوم الملكة سميرامس لافتحاح بلاده تأثر من ذلك فجمع جيشاً جراراً وحصن القلاع بالعساكر والجنود واستعد لدفعها . وكان عنده افيال كثيرة قد تمرنت من صغرها على الهجوم في معارك الحرب والدخول بين صفوف الاعداء فكانت تلقي بخرابيتها الابطال وتندوسهم بارجلها . ولما اشرفت الملكة سميرامس على مدينة ملك الهند وبلغها خبر تلك الافيال اربابت وخافت من انتصار الهنود عليها واذ لم يكن عندها قوة تضاهيها اجتمعت ان تدفع عنها هذه البلية بطريقة احتيالية فامرت قواد العسكر بدمج ثلاثة الاف بقرة من ذوات اللون الاسمر وان يسلموها ويفصلوا جلودها على هيئة الافيال ويلبسوها للجمال فامثلوا ما امرت وفعلوا كما ذكرت وعلى هذه الصورة انزلتها الى ميدان الحرب لتلقي الرعب في قلوب الاعداء باظهارها لم استعداداتها الحربية وشوكها القوية . فلما انتشب القتال بين الفريقين انعطف ملك الهند بافياله الحقيقية على عساكر الاشوريين وتقدمت الملكة سميرامس بمجهاها وفرسانها وجلود ثيرانها ولما اقترب العسكران والتقى الجيشان انكشفت للهنود تلك الحيلة ونحقت عندهم انه لا يوجد عند الاعداء افيال كافيالهم وان كل ما يرى انما هو حيلة وخداع فتشجعوا وهجموا على صفوف الاشوريين هجمة هائلة فالتفتهم الملكة سميرامس برجالها وابطالها فاشتد القتال وعظمت الاهوال ودخلت افيال الهنود بين صفوف الاشوريين فكانت تخطف الرجال عن خيولها وتندوسها فمالبت الجمال المصنعة الى ان ولت الادبار وطلبت النجاة والفرار ولم تكن الا برهة يسيرة حتى انكسر جيش الاشوريين وتفرق وتشتت ثلثة وانتصرت الهنود انتصاراً عظيماً وكسبت غنائم جسيمة وكانت الملكة سميرامس قد جرحت جرحاً عميقاً ولكنها فازت بالهزيمة بسبب خفة فرسها ورجعت الى بلادها بالخبية بعد تلك السطوة والهبة وتعاذت

ونبؤاً بعد ذلك سرير ملكة اشور الملك سردنفول فكان شاباً جميلاً
ولكنه كان متواثماً مهاناً لا يبالي بأمر الملكة ولا يهتمه نجاح الشعب وكان يقضي
ايامه ولياليه في السكر واللذات ويتسلى بمجالسة النساء والمحادثة معهن ويتغلق
باخلاقهن ومن غريب اعماؤه انه كان يتزوي بلبسهن في أكثر الاحيان وبهذه
الصفة المضحكة كان يجلس بينهن ويساعدهن في الغزل فصار مردولاً
ومُبغضاً عند أكثر الناس ولهذا اعتمد رئيسان من أكابر قواده ان يهدما سلطته
ويستوليا على مملكته وهما ارباسيس رئيس عسكر بلاد مادي التي كانت يومئذ
من جملة الولايات التابعة لملكة اشور وويليزيس قائد جيوش مدينة بابل
وما يليها فاشهرا راية العصيان وجمعا اربعين الف مقاتل وهجما على مدينة
نهوى واقاما عليه حرباً وحاصراه اشد الحصار حتى لم يمكنه الفرار. فلما يس
من السلامة ولم ير لنفسه وجهاً للهزيمة داخله الخوف وعلم انه اذا بقي في قيد
الحياة ربما يؤخذ اسيراً ويصير عبداً فلم يسعى الا ان جمع خزان امراله وما
ملكته يده من الذخائر في

قاعة كبيرة وجعلها كومة واحدة
واضرم فيها النار فاحترقت به
مع كل من كان في القصر من
محافظيه ونسائه وسراريه. وكان
حدوث هذه الواقعة الهائلة سنة



٧٦٠ ق م

عسكري اشوري مدرع

وهكذا انتهت مملكة اشور الاولى واقتسمها المشتركان في هذه الدسياسة
فتقلد ارباسيس المذكور زمام بلاد مادي ونسي عليها ملكاً مستقلاً. واستولى
ويليزيس على مدينة بابل وسي ملكاً عليها الى سنة ٧٤٧ ق م
وكان لسردنفول ولد اسمه فول فلم يبق له من مملكة اشور سوى مدينة

نينوى فجلس عليها ملكاً من سنة ٧٥٩ الى سنة ٧٤٢ وهو الذي اقام حرباً على الاسرائيليين في ايام منجم احد ملوك اسرائيل واخذ منه الف وزنة من الفضة حتى رجع عنه . وخلف الملك فول على نينوى ابنة ثلث فلاصر من سنة ٧٤٢ الى سنة ٧٣٤ وكان شجاعاً مرهوباً ظافراً في حروبه ومغازية ولاسيما في وقائعه مع ملوك سورية واسرائيل . وهو الذي انتصر الملك آحاز بن يوثام من ملوك يهوذا وامدة بالمساكر والمهات على قتال الاراميين وافتتح دمشق وسبي اهلها

الباب الرابع

في ذكر بعض مشاهير ملوك اشور

وخلف ثلث فلاصر المذكور ابنة ثلثناصر سنة ٧٣٤ قبل المسيح . وكان جباراً مقتدرًا فاقام حرباً على ملوك سورية وحاصر مدينة صور زماناً طويلاً وعجز عن الاستيلاء عليها . وله دفع هوشع ملك اسرائيل الجزية . وهو الذي سبي عشرة اسباط اسرائيل الى اشور واتى بقوم من اهل ملكته واسكنهم مدن السامرة واليهيم اتسبت طائفة السامرة

وخلف ثلثناصر ابنه سنخاريب سنة ٧١٢ قبل المسيح وسلك مسلك ابيه في المغازي والحروب المتابعة فحارب اليهود وانتصر على ملوك مصر والحبشة وخرّب مدنها ونهبها مدة ثلاث سنين واتى منها بغنائم عظيمة واموال جسيمة ثم حاصر القدس في ايام الملك حزقيا وتهدد شعب اليهود وضايقهم فارسل الرب ملاكاً ليلاً وقتل من جيشه ١٨٥ ٠٠٠ رجل فارتد راجعاً الى بلاده مهزوماً مهزوماً وعند وصوله الى نينوى بنى ابنة جديدة واتقها . وانفق انه يينا كان ذات يوم ساجداً في هيكله امام الالهة دخل اثنان من اولاده

وقتلوه . ولكن لم ينجها بهذا العمل فانها التزما ان يهربا الى بلاد ارمينيا
وبترك الملك لاختيها اسرحثون . وقد اكتشف العلامة الحمادى مسترلابرد
الانكليزي في هذه الايام صورة سخاريب الملك مع بعض الفائل وصور
اخرى يرب خرب مدينة ينوى وهي الان في قصر الآثار القديمة في مدينة
لندن . ويقال ان الصورة المنقوشة على الصخرة تجاه نهر الكلب شرقي يروت
هي صورته

ثم استقل بالملك بعده ابنه اسرحثون المذكور من سنة ٧٠٢ الى سنة ٦٦٧ ق م
وفي سنة ٦٨٠ استولى اسرحثون على بابل ونسأط على جميع اقاليمها ولما قويت
شوكته جهز جيشاً عظيماً وزحف به الى سورية فحارب ملوكها نظير اسلافه
وقهرهم وادخلهم تحت الطاعة والانياد ثم سار الى فلسطين فاسر الملك منسى بن
حرقيا وارسل قوماً من اهل بلاده للإقامة في مدين البهايرة . ومن اشهر ملوك بابل
الملك نبوخذ نصر الاول نبواً سرير الملك سنة ٦٠٥ ق م وكان ملكاً عظيماً
ذا قوة وشوكته وثروة جسيمة ولم يكن دابة الا توسيع ملكه بالفهوجات
والانصارات وقد بلغ من درجة المجيد والفخار مبلغاً عظيماً وهو الذي استظهر
على بلاد اليهودية واتبع مدينة القدس واسر يهوياكيم ملك يهوذا وسبى كل
شعب اليهود مع ملكهم صدقيا بعد ما قلع عينيه واحرق المدينة بالنار . وكان
قد افتتح مدينة صور بعد حصار ثلاث عشرة سنة واخضعها ثم سار الى مصر
وغلبها واخذ منها غنائم وافرة استخدمها في تحصين بابل وضرب على اهلها
خراجاً معلوماً يدفعونه كل سنة ووضع عليها النواب والعمال . ولما رأى ذاته
مكلاً بنجاح لا مزيد عليه اغتر بشوكته وعظمته فبنى وتكبر وطمع وتكبر ونظم
نفسه في سالك الآلهة وطلب من الشعب ان يعبدوه ويسجدوا لثياله الذهبي الذي
اقامه لنفسه فصره الله بالجنون فكان يظن انه تحول الى صورة بقرة فخرج الى
البرية واقام بين الآجام والغابات مدة سبع سنين وتولت مكانة زوجته الملكة
نيتوكرس . وعند نهاية تلك المدة تاب ورجع الى الله فحكم سنة واحدة ثم توفي

سنة ٥٦٢ ق م



صورة ملك اشوري وجديت في خرائب نينوى

وتولّى بعدهُ ابنهُ اوبل مرودخ وكان هذا الملك محباً لدانيال النبي وهو
الذي اطلق سبيل يهوياكيم ملك يهوذا من الاسر وقدمهُ على سائر الملوك
الساقطين ومنحه المكان الاول في الجلوس على المائدة. وانتهى الحال بهذا الملك
انه مات قتيلاً في حرب اقامها عليه الفرس والماديون تحت قيادة كورش بعد
ان حكم نحو ثلاث سنين. ثم جلس على سرير المملكة بعدهُ بلشاصر ابنهُ وكان
منهمكاً في اللذات لا يلتفت الى الاحكام ولا يسأل عن احوال الرعايا وصرف
اوقاته بالولائم واللذات ولذلك سلم عنان الاحكام الملكة نينوكريس فكانت

تنوب عنه وتشاركه في الحكم وليث اشتراكهما معه مدة تشرين سنة . واتفق في
 اوخر هذه المدة انه بينما هو مولم وليمة عظيمة ذات يوم وعاكف على الشرب
 والانسراح امر باحضار الاواني الذهبية التي كان نبوخذ نصر جده قد سلبها
 من هيكل اورشليم فاستخدمها في شرب الخمر فظهرت له يد كتبت على الحائط
 بعض كلمات غير مفهومة فدهش هو وجميع الحاضرين من تلك الكتابة المهمة
 واستدعى اليه جميع السحرة لينكوها وينسروها له واذ لم يمكنهم تفسيرها احضر
 اليه النبي دانيال وطلب منه ان يبين له معانيها فوجه النبي على تجييس اسم الله
 ثم فسر له معنى تلك الكلمات الدالة على فقد حماه وفقد الملكة ايضا من ابدى
 ذريته عن قريب ففي تلك الليلة نفسها قُتل بلشاصر بسبب فتنة اهاجوها
 رجالان من اشراف الملكة كان قد اساء اليها واضررها جدا

وتولى بعده ابنه لابورا سوارخاد سنة واحدة واستبد بزمام الملكة بعده
 كياكسار الثاني وهو داربوس المادي ابن استياج سنة ٥٢٨ ق م . وداربوس
 هذا هو الذي امر بطرح دانيال في جب الاسود بسبب وشاية بعض القواد
 الذين كانوا يحسدونه ولكن لما انقذه الله من تلك التهلكة زادت كرامته في
 عيني الملك وظهر له ميله الخاص وقاده الوزارة العظيمة على جميع الرؤساء
 والقواد وجعله من اكبر ولاة الامور كما سنيين ذلك في الكلام على اخبار
 العبرانيين

الباب الخامس

في ديانة الاشوريين وفنونهم

وكان الاشوريون يعبدون الكواكب ويعظونها ويعتقدون ألوهية

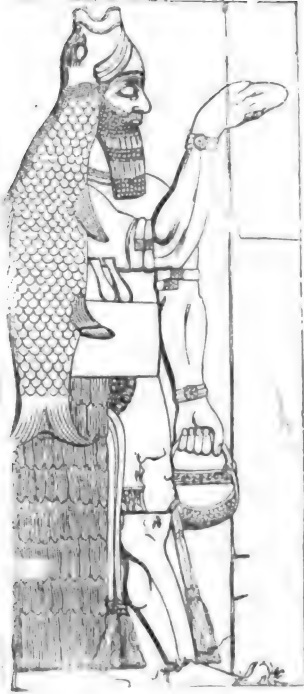
بعض افراد الرجال وكان عندهم لكل كوكب صنم منها صنم بعل الذي بنت له الملكة سبيرامس الهيكل الكبير وهو من اعظم معبوداتهم وسموه اله الارض الاكبر لانه كان رمزاً عن الشمس . ومن جملة الهتهم نسروخ ومعناه نسر عظيم .



نسروخ اله اشوري

ومنها ايضاً ما كان على صورة السمك . وكانوا يعبدون الملكة سبيرامس المقدم ذكرها واقاموا لها صوراً منقوشة بهيئة حمامة لزعيم انها تحولت الى هذا الجنس

من الطيور بعد موتها . وكان لهم معرفة تامة بالصنائع وانواع الفنون وكانت
ابنتهم عظيمة كاتبة المصريين مزخرفة
بانواع النقش والحفر والتصوير وهم الذين
اخذوا المزاويل وعرفوا حركات
الكواكب . وكان لهم في علم الطب باع
اطويل فكانوا ياتون بالمرضى ويضعونهم في
الازقة ومعايير الطرق بقصد انه اذا مر
عليهم احد ممن قد أصيب بذلك الداء
المصاب به المريض حينئذ يعلمهم سبب شفائه
من تلك العلة وبهذه الوسطة مارسوا علم
الطب جيداً حتى برعوا فيه واقتنوه غاية
الاتقان وكانوا يكتبون اسماء العلاجات
المنبذة على الواح ويلقونها في هيكل اله
الطب



اله سمك من الهة الاشوريين

الفصل الرابع

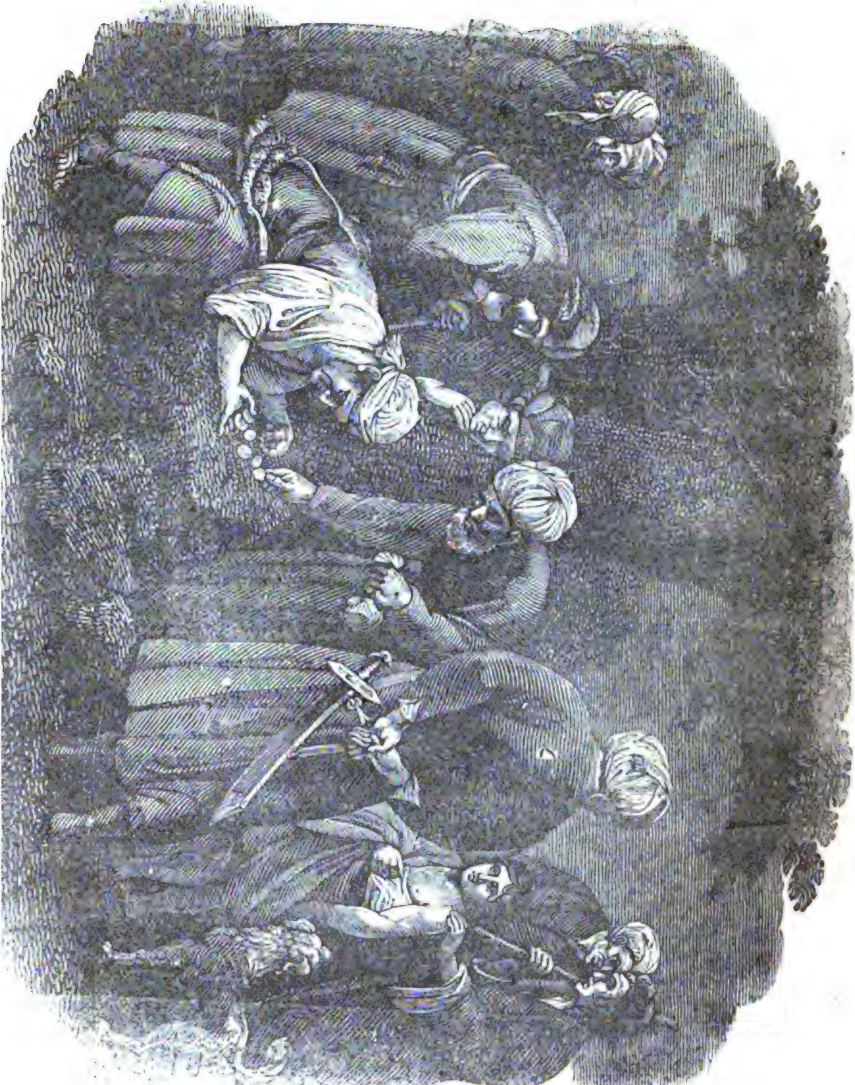
في تاريخ العبرانيين

الباب الاول

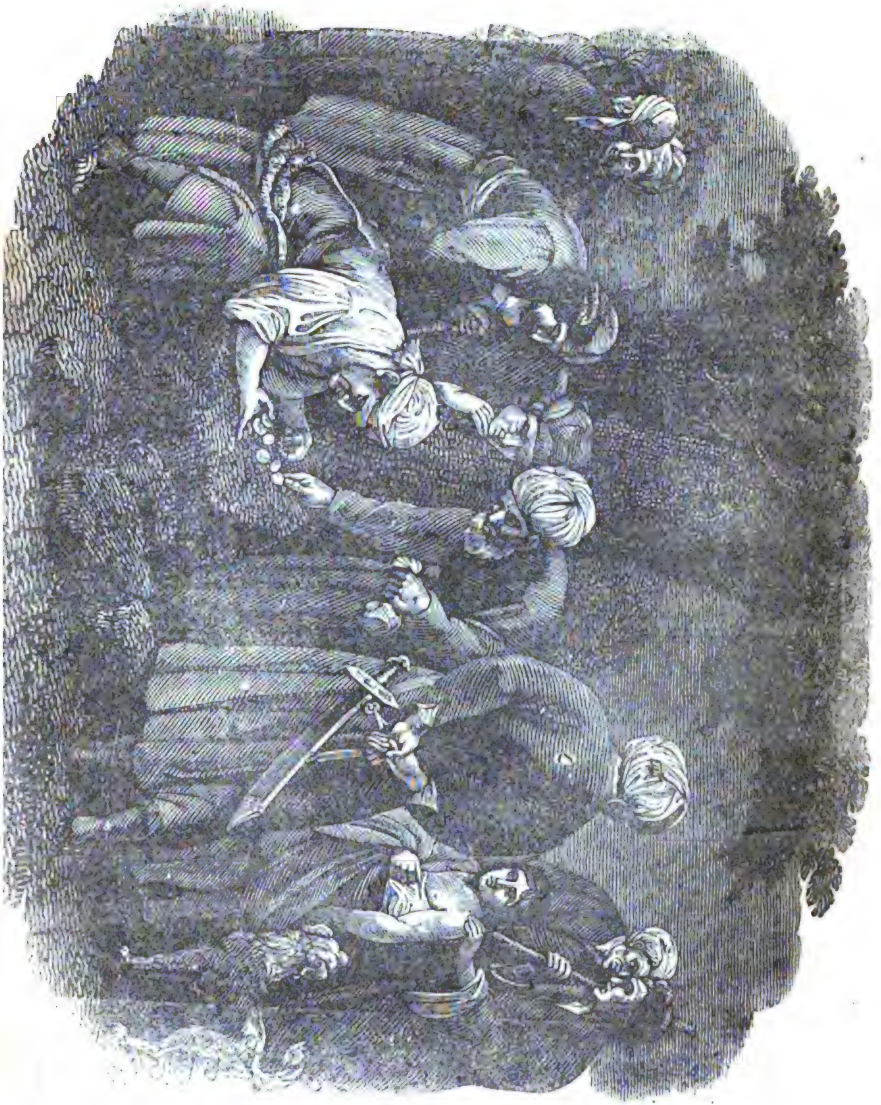
في ذكر ابراهيم وارتحال يعقوب واولاده الى مصر

راس العبرانيين وجدّهم ابراهيم بن تارح وُلد بعد الضوفان بثو ٢٠٠ سنة في بلاد الكلدانيين في الجهة الجنوبية من مملكة اشور وكانت تابعة لها . والمحقق ان اليهود من نسل سام كما يستدل من لغتهم التي هي قريبة من العربية والسريانية والكلدانية

واشتهر الكلدانيون قديماً بالمعارف والفنون وبرعوا في علم الهيئة والنجوم حتى كان الرومانيون في الازمنة الاخيرة يستدعونهم ويستقدمونهم في الامور ذات الشأن . وكانوا مع حذاقتهم وبراعتهم يعبدون الاوثان ويسجدون للشمس والقمر والنجوم دون الهي القيوم . واما ابراهيم فكان يعبد الاله الحقيقي . وكان في اول امره يرعى الغنم في سهول تلك البلاد واستمر على ذلك حتى توفي ابيه ثم امره الله ان يخرج من وطنه ويذهب غرباً الى ارض كنعان شمال بلاد العرب وشرقي بحر الروم وهي الارض المعروفة اليوم بفلسطين ووعدّه بان تلك الارض سوف تكون ملكاً لذريته فامتثل ابراهيم امر الله وارتحل مع زوجته سارة وبقي خدمه ومواسيه وكانوا يجولون من مكان الى مكان ساكنين في الخيام . ولم يكن لابراهيم ولد فرزقه الله اسمعيل من هاجر ثم اسحق من سارة وكان بحبة كثيراً فامتحنه الله وامره ان يذبحه تقدمة له فاجاب بالسمع والطاعة ولما رأى الله قوة ايمانه ارسل له ملاكاً يامره ان لا يفعل ذلك . ولا يسعنا المقام في هذا المختصر ان نذكر بالتفصيل اخبار ابراهيم فنقول بوجه الاختصار انه



يبيع يوسف للاسمعيانيين



بيع يوسف للاسمعيانيين

الباب الثاني

في خروج بني اسرائيل من مصر تحت رياسة موسى
واستيلائهم على ارض كنعان

وما زال بنو اسرائيل يكابدون المشقات والمتاعب حتى ولد موسى فجعلته
امه في تابوت والفتة بين الحلفاء على حافة النهر ووقفت اخيه من بعيد لتنظر
ما يكون من امره وبعد ذلك بقليل حدث ان ابنة فرعون جاءت الى النهر
مع جوارها لتغتسل فرأته واستخرجته من التابوت ورقت له وقالت هذا من
العبرانيين فمن لنا بمن ترضعه فقالت لها اخيه انا اذهب وادعو لك مرضعة
من العبرانيات فقالت اذهبي فذهبت الفتاة وجاءت بامو فسلمتها ابنة فرعون
الصبي فاخذته وارضعته ولما ترعرع انت به اليها واسلمته لها ونشأ عندها ودعت
اسمه موسى وعلمته كل علوم المصريين وفنونهم التي كانوا قد امتازوا بها على
باقي اهل العالم فانهما اتقاناً جيداً . ولكنه مع ما كان عليه في بيت فرعون من
الرفاهية والصولة لم ينس مشقات العبرانيين وتهداتهم متذكراً انهم اخوته
فكان يشفق عليهم ويود خلاصهم

ثم اعطى الله موسى وهرون اخاه قوة من السماء على أن ياتيا فرعون
ويطلبا اليه اطلاق العبرانيين من عبودية المصريين وجور فراعتهم ويصنعا
العجائب امامه ليعلم بان هذا الطلب هو من الله . فخرجا اليه صنعا عجائب
كثيرة وضربا المصريين بالضربات العشر المعلومه واحده بعد اخرى فسلم
فرعون اخيراً باطلاق سيدهم فساروا حتى انتهوا الى ساحل بحر الاحمر
المعروف ببحر السويس الفاصل بين مصر وبلاد العرب ولكنه بعد خروجهم
بقليل ندم على ما فعل فجمع فرسانه وجنوده وتبعهم ليعيدهم للذل والعبودية
فامر الله موسى ان يضرب البحر بعصاه فضربه فانقلب قمين فعبوا على

المتقدم ذكره الخامس والعشرين سنة المنسوبة الى غربة ابراهيم لحين ولادة اسحق فيكون الباقي ٤٠٥ سنين ولاجل التخص من فرق الخمس سنين نقول انه كان من عادة اليهود في تلك الايام ان نطم اطفالها في نهاية الوقت الذي اتقلوا به من سن الطفولية الى سن الصبا اعني بعد مرور خمسة اعوام من تاريخ الولادة فترى اذا ما تقدم ان المدة التي حددها الله لابراهيم يبتدئ تاريخها من ذلك اليوم الذي كان محفوظاً لاحتمال فطام الولد وعلى هذه الكيفية تكون الموافقة تامة

وكان قصد الله في اخراج العبرانيين من مصر ان يذهبوا الى ارض كنعان التي وعد ان يملكهم اياها على لسان ابراهيم . وكان طريقهم على اطراف بلاد العرب التي هي شرقي بلاد مصر والبحر الاحمر . ولكي لا يضلوا عن الطريق اقام لهم عموداً من سحاب ليرشدوهم في مسيرهم نهائياً وعمود نار يضيء لهم ليلاً في رحلاتهم . واذ كانت تلك البراري المقفرة بلا نبات ولا ماء كان الله يقيهم بالماء عوض الخبز وبالسلوى عوض اللحم ويأتهم بالماء من وسط الصخرة وقد اعانهم ونصرهم في محاربتهم لاهل عماليق

ولكنهم مع كل هذه المراح لم يعتبروا احسانات الله فعصوا وتمرّدوا عليه بانواع مختلفة وكثيراً ما تركوا عبادته وعبدوا الاصنام . وبينما كان الله معلناً ذاته لموسى على جبل سينا الزم الشعب هرون ان يصنع لهم عجلاً من ذهب ليعبدوه عوضاً عن الخالق الذي اخرجهم وانقذهم من عبودية المصريين بذراع رقيقة وقوة عظيمة

ولسبب مخالفتهم وتعدياتهم الكثيرة غضب الله عليهم واتهم منهم اشد انتقام فامات بعضهم بالوباء وجعل الارض تنفخ فاها وتبتلع بعضهم واصل الآخرين عن الطريق اربعين سنة فتاهوا في برية بلاد العرب مع ان المسافة بين مصر وارض كنعان لا تبعد اكثر من مائتين وخمسين ميلاً وهي عبارة عن اثنتي عشرة مرحلة فقط وزد على ذلك انه لم يدخل الى ارض كنعان احد من ذلك

المجمل الذين خرجوا من مصر إلى يشوع بن نون وكالب بن يفتة والباقيون ماتوا في البرية ولم يدخلها غير أولادهم وأولاد أولادهم حتى أن موسى أيضاً لم يسمح له بالدخول بل أراه تلك الأرض الواسعة من رأس الفسحة في جبل نبو وهناك مات ولم يعرف قبره إلى هذا اليوم

ثم أقام الله للإسرائيليين بعد موسى يشوع بن نون فقادهم إلى أرض الميعاد وأخضع لهم أهل تلك البلاد وقتل ملوكها وأحرق مدينتها بالنار وقسم أملاكها وأرضها على أسباط إسرائيل الاثني عشر. وبعد موت يشوع ارتد بنو إسرائيل عن الله وعبدوا الآلهة الغربية فسلط الله عليهم الفلسطينيين وأسلمهم يدهم فكانوا يضاقونهم ويذلونهم ويسبونهم وكانوا عندما يلتجئون إلى الله ويصرخون إليه في وقت الضيق والشدة يشفق عليهم ويقيم لهم قوادماً من ذوي الأهلية واللباقة في السياسة والحروب وكان يزيهم بشجاعة وحكمة لكي ينقذهم من مصائبهم وشدائدهم ويكونوا ولاة أمورهم. وتلقب هؤلاء القواد بالفضاة إذ كانوا يفضون ويحكمون بين الشعب وذلك في المدة المتوسطة بين موت يشوع المذكور وقيام شاول الملك الأول وكانت سلطة هؤلاء الفضاة أقل من سلطة الملك فلم يكن لهم سلطان أن ينظموا أحكاماً أو قوانين جديدة بل كانوا يجامون عن الشرائع ويحافظون على حقوقهم وينظرون لكليات مصالحهم ويتفقون من المجرمين ولاسيما الذين يتوغلون في العبادة الوثنية. وكان عدد هؤلاء الفضاة أربعة عشر واستمر حكمهم بحسب رأي الأكثرين نحو ثلث مئة وعشر سنين وذلك من بعد موت يشوع بعشرين سنة إلى تنويع شاول الملك الأول والجداول الآتي يبين أسماءهم وتأريخ حكمهم

جدول اسماء القضاة وتاريخ حكمهم

١٢٩٤ ق م	١	عثنيل بن قناز اخو كالب
١٢٣٦	٢	اهود بن جيرا البنياميني
	٣	شجر بن عناة
١٢٩٦	٤	باراي بن اينوع ومعه دبورة النية
١٢٤٩	٥	جدعون بن يواش ويقال له برئيل
١٢٠٦	٦	تولع بن فواة بن دودو
١١٨٣	٧	ياثير الجلعادي
١١٤٣	٨	ينتاح الجلعادي
١١٢٧	٩	ابسان من بيت لحم
١١٢٠	١٠	ابلون الزبولوني
١١٢٠	١١	عبدون بن هليل الفرعوني
١١٤٠	١٢	شمشون بن منوح
١١٨٣	١٣	عالي الكاهن
١١٤١	١٤	صموئيل النبي

الباب الثالث

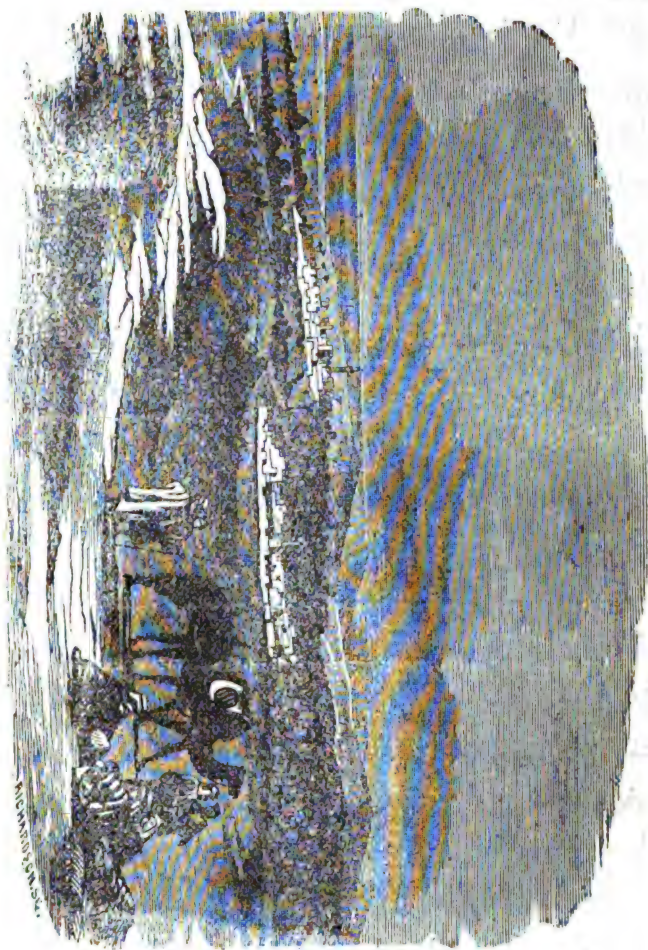
في ذكر جدعون وشمشون من قضاة الاسرائيليين

وحيث كان بعض اولئك القضاة ذوي شجاعة وبأس رأينا ان نذكر بعض افعالهم تذكراً لهم فنقول انه في مدة قضاء جدعون اتي المديانيون بجيوش عظيمة وجمع كثيرة وضاربوا الاسرائيليين وحاصروهم مدة سبع سنين

واذلوهم كثيراً فامر الله جبهتين المذكور ان ينزل اليهم بثلاثمائة رجل فقتل
اليهم بهذا العدد وكان كل واحد منهم حاملاً بيده الواحدة جرة فارفة داخلها
مصباح وبالاخرى بوقاً فلما اشرفوا عليهم وجدوهم نياماً وهم في غاية الاطمئنان
غير مباين بشيء فامر جدعون رجاله ان يكسروا جرارهم ويشهروا مصابيحهم
يسارهم ويوقوا بابواقهم ففعلوا كما امرهم فتناولوا المصابيح باليسار ووقوا
بالابواق ونادوا باعلى اصواتهم للرب ولجدعون فاتبه المديانيون من رقادهم
بقتة وهم يظنون ان عسكر الاسرائيليين قد هجم عليهم ودعهم فخافوا واضطربوا
وبعضوا في الحال لا يعلمون ماذا يفعلون وكانوا يزاحمون بعضهم بعضاً على
الهزيمة والفرار ويقتل كل منهم صاحبه وهو لا يعرفه واشتدت بينهم المعركة طول
ذلك الليل حتى قتل بعضهم من البعض عدداً كثيراً وولى من بقي منهم الى
بلاد غير مصدقين بفجائهم

ومن اعظم قضاة اسرائيل واشهرهم شمشون الجبار وكان من اشد جبابرة
العالم واقدرهم لم يات الزمان بمثله . ولم يفعل احد كفعله وما يستحق العجب ان
سبب قوته كانت ناشئة من شعر راسه لانه كان اذا اطلق شعره نضاي قوته
قوة مئة رجل واذا جلقه تضعف ويصير كباقي الناس . ومن افعلوا انه التقى
يوماً باسد كاسر فقبض عليه وشقه نصفين كما يشق الرجل الجدي وليس في يده
شيء . والتقى يوماً بثلاثين رجلاً فقتلهم واخذ ثيابهم وامتنعهم . وفي ايامه تغلبت
الفلسطينيون على الاسرائيليين وضربوا بهم فغضب شمشون من ذلك ونهض
لمقاومتهم والانتقام منهم . فامسك مرة ثلثماية ابن آوى واخذ مشاة وجعل
ذنبا الى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنين في الوسط ثم اضرم المشاة ناراً
واطلقها بين زروع الفلسطينيين فاحرق الاكداس والزروع وكروم الزيتون .
وقتل مرة منهم الف رجل بئس حمار من بعد ما قطع الوثق التي كان مفيداً
بها وهي حبلان جديدان . ونزل يوماً الى غزة فأوصد عليه الفلسطينيون ابواب
المدينة لكي يقتلوه عند الصباح ولما علم بذلك قام عند نصف الليل ونزع

مصري باب المدينة مع القائمين والعارضة وحملها على كتفيه وصعد بها الى
راس تلة بعيدة



تة

وكان شمشون مع شدة بغضه للفلسطينيين ومواظبته على اضرارهم قد احب
امراة منهم اسمها دليلة فكانت تظهر له المحبة والوداد وهي في الباطن عاملة على
اهلاكه لان الفلسطينيين كانوا قد وعدوها بمبالغ وافرة لتخذه وتعلم منه بماذا

تقوم قوته العظيمة فاخذت دالية تملئة بأنواع الخداع والمجل لكي يقر لها
 بهذا الامر فخدعها شمشون وقال لها انه اذا رُبط بسبعة اوتار طرية تذهب
 قوته فحُزبت ذلك وربطته بسبعة اوتار ثم قالت له الفلسطينيون عليك
 يا شمشون وكانت فرسانهم كامنة عندهما في البيت فقطع الاوتار كما يقطع قنبل
 المشاققة اذا شم النار . ثم الحت عليه ثايةً بتشديد ان يعلمها الصبح فقال اذا
 اوثنوني بحبال جديدة لم نستعمل اضعف واصير كواحد من الناس . فربطته
 بحبال جديدة ونادته كالاول فقطع الحبال عن ذراعيه كما يقطع الغلام
 الخيط فاغناظت دليلاً اخيراً وكررت عليه السؤال واذا لم يمكنه مخالفتها اخبرها
 بوافقة الحال ولما انكشف لها الامر وعرفت باطن الطوية وان قوته قائمة
 باطلاق شعره وعدم رفع موسى على راسه لانه كان نذيراً لله من بطن امه ارسلت
 فدعت اليها وجوه آل فلسطين ولوقفنهم على الحقيقة واخذت منهم الفضة التي
 وعدوها بها ثم جعلتهم في كبن وانامت شمشون على ركبها ودعت رجلاً خلق
 له شعره ففارقته قوته وبهذه الوسيلة اسلمته لاعدائهم فاخذوه الفلسطينيون
 ولوثقوه بسلاسل من نحاس وقلعوا عينيه وسجنوه وجعلوه يطن الشعر
 والحنطة . وابتدا شعر راسه ينبت بعد ان خلق فعادت اليه قوته كما كانت
 وصار من اشد الناس . واتفق في بعض الايام بينا كان الفلسطينيون مجتمعين
 يوم عيد المهر داجون وهم في غابة الفرح والمجور على اسر شمشون انهم دعوا
 شمشون من السجن ليلعب امامهم ويسطهم فحاجوا الى القاعة التي كانوا مجتمعين
 فيها وكان البيت مملواً من الرجال والنساء وعلى السطح نحو ثلاثة الاف نسمة
 يتفرجون على لعبه وكان في وسط القاعة المذكورة عمودان كبيران كان البيت
 قائماً عليهما فلما فرغ شمشون من لعبه قبض على العمودين المذكورين الواحد
 يمينه والاخر يساره وانحنى عليهما بقوته من بعد ما استعان بالله فسقط البيت
 على من فيه وماتوا جميعاً فكان الذين امامهم يموتوا اكثر من الذين امامهم في
 حياتهم

الباب الرابع

في ذكر شاول وداود وسليمان

اذ لا يسعنا في هذا المختصر ان نستوفي كل اخبار ملوك اسرائيل ووقائعهم وحروبهم رأينا ان نذكر اعظم واشهرهم على وجه الاختصار فنقول . لما نفر شعب اليهود من احكام القضاة اخذوا يسعون في اقامة ملك عليهم ليسوسهم ويدبر امورهم فاجتمع جمهورهم وقصدوا النبي صموئيل وكان يومئذ قاضيا ورئيسا عليهم واتمسوا منه ان يختار لهم ملكا من اهل الدراية والاستقامة فاشار عليهم ان يكتفوا عن هذا الطلب واظهر لهم المظالم والمناعب التي كانت الملوك تجربها في تلك الايام المظلمة . واذ كانوا لا يسمعون له ولم يقدر على ردهم انقلب لهم شاول بن قيس ومعه ملكا عليهم سنة ١٠٩٥ ق م وهو اول ملوك اسرائيل . وكان جميل الصورة طويل القامة فحكم



كاهن عبراني يمسح ملكا

نحو اربعين سنة وكان في اول امره سالكا طريق المحسنة والاستقامة ممتازا بمكارم الاخلاق والتفوى لكنه اخيرا فجب وتكبر اذ اتخذ لنفسه وظيفة الكهنوت المحصورة في الكهنة فقط وعصى الله باستنفاذه اجاج ملك عماليق واعفاه عن خيما الغنم والبقر

خلافا لامر الله الذي كان قضى بتجريما وقتلها

وكان في ايامه بين الاسرائيليين وباقي الشعوب المجاورة لهم حروب متصلة

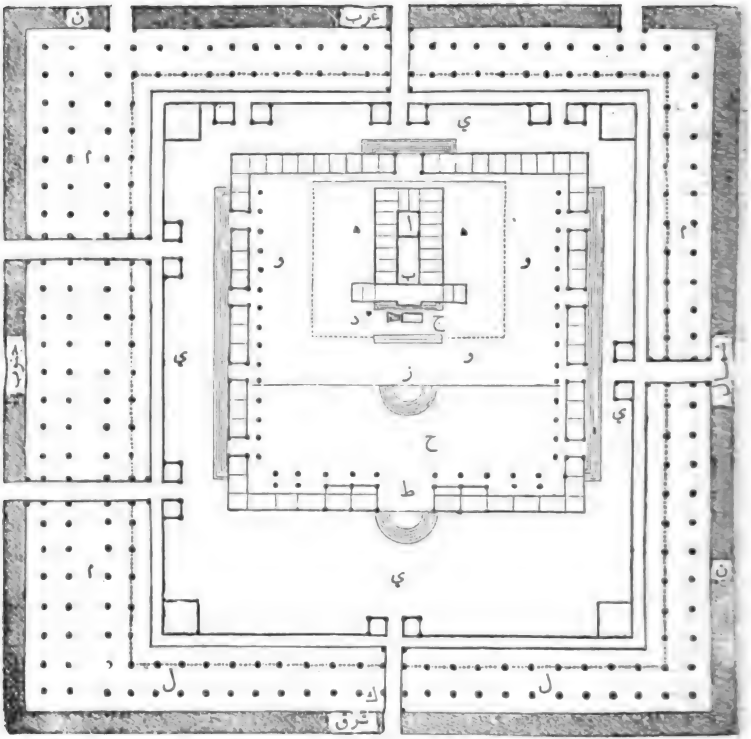
واجتمع الفلسطينيون يوماً لقتال الاسرائيليين فالتفاهم شاول بجميع اسرائيل .
 وكان في معسكر الفلسطينيين شخص من الجبابرة الطغاة اسمه جليات طوله ست
 اذرع وكان مندرعاً بالحديد ومسلحاً بالاسلحة المانعة ووزن سنان رمحه احدى
 عشرة افة . وكان يتزل كل يوم الى ساحة الميدان ويتهدد الاسرائيليين بالكلام
 ويستدعهم للمبارزة والقتال فيتأخرون عنه وبخافونه كما تخاف الشاة من الذئب
 ولم ينزل على ذلك حتى اقبل على اسرائيل داود بن يسي من سبط يهوذا من
 مدينة بيت لحم وكان شاباً صغير السن يرعى الغنم لابيهِ وكان مع صغرسه شجاعاً
 جسوراً فلما سمع صوت الفلسطيني استأذن من الملك شاول للمبارزة فاذن له
 بذلك فاسرع ونزل الى ميدان الحرب بشيائه المعتادة ولم يكن مع داود سلاح
 سوى مقلع وخمسة احجار من زلط في كنفه فلما رآه ذلك الجبار صاح عليه
 صيحة عظيمة واخذ يتهده ويشتبه فلم يكثرث داود بكلامه بل تقدم لاستقباله
 واخذ حجراً من كنفه ووضع في المقلع وقال انت تاتي الي بالسيف والرمح وانا
 آتي اليك باسم رب الجنود ثم برم المقلع وقذف بالحجر فارتد في جبهته وسقط
 على وجهه الى الارض فبادر داود اليه واستل سيفه وقطع برأسه فلما رأى
 الفلسطينيون ان جبارهم وعبيدهم قد مات انهزموا وتفرقوا في اقطار الفلاتبعهم
 الاسرائيليون وقتلوا منهم عدداً كبيراً ثم رجع داود من الحرب ويده راس
 جليات فاكتسب بذلك فخراً ومدحاً من جميع الناس وزوجه شاول بابنته
 وجعله حامل سلاحه ثم حسده وابتلى منه بالغيرة وصم على قتلوه ضرب داود من
 امام وجهه ولحق باهل فلسطين واقام عندهم اياماً ثم التجأ الى الجبال والكهوف
 وبقي على هذه الحال نحو ٢٤ سنة حتى قُتل شاول مع ابنه يونانان في حروبه
 الاخيرة مع الفلسطينيين

وبعد موت شاول اخثار شعب يهوذا داود المذكور ملكاً عليهم وكان
 ذلك سنة ١٠٥٥ ق م فساسهم سبع سنين وستة اشهر ثم انضم اليه جميع اسباط
 اسرائيل فتولى عليهم نحو ثلاث وثلاثين سنة وقاتل جميع الامم المجاورة له وظفر

هم واذلهم وضرب عليهم الجزية واعنى باصلاح المملكة فذهبها وشيدها حتى بلغت الى درجة سامية من العظمة والفخار والشوكة والافتدار وجعل قصبة مملكته مدينة اورشليم . وكان داود على جانب عظيم من الحكمة والنفوى والصلاح مستقيماً مع الله فاحبه الله ووعدته انه يعطي الملك لنسله من بعده وان المسيح ياتي من ذريته . وكان شاعراً فصيحاً وقد خلف ذكراً مؤيداً بنشائده الزبورية المطربة التي لا يزال اكثر الناس يستعملونها الى يومنا هذا في التسابيح الروحية ويشترك في الفاظها الرقيقة العذبة كل قلب نقي غير انه كان وقع في زلة فظيعة بقتله اوريا الحثي لاجل التزوج بامرأته فاورثه ذلك الحزن الشديد وتاب الى الله وقبل

ثم قام بالملك من بعد داود في بني اسرائيل ابنه سليمان وكان ملكاً مهيباً حكيماً ذا شوكة وثروة وفراة وهو الذي بنى الهيكل المشهور في مدينة اورشليم لعبادة الله عز وجل وكان قد مضى على اليهود نحو اربعماية وثمانين سنة منذ خروجهم من مصر ولم يكن لهم معبد فاعتنى ببنائه وانفق عليه اموالاً جزيلة وكانت اخشاباً من شجر الارز والسرو الذي استعمله من لبنان بواسطة حيرام ملك صور وزين الهيكل من داخله بانواع النفوش والفائيل الملبسة بالذهب بما لا يستطيع لسان القلم ان يصفه او يحصي قيمة نفقته واستمر في بنائه نحو سبع سنين وكان التراخ منه بعد الخليفة بثلاثة الاف سنة وقبل المسيح بالف سنة وحسب هذا البناء من عجائب الدنيا

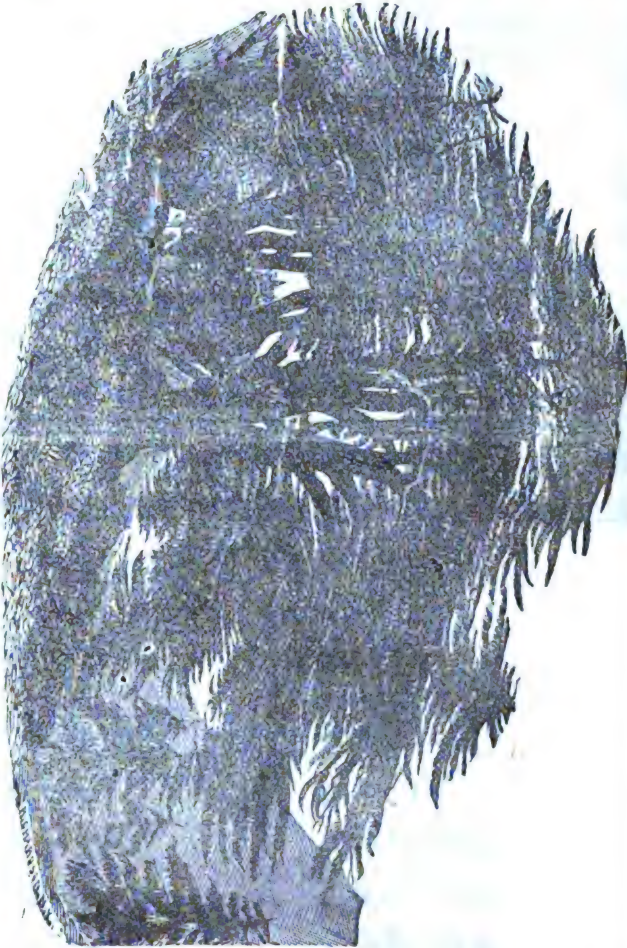
وكان سليمان شاعراً مثل ابيه وله مؤلفات في الفلسفة الادبية وقضى كل مدة ملكه في راحة تامة مع الملوك جيرانه وكان محبوباً ومكرماً من الجميع ولكنه سقط بالعبادة الوثنية واتخذ لنفسه نساء كثيرة ما بين حرة وسرية وتزوج بنت فرعون ملك مصر وبني لها على ما قيل القصر الذي في بعلبك ومدينة تدمر في البرية ثم ندم وتاب ورجع الى الله



معنى الاشارات في هذه الصورة

ا	قدس الاقداس	ح	دار النساء
هـ	دار الكهنة	ل	رواق سلجان
ب	القدس	ط	الباب الجميل
ج	مذبح المحرقة	ي	دار الامم
د	مرحضة النحاس	ك	الباب الشرقي
و	دار اسرائيل	م	الرواق السلطاني
ز	باب نيكانور	ن	الحائط الخارجي

وما ذكر من امر فراسته انه بينما هو ذات يوم في مجلسه دخل عليه
امرأتان تتنازعان على طفل صغير تدعي كل امرأة منهما انه ولدها واذ كان
الامر ما تيسر امر سليمان باحضار سيف وان يُقطع الطفل الى قطعتين ويُعطى
لكل منهما النصف لاجل فض هذا المشكل فلما رأت ام الطفل الحقيقية بريق



ارزلبان

السيف فوق راس ابنها فحركت عواطف قلبها بالشفقة والرافقة وصرخت قائلة

وبقي رحبعام بن سليمان ملكاً على سبطي يهوذا وبنيامين في مدينة اورشليم وما يليها . وكان السبب في ذلك اتباعه مشورة اصدقاته الاحداث ورفضه راي الشيوخ في مسألة الشعب ومعاملتهم بالرفقة واللين . وكانت اكثر ايامه حروباً مع بربعام وبني اسرائيل . وفي ايامه زحف شيشق ملك مصر الى اورشليم ونهب الهيكل

اما عدد الملوك الذين تولوا على اسرائيل فكانوا تسعة عشر ملكاً وكان اكثرهم يعبدون الاصنام واستمر ملكهم مدة ميتين واربعة وخمسين سنة الى ان زحف على الملكة شلنصر ملك اشور سنة ٧٢١ ق م وحاصر السامرة واسر الاسباط العشرة مع ملكهم ونقلهم الى بلاده فكانوا مستعبدين في جوف اسيا وهكذا افترضت ملكة الاسباط العشرة وثلاثي امرهم ولم يسمع لهم خبر ولا ذكر بعد ذلك . ثم اتى ملك اشور بقوم من بلاده من قبيلة الكوفيين واسكنهم مدن السامرة عوضاً عن الاسرائيليين ومن هؤلاء نشأت طائفة السامرة

واما ملوك يهوذا فكان عددهم تسعة عشر ملكاً ما عدا عتليا ام آخر يا كما ترى بيان ذلك في الجدول الآتي وهم من ذرية داود وكان بعضهم من اهل الفتوى والصلاح كحزقيا ويوشيا الذي قتله نحو ملك مصر . وكانت حروبهم متصلة مع مصر واشور وملكة اسرائيل حتى التزم الملك احاز مرة ان يستدعي ثعلت فلاسر ملك اشور لمساعدته على ملكي الشام واسرائيل المتحدين عليه فاتى وخرب دمشق ثم ضرب الجزية على ملكي اسرائيل ويهوذا وبقي ذلك الى ان قام حزقيا فاعتق اليهودية من يدي الاشوريين وتخلص من غزو سغاريب على اورشليم كما ذكر في تاريخ اشور . وفي ايام الملك يهوياقيم احد ملوكهم الذي كان قد دفع الجزية الى فرعون ملك مصر زحف نبوخذ نصر ملك بابل الى اورشليم سنة ٦٠٦ ق م وسبي جانباً من الشعب وهذا هو السبي الاول ثم بعد ذلك بثمان سنين زحف ثانية في ايام يهوياكين بن يهوياقيم

المذكور واسره مع رؤسائه وقسم من الشعب ونهب الهيكل وكل ما فيه من الخبز
 النفيسة والاواني الثمينة وهذا هو السبي الثاني ثم بعد ذلك بعشر سنين زحف
 نبوخذ نصر ثالثة في ايام الملك صدقيا كما مر وحاصر اورشليم فافتتحها واسره
 الى بابل بعد ان اذله وقلع عينيه واحرق المدينة والهيكل بالنار وسبي كل شعب
 يهوذا ما عدا المساكين والفقراء وهذا هو السبي الثالث والاخير وهكذا انقرض
 مجد هذه المملكة سنة ٥٨٨ ق م وكانت مدنها ٢٨٧ سنة بعد انفصال مملكة
 اسرائيل عنها

ولما استولى كورش ملك فارس على بابل اذن لليهود في اواخر حكمه
 ان يرجعوا الى بلادهم بعد ان اخذ عليهم عهداً انهم لا يخونون بل يكونون
 تحت الطاعة والانقياد خاضعين الاوامر الفارسية فرجعوا وبنوا الهيكل ومارسوا
 طقوس عبادتهم وكانوا تحت سلطة ملوك الفرس الى زمن اسكندر الكبير
 سنة ٣٣٠ ق م وذكر يوسفوس المؤرخ ان اسكندر الكبير لما تقدم بمجيوشه نحو
 القدس ليفتحها اتفاناً لامدادهم اهل صور بالذخائر والعلوفات عند ما كان
 محاصراً المدينة ظهرت له ملاك في الطريق وعهدده على ما كان قصده من
 خراب اورشليم فخاف اسكندر وعدل عما كان صمم عليه وعند وصوله الى
 المدينة دخلها كرائر ومجد لاله اسرائيل في الهيكل واتخف الكهنة بهدايا فاخرة
 ثم تحول عنها فاصداً داريوس ملك الفرس

ملوك اسرائيل

ملوك يهوذا

اسم الملك	تاريخ حكمه	مدة حكمه	اسم الملك	تاريخ حكمه	مدة حكمه
رجعام	٩٧٥ ق ١٧	١٧	بربعام	٩٧٥ ق ٢١	٢١ سنة
ايام	٩٥٨ ق ٢	٢	ناداب	٩٥٤ ق ٢	٢
اسا	٩٥٥ ق ٤١	٤١	بعشا	٩٥٢ ق ٢٤	٢٤
يهوشافاط	٩١٤ ق ٢٥	٢٥	ايله	٩٢٠ ق ٢	٢
يهورام	٨٩٤ ق ٨	٨	زمري	٩٢٩ ق ١	١
عزليا ام آخريا	٨٨٥ ق ١	١	عمري (بنى مدينة السامرة)	٩٢٩ ق ١٢	١٢
آخريا	٨٨٤ ق ٦	٦	اخاب	٩١٨ ق ٢٢	٢٢
يواش	٨٧٨ ق ٤٠	٤٠	اخزيا	٨٩٨ ق ٢	٢
امصيا	٨٤٨ ق ٢٩	٢٩	يهورام	٨٩٦ ق ١٢	١٢
عزريا او عزيا	٨١٠ ق ٥٢	٥٢	ياهو بن نمشي	٨٨٤ ق ٢٨	٢٨
يوثام	٧٥٨ ق ١٦	١٦	يهوآحاز	٨٥٦ ق ١٧	١٧
آحاز	٧٤١ ق ١٦	١٦	يواش	٨٤٠ ق ١٦	١٦
حزقيا	٧٢٦ ق ٢٩	٢٩	بربعام الثاني	٨٢٥ ق ٤١	٤١
منسي	٦٩٧ ق ٥٥	٥٥	فترة بدون ملك	٧٨٤ ق ١٢	١٢
آمون	٦٤٢ ق ٢	٢	زكريا	٧٧٢ ق ٦ اشهر	٦ اشهر
يوشيا	٦٤٠ ق ٢١	٢١	شلوم	٧٧٢ ق ١ شهر	١ شهر
يهوآحاز	٦٠٩ ق ٢ اشهر	٢ اشهر	مغيص بن جاري	٧٧١ ق ١٠ سنين	١٠ سنين
يهوياقيم	٦٠٩ ق ١١ سنة	١١ سنة	فقيها	٧٦٠ ق ٢	٢
يهوياكين	٥٩٨ ق ٢ اشهر	٢ اشهر	فصح	٧٥٨ ق ٢٠	٢٠
صدقيا	٥٩٨ ق ١١ سنة	١١ سنة	هوشع	٧٢٩ ق ٩	٩

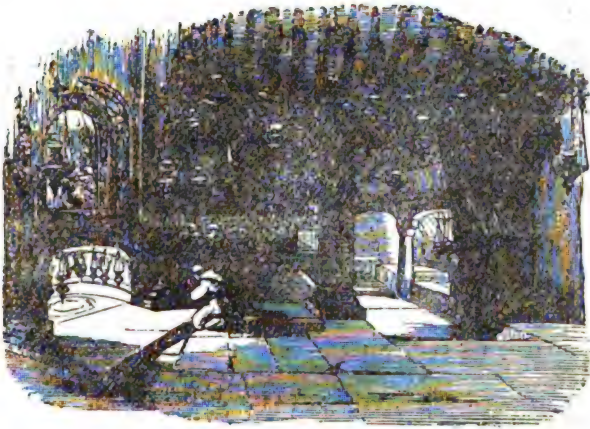
الباب السادس

في تغلب ملوك مصر وسورية على اليهودية واستيلاء الرومانيين
عليها الى حين خراب اورشليم

وكان المصريون قد تغلبوا على اليهودية بعد موت اسكندر واستمرت
شعوب اليهود تحت تسلطهم مدة طويلة ثم اتى بعدهم السوريون تحت راية
انتيوخوس الرابع احد ملوك الدولة السلوقية فانتقموا البلاد واستخلصوها
واسروا الاهالي واذلوا امة اليهود وجاروا عليها جوراً عنيفاً وقتلوا من الشعب
خلفاً كثيراً ضرب من بقي منهم الى الجبال والبراري واقاموا فيها . ثم رحل
انتيوخوس راجعاً بمجوشه الى بلاده وكان قد اقام نائباً له على اورشليم رجلاً
من قواده يقال له فيلكس وامره ان يلزم اليهود ويجهزهم على اكل لحم الخنزير
وان يمجّدوا لاصنامهم ويتشفعوا عن الخنثان وعن حفظ يوم السبت وان يقتل
كل من خالف امره ففعل فيلكس كما امره سيده ويقال انه قتل خلفاً كثيراً
من اليهود من كانوا لا يمثلون لهذه الاوامر . وفي سنة ١٦٦ ق م قام على اليهود
قائدٌ جبارٌ يدعى متثيا بن يوحانان الكاهن المكابي وهو اول من قام من
المكابيين وانتصر لليهود وتولى امرهم ثم خلفه ابنه يهوذا فطرد السوريين من
البلاد واستبدّ بالمملكة ولما بلغ هذا الخبر مسامع انتيوخوس المذكور ملك
سورية شقّ عليه ذلك واقسم انه لا بد من ان يحوّ أثار اليهود عن وجه
الارض ويطلق اخبارهم فتجهز من يومه في جيش عظيم وسار قاصداً البلاد
اليهودية فيبناها في اثناء الطريق وقع من مركبته الى الارض فمات ولزنت
عساكره راجعة الى بلادها . وكان القائد يهوذا بن متثيا المذكور قد توفي

قتيلاً في معركة حدثت بينه وبين نيكبروس احد قواد الرومانيين وبموته استولت ذريته على اليهودية وصاروا ملوكاً غير ان الفتن والحركات كانت لم تنزل قائمة في اطراف البلاد

وكان الرومانيون قد ارسلوا جيشاً لافتتاح بلاد القدس تحت رئاسة القائد بومبي فحاصرها وفتحها بنحو اربعين سنة ق م ثم سلم زمامها الى رجل من بلاد آدوم يسمى انتيباترو كان من عظماء اليهود واشرافهم ذا شجاعة وبأس وجعله نائباً للدولة الرومانية على المملكة اليهودية . وسنة ٢٧ ق م صدرت الاوامر من مجلس رومية بعزل انتيباترو المذكور عن ولاية احكام بلاد اليهودية واقام المجلس مكانه ابنة هيرودس الكبير . وهيرودس هذا هو الذي امر بقتل الاطفال في بيت لحم لكي يمت سيدنا يسوع المسيح له المجد الذي جاء في ملء الزمان مواوذاً من مريم العذراء في مغارة بيت لحم وكان قد انبى بجيشه ملكاً لليهود.



مغارة المولاد في بيت لحم

وكان هيرودس هذا ملكاً مقبلاً مهيباً مظفرًا ذا سطوة وشوكة وكان مع هذه الاوصاف خبيثاً عسوفاً متبرداً حتى انه قتل في مدة ولايته من الخلق ما لا يحصى الا الله سبحانه وتعالى وقد قتل ايضاً زوجته وثلاثة من اولاده وكان قد

اوصى ابنه بان يقتل بعد موته جميع من في السجون لكي يكون في كل بيت
 عويل ونحيب بعده لثلاثي الناس وتبعه بقتله اما ابنه فلم يفعل ذلك
 وكانت مدة ملكه سبعا وثلاثين سنة وله من العمر سبعون سنة وخلفه ابنه
 ارخلاوس الذي سمي نفسه هيرودس ايضا . وهكذا كانت ملوك اليهود
 خاضعة للدولة الرومانية واستمروا على مثل ذلك الى بعد صعود المسيح نحو
 اربعين سنة ثم انهم عصوا وتردوا وخرجوا عن الطاعة وامتنعوا من حمل
 الخراج المرنب عليهم فلما في خبرهم الى قيصر رومية شق عليه الامر واستدعى
 اليه في الحال القائد وسبسيانوس وكان من عظماء رؤسائه وامره ان يسير
 بالعاكر والجند الى بلاد اليهود فيستأصلهم ويحرب مدنهم ويهدم حصونهم
 وقلاعهم فامثل وسبسيانوس امره وسار اليهم مع ابنه نيطس بالجيوش الرومانية
 فالتفاهم اليهود وحدث بين الفريقين معارك ووقائع هائلة كان اكثر الانتصار
 بها للرومانيين . ثم سار وسبسيانوس بجنوده الى طبرية وجبل الجليل وبعث
 الى اليهود بدعوم الى الصلح ويعدهم بالجميل ان اطاعوه فلم يجبه اليهود الى
 سؤاله . وكان قد حدث بين اليهود في تلك الاثناء انشقاق وانقسام حتى آل
 الامر بينهم الى حروب اهلية اضعفت شوكتهم وعجلت على خرابهم ودمارهم . وفي
 ذلك الوقت ورد الخبر الى وسبسيانوس بوفاة يديون قيصر فسار وسبسيانوس
 الى رومية ليأخذ الملك لنفسه وولى ابنه نيطس مكانه لكي يقوم بحصار اورشليم
 وعظمت الحروب والفتن بين اليهود واشتد حتى بعضهم على بعض
 فاغتنم نيطس تلك الفرص وهاجم اورشليم وحدث بينه وبين اليهود وقائع
 هائلة قتل فيها من الفريقين خلق كثير وكان نيطس قد ارسل الى اليهود
 مرات كثيرة بدعوم الى التسليم شفقة عليهم من الهلاك وهم يمتنعون وكثيرا ما
 خاطبهم بنفسه مشافهة ووعدهم بالاحسان والعفو والجميل فلم يجد ذلك نفعا
 بل كانوا يزدادون عصاةً ومجيونة بالفتن والكلام المهيئ فغضب اخيرا
 منهم وعزم على اعدامهم فتدد الحصار على اورشليم واحاط بها من كل الجهات

وقطع عنها الامداد فاشتد الجوع بين الاهالي ومات اكثر اليهود وكانوا
ياكلون الجلود ولحوم الكلاب حتى اضطرت احدى نسائهم ان تاكل ابنها
حيًا . وكان تيطس قد زاد في القتال والحصار وياشر بنفسه الحرب ونصب
آلات القتال واقام ابراجًا من حديد وثعنها بالمقاتلين وتقدم نخاه المدينة بقوة
ونشاط وهدم اسوارها وافتتحها عنوة بعد مقاومة عظيمة وهلك في اثناء هذا
الحصار من اليهود حسب قول يوسيفوس المؤرخ نحو الف الف نفس
واخترق الهيكل والمدينة بالنار وجرى دم القتلى في الاسواق كالسواق وكان
عدد المسييين والاسارى سبعة وتسعين الفا . وكان تيطس عند رحيله من
القدس بلقي منهم في كل منزلة للسباع والوحوش الضاربة فتمزقهم والباقيون
يعوم عبيدًا في رومية

وكان قد بقي جانب من اليهود في اورشليم فاخذوا برميون المدينة بعد
رحيل الرومانيين واقاموا منها جانبًا عظيمًا فادركهم فيها بعد الامبراطور
ادريان الروماني فهدم ما كانوا قد جددوه من اسوار المدينة ويومها وجعلها
مشاحة واحدة على الارض وقلعها وزعها ملحًا وبهذه الحروب انتهى خراب
اورشليم وانقرضت دولة اليهود اجمع وتفرق شملهم وانتشروا في الاقطار ولم يبق
لم بعدها قائم وكان ذلك اتمامًا لما انذر المسيح رسلة حيث قال لا يبق
هذه المدينة حجر على حجر

الباب السابع

في ذكر بعض انبياء اليهود ومجيء المسيح وتفرق اليهود في العالم

فلنرجع الان وتكلم قليلاً عن بعض انبياء اليهود الذين كان الله يكلمهم
ليرشدوا الشعب ويهتد بهم عن العبادة الاصنامية فمنهم النبي ايليا الذي اقام

يوماً باعتبار كل يوم سنةً فاذا اعتبرنا بداية هذه المدة من تاريخ صدور الامر المذكور في نبوة عزرا ٢٥:٧ الذي كان بنوعٍ خصوصي لاجل اقامة الناموس والحكومة وتثبيتها لامن الاوامر الصادرة قبلاً من الملك كورش وداريوس لانها كانت لاجل بناء الهيكل فقط تكون المدة الى ميلاد المسيح ٤٥٧ سنة واذا اضفنا اليها ٢٢ سنة وهي المدة من ميلاده الى موته فيبلغ مجموعها ٤٨٠ سنة وهذا العدد يساوي المدة المعينة في نبوة دانيال

وذلك من خروج الامر بتجديد اورشليم

الى الوقت الذي فيه نصنع كفارة

الاثم ويؤتى بالبر

الابدي

— ❦ —

الفصل الخامس

في تاريخ الماديين والفرس

الباب الاول

في بعض ملوكهم واحوال ميلاد كورش

انه اذ كان الماديون والفرس من نسل واحد ولغة وديانة واحدة وبين كل منها علاقة في الانساب وكانت بلادها متجاورة استصوبنا ان نضم هاتين الملكتين في فصل واحد وتكلم فيهما كمملكة واحدة فنقول ان بلاد مادى المعروفة الان باذربيجان والعراق العجمي الواقعة جنوباً بين الجبال المحيطة ببحر الخزر كانت قديماً تحت حكم مملكة اشور واستمرت خاضعة لها الى سنة ٧٥٩ ق م عند ما نهض ارباسيس قائد جيوش سردنقول ملك اشور واتحد مع بيليزيس وهاجا تلك الثورة التي تقدمت عند ذكر مملكة اشور واقسمنا البلاد

فبعد وفاة ارباسيس المذكور اقام الماديون عليهم ملكاً اسمه ديجوسيس وكان حكيماً عاقلاً يقضي بالعدل والاستقامة بين الجميع ولما استقر له الملك شرع في بناء مدينة عظيمة سماها اكباتانا قيل هي همدان وجعل لها سبعة اسوار متينة وحصينة بنوع ان كل سور من هذه الاسوار لا يعلو عن الثاني الا بمقدار شرفه فقط وكانت تختلف هذه الشرف في الالوان ما بين ابيض واسود وازرق واحمر وارجواني وكان السادس من فضة والسابع من ذهب وداخل السور السابع كانت سراية الملك ديجوسيس المذكور وقد صنع بها محلاً حصيناً

لحفظ خرائته وكنوزه واما الشعب فكان يسكن بين الاسوار . وحكم ديجوسيس ٥٢ سنة من دون ان يفهم حرباً وكان مهيباً عند الجميع لانه لم يكن يتنازل لمخالطة الشعب ومجالسة الكبار بل كان يتعاطى اشغاله على انفراد وكانت الدعاوي تعرض عليه بالورق فكان يفضيها ويرسلها بانأ الحكم عليها . وكان له جواسيس في كل اطراف المملكة يلاحظون اعمال الرعايا ويفررون له عن احوالهم . وجلس بعده على تخت الملك ابنة فراورت فاقام حروباً عديدة واخضع لسلطته بلاد فارس وجملة ما لك من اسيا ثم اقام الحصار على نينوى ولكن مع ضعف شعوبها في ذاك الوقت لم يتيسر له امتلاكها وقُتل امام اسوارها مع جانب عظيم من جنوده وكانت مدة ملكه ١٢ سنة

ثم تولى بعده ابنة كيكاسار وكان محباً للحرب اكثر من ابيه وهو اول من شرع في ترتيب نظام العساكر فقسها الى فرق وصفوف كشاة وخيالة ورماة القوس فان هذا الترتيب لم يكن قبل ذلك بل كانت تختلط فرق العساكر بعضها مع بعض عند الحرب

ومن اشهر انتصارات هذا الملك افتتاحه مدينة نينوى وقد اخذ بشار ابيه من اهلها فاتقم منهم واستعبدهم ثم جال بجنوده واستولى على شمالي ما بين النهرين وجعل له مدخلا الى اسيا الصغرى فاجتصها وادخلها و اضافها الى ملكه ثم تقدم الى ما وراء نهر هاليس وحارب الليديين وكان السبب في ذلك ان قسماً من السكيثيين كانوا قد قصدوه ملتجئين اليه فقبلهم واحتمهم وعلى الخصوص لما رآهم يحسبون رعي السهام فامرهم ان يعملوا اولاد مادي لغتهم مع هذا الفن و وكل اليهم مائدة الخاصة فكانوا يذهبون الى البرية في كل يوم ويصطادون له من الطيور والغزلان ويصنعونها طعاماً له فانفق انهم خرجوا يوماً كمعادتهم ورجعوا من الصيد ولم ياتوا بشيء واذا كان كيكاسار سريع الغضب عاملهم بفساوة شديدة فغضبوا منه وارادوا ان ياخذوا بشارهم فجاءوا باحد الاولاد الذين وكل اليهم تعليمهم وتربيتهم وقطعوه وصنعوه طعاماً للملك كما

كانوا يصنعون بالصيد ووضعوه على مائدتهم وذهبوا حالاً الى بلاد ليديا واستغاثوا بملكها فاغاثهم ولما اكل كياكسار ومن عنده من ذلك الطعام المذكور وعلم بحقيقة الحال غضب غضباً شديداً وارسل يومئذ سفيراً الى ملك ليديا وكان اسمه آليات يطلب منه تسليم القوم فأبى وامتنع فخذ عليه كياكسار واهضر له السوء وزحف اليه مجتهد لينتقم منه ولما اقترب من تلك البلاد استقبله ملك ليديا بمجوشه وجوده واتشبت الحرب بينهم مدة خمسة ايام متوالية ولم يغلب احد . وفي اليوم السادس بينما كان القوم في اشد قتال انكسفت الشمس انكسافاً عظيماً وتحول نور النهار الى ظلمة دامسة حسيباً كان اخبر عن ذلك طاليس الفيلسوف اليوناني الذي كان معدوداً من الحكماء السبعة وهو اول من اشتهر بين اليونان في علم الفلك والهندسة . ولما شاهد ملك مادي وملك ليديا تلك الحادثة الخيفة كفأ عن الحرب وعقدا صلحاً ولاجل تثبيت هذا الصلح وتأكيد عهد المحبة بين الطرفين زوج ملك ليديا ابنته بالامير اسنياج ابن الملك كياكسار وجعل وزراء الدولتين جراحاً خفيفة في ايديهم وشربوا بالتبادل الدم الذي جرى منها علامة للارتباط والتحاب حسب عادتهم في ذلك الزمان ثم رجع كياكسار الى بلاده ومات غريب ذلك وكانت مدة حكمه نحو اربعين سنة وخلفه ابنه اسنياج المذكور انفا سنة ٥٨٥ ق م

وكان قد ولد للملك اسنياج ابنة اسمها مندان فلما كبرت زوجها بكميز ملك فارس وكانت مملكة فارس يومئذ خاضعة للماديين . فحدث بعد ذلك بايام قليلة ان اسنياج رأى حليماً وهو ان الكرمة التي كانت في بستانه خرجت من قصر ابنته المذكورة وامتدت غصونها حتى انها ظلمت كل اقاليم اسيا فنهض من فرائه خائفاً مذعوراً وعند الصباح استدعى اليه الصحرة وقص عليهم تلك الرويا فاجابوه ان ابنته مندان ستلد ابناً يحكم على جميع ممالك اسيا ويستولي على مملكة مادي ايضاً فراعته ذلك وتأثر من هذا الكلام واستدعى ابنته من بلاد فارس وحجزها عنده قاصداً اعدام الطفل الذي يولد منها ولم

بعض الا اشهر قليلة حتى وضعت ولدا ذكرا فحنق استياج كلام الصحرة ودعا
اليه رجلا من خواص قواده يقال له ارباغوس وكان يعتمد عليه في جميع
اموره وقال له اريد منك الان ان تاخذ هذا الطفل الصغير الى بيتك وتقتله
وتسرق قتله ولا تخالفني في هذا الامر فتندم ثم سلمه اياه وكانت امه قد البسته
ملابس فاخرة وثمينة فاخذ ارباغوس ورجع الى بيته حزينا كئيبا واخبر
زوجته بما كان من امر استياج بخصوص الولد فقالت له ماذا عولت انت ان
تتعل قال قد اجبرت على قتله وانا اخاف ان تقتله يدي اكون قد سنكت
دما بريلا لاسيما اني من اهل الولد والامر الاعظم من ذلك هو ان الملك استياج
قد تقدم في السن وليس له ولد يرث سرير المملكة من بعده الا ابنته مندان ام
هذا الطفل فلا شك انها ستقتلني انتقاما على قتلي ولدها ولكي اكون مطمئنا
من هذا التيل فليجر هذا الامر على غير يدي ثم انه استدعى اليه احد رعاة مواشي
استياج وكان اسمه مينارات واسم زوجته سباكو التي معناها كلبة في اللغة المادية
وقال له قد امرني الملك ان اقول لك ان تاخذ هذا الطفل وتلقه على اوعر
الجبال ليهلك ويموت واعلم يقينا انك اذا ابقيته حيا سيميتك في الحال باشنع
مينته فاخذ مينارات الولد ورجع الى بيته وافق ان زوجته ولدت في ذلك
اليوم ابنا ميتا وكانت في قلق واضطراب عظيم عند ما استدعى ارباغوس
زوجها اليه اذ لم يكن له عادة ان يستدعيه فلما رجع اليها واعلمها بواقعة الحال
توسلت اليه ان لا يقتل الولد فقال لا بد من قتله لان ارباغوس سوف يرسل
اناسا ليكشفوا له الخبر فيقتلني فقالت له انا ادبر لك طريقة مناسبة نقيك من
هذا الخطر قال وما هي قالت اني قد ولدت ابنا ميتا فخذته وضعت على بعض
الجبال ونحن نربي ابن مندان ابنة الملك استياج كابنتنا وبهذه الوسطة لا يقدر
احد ان يقول لك انك خالفت امر سادتك ويكون لنا بذلك حظ وافر
وشرف رفيع فاستصوب الراعي راي زوجته ودفع اليها الولد ووضع ابنة الميت
في سرير ذلك الامير الصغير مع كل ما كان عليه من الثياب النفيسة واخذته

الى جبل عالٍ والقاء هناك ورجع فاخبر ارباغوس بانّه قد تمّ كل ما امره به فارسل ارباغوس من يعتمد عليه ليحقق ذلك ولما علم بموته امر بدفنه واما الامير الصغير فرثه سباكو زوجة الراعي ودعت اسمه كورش . فهذا هو الملك كورش المشهور الذي شاع ذكره في تلك القرون وتغلب على ممالك كثيرة واتّسع مدناً حصينة وهو كسرى الاول من ملوك الفرس

فنشا كورش ولداً نجيباً وكان يلعب مع اولاد تلك القرية التي ربي فيها فلما بلغ سن العشر اقامه الاولاد رئيساً عليهم فكان يحكم بينهم ويجري اوامره عليهم ويقيم منهم حراساً على بلاطه الوهي حسب عوائد الملوك ويختار منهم قواداً ونظاراً ويقدم الوظائف والمصالح وينظم بعضهم في زمرة جنود وعساكر واعوان وكان احباً يامر على بعضهم بالضرب وبعضهم بالحبس ويقول قد حكمت بذلك وكان من جملة الاولاد غلامٌ من اهل اشراف مادي فائق انه رفض اوامر كورش فامر الاولاد ان يقبضوا عليه واخذ بضربة بالعصا ضرباً مولماً فذهب الغلام الى المدينة واخبر ابيه بما فعل به ابن الراعي فغضب ابيه غضباً جلياً واخذ ابنه واجتمع بالملك استباج وقص عليه تلك النصّة واره اثار الضرب على اكتاف ابنه فبعث الملك رسولاً ياتي له بمترارات الراعي وابنه . فلما مثلاين بديه قال الملك لكورش ناظراً اليه بعين الاحتقار كيف تجاسرت ان ترفع يدك وتضرب من هو اعظم واشرف منك فاجابه كورش وقال يا مولاي اني لم افعل ذلك الا بالعدل والانصاف لانه كما لا يخفى على عظمتك ان اولاد القرية الذين كان بينهم هذا السيد الشريف اقاموني مأكلاً عليهم لما كانوا يلعبون وفوضوا اليّ امرهم وكانوا كلهم يطعمون اوامري وانا انصف بينهم ولما كان هذا الغلام قد خالف شروط الترتيب والقوانين بعصيانهِ وعدم امتثاله لاوامري واحكامي قاصصته على مخالفتهِ فاذا كان ذلك ذنباً يستحق العقاب ايها الملك فما انا بين يديك من جملة العبيد فافعل بي ما تريد فلما سمع الملك هذا الكلام واحدق جلياً بالولد اندهش وجار من

سرعة جوابه وعدوية كلامه وعرف انه ابن مندان ابنته لانه كان اشبه الناس
 بها ولا سيما ان عمره كان موافقاً لتلك الحادثة التي ذكرناها فليتب برهة لم
 يتكلم ثم امر بادخال كورش الى البلاط واستدعى الراعي اليه وسأله على انفراد
 من ابن اخذ الولد ومن استلمه فاجاب انه ابوه وان امه حية فتهدده بالكلام
 فافقر الراعي بما كان واعاد عليه القصة من اولها الى آخرها ولما وقف استنجا
 على الحقيقة لم يجاسب على الراعي ولكنه غضب على القائد ارباغوس فامر حراسته
 ان ياتوا به حالاً فلما اتى قال له اعطني الحقيقة ماذا فعلت بالولد الذي دفعته
 اليك لثمنه فافقر ارباغوس بما كان ولم يكتم عنه شيئاً خوفاً من العواقب فسكن
 الملك ارتعاشه وقال له ان الولد باق في قيد الحياة ثم قال يا ارباغوس
 ان صنيعك هذا قد سرفني جداً لان ابنتي كانت قد عنتني على ذلك فندمت
 على ما صدر مني واذ ذاك سأعنتي من الآن وصاعداً بتريتي وبمهديو فارسل
 ابنك الآن الى دارى ليلعب معي ويوانسه وانت تعال في هذه الليلة ونعشى
 معي فاني اريد ان اقدم تقدمة للالهة شكراً لهم لانهم رحموني وردوا عليّ
 خفيدي بالسلامة

فشكر ارباغوس الملك على ملاظنته له وارسل ابنته في الحال الى البلاط
 وكان وحيداً وله من العمر ثلث عشرة سنة . فلما رآه الملك امر الخدام بذبح
 وان يقطعوا لحمه ويطبخوه ويحلقوا منه الواثا مختلفة من الطعام ويضعوها
 وقت العشاء امام ابيه ارباغوس وان يضعوا الراس والرجلين في سلة منقاة
 ويفردوها في ناحية لوقت الطلب فامثلوا امره وذبحوا الغلام وبارشوا في امر
 الوليمة وهبأوا كل شيء فلما حان وقت العشاء اتى المدعوون ومعهم ارباغوس
 وعند جلوسهم على المائدة قدموا الى استنجا والباقيين الاطعمة المطبوخة ومن
 لحوم الضان والطيور والى ارباغوس لحم ابنته فاكل وهو لا يعلم ولما فرغوا من
 الطعام قال الملك كيف رايت هذا العشاء فاجابة انه سر به احسن سرور
 فامر حينئذ الخدام ان ياتوا بتلك السلة ويضعوها امام ارباغوس فاحضروها

ووضعوها امامه فقال له الملك ارفع غطاءها فرفع عنها الغطاء واذا به يرى من داخلها بقايا ابنه فانكسر قلبه واقشعر جسمه وغاب عن الصواب ولكنه اظهر المجلد وانقى حرته وغمة وقال ان كل ما صنعه الملك هو مقبول لديه ثم رجع الى بيته حزينا كئيبا ودفن عظام ابنه

وكان استباج قد صبح عن قتل كورش وارسله من ذلك اليوم الى اهله في بلاد فارس وكان ابواه كميذ ومندان قد ظنوا انه مات فلما اشرف عليها واخبرها بواقعة الحال وكيف ربه سبا كوزوجة راعي البقر التي لم يزل يشكر فضلها ولا ينسى معروضا كل مدة حياته فرحا بسلامته. وكان كورش ينو في القامة والقوة والجسارة حتى صار من انجب شبان عصره وانبهم

الباب الثاني

في اصل الانجم وتدمير كورش مملكة بابل ومغازيه المشهورة وموته

اصل شعوب الفرس من ذرية عيلام بن سام بن نوح وكانوا يدعون عيلاميين نسبة الى عيلام المذكور ولكننا لانعلم من امرهم شيئا واضحا الا بعد مضي نحو الف وثمانماية سنة من الطوفان وذلك من وقت ظهور الملك كورش المذكور

وكان ارباغوس المتقدم ذكره يترقب الفرص لياخذ بثار من استباج الذي قتل ولده واطعمه من لحمه فاخذ يسعى في هلاكه ويدبر على انقراض مملكته بواسطة نهيج وزراء الدولة عليه بالدسائس الخفية فراسل كورش سرا وحثه على النهوض لاخذ بلاد مادي ووعده بالمساعدة والامداد واذا كان

بحاف من وقوع رسائله بين ايدي المحافظين والحراس وانكشف امره كان ياتي بالارنب ويشق بطنه بدون ان يميز صوفه ويضع الكتاب في جوفه ثم يخبئه ويلقيه في شبكة ويعطيه لاحد خدامه الذي يثق به حتى كل من براه لا يشك بانه من جماعة الصيادين ثم يامر ان يذهب به الى كورش على تلك الصورة

وكان كورش في تلك الايام قد عظم شأنه وارتفع مكانه واحترمه جميع اهالي فارس نظراً لجأته وعلو همة فلما وقف على رسائل ارباغوس اخذ يستميل قلوب عظماء الانجم اليه ويحثهم وينهض همتهم ليوافوه على قتال الماديين واستخلاص ملكة الفرس من حكمهم فاجابوه الى ذلك لانهم كانوا يريدون الاستقلال والتخلص من جورهم وظلمهم وفي ايام يسيرة انضمت اليه القبائل والطوائف واخذ يجمع الجيوش والعساكر حتى صار عنده جيش عظيم من الفرسان والشجعان

ولما بلغ الملك استيلاج ذلك الخبر ارتاب وخاف عاقبة الامر فارسل بعض معتمديه الى كورش يستدعيه اليه على سبيل الزيارة فاجاب كورش وقال لذلك الرسول ارجع الى مولاك وقل له يقول لك كورش انه سينورك عن قريب بالابطال والفرسان واعيان الفرس فلما وقف استيلاج على هذا الخطاب فحذر من ذلك اليوم فجمع الجيوش والجنود وجعل ضباط المشاة والخيالة تحت قيادة ارباغوس

واما كورش فانه بعد ذلك الكلام الذي كان قد ارسله الى الملك استيلاج بايام يسيرة زحف اليه بمجموعه وابطالوه فلما تقابل الجمعان واتشبت الحرب بين الفريقين فالعساكر الذين لم يكن ارباغوس اعلمهم بمقاصده حاربوا بشجاعة وبسالة بخلاف الاخرين فانهم تاخروا عن القتال وانضم بعضهم الى صفوف الاعداء وكان ذلك يوماً عظيماً بين القوم اشتد فيه القتال واتسع المجال وسفكت الدماء وكان قد داخل الفرس الحماة فقاتلوا بقوة ونشاط

وانعطفوا على اعدائهم فكسروهم وهزموهم بعد ان قتلوا منهم عدداً كبيراً واسروا
 جمعاً غنياً وكان من جملة الماسورين الملك استياج فبقي في اسر كورش الى ان
 مات وكانت مدة ملكه ٢٥ سنة

وبعد وفاة استياج نبواً تحت ملك مادي ابنة كياكسار الثاني وهو
 داربوس المادي خال كورش فكان كورش ملكاً على فارس تحت يده وفائد
 جيوش كل بلاد مادي وكان صاحب الامر والنهي مكرماً ومهاباً عند
 الجميع ولم يكن لداربوس من الولاية والسلطنة الا مجرد الاسم فقط وجميع
 الامور بيد كورش

وكانت مدة ولاية داربوس على بابل نحو ستين وبعد وفاته اخلس الملكة
 رجل من اشراف بابل يدعى نابوناديوس وكان كورش ابن اخت داربوس
 يومئذ ملتهماً في حروبه وافتتاحاته ممالك اسيا فلما اتصل اليه ذلك الخبر
 حول وجهه نحو بابل ليتقم من ذلك الخلس واحاط بها بجيوشه مدة ستين
 ولم يقدر عليها لخصبتها بأسوار مرتفعة وقوية حتى كان هدمها وافتتاحها من
 اصعب الامور وماذا تفعل الشجاعة او الأدوات الحربية كالنجنق وغيره في سور
 عرضة ثلثون قدماً او خمسون على قول البعض فكان السيل الوحيد للدخول
 الى المدينة هو تحويل نهر الفرات عن مجراه فانه كان يمر في وسط بابل ونفسها
 الى شطرين . فاعتمد على هذا العمل سراً وامر بفتح ترع وخيلجان كثيرة حول
 المدينة ولما تمت اخنار وقتاً مناسباً لاتمام مقاصده فامر بفتح المنافذ التي بين
 النهر والترع المذكورة آنفاً فتحولت كل مياه الفرات الى تلك الخيلجان وصار
 النهر ارضاً يابسة فدخلت عساكر الفرس وكورش في مقدمتهم بعضهم من
 عند مدخل النهر والبعض من عند مخرجه منها وهجموا على اهل المدينة بغتة
 وقتلوا بهم قتلاً عظيماً فكانت ساعة مهولة لم يعرف فيها صوت العدو من
 صوت الصديق فاستولى كورش على المدينة وامتلكها واذ لم يكن لداربوس
 المذكور اولاد ورث كورش من خاله ملكني مادي وبابل وضماها الى مملكة

فارس وصارت هذه الممالك من ذلك الوقت مملكة واحدة تحت تسلط كورش .
 وظن أكثر المؤرخين القدماء ان افتتاح كورش مدينة بابل كان في زمن الملك
 بلشاصر غير انه قد ظهر ونجح من الاكتشافات الحديثة انه بعد موت بلشاصر
 المذكور تناوب كرسي المملكة ابنة لابورا سوارخاد وحكم مدة سنة واحدة فلو كان
 كورش قد افتتح بابل في ايام بلشاصر لما سمح لابنه ان يملك بعده بل كان من
 باب اولي ان يفهم خالة داريوس ملكاً بعد افتتاح المدينة وهذه دلالة قوية
 تؤيد صحة ما اوردناه

وكان الملك كورش موقفاً منصوفاً في جميع وقائعها فاضع الفريسيين
 وجميع البلاد التي بين النهرين وارمينيا وسورية واسيا الصغرى وجانباً عظيماً
 من بلاد العرب وضرب الخراج على ملوكها وولاها وكان قد عبر بيجيشو البحار
 نهر ي دجلة والفرات وجعل معسكره في اقليمي خوزستان والعراق . ومن
 جملة انتصاراته العظيمة استيلاؤه على مملكة ليديا واذلاله ملكها كريسوس الذي
 كان افتتح جملة ولايات في اسيا

ولكن اذ لم يكن للانسان دوام ولومها ساد وظفر انتهت حياة كورش
 في حرب اقامها على السكيثيين المعروفين الآن بالترك القاطنين تجاه بحر الخزر
 فالتفت المملكت طوميريس بمجيوشها وابطالها وحدث بين الفريقين قتال شديد
 قتل فيه ابن هذه المملكت وكانت الدائرة على الفرس فانهمزوا اقمج هزيمة وأسر
 منهم عدد كبير وكان من جملة الماسورين الملك كورش فقتله المملكت بولدها
 وكانت مدة ملكه ٣٠ سنة .

الباب الثالث

في ولاية الملك كمبيز بن كورش وقد سى نفسه بجننصر الثاني

ثم جلس بعد كورش على سرير المملكة ابنة كمبيز وكان عاتياً جداً جافي

الطبع سفاكاً للدماء عدم الشفقة محباً للحروب وافتتاح الممالك مغرمًا بشرب
 الخمر وما يحكى عنه انه طلب يوماً من احد ندمائه المسمى بركراسيس على ان
 يخبره بما تقول الناس عنه فقال له انهم يمدحون احكامك وحسن اوصافك
 ويرون انه لا عيب فيك الا الانهاك بالخمر ولولا ذلك لفضلوك على جميع
 الناس ثم اخذ ينصحه ويبين له الاضرار الناتجة من ادمان المسكرات فلما سمع
 كميذ كلامه غضب وطلب ان يوثق اليه بكمية وافرة من الخمر فشرب منها
 مقداراً كبيراً ثم امر باحضار ابن بركراسيس وامره ان يقف في آخر القاعة وقال
 لايه اريد ان تعلم الآن ان كانت الخمر قد اضعفت بصري او غيبت فكري
 وارجفت يدي ثم طلب قوساً ونشاباً ورمى الولد بسهم في فواده فوق قتيلاً
 وقد ذكرنا هذه القصة المحزنة واثبتناها هنا اولاً لصحتها وثانياً ليتخذ القاري
 والسامع الامثلة المنبذة من جهة تعاسة تلك العصور المظلمة وسعادة هذه الايام
 المتنورة التي يبذل فيها الملوك غاية العناية والهمة في نجاح امور شعوبهم ورعاياهم
 ومعاملتهم لم كبتين وليس كميذ وهذه المعاملات المحسنة ليست ناتجة الا من
 نور الديانة التي تاملان تعامل الناس كما نريد نحن ان يعاملونا

وكانت افكار كميذ ومقاصده متجهة نحو افتتاح بلاد مصر في زمن
 فرعون اماسيس وقد نقل المؤرخون في شان ذلك اخباراً مختلفة فمنها ان
 اماسيس المذكور كان قد تمرد على الدولة الفارسية وعصى عليها واستقل بالملكة
 بعد ان كان قد افتتحها الملك نبوخذ نصر الاول واقام عليها عمالاً ويقال ان
 الذي حمله على ذلك رجل يوناني اسمه فانيس كان قائد جيوش اماسيس
 وكان قد حدث بينه وبين مولاة تزع وتغور فحقد عليه وانتهر هذه الفرصة
 وقصد الملك كميذ واغراه بقتال اماسيس وافتتاح المملكة المصرية واثار
 عليه ان يخاطب ملك العرب ويطلب اليه المساعدة والامداد بجلب الماء الى
 الصاكر في البرية التي كان مزعماً ان يمر بها فارسل كميذ رسلاً الى ملك
 العرب يطلب اليه المعونة على قطع تلك القلوات الشاسعة وعاهده بقسم انه

يكون له صديقاً وإميناً كل ايام حياته فتعاهد الاثنان على ذلك ونجا لهما على عدم الخيانة ونقض العهد وبعد ذلك جهز كميز الجيوش وقادها بنفسه وزحف قاصداً الديار المصرية وارسل ملك العرب يوثنر كل الجمال الموجودة في مملكته الى البرية محملة زقاقاً ملوئاً ماء

وفي اثناء ذلك توفي فرعون اماسيس ملك مصر وتولى مكانه ابنه سمانيتوس فلما بلغه قدوم كميز اليه جهز جيوشاً لمقاومته فالتقى جيش الفرس وجيش مصر عند مصب النيل الشرقي في مكان يدعى سين واشتبك القتال بين الفريقين واشتدت بينهم الحرب وكان يوماً هائلاً قتل فيه من الطرفين عدد كبير فانتصرت الفرس انتصاراً عظيماً وانهمز الجيش المصري بنجاسة جسمية الى مدينة منفيس فتبعهم كميز بجيوش فارس الى هناك وحاصر المدينة وافتتحها عنوة بعد وقائع وهجمات هائلة وقبض على سمانيتوس وقتله وابنه معاً

وقال هيرودوتس في تاريخه اني رايت في الميدان الذي وقعت فيه الحرب الاولى عند مصب النيل الشرقي عظام الذين قتلوا في ذلك اليوم مكمومة من كل جهة فكانت حجاجم الفرس لينة بهذا المقدار حتى انها كانت تثقب بوقع حجر صغير واما حجاجم المصريين فكانت صلبة لا تكسر ولا بضره حجر كبير فسالت عن السبب فقيل لي ان المصريين يخلفون شعور رؤوسهم وهم صفار السن فتشدد الحجمة ونصلب بواسطة حرارة الشمس واما الفرس فلم يعتادوا ذلك فبقيت جهاجم ضعيفة لينة

واذ كان كميز يعلم ان المصريين يعطون الكلاب والهرر ويوفرونها ويعتبرونها كالهة امر بجمع كل الكلاب والهرر التي في تلك النواحي ووضعها في مقدمة العسكر عند حصاره بعض المدن المصرية فتوقف المصريون عن اطلاق نبالهم على الفرس خوفاً من ان يصيبوا احدي تلك الحيوانات المقدسة فتموت ولبنوا سيف اماكهم محاربين وكانت الفرس تقدم عليهم رويداً رويداً والكلاب تنبع والهرار تنوء حتى دخلوا المدينة وتلكوها بدون مقاومة

ولما اخضع كميذ كل بلاد مصر قصد مدينة هابس التي فيها مدافن ملوك مصر فاخرج جثة الملك اماسيس من قبرها وهو الملك الذي كان متولياً على مصر عند ما تمض لحاربتو وبعد ان ضربها بالعصا وعاملها بكل نوع من الاهانة والتعير امر بطرحها في النار فاحترقت في الحال وكان ذلك مضاداً لعوائد الفرس والمصريين جميعاً . وكان قد نهب مدينة تيبس في بلاد الصعيد وهدم ابراجها وهياكلها واحرق نفوسها وختم ذلك بذبح الثور ايس الذي هو بحسب اعتقاد المصريين الاله المعظم وفرق لحمه على قواد عسكره فكان هذا العمل ما يعد عند المصريين من التعديات الكفرية ومن ذلك الوقت لم يكن افعال هذا الملك الا ذميمة قبيحة حتى انه تزوج باخته وقتل اخاه سمرديس ثم قتل زوجته المذكورة حيث كانت تندب اخاها الى غير ذلك من الامور الوحشية

وفي آخر ايامه في مصر حدث فتنة عظيمة في بلاد فارس وهي ان النائب الذي كان قد اقامه كميذ وكيلاً عنه على المملكة في غيايه طمع في اخلاص الملك وعمد ان ينقله الى عائلته فاقلم اخاه ملكاً وكان من السخرة واشبه الناس بسمرديس اخي كميذ الذي قتله كما ذكرنا فبايعه الفرس وملكوه عليهم لثقتهم بانه ابن كورش اذ كان قد ادعى بذلك فلما بلغ كميذ هذا الخبر خرج من مصر بعد ان ضمها ولاية فارسية ودخل بلاد سورية واشترع قاصداً بلاد فارس فاتفق يوماً انه وهو يركب جواده اندلق سيفه من غمده فخرجه في جنبه جرحاً بليفاً والزمه فراشه فمات بعد ايام قليلة بعد ان حكم مصر خمس سنين وكانت مدة ملكه سبع سنين ونصفاً

الباب الرابع

في ولاية الملك داريوس وهو دارا الاول احد ملوك
الفرس وابنة زركسيس

وكان قد نولى على تخت فارس ذلك الساحر المذكور الذي ادعى انه
سمرديس ابن كورش كما مر الا انه لم نزل مدته حتى انكشف امره وتحقق
عند اكثر الامهالي ان تلك الدعوى كانت حيلة منه وان ولايته لم تكن الا مجرد
خداع وطغيان فانفقوا على خلعه واجتمع ستة افار من اكابر اعيانهم منهم
داريوس بن هيسنسب احد امراء تلك الولايات وهجموا على قصر الملك وقتلوا
سمرديس الساحر المغتصب ولم يحكم الا ستة اشهر فقط ثم اختلف هولاء الاعيان
الستة في من يتولى منهم زمان المملكة الفارسية فانفق رايهم اخيراً على ان يركبو
خيولهم عند الصباح ويقصدوا مكاناً معلوماً خارج المدينة وان الرجل الذي
يصل حصانه أولاً يكون هو الملك وبهذه الوسيلة لا يقع بينهم نزاع . وكان
لداريوس سائس نبيه ماهر فلما بلغه ذلك الخبر لبث حتى اظلم الليل ثم نهض
وركب حصان مولاه واخذ معه جانباً من العشب والاطعمة التي كان الحصان
يود أكلها وقصد ذلك المكان المذكور ولقاهما هناك ثم جعل يجول نحوهما
بالحصان تارة من خلف وتارة من قدام واستمر على مثل مثل ذلك نحو نصف
ساعة ثم نزل عن ظهر الحصان واطلقة على تلك الاطعمة فاكلها ثم ارتد راجعاً
الى المدينة ولم يطعم الحصان شيئاً طول ذلك الليل . ولما كان الصباح ركب
الامراء الستة خيولهم حسب الشروط الذي وقع عليه الاتفاق وقصدوا ذلك
المكان المعهود الذي اكل فيه حصان داريوس تلك الاطعمة وعند وصولهم
اليه رفع الحصان اذنيه وصل فترجل حينئذ اصحاب داريوس الخمسة وخرّوا

ساجدين عند قدميه وهنأوه بالمنصب الملكي واقاموه يومئذ ملكاً على سلطنة
الفرس

وكان الملك كورش وابنه كميز قد حسنا هذه الملكة ووسعاهما ونظما
امورها في اقل من عشرين سنة فلما اتسعت اقاليمها وتكاثر مقاطعاتها قسمها
داريوس الى عشرين كورة وصرف هبة وعناية ليمد لها اسباب الثروة والغنى
بواسطة اتساع دوائر التجارة بين بلاد الفرس وباقي الممالك واقام داريوس
حروباً كثيرة انتفع في احداها مدينة بابل ثانية لان اهلها كانوا قد تمردوا
وعصوا الفرس وكان افتتاح هذه المدينة بطريقة عجيبة احتمالية وهي ان احد
قواد جيوشه زوير احذق اهل زمانه وانهم قطع يوماً اذنه وهشم وجهه
بالجراحات وذهب الى بابل واستغاث باهلها من جور داريوس الذي كان
يومئذ يحاصر المدينة فسالوه عن سبب ذلك فاخبرهم انه من جملة قواد
الفرس وانه عند ما نصح داريوس ونهاه ان يرجع عن حرب بابل لانها
حصينة جداً احقره واهانه بقطع اذنه وهشم وجهه وقد كاد يقتله فهرب ليلاً
واقسم على نفسه انه لا بد له ان يسعى في اهلاك الفرس . فترحب به اهل بابل
واقاموه قائداً على فرقة صغيرة . وكان زوير قد اتفق مع داريوس ان يرسل
له في اول الامر طليعة مؤلفة من الف نفر من اوباش العجم وصعاليكها لتجسس
على المدينة من احدى جهاتها وانه يخرج اليها ويحومها كلها ثم يرسل له في
اليوم اثنائي كتيبة اخرى تخنوي على التي مقاتل فيهلكها ايضاً ثم يرسل اليه في
اليوم الثالث فرقة اخرى مؤلفة من اربعة الاف فيلقنها هرفقاتها وبعد ذلك
يهاجم هو بنفسه على المدينة بجميع عساكره وابطالو هجمة واحدة فيسلط اياها .
ففعل داريوس كل ما اشار به زوير وكان البابليون عند ما راوا زوير
قد فتك بطلائع الفرس في ثلاث وقائع متتابعة وقتل سبعة الاف نفر من
الاعجام احبوه واتمنوه واقاموه رئيساً عاماً على جيوشهم وسلموه زمام محافظة
المدينة فلما كان اليوم الرابع هجمت جموع الفرس على المدينة واحاطوا بها

فخرج اليهم زويير ولكنه عوض ان يقاثلهم ويصدمهم ففخ لهم الطريق للدخول
فدخلوا واشتلكوها على اهلون سبيل بعد ما حاصروها ستة عشر شهراً

ومن حروب داريوس ايضاً حربه مع السكيثيين الذين تغلبوا الملك
كورش وبعد عدة وقائع هائلة ارتد راجعاً مهزوماً وقتل من عسكره عدد كثير.
ثم حارب بلاد الهند وافتتح منها جانباً . وكان هذا الملك قاسي القلب سفاكاً
للدماء وما يتحكى عن قساوته انه يفا كان منجيزاً لقتال السكيثيين المذكورين
الزم رجلاً عاجزاً ان يقدم اولاده الثلاثة للعسكرية واذ لم يكن للرجل اولاد
غضبهم توسل اليه ان يبي له واحداً منهم ليعينه على ضعفه وعجزه لانه كان فقيراً
جناً فاجابه داريوس قائلاً ما دام الامر كذلك يجب علينا ان نبي لك
اولادك الثلاثة ليعولوك في ضعفك ثم امر احد اتباعه بذيخ اولاد ذلك الرجل
المسكين وان ياتي بروؤسهم الى والدهم

وكان داريوس قد ارسل جيشاً جراراً تحت قيادة دانيش وارنافريس
لحاربة اليونان وبعد وقائع وحروب شديدة انهزموا ففج هزيمة وفقد من عسكرها
نحو مائتي الف ولما بلغه خبر هذه الكسرة اشتد غضبه واخذ يجمع الجنود ويحشد
الجيوش ليقوم حرباً على اليونانيين وعلى المصريين الذين كانوا قد خاضوا طاعة
واظهروا العصيان وبينما كان مهتماً بهذا الامر مرض ومات سنة ٤٨٠ ق م

وبعد موت داريوس خلفه ابنه زركسيس وهو الملك الخامس من ملوك
فارس ومادي فبوا تحت الملك عوض اخيه الاكبر ارطبرزان وعند جلوسه على
كرسي السلطنة ارسل جيشاً الى الديار المصرية فاخضعها وعاقب ارباب الثروة
عقاباً بالياً ولما انتادت مصر لحكمه جهز جيشاً عرمرماً مؤلفاً من مليونين من
الخيالة والمشاة وزحف بنفسه الى محاربة اليونان ليتم مقصد ابيه الذي كان
قد عول عليه واصحب معه بوارج كثيرة العدد واذ كان لا بد له ان يجتاز
بوغاز الدردنيل الفاصل بين اسيا واوروبا الذي يبلغ عرضه مسافة نصف
ساعة تقريباً امر بصف مراكبه على شكل جسر بين البرين وربط بعضها ببعض

لأجل مرور العساكر فهاجد الأمواج وكسرت بها فساء الملك زركسيس ذلك الأمر وأمر بضرب الحجر لأجل عدم توقيفه وإمره وبعد مشقات عظيمة وحروب شديدة أخضع أكثر مدن اليونانيين ما عدا سبارتا وأثينا فانها مع كل ضعفها وقلة عساكرها قاومتاه أشد مقاومة لأن شعبها كانت من أشجع الناس . ولما اقترب زركسيس من ليكوسنوموس الذي ترجمته ثم الذئب وهو معبر ضيق بين الجبل والبحر وصم أن يعبره اعتراضه ملك سبارتا المدعو ليونيداس بستة آلاف مقاتل وحاربة وفك بعسكره فتكا عظيما وقتل منهم نحو سبعين ألف نفر وإذا كان عسكر الفرس كثير العدد لانهاية له خافت جموع اليونان من عاقبة الأمر فصرقهم ليونيداس الى اماكنهم وبقي هو مع ثلثاية نفر ماسكاً رأس ذلك المضيق المسمى ثرموبيلي وإخيراً هلك هو ومن معه ولم يسلم من جيشه إلا رجل واحد فقط فذهب الى سبارتا وأخبر أهلها بما جرى على أصحابه

أما انتصارات زركسيس فلم تطل في بلاد اليونان فان أكثر مراكزه انكسرت في سلاميس وعساكره انهزمت في حصار مدينة بلانيا فاضطر أخيراً الى أن يرجع مع من بقي معه من الجيش الى بلاد فارس وعند وصوله قتله أرطبانيس رئيس حراسه وكان ذلك في سنة ٤٧٠ ق م

وبعد وفاة زركسيس تولى ابنه أرتنكزركسيس ثم تولى بعده داريوس قدماؤس ثم غيره من الملوك ما لا يصعبنا ذكرهم في هذا المختصر وقيمت ملوكهم تبارك الملك الواحد بعد الآخر الى سنة ٣٣٠ ق م عند ما قام أسكندر المكدوني في حكم الملك داريوس الثاني فخاربه واستظهر عليه وتغلب على جميع البلاد والأقاليم الخاضعة للفرس كآسيا الصغرى وصور ومصر وأنهى الحال بداريوس أنه في بعض حروبه مع أسكندر انهزمت الفرس وقتل منها خلق كثير وكان هو من جملة المهزمين فاتقنى أسكندر اثره ليعلم خبره فوجده قتيلاً وكان قائده رجلاً من أكابر قواده فحزن عليه أسكندر وتأسف على فقد

واقام له مسلات شهيرة في جملة اماكن تذكارا له . وبعد وفاة اسكندر وقعت بلاد العجم في نصيب سلوقس احد قواد جيوش اسكندر وصارت بعده في قبضة ذريته الى ان نهض الفرييون وطردها اليونانيون من بلاد فارس ومادي وتولوا عليها نحو خمماية سنة

الباب الخامس

في اكاسرة العجم

وفي سنة ٢٢٠ مسيحية وثب رجل من الانجم يقال له اردشير فجمع الاهالي وحارب الفريين وطردهم واستقل بالملكة وهو اول الطبقة الساسانية ورأسها وهذه الطبقة هي الرابعة من ملوك الفرس المعروفين باكاسرة العجم واسم اردشير مركب من كلمتين فارسيتين احداهما ارد بمعنى الغضب وثانيها شير اسم للاسد فسمي الملك بهذا المركب ومعناه اسد الغضب

ثم تولى بعده ابنه سابور وهو غير سابور ذي الاكتاف الذي هو تاسع الاكاسرة بعد اردشير واسم بالفارسية شابور بالشين مركب من شاعنصر شاه بمعنى سلطان او ملك وبور بمعنى ولد يعني ولد السلطان فعربته العرب بلفظ سابور بالسين المهله . كان ملكا عظيما شديد البأس كثير المغازي والغارات ذا سطوة فاهرة حارب الديار الشاميه واخضعها وحاصر مدينة انطاكية وكان بها يومئذ فاليريانوس احد قياصرة رومية فافتحمها عليه واسره وسار به الى بلاده وبقي في اسره الى ان فدى نفسه باموال كثيرة . واما سابور ذو الاكتاف فهو بعد سابور هذا بنحو اربعين سنة وانما سي ذا الاكتاف

لانه لما حارب عرب الحجاز وظفروهم كان كلما أسرا عراييا يثقب كنفه ويدخل فيه جبالا ليفوده فسي ذا الاكتاف وصار لقباً عليه وكان قد حارب الرومانيين من زمن مكسيمينوس الثاني الى زمن طيودوسيوس الاكبر ونجح في أكثر حروبه معهم . وما يدل على انتظام مملكة العجم وقوتها وشوكها في ايامها انها استمرت منذ ولادته الى زمن وفاته مدة اثنين وسبعين سنة ولم يحصل فيها فتن ولا نزاع ولا حروب

وتولى بعده حملة من الملوك الى سنة ٥٨٠ للمسيح تقريباً ومن هؤلاء الاكاسرة كسرى انوشروان وهو من اشهرهم واعظم ملوكهم كان ملكاً عادلاً عاقلاً مهيباً محسناً ومن كثرة عدله وشفقته على رعاياه من الظلم والعدوان امر بوضع سلسلة نافذة من سرائبه الى الطريق وجعل فيها اجراساً فكان كل رجل مظلوم ياتي ويحرك السلسلة فتدق الاجراس فيعلم به ويامر باحضاره اليه وينصفه ولذلك كثر العدل والامان في ايامه . وهو الذي صادم الرومانيين واقام عليهم حروباً كثيرة واستولى على أكثر ولاياتهم في اسيا ضابطة الملوك وهادوه بالهدايا النفيسة وكان قد ورد عليه رسول قيصر امبراطور الروم بهدايا ونحف ثمينة فنظر الى ابراره وحسن بناه فاندش ونجب وكان قد رأى فيه اعوجاجاً فسأل عن سبب ذلك فقال له بعض الوزراء ان عجزاً كان لما متل بجانب هذا الاعوجاج فرغبها الملك في الثمن فابت بيعه ولم ينصبا عليه وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى . وكانت مدة حكم كسرى انوشروان نحو اربعين سنة وقيل أكثر

ثم تولى بعده ابنه هرمز وكان عاقلاً عادلاً كايه ينصف المحقر من الشريف ولا يماي بالوجوه وكان قد صنع صندوقاً وجعل فيه شقاً ليلقي المتظلم قصته فيه وكان يختم قفل الصندوق بخاتم لئلا نصل اليه ابدي وزرائه وكان الحجاب باخذون ذاك الصندوق في كل صباح وبلقونه على منارق الطرق وينادون باعلى اصواتهم قائلين كل من له دعوى او كلام برفعه الى الملك

فليكتبه على رقعته ويلقيه في هذا الصندوق من هذا الشق . وفي السنة العاشرة من ملكه زحف اليه طيباريوس قيصر في ثمانين ألف فارس فخاف هرمز من عواقب الامر واضطر اليه قائداً له بملكة الري يقال له بهرام وكان شيخاً مقدماً وبطلاً هاماً واعد له لقتال اعدائه فاتصر جند طيباريوس على جند فارس في سجلة وقائع ثم تصالحوا . وكان بهرام المذكور قد اتخذ له حزباً واعواناً من رجال المملكة حتى صار في صولة وسطوة عظيمة فخاف هرمز على ملكه من بهرام وحسب حسابه وجرى بينها قتال وكان الجند من حزب بهرام وكان ابرويز بن هرمز يومئذ مطروداً من ابيه مقيماً باذربيجان فلما بلغه ضعف امر ابيه نخاف من استيلاء بهرام على الملك فقصداً اياه واسكه وقلع عينيه ولبس التاج وجلس على سرير الملك وجرى بينه وبين بهرام عدة وقائع واخيراً تغلب بهرام على اقطار المملكة ولبس التاج . واذا خاف ابرويز من ان بهرام يعيد والده الاعى ملكاً موقفاً الى ان يكون قد تمكن من الملك اتفق مع خواصه على قتل ابيه هرمز فخنقه وقصد ملك الروم موريكوس مستنجداً به على بهرام ولما اجتمع به واعلمه بواقعة الحال لامة فبصر على ما فعل بابيه اولاً وثانياً ولكنه انف من ان يردّه خائباً فارسل ليجدوه جيشاً جراراً ولم تزل الحرب بينه وبين بهرام ثلاث سنين متتابعة وانتهت بانتصار ابرويز على بهرام وعاد ملك الفرس الى ابرويز فانضم على عسكر الروم باموال جزيلة ثم اعادهم الى بلادهم بعد اقامة اربع سنين . واستقرت له بعد ذلك ولاية فارس ولكن الله قد اتهم منه على قتله ابيه بتسليط ابنه شيرويه عليه فخلعه عن الاحكام وقتل جميع اخوته بحضور ابيه ثم امر به فالتقى في جبٍ عميق وعذبه بانواع العذابات الى ان مات وفي سنة ٢٠٠ مسيحية تولى يزديجرد ملكاً وهو آخر ملوك الفرس وفي ايامه افتتحت العرب بلاد الهم وقاتل يزديجرد في الحرب واستولى المسلمون على البلاد العجمية مدة طويلة كما سيأتي تفصيل ذلك في الكلام على دول العرب

الباب السادس

في الكلام على شاهات العجم

وفي سنة ١٢٥٨ م دخلت التتر الى بلاد العجم وطردت دولة العرب منها ونولت مكانها عدة قرون . ثم في سنة ١٥٠٠ قام عليها ملوك من اهل فارس وتلقبوا بالشاهات اي السلاطين وكان اول هولاء الملوك الشاه اسماعيل الاول وهو من نسل العرب فتغلب على البلاد واستولى عليها ٢٢ سنة . ومن اعظم هولاء الملوك الشاه عباس نبياً سرير المملكة ١٥٨٩ فحارب الاتراك وظفر بهم مراراً عديدة ومنع البرزوكاليين من الاستيلاء على جزيرة اورموز في خليج العجم . ومن افضل ملوك هذه العائلة الشاه حسين الذي هو آخرهم وكان مع ادارته وحسن تصرفه قليل الحظ من رعاياه جلس على سرير الملك سنة ١٦٩٤ الا انه لم يطل زمانه حتى اضطر الى ان يتنازل عن كرسي الاحكام لحصم له يدعى محموداً ولكنه قبل ان يخلع نفسه عن تخت المملكة نزل الى الاسواق حافياً واخذ بطوف في شوارع اصبهان التي كانت يومئذ عاصمة البلاد وهو بصح قائلاً لا تحزنوا ايها الناس على فراقي عنكم لان الشاه محموداً هو اخبر مني وادري في تدير اموركم واصلاح شأنكم لاسيما في ادارة الحروب وسياسة الاحكام . وكان اكثر سكان المدينة يمشون وراءه وهم يكونون ويتبعون على فراقه . ثم في سنة ١٧٣٥ قام كولي خان وتناوب كرسي المملكة وسمى نفسه نادرشاه وكان جباراً عنيداً ظالماً غشوماً كثير الحروب والغارات وكان قد غزا الجهات الشمالية من بلاد الهند سنة ١٧٣٩ فتغلب عليها ونهبها وعاد منها بغنائم وافرة واموال متكاثرة وكان مبغضاً من اكثر رعاياه لكنه ظلم وجور فوثب

عليه يوماً جماعة من قومه وقتلوه وكانت مدة حكمه سبع عشرة سنة . وانفق في
ايام كرم وكل شاه انه حدث هياج واضطراب في المملكة واستمرت الحروب
بين الاهالي نحو ١٥ سنة وذلك من سنة ١٧٧٦ الى سنة ١٧٩٤

ثم تولى زمام المملكة بعده اغا محمد خان ثم فتح الله شاه ثم محمد شاه ثم ابنه
نصر الدين شاه وهو الملك الحالي صعد على سرير السلطنة سنة ١٨٤٨ مسيحية
وهو من افاضل ملوك العجم بوصف بحسن السياسة والتدبير والحجة لرعاياه
وقد انشأ عدة مدارس كلية لدرس العلوم والفنون واكتساب المعارف والاداب
لنجاح الاهالي وفي سنة ١٨٦٣ اذن بادخال السلك البرقي ابي التلغراف الى
افطار بلاد.

اما عاصمة دولة ايران الحالية فتدعى طهران وهي كرمي المملكة والملك
قصر عظيم في مدينة اصفهان يقال له قصر الاربعين عموداً وكل عمود منها
قائم على اربعة سباع من نفيس المرمر وفيه من النقش البديع وانواع التحف
والصور المزخرفة ما يدهش النظر ويذهل العقل

وهذه البلاد يحدها شمالاً بحر الخزر والملك الروسية وبلاد الهند المستقلة
وشرقاً افغانستان وبلوخستان وجنوباً خليج العجم وخليج اومان وغرباً تركيا في
اسيا وعدد اهلها نحو ١٤ مليوناً

وقد فاق اهل هذه المملكة على ما سواهم من الناس في نسيج الحرير
والصوف كالخمل وشالات الكشمير والبسط والطنافس وفيها ابنة فاخرة
وقصور عظيمة شاهنة ولكنها لا تقاس بتلك الابنية الهائلة التي كانت في ايام
الملك زركيس . وليس لاهل العجم في هذه الايام ميل الى الحروب وسفك
الدماء كما جرت لهم العادة في الايام السابقة وذلك لانعكاسهم على المطالعات
واشغالهم بسرد القصص والاخبار المفيدة المكتوبة من عصور قديمة وهي في غاية
الظرف والحسن ولهم ايضاً ولوع وذوق في نظم الشعر والنثر وقد اشتهر منهم
في هذه البلاد جملة من الشعراء كالحافظ الشيرازي والسعدي والفردوسي وغيرهم

الفصل السادس

في مملكة الصين

الباب الاول

في وصف بلاد الصين ومدنها واهلها وعوائدها

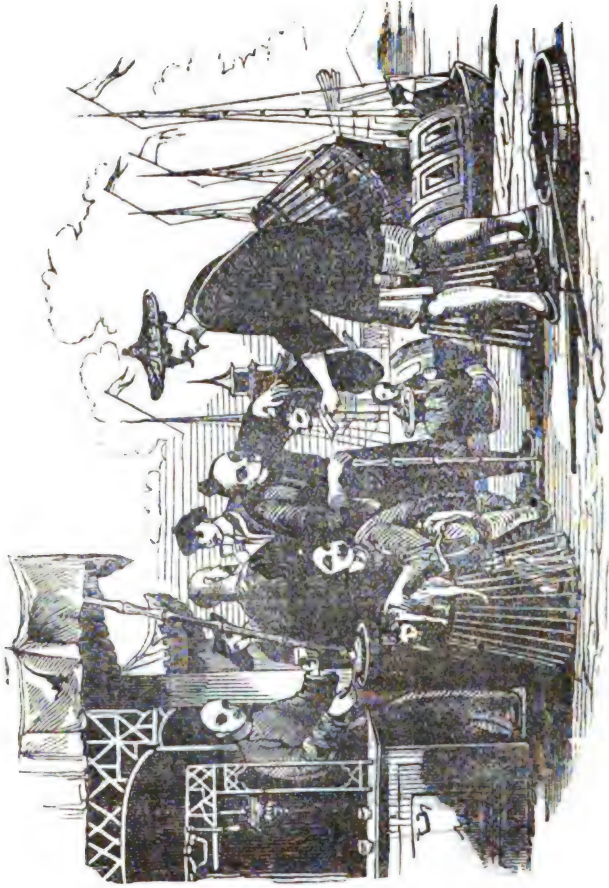
هذه المملكة مجدها شمالاً بلاد سيبيريا اية روسيا في اسيا وشرقاً
الاقبانيوس الباسيفيكي وجنوباً بحر الصين والهند وغرباً افغانستان وبلاد التتر
المستقلة . وفي بلاد واسعة جداً ذات املاك وافرة يتبعها بلاد كثيرة من بلاد
المغول والمانشو وغيرها وعدد اهلها ٤٤٦ مليوناً منها ٤٢٠ في نفس سلطنة
الصين و٢٦ في البلاد المجاورة مثل منشوريه وبلاد المغول وثبيت وغيرها
التابعة السلطنة الصينية . وللصينيين شهرة عظيمة في بعض الصنائع كسج
الحزير والقطن والكتان ولا سيما خمر العاج وعمل الخزف المعروف بالصيني
وغير ذلك من الانواع

اما مدن بلاد الصين فمئتا ناكين وكانت سابقاً عاصمة البلاد واما في
هذه الايام فقد انحطت عن عظمتها القديمة لانتقال تخت الملك منها وعدد
اهلها الآن نحو خمس مئة الف نسمة ومن غريب ابنتها البرج العظيم الذي
انشأه بعض الملوك في مدة ١٩ سنة واتقنه غاية الاتقان وهو مبني من الاجر
ومحيط اسفله مئة وعشرون قدماً يعلوه تسع طبقات شاهقة وله من داخله

درج على شكل لولب يصعد فيه الى السطوح وخارج البرج ملبس بالخزف الصيني الملون . ثم مدينة باكين وهي قاعدة المملكة ودار اقامة السلاطين وعدد سكانها نحو مليونين وهي على شكل مربع مستطيل يحيطها سور ارتفاعه نحو مئة قدم وعرضه ثلثون قدماً بحيث تدور فوقه الحراس وهم راكبون خيولهم وفي جوانب هذا السور اثنا عشر باباً تعلوها أبراج لاقامة الحراس والمخافطين . وتنقسم هذه المدينة الى قسمين جنوبي وشالي اما القسم الجنوبي ففيه اكثر مساكن العامة واما الشالي ففيه بلاط الملك وبساتينها وجنائنها التي هي في غاية البهجة وفي هذا القسم ايضاً كثير من الجعيرات الصناعية والازهار البهية والاشجار المختلفة . ومن مدنها ايضاً مدينة سونغو وهي بعد باكين في الاتساع والحسن . وفي سنة ١٦٨٥ من الميلاد عثر بعض الاهالي بالقرب منها على لوح من المرمر نحتت الارض مكتوب عليه بالخط الصيني كلمات سر يانية فوقها صورة صليب فاجتهد العلماء في البحث عن معرفة هذه الكلمات فوجدوها مشتملة على اثنتين وستين علامة منقوشة بالحروف الصينية فتاملوها فاذا هي عبارة عن رسالة تتضمن اصول دين النصرانية وعدة مسائل تتعلق بقوانين التسوس واسماء الملوك الذين كانوا سبياً في نشر هذه الديانة التي اظهرها في تلك الجهة دعاة من قسوس النساطرة سنة ٦٣ للمسيح وكانوا قد قصدوا هذه المملكة من بلاد العجم والشام وكان لهؤلاء الدعاة في بلاد الصين عدة كنائس . ثم مدينة كتون وهي بالقرب من البحر يسكنها فواصل الدول الاجنبية وعدد اهلها نحو مليون نفس

وامل الصين بوجه الاجمال سود الشعر صفر الالوان صفار العيون واكثرهم يلبسون اقصة طويلة اشبه شيتاً بالانب وبنمتقون باحزمة حريرية وينقلون سكاكين وخناجر في احزمتهم وهم على جانب عظيم من الفس والخداع ولم من العوائد والاصطلاحات الذميمة القبيحة ما تأنف منها السامع . منها انه اذا كان لاحد الوالدين عدة اولاد لا يقدر ان يقوم بمعاشهم يجوز له ان يلقبهم

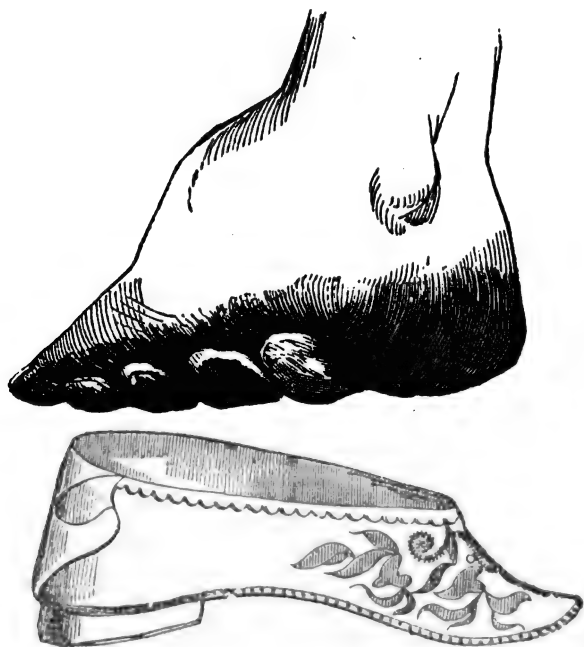
في المنهر ليختص منهم ولا يعترضه احد . ومما انهم ياكلون لحوم النار والجردان



مبيع النار والجردان

ويسعون الكلاب المائنة جهراً في الاسواق . ومن عوائدهم ايضاً انه اذا اراد الرجل منهم ان يتزوج بصية يرسل رسولاً من قبله ليخاطب والديها بذلك فاذا قبلوا فمحسون عن ساعة ولادتها ولادتها ليعرفوا في اي يوم وفي اية ساعة كانت ولادتها لمعرفة طالعها فاذا وجدوا ان كل شيء موافق يرسل اليها

المخطيب بعض جواهر نفيسة على سبيل الخطبة حتى اذا كان يوم العرس
ينصبون خيمة قدام دار العروس ويبدرون ارضها بالقمح ويدعون الاصحاب
والعارف ويجلس اهلها بجانبها بحسب رتبهم ومقامهم ثم ينهض اهل العروس
جميعاً ويذهبون بهم مع العروس الى بيت العريس ويرشونهم في اثناء الطريق
بالقمح والشعير وعند وصولهم يجلسون العروس بجانب العريس فيقوم ذوو
العريس ويقدمون لهم الشاي والعرق والحلويات وعند انصرافهم يقدمون
الهدايا للعريس والعروس على سبيل التقوط. ومن عوائدهم انهم يخلقون شعور
رؤوسهم ويقنون منه خصلة في اعلاها فيجدلونها وبرخونها على ظهورهم. ومنها
انهم يستظرفون صغراجل النساء ولذلك يعالون قوالب من حديد ويضعون



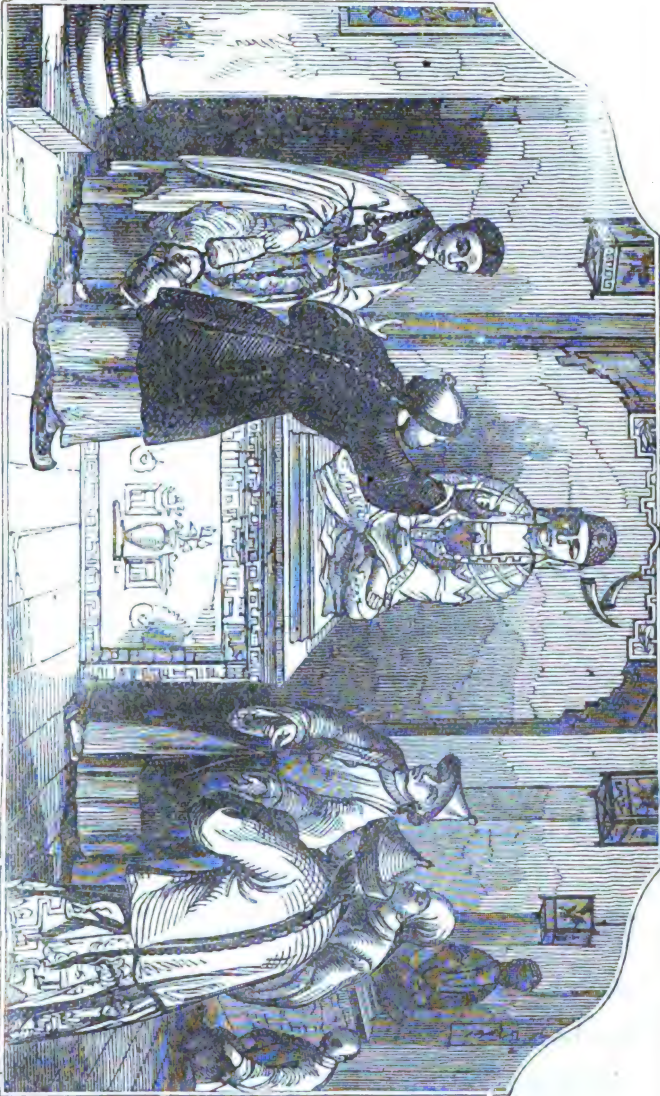
فيها ارجل البنات في صغرهن حتى اذا كبرن تكون ارجلهن صغيرة

وفي هذه المملكة كثير من الجبال الشاهقة والانهر الكبيرة المشهورة كنهـر
تاكبان الذي يصب في البحر الاصفر وهو بعد من اعظم انهرها يبلغ طوله ثلثة
الاف ميل وفيه تجري سفن كبيرة وصغيرة لخدمة النمل . وفيها كثير من
الترع التي توصل المياه الى داخل البلاد لاجل سقي المزروعات ونمل
الحاصلات من جهة الى اخرى . وفيها جملة معادن منها الجص واللازورد
يلونون به الصيني والبشب والبلور والمغناطيس والزبيق والنضة . وفيها الماس
والزمرد والياقوت وغيرها من الحجارة الكريمة

ومن اشجارها الكافور وعود اللند الذي يضافي في الصورة والارتفاع
شجر الزيتون ثم الشاي وهو من اشهر نباتها وافضلها ومن العجب انهم يقطونهُ
ثلاث مرات في كل سنة وكيفية ذلك انهم يقطون اولاً اغصانه ويضعونها
بقرب نار خفيفة حتى تجف قليلاً ثم يلفون ورقه ويجعلونه في صناديق من
رصاص ويرسلونه الى اوروبا وباقي الجهات . وقد بلغ مؤخراً معدل ما
يرسل منه الى الخارج وما ينقطع داخل البلاد سنوياً التي مليون افه تقريباً .
ومن حاصلات الصين الثمينة الحرير فانهم يعتنون بتربية دودهِ وهم اول من
اكتشفوه ومن عندهم خرج الى باقي الاماكن . وللصينيين اختراعات كثيرة لم
نعرف في البلاد الافرنجية الا بعد ازمنة طويلة من وقت اختراعها مثل عمل
القرطاس والخزف والمطابع والبارود وغير ذلك ما يوجب لهم الافتخار
والملاح . ويراد السلطنة يبلغ من ٦٠ الى ٧٠ مليون ليرة انكليزية في السنة
واكثرهُ يوخذ عيناً من حاصلات البلاد

اما لغاتهم فهي من اقدم اللغات وقما تغيرت عن حالتها الاصلية كما
يحدث غالباً في اكثر اللغات . واما كتابتهم فليس لهم حروف معتمدة يكتبون
بها كما في سائر اللغات وانما لم علامات واشارات اصطلاحية عليها واذا كتبوا
ابتدأوا بالسطر من فوق ونزلوا الى اسفل ناحية صدورهم خلافاً لباقي الكتابات
واما ديانهم فهي الوثنية واعظمها البوذية . ومن اصطلاحات كهنتهم في

الاحنالات الدينية انهم يلبسون بدلات مختلفة ثم يوقدون الشموع ويعلقون



صنم صوفي يستنير ويوقد قبل شروعه في اعمال مبهمة

في اعناقهم المسامح ويحملون بايديهم الاجراس ويطوفون في المساجد والهياكل

والبعض منهم يمتنعون عن الزواج ويسكنون في صوامع منفردة عن الناس
وعندهم كثير من القصص والتواريخ التي لا يوثق بها ولا يليق بشأن المؤرخ
ذكرها واعتمادها . ومن عوائدهم ايضاً انه مباح لهم ان يتخذوا لانفسهم ما شاءوا
من النساء بشرط ان لا يكون للرجل اكثر من زوجة شرعية واما البقية
فيعتبرون بمنزلة خادmates

الباب الثاني

في تاريخ مملكة الصين

ان هذه المملكة من اقدم ممالك الارض واعظمها وقد اختلف المحققون
والباب التاريخ في من اسمها فرعم الاكثرون انه فوحي الذي يظنونهُ نوحاً .
وما يؤيد قدميتها كثرة ماوكها وقد عدّ المؤرخون دولها الى هذا اليوم فكانت
اثنين وعشرين دولة حكمت في مدة اربعة الاف سنة . واما تاريخها فيبتدئ من
سنة ٢٢٠٠ ق م وهو بالحقيقة من اسفم تواريخ الدنيا واطلمها لا يعتد عليه نظراً
لما يتضمنهُ من الخرافات والحكايات الغريبة البعيدة عن التصديق حتى لو
شرع احد ان يستوفيه على وجه التفصيل لاستلزم عدة مجلدات كبيرة مع انه
ليس بين اخبار ملوكها القدماء شيء يستغنى الذكر الا الى زمن دولة تشاو
التي استولت على السلطنة من سنة ١١٠٠ ق م الى سنة ٢٤٩ ق م ومن ملوكها
الامبراطور تشاوس جلس على الكرسي قبل المسيح بخمسة الف سنة وكان مغرمًا
بالصيد والقتص وكان يصرف أكثر ايامه في الجولان بين الغياض والبساتين
حتى انه كان اذا طارد غزالاً او ارنباً يتبعهُ ولا يميل عنه حتى يصيده . وكان
كثيراً ما يدوس الاراضي المزروعة مع حواشيهِ وخدمهُ وقت الصيد وهو

غير مبالٍ بالاضرار الناتجة من ذلك حتى مئة شعبة وازدروا به واهزر وزراء دولته المتخلص من رياسته بقتله فخرضوا بعض الانباع على ذلك . وكان في تلك النواحي نهر عظيم من عادة الملك ان يعبره في طلب الصيد فاعدوا له في بعض الايام قارباً مكسوراً من قعره ووضعوه له على الشاطئ فلما حضر الملك ورأه استحسنه ثم نزل به هو واتباعه ولما صاروا في نصف النهر انفكت الواح القارب فسقط في الماء وغرق الملك ومن معه

وفي زمن تلك هذه الدولة ظهر كونفوشيوس العالم الشهير الذي كتب جملة تأليف في الدين والاداب والسياسة لم تزل موجودة الى هذا اليوم ويعتبرها الصينيون اعتباراً عظيماً كاساس ديانهم وآدابهم . ولولاها لما علم عند المتأخرين شيء من تاريخ الصين القديم . وكانت ولادة هذا الشخص سنة ٥٥٠ ق م تقريباً من عائلة معتبرة فانصب على العلوم من صغره ولما بلغ سن الرابع والعشرين سنة انعكف على اصلاح عولته بلاده فاخذ يحول بين ولايات السلطنة وينذر الناس بتعاليمه فالتصق به كثيرون وذاع صيته بين الجميع حتى دعاه ملك لو وسلته وزارة ملكته فاصح شرائعها واصطلاحاتها واتي فيها اسباب التجارة والزراعة ولكن بما ان الملك كان مغرمًا بالملاهي واللذات نفر اخيراً من كونفوشيوس ولم يثبت في اتباع مشوراته المحكيمة فاضطر هذا الفيلسوف ان يترك دار الملك ويرجع الى اعتزاله مواظباً على الانذار والتعليم والتأليف . ومع كل احترام الناس له كان لين الجانب وديعاً ومتواضعاً الى الدرجة القصوى غير محب المال . وكان كونفوشيوس قريباً من عصر هيرودوتوس ويحسبها العلماء ابوي التاريخ ولكن الاكثرين يفضلون الاول على الثاني لانه ما عدا كتاباته التاريخية ترك لبلاده تعاليم ادبية انت بفوائد كثيرة من وقت ماته الى الآن

ومن ملوك دولة تشين التي خلفت الدولة السالف ذكرها من سنة ٢٤٩ الى سنة ٢٠٥ ق م الملك سيهوانكي وعند جلوسه على تخت المملكة شرع في بناء

سور عظيم حول البلاد لينبها من هجوم التدرولم يزل السور الى الآن يبلغ ارتفاعه ٢٠ ذراعاً وعرضه تسع اذرع وهو يشغل مسافة الف واربعماية ميل وعند فراغه من هذا السور ازداد تجمعا بنفسه وافتخر على من تقدمه من الملوك والسلطين فاخذ يعامل الناس بالنساة والجبروت . واذ كان يريد اطفاء خبر الاولين ومن سلفه من الملوك ويظهر للتاخرين انه اول سلاطين الصين لم ير سبيلاً الى ذلك الا اعدام المورخين واتلاف قبود الملكة فامر احد الايام بدفن اربع مئة رجل من العلماء وهم في قيد الحياة ثم امر بحرق سائر الكتب والتواريخ التي في مكاتب الملكة . وبعد موت هذا الملك تولى ابنه مكانه وموته انقضت دولتهم

ثم قامت دولة اخرى تعرف بدولة هان وذلك من سنة ٢٠١ ق م الى سنة ٢٢٤ للميلاد وفي كل مدة تملكهم لم يحصل للبلاد راحة من غزوات التدر المتكررة . ومن ملوك هذه الدولة الامبراطور ثاني وقال البعض انه كوانك كان على غاية من الخفة والطيش يميل الى الملاهي والطرب منعكفاً على اللذات والسكر ولذلك كان يكره الموت ويود الحياة فاخذ يهت ويتش عما يدفع عنه كاس الموت ولكنه بعد ان صرف زمناً طويلاً في الامتحانات المحالمة كتركيب المعاجين المتوية واستخراج المشروبات المنعشة ادركته المنية فغاب سعيه واخطاه الامل قبل اتمام العمل

ثم خلفه ملك آخر كان مغرمًا بطلاعة التواريخ والاخبار ولذلك اهل مصالح الملكة وانصرفت مواظباً على الدرس والقراءة وكان وزيره ييغضة ويثني هلاكه فاعتنم الفرصة وهيج عليه الشعب لينتكلوا به فلما سمع الملك اصوات العصاة وهياجهم بادى في الحال وتقلد سلاحه وخرج من المكتبة ليقف على حفيظة الخبر فوجد اكثر الشعب قائمين عليه يريدون هلاكه فعلم ان سبب ذلك اشتغاله عن معاطاة الاحكام بالمطالعات الكثيرة ولما رأى نفسه عرضة للهلاك وانه لم يبق امكان للدافعة ارتد الى مكتبته واضرم بها النار فاحترقت وكان عددها

نحو مئة واربعين الف مجلد ثم هم عليه الشعب فقتلوه
وفي سنة ٦١٧ للمسيح جلس ملك آخر يدعى سيكوين وكان قد بنى لنفسه
قصرًا عظيمًا من الحج الفصور المزخرفة واتقنه اتقانًا خارجًا عن حد العادة وطلى
حيطائه بهاء الذهب وفرشه بأنواع الفرش النفيسة والامتنعة الفاخرة الزاهية فلما
مات دخل ابنة الى هذا القصر فدهش من فرط حسنه وجماله وقال في نفسه
ان هذا القصر ما يفسد عقول الملوك ويزيدهم تكبرًا ونخعة فامر باحراقه
وجلس سنة ١٠٠٠ مسيحية على كرسي الملكة ملك شهير بالمعارف والاداب
يدعى شوانكتسون وكان على جانب عظيم من الزهد والوداعة وكال الاستقامة
وكان ذا حكمة وفراصة مطبوعًا على مكارم الاخلاق حريصًا ساهرًا على جانب
الراحة للبلاد والعباد فاجبه رعاياه ومالوا اليه لتصرفاته وحسن سلوكه
ومن جملة مزاياه الغربية انه كان ينام على بساط الارض بلا مثال ولا دنار
ويربط في عنقه جرسًا حتى اذا تحول من جهة الى جهة وهو مستغرق في نوم
يسنفظ برنين الجرس معتبرًا ذلك الوقت وقتًا مناسبًا لقيامه من النوم
وسنة ١٢١٠ للمسيح زحف جنكيز خان ملك التتر والمغول بمجيئه
عظيم على هذه الملكة وافتتحها بعد وقائع متعددة وهجمات هائلة واستولى على
جانب عظيم منها وقام بعده ابنه قوبلاي خان فاكل استنتاج البلاد واسس
مدينة باكين وسمى نفسه خان الصين الكبير واستمرت البلاد في ايدي ذريته
الى سنة ١٢٦٨ حين استقلصنها منهم العائلة المعروفة بدولة مينك . وكانت
احكام التتر في كل مدة استيلائهم على الصين قاسية جدًا ومعاملة المغول ببربرية
لم نعلمها الاهاالي الا بكر ب شديد وقيل انه في مدينة واحدة نهض مرة ٤٠
الف نفس من اهلها وامانوا انفسهم بايديهم بغية التخلص من جور ظالمهم .
وفي مدة تسلط هذه الدولة دخل البورتوغاليون اولًا الى الصين وذلك سنة
١٥١٦ وفتحوا الباب لدخول باقي الدول الافرنجية ثم تبعهم الفلمنكيون سنة
١٦٢٤ ثم الانكليز في ذلك القرن عينو ثم المسكوب ثم الفرنساويون والاميركاينيون

ولكنهم لم يأخذوا مركزاً ثابتاً في تلك البلاد نظراً لبغض الأهالي لمخالطة الأجانب . ومن سلاطين هذه الدولة الامبراطور شينكتا جلس على سرير الملك سنة ١٥٢٢ وفي أيامه ظهر معدن من الحجارة الكريمة في تلك البلاد فقصده الناس من جميع النواحي وأخذوا يشتغلون بحفره وتقطيعه وكان احد الناس قد جاء الى الملك ذات يوم ببعض فصوص ثمينة من ذلك المعدن فلما شاهدها التفت الى من حوله من الناس وأراهم أياها ثم صاح عليهم بأعلى صوته قائلاً لهم أظنون أيها الناس ان هذه الحجارة كريمة قالوا نعم انها كريمة ونفيسة قال اذا كان الامر كما تزعمون فلا بد ان يكون لها نتائج مفيدة فاخبروني اذا ما هي فوائدها أستطيع ان تشيع جائعاً او تكسو عرياناً ثم امر بتعطيل ذلك المعدن وردمه وان يشغل اولئك الناس في عمل آخرام وانفع . فدام تسلط هذه الدولة الى سنة ١٦٤٥ حين طردتها قبيلة من التتر المانشو المعروفة بدولة تانسينك وهي الباقية الى ايامنا هذه . ومن ملوكها الامبراطور كنجي من اعظم ولاية الصين سطوة وشوكة وفي أيامه دخلت الديانة النصرانية الى البلاد بواسطة مرسلين يسوعيين واذا كان يميل اليها اصدر امراً ملكياً سنة ١٦٩٢ بمنع به معلها جملة امتيازات . وقد قرب اليه احد هؤلاء الاباء وجملة مستشاراته فكان نفوذه عظيماً في البلاد . واجتهد اليسوعيون في تهذيب الناس وتعليمهم ونجحوا نجاحاً عظيماً في وقت وجيز والعالم مديون لهم لاجل معرفة احوال الصين الداخلية اذ كانت قبل ذلك مجهولة . وبعد توفي كنجي سنة ١٧٣٣ خلفه ابنه يون شينك وكان اذاك صغير السن فتسلم زمام السلطنة اربعة وكلاء وفي مدة وكالهم سنوا سنة هي ان يمنع الخصيان المتولجين حراسة الحرم من الارتفاع والتوصل الى وظيفة من وظائف البلاد وكانوا قبل ذلك الوقت يرتقون الى اعلى المناصب ونقشوا تلك السنة على الواح من حديد وزن كل منها نحو اربع مئة افة والى الان يتمسك بها كل ولاية الصين اذ بواسطتها حصل من ذلك الوقت السلام والراحة في كل السلطنة . ولما بلغ يون شينك المذكور

سن البلوغ واستلم تمام الاحكام لم يعامل اليسوعيين كعامله ايو ولا سبب غير معلومة منهم وابعدهم عنه ثم نفاهم من العاصمة اولاً الى كتون ثم الى مكاو ففقدت كل نتائج انعامهم . وفي ايامو حدث زلزلة عظيمة في بلاد الصين لم يسمع بمثلا منذ خليفة العالم فهدمت اكثر بيوت باكين ومات بها نحو مئة الف نسمة وشمل الخراب والموت باقي الحدود المجاورة

ثم خلف يون شينك الامبراطور كيان لونك وكان سلطاناً عظيماً وجاذقاً حكيماً يود الاجانب ويمل اليهم اكثر من سلفائهم وبعد موته جلس ابنة مكانه واذ كان غير اهل للاحكام خلع نفسه عن كرسي السلطنة واقام ابنة تاوكونك مكانه سنة ١٨٢٠ وكانت البلاد في ايامو بلا راحة من جرى الثورات الداخلية والاضطرابات الخارجية ولا سيما حرب الانكليز سنة ١٨٤٠ المعروفة بحرب اففيون . وكان السبب في ذلك ان الحكم الصيني منع ادخال هذا الصنف الى بلاده واصدر امراً جازماً سنة ١٨٢٢ بمنع الاتجار به اما الافرنج فلم يكونوا يعتبرون هذا التنبيه بل استمروا يتعاطون هذه التجارة خفية ولما اشتهر امرهم عند الحكومة ارسلت في الحال معتمدين من باكين الى مدينة كتون وولت اليهم استعمال ما يلزم لتبديل تلك التجارة فالفوا القبض حالاً على رجلين من ابناء البلاد ممن وقعت عليهم الشبهة في تهريب اففيون وقتلوا بمحضور الافرنج ثم احاطوا بالنازل الافرنجية وهجموا عليها دفعة واحدة واخذوا منها ٢٠ الف صندوق من الصنف المذكور . هذه الوسائط جعلت تجارة اففيون تنحصر في الفرض البحرية حيث ترسي المراكب الحربية ولكن اذ كانت حكومة الصين متشبثة بانعام مقاصدها لم تغفل عن مراقبة اعمال تجار الافرنج واستمرت على مقاومتهم لمنع جلب اففيون الى الاقطار الصينية فوقع بينها وبين الافرنج لذلك معركتان في نهر كتون اشهرها بين بارجنين انكليزيتين وبين ٢٩ مركباً صينياً تحت رئاسة الادмирال كوان فكانت الدائرة على الصينيين فانسحبوا بعد ما حرق مركب من بوارجهم وغرق منها عدة سفن فعظم ذلك

الامر على مملكة الصين واصدرت امراً بابطال كل معاملة تجارية مع انكلترا وسعت في احراق البوارج الانكليزية وهي راسية في مينائها فالتزم حيثنذر رئيسها ان يلجئ الى قوة الاسلحة واشهر الحرب على الصينيين واحاط بمدينة كيتون بالمراكب والعساكر وضابطها فاضطر الامبراطور عند ذلك ان يصرف ذلك المشكل بتأدية ٦ ملايين من الريالات كتضمين على ما تكبدوه من الخسائر في اثناء الحرب وتنازل لم عن جزيرة هون كونك وتعهد بارجاع المعاملات التجارية بين الامتين كما كانت سابقاً . ولكن اذ لم يفر الامبراطور بهذه العهود عاجلاً اضطرت انكلترا ان تلزمه جبراً على اجرائها فارسلت عليه البوارج ثمانية تحت قيادة السار هنري يونغبرسن سنة ١٨٤١ فضرب مواهبها واستولى على اكثرها فخاف الامبراطور من عواقب الامر وعقد صلحاً مع دولة انكلترا في السنة التالية تحت شروط معلومة وفي ان الدولتين تكونان في صلح وسلام مدى الدوام وان سلطنة الصين تؤدي للانكليز ٢١ مليون ريال في مدة اربع سنوات وان موالي كيتون وآموي وفوشو وينيكبو وشنفاي تكون مفتوحة للتجارة الانكليزية وينصب فيها قناصل . وان جزيرة هون كونك تعطى عطاء مؤبداً الى جلالته الملكة فيكتوريا وخلفائها من بعدها وان المكاتبات بين الدولتين تكون على نسق المساواة وسنة ١٨٥٠ توفي تاوكرانك المذكور وجلس مكانه ابنه هيان فونك فتواني عن التيام بحق اليهود المذكورة وحاول من جهة حق دخول الانكليز الى داخل مدينة كيتون فادى ذلك الى مناظرات عديدة بين الطرفين استمرت الى سنة ١٨٥٧ حينما وقعت حادثة السفينة الانكليزية المسماة ارو اذ هاجمها بعض ضباط الصين ومزقوا رايتها وقبضوا على جانب من رجالها ظلماً وعدواناً ورفض الامبراطور بعد ذلك اعطاء الترضية للانكليز عن هذا الفعل الذميمة فالتزمت انكلترا ان تشر حرباً على الصين مرة ثانية واذ كانت صوامح فرانس التجارية وقتئذٍ ومحاماتها عن الاكليروس الكاثوليكي في تلك البلاد تستدعيان المداخلة اتحدت هاتان الدولتان وارسلتا قوة بحرية وبرية

نحت رئاسة البارون كرو من قبل فرنسا واللورد الجين من قبل انكلترا وذلك سنة ١٨٥٨ وبعد دخولهم الى تياتسين قهراً وهدمهم قلع مدينة ناكو التي على فم نهر ييهو عقدوا مع حكومة الصين معاهدة تشتمل على ٥٦ بنداً منها ان يكون لسفراء فرنسا وانكلترا حق السكن في مدينة باكين وان لا يكون مانع لجولان رعابام في كل اقطار السلطنة وتخصص تسع مدن غير المدائن التي كانت تخصصت بالمعاهدة الاولى لتكون موانئها مفتوحة لتجارهم وان لا يصير ادنى تعرض للديانة المسيحية ولا لبناء الكنائس او البيوت وغير ذلك من الشروط . فلما ثبتت الحكومة الانكليزية تلك المعاهدة وكان اخو اللورد الجين ذاهباً بها الى باكين سنة ١٨٥٩ ليسند لها بالتمنحة الصينية وجد ان الحكومة حصنت قلاع مدينة ناكو واقامت ايضاً حواجز لمنع مرور المراكب من فم النهر . وبينما كانت المراكب الانكليزية تريد ان تغتصب الدخول الى النهر اطلق الصينيون عليها النار من القلاع وضروا بها ضرراً جسيماً فعند ذلك وافاهم اللورد الجين والبارون كرو مرة ثانية سنة ١٨٦٠ بمراكب كثيرة واغضبوا الدخول في النهر المذكور بعد ما هدموا الحصون المحامية ودخلوا مقتصرين الى مدينة باكين وحرقوا قصر الملك الصيني وعقدوا شروط الصلح وحصل اللورد الجين على تثبيت المعاهدة المار ذكرها . اما الامبراطور هيان فونك فانه هرب الى مانشوريا وهناك توفي بعد سنة وهو في سن الثلاثين ثم خلفه هيان فونك الامبراطور الحالي تشي سيانك ومعناه المسعد جلس في ٢٢ آب سنة ١٨٦٢ وهو في سن الثلاث عشرة وفي ايامه تمكنت الهبة والالفة بينه وبين الدول الافرنجية وجعلوا بينهم روابط ومعاهدات باقامة السفراء والتراب بين الطرفين ولذلك ترى الآن سفراء الممالك الاوروبية ووكلاءها منتشرين في اكثر المدن الصينية ولا سيما في المواني البحرية ولا بد ان الصينيين برون قريباً فوائد هذا التغيير لانفسهم وبجنتون بهذه الوسطة اثار الارباح المادية والادبية الناتجة عن هذا الاختلاط

الفصل السابع

في تاريخ العرب

الباب الاول

في جغرافية بلاد العرب

١٦/١٥/٥١

هذه البلاد مجدها شمالاً فلسطين وسورية وشرقاً العراق والجزيرة وخليج
العمى . وجنوباً بحر الهند . وغرباً بوغاز باب المندب والبحر الاحمر وبوغاز
السويس . واهلها اثنا عشر مليوناً . وفي خمسة اقسام اليمن والحجاز ونجدة
واليمامة

اما بلاد اليمن فتقسم الى خمسة اقسام وهي حضرموت وشحر ومهرة وعمان
ونجران . ومن اشهر مدنها مدينة صنعاء وهي قصبة البلاد ودار الامامة وكانت
كرسي ملوك اليمن في الازمنة السالفة وهي ذات بساتين واشجار كثيرة وبها
اغمار لذينة خصوصاً العنب وقرب صنعاء معادن فحم الحجبر . ومن مدن
اليمن مدينة عدن ونجران وزيد ومدينة مخا وهي فرضة مشهورة على شاطئ البحر
الاحمر ومحط تجارة اليمن وعدد اهلها ١٨٠٠٠ ومنها يجلب البن الذي تنسب
العامة الى مكة ويقولون له الحجازي ثم مدينة مارب وغير ذلك من المدن
واما الحجاز فهو ما يلي البحر الاحمر من نامة وسي حجازاً لانه حجازيين
نجدة ونامة . ومن مدنها مكة وجدة والمدينة وفيه الطائف الواقع في شرقي مكة
وهو ابرد اقليم واجود مكان في الحجاز كثير الفواكه والبساتين وفيه عيون

وجبال كثيرة . وفي جبال الحجاز عدة ولايات صغيرة لا يعيش سكانها في الخيام كباقي عرب السهول بل لم مدن وقرى مبنية بالحجارة وهم يدافعون عن انفسهم بمحسون وقلاع صغيرة ومن هذه الولايات ولاية خيبر وهي على الشمال الشرقي من المدينة واهلها يهود مستقلون بانفسهم

واما تهامة فموقعها على شط البحر الاحمر بين اليمن جنوباً والحجاز شمالاً واما نجد فهي ما يتصل بالشام شمالاً والعراق شرقاً والحجاز غرباً واليهامة جنوباً وهي ارض واسعة عظيمة كثيرة الجبال والمدن والقرى مشحونة بالاراضي الالتزامية حتى ان اكثر مدنها قد تكون التزام شيخ يحكمها ويتصرف باهلها كما يشاء وارضها مخصصة الى الغاية يخرج منها سائر الفواكه خصوصاً التمر وبها تربى الخيول العظيمة ومن مدنها رياض وهي قصبة البلاد ذات سور وجنائن ويندر يجمع اليها التجار من سائر الجهات للبيع والشراء وسكانها على اشد ما يكون من التعصب في المذهب الوهابي . ثم مدينة ابانا وهي التي نشأ بها محمد بن عبد الوهاب الذي انشأ هذا المذهب

واما اليمامة فهي بين نجد واليمن وهي متصل بالبحرين شرقاً وبالحجاز غرباً وتسمى العروض لاعتراضها اليمن ونجد

اما غلات بلاد العرب فمنها المحنطة والذرة والشعير والقوة والبن والفلل والقطن والسنامكي والبلم والعود والمر والبخور والبن والتمر وهذا الاخير هو اساس قوت اهل هذه البلاد . وفيها من الحيوانات الاسد والضبع والنمر والذئب والوعل والجواميس والغزلان والحبيبر والقردة والجمال والبعير والمخيل وهي اجود خيول الارض موصوفة في الحسن والخفة . والمعادن في هذه البلاد قليلة جداً وفي بعض الاماكن معادن حديد ونحاس . ورمصاص . والعتيق واللؤلؤ في خليج فارس . واما الفنون فمجهولة في بلاد العرب والصنائع مهلهة وفن الموسيقى بكاد لا يعرف فلا يسمع هناك سوى اصوات الطبول والمزامير

الباب الثاني

في اصل العرب وصفاتهم وما يتعلق بهم

ان العرب هم اقدم الامم من بعد الطوفان واشدهم بأساً واعزهم نفساً وهم فرقتان بدو وحضر اما البدو فهم سكان البراري والقفار الذين يعيشون من الابن الابل والغنم ولحومها ويتقلون من مكان الى مكان في طلب العشب والمياه واما اهل الحضرة فهم سكان المدن والقرى . وكان لبعضهم عصور ودول وقبائل ولم يكن داهم الاثن الغارة والغزو على المالك حتى انهم غاروا على فراعنة مصر قبل المسيح بنحو اثني سنة واتصروا عليهم وتملكوا مصر الوسطى والسفلى وتولى منهم حملة ملوك في مدة ثلث مئة سنة وكانوا يدعون ايام دولتهم في مصر بالملوك الرعاة وهذا اقوى دليل وبرهان على قدميتهم وشدة باسهم في ذلك الزمان وقد استولت ملوكهم ايضاً على الشام والعراق واليمن ونجد والحجاز والبحرين واليامة كما سيأتي بيان ذلك في محله . وجميعهم ينقسمون الى اربع طبقات متعاقبة

الطبقة الاولى العرب العاربة ويقال لها البائدة اي المالكة وكانوا شعوباً وقبائل كثيرة العدد كماد وطسم وجديس وغيرها فانفرضوا جميعاً واندرسوا ولم يبق من نسلهم احد على وجه الارض

ثم الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة من ولد فحطان الذين منهم التباينة ملوك اليمن ويقال ان فحطان المذكور هو اول من تكلم بالعربية من اهل هذه الطبقة تعلمها من العرب البائدة الذين كان معاصراً لهم وكان ابنه يعرب بن فحطان من اعظم ملوك عرب اليمن

ثم الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب المستعربة من ولد عدنان الذي هو من ذرية اسمعيل بن ابراهيم الذي اخلط مع العرب المستعربة ونشأ بينهم وري في احيائهم وتزوج منهم وتعلم لغتهم العربية بعد ان كان ابوه اعجمياً ومن هذه الطبقة المناذرة ملوك الحيرة والعراق

ثم الطبقة الرابعة وهم العرب المستعجمة ابي عرب هذا العصر الذين فسدت لغتهم على تنادي الايام والسنين بمخالطتهم الاجانب وانقراض ما كان لهم من الدولة والسطوة في الجاهلية والاسلام وبقي ظلمهم الى الآن وهم طوائف عديدة وشعوب كثيرة يسكنون الخيام ويجولون في البراري المقترة واشهرهم عرب صحر وعذرة

ومن صفات العرب الشهامة والنجدة وحفظ العهود والزيام والافتخار بشدة لباس وعلو الهمة كاتصارهم على الاعداء وكسب الغنائم ومن اطلع على اشعارهم استدل على احوالهم واخبارهم . ومن صفاتهم ايضاً المحافظة على شرف ناموسهم وعرضهم فكان عندهم الموت اسهل من العار والفضيحة ولقرط اخترازم ومحاماتهم عن شرف العرض توصل بعضهم على ما قيل الى عادة ذمية ومكروهة جداً كدفن البنات بالحياة التي هي من افجع العوائد وافظعها فنههم من كان يفعل ذلك نجباً للعار ومنهم من القلة والفقر فكان الرجل منهم اذا وُلدت له بنت واراد ان يبقيا في قيد الحياة البسها جبة من صوف او شعر وجعلها ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا بلغت من العمر تسع سنين يقول لامها طيبها وزينها حتى اذهب بها الى زيارة اهلها فيذهب بها الى الصحراء حيث يكون قد خضر لها يرباً وعند وصوله بها الى ذلك المكان يدفعها من خلفها ويلقيها في الير ثم يهيل عليها التراب ويذهب الى حال سبيله

ومن صفات العرب ايضاً السخاء والكرم والضيافة للقرىب والغريب . وكان منادي عامر بن الطفيل العامري ينادي في سوق عكاظ هل من

جائع فنطعمه او خائف فتؤمته او راحل فحمله . وكان ايضا عبد الله بن جدعان يذبح في داره كل يوم جزورا وينادي مناديه من اراد اللحم فليده باين جدعان فلا عجب اذا ما يحكى عن حاتم الطائي وكعب بن مامة ولوس بن حارثة ومعن بن زائدة من الاخبار والقصص في الكرم والجود وما يحكى عن فراستهم وحذافتهم انهم كانوا يستدلون بأثار الاقدام والخوافر استدلالا عجيبا فيعرفون قدي الشاب من الشيخ والرجل من المرأة والغريب من الموطن وكان اذا هرب منهم هارب او دخل عليهم سارق اتبعوا آثار قدمه حتى ظفروا به

وكانوا على انواع مختلفة في المذاهب والاديان وكان لهم آله واصنام كثيرة فعبد بنو حمير الشمس وبنو كنانة القمر وبنو لحخم وجدام المشتري وبنو طي سهلاً وبنو اسد عطار وبنو ثقيف اللات والعزى وكان للعرب قديما شهرة عظيمة في النصاحة والبراعة ونظم الشعر وبهم تضرب الامثال الى يومنا هذا وكانوا يجتمعون في اوقات معلومة معينة يبيعون ويشترىون ويتفاخرون ويتناشدون الاشعار التي تدل على ايامهم ووقائعهم التاريخية وعلى ما كان عندهم من العوائد والاصطلاحات فيجتمع كل سنة بسوق عكاظ ساداتهم وملوكهم وقوادهم وقبائلهم ويجلسون في مكان معلوم ثم يقوم الشاعر من بينهم ويصعد الى محل مرتفع وارباب المجلس جالسون في مراتبهم فينشدون نفائس اشعارهم ومتى فرغ من انشاده قام غيره من الشعراء وانشد ما عنده وهكذا الى النهاية . وكان للناطقة الديباني التقدم في هذا الاجماع فكان ينصف بينهم ويفضل بعضهم على بعض . ومن اجود اشعارهم واشهرها المعلقات السبع التي اعتنوا بها وكتبوها وزكروها بحروف الذهب على المنسوجات الحريرية وعلقوها على الكعبة في مدينة مكة وقد اعتنت علماء الاسلام بشرحها وذلك لما فيها من النصاحة والبلاغة والصناعة الشعرية ومن تأمل في قصيدة عنترة بن شداد العسبي التي يقول فيها

اذا بلغ النظام لنا وليد
فمن يقصد بدهية الينا يرى منا جابرة اسودا
ويوم البذل نعطي ما ملكنا ونملا الارض احسانا وجودا

عرف شجاعة العرب ونخوتهم وكرم اخلاقهم وعلو همتهم . ومن اطلع على قصيدة
السموأل التي منها

نعبرنا انا قليل عدبنا فقلت لما ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثيرين ذليل
فتحن كماء المزن ما في نصابنا كهام ولا فينا بعد بجيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
وما خدت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل
واسياقنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول
معودة ان لا نسل نصالها فتعبد حتى يستباح قتيل

استدل ايضا على احوالهم اذا اكثر اشعارهم على هذا النسق

الباب الثالث

في ذكر العرب قبل الاسلام

وكانت مملكة العرب منقسمة الى دول متفرقة وملوك كثيرة العدد ومن
اعظم دولها في ذلك الزمان التابعة ملوك اليمن واول من ملك منهم فحطان
بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح وكان ملكه قبل المسيح بنحو اثني

سنة ثم ملك بعده ابنه يعرب وفي السنة الاولى من ملكه غزا بلاد الحجاز فتغلب عليها واسر عدة من ملوكها وضرب عليهم الخراج ثم فوّض ولاية البلاد الى اخيه جرم ورجع الى بلاده ظافراً منصوراً وكان يعرب مغرباً بالبناء وهو اول من ابتدأ بعارة المدن في اليمن وكانت مدة حكمه ٢٢ سنة ثم ملك بعده ابنه يشجب ثم ابنه عبد شمس الملقب بعسا وكان ملكاً ظافراً منتدراً كثير المغازي والمحروب غزا غزوات كثيرة وافتتح مدناً حصينة وحمل السبايا الى بلاد اليمن وكانوا عدداً كثيراً ولذلك قيل له سبا وهو الذي اغار على بابل وفتحها وفيه يقول الشاعر

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها الى الغرب منها عبد شمس بن يشجب
سعى بالحجاد الاعوجية والفسا الى بابل في مقنبر بعد مقنبر

وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة ثم ملك بعده عدة ملوك لا يعلم لهم اخبار ولا وقائع ولذلك ضربنا عنهم صمّاً واكتفينا بذكر اشهرهم فمنهم الملك شمريرعش وهو في الحقيقة من اعظم ملوك هذه الدولة جلس على سرير المملكة سنة ٨٠٠ ق م كان جباراً منتدراً كثير الغارات والمغازي قصد بلاد الشرق في جيش مؤلف من نحو ثلث مئة الف مقاتل فدخل ارض العراق ثم ارتحل طالباً بلاد الصين وجعل طريقة على بلاد فارس فتغلب عليها وافتتح المدن والحصون ودخل مدينة السند فهدمها وخرّبها ففيل لما بالفارسية شمر كند اي شمر اخربها ثم أعيد بناؤها فبقي عليها ذلك الاسم لكنهم تصرفوا فيه فقالوا سمرقند وفي من المدن المشهورة في تلك البلاد وقد وُجد في بعض قصورها المنهدمة عمود مكتوب عليه بالحميرية هذا ما بناه شمريرعش لسيدة الشمس

ولما استخلص شمريرعش بلاد فارس سار طالباً بلاد الصين فخاف ملكها من خبر قدومه وارنّبك في امره وكان له وزير من اغفل الناس فقال له انا افدي به هذه المملكة بنفسي واكنيك شر هذا الملك وجنوده

فقال قد فوضت هذا الامر اليك فافعل ما تريد فجدع الوزير انفة وسار طالباً الملك شمر برعش وكان بينه وبين المدينة مسافة ست مراحل ولما اشرف عليه ثقل بين يديه واعلمة بنغمه وشكا اليه ظلم الملك وقال قد فعل بي ما ترى على غير حباية نستحق ذلك ونخفت ان يقتلني فخرجت اليك هارباً وارجو ان يكون افتتاح هذه الملكة عن يدي فسر معي وانا ضمين لك بذلك . فاعتز شمر برعش بكلامه وبما رآه من جدع انفة وانقاد له فنهض بجيشه وحار معه الوزير فقادهم في تلك القفار على طريقة غير مستقيمة حتى دخل بهم في فلاتٍ معطشة مهلكة بعيدة عن الماء فاجهدهم العطش وهم يجيئون في طلب الماء ولا يدركونه حتى هلكوا جميعاً وهلك شمر برعش والوزير ايضاً وكانت مدة ملك شمر برعش المذكور سبعاً وثلاثين سنة . وقام بالملك بعده ابنه ابو مالك وبموتة انتقل الملك من ذريته الى ولد اخيه كهلان وتولى منهم جملة ملوك ثم رجع الملك الى ذرية شمر برعش وكان آخر ملوكهم سيف بن ذي يزن الذي استخلص الملكة من ايدي الحبشة بمساعدة الملك كسرى انوشروان بعد ان كانوا قد استولوا عليها نحو سبعين سنة وكان ذلك بعد المسح بخميس مئة وستين سنة

ومن ملوك العرب ايضاً الغساسنة ملوك الشام اصلهم من الين ثم انتقلوا الى نواحي الشام ونزلوا على ماء يقال له غسان فاشتهروا به حتى غلب اسمه عليهم فقيل لهم آل غسان ثم تغلبوا على الشام وتلكوها فكان اول ملوكهم جنة بن عمرو واحرم جيلة بن الالهم وهو الذي بنى مدينة جيلة بين طرابلس واللاذقية وسماها باسمه وكان قد اسلم في زمن عمر بن الخطاب عند افتتاح الشام فسار الى مكة يريد الحج باثنين وخمسين نفراً من اصحابه فلما قرب من المدينة قلد اعناق خيله بقلائد الفضة والذهب ووضع تاجه على راسه ولما بلغ عمر بن الخطاب قدومه التقاه بموكب عظيم ورفع مقامه حتى كان يوم الطواف فبينما جيلة يطوف بالبيت اذ وطئ رجل من بني فزارة طرف ازاره فانخل عنه الازار فغضب جيلة من ذلك ولطم الفزاري لطمه هشم بها انفة

فعلق به الرجل وانطلق الى عمر ودنه بسيل على وجهه وشكا اليه حاله . فقال عمر لجليلة انت في خيرة اما ان يطلبك هذا الرجل كما لطلبة او تتعدي اللطبة منه بالمال فقال جليلة لعمر أ فلا يفضّل عندكم ملك على سوقة قال كلاً بل كلاهما في الحق سواء فغضب جليلة من ذلك وصبر الى الليل فاجتمع بعلات وخرج بهم حتى لحق بالشام ثم سار من هناك الى قيصري واقام عنده فتشعبت اولاده في تلك البلاد وتسموا بالارناوط ومن ملوك العرب ملوك بني كندة الذين منهم امرؤ القيس الشاعر المشهور وهو صاحب المعلنة التي يقول في مطلعها

قفا نبلك من ذكرى حبيب ومثلي بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وهي من افصح كلام العرب واللفظ يذكر فيها بعض قصص اخبار تتعلق بوقائع حاله المخصوصة وقد اشتهرت بين الناس بهذا المقدار حتى ضرب بها المثل دون غيرها فيقولون اشهر من قفا نبلك وذلك لما فيها من التشبيهات المتنوعة والمعاني البديعة المختصرة . وكانت بنو أسد وهي قبيلة من كندة قد قتل اباه في نخبر مشهور فخرج الى قيصري ملك الروم يستعين به ويستنجده على قتال القوم فلم يجده ومات في اثناء الطريق عند رجوعه من القسطنطينية بقرب جبل يقال له عسيب وكان ذلك سنة تسع وثلاثين وخمماية للمسيح

ومن ملوك العرب ايضاً ملوك العراق الذين اولهم مالك بن فهم واخبرهم المنذر بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء الذي جارية خالده بن الوليد واخذ منه مدينة الحيرة وكانت المناذرة يومئذ عمالاً للأكاسرة على عرب العراق كما كانت ملوك غسان عمالاً للقباصرة على عرب الشام . ومن اشهر ملوكهم جذيمة الابرش صعد على سرير المملكة بعد المستنج ثلاثين سنة وكان مسكنه الحيرة وهي بلدة قديمة على ساحل البحر بقرب الكوفة وكانت منزلاً للملوك العراق في تلك الايام . وكان جذيمة المذكور ذا شوكة وبأس وهو اول من اوقد الشع ونصب المجانيق للحرب وجي الاموال وكان بينه وبين عمرو بن الظرب ملك

الجزيرة عداوة عظيمة فاستظهر عليه جذية بعد حروب طويلة وقتله ومكنت
بعده ابنة الزباء واسمها نائلة وكانت تسكن على شاطئ الفرات وقد بنت لها هناك
مدينة وقصراً عظيماً وكانت عاقلة اديبة فاجمعت على اخذ النار من جذية
بايها فارسلت اليه مع احد قوادها تخطبة لنفسها وتقول له انما امرأة لا يليق
بها الملك وانما تريد ان تضيف ملكها الى ملكك قطع في ذلك واستشار
وزرائه في هذا الامر فوافقوه جميعهم الا وزيره قصير بن سعد فانه قال له
ايها الملك لا تفعل ولا تغتر بكلامها وما ارادت بذلك الا لتخدعك وتأخذ بثار
ايها منك فلم يلتفت جذية الى كلامه واستشار ابن اخيه عمرو بن عدي فوافقه
على ذلك فاستخفته على الملكة وركب يومئذ في جماعة من خواصه وسار اليها
ومعه وزيره قصير المذكور فلما اشرف عليها قبضت عليه وقتلته وهرب قصير
حتى اتى عمراً ابن اخت جذية واخبره بما كان وحرصه على اخذ النار

ثم ان قصيراً قطع انفه واذنيه ولحق بالملكة المذكورة ودخل عليها
واخبرها ان عمراً اُتهمه بقتل خاله ففعل به ذلك ولم يزل يخذلها بالكلام
حتى اطمانت له ثم طلب منها ان تاذن له بالاقامة عندها فاذنت له وقدمته
على جميع غلمانها وصارت ترسله الى اليمن والحجاز بال التجارة فيأتي الى عمرو
فيأخذ منه ضعف المال الذي معه ويشترى به الخبز والديباج والزبرجد
والياقوت ويأتي به اليها الى ان تمكن منها وصار عندها بمنزلة عظيمة فسلته
مناجيع الخزانة وقالت له خذ ما احببت منها فاخذ جانباً عظيماً من ما لها واتى
عمراً وقال له قد عملت ما علي وبقي ما عليك قال وما هو قال الرجال
بالصناديق فانتمب عمرو من فرسانه الف رجل والبسم السلاح واتخذ معه
الف صندوق وجعل يسير بهم ولم يزل كذلك حتى اقترب من قصر نائلة
ومدينتها فامر جماعة فتأهبوا بسلاحهم ودخلوا الى الصناديق وقتلوا من
داخل ووضعت الخدام الصناديق على ظهور الجمال وربطوها بالجمال حتى
لا يشك كل من براها انها قافلة ثم سبهم قصير الى المدينة وكان ذلك وقت

العصر ودخل عليها وجياها بالسلام وقال لما قد اتيتك ابنتها الملكة بفجارة عظيمة واموال جسيمة بما لم يات احد قط بمثله فصعدت الى سطوح القصر وجعلت تنظر الى الجبال وهي تدخل المدينة فانكرت مشيها وجعلت تقول

ما للجبال مشيها وثيدا أجنடلاً يحملن ام حديدا

ام صرفاناً بارداً شديداً

فقال قصير في سره بل الرجال جئماً قعوداً

ثم امرت بالصاديق فأدخلت قصرها وقت المساء وقالت اذا كان الغد نظرنا الى ما اتينا به فلما تنصف الليل ففتحت الرجال الصناديق وخرجت وفي ايديها السيوف فجمعوا على القصر وقتلوا جميع من كان فيه من الغلمان والجواري وكان لثلاثة سرداب في ناحية من قصرها قد اعدته لحفوف يحمل بها لتخرج من المدينة وكان قصير يعرفه ووصفه لعمرو فسار اليه فلما احسث بالامر بادرت الى ذلك السرداب وكانت قد رأت عمرواً وهو يطالبها فصتت سماً كان في خانها وماتت من وقتها وساعتها وغمر عمرو المدينة واطافها الى ملكته واتقتل بموت خاله جذيمة المذكور ملك العراق اليه والى ذريته من بعده

وللعرب حروب مشهورة اعظمها حرب البسوس التي هاجت بين بني بكر وتغلب بسبب قتل كليب بن ربيعة سيد القيلتين المذكورين وكان من خبرها ان رجلاً من بني جرم يقال له سعد قصد ديار بني تغلب ونزل على البسوس خالة جساس ابن عم كليب وكان للجري ناقة اسمها سراب فوجدها كليب ترعى ذات يوم في حماء فرماها بسهم فجرحها وجاءت الناقة الى صاحبها مجروحة فصرخ بالويل فلما سمعته البسوس صاحت واذا له لانه نزل بها فاتتصر جساس لمخالبه وقصد كليلاً وهو منفرد في حماء فطعن بالرمح فقتله وهرب ولما شاع امر كليب في القبيلة نهض اخوه المهمل وكان من جبابرة

العرب لهنتم من بني بكر فشمس للحرب واجتمعت اليه فرسان تغلب وجرى بين
 القيسيين عدة وقائع يطول شرحها كان اكثر النصر فيها للمهلل وما زال
 الفتنة بينهما تاخرة حتى انتهى الحال بقتل جساس فعند ذلك كفى المهملل عن
 القتال ورجل الى اليمن ليظفي حجرة الحرب بعد ما كانت قد دامت على قول
 الاكثرين مدة اربعين سنة

ومن حروب العرب ايضا حرب سباق الخيل بين بني عيس وفزارة
 بسبب السباق بين داحس فرس قيس بن زهير سيد بني عيس والعباء فرس
 جذيمة بن بلعد سيد بني فزارة واختلفوا بسبب هذا السباق فثارت الحرب بينهم
 واشتدت وطالت سنين كثيرة ثم اصطلمت عيس وفزارة وانفرد قيس عن بني
 عيس وساج في الارض حتى انتهى الى عمان فتصرب بها ومات

الباب الرابع

في ذكر دول العرب الاسلامية

وسنة ٦٢٢ للمسيح ظهر في مكة محمد بن عبد الله صاحب الشريعة
 الاسلامية فدعا العرب الى الاسلام وعبادة الخالق لانهم كانوا على ضلالي
 يعبدون الاوثان ولا يعرفون الحلال من الحرام ويصرفون اوقاتهم بالحروب
 والغارات ولارتكاب المعاصي فشق عليهم ذلك الامر واستعظموه وجمهروا عليه
 وحاربوه فنصره الله عليهم ففهر جبارهم وفرسانهم وكسر اصنامهم ولوثانهم ثم
 فتح الفتوحات الجلية وتغلب على بلاد العرب

وتولى امر الاسلام بعد محمد ابو بكر الصديق سنة ٦٣٢ بعد الميلاد وكان
 من سادات بني هاشم واشرافها وفي اول خلافته ارتد عدة قبائل من العرب

عن الاسلام واظهروا الخلاف والعصيان فقاتلهم واتصروا عليهم وادخلهم تحت
الطاعة والانقياد ولما تهدت له البلاد العربية شرع في المغازي والتفوحات
فارسل الامير خالد بن الوليد المدعو سيف الله وابا عبيدة بن الجراح في
جيش عظيم لافتح الممالك والبلدان وفي مدة قصيرة افتتح خالد جانباً من
بلاد الحجاز ونقلب ابو عبيدة على اطراف سورية بعد ان كسر جيشاً عرمرماً من
جنود الرومانيين كان قد ارسلها الملك هرقل للدفاع والحماية عن تلك
البلاد واختلف المؤرخون في وفاة ابي بكر فمنهم من قال انه مات مسموماً
وقال آخرون انه اغتسل في يوم شديد البرد فحم خمسة عشر يوماً ولما حضرته
الوفاة عهد بالخلافة الى عمر ثم توفي سنة ثلاث عشرة للهجرة الموافقة لسنة ٦٤٥
هجيرة وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر

وتولى بعده عمر بن الخطاب سنة ٦٤٤ وكان من احسن الناس سيرة
وعدلاً موصوفاً بالزهد والاستقامة بويج بالخلافة يوم وفاة ابي بكر وقال في
اول خطبه يا ايها الناس ما فيكم احد اقوى عندي من الضعيف حتى آخذ
الحق له ولا اضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه وهو اول من سي
امير المؤمنين وكان اول شيء امر به عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش
وولي مكانه ابا عبيدة بن الجراح وكانت همة متجهة الى الغزوات والحروب وفي
ايام خلافته فتح بلاد الحجاز وانهمز كسرى بزرجرد واحرق ملك الاتراك ثم فتح
الشام وبعثك وحب وانطاكية والقدس وجميع مدن فلسطين وانتهى الامر
اخيراً انه افتتح الديار المصرية على يد عمرو بن العاص بعد قتال شديد .
وكن بالاسكندرية مكتبة يونانية شهيرة مشتملة على عدد كبير من الكتب التاريخية
وانواع العلوم والآداب القديمة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب
بذكر هذه المكتبة ويستشير فيها فاجابه عمر ان يخلصها أولاً فان وجد فيها
ما يوافق نص القرآن فلا حاجة بها وان كانت تضاده فاعدامها اولي فلما

العرب لهنتم من بني بكر فشمير للحرب واجتمعت اليه فرسان نغاسه وجرى بين
القبيلتين عدة وقائع يطول شرحها كان اكثر البصر فيها للمهلل وما زال
الفتنة بينهما تاخرة حتى انتهى الحال بقتل جساس فعند ذلك كتب المهملل عن
القتال ورجل الى اليمن ليظفي حمة الحرب بعد ما كانت قد دامت على قول
الاكثرين مدة اربعين سنة

ومن حروب العرب ايضاً حرب سباق الخيل بين بني عيس وفزارة
بسبب السباق بين داحس فرس قيس بن زهير سيد بني عيس والعباء فرس
جذيفة بن بلدر سيد بني فزارة واختلفوا بسبب هذا السباق فثارت الحرب بينهم
واشتدت وطالت دسسين كثيرة ثم اصطلمت عيس وفزارة وانفرد قيس عن بني
عيس وساج في الارض حتى انتهى الى عان فخصر بها ومات

الباب الرابع

في ذكر دول العرب الاسلامية

وسنة ٦٣٢ للمسيح ظهر في مكة محمد بن عبد الله صاحب الشريعة
الاسلامية فدعا العرب الى الاسلام وعبادة الخالق لانهم كانوا على ضلال
يعبدون الاوثان ولا يعرفون الحلال من الحرام ويصرفون اوقاتهم بالحروب
والغارات ولارتكاب المعاصي فشق عليهم ذلك الامر واستعظوه وجمهروا عليه
وحاربوه فنصره الله عليهم ففهر جبارتهم وفرسانهم وكسر اصنامهم ولوثانهم ثم
فتح الفتوحات الجلية وتغلب على بلاد العرب

ونولي امر الاسلام بعد محمد ابو بكر الصديق سنة ٦٣٢ بعد الميلاد وكان
من سادات بني هاشم واشرافها وفي اول خلافته ارتد عدة قبائل من العرب

عن الاسلام وظهروا الخلاف والعصيان فقاتلهم واتصر عليهم وادخلهم تحت الطاعة والافتقار ولما تهدت له البلاد العربية شرع في المغازي والفتوحات فارسل الامير خالد بن الوليد المدعو سيف الله وابا عبيدة بن الجراح في جيش عظيم لانتاح المالك والبلدان وفي مدة قصيرة افتتح خالد جانباً من بلاد العم وتقلب ابو عبيدة على اطراف سورية بعد ان كسر جيشاً عمرمياً من جنود الرومانيين كان قد ارسلها الملك هرقل للدافعة والحماية عن تلك البلاد واختلف المؤرخون في وفاة ابي بكر فتمهم من قال انه مات مسموماً وقال آخرون انه اغتسل في يوم شديد البرد فجم خمسة عشر يوماً ولما حضرته الوفاة عهد بالخلافة الى عمر ثم توفي سنة ثلاث عشرة للهجرة الموافقة لسنة ٦٤٥ مسجية وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر

وتولى بعده عمر بن الخطاب سنة ٦٤٤ وكان من احسن الناس سيرة وعدلاً موصوفاً بالزهد والاستقامة بويع بالخلافة يوم وفاة ابي بكر وقال في اول خطبه يا ايها الناس ما فيكم احد اقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا اضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه وهو اول من سي امير المؤمنين وكان اول شيء امر به عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش وولي مكانه ابا عبيدة بن الجراح وكانت هذه نتيجة الى الغزوات والحروب وفي ايام خلافته فوجت بلاد العم وانهمز كسرى بجزد واحصى بملك الانراك ثم فوجت الشام وبلبك وحب وانطاكية والقدس وجميع مدن فلسطين وانتهى الامر اخيراً انه افتتح الديار المصرية على يد عمرو بن العاص بعد قتال شديد . وكان بالاسكندرية مكتبة يونانية شهيرة مشتملة على عدد كثير من الكتب التاريخية و انواع العلوم والآداب القديمة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب يذكر له هذه المكتبة ويستشير فيها فاجابه عمر ان يخلصها اولاً فان وجد فيها ما يوافق نص القرآن فلا حاجة بها وان كانت تضاده فاعادها اولي فلما

وقف عمرو على هذا الخطاب احرقها بقامها^(١) واستمر عمر بن الخطاب في خلافته الى آخر سنة ٦٤٤ وفيها طعنه رجل يقال له ابولؤلؤة وهو يصلي في المسجد بمخبر في خاصرته ونحت سرتيه وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة اشهر وثمانية ايام

وكان هذا الخليفة بمكان عظيم من العدالة شديد الحرص في حماية الدين وحقوق الخلافة فقال ذات يوم وهو يخاطب على المنبر اياها الناس من راسه منكم في اعوجاجا فليقومه فقام رجل من وسط الجماعة وقال والله لو راينا فيك اعوجاجا لتومناه بسيفونا فقال الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من يقاوم اعوجاج عمر بسيفه

وتولى بعده عثمان بن عفان وفي ايامه امتدت فتوحات الاسلام الى بلاد المغرب وكان قد وقع بين المسلمين اختلاف وانقسام من جهة عثمان وغر أكثر الناس منه حتى كادت تضرم بينهم نيران الحروب وسبب ذلك انه كان قد ولي قوما من افارية واهل بيتو على الملحقات والاقاليم الاسلامية من لا يصلحون للرياسة ولا لهم معرفة في امور السياسة . وكان قد عزل ابا موسى الاشعري احد اعيان الصحابة عن ولاية البصرة وولى عوضا عنه خاله عبد الله بن عامر ثم عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى مكانه عبد الله بن ابي السرح اخا عثمان من الرضاة فهاج اعيان الشعب من جرى ذلك وحقدوا عليه ورفعوا راية الخروج عن طاعته واجتمع به الاشراف والسادات وطلبوا منه ان يعزل لم كاتبة مروان وعبد الله المذكور عن ولاية الديار المصرية فاجابهم الى ذلك باتفاق الامام علي وعزل لم عبد الله عن ولاية مصر وولى

ان هذا الخبر مأخوذ عن مورخين افرنج وعرب منهم الشيخ احمد المبريزي الشهير اذ يقول في المجلد الاول من كتاب تاريخ المخطوط والآثار صفحة ١٥٩ ان حريق مكتبة اسكندرية من عمرو بن العاص كان باشارة من عمر ابن الخطاب ولكن المتأخرين من المورخين انكروا وقوع هذه الحادثة وناقضوها بهراهم وادلة مستطيلة والله اعلم بالحقوقة

عليها محمد بن ابي بكر وكتب له امراً بالولاية فاخذ محمد الامر وتوجه يومئذ الى مصر في نفر من قومه فبينما هم في الطريق اذا بعبد على هجين آتياً من وراءهم وهو مجد في مسيره فقالوا له الى اين انت قاصد قال الى العامل بمصر قالوا هذا عامل مصر يعنون محمد بن ابي بكر قال بل العامل الآخر يعني عبد الله بن ابي السرح ففتشوه فوجدوا معه كتاباً بنحى عثمان يقول له انه اذا جاء محمد بن ابي بكر ومن معه وقالوا بانك مغرول واروك كناني فلا تقبل واحمل في قتلهم وابطل كتابهم واستقر في مأموريتك فلما وقف محمد بن ابي بكر على هذا الكتاب اندش وحرار ورجع في الحال بن معه الى المدينة وجمع اعيان الصحابة ووقفهم على ذلك الخطاب فازداد حنقهم على عثمان ودخلوا عليه وسالوه عنه فاعترف بالحنم وخط كتابه وحلف بالله انه لم يامر بذلك ولا عنده اطلاع هذا الامر فطلبوا منه ان يسلمهم كاتبه مروان لينتقموا منه فابي وامتنع ثم عظمت الفتنة وتحزب الناس واشتهروا السلاح وهجم على داره جمهور من الشعب منهم محمد بن ابي بكر واحاطوا بها وصموا على قتلها وبعد ان حاصروها اياماً قليلة كسروا ابواب القصر ودخلوا عليه وقتلوه سنة ٢٥ من الهجرة وكانت مدة خلافته اثني عشرة سنة الاثني عشر يوماً ومكث ثلاثة ايام ولم يدفن^(١)

ثم جلس بعده على سرير الخلافة علي بن ابي طالب سنة ٦٥٥ ببيع بالخلافة يوم قتل عثمان ولما سالوه البيعة قال لا حاجة لي في امركم فاخاروا لكم رجلاً غيبي ومها اخترتموه رضيت به واكون وزيراً خيراً من ان اكون اميراً فابوا الا مبايعته ثم انهم بايعوه وجعلوه خليفة عليهم . وكان الامام علي من الفرسان المشهورين والابطال الممدودين وهو ابن عم محمد وصهره وزوج ابنته فاطمة وكان قد وقع بسببه بين الاسلام اختلاف ومنازعات من جهة ترتيب الخلافة بعد محمد فاهل السنة يعتبرون ان هذا الترتيب الذي جرى لغاية خلافة الامام علي كان على حق والشيعة يقولون ان علي بن ابي طالب كان الاحق

(١) عن ابي الندا المطوع في الاستانة جلد اول صفحة ١٧٦

بالتقدم في الخلافة وكل فرقة نورد دلائل وبراهين تؤيد مدعاها
وكانت مدة خلافة الامام علي كلها عبارة عن تكميل فتوحات ومغازي
فازدادت احكامه وامدت ولايته بافتتاح ملكة الهم وجميع بلاد مصر والعرب.
وكان كسرى يزددجرد قد نهض لاستدراج بلاده ولكنه لم ينجح بمشروع لان
القبائل والشعوب التي كانت قد تعصبت له خذلته وتركته وبينا كان عازماً
على الهزيمة والفرار خائفة خادمه وقتله . وكانت خلافة علي خمس سنين
الا ثلاثة اشهر وسبب موته انه وثب عليه جماعة من الخوارج فضربه احداهم
بسيف في جبهته فات كما سباني بيان ذلك في ترجمة معاوية بن ابي سفيان
راس الدولة الاموية وتولى بعده ابنه الحسن بن علي بن ابي طالب فحكم نحو
سنة شهو ر ثم جاءت دولة بني أمية

الباب الخامس

في ذكر بني أمية

كان هؤلاء القوم وبني هاشم حياً واحداً ينتمون لجد مناف وهم من اشراف
عرب قريش وساداتها الا ان بني أمية كانوا اكثر عدداً من بني هاشم واوفر
رجالاً وكان لهم قبل الاسلام شرف وفخر فلما مات عثمان بن عفان وهو الخليفة
الثالث من بني هاشم اختلف الناس على خلافة علي بن طالب لانه من آل
هاشم ورجعوا الى امر العصية الطبيعية التي لا تنارق الانسان الا ان عساكر
علي كانت في ذلك الوقت اكثر عدداً لتوطيد كرسي الخلافة فلم يكن سبيلاً
لبني امية او غيرها من طوائف العرب ان تقتصب الخلافة منه ولكن لسبب
كثرة حروب الخارجية مع الانشقاقات والتجزيات الداخلية ضعفت شوكة

بني هاشم فنهض معاوية بن ابي سفيان الاموي في طلب الرئاسة والاخذ بثأر
عثمان بن عفان من علي بن ابي طالب مع ان علياً لم يكن له شركة في قتله
ورفض حتى علي للخلافة فوافقه على ذلك جماعة من الاشراف والاكابر من
جملتهم عمرو بن العاص الذي كان يومئذ عاملاً في مصر وبايعوه بالخلافة
وجرت بين علي ومعاوية وقائع هائلة يطول شرحها قتل فيها الوف كثيرة
من النواد والفرسان واكابر الاعيان ثم عاهدنا واقتربا وكان قد هاج غضب
امة الاسلام وامرائها في مكة وغيرها من البلاد واشتد حنهم بسبب هذه المشاحنة
والفتنة العظيمة وذكروا اصحابهم واخوانهم المتولين وقالوا لو قتلنا اكابر النواد
لارجحنا منهم العباد وانفذنا الامة الاسلامية من هذه البلية فانتهى لهذا العمل
ثلاثة اشخاص وهم عبد الرحمن بن ملجم وعمر بن بكر والبرك بن عبد الله
فقال ابن ملجم انا اكفيكم علياً وقال البرك انا اكفيكم معاوية وقال ابن بكر
انا اكفيكم عمرو بن العاص وتواعدوا لسبع عشرة تمضي من شهر رمضان فقتل
ابن ملجم علياً كما تقدم واما البرك فوثب على معاوية تلك الليلة وضربه بالسيف
فاخطاه فامسكوه فقال لمعاوية اني ابشرك فلا قتلتني قال بماذا فقال رفيقي
قتل علياً هذه الليلة فقال كيف ذلك فاخبره بواقعة الحال فقتله معاوية
واما ابن بكر فجلس تلك الليلة يترقب عمرو بن العاص فلم يخرج من منزله
وبعد موت علي قويت شوكة معاوية وانحطت منزلة الحسن بن علي فخلع
الحسن نفسه من الخلافة خوفاً من العواقب وانتفتت الجباة على يعة معاوية
فبايعوه في منتصف سنة احدى واربعين من الهجرة

ولما استقام الامر لمعاوية وتمكن من سرير الخلافة جعل كرسي ملكه بمدينة
الشام واستحدث احكامه على مصر والحجاز وخرسان وسائر اقطار الاسلام . ثم
نهض لمحاربة الرومانيين وانتاح مدينة القسطنطينية ويقال انه غزاها
خمسة اعوام متتابعة في جموع كالجراد المشر فكان يقصدها في زمن الصيف
ويرجع عنها في فصل الشتاء ولم يتمكن منها . وكان احد اليونانيين يدعو

كلينيكيوس من مدينة هيلوبوليس قد اخترع حراريق نارية مركبة من النفط والقطران والكبريت وجاء بها الى القسطنطينية ومن عجيب خواصها انها كانت اذا اشتعلت لا تطفأ واذا مسست الخشب اشعلته في الحال واعدمته واذا القيت على عسكر اهلكته وفي المرة الاخيرة من هذه الفزوات خسر معاوية جميع مراكبه وجيوشه بواسطة هذه الحراريق واضطر ان يتحول عن المدينة رغماً وقهراً بعد ان عقد صلحاً ونهد للملك القسطنطينية ان يدفع له خراجاً عن ثلاثين سنة . وكانت مدة خلافة معاوية المذكور نحو عشرين سنة ومن افاضل ملوك هذه الدولة عبد الملك بن مروان جلس على سرير الخلافة سنة ٦٩٢ مسيحية وهو اول من ضرب السكة الاسلامية سنة ٧٦ هجرية وبالع في تخليص الذهب والفضة من الفس فكانت الهيرية والحالدية والبوسنية اجود نقود بني امية وكانت مدة حكمه ثلاث عشرة سنة

ثم تولى بعده ابن الوليد بن عبد الملك وهو الذي بنى الجامع الكبير بدمشق المشهور بالجامع الاموي وكان في جانب الجامع كنيسة للنصارى تعرف بكنيسة ماريوحا فهدمها الوليد وادخلها في الجامع . وفي ايام هذا الخليفة امتدت فتوحات الاسلام الى داخل افريقية وتوغلت جيوشها في سهولها وصهاربها واتصلت غزواتها الى جبل الاطلس واخضعت قبائل المغاربة الكاثنة على الشطوط البحرية واستولت على مدنها وقلاعها وادخلت اهلها في الديانة الاسلامية واخافت قلوب الناس بقوة سطوتها وغاراتها . ولما تمهدت لها تلك الديار علفت امارها بافتتاح بلاد الاندلس اي مملكة اسبانيا المجاورة لها وشرعت في الاستعداد للغلب على سواحل اوربا الكاثنة فجهز شطوط افريقية فجدت الجنود وجهزت المراكب وقصدت تلك النواحي والاطراف ولكنها بعد حروب كثيرة ارتدت راجعة الى الوراء بدون فائدة وما زالت تترقب الفرص من وقت الى وقت حتى حدث بعض اضطرابات داخلية في اسبانيا بين ملوكها واشرافها فتمت الباب لدخول الاسلام اليها كما سنين ذلك في تاريخ تلك

الامة لان ذلك من متعلقاتها . اما هنا فنقول بان في اوائل القرن الثامن اذ كان موسى بن نصير عاملاً على بلاد المغرب من طرف الوليد بن عبد الملك والملك رودريك والياً على اسبانيا عبر قوم من اشراف الاسبانيين الى افريقية واتوا موسى وطلبوا منه ان يقيم حرباً على الاندلس ويتقم من ملكها رودريك الذي كان اغتصب تاج الملك بدون حق . فاجابهم موسى الى طلبهم من بعد ما استأذن الوليد في ذلك وارسل طارق بن زياد وهو قائد من قواد العرب بمجهور من الابطال والفرسان لانتاح تلك البلاد فسارهم الى تلك الاطراف ورسا بسفينة تجاه جبل الفخ الذي نسي باسمه ابي جبل طارق الى يومنا هذا . وكان الكونت جوليان احد اشراف اسبانيا من جملة اخصام رودريك وبنا سطوة وصوله فاتحد سراً مع المسلمين وسهل لهم مساعيهم فاستولى طارق على المدينة التي على حافة الجبل المذكور ثم احرق جميع سفنه بالنار ليقطع امل عسكره من الرجوع قبل الغلبة ولا تنصاع فاشتبك حيثئذ القتال بينه وبين الاسبانيين وحدث بينها عدة وقائع بسيطة الى ان دهم ملك اسبانيا بتسعين الف مقاتل فالتحمت الحرب بينهم في مكان يقال له سهل نهر كودالت وذلك يوم الاحد قبل غابة شهر رمضان بيومين سنة ٩٢ للهجرة وكان يوماً مهولاً انتشب فيه القتال عند طلوع الفجر وكانت لوائج الثبات والنشاط تلوح على اوجه الفريقين مع ان عدد الاسبانيين كان اربعة اضعاف عدد العرب وكانت عساكر الاسلام اكثرها من المغاربة فتجلدت وصبرت وقاتلت قتالاً فوق طاقتها فاجتأت عساكر الاسبانيين الى الهرب والفرار بعد ان قتل منها مقتلة عظيمة وغرق ملكها رودريك في النهر ولما بلغ موسى بن نصير خبر هذا الانتصار تجهز بجيش جرار وسار بنفسه الى تلك الديار وجال بمجنوده تجاه مدينة طليطلة التي كانت يومئذ عاصمة المملكة فافتتحها وملكها وما زالت الاسلام تفتح المدن والحصون حتى انها في اقل من خمسين سنة استولت على جميع اقطار اسبانيا وصارت المملكة في قبضة ايديهم لا مشارك لهم فيها ولا

متنازع ما عدا جبال استوريا التي انجا اليها الامير بيلاجيوس اخذ رجال العائلة الملكية مع جمهور عظيم من اتباعه فعضوا فيها واسفلوا بانفسهم . وكان حكم الاسلام متدا من البحر المتوسط الى جبال البرن الواقعة على شاطئ البلاد . ومع كل ذلك لم يكفّر المسلمون بهذه الانتصارات العظيمة بل تقدموا وقطعوا تلك الجبال المذكورة ودخلوا تخوم فرنسا قاصدين ان يمتلكوها ويستولوا على باقي ممالك اوربا فاستعد لقتالهم الملك كارلوس مارتل خوفا من غائلهم والقيام بعسكري عديد بالقرب من مدينة طور وبعد وقائع هائلة من الجنايين ظفر ملك فرنسا بهم وشنت شملهم وقتل منهم على ما ذكر مورخو الافرنج نحو ثلاث مية الف نسمة وانهزم المسلمون ومن ذلك الوقت ضعفت شوكتهم في تلك البلاد ولم يعد يحكمهم ان يثيروا حربا ثانية على تلك الجهات الشمالية . وكانت مدة خلافة الوليد بن عبد الملك تسع سنين وتولى بعده اخوه سليمان ثم غيره وكان آخر خلفاء هذه الدولة مروان بن محمد بن مروان فحكم نحو خمس سنين ومات قتيلا سنة ١٢٣ هجرية الموافقة لسنة ٧٥٠ مسيحية وبموتها ظهرت الدولة العباسية فكان عدد خلفاء هذه الدولة اربعة عشر

الباب السادس

في ذكر الدولة العباسية

وكانت دولة الاسلام دولة واحدة في ايام الخلفاء الاربعة وبني امية من بعدهم لاجتماع عصية العرب ثم ظهر من بعد ذلك امر الشيعة من سلالة العباس عم محمد فادعوا بان لم حقا بالامامة ووافقهم على ذلك حزب كبير من الناس في ايام مروان آخر خلفاء بني امية . فكان الامويون يضعون على

ثياهم اشارة بيضاء والعباسيون علامة سوداء واما الفاطميون الذين ينسبون الى علي وفاطمة فانهم كانوا قد تنازلوا عن حقوقهم في الرياسة والملك والمقصود بالامور الدينية وانعكفوا عليها واشتهروا بالتقوى والصلاح بين الناس وامتازوا عن الحزبين المذكورين بسمات خضراء ولما كثرت الفخربات والانقسامات واشتدت العداوة بين الحزب الاسود والحزب الايض انتهى الامر بمجدوث حرب بين مروان والعباس الملقب بالسفاح الذي هو اول ملوك الدولة العباسية فكانت الدائرة على بني أمية فقتل مروان المذكور ولم يسل من ذرية بني أمية غير رجل واحد يقال له عبد الرحمن هرب الى بلاد الاندلس فترحب به الاهالي واحترموه وتبوا هناك نحت قرطبة سنة ٧٥٦ وتولت ذريته من بعده ما بنوف على ميتين وخمسين سنة . ثم اغضب الخلافة بعدهم بعض امراء المغرب وانحصرت ولايتهم في مقاطعة غرناطة وضعت شوكتهم شيئا فشيئا الى ان انقرضت احكامهم من تلك البلاد سنة ١٤٨١ كما سيأتي الكلام عليهم في تاريخ اسبانيا

وتبوا السفاح سرير الخلافة سنة ٧٥٠ للمسيح وكان رجلاً شجاعاً مهيباً عالي الهمة محبوباً من جميع الناس وكان مسكناً بالحيرة واستمر بالملك الى ان توفي بعد اربعة اعوام من حكمه وتولى بعده اخوه المنصور ابو جعفر وكان رجلاً كريم الاخلاق موصوفاً بالذكاء والفراسة وهو الذي بنى مدينة بغداد خوفاً من ثورة الاعداء عليه بالكوفة فشرع في بنائها وكتب الى بلاد الشام وطبرستان والكوفة والبصرة في طلب الصناع والفعلة واختار جماعة من اهل الامانة والمعرفة بالهندسة ممن يعتمد عليهم لمباشرة هذا العمل فخطها وامر بجفر اسبانيا فاقبمت المدينة وجعلها المنصور دار الخلافة وكانت اول مدينة عظيمة في مملكة الاسلام وكان عدد سكانها على ما قيل نحو مليونين . ومات المنصور سنة ٧٧٥ للمسيح بعد ان حكم مدة عشرين سنة وتولى بعده ابنه المهدي بن المنصور عشر سنين ثم ابنه الهادي بن المهدي وكانت مدة حكمه سنة وثلاثة

اشهر ثم قام بالخلافة بعده اخوه هرون الرشيد بن المهدي جلس على سرير
 الخلافة سنة ٧٨٦ للمسيح وكان هذا الخليفة من اشهر وافضل ملوك هذه الدولة
 عاقلاً مليحاً عالي الهمة موصوفاً بالحلم وحسن التدبير راوياً للاخبار والتواريخ
 يحب الشعر والشعراء وييل الى اهل العلم حتى قيل انه لم يجتمع على باب ملك
 او سلطان من الشعراء والعلماء والندماء ما اجتمع على بابو وكانت دولته من
 اعظم الدول الاسلامية واكثرها وقائع واجملها رونقاً امتدت فيها التجارة
 واتسعت دوائر العلوم والاداب في جميع البلاد وكسبت الكتب التاريخية
 والادبية وترجمت المؤلفات الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية الى العربية
 وتنافس الكتاب في ترجمتها وكتابتها . وفي مدة حكمه كان على فرانسا الملك
 كارلوس الكبير المسي شارلمان وكان بينها مودة والفة وكان الرشيد كثيراً ما
 يكتابة ويهاديه ومن جملة ما اهداه شطرنجاً ثميناً وساعة شمسية من مخترعات
 بلاد الشرق وانواعاً كثيرة من النور التي لا توجد في البلاد الافريقية
 وارسل له ايضاً منافع كثيرة القيامة في القدس مع امر لنوايو ان يعاملوا الزوار
 الذين ياتون لزيارة الاراضي المقدسة احسن معاملة

ومن مناقب هذا الخليفة انه كان انيساً وديعاً الى الغاية غير معجب عن
 اصحاب الدعاوي والحاجات محافظاً على جلب راحة رعاياه وكان يطوف في
 اكثر الليالي متخفياً في اسواق بغداد وشوارعها ليتوقف على احوال الناس
 فاذا رأى احداً منهم مظلوماً اعانه وانصفه قيل ان امرأة دخلت عليه يوماً
 وشكت له عن الاضرار والخسائر التي لحقت بها بمرور جيوشه في اراضيها
 فاجابها الرشيد قائلاً لقد جاء في الحديث الشريف انه من عادة العسكر ان
 يضر بالاراضي عند مرورهم بها للغزو والجهاد فيجب على اصحاب الاملاك ان
 يتحمل اضرارهم وتقوم بخدمتهم فقالت له على النور وقد قيل ايضاً ان الملوك
 التي تسمع بظلم رعيها تجلب خراباً على ملكها فاستحسن الرشيد خطابها وامر
 الخازن ان يدفع لها من بيت المال اضعاف خسائرها . وكان الرشيد قد

استوزر بجي بن خالد البرمكي عند جلوسه على تخت المملكة وكان بجي قبل
الخلافة كاتباً ونائبه فنهض باعباء الدولة اتم نهوض واظهر رونق الخلافة وكان
كاتباً بليغاً اديباً ليبيّاً موصوفاً بالجد والكرم وفيه يقول القائل

لا تراني مصافحاً كف بجي اني ان فعلت ضيعت مالي
لو يس الخيل راحة بجي لستت نفسه يذل النوال

وكان ولده جعفر والفضل ابنا بجي من كرماء الناس وكان الرشيد يميل الى
جعفر اكثر من اخيه الفضل لسهولة اخلاقه وفصاحة لسانه فجملة وزيراً ثانياً
بعد ابيه بجي وقدمه على جميع خواصه وعظماؤه حتى انه كان يستشيرُه في جميع
اموره واحواله ولا يفعل شيئاً الا باطلاعه ورايه

قبل صنع الرشيد وليمة عظيمة ذات يوم وزخرف مجالسه واحضر ابا
العنابية الشاعر وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعم هذه الدنيا فقال
الشاعر

عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور
فقال الرشيد احسنت ثم ماذا فقال
يسعى عليك بما اشتهيت لدى الروح ابو البكور
فقال حسن ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تنعمت في ظل حشيرة الصدور
فهناك تعلم موقناً ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال جعفر بن بجي لابي العنابية ارسل اليك الخليفة لتسرّه
فاحرته فقال الرشيد دعه فانه رانا في سروره ونعيم عظيم فكره ان يزيدنا منه
وكان الرشيد يحب جعفرًا حباً عظيماً ومن فرط حبه له زوجه باخوة العباسية
بشرط ان لا يقع بينه وبينها ما يقع بين الرجال والنساء وذكر المورخون ان
هذه الزيجة كانت لرفع الحجاب بين جعفر في حضرة الرشيد على المائدة .
ويقال ان جعفرًا قد خان الرشيد وتزوج بها سرا وكانت كثير من

حماديه ومبغضيه قد وشوه الى الخليفة وذكره بالتبعية حتى سقته ونفر منه ثم قتله بعد ذلك وقبض على ابيه واخوته وابله وكانوا خمسين نفراً فحبسهم وهلم واستوزر بعد جعفر الفضل بن الربيع ولكنه ندم اخيراً على ما فعل

وكان الرشيد مع كل هذه الاوصاف والمتنقبات شجاعاً وباس لا يبالي بالمخاطر والاموال ويقال انه لم يصر في ثمان حروب حضرها بنفسه وقاتل فيها قتالاً حسناً . وكان قد ارسل رافع بن الميث حكمداراً على اعمال خراسان فبوصوله اليها خلع الطاعة واطهر العصيان ولم يكتف بذلك بل اغار على مدينة سمرقند وافتحمها وقتل عاملها وملكها فلما بلغ الرشيد هذا الخبر ساءه جداً وخرج الى قتاله وعند وصوله الى مدينة طوس من اعمال خراسان مرض مرضاً شديداً ولم يزد عليه الحال التفت الى وزيره الفضل وقال

احبت دناء ما كنت اخشى دنوه رمتني عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحوماً وكنت محسداً فصبأ على مكروه مر العواقب
سأبكي على الحب الذي كان بيننا ولندب ايام السرور الدوام
ثم مات ودفن هناك وكانت وفاته سنة ٨٠٤ للمسيح وتولى بعده ابنة الامين وما يحكى عنه انه كان ضعيف الراي منهكاً باللذات والملاهي مدمناً الخمر مشتغلاً بولائه ومسرته غير ملتفت الى امور الخلافة وكان قد وقع بيعة وبين اخيه المملون قسمة وحداوة فغضب مع الممامون كثير من المساكين وقواد الجيوش وجرى بين الاخوين حروب ووقائع بطول شرحها قتل فيها الامين وكانت مدة حكمه نحو اربع سنين وتولى بعده اخوه الممامون فكان رجالاً شجاعاً حبيباً موصوفاً بالحداقة والادب متعلقاً بمجيب الاخلاق مشغولاً بطاعة التواريق والسير وكان له مشاركة في كثير من العلوم والفنون ولا سيما في علم الافلاك والنجوم وكان ديانة مشعوذاً بالعلماء والفمراء وارباب الانشاء ويقال انه عند جلوسه على سرير الخلافة جمع مكتبة عظيمة من الكتب اليونانية الفينة وامر بترجمتها الى اللغة العربية من جلها كتاب اقليدس في فن الهندسة لامتداد

المعترف بين الناس حتى فاق على اميه وامتاز في انتشار الفوائد والآداب وكان مع هذه الاوصاف والصفات من ارباب الغزو والفتوحات هو الذي غزا بلاد صقلية في اوروبا وتغلب عليها وافتتح جزيرة كريت وغيرها من مدائن الشرق التي كانت تحت تسلط الرومانيين واستمر بالخلافة نحو عشرين سنة الى ان توفي وقام بالخلافة بعده المعتصم بالله فاستقدم في بابه نحو خمسين الف نفر من الاتراك الثغرية لمحافظة الثغور والحدود الاسلامية وكانوا يزددون في العدد والقوة يوماً بعد يوم الى ان قويت شوكتهم وصار يخشون من باسهم وسطونهم وصاروا على نمادي الايام اصحاب النهي والامر فكانوا يقتلون ويولون من شاموا من الولاة والعامل حتى لم يعد للخليفة في ايامهم من الحكم الا مجرد الخطبة والاسم وجميع الامور في ايديهم كما كانت في ايدي المالك في الديار المصرية واستمر الحال على مثل ذلك الى ايام المعتضد بالله سنة ٨٩٢ للمسيح حينما وقعت الفاسد والفتن في الدولة العباسية وضعفت شوكتها بعد ذلك العز والافتقار وما زالت في انحطاط ومقوطة حتى تضعفت اركانها واخذل عند نظامها وتفتتت اكثر املاكها ولم يبق لملوكها من الولايات والمخنفات غير بغداد واطرافها وتغلب عمالها على اكثر اقطارها فخلعوا الطاعة واغضبوا الاحكام بطريق العدي والعدوان وصاروا دولاً متفرقة وولاة متعددة فكانت خراسان وما وراء النهر لابن سامان وذريته وبلاد البحرين للقرامطة واليمن لابن طباطبا واصبهان وفارس لبني بويه والاهواز واسط لمعز الدولة وحلب لسيف الدولة وديار مصر لاحمد بن طولون وغيره من الدول والملوك الذين تغلبوا عليها ايضاً واستقلوا باحكامها في ازمته مختلفة كالاخشيديين والفاطميين والابويين والمالك الجراكسة كما سيأتي الكلام على دولهم وملوكهم مفصلاً في ذكر تاريخ مصر

وما زالت احوال الدولة العباسية في انقسام واختلال الى ان ظهرت الدولة السلجوقية وكانت مساكن اهلها فيما وراء نهر الفرات في مكان يبعد عن بخارا مسافة عشرين فرسخاً وكانوا شعوباً كثيرة وطوائف عديدة وهم قوم من

جناديه ومبغضيه قد وشوه الى الخليفة وذكره بالبيع حتى مئته ونفر منه ثم قتله بعد ذلك وقبض على ابيه واخوته واهله وكانوا خمسين نفراً فحبسهم وعلمهم واستوزر بعد جعفر الفضل بن الربيع ولكنه ندم اخيراً على ما فعل

وكان الرشيد مع كل هذه الاوصاف والمناقب ذا شجاعة وبأس لا يبالي بالمخاطر والاموال ويقال انه لم يمتص في ثمان حروب حضرها بنفسه وقاتل فيها قتالاً حسناً . وكان قد ارسل رافع بن الميث حكاماً على اعمال خراسان فبوصوله اليها خلع الطاعة واظهر العصيان ولم يكنف بذلك بل اغار على مدينة سمرقند واقتحمها وقتل عاملها وملكها فلما بلغ الرشيد هذا الخبر ساء جداً وخرج الى قتاله وعند وصوله الى مدينة طوس من اعمال خراسان مرض مرضاً شديداً ولما زاد عليه الحال التفت الى وزيره الفضل وقال

احبب دنيا ما كنت اخشى دنوه رمتني عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحوماً وكنت محسداً فصبأ على مكروه من العواقب
سابكي على الحب الذي كان بيننا ولندب ايام السرور الذواهب
ثم مات ودفن هناك وكانت وفاته سنة ٨٠٩ للمسيح ونولى بعده ابنه الامين وما يحكى عنه انه كان ضعيف الراي منهكاً بالذات والملاهي مدمناً الخمر مشتغلاً بولائه ومسرته غير ملتفت الى امور الخلافة وكان قد وقع بيعة وبين اخيه الملمون قتلة وحياة فغزب مع الممامون كثير من العساكر وقواد الجيوش وجرى بين الاخوين حروب وقائع بطول شرحها قتل فيها الامين وكانت مدة حكمه نحو اربع سنين ونولى بعده اخوه الممامون فكان رجالاً شجاعاً حبيباً موصوفاً بالحذافة والادب متقلداً مجيبل الاخلاق مشفقاً بطالعة التواريخ والسير وكان له مشاركة في كثير من العلوم والفنون ولا سيما في علم الافلاك والتجوم وكان ديناً مشغوفاً بالعلماء والفقراء وارباب الانشاء ويقال انه عند جلوسه على سرير الخلافة جمع مكتبة عظيمة من الكتب اليونانية المنيذة وامر بترجمتها الى اللغة العربية من جلها كتاب اقليدس في فن الهندسة لامتداد

المعروف بين الناس حتى فاق على ابيه وامتاز في انتشار الفوائد والآداب وكان مع هذه الاوصاف والصفات من ارباب الغزو والفتوحات فهو الذي غزا بلاد صقلية في اوروبا ونقلب عليها وافتتح جزيرة كريت وغيرها من مدائن الشرق التي كانت تحت تسلط الرومانيين واستمر بالخلافة نحو عشرين سنة الى ان توفي وقام بالخلافة بعده المعتصم بالله فاستقدم في بابه نحو خمسين الف نفر من الاتراك الثرية لمحافظة الثغور والحدود الاسلامية وكانوا يزددون في العدد والقوة يوماً بعد يوم الى ان قويت شوكتهم وصار يجيش من باسهم وسطونهم وصاروا على تمادي الايام اصحاب النهي والامر فكانوا يقتلون ويولون من شاموا من الولاة والعمال حتى لم يعد للخليفة في ايامهم من الحكم الا مجرد الخطبة والاسم وجميع الامور في ايديهم كما كانت في ايدي المالك في الديار المصرية واستمر الحال على مثل ذلك الى ايام المعتضد بالله سنة ٨٩٢ للمسيح حينما وقعت المفاسد والفتن في الدولة العباسية وضعفت شوكتها بعد ذلك الغز والافتقار وما زالت في انحطاط ومفروط حتى تضعفت اركانها واخذل عند نظامها وتضعت اكثر املاكها ولم يبق للملكها من الولايات والمخنفات غير بغداد واطرافها ونقلب عمالها على اكثر اقطارها فحملوا الطاعة واغصبوا الاحكام بطريق العدي والعدوان وصاروا دولة متفرقة وولاة متعددة فكانت خراسان وما وراء النهر لابن سامان وذريته وبلاد البحرين للترامطة واليمن لابن طباطبا واصبهان وفارس لبني بويه والاهواز واسط لمعز الدولة وحلب لسيف الدولة وديار مصر لاحد بن طولون وغيره من الدول والملوك الذين تغلبوا عليها ايضاً واستقلوا باحكامها في ازمة مختلفة كالاخشيديين والفاطميين والابويين والمالك الجراكسة كما سيأتي الكلام على دولهم وملوكهم مفصلاً في ذكر تاريخ مصر

وما زالت احوال الدولة العباسية في انقسام واختلال الى ان ظهرت الدولة السلجوقية وكانت مساكن اهلها فيما وراء نهر الفرات في مكان يبعد عن بخارا مسافة عشرين فرسخاً وكانوا شعوباً كثيرة وطوائف عديدة وهم قوم من

جنس الاثراك القنرية وتلقبوا بالسجوقية نسبة الى جدم سجوق من بلاد تركستان ولما عظم شأنهم واشتهر بين الناس حالم قصدوا بلاد خراسان بمجيش جزار سنة ١٠٢٧ مسيحية تحت راية طغر بك حفيد سجوق وهو اول سلاطينهم وجرت لهم مع ولاية خراسان حروب يطول شرحها فاخضعوا الدولة الغزنوية التي كانت قصبها مدينة غزنة ابي افغانستان ثم تغلبوا على خوارزم وطبرستان وغيرها من ممالك الشرق وخلاصة الامر انهم استظفروا على كثير من البلاد ثم امتلكوا نيسابور احدى قواعد خراسان واتسع لهم الملك واقتسموا البلاد ثم ملكوا بغداد والعراق سنة ١٠٥٧ في زمن خلافة القائم بامر الله ولكنهم لم يتعرضوا له بسوء وبعد هذه الفتوحات دعا طغر بك نفسه امير الامراء وتزوج ابنة الخليفة المذكور وجعله نائباً له في بغداد كباقي العمال والنواب ثم توفي طغر بك سنة ١٠٦٢ وقام بالسلطنة من بعده ابن اخيه الب ارسلان وهو اسم تركي معناه شجاع اسد فاخضع بلاداً كثيرة ثم قام بعده ابنه ملك شاه ابن الب ارسلان ففتح الولايات والاقاليم واتسعت عليه المملكة وملك ما لم يملكه احد من ملوك الاسلام فامتدت مملكته من شطوط بلاد الصين الى نواحي القسطنطينية وخطب له على جميع منابر الاسلام . وكان للملك شاه المذكور ابن عم يدعى سليمان وهو الذي اسس ولاية قونية السجوقية سنة ١٠٧٨ التي دعيتم عاصمتها بعد ذلك بمدينة نيقية وكانت هذه الولاية تتضمن كل بلاد اسيا الصغرى تقريباً مع كيليكيا وارمينيا وكانت يومئذ حلب والشام وانطاكية والموصل جميعها ولايات لسجوقية مستقلة . وفي ايام هذه الدولة جاءت طوائف الافرنج الصليبية الى الاراضي المقدسة وكانت اكثر حروبهم ووقائعهم مع هذه الدولة . وسنة ١١٧١ تغلبت الدولة الايوبية الكردية على الاقطار المصرية والشامية ثم بعد ذلك بعشرين سنة نهض احد خانات خراسان بمجوش كثيرة واستخلص جميع المالك السجوقية فانقضت واضمحلت وكانت مدة ايامها نحو ١٥٦ سنة وذلك من سنة ١٠٢٨ الى سنة ١١٩٤ وفي زمانها كانت الخلافة باقية في بغداد تتعالي

الامور الدينية فقط ولم يكن لها ادنى سطوة في الامور السياسية
وعند نهاية احكام الدولة المذكورة ظهر جنكيزخان الشهير وهو من
قبائل المغول فاضع كل البلاد الاسلامية ومن ذريته قام هولاكو ملك
التتر وزحف بما يقرب من الف مقاتل الى العراق ففتح بلاد الري واصهبان وهذان
واستولى عليهما ثم قصد مدينة بغداد سنة ١٢٥٨ فحاصرها وانتهجها وقتل المستعصم
بن المستنصر وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد وامر بنهب المدينة فخرج
النساء والصبيان يستغيثون به فداستهم العساكر وماتوا جميعاً وكانت مصيبة
عظيمة على المسلمين لم يسمع بمثله قط ويقال ان الذي احصى ذلك اليوم من
القتلى الف الف وست مئة الف نسمة وان يكن هذا النفل من مبالغه المورخين
الا قدمين فلا اقل من كونهم يفيد ان الخسارة كانت جسيمة جداً ونهبت
عساكر التتر من قصور الخلفاء وخزائنها اموالاً وذخائر لا تعد ولا تحصى والقوا
جميع كتب العلم في نهر دجلة وكانت عدداً عظيماً واتفل منصب الخلافة
ببغداد من بني العباس الى ملوك التتر من ذلك اليوم وكان عدد من تولى
من العباسيين مدينة بغداد من يوم بويغ للسفاح الى ان قتل المستعصم سبعة
وثلاثين واستولى التتر بعد ذلك على سائر الممالك الاسلامية وبحكمهم انقضت
العائلة العربية الملكية واستمرت الحكومة بايديهم الى نحو سنة ١٢٥٠ مسيحية
حين جاءت دولة الاتراك من آل عثمان فترعت من ايديهم المملكة واستولت
عليها شيئاً فشيئاً حتى اخضعت بلاد العراق واستولت على الشام والحجاز واليمن
ومصر والمغرب واسيا الصغرى وبعض اطراف اوروبا كما سيأتي بيان ذلك
في محاور ان شاء الله تعالى وما زالت البلاد باقية تحت تصرفها وخاضعة
لقوانينها واحكامها الى هذا اليوم

جدول الدول الاسلامية العربية واسماء ملوكها وتواريخ احكامها
من ابداء ظهور الاسلام

اسم الخليفة	تاريخ التملك بعد المسح	تاريخ التملك بعد الهجرة
الخلفاء الراشدون في مكة		
ابوبكر الصديق	٦٣٢	١١
عمر بن الخطاب	٦٣٤	١٢
عثمان بن عفان	٦٤٤	٢٤
علي بن ابي طالب	٦٥٥	٢٧
الحسن بن علي بن ابي طالب	٦٦١	٤٢
معاوية بن ابي سفيان	٦٦١	٤٢
يزيد بن معاوية بن ابي سفيان	٦٨٠	٦١
معاوية بن يزيد	٦٨٣	٦٤
مروان	٦٨٤	٦٥
عبد الملك بن مروان	٦٨٥	٦٦
الوليد بن يزيد	٧٠٥	٨٧
سليمان بن عبد الملك	٧١٥	٩٧
عمر بن عبد العزيز	٧١٧	٩٩
يزيد بن عبد الملك	٧٢٠	١٠٢
هشام بن عبد الملك	٧٢٤	١٠٦
الوليد بن يزيد	٧٤٣	١٢٦
يزيد بن الوليد	٧٤٤	١٢٧
ابراهيم بن الوليد	٧٤٤	١٢٧
مروان بن محمد بن مروان	٧٤٤	١٢٧
بنو أمية قاعدة ملوك الشام		

جدول الدول الإسلامية العربية واتعاء ملوكها وتواريخ أحكامها
من ابتداء ظهور الإسلام

تاريخ الملك بعد الهجرة	تاريخ الملك بعد المسيح	اسم الخليفة
١٢٢	٧٥٠	العباس الملقب بالسفاح
١٢٧	٧٥٤	ابو جعفر المنصور
١٥٩	٧٧٥	المهدي
١٦٩	٧٨٥	المهدي بن المهدي
١٧٠	٧٨٦	هرون الرشيد
١٩٤	٨٠٩	الأمين
١٩٨	٨١٢	المأمون
٢١٨	٨٢٢	المعتصم بالله
٢٢٨	٨٤٢	المعتز بالله
٢٢٢	٨٤٧	المعتز على الله
٢٤٧	٨٦١	المستنصر بالله
٢٤٨	٨٦٢	المستعين بالله
٢٥٢	٨٦٦	المعتز بالله
٢٥٦	٨٦٩	المهتدي بالله
٢٥٧	٨٧٠	المعتز بالله
٢٧٩	٨٩٢	المعتز بالله
٢٩٠	٩٠٢	المعتز بالله
٢٩٦	٩٠٨	المعتز بالله
٢٢٠	٩٢٢	القاهر بالله
٢٢٢	٩٢٤	الراضي بالله

بنو العباس قاعدة ملوك بغداد

جدول الدول الاسلامية العربية واسماء ملوكها وتواريخ احكامها من ابتداء ظهور الاسلام

اسم الخليفة	تاريخ التملك بعد الهجرة	تاريخ التملك بعد المسيح
المتقي بالله	٢٢٩	٩٤٠
المستكني بالله	٢٣٣	٩٤٤
المطيع لله	٢٣٥	٩٤٦
الطائع لله	٢٦٤	٩٧٤
القادر بالله	٢٨١	٩٩١
القائم بامر الله	٤٢٣	١٠٢١
المتقدي بالله	٤٦٨	١٠٧٥
المستظهر بالله	٤٨٧	١٠٩٤
المسترشد بالله	٥١٢	١١١٨
الراشد	٥٢٠	١١٢٥
المتقني امر الله	٥٢١	١١٢٦
المستنجد بالله	٥٥٥	١١٦٠
المستضي بنور الله	٥٦٦	١١٧٠
الناصر لدين الله	٥٧٦	١١٨٠
الظاهر بالله	٦٢٢	١٢٢٥
المستنصر بالله	٦٢٢	١٢٢٦
المستعصم بالله	٦٤١	١٢٤٢
الى	الى	الى
	٦٥٧	١٢٥٨

تابع في العبار

خلفاء الفاطميين في مصر			خلفاء قرطبة في الاندلس		
اسم الخليفة	هجري	مسيحي	اسم الخليفة	هجري	مسيحي
عبد الله	٢٩٧	٩٠٩	عبد الرحمن	١٢٩	٧٥٦
القائم ابو القاسم (١)	٢٣٥	٩٢٦	هشام	١٧١	٧٨٧
المصور	٢٣٤	٩٤٥	الحكم	١٨٠	٧٩٦
المعز لدين الله	٢٤٢	٩٥٢	عبد الرحمن	٢٠٧	٨٢٢
العزير بالله ابي النصر	٢٦٥	٩٧٥	محمد	٢٢٨	٨٥٢
الحاكم بامر الله	٢٨٦	٩٩٦	المنذر	٢٧٢	٨٨٥
الظاهر لاعزاز دين الله	٤١٢	١٠٢١	عبد الله	٢٧٦	٨٨٩
المستنصر بالله	٤٢٨	١٠٢٦	عبد الرحمن	٢٠٠	٩١٢
المستعلي بالله	٤٨٧	١٠٩٤	الحكم	٢٥٠	٩٦١
الأمير باحكام الله	٤٩٥	١١٠١	هشام	٢٦٦	٩٧٦
المحافظ لدين الله	٥٢٥	١١٣٠	محمد المهدي	٢٩٧	١٠٠٦
الظافر باعداء الله	٥٤٤	١١٤٩	سليمان المستعين	٢٤٠	١٠٠٩
الفاتر بنصر الله	٥٥٠	١١٥٥	محمد المهدي ثانية	٢٤١	١٠١٠
العاقد لدين الله	٥٥٥	١١٦٠	هشام من جديد	٢٤٣	١٠١٢
	الى	الى	حمود العلوي	٢٤٦	١٠١٥
	٥٦٧	١١٧١	القاسم	٢٤٨	١٠١٧
			يحيى	٢٤٩	١٠١٨
			هشام	٢٤٨	١٠٢٧
(١) هؤلاء الثلاثة استقلوا			الى الى		
باحكام بلاد الغرب					١٠٢١
قبل افتتاح الديار					٤٢٢
المصرية					

الفصل الثامن

في تلريخ سورية

الباب الاول

في جغرافية سورية وسكانها الاولين

هذه البلاد بمجدها شمالاً اسيا الصغرى وشرقاً نهر الفرات وبلاد العرب وجنوباً فلسطين وقسم من بلاد العرب وغرباً بحر الروم وانقسمت قديماً الى قسمين سورية وفلسطين ولكن عند استيلاء الرومانيين عليها مدة يمنية قبل المسيح اطلقوا على القسمين اسم سورية ولما افتتحها المسلمون سنة ٦٣٢ للمسيح لقبوها ببلاد الشام. وكانت تدعى في سالف الازمنة باسماء مختلفة منها ارض كنعان نسبة الى كنعان بكر حام بن نوح التي انتسبت البلاد بين اولاده الاخذ عشر بعد التليل ثم دعيت بعد ذلك ارض اسرائيل نسبة الى بني اسرائيل الذين امتلكوها واستقلوا بها وطردها الكنعانيين منها. ثم قيل لها ايضاً الاراضي المقدسة لان الله عز وجل اتقيا واصطفاها لشعبه وخصها لعبادته ولا سيما ان المسيح ظهر فيها بالجسد وفيها تم عمل الفداء فحق لها ان تدعى بهذا الاسم وكان يقال لها ايضاً ارض الميعاد بالنظر الى وعد الله لابراهيم انه سيعطياهاها ولنسله من بعده. ولا يخفى ان هذه الالقاب المذكورة لم تكن تنسب وتطلق على جميع بلاد سورية بل اخصت بالجهات الجنوبية فقط واما الجهات الشمالية فكانت مسكناً للفينيقيين وفي ايام ابراهيم والآباء الاولين كانت فلسطين منسوبة بين قبائل وافخاذ

من طوائف الكنعانيين فكان القينيون والقينيون والقدمونيون يسكنون الاراضي الشرقية من نهر الاردن وكان الحويون والفريزيون واليبوسيون والاموريون يسكنون غربي النهر في الاماكن الجنوبية المرتفعة واما الكنعانيون الاصليون فكانت مواضعهم في اواسط البلاد وفي محدودة من شاطئ البحر الى نهر الاردن وكانت مساكن الجرجاشيين واقعة على شرقي بحيرة جنيسارت المعروفة الآن بحيرة طبرية واما الحويون والجبلون فكانوا يسكنون نجاة الشمال بين ربوع لبنان الجنوبية

وفي ايام موسى عندما قارب الاسرائيليون الدخول الى ارض كنعان لم يكن حدث تغيير يذكر بين القبائل القاطنة يومئذ في الجهات الغربية من نهر الاردن غير انه كان شرقي النهر ثلاثة منازل لم تكن معروفة قبلاً وهي ارض باشان الواقعة في الشمال شرقي بحيرة طبرية ثم ارض جلعاد في الوسط ثم ارض مواب في الجنوب شرقي بحر الميت اي بحر لوط . وبعد استيلاء الاسرائيليين على تلك البلاد اقتسموها فيما بينهم بالقرعة فكان سهم سبط يهوذا وبنيامين وشمعون ودان واقفاً في الاراضي الجنوبية التي سميت بعد ذلك باليهودية نسبة الى ملكة يهوذا عتصا انقضاها عن العشرة الاسباط وكان سهم افرايم ونصف سبط منسى ويساكر ممثلاً في الاراضي المتوسطة المعروفة بالسامرة وسهم زبولون ونفثالي واشير في الاراضي الشمالية التي يقال لها الجليل واما راويين وجاد ونصف سبط منسى الثاني فكانت منازلهم في عبر الاردن في ارض باشان وجلعاد التي عرفت فيما بعد باسم يبرية

اما الاراضي الواقعة على شواطئ البحر فسكنها الفلسطينيين والقينيون والمويون والعونيون والمدبانيون والادوميون والعاليقيون واما الفلسطينيين مع انهم كانوا قاطنين في سوريا في ايام الآباء القدماء فليسوا بكنعانيين بل نزلاء غرباء والمرجح ان اصلهم من مصر جاءوا الى هذه البلاد وقاتلوا الحويين فتغلبوا عليهم وطردهم وسكنوا مكانهم وامتدت منازلهم من مدينة يافا الى غزة

وبقيت البلاد في ايديهم عدة قرون وكانوا اشداء لباس وانجهم قوتهم دائماً لمصادمة بني اسرائيل بعد دخولهم الى ارض كنعان وكثيراً ما حاربهم . واما الفينيقيون فمع انهم من بني كنعان لم يحاربهم بنو اسرائيل وكانت ايامهم معهم في صلح وسلام واذ اشتهر هؤلاء القوم في الازمنة القديمة بالتجارة والغنى وشدة لباس وتقدموا في انواع الفنون والصنائع على غيرهم من الناس ولا سيما ان تاريخهم هو من التواريخ المهمة قد افردنا لهم فصلاً مخصوصاً لاجل زيادة المعرفة في اخبارهم وتفاصيل احوالهم . واما بنو مواب وبنو عمون فهم من ذرية ابني لوط ابن اخي ابراهيم سكنوا الاراضي المجاورة شرقي الاردن بعد ما طردوا اهلها منها وكانوا من القوم الجبابرة العتاة . واما المديانيون فهم من ذرية مديان بن ابراهيم الرابع من زوجته الثانية قطورة وكانوا مجاورين للمايين ومعهدين معهم في حروبهم ومغازيهم وقد انفرد منهم جماعة وسكنوا شرقي البحر الاحمر وعندهم اخبأ موسى عند ما هرب من مصر . واما الادوميون فهم من نسل آدوم او عيسو بن اسحق اخي يعقوب وكانت منازلهم في جبال سعير الممتدة على شرقي وادي عربة بين بحر لوط وخليج عيلان وعند سبي اليهود الى بابل اتى الادوميون وسكنوا في الجهات الجنوبية الشمالية من اليهودية ومن ذلك الوقت تسمت تلك الاماكن ادومية اي بلاد الادوميين . واما العالقة فهم من نسل عماليق بن حام وكانت مواطنهم في الاودية التي في اسفل جبل سيناءم اتفلقوا منها وسكنوا في حدود فلسطين الجنوبية وكانوا من اشد الناس عداوة لبني اسرائيل ولم معهم جملة وقائع وحروب وبداولة الايام تمكن بنو اسرائيل منهم وبددوا شملهم واطفأوا خبرهم . فجميع هذه القبائل المقدم ذكرها انقرض اكثرها في زمن الاسرائيليين وبعضها اندرس بعد سبي اليهود الاخير

الباب الثاني

في الدولة السلوقدية ومن خلفها الى هذه الايام

وبعد توفي الاسكندر دخلت سورية تحت حكم سلوقس وهو اول ملوك الدولة السلوقدية واحد قواد جيوش الاسكندر الاربعة الذين اقتسموا بينهم كل البلاد التي اخضعها سيدهم ورئيسهم . فتحكم سلوقس عقب وفاة الاسكندر على بلاد مادي وبابلونيا ثم طرد من تلك البلاد سنة ٢١٥ ق م بواسطة مقاومة اتيغونوس احد القواد الاربعة الذي كان سهمة في اسيا الصغرى ضرب الى مصر مستعصماً ببطليموس فاعانة على محاربة اتيغونوس واتصر عليه في موقعة عظيمة جرت بينهما في غزة سنة ٢١٢ ثم رجع الى بابلونيا فقبلته الاهالي بفرح وسرور ثم ضم الى ولايتي ولاية اشور ومادي فصار ملكاً على الولايات الثلاث ولما قويت شوكة اخضع بلاد فارس وكل اسيا العليا وسار من هناك الى الهند لاجل استخلاص البلاد التي كان قد تغلب عليها الاسكندر فالتقاء ملكها ساندروكونوس بست مئة الف مقاتل وعدد كبير من الافياء ولكنه لم يقع بينها حرب لان ملك الهند كان قد خاف سطوته فعقد معه صلحاً فحتم خمس مئة فيل اعطاه اياها حتى انصب عنه وعند رجوعه الى بلاده جهز جيشاً عظيماً وسار بنفسه الى قتال اتيغونوس المذكور سنة ٢٠١ ق م فانتصر عليه وقتله وازاد مملكته الى بلاده وكان من جملة ولاياتها سورية وفرجيية وارمينية وما بين النهرين ومدينة انطاكية وهو الذي دعاها بهذا الاسم تذكراً واعتباراً لابي الذي كان اسمه انطيوخوس وجعلها كرسي مملكته ويقال ان سلوقس كان متزوجاً بابة ديمتر بوس بوليوكريت احد

ملوك اسيا الصغرى وكانت جميلة المنظر فاحبها انطيوخوس ابنه وتعلق بها تعلقاً شديداً حتى مرض ولزم الفراش وكان الطبيب يتعجب من عدم تقدمه للصحة مع كل المعالجة التي كان يستعملها له فلما وقف اخيراً على حقيقة الخبر اعلم اباه سلوقس بواقعة الحال وان مرض ابنه ناتج من شدة غرامه بابنة ديمتريوس المذكورة فمن فرط محبته بابنه تنازل له عن زوجته وزوجه بها ومن ملوك الدولة السلوقدية انطيوخوس الثالث او الكبير الذي غزا الديار المصرية واسر ملكها واساء كثيراً الى اليهود في اورشليم وجوارها لسبب تمنعهم عن ان يذبحوا للاصنام فقتل منهم عدداً كثيراً . وقام اخيراً بين اليهود رجالان من المكابيين وهما متانياس ويهوذا نجاريا جيوش انطيوخوس وكسره واستغلاً بانفسهما على مملكة اليهودية ولما اتصل الخبر بانطيوخوس امتشاط غضباً وبما كان زاحقاً على اورشليم ليعتم من اليهود وقع عن مركبته فمات وهذه هي المدة التي فيها كانت سورية في ازهى واهى روتق لانها بعد ذلك ضعفت شوكتها وانحطت منزلتها وصارت ملحقه بغيرها وكثيراً ما تفرعت وانقسمت . واستمرت تحت احكام الدولة السلوقدية الى سنة ٦٤ ق م حين لقي الرومانيون واحتولوا عليها الى نحو سنة ٦٣٨ للمسيح ثم اقتحمها المسلمون ومن ثم صارت مركزاً للخلفاء الدولة الاموية التي جعلت تحت كرسىها في مدينة الشام ثم انتقلت من بعدهم الى الخلفاء من بني العباس واستمرت تحت قبضة احكامهم الى سنة ٨٣٣ حين دخلت تحت تسلط بني طولون الذين كانوا حكاماً في مصر من طرف الدولة العباسية واستقلوا فيها مدة وبقيت تابعة لهم الى سنة ٩٠٥ حين اقبلت الدولة الطولونية عن تحتها وقامت مكانها الدولة الفاطمية فصارت سورية من حلة ملحقاتها وتوابعها الى سنة ١٠٧٨ حين جاءت الدولة المملوكية التركية وتغلبت على البلاد العربية الشامية الى سنة ١١٤٠ وفي مدة الدولة المملوكية انت طوائف الافرنج المعروفة بالصليبية وذلك سنة ١٠٩١ وطردها المسلمين من بعض جهات البلاد واستولوا على انطاكية والقدس وصور وطرابلس

أما المسلم وحلب مع باقي البلاد الداخلة خاضعت في أيدي المسلمين
وفي مدة إقامة الصليبيين في الديار الشامية كنست خروبهم مع المسلمين
معصلة بدون انقطاع ولا انفصال نارة تؤخذ منهم القدس والبلاد المجاورة لها
وتلقة يسترجعونها كما سيأتي بيان ذلك منفصلاً في الكلام على الحروب الصليبية
إلى أن طردوا أخيراً سنة ١٢١٠ في زمن دولة المماليك فصارت سورية من
ذلك الوقت تابعة لدولة مصر وبقيت خاضعة لأحكامها إلى سنة ١٥٠٠ حينما
انتهى ثور تلك المغولي الشهير ثم رجعت بعد ذلك إلى سيطرة دولة المماليك
للمصرية واستمرت في أيديهم إلى سنة ١٥١٧ حين أتى السلطان سليم الأول
من بني عثمان فاستخلصها منهم ونزع أحكامهم ومن ذلك الوقت صارت سورية
تابعة للدولة العثمانية ما خلا بعض مدائن وجيزة حين تظاهرت فيها العصاة
نارة في زمن الأمير فخر الدين المعني سنة ١٦٢٥ ونارة في زمن أحمد باشا
الجزار البشناقي المشهور في الظلم والعدوان الذي ذاقته الناس في مدة حكمه
٢٨ سنة عذاباً شديداً

وسنة ١٧٩٩ أتى الفرنسيون من مصر لفتح الديار الشامية تحت
قيادة الجنرال نابليون بونابارت فاستولوا على غزة وعسقلون وبيانا وغيرها
ثم وصلوا إلى عكا فحاصروها مدة فقاومهم أحمد باشا الجزار براً والادميرال
سرولم مدني سميت الانكليزي مجراً فانصرفوا عنها بعد أن كلدوا يملكونها
ثم في سنة ١٨٢١ إلى إبراهيم باشا قائد الجيوش المصرية في زمن السلطان
محمود وحاصر عكا التي كنست يومئذ مركز الولاية الشامية وانتهى بعد ما
حاصرها ثمانية أشهر وقبض على واليها عبد الله باشا وأرسله إلى مصر وشرع
في تحصينها وتحصين باقي المدن الشامية وما زالت تحت تصرف أحكامهم إلى
سنة ١٨٤٠ حين استرجعها الدولة العلية بمساعدة أنكلترا وغيرها من الدول
الاجنبية ولم تنزل إلى الآن باقية تحت تسلطها
وفي سنة ١٨٦٠ اصطلت نار الفتنة في جبل لبنان بين النصارى

والدروز فامتد شرارها الى مدينة دمشق وهاج جهلة المسلمين على المسيحيين القاطنين بينهم فقتلوا منهم على ما قيل ما بنوف على الالنين ونهبوا بيوتهم وسلبوا امتعتهم فكانت مذبحة هائلة وربما كانوا افنؤهم عن اخرهم لولا توسط الامير عبد القادر الجزائري الذي ارسل رجالة الى كل شارع وزقاق وخلص كثيرين واثى بهم الى مترو افواجاً افواجاً فكان ذلك داعياً للثناء عليه من كل لسان على الارض . وكان الوالي يومئذ في الشام فلم يلتفت الى توقيف الهياج كانه راض بما حدث فجازته الدولة بالقتل عند قدوم فواد باشا للتحقيق وجرث المصايين بتعويض ما فقدوه واحسنت ببناء البيوت المهذومة وارجعت الراحة في وقت وجيز . واما فتنة الجبل فقد ذكرت عند ذكر لبنان

الباب الثالث

في شعوب سورية ومدنها الشهيرة مع ذكر الملكة زينب المعروفة عند اليونان واللاتين بزينوبيا وشي من اخبار لبنان

اما شعوب سورية فهي ممتزجة من اجناس كثيرة بعصر ناصيلها والمرجح انهم من نسل مختلط اي عربي وتري وتري وفارسي ولوروي والادبان فيها كثيرة فانه ما عدا المذاهب النصرانية ومذهب الحكومة فيها حملة طوائف فلما توجد او تعرف في باقي ما لك العالم كالدروز والمناولة والنصيرية والاماعيلية والسمرة . وفيها ايضا قبائل كثيرة من عرب البادية شرقي سورية وجنوبها الذين الى الآن مع كونهم من تبعه الدولة العلية لا يزالون يهدين عن الطاعة

والانقياد وكثيراً ما يتظاهرون بالتمرد والعصيان ولما يوجد بينهم أمن وسلام وهم جموعٌ وقبائل كثيرة متفرقة لو صار الانقياد الى اخضاعهم ومهديهم لنشأ عن ذلك فوائد عظيمة للسلطنة لانه فضلاً عن تقدمهم بالمعرفة والتدين ونجاح البلاد بالمكاسب والغنى تزداد الملكة قوةً وسطوةً اذ يمكنها عند الحاجة ان تقيم منهم نحو ثلاث مئة الف مقاتل يرسم المحافظة والحماية

ومن مدن هذه البلاد مدينة انطاكية وهي من اشهر واعظم مدنها القديمة بناها سلوقوس سنة ٢٠٠ ق م وفيها ولد لوقا الانجيلي وبها تسمت النصارى مسيحيين اولاً ومن مدنها ايضاً دمشق وهي قديمة من عهد ابراهيم سكنها ملوك غسان وفي سنة ١٤ للهجرة افتتحها عمر بن الخطاب تحت قيادة خالد بن الوليد ونقل بنو امية تحت الخلافة اليها سنة ٦٣٤ مسيحية وقد تكرر ذكرها في التوراة في جملة اماكن تحت اسم ارام . وفي هذه المدينة كان اهنداء بولس العجيب الى الديانة المسيحية وفيها كانت تصنع قديماً الاسلحة الفاخرة المشهورة كالسيوف والحراب والخنجر وغيرها واما الآن فقد فقدت منها هذه الصناعة لان تيمور لنك نقل الى بخارا جميع صناعات هذه المهن والصنائع ولم يزل لها شهرة الى الآن في نسيج بعض الاقمشة الحريرية وفي شغل الصدف الملعب على الخشب المعروف بعرق اللولو

ومنها تدمر والافرنج يسمونها بالبراي محل النخل . قبل بناها الملك سليمان بن داود وقد انكر بعضهم صحة هذا الخبر مستشهدين بكلام المورخ يوسيفوس حيث يقول ان سليمان مد حدود مملكته الى اماكن بعيدة واخذ تدمر وحصنها بالاسوار وسماها تدمر فلول لم تكن تدمر حينئذ مدينة كبيرة متجربة لما هم سليمان امتلاكها . ومع ان هذه المدينة قد اندرست وليس لها وجود الآن فان خربها وآثارها القديمة تدل على عظمتها السالفة . ومن ملوك تدمر اوديناتوس زوج زنوبيا الشهيرة فاته في اول امره كان مساعداً لسابور ملك الفرس عند استفتاحه بلاد سورية سنة ٢٥٦ للميلاد ولكنه اتحد اخيراً

مع الرومانيين وسعى في طرده من البلاد . فلما وقع الامبراطور فاليريان في ايدي الفرس طلب اودينانوس ان يعقد صلحا مع سابور فلم يعجب طلبه ودعاه سابور خائناً فاغناظ اودينانوس من ذلك وخرج على سابور وجاربه وقهره على شطوط الفرات ثم استظهر ايضاً على بعض قواد الرومانيين الذين كانوا قد جاھروا بعصيان ضد السلطنة في ايام الامبراطور غلينوس ونكس مشروعاتهم . فلاجل مكافاته على تلك الصداقة لثبه غلينوس رئيس كل الولايات الشرقية ولكن لم يقبل اودينانوس ذلك اللقب والزم الامبراطور ان يقر له بالشراكة في السلطنة فجعله شريكاً له سنة ٢٦٤ وبعد ثلاث سنين توفي قتيلاً .

وبعد موت اودينانوس نبأت تحت الملك زوجته زنوبيا وانفردت بزمام الاحكام وجمدت كثيراً من القصور والابنية العظيمة حتى صارت مدينة تدمر في ايامها جنة من جنان الدنيا وامتدت حدود ملكتها من ساحل بلاد صور والشام الى نهر الفرات والعراق وكانت قوة الجبان نادرة الزمان تخطب على الصاكرين والابطال وتخصر معهم الى ساحة الحرب والقتال فقويت شوكتها واشهرت صولها ودعت نفسها ملكة الشرق ولما بلغ مسامع اورليان قيصر ان مملكة تدمر كادت تنوق ملكة عظيمة وغنى داخله الحمد فاخذ يستعد لمحاربتها وحضر الى الشام بجيش جرار وكانت هي ايضاً قد زحفت بجيوشها لقتاله فاتشبت بينهما نار الحرب بقرب انطاكية فانتصر عليها نصرة عظيمة ثم صدعها مرة اخرى بالقرب من مدينة حص فائتت راجعة الى تدمر فتبعها الى هناك وضيق عليها الحصار ومنع عنها الامداد وبعد عدة وقائع افتخ المدينة عنوة وياسر زنوبيا واخضعها الى رومية وهوضها عن ملكها قصرأ عظيماً واقام لها نفقة لتعيش بها مدة حياها

وكن اورليان لما فتح تدمر سنة ٢٧٢ للهجرة قد ترك فيها عدداً قليلاً من الصاكر برسم المحافظة فقتلهم الاممالي ولما اتصل باورليان هذا الخبر شق عليه

فعاد راجعاً الى تدمر وقتل أهلها ونهب المدينة ثم ربما بعد ذلك بمدة قصيرة ولكنهما لم ترجع قط الى روتنها وبهاثها الاول ومن ذلك الوقت اخذت في الانحطاط شيئاً فشيئاً حتى انه لم يبقَ في هذه الايام من تلك المدينة العظيمة سوى رسوم دارسة واطلال بالية وبعض اكواخٍ حقيرة مكان تلك الحصون الشاهقة والمراح والقصور المبهجة المزخرفة والمزينة باجمل اعمال البشر

ومن مدن سورية ايضاً مدينة بعلبك التي كانت تدعى هليوبوليس اي مدينة الشمس وكانت من اعظم الابنية القديمة ولا سيما هيكلها الكبير الذي بناه انطونيوس بيوس احد قياصرة رومية سنة ١٤٥ بعد المسيح وكان قد حوَّله الملك قسطنطين الى كنيسة مسيحية وقد بقي روتنه وبهجته زمناً طويلاً واما في هذه الايام فلم يبقَ الا خرابه وبعض اعمدة عظيمة مجصبة لا يقدر على اقامه مثلها من الملوك الا من كان صاحب ثروة وباس . ثم استولى على بعلبك ابو عبيدة بن الجراح احد قواد عمر بن الخطاب ثم افتتحها نيمورلنك سنة ١٤٠١ وفي سنة ١٧٥٩ حدث زلزلة عظيمة هدمت الجانب الاعظم منها . ومنها مدينة حلب الفخياء وهي قديمة العهد مبنية في برية خالية من الاشجار يأتي ماؤها من مكانٍ شمالي المدينة يبعد نحو ثلاث ساعات ويكثر في غياضها شجر النستق ومن ابنيها المشهورة قصر قدّم يقال له سراية بني جنبلاط كانت لاسلاف المشايخ بني جنبلاط الذين هم من اعيان مناصب جبل لبنان وقد هدمت الزلازل اماكن كثيرة من هذه المدينة وقتلت اناساً كثيرين ولا سيما الزلزلة التي حدثت سنة ١٨٢٢ فانه قد مات بها نحو عشرين الف نفس

ومنها يروت احدى مدن فينيقية الذي ولد فيها ساخنونباتون المورخ الشهير صاحب المؤلفات في ديانة الفينيقيين والمصريين والرسائل النافعة في الطبيعيات وغيرها وقد ترجم بعضها الى اللغة اليونانية في القرن الثاني بعد المسيح ولم يبقَ منها الا بعض حواشي وقطع طبعت على حداثها سنة ١٨٢٦ وقد ظن البعض ان هذا المورخ كان معاصراً للكلية سيماميس وقال آخرون

انه كان في عهد موسى ومنهم من جعله قبل المسيح بالف ومائتين سنة وقبل
ست مئة فقط . وما يُعرف من اميريوت انه وقت تلك الرومانيين البلاد
الشرقية قصدها جماعة منهم وسكنوها في زمن الملك اوغسطس قيصر الذي
اعطاهما كل حقوق المدن الرومانية الاصلية وسماها جوليا فيلكس على اسم ابنته
وفي الجيل الثالث بعد المسيح اشتهر فيها مدرسة لعلم الفقه فكانت تأتي اليها
التلاميذ من مصر وبلاد اليونان ولقيت يومئذ بمدينة العلماء . وقد تناول هذه
المدينة كل من استولى على فينيقية من الاشوريين والفرس واليونان والرومان
والمسلمين . وفيها بعض اثار تدل على قدميتها وقد دخلت في القرون المتأخرة
تحت ايدي الامراء التنوخية والامراء بني معن والامراء بني شهاب ولم فيها
ابنية تعرف باسمهم الى الآن

واما جبل لبنان الممتد من شرقي طرابلس الى مرج ابن عامر فكانت
سكانه قديماً على حسب نص الكتاب المقدس من طوائف الحويين والجلبيين
ثم خصه يشوع بن نون لسبط اشير من بني اسرائيل ولكنه لم يتيسر لم ان
يملكوا منه الا جانباً فقط وكانت بعض اقاليمه في مدة حكم اليهود تحت نسط
الفينيين الذين كانوا ياتون منه بمخشب الارز والسر وغير ذلك ويتاجرون
فيها . وقد تناول هذا الجبل قديماً اسم كثيرة لم تزل اثارهم فيه الى هذا اليوم
فانه وجد في بعض قرى جبل الشوف صنم مصري وصنم اشوري ونقود ضرب
الدولة السلوقدية ونقود رومانية وعربية . ويوجد متفوشاً على صخور نهر الكلب
بعض الفاييل والكتابات تدل على غلبة المصريين القدماء وولاية الاشوريين
ويوجد ايضاً في دير القلعة وغير جهات رسوم واثار رومانية واعمد وقنوات
عظيمة دالة على الامم الذين استولوا عليه . وكان لاهالي هذا الجبل شوكة
قوية في اوائل النصرانية حتى انهم كانوا يجردون قياصرة الروم وسنة ٦٩٤
للمسيح ارسل الامبراطور يوستينيان اثنين من قواده مع جيش عظيم لنصاص
اللبنايين لانه كان قد طلب امدادهم في حروبه ببلاد الغرب فلم يجذوه

فجاربوا جيشه وكسروه وقتلوا قواده فسموا مردة وهم امراء المردة وكانت بداية ولايتهم تحت هذا اللقب من سنة ٦٠٠ للمسيح وسنة ٨٢٠ اقبل الامير تنوخ الملقب بالمنذر من اطراف بلاد العرب في قبيلة تنوخ وهي اسم لثلاث قبائل من نصارى العرب وتوطن بعشائره في نواحي لبنان الحالية من السكان وبنوا فيها القرى وسكنوها وكان الامير تنوخ يحكم فيما بينهم وبنوه من بعده الى سنة ١٦٢٣ حين انقضت السلالة التنوخية . وسنة ١١٢٠ كان قد جاء الامير معن الابوي مع عشيرته الى الشوف ونزل في صحراء بعقلين واطهر مودة عظيمة لآل تنوخ امراء العرب وانفرد بولايات الشوف واستمر اميراً وحاكماً مدة ٢٠ سنة الى ان مات وهو جد الامراء المعنية واليه ينسبون واستمرت احكام الشوف في ايدي الامراء من بني معن الى ان انقطعت سلالتهم سنة ١٦٩٧ وكان آخر من تولى منهم الامير احمد . ثم تولى من بعده الامراء آل شهاب وكانوا جميعهم يتفادون الى طاعة وزراء الدولة العلية المتنصين على ايامه صيدا وكان الوزير يولي منهم من يشاء وهم يولون ويعزلون على القطاعات والاقاليم من شاءوا مع المشايخ والامراء . والشهابيون هم من شرفاء العرب وينسبون الى بني قريش كانوا قد حضروا قديماً الى هذه الديار وسكنوا وادبى اليم فتنصر بعض كبارهم واخذوا مركزاً في لبنان

ومن افاضل حكام لبنان الذين انصفوا بالادارة والسياسة الامير بشير الشهابي كان رجلاً مهيباً فطناً تناول ولاية لبنان من ابن عمه الامير يوسف وهو في سن الثانية والعشرين وكان السبب في انقيايه حاكماً سوء تصرف الامير يوسف المذكور وظلمه في البلاد على ما قيل واستمر الامير بشير في ولايته الى سنة ١٨٤٠ حين استولت الدولة العلية على سورية فخرج من البلاد مع من يلود به الى جزيرة مالطة وذلك لسبب عدم تسليمه عند ما دعوهُ الى التسليم ثم توجه الى القسطنطينية وتوفي هناك وتولى مكانه الامير بشير قاسم وكان المذكور لا يعتبر مناصب البلاد ولا يحسب حسابهم ويقال انه كان يسمى

الادب في مجالسهم ويتفق بكلام تكملة اساعهم فكرهم واضمر والة السوء
فمحاصروا في دير القبر وفي تحت المحصار الى ان حضر السيد عبد الفتاح اغا
حماده بامر المشير في يروت واخرجه من دير القبر وحضره الى يروت
ومن هناك اقرضت احكام الامراء الشهابيين في جبل لبنان. واذ كانت الفتنة
قد اتسعت بين الدروز والنصارى في تلك الايام قسمت الدولة العلية احكام
البلاد الى شطرين فاقامت قائمقاماً نصرانياً على النصارى في القسم الشمالي
وقائمقاماً درزياً على الدروز في القسم الجنوبي

وسنة ١٨٦٠ تعاضلت الفتنة وكثر الفساد بين النصارى والدروز في
لبنان حتى آل الامر لوقوع حرب اهلية بين الطرفين وكانت النتيجة ردية على
النصارى بسبب اختلافهم وعدم انضمامهم وانقيادهم بعضهم مع بعض فتكت بهم
الدروز في مذبحي حاصيا وراثيا الواقعين في ٢٠ و ٢١ ايار من السنة
المذكورة ثم في حصار زحلة ونكة دير القبر التي قتل فيها نحو ٦٠٠ شخص
ذبح اليد وهم محصورون في دار الحكومة حيث كانوا النجوى لصيانة انفسهم فكثر
الويل وعظم الشر وتقاطر الناس الى يروت فارسل الباب العالي هواد باشا
ليهد الامور ويتم من المذنبين وارسلت فرنسا باختيار الدولة العلية ورضائها
عشرة الاف جندي للمحافظة ومنع التعدي عند الاقتضاء وكذلك باقي الدول
الاوروبية منها من ارسل مراكب حربية ومنها من ارسل نوأيا لاصلاح الحال
ونجهد الامور وبعد اجراء ما يلزم اجراءه من التحقيق وفي كثير من منشاخ
الدروز الى بفراد وغير اماكن لاجل اشتراكهم في تلك الفتنة اتخضت الدولة
باتفاق الدول على وضع نظمات جديدة لهذا الجبل وهي ان تعول احكامه
الى ادارة محلية لا يكون لولاة سورية دخل بها تحت مناظرة مشير من الطائفة
النصرانية من غير اهالي الجبل ليكون متصرفا به ويشاور راسا الباب العالي
فتوجهت المتصرفية لهذة دولتلو داود باشا الارمني فاقام باموريتو حتى التيام
واستمر بالولاية ست سنين وفي مدة احكامه حدثت الفتنة الكرمية نسبة الى

يوسف بك كرم الذي قبل انه رئيسها ومثيرها واستمرت نحو اثني عشر شهراً ولكنه اضطر أخيراً ان يخضع ويسلم نفسه بواسطة فرانسوا وانتهى به الحال بنفيه من البلاد. وبعد قيام داود باشا من لبنان حضر مكانه صاحب الدولة نصري فرانتو باشا سنة ١٨٦٩ فتولى زمام لبنان وقام باعباء الاحكام كما يجب وفي اوائل سنة ١٨٧٢ توفي وتنصب عوضاً عنه دوللو رسم باشا وهو ايطالي الاصل مشهود له في حسن السياسة والاستقامة فحكم الجبل عشر سنين واستراح الاهلون في كل مدة حكمه ثم خلفه صاحب الدولة واصه باشا سنة ١٨٨٤ وهو المتصرف الحالي

الفصل التاسع

في تاريخ فينيقية

الباب الاول

في اصل الفينيقيين وعوائدهم واديانهم واكتشافاتهم

انه لا يعلم بالتحقيق اصل هذا الشعب غير انه من نحو اربعة الاف سنة اخذت سواحل بحر الروم نهر يسكن جاورا اليها من بلاد الشرق ولكن

من اين جاءوا وكما كان عددهم ومن هم السكان الذين كانوا قبلهم لا نعرف من ذلك شيئاً ولا نعلم ايضاً حقيقة الاسم الذي عرفوا به في الاصل ولكننا نعلم انهم اشتغلوا بنحو الفتي سنة في هذه السواحل وبنوا فيها المدن والحصون وفاقوا من سواهم في الفنون والصنائع وانفردوا بالشوكة والبأس وصاروا من اشهر القبائل وشاع ذكرهم في اقطار العالم

ولقبوا بالكنعانيين نسبة الى كنعان بن حام بن نوح كما يشير الى ذلك التاريخ الموسوي ثم لقبوا بالفينيقيين وهو اسم يوناني غلب عليهم فان لفظه فينيكيس التي نسبوا اليها انما هي اسم الفخ في اللغة اليونانية او بالبحري للتمر وهي تدل في الاصل على اللون لا الجوهر اي على لون اسمر مائل الى الاحمرار كلون ثمر الفخ في بعض احواله وهي ايضاً اسم لرداء ارجواني كان الفينيقيون يلبسونه. وكان الفخ في تلك الايام كثيراً جداً في فينيقية حتى صارت صورة هذه الاشجار رمزاً الى الاهالي والبلاد فكانوا يصورونها على نفودهم. ويقال ان تجارهم اختلفوا كثيراً مع اليونان وحلوا الى بلادهم اثمار الفينيقيين اي الفخ برسم التجارة فغلب عليهم هذا اللقب ثم على بلادهم الى ان اصبح اخيراً يدل على لونهم المائل الى الحمرة. ويظن الاكثرون ان هذا اللون كان لون الفينيقيين الحقيقي وذلك ما يؤيد القول بانهم كانوا من اصل حار او افريقي. وكانوا من اعظم الشعوب تمدناً ومن اشهر قدماء الامم وكان تجارهم من اغنى الناس حتى قيل انهم لغناهم كثرت عندهم الفضة واثقلهم في اسفارهم فكانوا يضعونها في الزنايل ويتخذونها لتعديل المراكب عوضاً عن الرصاص

وهم الذين اخترعوا بناء السفن ولول من سافروا بجرأ وكانت تجارة العالم البحرية في ايديهم. وقد ارسلت ملوكهم جماهير عديدة الى اماكن بعيدة من الارض ليستوطنوها ويعمروها وبذلك انتقلت اثار صنائعهم وامتدت دائرة لغتهم ومعارفهم الى جميع الجهات. وقد اجمع راي الاكثرين على انهم هم الذين اعطوا اليونان والرومان احرف كتابتهم واقدم علومهم. ومن العجب انهم مع

قدمتهم وكثرة فروعهم في جهات مختلفة من العالم قد تلاشوا وانقضوا من
 زمانٍ طويل ولم يبقَ لنا من آثارهم إلا القليل
 أما صنائعهم فكانت متنوعة وكانوا يصيغون كل أنواع الحلى من الذهب
 والفضة وغير ذلك من أنواع النقوش والزينة والمعادن والعاج وينسجون



عشعروت الهة السوريين والفينيقيين

اجتاس الأقمشة فإن الانبيجة الفينيقية كانت ذات شهرة ورواج في كل العالم
 وقيل انهم اول من اخترعوا عمل الزجاج . اما عوائدهم فكانت ذميمة وقبيحة
 فكانوا يحبون الفخمة والترفه ويحتمرون الغرائب . وقد تنبأ الانبياء على صور
 عاصمتهم بالتهديد المهائل والخراب وتم ذلك فيها فيما بعد عند ما كانت في ابع

رونقها واعظم سطوتها واقتدارها . واما ديانتهم فكانت وحشية بربرية ايضاً
كـبعض عوائدهم فكانوا يعبدون الاصنام والمـنحوتات ومن اعظم آلمهم بعل
ويدعى مولوك ايضاً اى اله الشمس . واشهر ما قدموا لهـذا الاله الذبائح
البشرية من الاولاد الصغار فكانوا يطرحونهم احياء على ذراعيه المـجائنين بالنار .



مولوك اله بني عمون عند الفينيقيين

وكان ذلك الاله مصنوعاً من نحاس وله راس عجل مـكـلّ بتاج ملكي
وذراعه ممدودتان كأنه مستعدّ لاحتضان من يقدم له . فكانوا يضرمون تحته
ناراً مهلكة الى ان يحترقوا الولد القبيس المحظ على ذراعيه فلا يلبث ان
يموت لشدة الحرارة فيها لما من قساوة بربرية

الباب الثاني

في ذكر مدائن فينيقية وتخومها وتجارتها وتقدمها ثم انحطاطها
ان التاريخ الموسوي يبين لنا ان صيدون اى صيدا كانت في تلك الايام

أقصى حدود فينيقية شمالاً وغزة أقصى حدودها جنوباً وإن عبالاً كثيرة من
الاهالي الاصليين امتدت في داخلية البلاد الى نواحي فلسطين الجنوبية
وسكنت في جبال اليهودية وفي السهول المجاورة بحيرة لوط والاردن ولم
يزالوا ساكنين في تلك الجهات الى ان طردهم بنو اسرائيل وطردوهم في زمان
يشوع بن نون وتملكوا اراضيهم ولم يعد لهم ذكر بعد ذلك كقبائل ممتلزة . واذ
كان الفلسطينيون قد اخذوا من ايام ابرهيم وربما قبله يزاحون الفينيقيين
المستوطنين في الجهات الجنوبية حتى ازاحوهم عن موطنهم وابعدوهم بالتدريج
نحو الشمال الى دور عند جبل الكرمل كان يلزمنا ان نجل اول حدود
فينيقية الجنوبي من جبل الكرمل واما من جهة الشمال فان موسى لم يذكر الا
صيدون ولكن ذلك لا يحدد تخمهم الشمالي لان صيدون كانت في تلك الايام
عاصمة كل الامة . واما باقي قبائل الفينيقيين الذين كانوا مقيمين شمالي صيدون
فربما كانوا ضعفاء لا يستحقون الذكر الخاص ومن ثم دخلوا تحت اسم صيدون العالم
واما تخوم الفينيقيين الى جهة الشرق وان تكن غير معروفة تماماً فليس
لنا دليل على انها امتدت الى مسافة اكثر من عشرين الى ثلاثين ميلاً عن
شاطئ البحر . فهنا على ذلك تكون الملكة التيبيقة التي اشتهرت بهذا المنيار
قدماً قد انحصرت في رفعة ضيقة من الارض ممتدة من سواحل البحر الى قاعدة
الجبال من جهة الغرب

ففي هذه الرقعة الضيقة بنيت جميع تلك المدائن الشهيرة التي خاضت
سفنها جميع البحار . اعني عسبا واكريب التي يقال لها اليوم الزيب وصور
وصرفند وصيدون ويبروت وجبيل واليتون وعرقا وارواد وجبل وزمرة
وسيف ومدناً اخرى كثيرة قد فقدت اسمائها الاصلية وسميت باسماء يونانية
ورومانية كطرابلس واللاذقية وغيرها واعظم هذه المدائن واقواها ووسعها تجارة
مدينة صور فانها كانت اقواها واغناها وهي وحدها التي نعلم بعض ابناء ملوكها
كحبرام الذي كان بينه وبين الملك داود وولده سليمان عهود ومواصلات .

ولم تكن فينيقية جميعها ملكاً واحداً بل كان لكل مدينة منها ملك خصوصي والمرجح ان الجميع كانوا خاضعين لمجلس واحد عمومي كما هو جارٍ الآن في الاتحاد الالماني على انه لم يكن للملكها سلطة مطلقة نظراً لسطوة اشرافها وكميتها والذي اوصل فينيقية الى هذه الدرجة من التقدم والشهرة اولاً وجودها على شاطئ البحر ووجود مواني متعددة فيها . ثانياً اشتغال الامم المجاورة لها بحروب متصلة بحيث لم يكن لهم فرصة لمزاحمتها في تجارتها . ثالثاً لقلة خصب اراضيها التي لم تكن تكفي عدد سكانها فاضطروا ان يهتموا بامر معيشتهم في الاماكن الخارجة عن بلادهم وكان ذلك موضوعاً لابرارهم وواسطة لغنائم وساعدهم على ذلك احتياج البلاد المجاورة لهم الى ما كان عندهم من انواع اصناف التجارة نظراً لتأخير تمدنهم وهكذا غنيت في مدة وجيزة واغنت مدناً كثيرة حتى لم يبق في مجاورة بحر الروم فرضة او ملكة الا وصل اليها اهل فينيقية وليس ذلك فقط بل امتدوا الى البحر المحيط ودخلوا جبل طارق ووصلوا الى بلاد الانكليز وسبوا ارض القدير بعد ان مروا بايطاليا وفرنسا واسبانيا فانسعت بذلك تجارتهم وكثر غنائمهم ثم امتدوا ايضاً الى البحر الاحمر ونوسعوا مع اهل مصر والخليج العربي واسيا الصغرى حتى الى الهند هذا اذا تذكر الامم المجاورة لهم التي انفادت طبعاً للتجارة معهم . فكانت فلسطين تدمم بالمحاصلات الزراعية مثل اصناف الحبوب والزيت والخمر . وبابل بانواع المنسوجات من القطن والحبر والصوف والكتان . وقرطاجنة بالذهب والفضة وانواع المعادن الثمينة . وبلاد روسيا واليونان بالنحاس وانواع المعادن الثقيلة . وكبدوكيا واسيا الصغرى بالخيول وانواع المواشي . والهند والعرب بانواع الجواهر والآلي والعاج والعطريات والاقاوية والانسيجة الثمينة . والخلاصة انه لم يبق صنف من الاصناف المهددة بتلك الازمنة الا وادخلوها تجارتهم ولا سيما مدينة صور لانها كانت امماً لتلك المدائن واعظمها سطوة وغنى ومجداً فمن المعلوم انه بوجود وسائط كهذه للتقدم والغنى عظمت صور ونمت

وزعت وسميت ام الجبور وكثرت سكانها وشعبها بهذا المقدار حتى ضاقت بها البلاد فاضطر أكثرهم للخروج الى جهات مختلفة وسكنوها وفي مدة قصيرة ظهرت منهم ثلاث مدن وهي اونيك وكاديشة وقرطاجنة . ومن ذلك الحين اخذت تجارة صور تتحول شيئاً فشيئاً الى مدينة قرطاجنة . وما زالت صور بحالة التراجع والنمو الى ان زحف اليها شلمنصر ملك اشور سنة ٧٣٤ ق م فحاصرها مدة خمس سنوات ولم يملكها وما برحت في عظمها وسطوتها الى زمن نبوخذنصر عند ما دم فينيقية سنة ٥٧٢ ق م وفتح جميع مدنها في مدة قصيرة الا مدينة صور فانها ثبتت نحو ثلاث عشرة سنة تحت الحصار ولكنها اخيراً خضعت لعدوها . ثم بعد ذلك استولت الفرس عليها وعلى جميع جهات فينيقية وكان كثيرون من الاهالي يهاجرون من بلادهم ويقصدون قرطاجنة . وما زالت على هذا الحال الى سنة ٢٢٢ ق م حين جاء الاسكندر المكدوني وفتح فينيقية وحاصر صور حصاراً شديداً مدة سبعة اشهر وخرب الجانب الاعظم منها وقتل وباع كثيرين من اهاليها . فمن ذلك الوقت ضعفت شوكتها ولم تعد تقدر على منازعة قرطاجنة من الجهة الواحدة والاسكندرية الناشئة حديثاً من الجهة الاخرى . فاخذ متجربها يتنازل ويتقهروا ويتقل زويداً رويداً الى هاتين المدينتين . وبعد موت الاسكندر اقسم قواده الاربعة ممالك المتسعة فكانت فينيقية تابعة للولاية البطليموسية المصرية ولكنها من ذلك الزمان لم تعد تنمو وما زالت في انحطاط وهبوط من وقت الى آخر حتى وصلت الى الدرجة المعروفة بها الآن ولم يبق من أكثر تلك المدن العظيمة الشان كصور وصيدا وجيل والبنون وغيرها سوى رسوم دارسة وابراج دائرية واسوار منهزمة وقرى خربة من بقايا تلك الامة الشهيرة التي تلاشت وانقرضت فسبحان من يغير ويقلب الاحوال ولا يعتري ملكه تغيير ولا زوال

الفصل العاشر

في الحروب الصليبية

الباب الأول

في منشأ الحروب الصليبية الى نهاية اعمال التجريدة الثانية

ان السبب في اثار تلك الحروب رجل اسمه بطرس الناسك كان متزوجاً وذا اولاد ولكن لاسباب لا يعلمها الا الله ترك عائلته وترهب وانفرد سائحاً متنسكاً وبعد مدة التقى ببعض الزوار كانوا ذاهبين لزيارة الاراضي المقدسة في فلسطين فزار مدينة القدس وهناك اخذته الحمية على ان يسى في استخلاص تلك الاماكن من ايادي المسلمين فبرجوعه الى ايطاليا اجتمع مع البابا اوربانوس الثاني وخاطبه في ذلك باسطة امامته حالة المسيحيين الشقية في الشرق فوافقه البابا على افكاره وعزم في الحال على اتخاذ الوسائط المتضمنة لانتقام هذا المشروع فلما بطرس ان يحول في اقطار البلاد منادياً ومبشراً للشعوب بانقاذ النصارى واستخلاص اورشليم من ايدي المسلمين

فاخذ بطرس يحول من مكان الى آخر منذراً ومحرّكاً قلوب الناس للاشتراك في هذا العمل . فاجتاز من ايطاليا الى فرنسا وإلى أكثر جهات ممالك اوربوا زارها بين الجميع هذه الافكار ومهيأ ايام للهوض والقيام وفي اثناء ذلك عقد البابا اوربانوس عدة مجامع في ايطاليا وفرنسا وطرح فيها هذه المسئلة امام جمهور الحاضرين منهضاً منهم للبادرة والاستعداد

في هذا المشروع. ولاجل ترغيبهم في ذلك وتشجيعهم اشهر انعامات خصوصية لكل من يشترك في هذا الامر. فكانت الانعام الاولى ابطال النواديات القصاصية المفروضة بقوانين ثقيلة على الخطاة الذين بذلواهم الى بلاد فلسطين كانوا يغفون عن ثقل وصرامة قوانين التوبة التي كانوا ملتزمين بممارستها. الانعام الثاني ان المحاربين الصليبيين يغفون من دفع الفوائد. الانعام الثالث ان كل من يصدر منه اغصابات غير عادلة نحو جنود الصليبيين يكون نجس المحرم الكبير الاناثيا. الانعام الرابع ان جميع الصليبيين وافراد عيالهم مع كل نوع من ارزاقهم وامتعهم يكونون نجس حامية الكنيسة الجامعة والرسولين بطرس وبولس. فمنض حينئذ احد الاساقفة وطلب من البابا انه يكون اول من يجاهد في هذا السبيل فسله البابا راية الصليب وتبعه جملة من رؤساء الدين ومن عامة الناس ورسما جميعا على صدورهم صورة الصليب بلون احمر وجعلوا هذه الاشارة على الاسلحة والالوية والرايات والبنود ومن ذلك الوقت سمو صليبيين وحروبهم دعيت الحروب الصليبية

قال بعض المؤرخين اللاتينيين انه في اثناء المتأداة بهذه الحروب ونجهز الناس للدخول فيها ظهرت عدة عجائب في السماء وعلى الارض منها نساقت بعض النجوم من السماء ظهر بانقلاها علامة حمراء دموية في جوانب الافق ومنها ظهور عمود ناري على شكل حربة ذات حددين بقرب الشمس. ومنها انه شوهد في الجو صور مدن وعساكر وخيول واسلحة وفرضان مرسومة بالصلبان ومنها انه كان يرى في مدة ستة ايام متوالية على اثواب المسيحيين صلبان من نور مطبوعة على ملابسهم بطريقة عجيبة بحيث لا يمكن لاحد ان يحسوها بالاماء ولا بالنار. هذه المناظر التي كانت تسمى لم شددت عزائمهم وجعلتهم لا يوقفون عن المعركة وكانوا يعتمدون من يوم الى يوم حتى بلغ عددهم ثلاث مئة الف مقاتل

فبعد ذلك ارتحلوا في اثناء سنة ١٠٩٦ للميلاد ظالين القسطنطينية

وكانوا اجناساً عديدة وفرقاً كثيرة من الايطاليين والفرنساويين والنمساويين وغيرهم من سكان اوروبا . وكان بطرس الناسك المقدم ذكره وهو متوجه بشوية الرهباني قائداً للفرقة الاولى فصار بهم عن طريق المانيا وهونكاريابلفاريا . فكانوا يهبون ويخطفون من سكان المدن والسواحل وهم سائرون فوثب عليهم الاهالي وقتلوا منهم عدداً كثيراً وبعد ان قاسوا اهوالاً شديدة انتهوا الى القسطنطينية وكان ملكها يومئذ يدعى الكسيوس كومنينوس فاذن لهم ان يقيموا في المدينة الى ان يحضر رفقائهم

وقد اصاب الفرقة الثانية ما اصاب الفرقة الاولى في الطريق وقتل منها عدد وافر بسبب تعدياتهم ولكنهم وصلوا اخيراً الى القسطنطينية وانضموا مع البقية فكان عدد من سلم منهم مئة الف مقاتل فتسلم الملك الكسيوس المذكور في مراكبة الى سواحل اسيا ولما انتهوا اليها التقىهم عساكر الاسلام في نواحي نيقية واحاطوا بهم وقتلهم قتلاً شديداً فاستظهروا عليهم وتمكنوا منهم واستولوا على مزارعهم وذخائرهم ولم ينج منهم الا القليل فهكذا كانت نهاية الواقعة الاولى

اما بطرس الناسك فكان قد رجع الى القسطنطينية قبل حدوث هذه المعركة متشككاً من عدم انتظام الصليبيين وعدم طاعتهم وانقيادهم الى روسائهم ولكن لما بلغه هذه الاخبار الهزينة اقسم بانه لا يرجع قط عن عزمه حتى يشاهد حرباً صليبية ثانية

فلما بلغ اهالي اوروبا ما حل باصحابهم من النكال حزوا جداً وتحركت عزائمهم على اخذ الثار وازالة الذل والعار والاستيلاء على تلك الديار فجهز منهم جيش جرار تحت راية غودافروادوك بربانت وبوليون . ورافقه اخوه اوستاس وبودوين وغيرها من القواد المشاهير منهم روبرتس اخو فيلبس ملك فرانساروبرتس دوك نورمنديا وغيرها من الذوات . وساروا قاصدين القسطنطينية واستمروا في طريقهم الى ان وصلوا اليها بعد ان فقد

منهم جانب عظيم بسبب الامراض والجوع وفتك اهالي البلاد التي كانوا يرون فيها . ومن هناك اجازوا الى شطوط اسيا وعند وصولهم الى نيقية التقمهم جيوش الاسلام ووقع بينهم عدة معارك شديدة انتصرت فيها طوائف الافرنج فاستولوا على المدينة ثم تقدموا بجمعهم الى انطاكية فاخضعوها وتلكوها بعد هجمات هائلة ووفائع متعددة ولما دانت لم ولاية تلك الاطراف ملأوها بالجنود والفرسان وزحفوا بباقي ابطالهم الى القدس فحاصروها واستفتحوها سنة ١٠٩٩ للميلاد بعد حروب شديدة وصدمات راثية وجعلوها دار ملكهم

وبعد استيلائهم على اورشليم بثانية ايام نودي باسم غودافرو ملكاً على فتوحات فلسطين الا انه لم يمض عليه اكثر من خمسة عشر يوماً حتى وافاه سلطان مصر بعسكر جرار فالتفاه غودافرو عند عسقلان بجيوش الصليبية فكسره وشتت شمله . ومن ثم اخذ الصليبيون في توسيع دائرة فتوحاتهم فحاصروا جميع المدن الكائنة على الشطوط البحرية وغلبوا عليها كمدية اللاذقية وطرابلس وصيدا وصور وعكا وحيفا وبافا وعسقلان وغيرها فكانت حدود انتصاتهم شمالاً الاسكندرونة وجنوباً ديار مصر ولم يبق في يد الاسلام سوى حمص وحماه والشام وحلب مع بعض القرى المحفيرة

وسنة ١١٠٠ توفي غودافرو المذكور وخلفه اخوه بودوين الاول الذي كان والياً على أرفا فحكم ببسالته ونشاط الى ان ادركته الوفاة سنة ١١١٨ فخلفه ابن عمه بودوين الثاني الذي كان والياً على ولاية أرفا في زمن بودوين الاول واستمر حكمه الى سنة ١١٣١ ثم أسير في حرب مع الاتراك وبقي اسيراً عندهم جملة سنين الى ان انقذه امير أرفا . ثم تولى بعده الامير فولك انجو وهو صهره زوج ابنته فحكم ١٢ سنة ومات بعد سقوطه عن فرسه . ثم خلفه ابنه بودوين الثالث وامتدت ايام ولايته عشرين سنة وفي مدة احكامه ضعفت شوكة الافرنج وقلت سطوتهم واستظهر المسلمون عليهم في حروبهم المتواترة واسترجعوا منهم أرفا وبعض الاماكن الاخرى . فاستغاث بودوين المذكور باهالي اوروبا وطلب

منهم المساعدة والامداد فامدوهُ بمجدة عظيمة تحت قيادة كونراد الثالث ملك جرمانيا ولويس السابع ملك فرانسا سنة ١١٤٧ للمسيح وهذه هي التجربة الثانية

وقبل قدوم ملك فرانسا بايام يسيرة وصل ملك جرمانيا الى فلسطين في حالة يرثي لها اذ كان قد تلف اكثر من نصف جيشه في الطريق بعضهم بالجوع والمرض وبعضهم بالسيف في المعارك التي اثارها عليهم الاعداء في اثناء الطريق فلما بلغ سواحل سورية وافته مواكب الاسلام وفتكت بمساكره فانسحب مع باقي جيشه وبينما كان راجعا التقى بلويس السابع وجنوده الذين وصلوا في حالة احسن من حاله فالتفتهم الانراك في نواحي انطاكية واتشبت بينهم نيران القتال مدة ايام وكانت الدائرة على الملك لويس وجنده فانقلب راجعا ببقية قواده وجيوشه ونزلوا في السفن وساروا الى القدس وانضموا الى العساكر اللاتينية مع بقايا العساكر الجرمانية تحت راية ملكها كونراد المذكور ثم زحفوا الى دمشق الشام بقصد الاسنيلاء عليها املا بانهم متى تمكنوا منها يفوزون بالانتصار التام فتنتهي ثورات اعدائهم المتتابعة ويهدم اركان سطوتهم . وكان الوالي عليها يومئذ قائد جيوشها الامير ايوب مقدم الدولة الايوبية وجدها فلما وصلوا اليها اقاموا عليها الحصار ونصبوا على ابراجها المجانيق والالات ونازلوها مدة طويلة بدون نتيجة ولا فائدة ولما يشعروا من استحصالها انكفوا عنها راجعين فانه كانت اعمال التجربة الثانية

الباب الثاني

ذكر الحوادث والوقائع التي جرت من بداية التجربة الثالثة الى نهاية التجربة التاسعة التي هي ختام الحروب الصليبية فضعت شوكة الصليبيين في فلسطين وتزعزعت دعائم ملكهم بسبب

انكسار العساكر الافرنجية وتشتت شملهم ولكن مع كل ذلك لم يكتفوا عن مواظبة الحروب والغارات وحفظ مراكزهم الى سنة ١١٧٤ حين توفي بودوين الرابع وبعد وفاته نهضت امه سيبلا وتزوجت برجل ذمير الاخلاق قبيح السيرة الا انه كان جميل الصورة وجعلته ملكاً على اورشليم فساء هذا الامر جداً في اعين الامراء ووزراء الدولة الصليبية فنراكم وخلصوا الطاعة واطروا الخلاف والعصيان وكان من حملتهم الكونت ريموند الذي لسبب عدم تحويل تاج الملك اليه دخله الحسد فخان ابناء وطنه وكانت الاعداء سرا منهضاً منهم على الحروب وافتتاح البلاد على ما قيل

ففي اثناء هذه المحوادث والتقلبات الداخلية ظهر عدو آخر للصليبيين وهو صلاح الدين الابوي سلطان مصر وكان شاعراً شجاعاً وبطلاً مقدماً وقد اسس في مصر مملكة جديدة بعد انقراض الدولة الفاطمية فلما كثرت تعديات الافرنج على قوافل المسلمين واهانتهم ايامهم وتهديمهم بافتتاح مكة والمدينة وتنهم عن اعطائهم الترضية اللازمة هاجت حمية الاسلام واشتد حنهم فنهض صلاح الدين من مصر بثمانين الف مقاتل قاصداً فلسطين وجعل طريقة على مدينة طبرية فلما اشرف عليها احاط بها وحاصرها فوافاه ملك القدس بجيوش كثيرة للدفاع والهامة عنها لانها كانت من اهم مراكز البلاد وهناك التقى العسكران والتحم الجيوشان فاجت الارض بالعساكر وكانت معركة دموية هائلة استمر القتال فيها بين الفريقين نحو يومين كاملين وكانت الدائرة على الصليبيين فانقلبوا راجعين على الاعقاب طالبين النجاة بعد ان فقد منهم نحو ثلاثين الف مقاتل ووقع الملك اسيراً مع خواصه واکابر روائه في ايدي المسلمين وعند نهاية الحرب قتل صلاح الدين ٢٣٠ رجلاً من اعيان الافرنج الماسورين وهكذا اصبحت البلاد بدون راس ومدير في قبضة المتصر

وبعد هذه الحادثة نحو ثلاثة اشهر زحف صلاح الدين بجيوشه على مدينة القدس ونازلها ولم يكن فيها سوى الملكة وقليل من الجنود مع نحو ١٠٠ الف

رجل كانوا قد النجوا اليها بسبب الثورة المذكورة واذ لم تستطع الملكة الثبات اكثر من اسبوعين ولا سيما ان افكارها كانت مضطربة من جهة اسر زوجها اضطرت اخيراً الى التسليم تحت شروط معلومة وقع عليها الاتفاق بين الفريقين وهي ان جميع طوائف الافرنج واللاتينيين يخرجون من المدينة ويرحلون بعياهم واثقالهم وتكون لهم الحماية فيصلون آمنين الى سواحل سورية او مصر وان كلاً من الاهالي يعطي صلاح الدين مبلغاً معلوماً فدية عن حياته والذي لا يقدر على ذلك يبقى كعبد واسير . ولكن صلاح الدين اظهر من علو الهمة والكرم والشفقة والرحمة ما لا مزيد عليه لانه كان يرضى من الفقراء والمحتاجين بما تيسر عندهم حتى انه اطلق سبيل ٢٠٠٠ رجل بدون فدية . وعند مقابلته الملكة اظهر من الرقة واللفظ وكرم الاخلاق ما لا يوصف وكان يعزيها بكلامه وهدموه معاً ويوزع الاحسان على اراذل واطفام القتل وسخ للتوليد على المستشفيات ان يبقوا في المدينة سنة اخرى لملاحظة المرضى والعاجزين والاعناء بهم وكان حدوث ذلك سنة ١١٨٢ للميلاد

فخرج المنفيون من اورشليم وكانوا تائهين في اراضي سورية يلتمسون لانفسهم المعونة والمساعدة وكثيراً ما كانوا يطردون من نفس اخوتهم المسيحيين بتوبيخات مرّة . وقد توجه اناس من هؤلاء المنكودي الحظ الى القطر المصري فخرّكت احوالهم التعيسة قلوب المسلمين للشفقة عليهم وآخرون سافروا حجراً الى اورشليم حاملين اخبار ما اصابهم من الدواهي والنكبات

وسنة ١١٩٠ اقامت التجريدة الثالثة تحت راية فيليب ملك فرانسوا والامبراطور فريدرىكوس ملك جرمانيا وريكاردوس الاول ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وغيرهم من الامراء فنهضوا جميعاً وقصدوا بلاد فلسطين بمئتي سفينة مشحونة بالعساكر والمهمات وعند وصولهم الى صور وهي المدينة الوحيدة الباقية يومئذ في ايدي الصليبيين تقدموا منها الى مدينة عكا الحصينة وحاصروها غير مباينين بالاخطار المهددة بهم . فاستمر القتال بين الفريقين نحو ستين وخمير

البحر
الثالثة

الجمعان عدداً كثيراً من عساكرها ولكن لما اشتد القتال والحصار على المسلمين وانقطع عنهم الامداد ونفذت ذخائرهم سلّموا أخيراً تحت هذه الشروط وهي انهم يعطون الافرنج ٢٠٠ ألف ريال من الذهب ويسلمونهم ألف وخمسة مئة أسير من عامة الصليبيين ومئة أسير من الاشراف كانوا في سجنهم وان يردوا لهم خشبة الصليب التي أخذت منهم في حرب طبرية . فتسلم الافرنج عكا في ١٢ تموز سنة ١١٩١ بعد ان كان فقد منهم نحو ٢٠٠ ألف رجل بين قتل وجرح ومريض وغريق وكان عدد المحاصرين نحو ٦٠٠ ألف مقاتل

ثم بعد افتتاح عكا عزم ريكاردوس ملك انكلترا على حصار عسقلان التي هي على مسافة مئة ميل من عكا فرحف اليها ولما اشرف عليها وافاه الملك صلاح الدين بثلاث مئة ألف مقاتل واتشبت بينها حروب هائلة لم يسمع بمثلا في الايام السابقة وكانت الدائرة على عساكر المسلمين فانهمزم صلاح الدين بعد مقتلة شديدة فقد فيها من جيشه نحو اربعين ألف نفر من شجعان العسكر وفاز الملك ريكاردوس بالنصر والظفر واستولى على عسقلان وباقي مدن اليهودية . اما صلاح الدين فالتجأ الى مدينة القدس وحصن فلاعها وابراجها وملأها بالمساكروالجنود وكان فصل الشتاء قد دخل وبسبب قساوة البرد توقفت الحروب بين الفريقين . وفي بداية فصل الربيع زحف ريكاردوس بجيشه على القدس التي كانت جل قصده وغاية اريه فهاج الاهالي واعترام الخوف والرعب عند قدوم هذا الجبار فاقام الحصار على المدينة وضيق عليها من كل الجهات ولكنهم يلبث طويلاً حتى انسحب عنها اذ وجد صعوبات كثيرة في افتتاحها وكانت عساكره قد ضجرت من الحروب ومشقات الاسفار

وفي خلال ذلك زحف صلاح الدين في ستين ألف مقاتل لاستيلاء على مدينة يافا وعند ما اوشك ان يفتحها وافاه ريكاردوس فحاربه وهزمه . ثم ان ريكاردوس وصلاح الدين بعد هذه الحادثة اخذا بالمراسلات والمخابرات في شأن الصلح وترك هذه الحروب المهلكة . وكان اول شيء طلبه ريكاردوس

تسليم القدس وفلسطين وترجع خشبة الصليب فرفض صلاح الدين هذا الطلب ولم يسمح بتسليم فلسطين . ثم وقع الاتفاق على توقيف الحرب ثلاث سنين واثني في اثناء هذه المدة يسمح للمسيحيين ان يزوروا القدس في ابي وقت ارادوا بدون دفع جزية وان لهم قلعة عسقلان وان يافا وصور والبلاد الواقعة بينها تبقى بيد الافرنج . فبعد اتمام هذه المعاهدة سافر ريكاردوس الى اوروبا وبعد ذلك بقليل توفي صلاح الدين وقام بالسلطنة مكانه اخوه سيف الدين . وسنة ١٢٠٢ جهز البابا سلاسنينوس الثالث تجريدة رابعة ولكنها انحصرت اعمالها في محاربة ملك الروم في القسطنطينية فتغلب عليه اللاتينيون وامتلكوا منه المدينة وبقيت تحت تصرف احكامهم مدة ٥٧ سنة

وسنة ١٢١٦ تجند في اوروبا تجريدة خامسة مولدة من مجر وجرمانيين فاجازوا البحر وجاءوا الى مدينة عكا ونزلوا فيها . وكان حكام سورية يومئذ اولاد سيف الدين المذكور فقاوموهم اشد مقاومة ولم يدعواهم يتقدمون ثم وقع بين الافرنج انشقاقات واختلافات فرقتهم وسببت هلاكهم فرجع ملك المجر الى بلاده وتوقفت حركة الجنود الصليبية الى ان افاها نجدة في السنة الثانية نحو ٢٠٠ سفينة مشحونة بالمقاتل والرجال فشددت عزائمهم ومكنتهم في الانتصارات ولكن لاسباب غير معلومة تركوا بلاد فلسطين وتوجهوا الى الديار المصرية فاستظهروا على بعض اقاليمها واستولوا على دمياط وحصنوا اسوارها وكانت الاماالي تخافهم ونهابهم حتى انهم طلبوا اليهم ان يعقدوا معهم صلحا تحت شروط مرضية للصليبيين ولكنهم رفضوها ولم يجيبوا طلبهم . واستمروا منشرفين على شواطئ النيل حتى اضعفهم الزمان وقلة الوسائط فاضطروا ان يتنازلوا للمصريين عن تملكاتهم في مصر ليسمحوا لهم بالرجوع الى فلسطين

وسنة ١٢٢٨ تجهزت التجريدة السادسة تحت قيادة فريدريكوس الثاني ملك المانيا الذي كان قد نذر على نفسه من مدة طويلة ان يتنصرا لمساعدة الصليبيين ونجدهم ولكن بسبب ابطائه وتاخره حرمة البابا غريغوريوس

التاسع فاغناظ فريديريكوس من هذه المعاملة واستعد لمقاومة البابا المذكور فذهب اليه الى رومية واهانه واذله ثم الزمه ان يخرج من رومية قهراً . وكان في اثناء ذلك قد تولد بين المسلمين بلبلة وانقسامات مع امرائهم والمتقدمين فيهم فاضطر الملك الكامل ناصر الدين ابن سيف الدين والي مصر ان يعقد معاهدة مع الملك فريديريكوس المذكور فارسل يستدعيه اليه واعداً اياه باعطاء اورشليم . فنهض فريديريكوس باربين الف مقاتل الى عكا ومنها الى القدس بدون ان يعارضه معارض ولا ينازعه منازع . وبعد ذلك عقد بينه وبين المسلمين عهداً وهي ان القدس ويافا وبيت لحم والناصره وتوابها تكون في ايدي المسيحيين ونحت نصرف احكامهم وان كلّا من الامتين المتخاربتين يسمح لها ان تمارس فروض مذهبها وسننه بكل حرية وبدون معارضة

اما عامة الصليبيين فلم يسروا باعمال فريديريكوس ولم يقبلوا شروطه ومعاهداته السلمية لانهم كانوا يعتبرونه محروماً ومرفوضاً من قبل الكرسي الروماني ولذلك رفضوا طاعته . ولما دخل بطريرك اللاتينيين الى القدس لم يرتض ان يحضر احتفال تويجه فحيثئذ مدّ فريديريكوس يده واخذ التاج عن قبر المسيح ووضعه على راسه وبعد ذلك هذ عاد راجعاً الى بلاده

ثم في سنة ١٢٢٩ تجند لمساعدة الصليبيين بسبب ثورات ومقاومات اعنائهم فخرية سابعة مولفة من انكليز وفرنساوين تحت قيادة بعض الاشراف . فسبق الفرنسيون الى سورية وحاربوا جملة حروب كان الاستظهار فيها للمسلمين . وفي السنة الثانية حضرت العساكر الانكليزية وكان قائدها الامير كورنوال وعند ما وجد هذا الامير ان تملكات الصليبيين وحقوقهم الممنوحة بموجب عهود وشروط من المسلمين عن يد ملك جرمانيا قد نُقضت ورُفضت وان اخصاصهم قد سلكوا معهم مسلك الجور والعدوان اسرع في قيام الحرب على المسلمين . واذ كان السلطان يومتز مشتغلاً في محاربة اخيه في دمشق عقد صلحاً مع الامير المشار اليه وتنازل له عن القدس ويبروت والناصره وبيت لحم

تسلم القدس وفلسطين وترجع خشبة الصليب فرفض صلاح الدين هذا الطلب ولم يسمح بتسليم فلسطين . ثم وقع الاتفاق على توقيف الحرب ثلاث سنين واثني في اثناء هذه الهدنة يسمح للمسيحيين ان يزوروا القدس في ابي وقت ارادوا بدون دفع جزية وان هم لهم قلعة عسقلان وان يافا وصور والبلاد الواقعة بينها تبقى بيد الافرنج . فبعد اتمام هذه المعاهدة سافر ريكاردوس الى اوروبا وبعد ذلك بقليل توفي صلاح الدين وقام بالسلطنة مكانه اخوه سيف الدين . وسنة ١٢٠٢ جهز البابا سلاسنوس الثالث تجريدة رابعة ولكنها انحصرت اعمالها في محاربة ملك الروم في القسطنطينية فتغلب عليه اللاتينيون وامتلكوا منه المدينة وبقيت تحت تصرف احكامهم مدة ٥٧ سنة

وسنة ١٢١٦ تجند في اوروبا تجريدة خامسة مولدة من مجر وجرمانيين فاجازوا البحر وجاءوا الى مدينة عكا ونزلوا فيها . وكان حكام سورية يومئذ اولاد سيف الدين المذكور فقلوهم اشد مقاومة ولم يدعهم يتقدمون ثم وقع بين الافرنج انشقاقات واختلافات فرقتهم وسببت هلاكهم فرجع ملك المجر الى بلاده وتوقفت حركة الجنود الصليبية الى ان اقامها نجدة في السنة الثانية نحو ٢٠٠ سفينة مشحونة بالمقاتل والرجال فشددت عزائمهم ومكنتهم في الانتصارات ولكن لاسباب غير معلومة تركوا بلاد فلسطين وتوجهوا الى الديار المصرية فاستظهروا على بعض اقاليمها واستولوا على دمياط وحصنوا اسوارها وكانت الاهالي يخافهم ونهابهم حتى انهم طلبوا اليهم ان يعقدوا معهم صلحا تحت شروط مرضية للصليبيين ولكنهم رفضوها ولم يجيبوا طلبهم . واستمروا منشرفين على شواطئ النيل حتى اضعفهم الزمان وقلة الوسائل فاضطروا ان يتنازلوا للمصريين عن ملكاتهم في مصر ليسمحوا لهم بالرجوع الى فلسطين

وسنة ١٢٢٨ تجهزت التجريدة السادسة تحت قيادة فريدرىكوس الثاني ملك المانيا الذي كان قد نذر على نفسه من مدة طويلة ان يتفنى لمساعدة الصليبيين ونجدتهم ولكن بسبب ابطائه وتأخره حرمة البابا غريغوريوس

التاسع فاغناط فريديريكوس من هذه المعاملة واستعد لمقاومة البابا المذكور فذهب اليه الى رومية وإهانة وأذلة ثم الزمة ان يخرج من رومية قهراً . وكان في اثناء ذلك قد تولد بين المسلمين بلبلة وانقسامات مع امرائهم والمتقدمين فيهم فاضطر الملك الكامل ناصر الدين ابن سيف الدين والي مصر ان يعقد معاهدة مع الملك فريديريكوس المذكور فارسل يستدعيه اليه واعداً اياه باعطاء اورشليم . فتهض فريديريكوس باربعين الف مقاتل الى عكا ومنها الى القدس بدون ان يعارضه معارض ولا يهاجمه منازع . وبعد ذلك عقد بينه وبين المسلمين عهداً وفي ان القدس وبافا وبيت لحم والناصرية ونوابها تكون في ايدي المسيحيين وتحت تصرف احكامهم وان كلاً من الامتين المتحاربتين يسمح لهما ان تمارس فروض مذهبها وسنة بكل حرية وبدون معارضة

اما عامة الصليبيين فلم يسروا باعمال فريديريكوس ولم يقبلوا شروطه ومعاهداته السلية لانهم كانوا يعتبرونه محروماً ومرفوضاً من قبل الكرسي الروماني ولذلك رفضوا طاعته . ولما دخل بطريرك اللاتينيين الى القدس لم يرتض ان يحضر احتفال تويجه فحيثئذ مد فريديريكوس يده واخذ التاج عن قبر المسيح ووضعه على راسه وبعد ذلك هذة عاد راجعاً الى بلاده

ثم في سنة ١٢٢٩ تجدد لمساعدة الصليبيين بسبب ثورات ومقاومات اعدائهم تجريدة سابعة مولفة من انكليز وفرنساوين تحت قيادة بعض الاشراف . فسبق الفرنسيون الى سورية وحاربوا جملة حروب كان الاستظهار فيها للمسلمين . وفي السنة الثانية حضرت العساكر الانكليزية وكان قائدها الامير كورنوال وعند ما وجد هذا الامير ان تملكات الصليبيين وحقوقهم المنوحة بموجب عهود وشروط من المسلمين عن يد ملك جرمانيا قد نُقضت ورُفضت وان اخصامهم قد سلكوا معهم مسلك الجور والعدوان اسرع في قيام الحرب على المسلمين . واذ كان السلطان يومئذ مشغولاً في محاربة اخيه في دمشق عقد صلحاً مع الامير المشار اليه وتنازل له عن القدس ويبروت والناصرية وبيت لحم

وجبل نابور وقسم كبير من الاراضي المجاورة

هذا وبينما الصليبيون في ارغد عيش وسرور باسترجاع الاراضي المقدسة
دهتهم مصيبة اخرى لم تخطر قط على بال وهي ظهور جنكيزخان الذي اشتهر
بين الاكراد في ذلك الزمان . فانه اقام الحرب على ساق وقدم بين طوائف
العرب والتمر والحجم فازعج تلك البلاد واقلق بغاراته العباد فترأست الشعوب
والقبائل مهزومة من امام وجهه ومن جملتهم شعوب خوارزم الذين احاطوا
بسورية ونغلبوا عليها وقتلوا باها اليها ولم يرحموا شيئاً ولا امرأة ونهبوا بيت المقدس
وكادت غاراتهم تصل الى الديار المصرية . وبقي الخوارزميون في سورية ولم
يقدر عساكر المسلمين والمسيحيين على ردهم الى سنة ١٢٤٧ حين قهرهم وكسروهم
الملك المظفر سلطان مصر بقرب الشام وطردهم الى تخومهم ومواطنهم التي على
شطوط بحر الخزر

واذ كان الصليبيون لا يزالون في ضنك عظيم تحركت غيرة لويس التاسع
ملك فرانساً عليهم فنهض اولاً لتجديدهم بعدة سفن مشحونة بالمهمات والادوات
العسكرية الحربية مع خمسين الف مقاتل وقصد اولاً مصر سنة ١٢٤٩ للبلاد
وهذه هي التجربة الثامنة فوصل الى دمياط وامتلكها ومنها تقدم الى جهة
القاهرة ولكن قبل بلوغ اماله انقضت عساكره بالمرض والجوع فوقع هو مع
من بقي من جيوشه اسيراً في ايدي الاعداء وبقي في اسرهم الى ان فدى نفسه
وسار بباقي رجاله الى فلسطين ومن هناك توجه الى اوروبا . وبعد ذلك
بمحو ١٥ سنة زحف الملك الظاهر يبرس البندقداري احد سلاطين دولة
المماليك التركية بمصر بجيش جرار على بلاد فلسطين وكانت الافرنج قد
ضعفت قوتها فاخضع مدينتي صفرة وازوث ووقع بالمسيحيين وقتل منهم واسر
عدداً كبيراً ثم قصد مدينة انطاكية فحاصرها وامتلكها وقتل منها نحو اربعين
الف رجل واسر مئة الف نسمة وساقهم الى البلاد المصرية في حالة الذل
والويل

ولما اتصلت هذه الاخبار الحزنة الى مسامع شعوب اوروبا ساء لهم ذلك جداً فنهض ثانية لويس التاسع ملك فرانسا المقدم ذكره وخرج من بلاده بجيش عظيم وقصد اولاً شطوط افريقية ليتقم من التونسيين قبل مسيره الى فلسطين لانهم كانوا قد اقلقوا وازعجوا **البحر** بتواتر غزوات مراكبهم الفرصانية وسلبوا اكثر الذخائر والمهمات التي كانت ترسل من اوروبا اسعافاً الى فلسطين حتى انهم كانوا يمدون المصريين بالخيول والرجال . فحاصر مدينة قرطاجنة وضيق عليها وهزم جيوشها وافتتحها ولكنه توفي في اثناء ذلك مع جانب من جيشه في وسط تلك الرمال المحرقة من جراء امراض وبائية اصابتهم وكان ذلك سنة ١٢٢٠ وهذه هي التجربة التاسعة والاخيرة للصليبيين

فانحصرت اخيراً فتوحات الصليبيين في مدينة عكا حصنهم الوحيد مع بعض المدن المجاورة ولكنهم لم يلبثوا الا قليلاً حتى وافاه الملك الناصر محمد بن قلاوون في جيش من ممالك مصر يبلغ عدده نحو مئتي الف مقاتل وضائهم في مرج ابن عامر ومن بعد عدة معارك اظهر فيها الصليبيون من البسالة والشجاعة ما لا مزيد عليها استظهرت عليهم اخصامهم بكثرة العدد واستولوا على مدينة عكا وقتلوا اكثرهم واسروا منهم جانباً عظيماً ثم استولوا على جميع اقطار سورية ومن ذلك الحين انحست اخبار الصليبيين من بلاد فلسطين لانهم كانوا قد تلاشوا وانقضوا وكان عدد من مات وقتل منهم في هذه الحروب من باب التقريب نحو ٢٠٠٠ ٠٠٠ فسيحان الميدي المعيد الدائم والفاعل ما يريد

الفصل الحادي عشر

في اسيا الصغرى

اسيا الصغرى المعروفة الآن ببر الاناضول موقعها على اطراف بحر الروم الى جهة الشمال الشرقي مجدها شمالاً البحر الاسود وغرباً بوغاز القسطنطينية وبحر مرمر وشرقاً سورية وما بين النهرين وارمينية . ومعظم طولها من الشرق الى الغرب سغاية ميل وعرضها اربع مئة ميل يخترقها عدة سلاسل جبال منفصلة عن جبل الثور وجبل قوقاس . وفي الآن قسم من المملكة العثمانية واكثر سكنتها من المسلمين واشهر مدنها ازمر وفي مولد هوميروس الشاعر اليوناني المشهور وقاعدة تجارة بلاد المشرق

وكانت تنقسم قديماً الى اثنتي عشرة مملكة صغيرة وهي ميسيا وليديا وكاريا ولوسيا ويثينيا وبلفونيا وبنس وبفيليا ويسيديا وكليكيا وفرجيية وكبدوكية ومن اعظم هذه الاقسام مملكة ليديا اشتهرت قبل المسيح بنحو ٨٠٠ سنة ولول ملوكها على ما قيل هواردس قام سنة ٦٩٧ ق م واخر ملوكها كريسوس وكان اغنى ملوك عصره وقد اشتهر في الغنى بهذا المقدار حتى ضرب به المثل الى الآن اذ يقال فلان غني ككريسوس وكان جلوس هذا الملك على سرير الملك سنة ٥٥٩ ق م وفي ايامه ضم الى مملكته جميع البلاد الواقعة غرباً من نهر هاليس الذي يقال له الآن قزل ارمق وكان مجلسه مشهداً للفلاسفة واهل العلم . قيل زاره مرة صولون الفيلسوف الشهير فاراه كريسوس جميع خزائنه

وتحفة وقصوره من باب الكبرياء ليهجة ويدهشة وقال له من تظن اسعد الناس غيري . فاجابه صولون لا بدعى احد سجداً الا من دامت سعادته الى آخر حياته . وقد اصاب ذلك الفيلسوف فيما قاله لان كريسوس لم يتمتع بعد ذلك زماناً طويلاً بفناءه وسعادته لان كورش ملك الفرس لما زحف لمحاربة الاشوريين اتحد كريسوس معهم على حرب كورش فانكسر وبات محصوراً في مدينة سارديس قصبة مملكته فأتى كورش وحاصر المدينة ونجحها سنة ٥٤٨ ق م واسر كريسوس ولما مثل بين يديه امر بايقاد اتون من نار وان بطرحوا كريسوس فيه ولما دنوا به من الاتون تذكر كريسوس ما قاله له صولون فصرخ بصوت عال يا صولون يا صولون يا صولون . اما كورش فلما سمع صراخه استغضره وسأله عن السبب فاخبره بما كان . فاعجبت كورش حكمة صولون فعفا عنه وابناه عنده معزاً مكرماً . ومن ذلك الوقت صارت ليديا مع قسم كبير من اسيا الصغرى تابعة لمملكة الفرس حتى اتى اسكندر الكبير فاتصر على ملوك الفرس واستولى على اكثر املاكهم في اسيا

وبعد وفاة اسكندر صار الجزء الاكبر من هذه البلاد تابعاً لمملكة سورية في زمان تلك الدولة السلوقية وفي اثناء ذلك استغلت بنفس التي كانت من اعمال ليديا واخذت في التقدم والنمو حملة سنين . وفي عصر تلك ميتريدات السابع ملكها اليوناني اكتسبت شهرة عظيمة لانه كان على جانب عظيم من الخلق والدرابة والباس . وكان من اشد الناس علاوة للرومانيين فحاربهم حملة سنين وانتصر عليهم في حملة وفائع ولكنه قهر اخيراً من الرومان سنة ٦٤ ق م وانضمت مملكته مع باقي ولايات اسيا الصغرى الى املاك المملكة الرومانية وبقيت تابعة قياصرة رومية والتسطنطينية الى القرن الحادي عشر للميلاد حين استولت الدولة السلجوقية على الاقسام الجنوبية الشرقية من هذه البلاد . وعند انقراض هذه الدولة في اواخر القرن الثالث عشر جاء الاتراك العثمانيون من بلاد التتر الكائنة على نواحي بحر الخزر واستولوا على جانب عظيم منها

تحت راية السلطان عثمان الغازي ومن ابتداء سنة ١٤٨٦ صارت كل هذه البلاد تابعة سلاطين آل عثمان . هذا ومع كل الثورات والحروب التي انتشبت في اسيا الصغرى ازدادت البلاد نمواً وشعباً واقيم فيها عدة مدن شهيرة منها افسس في ليديا التي لم تزل اثارها باقية الى الآن تشهد على عظمتها وهي على مسافة بعض ساعات من جنوب مدينة ازمبر يقصدها كثير من الناس للمشاهدة . وكان في هذه المدينة هيكل عظيم الشان حُسِبَ من عجائب الدنيا السبع نظراً لغرابته وعظم بناؤه . وكان مخصصاً لعبادة الآلهة ديانا اي ارطاميس اليونانيين وبقي هذا الهيكل في هيجو ورونفو الى سنة ٣٥٦ ق م حين قام رجل من افسس واضرم فيه النار فاحترق عن اخره وكان قصده بذلك ان يترك لنفسه ذكراً مؤبداً وقد ضرب به المثل حيث يقال ان الرجل الذي لا يقدر على صنع قفص خيزر حرق هيكله عظيماً . وكانت هذه الحادثة يوم ولادة اسكندر المكدوني

ومن مدن اسيا الصغرى كولاسايس وطرسوس التي ولد فيها بولس الرسول وكانت في قديم الزمان مساوية في العلوم لمدينة اثينا ومفاخرة لمدينة اسكندرية وليست الآن الا قرية صغيرة . ثم مدينة برغامس وثياتيرا التي يقال لها الآن اتي حصار وسرديس قصبة مملكة ليديا . وفيلادلفيا ولاوديكية المذكورة في الاسفار المقدسة وتروادة وغيرها . اما برغامس التي يقال لها الان برغاما فكان فيها قديماً مكتبة معتبرة تحتوي على ٢٠٠ الف مجلد نقلها الملك انطونيوس الروماني والملكة كليوبترا الى مصر . وفيها ايضاً ولد جالينوس الطبيب الشهير

الفصل الثاني عشر

في وصف بلاد الهند وتاريخها

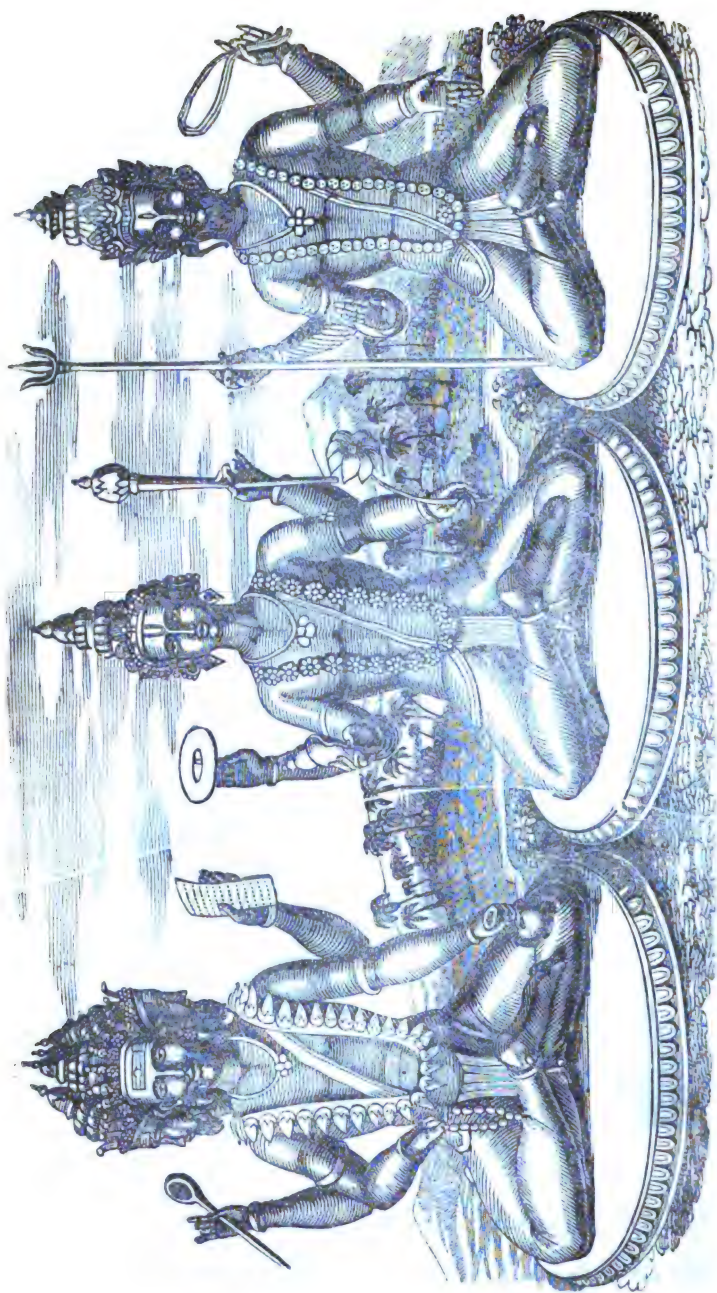
هذه البلاد هي قسم كبير من قارة اسيا وتشمل على قبائل عديدة
منشرة في كل اقطارها ولكل قبيلة ولاية وحكام مستقلة بذاتها اشبه بدول
اوروبا وعدد سكانها ٢٠٠ مليون منهم ١٥٩ مليوناً تحت تسلط الانكليز
و٤١ مليوناً في حالة الاستقلال

وقد اختلف المعلومون من جهة تسمية هذه البلاد هنذاً فزعم البعض انها
نسبت هكنا نسبة الى نهر الهند والسند وهما كلمتان معناها باللغة السنسكريتية
الازرق نسبة الى لون مياهه وقال آخرون ان اسم هند متخذة من كلمة ايندو
ومعناها قمر. وذهب بعضهم ان هذه التسمية مقتبسة من كلمة هندو بالفارسية
ومعناها الاسود نسبة الى سواد اهلها ولكن قلما يوثق في صحة هذا الاقتباس
لانه يصعب التصديق بان امة من الامم تتخذ لنفسها اسماً ولقباً اجنبياً والاجدر
بها ان تطلق على ذاتها لقباً مأخوذاً من نفس لغتها. والجغرافيون يسمون الهند
الى قسمين اي هندستان والهند الصينية اما الاول فهو اعظم واشهر وعليه يتعلق
مدار الكلام واما الثاني فما كان مجاوراً لبلاد الصين ويتضمن ثلاث ممالك
صغيرة وهي بورما وسيام وكوشين ما لا يسعنا الكلام عنه

وفي هندستان انهر عظيمة وجبال مرتفعة ورياض واسعة وفي جيلة التربة
كثيرة الحواصل والاشجار واكثر اشجارها نافعة مفيدة وثمارها لذيدة ولا سيما ما

يسمونه مانكو واناناس فانه على ما قيل لا يوجد الذ منها في العالم . ويوجد في هذه البلاد حيوانات كثيرة مختلفة الاجناس ولا سيما الفيل فهو عندهم كالجمل عند العرب . ومن وحوشها الضاربة النمر ويكثر هذا الحيوان في نواحي بنكالا على شواطئ نهر الكنك وهو من اشرس واجسر الكواسر حتى انه يهجم احيانا على الفارس ويخطفه عن ظهر فرسه وكثيرا ما يسطو على الاسد . ثم الكركدن وهو ذو قرن كبير شديد القوة يسطو على الاسد والنمر عند الحاجة اما مدن هندستان فمن اشهرها مدينة كشمير وهي قصبة بلاد كشمير المشهورة بعل الشالات . ثم مدينة لاهور قصبة بلاد لاهور الواقعة بين الهند وافغانستان والعجم . ومدينة سورات وهي اقدم مدن الهند . ومدينة احمد اباد ومدينة الله اباد ومدينة كلكتة وهي قصبة بلاد الهند وكرسي الحكومة الانكليزية وعدد سكانها نحو ٢٥٠ الف نسمة ومدينة بومبي وهي فرضة حصينة تملكها الانكليز سنة ١٦٣٩ وعدد سكانها ١٧٠ الفا وغيرها من المدائن

وللهنود اليد الطولى في بعض الصنائع والحسابات الدقيقة واليهم تنسب الارقام الهندية المستعملة في العربية . ولهم عوائد قبيحة وخرافات دينية كثيرة والديانة العامة بينهم هي عبادة الاوثان على المذهب البرهي نسبة الى برهم الاله العظيم عندهم الذي منه جاء ثلاثة آلهة على زعمهم الاول برها وهو الخالق والثاني فيشنو وهو المحافظ . والثالث سيفا وهو المهلك وتضع اصنام هذه الآلهة غالبا على هيئة هذه الصورة ولبرها اربعة اوجه واربع اذرع باربع ايدٍ في يده الاولى جزء من النيدا وهو كتابهم المقدس وفي اليد الثانية ملعقة وفي الثالثة مسبحة وفي الرابعة اناء فيه ماء التطهير . ولنيشنو ايضا اربع اذرع باربع ايدٍ في يده الاولى بوق صدفى وفي الثانية المحلقة التي عند ادارتها تخرج منها نار آكلة لا يمكن مقاومتها وفي الثالثة هراوة وفي الرابعة غصن حندقوق . ولسيفنا ايضا اربع اذرع باربع ايدٍ في الاولى صولجان وفي الثانية جبل يوثق به المذنبين اما البدان الاخريان ففارغان وله عين ثالثة في جبهة وله حبات



شیوا

ویشنو

برہما

متعلقة باذنيه وقلادة في عنقه من رؤوس البشر
واما هندرا ملك الآلهة عندهم فيظنون ان له الف عين وان عيونه ليست
كلها في راسه بل متفرقة في كل جسمه وكل عضو من اعضاءه حتى يرى كل
شيء وانه يركب فيلاً كبيراً ماسكاً في اثنتين من اياديه الاربعة وعلى كتفيه



هندرا ملك آلهة الهند

قوساً وهو متقدم لمقاتلة اعدائهم . وقد جرت العادة بينهم ان يحرقوا موتاهم بالنار
وان مات رجل منهم وكان له زوجة يحرقونها معه وهي في قيد الحياة ولكن

قد ابطال الحكم الانكليزي هذه العادة القبيحة ولم تعد تجرى الا خفية او في الاماكن التي ليست تحت حكم الانكليز

اما تاريخ الهند فهو من اسم التواريخ مشحون بالخرافات والافاويل البعيدة عن التصديق مما لا يهم القاري معرفته . وكان قد غزا هذه البلاد سينوستريس احد فراغت مصر وتغلب على بعض اقاليها واخذ منها غنائم وافرة . ثم غزتها بعده الملكة سميراميس ثم قصدها داريوس هستانب ملك فارس واستخلص منها جملة ولايات ثم افتحها اسكندر المكدوني بمئة وعشرين الف مقاتل واستولى على جانب عظيم منها . وكان قصد هذا الملك الجبار ان يتوغل بجيشه في اقطار هذه الملكة ويستخلص جميع ولاياتها ولمحاتها فلم يوافقه جده على ذلك فالتزم ان يرتد راجعا

وقد غزا هذه البلاد ايضا المسلمون . اول سنة ٦١٤ للهجرة للبلاد ثم سنة ٧١١ في خلافة الوليد واستولوا على بعض ولايات السند . وكان القائد على جنودهم شاب يقال له محمد قاسم وكان جميل الصورة قوي الجنان ولم يكن معه سوى ستة الاف فقط من الرجال المعتادين على خوض المعارك فكان يلتقي بهم صفوف الهندو ويشنت عليهم . وحينما اتصرا عرض على الاهالي قبول الاسلام فن اسلم سلم ومن امتنع وكان عمره فوق السبع عشرة قُتل اما النساء والاولاد فكانوا يستعبدون

وما يستحق الاستغراب انه في احدى وقائع محمد الفداء مرة الهندو بالقرب من مدينة حيد اباد في خمسين الف مقاتل تحت قيادة رئيسهم الراجا ظاهر فاشتبك بينهم القتال ومع قلة عدد المسلمين استظهروا على الهندو وقتل الراجا وابنه ودخل المنهزمون الى المدينة وحاصروا فيها تحت رياسة ارملة ملكهم وبقوا محاصرين حتى فرغ زادهم وسامت احوالهم من شدة الحصار ولما يئسوا من السلامة اجتمعوا بنسائهم واولادهم فودعهم ثم احرقوهم بالنار خوفا من وقوعهم في ايدي الاعناء وبعد ذلك خرجوا من المدينة وهجموا على صفوف المسلمين

فالتقام محمد قاسم بابطاله وفرسانه ولم تكن إلا جولة حتى افنأهم كلهم وقبض على ابنة ملكهم الراجا ظاهر وكانت من المحسان وارسلها هدية الى امير المؤمنين فلما تمقلت بين يديه اعجبته وطلب ان يتزوج بها فقالت له اعلم ايها الامير اني لا استحق ان اكون لك زوجة لان قائد جنودك الذي ارسلني اليك قد اساء معي الادب وفعل بي ما لا يليق ففضب الوليد من قبيح فعل محمد واصدر امراً بان يوتي به اليه ملفوفاً مجلد ثور ومخبطاً عليه فعد ووصول الامر الى المعسكر قبض على محمد قاسم وارسل الى الخليفة على الوجه المذكور وفي اثناء الطريق فارقته الحياة وعند وصول الجثة الى بغداد استدعى الوليد الاميرة الهندية واراها ما حل بمقتصبها ففرحت وابتهجت ثم اخبرت الخليفة بان جميع ما حدثت به في شان محمد قاسم لم يكن له صحة ولكنها فعلت ذلك لتنتقم منه وتاخذ بثار ايها ووطنها فتعجب الخليفة من امرها وازدادت رغبته فيها وبعد موت القائد المذكور تجمعت طوائف الهنود ونعصبوا بعضهم مع البعض وحاربوا المسلمين واستخلصوا منهم جميع املاكهم وطردوهم من بلادهم

وسنة ٩٦٧ للبلاد غزت الاعجم بلاد الهند مرة أخرى تحت راية سويكتاجي حاكم ولاية كندهار التي هي ولاية فارسية وعاصمتها غزنة فاتصر على ملك لاهور واستولى على جملة مدائن وضماها الى اراضي افغانستان وبعد موته خلفها لابنه محمود الغزنوي سنة ٩٩٧ ولما تمكن من الولاية حدثت نفسه بالاستقلالية والخروج عن طاعة الاعجم فعصاهم وحاربهم واستقل بولايتهم وكان ملكاً عالمي الهمة شديد البأس غيوراً على دين الاسلام غزا الهند اثنتي عشرة مرة وغنم منها غنائم كثيرة وقتل من اهلها عدداً عظيماً وحمل ثروتها وسكانها الى غزنة حيث كان يباع الاسير بقيمة ربال . وبعد انتصاراته عديدة توفي محمود المذكور سنة ١٠٢٠ وكانت مدة ملكه ٢٥ سنة ونقل خلفاؤه كرسي السلطنة من غزنة الى لاهور وجعلوها عاصمة افغانستان . ثم خلف العائلة الغزنوية العائلة الغورية واشهر ملوكها محمود الغوري وفي ايامه ايضاً امتدت فتوحات الاسلام في الهند

ثم قصد الهند شعوب المغول واخصهم بيمورلنك وخلفاؤه . واشهر ملوكهم محمد باير زحف على هندستان سنة ١٥٠٥ وبعد ما اخضع كندهار وكابول ودلي واغرا أسس سلطنة الهند المغولية وبقيت في ابدى ذريته الى سنة ١٧٦٠ اما مدة ولاية المسلمين في تلك البلاد من زمن محمد الغزني الى انقراض دولة المغول فكانت ٧٥٠ سنة وعدد ولائهم ٦٥

ومن اشهر ملوك المسلمين من العائلة المغولية الملك اورنزيب كان رجلاً انيساً شجاعاً ذا دراية وسياسة وكان مع هذه الاوصاف ديناً ورعاً زاهداً كبير الصلاة والصوم استولى على هذه المملكة من سنة ١٦٦٠ الى ١٧٠٧ وتغلب على كل اقاليمها وجعلها ولاية واحدة وبعد وفاته استولى نسله عليها مدة خمسين سنة وفي ايامهم غزا نادرشاه ملك الفرس تلك البلاد فاضر باهلها ضرراً جسيماً وسلب اموالهم حتى قبل انه خرج منها بنحو عشرة ملايين من الليرات الانكليزية ما عدا الجواهر والامتنعة الثمينة التي لم تكن اقل قيمة من المبلغ المذكور . وكان المستولي وقتئذ على الهند من ذرية اورنزيب محمد شاه فاستدعاه نادرشاه اليه بعد ان كان قد استولى على تلك الغنائم واجلسه على كرسي المملكة بحضور اشراف الهنود وعظمائهم . ثم التفت بعد ذلك الى المحاضرين وقال لهم اعلوا اني راحل عنكم الى بلادي فيجب عليكم ان تكونوا في طاعة ملككم ولا تخالفوا له امراً وليكن عندكم معلوماً اني قد صرت لكم من الآن وصاعداً محباً وصديقاً فاعتمدوا على كلامي هذا وتحققوه وكان في اثناء خطابه لم ابصر على راس محمد شاه جوهرة ثمينة من نفيس الماس (وهي المعروفة بالكوهينور التي هي الآن في قبضة ملكة انكلترا) فانججته وطمع في اخذها فجعل يؤكد لهم مزيد صداقته واستعداد له لمساعدتهم ولكي يجعلهم واثقين بكلامه اراد ان يثبت ذلك العهد بعلامة ظاهرة حسب عوائد الشرق فترع عمامته عن راسه ووضعها على راس محمد شاه بعد ان اخذ عن راس محمد شاه عمامته ووضعها على راسه فكان ذلك التبادل نهاية سلبه

وكان اول من دخل من الافرنج الى بلاد الهند البورتوغاليين سنة ١٤٩٨ وهم الذين اكتشفوا راس الرجا الصالح ودعوه بهذا الاسم وفي اقل من خمسين سنة صار لهم املاك واسعة ومداين كثيرة في بلاد الهند ثم امتدوا الى اطراف السند وصار لهم عدة مراكز تجارية في بنكال ولكنهم اذ لم يحسنوا السلوك مع الاهالي مقتوموا واشهروا لهم الاذية والضرر . ولما انضمت البورتوغال الى اسبانيا سنة ١٥٨٠ وكانت يومئذ اسبانيا مضطربة الاحوال من جهة املاكها الاميركانية اهلته الالفات الى حفظ املاكها الهندية فكان ذلك من اقوى الاسباب لحسرتها اياها تدريجاً

ثم بعد البورتوغاليين دخل الفلمنيكون الى الهند في بداية القرن السابع عشر واستولوا على بعض شطوطها واستخلصوا من البورتوغاليين سيلان وكوشين ونيفا باتام وغيرها لكنهم التزموا اخيراً ان يتنازلوا عن اغلب مملكتهم الى الانكليز الذين دخلوا تلك البلاد من بعدهم

اما بداية دخول الانكليز دخولاً حقيقياً فكان سنة ١٦٠٠ حين تشكلت شراكة تجارية للتجارة في الهند الشرقية وكانت اول اقامتهم في سورات . وفي سنة ١٦٤٠ سمح لهم احد ولاه الهند بقطعة ارض تبلغ مساحتها خمسة اميال مربعة فابتنوا لم فيها مركزاً ثم اشتروا من والٍ اخر بعض اراضٍ واقاموا فيها عدة مراكز وكانت هذه المراكز اشبه بمخانات لوضع بضائعهم ومناجرهم وذخائرهم الحربية لانهم كانوا دائماً يحفظون على انفسهم حذراً من غزوات الاهالي والافرنج الاجانب . ولامر بريد الله حدث في اواسط القرن السابع عشر ان ابنة الشاه جهان في مدينة دلي اخترفت وهي بالقرب من النار فارسل الشاه يطلب طبيباً من الانكليز فارسلوا له جراحاً ماهراً فعالجها حتى شفيت فسأله ابوها ان يطلب منه ما يريد ليكافية على خدمته فطلب اليه امراً باعطاء الرخصة للشراكة ان توصل تجارها الى كل اقطار السلطنة بدون ان تدفع عليها رسماً ثانياً خلاف المدفوع في سورات وان ياذن لها

ايضاً بانشاء مراكز جديدة . فصادف هذا الطلب مزيد القبول وصدرت الاوامر باجرائه من ذلك اليوم . وسنة ١٦٦٢ وهب الشاه جهان المذكور كارلوس الثاني ملك انكلترا جزيرة بومبي فتنازل عنها الى الشراكة تحت مبلغ معلوم فقتلوا اليها من سورات وجعلوها مركزهم الاكبر بعد ما اقاموا فيها حاكماً انكليزياً

ومع ان الفرنسيين لم يدخلوا الهند الا بعد الانكليز بخمسين سنة فانهم في وقت قريب استملكو فيها املاكاً وكانت قوتهم وسطوتهم تنوفان قوة ونفوذ الانكليز في اول الامر اذ انهم قهروهم اكثر من مرة واخذوا منهم بعض املاكهم وبقيت في ايديهم مدة حتى استرجعوها فيها بعد . وكان للفرنساويين مزيد الاعتبار ونفوذ الكلمة بين الاهالي اكثر من غيرهم من الافرنج لانهم كانوا يتدخلون في امورهم الداخلية ويتواسطون فض مشاكلهم ويغضبون في اغراضهم فكانت الاهالي تودهم وترغب في مصاحبتهم ولكن بعد ملاقات الانكليز للهنود في حرب بلاسي واستظهارهم عليهم بثلاثة الاف مقاتل تحت قيادة الرئيس كلايف بينما كان عدد الهنود خمسين الفا ارتفع شأنهم بين الاهالي ووقعت هيبته في قلوب الجميع فكان نجمهم في صعود بينما كان سعد الفرنسيين في هبوط وسقوط ولاسيما بعد انتصارهم عليهم في ١٢ ك ٢ سنة ١٧٦١ واسرهم حكامهم موسيولالي واسيلائهم على بونديشيري عاصمة مدتهم التي ارجعوها لم غيب وقوع الصلح . فمن ذلك الوقت تناقصت السطوة الفرنسية في بلاد الهند واخذت شوكة الشراكة الانكليزية تنفوي شيئاً فشيئاً حتى استولت على الجانب الاكبر من بلاد الهند وصارت ذات اهمية عظيمة . فما اضاعته انكلترا في القرن الثامن عشر من املاكها الاميركانية استعاضته في الوقت ذاته من بلاد الهند ولكن بعد مشقات كثيرة ونفقات وافية لان التنافس الداخلي كانت بلا انقطاع وعصيان الاهالي كثيراً ما زعزع اركان الشراكة واستمرت حكومة الهند في ايدي الشراكة الى سنة ١٨٦٠ حين استلمت

زماعها المحكومة الانكليزية وفي الآن في يدها ونحت تصرف احكامها وايرادها السنوي يعادل ايراد انكلترا الذي يجاوز سبعين مليون ليرة انكليزية

الفصل الثالث عشر

في باقي ممالك اسيا

كان كلامنا في ما سبق على اشهر دول اسيا وممالكها واذا وجد ايضا عدة ممالك في هذه القارة راينا ان نتعرض لذكرها بوجه الاختصار فنقول . من جملة هذه الممالك طوائف السكيثيين اقاموا في الجهة الشمالية من اسيا وكانوا شعوباً متوحشين انصفوا بالقوة وشدة لباس ولا سيما رمي النبال وقد توغلت جموعهم في جهة الجنوب وافتتحو عدة ممالك في تلك الاطراف واستولوا عليها وقد اجتهد كثير من ملوك اوربا واسيا ان يدخلوا هؤلاء القوم تحت الطاعة والانقياد فاقاموا عليهم حروباً كثيرة ولم ينجحوا . ومن هذه الامة تكونت مملكة الفريسيين التي امتدت سطوتها فيما بعد الى بلاد فارس وغيرها من الممالك واستمر حكمها نحو خمس مئة سنة وذلك من سنة ٢٥٠ ق م الى سنة ٢٥٠ بعد المسيح

وعلى توالي الايام سميت اراضي السكيثيين بلاد التتر وهم شعوب كثيرة متفرقة ولكنهم ليسوا احسن حالة مما كانوا عليه في الايام السابقة وهم ينتسبون الآن الى ثلاثة اقسام . القسم الاكبر منها في الاقسام الشمالية من اسيا وهو تحت نسلط المسكوب وطوائف متعددة يجولون بين تلك البراري الشاسعة وليس

لنا من امرهم تاريخ يذكر والنسب الاوسط تحت حكم الصين واما القسم الاصغر
فدو حرية واستقلال لا يتسلط عليه احد وهو المعروف ببلاد التتر المستقلة
واهلها من قبائل مختلفة وكل قبيلة منها يتسلط عليها امير جنسها واما ديانهم
فمنهم مسلمون وشيعة يضاهون العجم مذهباً

وقد اشتهر من رجال هذه البلاد جملة اشخاص يستحقون الذكر منهم ترموجين
الذي سي جنكيزخان من قبيلة المغول كان ابوه حاكماً على بعض قبائل
تتريه عند شاطئ نهر سلينكا يبلغ عددها ٢٠ او ٤٠ الف عائلة وبعد وفاة ابيه
سنة ١١٦٤ اظهرت الرعايا العصيان فنقض جنكيز لخارنهم وهو يومئذ ابن
١٢ سنة واخذ يخضعهم شيئاً فشيئاً حتى تغلب عليهم جميعاً فعظم امره واكتسب
شهرة عظيمة ونودي باسمه خاناً على المغول والتتر وسي جنكيز خان الذي
تفسيره خان الخانات ومن جملة حروبه انه غزا بلاد الصين الشمالية وفتحها ثم
زحف بسبع مئة الف مقاتل من المغول والتتر على بلاد الاسلامية فاحضها
وخرّب مدنها وامدت غزواته من ولايات العجم الغربية الى شطوط نهر الفولكا
واقصى سواحل بحر الخزر . وكان جنكيزخان المذكور اشد قسوة من سبقة
وخلفه من الملوك الظالمين وما يحكى عنه انه امر مرة بقتل مئة الف رجل من
اسراه في يوم واحد وينسب اليه هلاك ١٤ مليوناً من الجنس البشري الذين
قتلوا بحروبه وغاراته المتتابعة . وقام بعد جنكيزخان اولاده الاربعة فخاربول
مالك اسيا وفتحوها تقريباً ووصلوا فتوحاتهم الى قسم كبير من اوروبا ولاسيا
كولي خان حفيد جنكيزخان فانه كان قد اكمل افتتاح الصين وقرض
منها فضلات العائلة الملكية الصينية ثم بنى مدينة باكين وجعلها عاصمة المملكة
واخضع بنكال وتبت وضرب على اهلها الخراج . ومن ذرية جنكيزخان
الملك هلاكو الذي قلب سلطة الخلافة الاسلامية وخرّب مدينة بغداد ثم
غبره من الملوك الذين اخضعوا كثيراً من البلاد الاوروبية بواسطة قواد
جيوشهم ولكن لم يهض كثير حتى ان تلك القواد خلعت طاعة ملوكها واستقلت

في الولايات التي افتتحتها ورفضت العبادة الاصنامية وعوائد المغول والصينيين
القيجية واعتنقت الديانة الاسلامية

ومنهم ايضا تيمورلنك ابي تيمور الاعرج ولد في مدينة القش بالقرب من
سمرقند من اعمال بخارا سنة ١٣٣٦ وكان نسبة متصلاً بمجنكيزخان من النساء
ولما اشتهر امره اقام عمة والياً على احكام القش وسار لافتح الممالك واخذ
حيثما يتقدم شيئاً فشيئاً حتى ساد واستولى على كثير من الاقطار . وسنة ١٣٧٠
سعى نفسه خاناً واخضع مدينة خوارزم وقشغر وجميع اطراف اسيا شرقي بحر
الخرز ثم قلب على بلاد ايران وما يليها ومنها تحول الى روسيا فنهب مدينة
ازوف وهدمها ثم زحف بمجوشه الى الهند واجتاز السند وحارب الملك محمد
الرابع تحت اسوار مدينة دلي فزعه وامتلكت المدينة مع باقي الولايات التابعة
لها ثم قصد بلاد سورية سنة ١٤٠٠ وافتتح حلب والشام وسائر المدن الشامية
واستخلصها من يدي سلطان مصر ثم سار الى بغداد سنة ١٤٠١ فحاصرها وهدم
ابراجها ولوقع باهلها . ولما تهدت له ولايات تلك البلاد نهض لمحاربة بني
عثمان فحاربهم واستولى على امصارهم وقواعدهم واسر السلطان يازيد في حرب
دموية جرت بينهما في انقرة سنة ١٤٠٢ وسجته في قنصر من حديد ومن هناك
حول وجهه الى الشرق فاصداً بلاد الصين بمئتي الف مقاتل ولكنه مات على
الطريق سنة ١٤٠٥ ومن اعماله القبيحة انه امر باحراق مدن كثيرة منها الشام
وبغداد ودلي وفي هذه المدينة امر بمئتي الف من الاسرى وغير ذلك من
الاعمال الفظيعة

ومن ممالك اسيا مملكة يابان على الجهة الشرقية من بلاد الصين في
مجموع جزائر في الاوقيانوس المحيط اعظمها جزيرة نيفون وعدد سكان هذه
المملكة نحو ٢٦ مليوناً وهم في الاصل صينيون هاجروا بلادهم في الازمنة السالفة
بسبب مغازي التتر وجور المغول واستوطنوا في هذه الجزائر ولذلك يشبهون
اهل الصين في الهيئة والعوائد والدين . ومن اعظم مدنها مدينة يدو وهي قاعدة

السلطنة وليس لبيوتها الا طبقة واحدة او طبقتان فقط بسبب الزلازل ومبناؤها غير عميق لا يمكن للسفن ان ترسو الا على بعد خمسة فراسخ ومحيط ببلاط السلطان جد ران من الحجر وخنادق وقناطر توضع وترفع عند الحاجة ومحيط ذلك البلاط خمسة فراسخ كل فرسخ مسير ساعة وبها ديوان طوله ست مئة قدم وعرضه ثلاث مئة ولها برج مربع سقفة من خشب الارز والكافور وهو مزين بتعائيف مذهبة وتصوير مزخرفة وفرشة منحصر في حصر يضاء مزينة بالفرش والمساند المشغولة بالذهب

واهل يابان بوجه الاجمال حسان المنظر وعندهم سهولة في حركاتهم وبينهم قوة ليسوا بالطوال ولا بالقصار ولونهم يضرب الى الاصفرار واحيانا ميل الى السمرة ونساء اكبرهم لا يتعرضن للهواء والشمس من غير قناع . ووصاف الالهالي بوجه العوم تمتاز عن غيرها من الناس بعيونها فان شكل عين الواحد منهم يبعد عن الاستدارة فتكون العين مستطيلة صغيرة في الراس واجنان عيونهم مشقوقة شقا عميقا واهداهم اعلى من مكانها المعتاد عند غيرهم . واغليهم عريض الراس قصير الرقبة غليظ الانف كانه مجدوع وشعورهم سوداء كثيفة براقة وهم يحملون نصف شعر رؤوسهم والباقي يرفعونه الى وسط رؤوسهم على شكل العفرية (الشقطية) بخلاف الصينيين ويتنرون في اسفارهم بأزر ضخمة من ورق مدهون بالزيت . وتحنينهم عبارة عن اغنائهم عدة مرات كالركوع . ويحملون في ايديهم المراوح ويتنحرون بشدة تدقيقهم في النظافة . ومن عوائدهم انهم يحرقون اجسام الموتى من اعيانهم ويشهرون عيداً يسمى عيد المصابيح كما يقع ذلك في بلاد الصين ولكنهم يضيفون اليه زيارة القبور في اوقات معلومة . والامر مجهول هل عرف الاقدمون شيئاً عن احوال هذه الملكة ام لا لان التواريخ لا تفيدنا عنها شيئاً وبقي وجودها مجهولاً للناس الى سنة ١٤٠٠ للمسيح حين اكشفها الاوروبيون ولكن اذ لم يسمح للاجانب ان يدخلوها الا حديثاً كانت معرفتنا بها قليلة . والظاهر انه قد دخل هذه البلاد مؤخراً بعض

التنوير لان ملكها شارع الآن في تحسين حالها واصلاحها وملتفت جداً الى ترقية اسباب المعارف والصنائع فيها وقد استجلب عدة معلمين ومهندسين من اميركا وفرنسا لنفع المدارس ونظم المعامل على اختلاف صنوفها وغير ذلك من الامور المتعلقة ببحاج البلاد

ومن ممالك اسيا ايضاً ارمينية وكانت في الازمنة القديمة ملكة عظيمة الشأن بيندي نارينجها من بعد الطوفان بزمن يسير مؤسسها يافث بن نوح ومن اشهر ملوكها الملك هايكوس ثم ارمايك ثم ارامبوس ثم آرام ثم الملك ابكاربوس المعروف بالابجر الذي كان في عصر المسيح واستمرت هذه المملكة في زهوها وعزها نحو الف سنة ثم تغلب عليها الماديون والفرس ثم اسكندر الكبير وبعد وفاته تسلط عليها السريان الى ان تغلب عليها وزبوا انطيوخوس الكبير اللذان قاما على ملكها وخلصا طاعته وعصاه سنة ٢٢٢ ق م قسماً المملكة بينها الى قسمين فاقسم الواحد كان يدعى ارمينية الكبرى والآخر ارمينية الصغرى. وبعد ذلك بزمن تسلط عليها الرومانيون والحكم سنة ١٥٢٢ مسيحية ثم تسلط عليها آل عثمان ولم تزل خاضعة لهم الى الآن

ومن هذه الممالك تركيا في اسيا وسياقي ذكرها منفصلاً ان شاء الله تعالى عند ذكر دولة آل عثمان في اوروبا. وفي قارة اسيا ايضاً عدة ممالك غير هذه لم تعرض لذكرها لعدم شهرتها كمملكة سيام وكوشن وبروم وكابول وبلوخستان وغيرها من البلاد التي لانهم معرفتها. وفي الاقسام الشمالية من اسيا تسكن طوائف من القرا التي يجولونها بين تلك البراري المتسعة في تلك القرون الماضية لم تترك لنا تاريخاً واضحاً واما الآن فهي تحت تسلط دولة المسكوب

القسم الثاني

في قارة افريقية

الفصل الاول

في جغرافية افريقية واهلها وهوائها

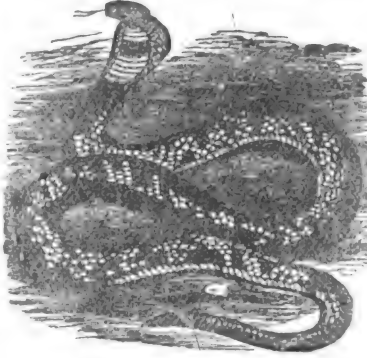
هذه القارة احد اقسام العالم الخمسة تبلغ مساحتها نحو ربع مساحة كل الارض يحدها شمالاً بحر الروم والافقيانوس الانلاتيكي وشرقاً برزخ السويس والبحر الاحمر والافقيانوس الهندسي وجنوباً الافقيانوس الجنوبي وغرباً الافقيانوس الانلاتيكي وكانت قبل فتح برزخ السويس ووصل البحر الاحمر ببحر الروم متصلة بقارة اسيا براً واما الآن فقد اصبحت جزيرة مكتنفة بالماء وهذا البرزخ اضحى خليجاً بعد ما كان قد شرع كثيرون في فتحه قبل المسيح بست مئة وعشر سنين ولم يتم هذا العمل العظيم حتى شرع فيه صاحب الخزم والهمة الخواجا فردينند دي ليسيس الفرنسي بنفقة شراكة عمومية وذلك بعناية حضرة خديوي مصر وانتهى فتحه سنة ١٨٦٩ بمحضور محفل عظيم من الملوك والامراء الاوربيين وهو يعد الآن من اهم واعظم الاعمال البشرية التي جرت

في الدنيا واصبح العالم الغربي متصلاً بالعالم الشرقي على اسهل واقرب طريق
بعد تلك المسافة الشاقة والمدى الطويل

ولا يخفى ان في هذه القارة بلاداً كثيرة مجهولة الحال لا تُعرف على وجه
الحقيقة وذلك لعدم امكان وصول ارباب الاكتشافات اليها نظراً لمخاطرها .
وقد اجتهد كثيرون من السياح على معرفة اقاليمها واحوال اهاليها والوقوف
على اراضيها المجهولة فقصدها من بلاد بعيدة وتوغلوا في بطون اراضيها فمهم
من مات مريضاً ومنهم من مات قتيلاً ولذلك يُعتبر اغلب اهالي هذه القارة
اقل تمدناً من سكان سائر القارات

ولكن سنة ١٨٦٦ ارسلت الحكومة الانكليزية الدكتور لفنستون السائح
الافريقي الشهير لاجل اكتشاف باطن افريقية الى الجنوب من خط الاستواء
ولاجل الوقوف على التجارة بالعبيد . ومن ذلك الوقت لم يظهر خبر عن
السائح المذكور الى ان ذهب رجل اميركاني في طلب اسمه ستانلي سنة ١٨٧٢
وبعد سفر طويل وجده مريضاً في اوجيبي وكان قد فرغ زاده وماله فبقي
عنده مدة من الزمان وسافرا سوياً في بحيرة تانكيتكا . ثم رجع ستانلي وبقي
لفنستون يحول في تلك الاراضي الواقعة بين خط الاستواء وعشرين درجة من
العرض الى الجنوب . وقد ظهر الى الآن من اسفاره ان البلاد التي في تلك
النواحي مرتفعة عن البحر ارتفاعاً عظيماً ومشحونة بالمجبرات والانهر التي يستنص
نهر النيل اليها . وقد وجد التجارة بالعبيد هناك على شر حاله وبناءً على ذلك
ارسلت الحكومة الانكليزية حديثاً السير بارتل فريير الى سلطان زنجبار الذي
يتعاطى شعبة هذه التجارة الفظيعة وبعد مناظرات طويلة عقدت معه عهداً على
ابطالها كما انها سمعت في ابطالها في بلاد مصر وغير اماكن من سواحل افريقية
حتى يمكن القول ان الاتجار بالعبيد صار على وشك الزوال تماماً . وقد مات
لفنستون بعد ذلك بسنين قليلة وكثير تردد ستانلي وغيره الى باطن افريقية
وعرف كثيراً من امورها بما ستاتي بفوائد جمة للدين والدنيا

اما هواء هذه القارة فهو حار جداً نظراً الى وضعها الطبيعي وهي قليلة الامطار والاشجار والجبال . واما صحاريها ورسومها فكثيرة جداً ويعسر المرور فيها وفي بعض الاماكن تهب ريح السموم وهي مضرّة جداً ولا سيما للحيوان والنبات . وفي اواسط افريقية كثير من الحيوانات البرية والوحوش الضارية



انعى من افاعي مصر السامة

كالاسد والثور والفهد والضبع والفيل والكركدن ابي وحيد القرن والزرافة . وفي اجامها انواع من القرد والحيت العظيمة منها البواء وهو جنس كثير الضرر يبلغ طوله عشرين ذراعاً . وفي صحاريها كثير من النعام وانواع الابل والغزلان . وفي مجرياتها وانهرها التماسيح

وفرس الجوف وفيها ايضاً اجناس عديدة من الطيور المختلفة

اما عدد سكان هذه القارة فيبلغ تقريباً مئة مليون نفس منه سوادن وبرابرة واقباط وحشة وغيرهم . وفي الصحراء الشالية الكبيرة كثيرة من قبائل العرب الرّحل يجولون من مكان الى مكان يجماهم وخبؤهم في طلب الغزو والمرعى كما في بلاد العرب . والديانة العامة هي الاسلامية . وبين السوادن مذاهب مختلفة من العبادة الاصنامية . ومع ان اللغة العامة هي العربية توجد لغات كثيرة متنوعة في اواسط القارة

والمرجح ان اهل هذه القارة هم من نسل حام بن نوح الذي اتى وسكن ارض مصر بعد بناء برج بابل وما يؤيد ذلك قرب مصر الى بلاد شenaar ورغبة مصرايم ابنة ان يسكنها ويؤسس فيها مملكة

وتنقسم هذه القارة الى عدة ممالك منها الديار المصرية التي اشتهرت قديماً

أكثر من سواها من الممالك بالمعارف والفنون كما سيأتي الكلام عليها في الفصل
الآتي. ثم بلاد المغرب ويقال لها أيضاً بلاد البربر كتونس وطرابلس والجزائر
ومراكش وغيرها ثم بلاد النوبة والحبشة والسودان في أواسط القارة وغيرها
من الأقاليم مما لا يسعنا ذكرها في هذا المختصر



الفصل الثاني

في تاريخ مصر

الباب الأول

في جغرافية مصر

يحد هذه البلاد شمالاً البحر المتوسط وشرقاً البحر الأحمر وخليج السويس
وجنوباً بلاد النوبة وغرباً الصحراء وبلاد برقة وهي على شكل وادٍ بكتنته
جبلان شرقي وغربي يتخللهما نهر النيل من الجنوب إلى الشمال ويصب في البحر
المالح بقرب مدينتي دمياط ورشيد وهو نهر عظيم يصلح لركوب السفن بفيض مرة
في كل سنة في مدة معينة تقريباً بين ١٥ حزيران وأواسط أيلول فيبتدي النهر
يزيد قليلاً قليلاً في مدة ثلاثة أشهر وفي ٥ آب تنفخ الترع وتجري فيها المياه
وتتدفق إلى داخل الأراضي البعيدة وتسقيها. ثم من تشرين الأول يبتدئ ينقص
إلى آخر أيار ولولاه لكانت ديار مصر في حالة تعبئة لقلّة الأمطار لانه لا يقع
بها مطر إلا في الأرياف والقرى البحرية ونادراً في الجهة الجنوبية وقد وصف

للتخلص من جور المحاكم وكان من جملة النازحين رجل يقال له بولس من مدينة ثيبة انفرد بذاته وانعكف على العبادة والاصوام فحسب اول من ظهر فيه روح الرهينة . ولكنه ظهر في اوائل القرن الرابع رجل آخر يدعى انطونيوس فبنى دبراً وجمع فيه اناساً من كانوا يميلون للاعتزال عن العالم ونظم لهم قوانين للسلوك بموجبها ولذلك سمي بابي الرهبان . ثم ان هذه الطريقة اخذت في الامتداد حتى اتصلت الى فلسطين وسورية بواسطة احد خلفاء انطونيوس وبالتدرج عمت اكثر عالم النصرانية

الباب الثاني

في تاريخ مصر واهم الاحداث المتعلقة بفراعنتها من سنة ٢٢٠٠ ق م الى خروج الاسرائيليين^(١)

اما اخبار مصر القديمة وفراعنتها فمحاطة بظلمة كثيفة وقلما يوثق بها

(١) انه اذ لم يتفق علماء التاريخ حتى الآن من جهة بداية التاريخ المصري بعسر علينا تعيين تاريخ ما لاعصره الاولى غير اننا نقول انه اذا سلمنا بسلسلة تتابع الدول المصرية على ما جاء يومانيثو المروخ المصري وبالكنايات المبروغليفية المنقوشة على الاثار القديمة التي يظهر انها توافقنا نضطر ان نرجع كثيراً الى وراء التاريخ الدارج الذي يجعل عيسى المسيح ٢٢٤١ سنة بعد الطوفان والمدة من الخلق الى المسيح ٤٠٠٤ سنوات فلا يخفى ان التاريخ الجاري قائم على مجموع انساب مختلفة ذكرت التوراة خاصة في سفر التكوين مستخرج من اعمار البطارقة ولكنه امر معلوم ايضاً ان كل درجات الانساب لم تكن ضرورية الذكر في جداول اليهود كما يتضح من سلسلة نسب المسيح في لوقا ص ٣٦:٣ حيث يذكر قينان مع انه قد اقبل ذكره في التكوين وكما يظهر ايضاً من ترتيب متى عمود نسب المسيح اذ يجعل المدة من ابراهيم اليو ثلث مرات ١٤ جيلاً . ثم اذا حسبنا المدة الفاصلة بين الطوفان وولادة ابراهيم من مواليد واعمار البطارقة العشرة

للإختلاف الواقع في عدد أسماء ملوكها وتواريخها . أما أسماء الملوك وعدد سني
 تسلطهم على رواية مانيثو المورخ المصري فلم تكن جميعها متتابعة بل كان ملوك
 كثيرون في عصر واحد منهم من كان مستقلاً بأقليم ومنهم من كان منفرداً
 بمقاطعة أخرى ودُعا جميعهم فراعنة جمع فرعون وهي كلمة مصرية أصلها فاراه
 ومعناها نور الشمس . وقد عد المورخون دولها قبل فتوح الاسلام فكانت
 نحو ثلاثين دولة فالدولة الاولى كانت قبل المسيح بنحو ٢٢٠٠ سنة ولول ملوكها
 منذ المسمى بالتوراة مصرايم فكان معتبراً بين شعبه ومهيباً عندهم حتى انهم قدموا
 له العبادة كاله وهو الذي بنى مدينة منفيس وحول النيل عن مجراه الأصلي
 وأصلح أحوال الرعية بتحسين الزراعة ونظم القوانين والأحكام وكانت مدة حكمه
 نحو ٦٢ سنة . وتلك بعده ابنه اثوثيس ويقال انه تولى على مصر العليا او
 الصعيد مدة ٢٠ سنة في أيام ابيه وحكم بعده ٢٧ سنة وهو الذي شرع في ترتيب
 مدينة منفيس وتحسينها وبنى فيها الهياكل والقصور المشيدة وفي أيامه كانت
 الدولة الثانية والثالثة متسلطتين على بعض اطراف المملكة . وذكر مانيثو انه في
 حكم فرعون فينجوس الملك الثاني من الدولة الثانية تعين الثور ايس الها في
 منفيس وبعد موت فينجوس المذكور تولى بوسيريس الذي بنى مدينة ثيبة في
 بلاد الصعيد المدعوة الان لقصر ابي الحجاج وجعلها تخت الملك وكانت من اعظم
 مدائن مصر في الزمان القديم

اما الدولة الرابعة فكان سرير ملكها في مدينة منفيس . ومن مشاهير

المتسلسلين من سام (نك ١٠: ١١ الى ٢٦) نجد ما حسب النسخة العبرانية لا تتجاوز ٢٥١ سنة
 حال كون النسختين السامرية والسبعينية تتفقان بجمل ذلك المدة ٩٤٢ سنة . فبناءً على
 ذلك لا يمكن الاعتماد على تلك السلاسل النسبية ولا اعتبارها جداول أصلية لتاريخ العالم
 العام لان النبي موسى لم يقصد فيها ضبط تاريخ عمومي للخلق ولا ان يحدد زمن الطوفان
 بالنسبة الى الزمن الذي عاش هوفيو بل قصد ذكر ملخص نسب الملخص الموعود به . ولكن
 مع كل ذلك قد استنسبنا ان تتبع في هذا الكتاب التاريخ المأخوذ عن الجداول الموسوية
 لتتفق مع من أخذنا عنهم اقوالنا

للتخلص من جور المحكام وكان من جملة النازحين رجل يقال له بولس من مدينة ثيبة انفرد بذاته وانعكف على العبادة والاصوام فحسب اول من ظهر فيه روح الرهبنة . ولكنه ظهر في اوائل القرن الرابع رجل آخر يدعى انطونيوس فبنى ديراً وجمع فيه اناساً من كانوا يميلون للاعتزال عن العالم ونظم لهم قوانين للسلوك بموجبها ولذلك سمي بابي الرهبان . ثم ان هذه الطريقة اخذت في الامتداد حتى اتصلت الى فلسطين وسورية بواسطة احد خلفاء انطونيوس وبالتدريج عمت اكثر عالم النصرانية

الباب الثاني

في تاريخ مصر واهم الحوادث المتعلقة بفراعنتها من سنة
٢٢٠٠ ق م الى خروج الاسرائيليين^(١)

اما اخبار مصر القديمة وفراعنتها فمحاطة بظلمة كثيفة وقلما يوثق بها

(١) انه اذ لم يتفق علماء التاريخ حتى الآن من جهة بداية التاريخ المصري بعصر علينا تعيين تاريخ ما لالعصر الاول غير اننا نقول انه اذا سلمنا بسلسلة تتابع الدول المصرية على ما جاء بومانيتو المورخ المصري وبالكتابات المبروغليزية المنقوشة على الاثار القديمة التي بظهر انها توافقة نضطر ان نرجع كثيراً الى وراء التاريخ الدارج الذي يجعل مجيء المسيح ٢٢٤٨ سنة بعد الطوفان والمدة من المخلقة الى المسيح ٤٠٠٤ سنوات فلا يخفى ان التاريخ الجاري قائم على مجموع انساب مختلفة ذكرت التوراة خاصة في سفر التكوين مستخرج من اعمار البطارقة ولكنه امر معلوم ايضاً ان كل درجات الانساب لم تكن ضرورية الذكر في جداول اليهود كما يتضح من سلسلة نسب المسيح في لوقا ص ٢٦:٣ حيث يذكر فينان مع انه قد اعمل ذكره في التكوين وكما بظهر ايضاً من ترتيب متى عمود نسب المسيح اذ يجعل المدة من ابراهيم اليو ثلث مرات ١٤ جيلاً . ثم اذا حسبنا المدة الفاصلة بين الطوفان وولادة ابراهيم من مواليد واعار البطارقة العشرة

للاختلاف الواقع في عدد اسماء ملوكها وتواريخها . اما اسماء الملوك وعدد سني
 تسلطهم على رواية مانيثو المورخ المصري فلم تكن جميعها متتابعة بل كان ملوك
 كثيرون في عصر واحد منهم من كان مستقلاً باقليم ومنهم من كان منفرداً
 بمناطعة اخرى ودُعوا جميعهم فراغت جمع فرعون وهي كلمة مصرية اصلها فاراه
 ومعناها نور الشمس . وقد عد المورخون دولها قبل فتوح الاسلام فكانت
 نحو ثلاثين دولة فالدولة الاولى كانت قبل المسيح بنحو ٢٢٠٠ سنة واول ملوكها
 منتر المسمى بالتوراة مصرام فكان معتبراً بين شعبه ومهيباً عندهم حتى انهم قدموا
 له العبادة كاله وهو الذي بنى مدينة منفيس وحول النيل عن مجراه الاصلي
 واصلح احوال الرعية بعمسين الزراعة ونظم القوانين والاحكام وكانت مدة حكمه
 نحو ٦٢ سنة . وتملك بعده ابنه اثونيس ويقال انه تولى على مصر العليا او
 الصعيد مدة ٢٠ سنة في ايام ابيه وحكم بعده ٢٧ سنة وهو الذي شرع في ترتيب
 مدينة منفيس وتحسينها وبنى فيها الهياكل والقصور المشيدة وفي ايامه كانت
 الدولة الثانية والثالثة متسلطتين على بعض اطراف المملكة . وذكر مانيثو انه في
 حكم فرعون فيخوس الملك الثاني من الدولة الثانية تعين الثور ايس الها في
 منفيس وبعد موت فيخوس المذكور تولى بوسيريس الذي بنى مدينة ثيبة في
 بلاد الصعيد المدعوة الان لقصر ابي الحجاج وجعلها تحت الملك وكانت من اعظم
 مدائن مصر في الزمان القديم

اما الدولة الرابعة فكان سرير ملكها في مدينة منفيس . ومن مشاهير

المتسلسلين من سام (تك ١٠: ١١ الى ١٦) نجد ما حسب النسخة العبرانية لا تتجاوز ٢٥١ سنة
 حال كون السنتين السامرية والسبعينية متفقان يجعل ذلك المدة ٩٤٢ سنة . فبناء على
 ذلك لا يمكن الاعتماد على تلك السلاسل النسبية ولا اعتبارها جداول اصلية لتاريخ العالم
 العام لان النبي موسى لم يقصد فيها ضبط تاريخ عمومي للخليفة ولا ان يحدد زمن الطوفان
 بالنسبة الى الزمن الذي عاشه هوفيو بل قصد ذكر ملخص نسب الملخص الموعود به . ولكن
 مع كل ذلك قد استنسبنا ان تتبع في هذا الكتاب التاريخ الماخوذ عن الجداول الموسوية
 لتتفق مع من اخذنا عنهم اقوالنا

فراعتها الملك شوري ومتقاري وسوفيس الاول ثم سوفيس الثاني وهو اخو
سوفيس الاول ثم الملك شوفو واخوه نوشوفو وهما اللذان بنيا الهرم الاكبر في
ارض الجيزة وملكا معا كما يظهر من كتابة اسميهما المنقوشة على بعض حجارة
الهرم المذكور وقد وجد فيه مدفنان لهما وهما غرفتان متقاربتان في جوانب
ذلك الهرم واما الملك متقاري فقد وجد اسمه في الهرم الثالث وتابوته الآن بين
الآثار القديمة في مدينة لندن

واما فراغت الدولة الخامسة فكانوا تسعة ملوك اشهرهم أسركيف وشافري
ونفراكريس اما الملك شافري فهو الذي بنى الهرم الثاني ولكن نُسب الى
سوفيس الثاني خطأ

ومن ملوك الدولة السادسة الملكة نيكتوريس وكانت من اجمل نساء
عصرها حسناً واشهرهن فضلاً وكالاً قيل كان لها اخ قتله بعض رجال دولتها
بغضاً وحسداً فاحالت عليهم الى ان جذبهم الى قصر لها تحت الارض بقرب
النيل بداعي وليلة اعدتها لهم فلما نهوا بالاكل والشرب امرت بان ينساب
عليهم ماء النهر فغرقوا جميعاً

وفي ايام الدولة الثانية عشرة صارت مصر مملكة واحدة في دار ملك
واحدة وهي مدينة ثيبة التي كانت تختلأ لاحدى الدول ولول من استقل بالملكة
ونقلب على باقي ولاياتها اوسيرطاسن الثالث من ملوك الدولة الثانية عشرة
والبعض يظنون انه سينوستريس ولكن اليونان يطلقون اسم سينوستريس
على رمسيس الثاني احد ملوك الدولة التاسعة عشرة كما سيأتي البيان. والى هذا
الملك يُنسب تأسيس مدينة مأكرونك في بلاد الصعيد وافتتاح بلاد الحبشة
والعبيد. ثم خلفه عامونهي الثالث الذي اقام الابنية العظيمة في اقليم النجوم
ورسم عليها اسمه وكانت مدة ملكه اربعاً واربعين سنة

اما ملوك الدولة الثالثة عشرة والرابعة عشرة فلا يوجد لها اخبار صريحة
حتى ان جميع مولفات المؤرخين قد خلت من ذكر اخبارها وتفاصيل احوالها.

وأما الدولتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة فاضلها من مدينة ثيبة التي كانت تحت حكمها وكان آخر ملوك الدولة السادسة عشرة يدعى طباوس وفي أيامه كانت اغارة الملوك الرعاة على مملكة مصر وهي الدولة السابعة عشرة العربية المعاصرة للدولة السابعة عشرة المصرية الملكية

ان افتتاح الرعاة بلاد مصر هو حادثة كثيرة الاهمية في التاريخ المصري وقد وقع الاختلاف بين المؤرخين واهل التحقيق من جهة هؤلاء القوم فبعضهم يجعلهم من الامة العبرانية وبعضهم يقول انهم من اهل فينيقية ولكن هذه النصوص لا تطابق هيئة اشكالهم المرسومة على الآثار المصرية لانهم كانوا يصورون على الأعمدة والصخور كشعب موسومة اجسادهم بالوشم الأزرق ومنتشبين مجلود غنم فهذه الاشارات تدل على امة عربية لا على شعوب عبرانية او فينيقية ولا سيما ان دولهم كانت تسمى هيك سوس في اللغة المصرية اي الملوك الرعاة لان لفظة هيك كانت تستعمل عند قدماء المصريين بمعنى الملك ومعنى سوس الرعاة فاذا زيد عليها ولو وقيل سوسو كانت بمعنى العرب . وخلاصة الكلام فهم انه في زمن الملك طباوس احد ملوك الدولة السادسة عشرة جاء الى مصر طوائف مختلفة تحت راية الوليد بن دومغ وهو الذي يسكن عند اليونان سلاطيس فحارب مصر السفلى والوسطى وتغلب عليها بعد هجمات كثيرة وحروب هائلة ولما استقر بالولاية احرق المعابد والهياكل وبنى القلاع والحصون وشحنها بالعساكر ومهمات الحرب خوفا من هجوم المصريين وغيرهم من الطوائف الاجنبية على البلاد وجعل مدينة منفيس تحت الملكية وانتقل ملك مصر الى الملوك الرعاة ما عدا بلاد الصعيد فانها بقيت مستقلة تحت حكم العائلة الملكية المصرية في مدينة ثيبة التي هي دار الفراعنة . وفي ذلك الوقت كان في الديار المصرية مملكتان وهما مملكة الفراعنة ومملكة الملوك الرعاة المتغلبين في منفيس . وكان المصريون يكرهونهم وينفرون منهم لنفسائهم وكثرة جورهم واحتقارهم الديانة المصرية واستمرت احكام البلاد في ايديهم نحو ٢٦٠ سنة وقال بعضهم ٥١١ سنة ويصعب

تعيين وضبط تاريخ مدقق لتلك الاعصار الاولى لعدم اتفاق المؤرخين في ذلك ولعل الاول هو الاصح وما زالت البلاد تحت تسلطهم حتى استخلصها منهم فرعون اموسيس بعد وفائع وحروب متعددة

وتولى بعد اموسيس المذكور ابنة امنوفيس الاول نحو سنة ١٨٠٠ ق م وهو راس الدولة الثامنة عشرة فاعاد كرسي المملكة في منفيس واستقل باحكام مصر مع مضافاتها ولواحقها . وفي ايامه وجد كثير من صور الخيول منقوشة ومرسومة على الحجارة والصخور والمظنون ان هذه الحيوانات لم يكن لها وجود قبل دخول الرعاة الى مصر ولكن هم الذين ادخلوها لانها لو كانت موجودة قديماً لكان لا بد من نقشها مع باقي الحيوانات التي كانت الاهالي تعني برسها وقد كثر هذا النوع من الحيوانات في تلك البلاد حتى صارت التجار تستجلب من الديار المصرية الى الاقطار الشامية في ايام الملك سليمان بن داود . وما يستحق ان يذكر انه وجد في هذه الايام تابوت والدته هذا الملك ومن داخله قلادة وسلسلة من الذهب مع سيف وتاج عليه تماثلان من الذهب وهو الآن محفوظ في ميب الآثار القديمة ببولاق وبالجملية قد تحسنت مصر في ايام هذا الملك وسرت الناس باحكامه . ومن آثار هذا الملك الرواق الشهير الموجود في هيكلكرك الذي هو من ابداع الابنية القديمة ولم يزل الى الآن اسمه مرسوماً على القناطر القرميدية التي بنواحي ثيبة وصورته في قاعة التصاوير الملكية بالصعيد ومجانبه ملكة حبشية ومن ذلك يستدل على ان المصريين كانوا يتزوجون بالسودان

ومن ملوك هذه الدولة فرعون طوطيس الثالث ملك سنة ١٧٥١ ق م وكان من عظام ملوك الدولة الثامنة عشرة لانه فتح مدناً كثيرة أكثر من جميع سلفائه ومن جملة آثاره المسلة التي نقلت الى الاسكندرية والمسلة التي هي الآن في القسطنطينية واخرى في رومية مكتوب عليها اسمه وله أيضاً آثار عظمية منها الرواق الملكي الموجود في الكرك وصورته هناك ايضاً . وهو الذي بيع

تعيين وضبط تاريخ مدقق لتلك الاعصار الاولى لعدم اتفاق المؤرخين في ذلك ولعل الاول هو الاصح وما زالت البلاد تحت تسلطهم حتى استخلصها منهم فرعون اموسيس بعد وقائع وحروب متعددة

وتولى بعد اموسيس المذكور ابنه امنوفيس الاول نحو سنة ١٨٠٠ ق م وهو راس الدولة الثامنة عشرة فاعاد كرسي المملكة في منفيس واستقل باحكام مصر مع مضافاتها ولواحقها . وفي ايامه وجد كثير من صور الخيول منقوشة ومرسومة على الحجارة والصخور والمظنون ان هذه الحيوانات لم يكن لها وجود قبل دخول الرعاة الى مصر ولكن هم الذين ادخلوها لانها لو كانت موجودة قديماً لكان لا بد من نقشها مع باقي الحيوانات التي كانت الاهالي تعني برسمها وقد كثر هذا النوع من الحيوانات في تلك البلاد حتى صارت التجار تستعمله من الديار المصرية الى الاقطار الشامية في ايام الملك سليمان بن داود . وما يستحق ان يذكر انه وجد في هذه الايام تابوت والدة هذا الملك ومن داخله قلادة وسلسلة من الذهب مع سيف وتاج عليه تماثلان من الذهب وهو الآن محفوظ في سيب الاثار القديمة ببولاق وبالجملية قد تحسنت مصر في ايام هذا الملك وسرت الناس باحكامه . ومن آثار هذا الملك الرواق الشهير الموجود في هيكل الكرنك الذي هو من ابداع الابنية القديمة ولم يزل الى الآن اسمه مرسوماً على القناطر القرميدية التي بنواحي ثيبة وصورته في قاعة التصاوير الملكية بالصعيد ومجانية ملكة حبشية ومن ذلك يستدل على ان المصريين كانوا يتزوجون بالسودان

ومن ملوك هذه الدولة فرعون طوطيس الثالث ملك سنة ١٧٥١ ق م وكان من عظام ملوك الدولة الثامنة عشرة لانه فجع مدناً كثيرة أكثر من جميع سلفائه ومن جملة اثاره المسلة التي نقلت الى الاسكندرية والمسلة التي هي الآن في القسطنطينية واخرى في رومية مكتوب عليها اسمه وله ايضاً آثار اخر عظيمة منها الرواق الملكي الموجود في الكرنك وصورته هناك ايضاً . وهو الذي بيع

بسياسة المراثي فيتضع ما تقدم ان فرعون يوسف لم يكن من ملوك العرب او
العائلة بل كان من العائلة المصرية

ومن ملوك الدولة الثامنة عشرة امنوفيس الثالث الملقب عند اليونان
بالمثون وهو من اشرف فراعنة هذه السلسلة وله صيت عظيم في الاقطار المغربية
قبل انه لم يكن من جنس المصريين بل انه اغتصب الملكة وتسلط عليها بداخلها
مع احد الفراعنة بالزيجة وما يؤيد ذلك ان قبره الذي في مدينة ثيبة منفرد
عن قبور باقي الفراعنة . وكان قد ادعى لنفسه الالهية وانشأ هيكلًا على ميسرة
النبيل نجاه ناحية ثيبة وقد تخرب الآن وانهدم ولم يبق من اثره الا الصنم الكبير
وهو عبارة عن صورة هذا الملك

وكان المصريون يعبدون هذا الصنم ويعتقدون انه كل ما اشرقت



كاهن مصري

الشمس يسمع منه صوت . فكان الناس
يتاثرون من ذلك ولا يعلمون السبب
وظن بعض الرومان واليونان ان مصدر
هذه الاصوات كان من اثر الندى في الليل
وانه عند شروق الشمس وارسال اشعتها
اليو يسمع منه هذا الصوت من اثر الحرارة
في الحجر غير ان الامتحان في هذه الايام
كشف الحجاب وذلك ان السير
كردنرويلكنسون الانكليزي لما اتى
للفرجة على هذا الصنم وجد في جوفه حجراً

اذا ضرب به سُمع له طنين وتكتكة . فكان الكاهن يدخله في وقت السحر
بحيث لا يراه احد من الشعب ويقرع صدر الصنم بذلك الحجر وكان الكهنة
يفعلون ذلك لاجل خداع امنهم بهذه الاحتيال ويجعلونهم يصدقون بالوهية
الصنم المذكور وبقيت اكاذبيهم مستدة اكثر من ثلاثة الاف سنة حتى جاء

ويلكسون المذكور وكشف حجابها وخرعبلانها المسترة

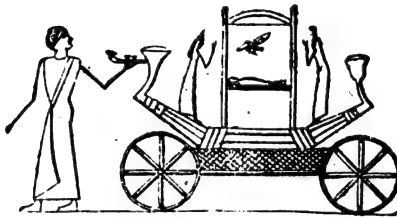
ومن اشهر فراعنة مصر الملك رمسيس الثاني المشهور عند اليونان باسم سينوسندريس وهو الملك الثالث من فراعنة الدولة التاسعة عشرة وكان ملكاً عظيماً ظافراً كثير المغازي والغارات قد ملأ مشارق الارض بصيت فتوحاته وارهب مغاربا بهيبة بأسه وسطواته ولم يكن احد قبلة من ملوك مصر عبر البحر الاحمر فجهز عمارة عظيمة نحو اربع مئة سفينة حربية وتغلب على سواحل هذا البحر وعلى جزائر بحر الهند . وامتد ملكه من نهر الكنك في اسيا الى نهر الدانيوب اي الطونه في اوروبا وكان كلما فتح قطراً واستولى على مملكة من الممالك شيد فيها هياكل واثاراً تدل على نصراته وفتوحاته وبقي فيها فرقة من الجنود المصرية ليستوطنوا فيها وينشروا بها ديانتهم وعوائدهم لتكون علامة ظاهرة لتخليد ذكره على مر الايام ورسم على تلك الاثار كيفية عبوره الى هاتيك البلاد ونقش تاريخ استيلائه على ممالك الدول ولم يزل بعضها باقياً الى الآن

وقد اقام سينوسندريس في مصر هياكل عديدة من اموال الغنائم التي سلبها من الامم حتى لا يكاد يوجد في وادي النيل اثر من الابنية القديمة الا وعليها اسمه ورسمه وشيد ما يلزم من الجسور والقناطر والترع والسدود ليشق البلاد ورفع الاراضي المنخفضة التي يفسدها فيضان النيل بحيث لا يكون للماء سلطة عليها وبالجهد قد وصلت مصر في ايامه الى اقصى درجات الرفعة والمجد وزهت ايضاً بالعلوم والفنون وهو الذي قسم المملكة الى ست وثلاثين ايالة واقام على كل ايالة نواباً لاجل جمع الجزية وهو الذي رسم صورة الخناتة على ما قيل وصور فيها صورة المدن التي افتتحها لبيث لاهل مصر عظم ملكه واتساعه . وكان فيه تيه وتعظيم حتى انه كان اذا ركب في موكب لزيارة المعابد او للتنزه ياتي ببعض الملوك الذين كان قد اسرهم ويلبسهم ثيابهم الملكية ثم يربطهم كالخيل اربعة اربعة ليحروا المركبة . ولكن بعد رجوعه من ذلك

وكب كان بكرهم وبجسن الهم . بشس الكرامة والاحسان بعد تلك المعاملة



مركبة مصرية بعجلتين



مركبة مصرية بأربع عجالات

وذكر المورخون انه لما استولت دولة الفرس على مصر كانت في رواق
سور الملكية بمدينة ثيبة بالصعيد صورة سينوستريس فلما راها داريوس
ك الفرس اراد ان يضع صورته في هذا الرواق فوق صورة سينوستريس
ذكور فغضب رئيس الكهنة المحافظ على تلك الصور من قصد الملك داريوس
بال لهُ بكل جساره لا يجوز لاحد من الملوك ان يعلو على رمسيس الاكبر الا
ن ساواه في المآثر والأعمال العظيمة فلم يغضب داريوس من كلامه بل
مابه قائلاً انه ان عاش عمر سينوستريس ليمتدّد ويفعل لمصر من المنافع
فعلة هذا الملك العظيم حتى لا يكون دونه في الشهرة ورفعة المقام . وعاش
سينوستريس عمراً طويلاً وكانت مدة حكمه على ما رواه مانيتو المورخ ٦٣

سنة وقال بوسيفوس ٦٦ سنة وكان قد عي في آخر حياته وقتل نفسه يده
والسياح في ايامنا هذه يرون اسمه وتاريخ حرويه ونصراته مصورة ومنقوشة على
حيطان القصور والهياكل والاعمدة في النوبة والكرك واثبة

وتولى بعده ابنة مننطا الثاني سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ولهذا الملك ابنة
ومآثر كثيرة في الديار المصرية وكانت مدة حكمه تسع سنين وعلى راي بعض
المدققين المتأخرين انه في ايام هذا الملك خرج بنو اسرائيل من مصر تحت
رياسة موسى سنة ١٤٩١ ق م بعد معجزات كثيرة . وما يدل على صحة كون
هذا الملك هو نفس فرعون الخروج هو انه مات عن ابنة يقال لها طوسيد
وابن قاصر يعرف بمننطا الثالث فتولت البنت قبل اخيها لتصوره وتزوجت
برجل من الامراء يقال له صنفط مننطا ومعناه عبد النار وكان زوجها
يحكم عنها بالنيابة فجلوس هذه الملكة بعد موت ابيها على كرسي الملكة وزواجها
برجل ليس هو من بيت الملك مع كثرة العائلة الملكية من ذرية جدها
سينوستريس الذي كان قد خلف نحو عشرين ولداً ذكرًا نذل دلالة قوية
على وقوع حادثة عظيمة مهولة افترضت بها ذكورهم وهي غرق فرعون وقومه .
ومن العجب ان قدماء المصريين يكتفون بحادثة غرق فرعون وينكرونها
بالكلية خوفاً من النضيحة والعار في القرون المستقبلية . ولا عجب من كتمان
المصريين هذه الحادثة لاننا نجد في هذه الايام المتنورة من ينكرها ايضاً اذ
ينسبون انفلاق البحر الى حادثة طبيعية وهي المد والجزر الدوريان . وان قال
قائل كيف يمكن ان يكون مننطا الثاني هو ذات فرعون الذي غرق في البحر
الاحمر حال كون قبره الان بين قبور الملوك الباقية بالصعيد في الجهة
المعروفة بباب الملوك فنقول ان ذلك ليس ببرهان قاطع لتأييد الاعتراض
لان وجود القبر لا يدل على وجود مقبر فيه فكثيراً ما نرى مشاهد ومدافن
في اماكن مختلفة على اسم انبياء وانماخاص مشهورة ومدفنتهم الحقيقي في غيرها من
البلاد فانه يجوز ان يكون فرعون هذا قد بنى لنفسه مدفنًا في حياته حسب

العادة التي كانت جارية بين ملوك ذلك العصر ولم يدفن فيه . وعلى فرض
انكار هذه العادة فقد تقدم ان مورخي المصريين لم يذكروا شيئاً من هذه الحادثة
بقصد اخفاءها في العصور المستقبلية فلا يستعبد ان يكونوا قد بنوا له قبراً
لاثبات دعواهم بهذا الانكار وتحميل من براه على تكذيب هذه الواقعة

الباب الثالث

في ولاية فرعون شيشق سنة ٩٩٠ ق م الى بداية حكم الدولة
البطليموسية سنة ٣٢٣ ق م

ومن مشاهير فراعنة مصر الملك شيشق الاول وهو راس الدولة الثانية
والعشرين ولول ملوكها تملك نحو سنة ٩٩٠ ق م وكان سريره بمدينة بسطة
بالشرقية المعروفة الان بتل بسطة الذي هو بقرب الزقازيق وهو الذي هرب
اليه يورعام بن ناباط ملك اسرائيل مستغيثاً به فنهض فاصداً اورشليم بالف
ومثني مركبة وستين الف فارس وحارب رجعام بن سليمان ملك يهوذا وكان
في جيشه قوم من السودان والحيشة فافتح مدن يهوذا ونهب خزائن بيت
المقدس وخزائن بيت الملك واخذ انراس الذهب التي عليها سليمان ثم عاد
الى مصر . وتارخ هذا الفتوح لم يزل مصوراً على حيطان هيكل الكرنك العظيم
ومكتوباً عليه يهوذا ملكي اي مملكة يهوذا تحت قبضة يدي مع صور كثيرة من
الاسرى الذين اسرم في حربه ومغازيه وعلى صدورهم اسم جنسهم وبلادهم .
وقد حكم هذا الملك ٢٢ سنة

وخلفه ابنه اوسرخان الاول وهو المعبر عنه في التوراة بالملك زارح الحشي

حارب ملكة يهوذا بنحو مليون من النفوس وثلاث مئة مركبة حربية فصار ملك يهوذا للملاقاة واصطف جنود الفريقين في وادي صفد فالتى الله الرهب في قلوب المصريين فهربوا جميعاً والمراد بالحبة في التوراة هم المصريون ومن معهم من الجنود الاجتية الحبشية . وكانت مدة حكم هذا الملك خمس عشرة سنة . اما باقي ملوك هذه الدولة فقلما نعلم من انبائهم شيئاً . وقد وجد على بعض الاعمدة في مقبرة ابيس بالقرب من منفيس اسماء ملوكها وكنية جلوسهم على الكرسي واحد بعد الآخر

شيشق الاول	تكلات الاول
اوسرخون الاول ابنه	اوسرخون الثالث
هرشاسب ابنه	شيشق الثالث
اوسرخون الثاني	تكلات الثاني
شيشق الثاني	

ومن فراعنة مصر الملك سباقون وهو راس الدولة الخامسة والعشرين السودانية الحبشية التي كانت قد استولت على الديار المصرية سنة ٧١٤ ق م . ثم تولى بعده اخوه سواخوس وهو المذكور في التوراة باسم سوا الذي استغاث به هوشع ملك اسرائيل على شمعاصر ملك اشور . ثم ملك بعده طهرناق وكان ملكاً عظيماً ظافراً ذا شوكة وبأس . وهو الذي زاد تمسعين الهيكل الذي بنواحي جبل البركل في بلاد الحبشة ووسعة وزخرفة و اضاف ايضاً قاعة عظيمة الى هيكل مدينة آبو في ثيبة حيث اخبار غلباتو على الاشوريين في ايام سنخاريب عند ما غزا الديار المصرية . وقد وجد في هذه الايام في آثار مدينة آبو تثال هذا الملك منتوشاً عليه انه حكم الحبشة ومصر وجميع مدن افريقية وكانت مدة حكمه خمساً وعشرين سنة وبه انتهت حكومة دولة الحبشة من بلاد مصر

ومن فراعنة مصر الملك بساماتيوكوس الاول الذي يسميه هيرودوتوس

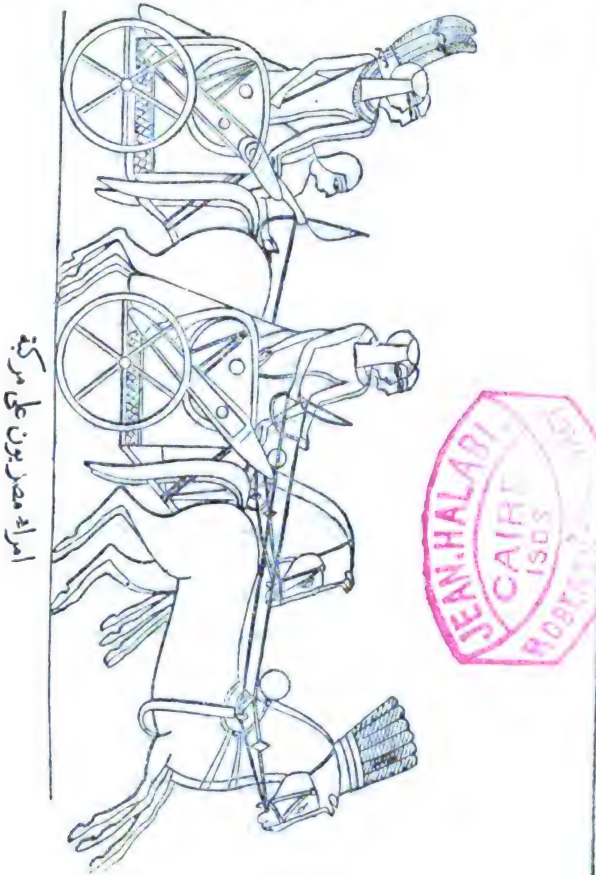
ابساميس وهو راس الدولة السادسة والعشرين كان ابتداء ملكه قبل المسيح بست مئة وأربع وستين سنة وكانت مملكة مصر قد انقسمت قبل هذا الملك بين اثني عشر قائداً من عظامها فطرد القواد المذكورين واستقل بالملكة وكان رجلاً حاذقاً محمود السيرة وتعتبر مدة ملكه مدة مهمة للغاية اذ في زمانه انتهى الاجهام والالتباس التاريخي واشرفت شمس المعرفة الحقيقية في التاريخ المصري . وفي ايام هذا الملك شاع استعمال الكتابة بالاحرف الالهية واتسم بين الناس علم الكتابة المصورة وصارت مصر مملكة واحدة منتظمة قضيتها مدينة منفيس وفي ايامه بلغت بلاد مصر درجة سامية في التمدن والمعارف والغنى لانه اعنى نفسه وتنظيمها وجدد معاهدات تجارية بينه وبين اليونان واهل صور وسهل اسباب الاخذ والعطاء حتى صارت مصر مركزاً للتجارة الامم . وكان قد اتخذ من اليونان عسكرياً وجعل منهم قواداً وروساء وقلدهم اسنى المناصب وخالف في ذلك عوائد من تقدمه من الفراغة وبهذه الوسيلة ازدادت جنود مصر غيظاً وحقاً عليه . وقيل انه لما حارب فلسطين جعل جنود اليونانيين في المينة وترك للمصريين الميسرة التي كانت علامة الذل والاهانة فغضب المصريون من جراء ذلك وحشد اكثرهم عليه واراد منهم جماعة الى مصر . ولهذا الملك اثار كثيرة في الديار المصرية من الابنية المزخرفة والاعمدة الجميلة في ثيبة والكرنك وقد زيد الهياكل باحسن النقوش واجملها وكانت مدة ملكه نحو ٥٤ سنة

ثم تولى بعده ابنه نحو سنة ٦١٠ ق م وكان كايو له عناية واهتمام بتجسين احوال الرعية وتوسيع دائرة التجارة وهو الذي شرع في ايصال نهر النيل بالبحر الاحمر بواسطة ترع طولها ٩٦ ميلاً ولكنه بعد ما اهلك مئة وعشرين الف نسمة من قومه في هذا العمل تركه غير كامل . وكان ملكاً مظفراً افتتح ممالك كثيرة واستولى على اكثر مدائن اسيا واتصر على ملك بابل وعند رجوعه عزل يهوياحاز بن يوشيا ملك اورشليم وولى مكانه اخاه الياقيم

وضرب على شعب يهوذا خراجاً يدفعونه له في كل عام وهو مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب واخذ يهوياحاز معه الى مصر اسيراً وفي ايام الياقيم المذكور تولى نبوخذ نصر الاول ملكاً على بابل فجهز الجيوش والعساكر وزحف الى اورشليم وملكها واسترد ما كان اكتسبه نحمو من بلاده وانقطع حكم فرعون على اورشليم وخسر كل ما كان افتتحه من الممالك والمدن في اسيا وكانت مدة ملكه على رواية هيرودونس ست عشرة سنة وعلى رواية مانيشو ست سنوات والاول اصح واشهر

ثم قام بعده ابنه بساماتيوكوس الثاني سنة ٥٩٤ ق م ومات في السنة السادسة لملكه بعد رجوعه من فتوحاته في الحبشة وخلفه ابنه ابريس المدعو ايضاً فرعون حضرم وهو المذكور في ارميا ٢٠: ٣٤ ومن اعماله انه جهز جيشاً عظيماً لمحاربة اسيا فحاصر صيدا وصور واخضع جميع بلاد فينيقية وفلسطين وفي ايامه حدث انقسام في المملكة وفن حروب كثيرة وفي اثناء ذلك زحف نبوخذ نصر ملك فارس في جيش عظيم الى مصر ففتحها بعد حصار طويل وهدم هياكلها وابراجها ووقع فرعون حضرم في يد فامر بشقه . ثم رجع نبوخذ نصر الى بلاده واستخلف على مصر رجلاً من اعيان المصريين يقال له اماسيس فاقام بامرهما اثم قيام ثم ترد اخيراً على الدولة الفارسية واستقل بالمملكة المصرية واخضع لحكمه جزيرة قبرص وكانت مدة ملكه ٤٤ سنة . وتولى بعده ابنه بساماتيوكوس الثالث وفي ايام هذا الملك زحف كمبيز بن كورش ملك فارس سنة ٥٢٥ قبل الميلاد بالجيوش والعساكر لافتح مصر بسبب عصيان اماسيس على المملكة الفارسية فتغلب عليها بعد حروب كثيرة ووقائع مهولة وقبض على بساماتيوكوس والزمه ان يشرب مقداراً كثيراً من دم الثيران ففعل ذلك به كالمم ومات وخضعت لكمبيز بعد ذلك كل بلاد مصر وصارت مقاطعة فارسية وتوالت عليها نواب الفرس كما مر في ترجمة كمبيز عند ذكر ملوك فارس

وسنة ٤١٢ ق م كره المصريون حكم الفرس عليهم ونشروا من عبوديتهم



امراء مصريون على مركبة

فعضوهم مرة أخرى في السنة العاشرة من حكم داريوس نوئوس ملك فارس
ونالوا حريتهم وكان الملك ارتزركسيس قد شرع في الاستعدادات اللازمة
لاسترداد مصرفات قبل ان يقيم حرباً . ثم قام بعده ابنه داريوس الثالث
او دارا اخوش سنة ٣٥٨ ق م وفي السنة العشرين من حكمه جهز جيشاً عرمرماً
وشار فاصداً الديار المصرية وعند وصوله اليها جرى بينه وبين المصريين

وسنة ٤١٣ ق م كره المصريون حكم الفرس عليهم ونفروا من عبوديتهم



امراء مصريون على مركبة

فعصوم مرة اخرى في السنة العاشرة من حكم داريوس نوئوس ملك فارس
ونالوا حريتهم وكان الملك ارتزركسيس قد شرع في الاستعدادات اللازمة
لاسترداد مصرفات قبل ان يقيم حرباً . ثم قام بعده ابنه داريوس الثالث
اودارا اخوش سنة ٣٥٨ ق م وفي السنة العشرين من حكمه جهز جيشاً عرمرماً
وشار فاصداً الديار المصرية وعند وصوله اليها جرى بينه وبين المصريين

الباب الرابع

في تمدن المصريين القدماء وصنائعهم وعقائدهم
وما يتعلق بهم

يظهر جلياً من دلائل الآثار والتواريخ المصرية ان المصريين قد تقدموا قديماً في انواع المعارف والفنون العقلية والفلسفة الكمية تقدماً عجيبيّاً وبرعوا في علم الهيئة والنجوم والهندسة براعة غريبة ولا سيما فن الطب فانهم كانوا قد اتقنوه اتقاناً جيداً وكان الطبيب عندهم لا يتفرغ الاً لمعالجة مرض واحد من الامراض فلهذا السبب نجحوا فيه وبرعوا . واثارهم كابنتهم العظيمة المدهشة دلائل ظاهرة على تقدمهم وبراعتهم في تلك العصور المظلمة وعلى الخصوص الاهرام التي تذهل عيون الناظر بارتفاعها ولا يزال الى الان ثلاثة من اعظها في ارض الجيزة وهي بعيدة اميالاً قليلة عن القاهرة واعظم هذه الاهرام مربع القاعدة وطول كل من جوانب قاعدته ٧٥٠ قدماً وارتفاعه نحو خمس مئة قدم وهذه الاهرام مبنية بحجارة صلبة جداً يبلغ طول كل حجر منها ما بين عشر اذرع الى عشرين ذراعاً وعرضه ما بين ذراعين الى ثلاث اذرع وقد سلكوا في بنائها طريقاً عجيباً من حسن الصنعة والضبط والاتقان فلا تجد بين الحجر والحجر مدخل ابرة ولا خلل شعرة . واما خرب مدينة ثيبة وغيرها من المدائن المجاورة لها في بلاد الصعيد فبيان عظمها وعجائب ما فيها من الهياكل والاعمدة والتماثيل والمعابد المزخرفة بفوق التصديق حتى ان السائح اذا شاهدها وتامل في اشكالها وبنائها يلهي التامل في الماضي عن ملاحظة الحاضر وتلهي قوة

اهلها عن التفكير في فواحشهم . وكانت لم اليد الطولى في صباغة الذهب
والفضة والالوان المختلفة فكان صياغهم يصيغون خواتم نفيسة وقلائد ثمينة يبيعون
ويشترون بها

وهم الذين اخترعوا آلة الحراثة وصبغوا الزجاج بالوان متنوعة كلون
الزمرد والعقيق وغيرها . واما تجارهم فانهضت في غلامهم ومحصولاتهم وكان
لم اتصال مع الهند بواسطة بلاد العرب فكانوا يرسلون الى تلك النواحي
ما راج عندهم من الحبوب والمواشي والبخار والزجاج ويستبدلون بها منهم العطر
والبهار والياقوت وغير ذلك

وكان لم احكام غريبة وعوائد عجيبة تدونت في نواريجهم ودفاتر شرائعهم
منها انه اذا احتاج انسان الى اقتراض مبلغ يجوز له ان يقرض ويبرهن في
نظير دينه جثة والده المدفونة فيكون قبر ابي المديون تحت يد الدائن الى
وقت استغناك المال فاذا لم يفر المديون دينه ومات حرم من دفنه في مقابر
والديه ونحرم اولاده ايضا ما لم يوفوا دين والدهم . ومنها ايضا انهم كانوا
يبغضون الاجانب بغضا عظيما فلا يجالسونهم ولا يتناولون معهم طعاما . ومنها اذا
مات منهم احد من الاشراف تمزج نساء بيته واقاريه وجوهن بالوجل ثم يقرعن
صدورهن ويطنن في المدينة صارخات باكيات وهكذا يفعل الرجال ايضا
وبعد ذلك ياتون بالجسد الى المخططين وبعد التخطيط يصير القضاة على الميت
وهوائهم ياتون بالجثة الى امام كرسي القضاة فان كان الميت من اهل الصلاح
والنفوس وجاء من شهد بذلك برز القضاة بدفنه مكرما وان كان ذميا
فبيحا دفن على خلاف اللائق ولو كان من اعظم الاشراف ويقال ان كثيرين
من الفرادة لقباحهم حرموا من واجبات الدفن الاحفالية في قبورهم التي كانوا
يصرفون زمنا طويلا في ترتيبها داخل الاهرام

واما صناعة التخطيط فكانت باخراج دماغ القحف من المخترين واخراج
الامعاء الا القلب والكليتين من ثقب في الخاصرة ثم يغسلونها بمجر النخل

ويردونها الى اجوافها ويملاون الراس واجواف الامعاء بالمر والفرقة وكل انواع
الاطياب والطور ويدهنون الجسد بالزيوت العطرية مدة ثلاثين يوماً ثم
يوضع في ماء نظرون اربعين يوماً ثم يلف بلفائف مغموسة بالمر وتدهن اللثائف
من خارج بماء الصنع للوقاية من الهواء ثم يوضع في تابوت من خشب او من
حجر ويدفع لاهله فيبقونه في بيوتهم او يضعونه في مدفن ومن هذه الاجساد ما
هو باق الى ايامنا هذه

واما ديانتهم فهي عبادة الاوثان فكانوا يعبدون الطيور والوحوش
والشمس والقمر والنجوم . وكان من اعظم الهتهم العجل المسمى عندهم ايس وكانوا
يتعبدون جنًا حتى يجدوه لانه لم يكن كباقي العجول بل يجب ان يكون مولوداً



عجل ايس معبود المصريين

من عجلة نزل عليها البرق وان يكون
شعره اسود وان يكون ايضاً على جبينه
بقعة بيضاء مثلثة الزوايا وفوق كل ذلك
يجب ان يكون على ظهره صورة نسر
وتحت لسانه صورة خنفسه ويكون شعر
ذنبه مضاعفاً وكان هذا العجل المأ للعموم
واما الكهنة فكانوا يعتقدونه رمزاً عن

اوزيريس الذي هو اله الشمس . واما باقي الحيوانات الاخرى فكانت عندهم
رمزاً عن بعض الالهة وعينت الشريعة اناساً مخصوصين لخدمة هذه الحيوانات .
واذا قتل انسان احد هذه الحيوانات عداً عوقب بالموت

واما احكامهم الملكية فكانت مقيدة بوجود المجالس وكانت سطوة الملك
نافذة في جميع الرعية اما الكهنة فكانوا اصحاب الشرائع والعلوم ومن وظائفهم
مسح الاراضي وتقسيم الخراج على الناس ولم يكونوا يدفعون الجزية عن املاكهم
وكان لكل منهم كل يوم قسم من اللحوم المقدسة ومن لحم البقر والاوز ومن العجب
انه لم يسمح لهم ان ياكلوا سمكاً وكانوا يحافظون جنًا على نظافة اجسادهم وملابسهم

تدل على جمل مختصرة . وانحصر هذا النوع في رساء الكهنة فقط وفي هذا
 القلم مجهولاً بين الناس حتى انتهى الى معرفته الحاذق الشهير المعلم شنبليون
 الفرنسي سنة ١٨٢٢ مسيحية

الباب الخامس

في الدولة البطليموسية التي تغلبت على الديار المصرية
 بعد الفراعنة

انه بعد موت اسكندر الكبير تولى الملكة المصرية الدولة البليموسية وقعت
 في نصيب سوطير بن لاغوس حين مقاسمة مالك اسكندر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد
 ويقال انه كان ابن فيلبس ابي اسكندر من بعض جواريه . وكان سوطير
 المذكور وهو بطليموس الاول يعرف اعتبار مصر ومقامها وكان حاذقاً عادلاً
 محباً للعلوم وهو الذي اتخذ الاسكندرية داراً للملك وجمع فيها المكتبة المشهورة
 وانشأ بها مدرسة عظيمة وجدّد مدناً كثيرة وفصح الترع المردومة واعنتى بانساع
 التجارة واصلاح امور الزراعة والفلاحة وازدادت الملكة في ايامه غنى وعلماً
 وتمدناً . وكان قد جهز جيشاً وارسل من قبله قائداً للتغلب على الديار الشامية
 فافتتحها واستولى عليها واستطال ذلك القائد على اليهود واسر منهم نحو مئة
 الف نفس وساقهم الى مصر وجار على من تخلف منهم بنسطين جوراً عنيفاً
 وتفرغ بطليموس في آخر ايامه لتنظيم الملكة فشرع في تميم الهياكل
 والنصور والمباني العظيمة فبها ضريح اسكندر الكبير الذي لا يعرف الآن

ع النبل وارسل سفناً ايضاً لاستكشاف سواحل الحبشة والبلاد السودانية وخلف بطليموس الثاني ابنه بطليموس الثالث الملقب الكرمي وكان ابتداء نحو سنة ٢٤٦ ق م واتبع خطوات ابيه وجده فساه شعبه اورجينيوس ابيه سن الى شعبه وكان كثير الحروب والفتوحات وامتد حكمه الى نهر الفرات بجزيرة والعراق والى اقليبي خوزستان واذربيجان وهو الذي ارجع الالهة سرية التي كان كميتر قد اخذها من مصر وفي اثناء حروبه لانتطيوخوس ك سورية نذرت زوجته برنيقي نذرًا وهو انه عند رجوع زوجها من غزواته س شعر راسها للزهرة فلما رجع ظافراً غانماً وفث نذرهما فجرت شعرها وضعت في هيكل الزهرة الا انه لم يمض الا زمان يسير حتى فقد من الهيكل ف الحراس من جراء ذلك على نفوسهم من الملك واستعظموا هذا الامر. ابلغ الملك الخبر استشاط غضباً وامر باحضار الحراس اليه عازماً على قتلهم خل عليه بعض المتبينين وكان متقدماً في بابه وقال له قد بلغني فقد شعر لك من الهيكل وانيت اليك لاعلمك حقيقة هذا الامر وهو ان الزهرة قد ت شعر الملكة الى السماء ووضعت بين النجوم فلما سمع الملك كلامه سر لك وصغ عن ذنب الحراس. ومن ثم حسب شعر الملكة برنيقي من جملة ور النجوم. وكانت وفاة الملك المذكور سنة ٢٢٢ ق م

اما بطليموس الرابع وهو ابن الثالث المسمى فيلوباتر ابي محب ابيه فحكم سنة ٢٢٢ الى سنة ٢٠٥ ق م وكان فاسياً دموياً محباً للبدخ محاطاً باتباع حواس خداعين مملفين ومن جملة قبائحهم انه اثار اضطهاداً شديداً على اليهود جميع مملكتهم وقتل ارسينوي وهي اخنوخ وزوجته معاً ثم مات محنقاً مرذولاً من بيع رعيته. وخلفه ابنه بطليموس الخامس الملقب ايفانيس ومعناه الماجد كم من سنة ٢٠٥ الى سنة ١٨١ وسار سيرة ابيه في المظالم والعدوان وارنكب الماثم والقبائح ما ليس للناس طاقه على احتماله وقبل انه سئل يوماً من ن ندفع اجور العساكر فاجاب كيف نخاطبونني بهذا السؤال اما تعلمون ان

بعد له صبراً على مفارقتها فاقامت معه اياماً وبعد ذلك جلبته معها الى
 سكندرية وهناك تزوجته . واذ كان لا يستطيع مفارقتها ولا يقدر ان
 يص من اسرها لها نسي وظيفته والقيام بمأموريته
 وكان لانتونيوس زوجة اخرى يقال لها اوكافيه وهي اخت القائد
 كنافيوس شريك انتونيوس في الرياسة الرومانية فلما تزوج كليوباترا
 بل الشقاق والاختلاف بين القائدين . فاستعد اوكنافيوس لمقاومة
 لونيوس والانتقام منه فقصده الديار المصرية بمجنود كثيرة فافتتحها بعد حروب
 ثلثة بطول شرحها . ولما شعر انتونيوس بالغلبة طعن نفسه بمخنجر فمات .
 ما كليوباترا فبعد ان افرغت جهدها في ان تسلب عقل اوكنافيوس وتاسره
 بالها ولم تنجح صممت النية على قتل نفسها خوفاً من ان تبين اسيرة فيذهب
 الى رومية في حالة الذل والهوان فامانت نفسها شرميته . وقد اختلف
 برخون في طريقة قتلها فمنهم من زعم انها شربت سمًا وقال اخرون انها كانت
 ضرت ثعباناً صغيراً سمّاً اخفته في وعاء لوقت الحاجة فلما كان ذلك اليوم
 ست على سرير ملكها ووضعت تاجها على راسها وعليها ثيابها وزينتها وفرقت
 معها وجواربها ثم فتمت الوعاء الذي كان فيه الثعبان ووضعت على ثديها
 معها فماتت من وقتها وساعتها وانقض ملك اليونانيين بهلاكها وكان ذلك
 ٣٠ ق م . وكانت مدة حكم الدولة البطلمية نحو ٢٩٤ سنة

الباب السادس

في من تولى مصر من اوائل ظهور الاسلام الى الدولة الفاطمية

ولما انقرضت دولة اليونان استولى على مصر الرومان واقامت البلاد

تحت تصرف احكامهم نحو سبع مئة سنة فكانت تحسب ولاية من الولايات الرومانية حتى استفتحها عمر بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٦٤٠ للميلاد واقام بها عمر المذكور والياً ٧ سنين ثم عزل في خلافة عثمان بن عفان وتولى بعده عبد الله بن ابي السرح ثم غيره من العمال الى ان انتهت الخلافة الاسلامية الى بني امية فكانوا يرسلون لها عمالاً من طرفهم مدة خلافتهم وكان حملة من تولى بالنيابة عنهم بمصر ستة وعشرين نفراً في مدة مئة واحد عشر سنة . وكانوا يسمون عمال خراج مصر ويقيم الواحد منهم شهراً ثم يعزل ويتولى غيره . ثم جاءت بعدهم الدولة العباسية واستمرت مصر تابعة لها الى سنة ٨٦٨ حينما قام فيها احمد بن طولون وتغلب عليها وصار سلطاناً وكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة وشهرين وخلفته ذريته من بعده واستمر الحكم في ايديهم ٢٧ سنة وهي المعروفة بالدولة الطولونية . ثم عادت نيابة العباسية بمصر في خلافة المكتفي فتولى منهم احد عشر نفراً . وجاءت بعدهم الدولة الاخشيدية التي منها كافور الاخشيدي وكان حبشياً اسمر اللون تسلطن سنة ٩٦٥ فاقام ستين واربعة اشهر وخلفه بالملك ابو الفوارس احمد بن علي بن الاخشيد فاقام سنة واحدة وبه انقرضت الدولة الاخشيدية ثم جاءت بعدهم الدولة الفاطمية ونذكر شيئاً من اخبار ملوكها على وجه الاختصار

الباب السابع

في الدولة الفاطمية

عدد خلفاء هذه الدولة اربعة عشر كما مرّ بيانه في جدول الخلفاء عند الكلام على دول العرب فمنهم ثلاثة ظهوروا ومانوا في بلاد المغرب واحد عشر بمصر . ولول هؤلاء هو المعز لدين الله بن المهدي عبيد الله المغربي تولى

احكام الغرب بعد موت ابيه المنصور سنة ٩٥٣ للمسيح ثم استنسخ الديار المصرية واستخلصها من الدولة الاخشيدية سنة ٩٦٧ بواسطة قائده جوهري الصقلي الذي بنى فيها مدينة القاهرة بامر المعز فدخلها المذكور سنة ٩٧١ ومن ذلك الوقت صارت بلاد مصر والغرب مملكة واحدة

وفي نسب هذه العائلة اقوال كثيرة فمن الناس من رفع نسبهم الى فاطمة بنت الرسول ومنهم الى حسين بن محمد القداح وكان القداح رجلاً مجوسياً وإخباره معروفة ومعلومة عند أكثر المورخين . وكان المعز عادلاً منصفاً في الرعية غير انه كان شيعياً وامتد حكمه من حلب الى بلاد المغرب الى مكة كما امتدت احكام الخلفاء العباسية في ايامه من بغداد وسائر ممالك المشرق الى العراق واعمالها واستمر المعز بالخلافة نحو اربع سنين ثم توفي سنة ٩٧٥ للمسيح ومن هؤلاء الخلفاء الحاكم بامر الله وهو الخليفة الثالث من بني عبيد بصر بويح بالخلافة بعد موت ابيه العزيز سنة ٩٩٦ وكان في اول امره فاضلاً عادلاً مستقيماً الاحوال ثم تغيرت اطواره وزاد في الظلم والجور في حق الرعية وصار يامر باشياء تفحك منها الناس فمنها انه اجاز يوماً بحمام الذهب فسمع فيها ضجيج النساء فامر ان يسد عليهن باب الحمام فسدوه عليهن حتى متن في الحمام كلهن . ومنها انه امر ان لا يبيع احد زيباً ولا عباً ثم امر بحرق الكروم وقطعها فقطع منها شيء كثير ثم نهى الناس عن اكل الملوخية والقرع وعمل ذلك بان معاوية بن ابي سفيان كان يميل الى الملوخية وان عائشة بنت ابي بكر كانت تميل الى القرع . ثم انه امر بقتل الكلاب فقتل نحو ٢٠ الف كلب في يوم واحد . وكان قد امر النصارى بلبس الازرق واليهود بلبس الاضر وكانوا قبل ذلك في زي واحد يلبسون المآزر العسائية ثم اسكن اليهود في حارة زويلة ونهدهم بالقتل ان لم يدخلوا في الاسلام فخافوا منه واسلم منهم عدد غفير ثم امرهم بالرجوع الى اديانهم فارتد منهم في يوم واحد سبعة الاف نفر ثم امر بهدم معابدهم ثم امر باعادتها لهم . ومن اعماله القبيحة انه امر بقتل العلماء

والادباء ثم ادعى الالهة وكتب له باسم الحاكم الرحمن الرحيم وكان الجهال اذا
 رآه يقولون له يا واحد يا احد يا محبي يا مميت ثم ادعى علم الغيب فكان يقول
 ان فلانا قال في بيته كذا وكنا واكل كذا وكنا ودخل له كذا وكذا وكان
 ذلك بانفاق اعتمده مع العجائز اللواتي كنَّ يدخلن الى بيوت الامراء وغيرهم
 ويخبرنه بما جرى . وكان هو واسلافه يدعون الشرف ويقاؤون انهم من ذرية
 علي بن ابي طالب وفاطمة بنت النبي وكان الحاكم بامر الله يذكر ذلك كثيراً
 على المنبر في كل جمعة . وكان قد امر الرعية انه عند ما يذكر الخطيب اسمه على
 المنبر تقوم الناس صفوفاً اعظاماً لذكره واحتراماً لاسمه واصدر امراً الى
 سائر نوابه في المملكة ان تفعل هكذا حتى في مكة ايضاً وكان اكثر الناس
 في مصر اذا رآه خرّوا وسجدوا . فلما طال الامر على الناس وتزايد جورُهُ في
 حتى الرعية اخذت اخنأ سيدة الملك في تدبير الحيلة على قتله وكانت من اذكي
 واعمل نساء عصرها وكان الحاكم كثيراً ما يتهدها بالقتل فخرجت في بعض
 الليالي وانت الى دار الامير سيف الدين بن دواس فاخملت به واعلمته بنفسها
 وقالت له انت نسّم ما يجري من اخي في سفك الدماء وخراب البلاد وقد صم
 على قتلك وقلي فقال وما الحيلة في امره فقالت الراي عندي ان ترسل له
 غلاماً بقتلونه عند خروجه الى جبل المنطم فانه كثيراً ما ينفرد بنفسه هناك
 واذا قتل تكمن انت المدير بدولة ولده ووزيره فانفقا على ذلك ومضت سيدة
 الملك الى قصرها وفي الغد خرج الخاتم على عادته وانفرد بنفسه في الجبل
 المذكور فعد ابن دواس الى عشرة من اعييد السود واعطى كل واحد منهم
 خمس مئة دينار واعلمهم كيف يقتلونه فساروا من وقتهم واختنوا في تلك
 النواحي حتى ابصروا مقبلاً وحده وليس معه احد فهمموا عليه وقتلوه وكانت
 مدة خلافته خمساً وعشرين سنة وشهراً واحداً ومن العجب ان في هذه الايام
 قوماً يعتقدون انه حيّ ويحلفون بغيبته ويزعمون انه لا بد ان يظهر مرة ثانية
 ويدين العالم

وفي أيام المستنصر بالله وهو الخامس من خلفاء هذه الدولة حدثت المجاعة العظيمة التي لم يسمع بمثلا من قديم الزمان حتى أكل الناس بعضهم بعضاً فكان الكلب يباع بخمسة دنائير وألقط بثلاثة دنائير واشتد الغلاء وعظم البلا على الناس حتى صودف أحياناً أن الكلاب كانت تدخل الدور وتأكل الأطفال وهم في المهود وآبائهم وأمهاتهم ينظرون إليهم ولا يستطيعون النهوض لانتقام من شدة الجوع وكان الرجل أحياناً يسرق ابن جاره ويذبحه ويأكله ولا ينكر ذلك عليه . وكان في مصر حارة بها عشرون داراً كل دار يساوي ثمنها نحو ألف دينار قيل إنها بيعت كلها بطبق خبز فدعيت من ذلك اليوم بحارة الطبق . وخرجت امرأة ذات يوم إلى السوق ويدها عند من الجوهر فقالت من يأخذ مني هذا العقد ويعطيني عوضه فحماً فلم تجد من يأخذ منها ثم التفت إلى العقد وقالت إذا كنت لا تنفعني وقت الحاجة فلا حاجة لي فيك وإني على الأرض غضباً وانصرفت . ويقال أن الوزير ركب بغلته يوماً وأتى إلى دار الخلافة فلما نزل عنها أخذها غلامه وأكلوها . وكان الرجل يمشي من جامع طولون إلى باب زويلة ولا يرى في وجهه انساناً إلا نادراً . وأقام المستنصر في الخلافة إلى أن مات وكانت مدة خلافته ستين سنة وأربعة أشهر ولا يعلم في الإسلام خليفة ولا سلطان تولى هذه المدة غيره . واستمرت ملوكهم تتناوب الملك واحداً بعد آخر حتى انقرضت دولتهم في زمن العاضد بالله سنة ١١٧١ للميلاد وهو آخر ملوكهم حين ظهرت الدولة الأيوبية الكردية فتكون مدة الخلافة الفاطمية المصرية ٢٠٥ سنوات

الباب الثامن

في الدولة الأيوبية

ان اصل هذه الطائفة من بلاد اذربيجان بنواحي الكرج وهم اكراذ

كانوا في خدمة محمود بن زنكي صاحب الديار الشامية فارسلهم الى مصر
 في بعض اشغال له فاقاموا بها مدة وقويت شوكتهم هناك واحببهم الناس
 نظراً لوداعتهم وحسن سلوكهم ولما استقامت امورهم وامتدت صولتهم قتلوا
 وزير العاضد بالله باتفاق الاهالي وتولى منصب الوزارة منهم اسد الدين
 شيركوه اخو ايوب ابن عم صلاح الدين فقام بالوزارة نحو شهرين ثم مات
 واستوزر بعده صلاح الدين ولما تمكن بالوزارة قطع اسم العاضد من الخطبة
 بمصر واعمالها واستقل بولاية الاحكام سنة ١١٧١ فأت العاضد غماً وقهراً ودانت
 بعد ذلك لصلاح الدين احكام الديار المصرية وانفرد بملكها ثم استولى على
 الديار الشامية وأخذ القدس من الافرنج . وكان رجلاً شديد البأس عالي
 الهمة مسعوداً في حروبه ومغازيه وهو الذي بنى قلعة الجبل واقام سور القاهرة
 وكان في ايام الخلفاء الفاطميين مبنياً باللبن وازال جند مصر من العبيد
 والصفالبة والروم والارمن وشناترة العرب وغيرهم من الطوائف التي كانت
 في الزمن القديم واستخدم عدة عساكر من الاكراد والترك وبالجملية لم تر مصر
 في ملوك الاسلامية قبلة مثله في الشهرة والفتوحات وكانت مدة سلطنته ثلاثاً
 وعشرين سنة . ومن سلاطين هذه الدولة الملك العادل سيف الدين اخو
 الملك صلاح الدين وكان في ايام اخيه صلاح الدين قد استولى على عدة ولايات
 وطالت ايامه في السعادة الى ان ملك الديار المصرية وهو الرابع من ملوك
 مصر من بني ايوب ومن الحوادث في ايامه انه جاء وباء عظيم بمصر سنة ١٢٠٠
 وهلك خلق كثير من الاغنياء والفقراء وجاء عقيب ذلك غلاء شديد واشتد
 الجوع في البلاد ورحل كثير من الاهالي الى الشرق والغرب وكان الفقراء
 يأكلون لحوم الكلاب والحجوانات وينبشون القبور ويأكلون جيف الاموات
 واتصل امرهم اخيراً الى خطف الاطفال في الاسواق من امهاتهم فكانوا يذبحونهم
 ويشوونهم ويأكلونهم جهاراً في الاسواق والشوارع ويقال ان امرأة دخلت
 يوماً على الملك وهي خاتمة مرتعشة فسالها عن حالها فقالت اعلم يا مولاي انني

قابلة وإن قومًا استدعوني في هذا الصباح لا ولد امرأة فذهبت معهم ولما كان وقت الظهور قدموا لي صحنًا فيه طعام كثير اللحم غير أنه لا يشبه اللحم المعروف فانكرته ولم تقبل نفسي عليه ثم وجدت بنتًا صغيرة هناك فاخليت بها وسالتها عن ذلك اللحم فقالت البنت إن فلانة السمينة دخلت لتزورنا فذبحها أي وها هي معلقة أربابًا في هذه الخزانة فاقشعر جسي من هذا الخبر وجئت في الحال إلى تلك الخزانة وفتحها على حين غفلة فوجدتها مملوءة من لحم تلك المرأة التي ذكرتها لي البنت فاحللت حتى خرجت من تلك الدار وجئت إليك لاعلمك بذلك وهذه قصتي فتعجب سيف الدين من كلامها وارسل معها من هم على تلك الدار واخذ من فيها وهرب صاحب المنزل وبقي مخفيًا حتى اصلى امرؤ مع محافظ المدينة بدفع ثلاث مئة دينار فدية عن نفسه

وكان كثيرون من الذين اعتادوا أكل لحم بني آدم يصيدون الناس باصناف الحيل والمخادعة فكانوا يستعملونهم إلى يومهم بأنواع الملاعبيب فيذبحونهم ويأكلونهم فوقع مرة في اشراك هؤلاء القوم ثلاثة من مشاهير الاطباء احدثهم خرج معهم ولم يرجع وأما الثاني فان امرأة اعطته درهين على ان يذهب معها إلى مريض فصدق كلامها وسار معها فلما توغلت به في الازقة ومضايق الطرق استفاق على نفسه وعلم بالحيلة فخاف وامتنع عنها وصاح عليها وشتها فتركته وهربت وأما الثالث فان رجلاً استدعاه إلى زيارة مريض واطمعه بالاجرة فذهب معه وما زال يسير به من مكان إلى مكان حتى ادخله دارًا خربة فارتاب الطبيب منه وتوقف في وسط الدرج وكان الرجل قد سبق وطرق الباب فخرج إليه رفيقه وهو يقول له هل مع هذه العاقبة حصلت على صيد ينفع فخاف الطبيب عند سماعه هذا الكلام وخفق قلبه وايقن بالهلاك وكان في حائط ذلك الدرج كوة تشرف على اسطبل فالتى نفسه منها فجاء في وسط الاسطبل فقام إليه صاحب الاسطبل وقال له من انت ومن تكون فخاف خوفًا شديدًا وكم امرؤ عنه خوفًا منه ايضًا فقال له الرجل صاحب الاسطبل لا تخف قد

علمت حالك فاني تيقنت ان اهل هذا المنزل يذبحون الناس بالاحتيال
والخداع والحمد لله على سلامتك ثم اخرجته من ذلك المكان وسار معه حتي
اوصله الى السوق ولولا هذا الاتفاق لهلك وانقطع خبره . وكانت مدة سلطنة
الملك العادل سيف الدين تسع عشرة سنة

ثم تولى بعده ابنه الملك الكامل محمد وكان جليلاً مهيباً وهو صاحب
الفزوات الكثيرة مع الطوائف الصليبية بغير دماط وكان الافرنج لما استولوا
على دمياط ونواحيها قد حصنوا اسوارها وشيدوا حصونها وابراجها خوفاً من
هجوم المسلمين فارسل هذا الملك الكتب والرسائل الى سائر النواحي والاطراف
يحث الاسلام وينهض غيرهم الى الحضور لدفع الافرنج عن البلاد ونادى في
القاهرة بالنفير العام فاجتمع اليه بمصر شعوب كثيرة من جميع الجهات بنوف
عدد هم على مئة وخمسين الف مقاتل فرحف بهذه الجموع ونزل نجاه المنصورة
فالتقت الافرنج وجرى بين الفريقين من القتال ما لا يسع هذا المختصر بيانه
فانهزم الافرنج وارتدوا الى دمياط وحاصروا فيها وكانوا قد صموا على
الرحيل فارسل الملك الكامل يقول لملك الافرنج ارسل لنا رهائن منكم حتي
نكف عن قتالكم بشرط ان ترحلوا من البلاد ونحن ايضا نرسل لكم رهائن
لتكونوا مطمئنين من غوائتنا عند التسليم فارسل له ملك الافرنج عشرين سيداً
وارسل الملك الكامل ابنه صالح نجم الدين مع جماعة من الامراء الى ملك
الافرنج فعند ذلك سلمت الافرنج دمياط الى المسلمين واطلق كل من
الفريقين ما عنده من الاسرى

واستمرت هذه الدولة الى سنة ١٢٥٠ مسيحية وعدد ملوكها تسعة انفار اولهم
الملك صلاح الدين المذكور آنفاً واخبرهم الملكة شجرة الدر زوجة الملك الصالح
الايوبي وكانت هذه الملكة نادرة زمانها ذات عقل وحزم ومعرفة بسياسة
الاحكام فتسلطنة لحسن سيرتها وجودة تديرها وكان وزيرها والقائم بتدير
احوالها الامير معز ابيك التركي ولا يعلم في المسلمين امرأة ارتقت الى سرير

الملك غيرها فاقامت بالسلطنة مدة ثلاثة اشهر ثم خلعت نفسها عن تخت المملكة وتزوجت بالامير ايك المذكور واقامته ملكاً مكانها وهو اول ملوك الدولة الجركسية بالديار المصرية

الباب التاسع

في الدولة الجركسية احدى فروع الدولة التركية

كانت بداءة هذه الدولة من سنة ١٢٥٠ واستمرت الى سنة ١٥١٧ وعة ملوكها سبعة واربعون اولهم الملك المعز ايك المذكور واخرهم الملك الاشرف طومان باي وكانوا يلقبون بممالك الدولة الايوبية الكردية ليمتازوا عن الممالك الجبرية وكان الملك الصالح الايوبي قد اصطناعهم لخدمته فكان لم تقدم والامتياز في ايامه وهو ايضا الذي انشا الممالك الجبرية الذين تقلدوا زمام احكام مصر بامر الدولة العثمانية بعد هذه الدولة كما سيأتي خبرهم واسكنهم بالقلعة التي كانت بالروضة على نهر النيل وكان عددهم نحو الف ملوك وكان لهم مساح على شطوط النهر مشحونة بالعدد والسلاح ومهات الحرب ولهذا كانوا يسمون بالممالك الجبرية

ومن اشهر ملوك الدولة الجركسية الملك الظاهر بيبرس تولى زمام الملك سنة ١٢٧٧ كان شجاعاً مقداماً كثير المغازي والغارات متصفاً بالفراسة وحسن التدبير وفي ايامه كانت أكثر سواحل الدبار الشامية في ايدي الصليبيين فصار اليهم وحارهم واستخلص منهم مدناً كثيرة بعد ان مكثت الحرب بينهم مدة طويلة واستمرت احكام القطر المصري تحت تصرف هذه الدولة الى زمن

السلطان سليم الاول بن بايزيد العثماني فاستخلصها منها سنة ١٥١٧ ومن ثمَّ
 سمارت تحت حكم دولة آل عثمان فكانت ترسل اليها النواب والمحكام الى سنة
 ١٧٦٥ في ايام السلطان مصطفى الثالث فانه قطع من مصر الحكومة الباشاوية
 وولاهها للمالك البحرية المقدم ذكرهم بشرط ان يجمعوا الاموال السلطانية وما
 بقي منها بعد المصاريف الميرية يرسل نصفه في كل عام الى الاستانة والنصف
 الثاني يرسم المالك على سبيل الرواتب واقام بينهم نائباً من وزرائه لاجراء
 اوامره في تلك الاطراف . وكان بكوات المالك يصرفون المال على انفسهم
 ويدعون انهم صرفوه على التصليحات والترميمات ويرسلون في كل سنة دفتر
 المصاريف للدولة مسدداً عن يد الوزير المذكور الذي لم يكن في مصر الا على
 سبيل الصورة . وكان حكمهم قاسياً جافياً من غير قاعدة يظلمون الرعية ولا
 يبالون بنجاح البلاد وكان كبيرهم المعتمد عليه يسكن مدينة القاهرة ويلقب
 بشيخ البلد . ثم انهم عصوا بعد ذلك وتغردوا وخرجوا على الدولة في زمن
 السلطان سليم الثالث واستمروا في العصيان والظلم والطغيان الى سنة ١٧٩٨ حين
 حضر نابليون بوناپارتي باربعين الفا من الجيوش الفرنسية الى مصر فحاربهم
 وقهرهم وفرقهم في افعار الصعيد والنجاز واستمرت احكام البلاد في قبضة يده
 مدة ثلاث سنوات الى ان استخلصتها الدولة العثمانية بمحالفة وانكلترا سنة ١٨٠١
 واقامت عليها والياً حسب الايام السابقة وبقيت على تلك الحالة نحو ثلاث سنين
 حتى تولى عليها محمد علي باشا

الباب العاشر

في العائلة المحمدية العلوية وهي الخديوية المصرية

ان راس هذه العائلة هو محمد علي باشا واصله من مدينة قواله من



محمد علي پاشا خديوي مصر

بلاد الارناوط جاء الى مصر مع العساكر المملطانية الذين حضروا من بلاد
الترك لمحاربة الفرنجيوين فقاتل مع من قاتل واشتهر بالشجاعة في تلك
الحروب حتى ارتقى في مدة قصيرة الى رتبة قائم مقام ثم ساعدته الاقدار الى ان
تخلد زمام احكام الديار المصرية سنة ١٨٠٤ فحُزب عليه مال معلوم يدفعه في
كل سنة الى الباب العالي . ولما تمكنت احكامه في تلك الاطراف سار السيرة
المرضية وعدل في الرعية وبدا في العُدل ونظام المصلحة وجلب اليها الضباط
الفرنساوية لاجل ترتيب العمليات العسكرية وبني السفن الحربية واصلاح احوالها
وسير الامن والامان في كل مكان ورجع فيها اعلام المعارف والعلوم وتفرغ الى
تقدمها حتى اخرجها من ذلك الظلام وصارت تُعد اقلياً من البلاد الافرنجية .
وكان هذا المحدثي مع علو شأنه ورفعة مقامه انيساً وحليماً حسن التدبير
بصيراً بعواقب الامور مقتصداً في تدبير مصاريف حكومته وكان له هبة عظيمة
في قلوب الناس حتى لم يحسر احد ان يعرك ادنى حركة بخلاف الحق
والاستقامة . ولذلك لم يكن احد من جنوده ينجس ان يعدي على احد فانتشر
العدل والامان في ايامه وراى الناس من احكامه ما لم تراه ولم تسمع به . وكان
قد افتتح الديار الشامية عن يد ابنه ابراهيم باشا الشجاع المشهور بسبب سوء
نصرف عبد الله باشا والي عكا وكثرة تجوره وظلمه للاهلين واستمرت احكامها
في قبضة يده من سنة ١٨٢٢ الى سنة ١٨٤٠ حين حضرت العساكر العثمانية
والبوراج الانكليزية واستخلصتها منه . ومن اعماله العظيمة انه افتتح بلاد
السودان وضماها الى بلاد مصر بعد ان اقام فيها الحكم والولاة وبهذه الوساطة
انفتح باب التجارة للخاص والعام وزادت اسباب الثروة وانفتح باب لدخول
المدن والنور بين تلك القبائل . وصرف محمد علي باقي عمره بالعز والجاء الى
ان جاوز الثمانين من عمره فاعتراه مرض سوداوي فتنازل عن معاطاة
الاحكام ثم مات بعد سنة وكانت مدة حكمه نحو خمس واربعين سنة
وتولى مكانه بعد تنازله ابنه ابراهيم باشا سنة ١٨٤٨ وكان عالي الهمة شديد

الباس مستكملاً جميع الصفات الحربية والسياسة . وفي ايام ابيه كان قائد
الجيوش المصرية واليه يرجع تدير امورها فسلك مسلك ابيه واحسن المعاملة
بين الرعايا . وكانت مدة ولايته الدبار المصرية احد عشر شهراً وتوفي بداء
الاسهال في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٤٨ وهو ابن ٦٩ سنة
وتولى بعده ابن اخيه عباس باشا فاقام بالولاية نحو خمس سنين وهو الذي
شرع بانشاء التلغراف والطريق الحديدية من مصر الى الاسكندرية . ثم تولى
بعده عمه محمد سعيد باشا سنة ١٨٥٤ فكان جواداً كريماً وهو الذي انشأ
طريق المنشية وغرس فيها الاشجار وجعلها من احسن المنتزهات . وكان قد
شرع بوصل البحر الاحمر ببحر الروم بواسطة شركاة فرنساوية سنة ١٨٦٠ غير
ان هذا العمل المهم لم ينجز الا في ايام خلفه سنة ١٨٦٩ وكانت مدة ولايته نحو
تسع سنين

اما انشاء ترعة السويس فقد حسب من اعظم اعمال العصر ومن اكبر
الفوائد للتجارة لانه قصر المسافة من اوربا الى الهند نحو ٢٧٥٠ ميلاً وسهل
الاتصال بين الغرب والشرق حتي صار ممكناً للانسان ان يدور حول الارض
في مدة ٨٠ يوماً . اما طول تلك التربة من السويس الى بورت سعيد فهو
٨٨ ميلاً وبلغت نفقتها نحو ١٠ ملايين ليرة انكليزية والان اي في سنة ١٨٨٥
قد قراري اصحاب الاسهم على توسيع تلك التربة لاجل سرعة سير السفن فيها
والمظنون انه سيصير الشروع في ذلك حالاً

ثم تولى بعده ابن اخيه اسمعيل باشا ابن ابراهيم باشا جلس على سرير القاهرة
في ١٨ ك ٢ سنة ١٨٦٢ وعند انفراده بالحكومة بذل جهده في تحسين البلاد
واصلاحها ومن جملة مشروعاته الخيرية ايصال التلغراف والطرق الحديدية الى
بلاد السودان وادخال مجاري المياه لمصر واقامة المنارات في البحر الاحمر
لوقاية السفن من الاخطار واصلاح الطرق والترع وتأسيس معامل الورق
والسكر وهو الذي بنى مدينة الاسماعيلية وانشأ بها البساتين والقصور الجميلة .

وفي أيامه صار فتح ترعة السويس المار ذكرها فاستدعى من الاقطاع الافرنجية جميع الملوك والعظماء لمشاهدة نجاز هذا العمل واعد لهم كل ما يلزم من مزيد الاحترام والاعتبار فحضر بعضهم الى دعوة حضرته والذي لم يمكنه الحضور ارسل احد نوابه مكانه فاستقبلهم احسن استقبال وكان قد اعد لهم وليمة عظيمة فانشرحت صدورهم بما شاهدوه من حسن ترتيبه ونظامه . ومن اعماله المستحقة الذكر انه ارسل السار صموئيل باكر القائد الانكليزي الى اواسط افريقية في فرقتين من العساكر المصرية والوف من البغال والحمال لاكتشاف اراضيها الشاسعة ولكي ينجح كل القبائل المتوحشة لافتحا طريق التجارة ولابطال الاتجار بالعبيد وهو الذي اقام مجالس مخنطة في النظر للقضاء والحكم في الدعاوي التي بين الاجانب والرعابا . ومن اعماله ايضا انه قرّر ورائته الحكم من بعده في عائلته الخصوصية اي لابنه البكر ثم لابن ابنه حسب الطريقة الاوربية خلافاً للطريقة التي كانت جارية وهي انتقال الارث للاكبر في العائلة ولكن كل تلك الاصلاحات والتحسينات لم تواز الاضرار التي نتجت من سوء صنيعه باستقراض الاموال من الافرنج وتكثير الديون على الحكومة بارباح باهظة حتى بلغ الفائض السنوي في وقت ما على الاوراق المالية المصرية ٢٥ في المئة . اما المبلغ الذي اقترضه في مدة ١٢ سنة من حكمه فبلغ مع فائض تسعين مليون ليرة انكليزية وفائضه السنوي اربعة ملايين وخمس مئة الف ليرة انكليزية وهو نجح نصف ايراد المملكة . واذ لم يعد في مقدرة الحكومة القيام بايفاء ما يطلب منها خوفاً من ازدياد الشرلو في اسماعيل باشا مطلق التصرف على المالية المصرية اتفقت دول اوربا على نزع تلك السلطة من يده واقامة معتمدين اوربيين لاجل مراقبة المالية وحصر الابراد والخرج فوقع الانتخاب على رجل انكليزي ورجل فرنساوي كنواب الامتين صاحبي الدين الاكثر فاستلما زمام المالية وقاما باعباء مأموريتها احسن قيام فساء ذلك اسماعيل باشا نظراً لانحطاط سلطته وهبوط قدره وحاول الغاء ذلك الترتيب وتلك المراقبة الاجنبية فلم

نع شيئاً لأنه كان قد قرر في عقول فرانس وأنكلترا وغيرها أن
أداة السلطة التي تؤدي إلى خراب البلاد خراباً كاملاً وأذ رأوا غمهم حال
ورائهم ومرغوباتهم ومصرّاً على مقاومتهم اتفقوا جميعاً على عزله من منصبه
سنخسوا الباب العالي في ذلك وخلصوا في بداية سنة ١٨٧٩ ونفوه من
بلاد وإقاموا ابنه توفيق باشا مكانه وهو الخديوي الحالي موصوفاً بالزهد
من الطوية محباً لشعبه وخير البلاد

الباب الحادي عشر

في الثورة العرابية ودخول الإنكليز بلاد مصر وظهور الثورة
السودانية وذلك مدة ثلاث سنين من أواسط سنة ١٨٨٢
الى أواسط سنة ١٨٨٥

لما كانت قلوب الاهالي امتلأت بغضاً للأفرنج بسبب نفوذهم وسيادتهم
سبيلائهم على الوظائف الكبرى والمزبات العليا اخذت الجرائد الوطنية تلج
في الامر وتنهض هم الشعب للتخلص من الأفرنج والاستقلال في البلاد فاغتم
بصحة ذلك احمد عرابي باشا ناظر الجهادية المصرية وهو مصري الاصل كان
ارتقى الى تلك المرتبة العالية بواسطة اجتهاده وعلو همته ونظامه بالعصيان
الحكومة الخديوية بعد ان كان انماز اليه القسم الأكبر من قواد العساكر
بسبب انتطاع الحكومة عن صرف مرتباتهم اشهرًا عديدة فجاهر بالتمرد ورفض
لماعة وثبته حزب كبير ليس فقط من متوظفي الحكومة بل من الاهالي ايضاً
كان مقداماً للثورة ورئيسها فهددته دولتا أنكلترا وفرنسا وامرناه ان يكف
ن غمّه وغروره فابي الاستعاض وسدّ آذانه عن مشورات نوابها لا بل انه زاد

أصراراً في عزيمواظهر استعدادهم لمقاومتها فأرسلتا أسطولهما إلى ميناء الإسكندرية
 ومهددناه بالضرب. فاختد بعض القلاع وتجهز للدفاع فهاج أوباش المسلمين
 ضد الأفرنج في مدينة الإسكندرية في ١١ حزيران سنة ١٨٨٢ وقتلوا منهم
 أكثر من مئة شخص وشاح بين الجميع أن عرابي باشا هو الذي أثار تلك الفتنة
 ولكنه لم يثبت عليه ذلك بنوع جلي فتعاطم الأمر وكثر الخوف عند الأجانب
 أوريين وسوريين سواء وأخذوا يجهرون الديار المصرية ويذهبون إلى أوطانهم
 فكان عدد الذين نزحوا نحو ٦٠ ألفاً

ولما كان طمع عرابي باشا لا يزال مزيئاً له الحال في مداومة المقاومة
 وكانت سياسة أنكلترا تستدعي توقيف الثورة وإعادة السيادة الخديوية كما كانت
 ليس فقط حفظاً لطريق الهند الذي هو من أهم الأمور عندها ولكن منعاً
 لدخول جنود الفرنسيين كما كان أشار سابقاً غامبتا أحد رجال سياسة
 فرنسا فتصيح طريق الإنكليز للشرق في قبضة يد دولة قوية كفرنسا اعتمدت
 الوزارة الإنكليزية على توقيف الثورة بالقوة الجبرية ودعت فرنسا إلى مشاركتها
 في ذلك فابت ولم تقبل. حينئذ أطلق الأسطول الإنكليزي قنابله على قلعة
 الإسكندرية في أواسط شهر تموز من السنة نفسها وفي أقل من ١٢ ساعة هدمها كلها
 ولجأ عرابي وجماعته إلى الفرار بعد أن أحرقوا قسماً كبيراً من المدينة حيث تسكن
 الأفرنج والمصريون وتحصن مع جنودهم في كفر الدوار. فانزل الإنكليز قسماً
 من الجنود استلموا زمام المدينة وما مضى ٣٠ يوماً حتى احتشد في الإسكندرية
 وفي السويس نحو ٣٠ ألفاً من الجنود الإنكليزية تحت قيادة الساركنت ولسلي
 وإذا رأى المذكور أن مهاجمة الأعداء من جهة كفر الدوار كثيرة المخطر نقل
 القوات العسكرية إلى الاسماعيلية حيث كانت جيوش الهند محشدة وضرب
 عرابي وقواته في تل الكبير حيث كان مخفصاً مع ثلاثين ألفاً من الجنود فهزمت
 في ١٤ أيلول وبدد شمل عساكره وسير الجيوش إلى القاهرة فدخلوها في اليوم
 الثاني واستلموا القلعة وقبضوا على عرابي وجماعته ونادوا بسيادة الخديوي وبعد

ان جاكوم واثبتوا خيانتهم عفو عن قتلهم ونفوه الى جزيرة سيلان
 وبما كانت الثورة العرابية قائمة في مصر نهض رجل من عرب جنوبي
 افريقية اسمه محمد احمد لقب نفسه بالمهدي وجمع حوله جيوشاً من الناس وتقدم
 بهم الى البلاد السودانية التي تحت تسلط خديوية مصر ف ضرب بعض الاماكن
 وتلكها ونهب اهلها فارسلت الحكومة المصرية عسكرياً تعزيزاً للحامية تلك
 الاماكن تحت قيادة هيكل باشا الانكليزي فكسره المهدي ومزق صفوفهم بعد
 ان قتل منهم عدداً غديراً وكان من جملة القتلى القائد الانكليزي المشار اليه . ثم
 ان المهدي ارسل فرقة من جنوده الى السودان الشرقية فاستولوا على عدة
 مقاطعات مصرية حتى اقتربوا من سواكن التي هي على شواطئ بحر الاحمر
 فارسلت فرقة جنود من مصر لمقاومتهم تحت قيادة باكر باشا الانكليزي ولما
 تقابل الفريقان في ساحة القتال ارتد المصريون الى الوراء منهزمين من غير
 قتال فقتل منهم في ذلك اليوم نحو ثلاثة الاف ولم يبق الا القليلون مع قائدهم
 باكر باشا فعند ذلك تمسكت الدولة البريطانية وقاية للمصالح المصرية وجاھرت
 بمقاومة الاعداء فارسلت فرقة تحت رئاسة الجنرال كراهام وضربت العرب
 ضربة هائلة وقتلت منهم اكثر من ٦٠٠٠ شخص ثم عادت العساكر الى القاهرة
 بعد ان اقاموا في سواكن حامية كافية لردع المهاجرين

وكانت آنكثرا قد اشارت على الحكومة المصرية ان تغلّي عن البلاد
 السودانية وتسلخها عن مصر تخفيفاً للمصاريف والمسئولية وقررت على جعل
 تخومها وادي حلفا فاذعنّت الى ذلك وقبلته الا انه لما كانت المراكز السودانية
 مملوءة من الحامية المصرية وهي في خطر من هجمات المهدي ولم يكن في استطاعة
 الحكومة ان ترسل جنوداً لانقاذ تلك النفط المتعددة بسبب ارتباكها السياسي
 والمالي وقع الاستحسان على ارسال غوردون باشا الانكليزي الذي كان
 حاكماً سابقاً على السودان على رجاء ان يصلح الاحوال اذا امكن ويسحب
 العساكر المصرية من تلك الانحاء فذهب الى الخرطوم وحاصرها نحواً من ستة

ولكنه لم يستطع ان ينجح هياج الاعداء لا بالنفوذ ولا بالقوة فاعتمدت الدولة البريطانية على ارسال جنود انكليزية لانفاذه من مكان حجره لانه اصبح غير قادر على التخلص فارسلت في خريف سنة ١٨٨٤ عشرة الاف جندي تحت رياسة الجنرال لورد ولسلي الذي افتتح الديار المصرية سنة ١٨٨٢ ولما وصلوا الى مفرية من المخرطوم فاجأهم جنود المهدي والنجم بينهم قتالان شديداً كانت الدائرة فيها على السود فانهمزموا بعد ان قتل منهم نحو خمسة الاف رجل . وبينما كان الانكليز متصرين وموملين سرعة دخولهم الى المخرطوم وردت اخبار سقوط تلك المدينة ودخول الاعداء اليها وقتلهم الجنرال غوردون فحبطت امانهم وخابت مساعيهم واشتد الخطب عليهم اذ لم يكن ممكناً لهم استخلاص المدينة في الحال لقله عددهم وتكاثر اعدائهم ضمن اسوار تلك المدينة المحصنة

وكان السبب في سقوط المخرطوم خيانة بعض القواد المصريين من كان يركن اليهم غوردون باشا كل الركون واخصهم رجل يقال له فرج باشا ولم نجد بداً من ذكر اسمه ليكون محفوظاً في التاريخ على توالي القرون وكان غوردون ينشد بلسان حاله

كل الامور اذا ضاقت لها فرجٌ لكن اموري اناها الضيق من فرجٍ
وكان غوردون باشا يعز هذا الرجل لما ظهر له فيه من حسن الاستعداد فرقاء من درجة الى درجة حتى اوصله الى رتبة الباشاوية وكان يعتمد عليه ويظنه صادقاً مخلصاً بينما كان هو عدواً خائناً يرسل الاعداء سرا ويدبر على تسليمهم المدينة . ولما تحقق ان الانكليز صاروا على مفرية من المخرطوم وهم فائزون اظهر ما كان مكنوناً وابان ما كان مخفياً وفي ٢٦ من شهر كانون الثاني سنة ١٨٨٥ فتح ابواب المدينة للاعداء بينما كان غوردون باشا مستكناً في قصر الحكومة فدخلوها من غير مانع وعلت اصواتهم وضجائهم في الشوارع وهجموا على المسيحيين والافرنج القاطنين هناك فقتلواهم ولما خرج غوردون باشا ليتحقق

سبب ذلك الهياج لاقوه باطلاق الرصاص فوق قتيلاً وهكذا انتهت حياة هذا البطل الشهير

اما الانكليز فلم يعد ممكناً لهم التقدم على الخرطوم لاستغلالها نظراً لقلتهم واذ كان فصل الربيع قد دخل ومياه النيل نقصت لم يبق سبيل لتعزيز قوتهم الحربية واستفصار الجيوش من القاهرة على الخصوص لان المخاربة في تلك الديار المحارة في زمن الصيف لا يمكن انماها فصموا حيشة على توقف الحروب وتاجلها الى فصل الخريف الكاسم فرجعوا الى الورا واخذوا لانفسهم مراكز في جوار دنقلة وطلبوا الامداد من حكومتهم وكان ذلك امراً معيياً

ولما كانت الخطة التي سلكها اللورد ولسلي قائد الجيوش الانكليزية في توجيه هذه الحملة عن طريق النيل عوضاً عن طريق سواكن الى بربر في خطه غير مستقيمة تقرر عدم استوائها قبل معرفة النتيجة عادت الحكومة الانكليزية الى راي الهموم الاول وبعثت الجريدة الجديدة عن طريق سواكن فعينت اثني عشر الف مقاتل لهذه الحملة تحت رياسة الجنرال كرايم ليمبروا الى بربر لاعانة زملائهم في الخريف وشرعت في وضع سكة حديد بين سواكن وبربر لابد انها تاتي بفوائد كثيرة في المستقبل ولكن في هذه ايضا لم يحصل المرغوب لانه بعد ان حلت الجيوش في سواكن وضربوا الاعداء وابعدوهم عن جوار المدينة وشرعوا في وضع السكة الحديدية صدرت لهم اوامر الوزارة بتاركة القتال والعودة والقاهب لمحاربة الروسيين في جهة افغانستان والله اعلم بما سيكون

اما سياسة الوزارة الانكليزية في الديار المصرية فكانت خالية من الصواب وبمعزل عن الروية والصدق ولذلك اورثت الامة خسران المائال والرجال وجلبت عليها العار والوبال وجعلت الناس ينسبون اليها المكر والدهاء والطع في ضم البلاد الى باقي املاكها مع ان ذلك لم يكن من مقاصدها حسب ما صرحت ووضحت فاذا كان ما قررته هو ما تنويه حقيقة فتكون

أرتكبت الفطع الاغلاط ويكون ضربها الاسكندرية ودخولها القطر وزد اخيها
في ادارة الاحكام المحلية وضربها العرب من جهة سواكن اول مرة ثم رجوعها
عنها في الجبال وارسلها غوردون باشا الى المحرطوم ثم ارسلها حملة النيل
لاجل تخلصه وضرب سواكن ثاني مرة والشرع في مد السكة الحديد الى
بربر ثم العدول عن ذلك جهلاً صيرفاً لا يرتكبه الجهلة من الناس.

الفصل الثالث

في تاريخ قرطاجنة

الباب الاول

في وصف قرطاجنة وحروبها مع الرومان من سنة ٨٤٠

الى سنة ٢٦٤ ق م

وكانت قرطاجنة مدينة عظيمة من اشهر مدن افريقية القديمة والحديثة
وكانت مبنية بقرب خليج سمي اخيراً بخليج قرطاجنة نسبة اليها المعروف الآن
بخليج تونس. وكانت في تلك الاعصار تغطي كعروس على ما سواها من المدائن
نظراً لابنتها الجميلة ومراحمها العظيمة ومناظرها المبهجة الزهية. وكان السبب
في بنائها انه لما قتل ييكاليون ملك صور رئيس الكهنة اسرباس زوج شقيقته
ديدون طمعا بماله وذخائره هربت ديدون المذكورة بعد قتل زوجها من
ظلم اخيها وجورهم مع عدد كبير من اكابر بيت ايها واعيانهم ومعهما ذخائر
واموالهم الى نواحي افريقية الواقعة تجاه سبسيليا وابتاعت من اهالي تلك
النواحي ارضاً واسعة واسست مدينة بالقرب من تونس ودعت اسمها قرطاجنة

اي الجديدة وذلك بمساعدة البعض من اهالي تلك البلاد وغيرهم من الفينيقيين الذين كانوا هناك . ووضعت أسس هذه المدينة على حسب قول بعض المؤرخين سنة ٨٧٨ قبل الميلاد وقال آخرون سنة ٨٤٠ وظن البعض انها بنيت في ايام يواش ملك يهوذا سنة ٨٤٦ وهو اصح الاقوال واشهرها . وكان جارباس احد ملوك تلك الاطراف قد خطب ديدون صاحبة قرطاجنة لنفسه وذلك بعد ما تغلب على مدينتها فابت وامتنعت لانها كانت قد آلت على نفسها انها لا تتزوج برجل على بعلمها المتبول في صور فلما راي عدم ميلها الى الزواج اراد ان يقتصبها قهراً فاضطرها الحال الى ان حرقت نفسها بالنار وانتهت على هذه الصورة . فذه بداعة واصل ملكة قرطاجنة التي صارت فيما بعد من الممالك العظيمة بل بالحري من اقوى واقدر ممالك تلك الازمنة واغناها وقد ارتقت الى اعلى درجة في العظمة والافتدار حتى كادت تهدم بشوكها وسطوعها اركان قواعد الدولة الرومانية كما سيأتي بيان ذلك

اما مدينة قرطاجنة فكانت اولاً مدينة تجارية وقد ورث اهلها من ابائهم محبة التجارة فكانوا متعكفين ومثابرين على الاخذ والعطاء وما زالوا في ازدياد ونمو حتى وصلوا الى درجة ابائهم اهل مدينة صور في الغنى والجاه وفاقوهم بانساع دائرة الحكومة واشتهروا بين الممالك وتكونت منهم دولة عظيمة . وكانت حكومتهم في اول الامر حكومة ملكية ثم تحولت الى حكومة جمهورية تحت رئاسة رجلين من اعضاء المجلس العالي كانا ينصلاان المشاكل ويدبران امور الدولة ويجريان الاحكام التي لم يكن يؤذن باجرائها الا بعد مصادقة المجلس الكبير الذي كان مؤلفاً من ثلاث مئة عضو وقيل من ست مئة . اما شعب قرطاجنة فكان مختلف الاجناس غير ان اصلهم من فينيقية وما يؤيد ذلك ان لغتهم كانت اشبه باللغة الفينيقية والعبرانية واقرب اليهما حتى في الديانة ايضاً وكانوا موصوفين بالطمع وحب المكاسب . وقد انتطعت عنا اخبارهم ونفاصيل احوالهم نظراً لاختلاف ديانتهم وشرائعهم عن اديان وعوائد اليونان

وغيرهم من الامم المجاورة فكانوا يكتسبونهم خوفاً من غائلتهم لانهم كانوا شعباً غريباً ووحيداً في تلك الجهات ولم يبق لنا من تواريتهم الا بعض آثار نفوس وغيرها ومنها نعلم ان تجارتهم كانت على نوع ما تجارة صورية وخلاصة الكلام فيهم انهم وسعوا تجارتهم جداً حتى فاقت تجارة الاسكندرية لكثرة المعادن التي اكتشفها اباؤهم في اسبانيا ووجود المحاصيل الكثيرة فيها وفي البلاد المجاورة لها. وما زال اهل قرطاجنة في نجاح واقبال حتى امتدت سطوتهم الى اكثر شمالي افريقية كاقليم تونس وطرابلس الغرب وغيرها من ممالك البربر ثم افتتحوا جزائر البليار وجزراً كبيراً من جنوبي اسبانيا وسردينيا وكورسيكا وماطة ثم انتهى بهم الحال الى ان تغلبوا على سيسيليا وكان افتتاحهم لهذه الجزيرة سبباً لانتشاب الحروب الهائلة بينهم وبين الرومانيين كما سيأتي خبره

الباب الثاني

في الحروب بين قرطاجنة ورومية من سنة ٢٦٤ ق م الى وقت خرابها الاول سنة ١٤٥ ق م ثم تجديدها ثانية وخرابها الاخير سنة ٦٩٢ بعد المسيح

وكان السبب في انتشاب الحروب بين مملكة قرطاجنة ودولة الرومانيين هو ان قوماً من سكان جنوبي ايطاليا كانوا قد التجأوا الى الرومانيين واستغاثوا بهم على هيرو ملك سرقوسا في سيسيليا فانتدب اهل قرطاجنة للنجدة ملك سرقوسا وكان الرومانيون قد ارسلوا جيشاً عظيماً لتلك الاطراف فاتصروا وتغلبوا على جيشي سرقوسا وقرطاجنة معاً. فداخل ملك سرقوسا خوف من اهل قرطاجنة ان تطمع في بلاده وتستولي عليها بعد ذلك فقطع مع الرومانيين

عنه اهلًا انه يساعدهم له بطرد جيوش قرطاجنة من اطراف بلادها فاجابه
 الرومانيون الى ذلك ومن ثم شمت نيران الحرب بين الملكتين
 ولم يكن الرومانيون قبل ذلك الوقت قد امتدوا الى خارج ايطاليا ولم
 تكن لهم قوة بحرية اصلاً . وكانت ملكة قرطاجنة بومبيل في زهرة عظيمة وقوة
 بحرية واذ كان الرومانيون لا يستطيعون منافاة اهل قرطاجنة بدون قوة
 بحرية بنوا نحو مئة سفينة وحاربوا القوم واتصروا عليهم وفتحوا منهم ٥٠ مركباً
 ثم زادوا تعدد مراكبهم حتى بلغت ٢٠٠ سفينة واتصروا على القرطاجنيين
 ثانية واستخلصوا منهم ٦٠ مركباً واستولوا على جزيرة كورسيكا وسردينيا . ثم
 تقدموا الى نواحي افريقية ونزلوا على مدينة قرطاجنة تحت رئاسة القنصل
 ريغولوس واقاموا عليها الحصار حتى كادوا يتمكنوا لولا مساعدة اهل اسبارنة
 الذين قد امتدوا اهل قرطاجنة بجيش تحت راية القائد كساتيب فانكسر
 الرومانيون واسر قائدهم ريغولوس فارسله اهل قرطاجنة الى رومية لكي
 يعرض على دولته شروط الصلح . فذهب وعند وصوله الى رومية اقنع الحكومة
 الرومانية بعدم قبول المصالحة وان طلب قرطاجنة هذا صادر عن عجز
 وضعف ثم عاد الى قرطاجنة كي لا يناقض قوله فقتلوه وهكذا انتهت الحرب
 الاولى التي دامت مدة ٢٢ سنة

وكانت مدة الصلح بين الملكتين المذكورتين نحو ٢٢ سنة وعند نهاية هذه
 المدة قام هنيبال بن هلكار رئيس جيش قرطاجنة في الحرب الاولى وحاصر
 احدى مدن اسبانيا التي كانت متحيزة مع الرومانيين مدة سبعة اشهر ولما
 اشتد حصارها احرقها اهله بالنار خوفاً من وقوعها في ايدي الاعداء ثم تقدم
 هنيبال المذكور بجيوشه الى داخل البلاد وقطع جبال الالب حتى توصل الى
 شمالي ايطاليا وحارب الرومانيين في وسط بلادهم واتصروا عليهم في جملة وقائع
 وذبح منهم عدداً لا يحصى وقبل انه ارسل اربعة ربوع من خواتم ذهب نزعها
 عن اصابع القتلى . وبقي هنيبال نحو ١٢ سنة في ايطاليا ولكنه لم يخرج اخيراً للتجراح

مدن افريقية الرومانية ومن ثم استولى عليها الفنداليون سنة ٤٢٩ للمسيح
وسنة ٦٩٢ افتتحها العرب وهدموها عن آخرها وما زالت خراباً الى يومنا هذا
ولا يرى من بقاياها العظيمة غير رسوم دارسة واثار بالية وخرابها الآن يبعد
من مدينة تونس مسافة ثلاث ساعات الى الشمال الشرقي

الفصل الرابع

في بلاد الحبشة

هذه البلاد واقعة في الجهة الشرقية من قارة افريقية ومحدودة شمالاً ببلاد
النوبة وشرقاً بالبحر الاحمر وغرباً ببلاد الشلوك وجنوباً بسلسلي جبال متشعبة
من جبال القمر يخرج منها عدة انهر متفرعة من بحر النيل الازرق والايض
تترفيها وتسقي اراضيها . وعدد اهلها نحو اربعة ملايين دُعيت قديماً باسم ايثيوبيا
واشتملت ايضاً على بلاد النوبة مع باقي الولايات والاقاليم الواقعة في داخل
افريقية . ولول من قصدها واستوطنها قوم من بلاد العرب لا يعرف احد
عنهم شيئاً خصوصاً لقدميتهم وتقادم عهدهم . وكان قسم كبير من هذه البلاد
يدعى سباً ومنه انت ملكة سبا على ما يُظن الى اورشليم لزيارة الملك سليمان
الحكيم . ويقال ايضاً ان الملك الذي تناوب كرسي ملكة الحبشة من نحو
ثلاثين سنة من هذا العهد هو من سلالة هذه الملكة المذكورة

وكانت اهالي هذه البلاد في الايام السالفة على دين اليهود ثم دخلت اليها
الديانة المسيحية في اواسط القرن الرابع فتنصرت الملكة كنداكة مع جميع رعاياها
ثم امتدت النصرانية الى بلاد النوبة في القرن السابع بواسطة القبط الذين
التجأوا الى هناك عند ما افتتح المسلمون ديار مصر . ولكن عند دخول الملك
الظاهر بيبرس اليها في القرن الثالث عشر قويت فيها شوكة المسلمين وانتشرت

ديانتهم هناك . واما اهل الحبشة فلا يزالون متدينين بديانته مسيحية مزروجة
بعقائد وطقوس اخرى وبطريركهم يسى من قبل بطريرك القبط في مصر
وكانت العادة التجارية في هذه البلاد ان ينقلوا اكابر امرائهم الى جبل يسى
جشن وهذا الجبل في غاية الارتفاع وهو منتصت على هنة متساوية من جميع
الاطراف حتى انه لم يستطع الصعود عليه او النزول عنه الا بواسطة السحب
والتدلي بالحبال . وكان هؤلاء المنفيون يسكنون في اكواخ دنية على قمة هذا
الجبل ولا يباح لهم بالنزول الا في وقت ماتم وكان عموم الاهالي عند موت
الملك ينتخبون احد هؤلاء الامراء ليلخذه على الكرسي وفي الجهات العربية شمالي
بلاد النوبة جنس من العبيد يسمون الغلا يشبهون القردة في صورة وجوهم
وم طوائف متوحشة ليس لهم مساكن يأوون اليها بل يصرفون حياتهم في صيد
الافعال والنعام ويرقدون بين الاحراش كالنمائم وقد وصفهم بطليموس تحت
اسم اليفتوفاج وستروفوناج وها كلغلان يونانيتان معناهما اكلو الافعال واكل
النعام . فكانت الحبش في الازمنة القديمة تصيد هؤلاء القوم كما يصيد الناس
الوحوش الضارية ولكن من جرى حروب الحبش مع القبائل المحيطة بهم
ضعفت شوكتهم فكابدوا مشقات ومضرات كثيرة من جرّ مهاجمات الغلا
وغاراتهم عليهم

وكانت هذه البلاد في الاجيال المتوسطة مقسومة الى عدة ولايات كل
ولاية منها تحت سلطة شيخ او امير واستمرت على مثل ذلك الى ان صعد
على سرير ملكها الملك ثيودورس الذي كان على جانب عظيم من الشجاعة
والبطش فاخضعها جميعا لسلطنته المطلقة ولكنها عصته اخيرا لظلمه وشدة جور
على الاهالي لانه كان يحملهم احمالا ثقيلة لا طاقة لهم على حملها . وكان الجبل قد
اعى بصيرته وغير اطواره حتى انه لم يعد يقدر العواقب وانتهى به الحال الى
انه قبض على جماعة من مرسلي الانكليز وغيرهم من سياح الافرنج والقاهم تحت
الترسيم بدون ادنى جنابة واستمروا في اسره زمانا طويلا وقد خاطبته الحكومة

الانكليزية مراراً عديدة في اطلاق سبيل الأسرى المذكورين وهو برفض ويتنع حتى اضطرها الامر اخيراً الى ارسال جيش لمحاربته تحت قيادة اللورد ناير مواف من اثني عشر الف مقاتل منهم اربعة الاف من العساكر الانكليزية الاوربية وثمانية الاف من عساكرها الهندية فوافته هذه الجيوش سنة ١٨٦٨ الى مدينة مجدلا وهي كرسى ملكته فقاتلوه بقرب هذه المدينة وكسروا جيشه وفرقوه وخاف الملك ان يسي اسيراً فاخرج غدارة من حزامه واطلق الرصاص في فيه فوق قتيلاً وهكذا انتهت حياته . وبعد ان دخل الانكليز مجدلا امر اللورد ناير بدفن الملك فدفن باحتفال عظيم ثم اتى بانيه وكان عمره نحو ثمان سنين فعامله معاملة حسنة تليق بعيال الملوك واصحبه معه الى انكلترا وبهذه الوساطة تخلص القوم من اسر الحبش . ومن اراد ان يعرف أكثر عن تاريخ الحبش وعوائدهم فعليه بمطالعة تاريخ الحبش تاليف الخواجا ثيوفيلوس ولد ميرالاماني المطبوع في مطبعة المعارف في بيروت

الفصل الخامس

في بلاد المغرب

الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد واخبار شعوبها الاقدمين

هذه البلاد يجدها شمالاً الاوقيانوس الانلاتيكي وبحر الروم وشرقاً بلاد مصر وجنوباً الصحراء وغرباً الاوقيانوس الانلاتيكي . وهي تنقسم الآن الى اربع

ولايات اصلية . الاولى مراكش وقاعدتها مدينة مراكش ومن اشهر مدن هذه
الولاية بعد مراكش فاس ومكناس ومقدور وطنجة وشتوان وسلا وتيفالالت
ومكناسة . الثانية الجزائر ومن اشهر مدنها قسطنطينة ومسفرة وبونة او عتابة .
الثالثة تونس وقاعدتها مدينة تونس ومن مدنها الاصلية يزرنة والقيروان
وقابس وهي ثانية القيروان وبها منار مشهور . الرابعة طرابلس وهي تنقسم ايضاً
الى ثلاثة اقسام الاول طرابلس وقاعدته مدينة طرابلس ثم مزران وقاعدته
مرزوق ثم بلاد برقة وقاعدتها درنة ومن مدنها المشهورة اوجيلة وسيوة . ولكل
قسم من هذه الولايات اربع ولاء وحكام منفردون بسياسة احكامها . اما
اصحاب مراكش فهم اعظم واشهر من باقي ارباب الولايات ولذلك يطلق
عليهم لقب سلطان لاستقلالهم وامتيازهم على غيرهم واما ولاء طرابلس وتونس
فيقال لم باي وهو عندهم من اعظم الالقب بعد اسم السلطان واما
صاحب الجزائر فكان يقال له داي عند الافرنج . وعدد سكان بلاد المغرب
نحو ٢٠ مليون نسمة واكثرهم على دين الاسلام وبينهم كثير من اليهود وقليل من
النصارى

ويخترق هذه البلاد من الشرق الى الغرب سلسلة جبال اطلس وتقسّمها
الى قسمين متميزين فالارض الواقعة في الجهة الشمالية معتدلة الهواء ولا سيما
الاراضي المروية بالمياه فانها في غاية الخصب واما الارض الواقعة تجاه الجنوب
المسماة بلاد الجريد فهي براري واسعة موحشة وليس بها الا سهول محرقة مشوية
بالمح عرضة لحرارة الشمس تفترقها الرياح والوحوش وعلى الخصوص الجراد
الذي ياتيها ويغطي اراضيها واما جبل اطلس فهو مرتفع وفاصل بين فاس
ومراكش وفي جوانبه غابات كثيرة ملوّنة بالاشجار . وفي هذه البلاد جميع النباتات
الموجودة في اوربا الجنوبية ولو كان اهلها يعنون بها حتى الاعشاء لزادت
عن ذلك وفيها كثير من شجر الخلل والزيتون والارنج والموز والتين والتوت
والبلوط والعنب وقصب الكسر وفيها انواع من الوحوش الضارية كالسباع

والضباع والافاعي المضرة والغارب وغير ذلك من الاجناس وفيها كثير من
الحيول الحسان والهجى المستظرفة ويقال ان بعض هذه الهجن يمكنه ان يقطع في
يوم واحد ستة وثلاثين فرسخاً من الارض

ان معرفة الاقدمين كانت قليلة من جهة الاقاليم والاراضي الممتدة من
مصر الى جنوب المحيط وبلاد البربر فكانوا يعبرون عنها باسماء مختلفة ولم
يكونوا يطلقون اسم افريقية الا على بلاد مصر وما جاورها من الاقاليم لان
معرفتهم كانت محصورة في الاراضي الشمالية المعروفة الآن بالبلاد المغربية
ولذلك لم يطلقوا عليها اسم افريقية الا في زمن الدولة القرطاجية وأطلق هذا
الاسم اولاً على ملكة قرطاجنة فقط ثم اخذ يتد بوماً بعد يوم حتى عم جميع
مالك القارة وصار لقباً لها

وقد اختلف المؤرخون والعلماء في اصل سكان هذه البلاد فزعم بعضهم
ان اصل المغاربة من اسيا نزحوا من بلادهم في الازمنة القديمة وقصدوا بلاد
افريقية وحلوا في شمالها وابتنوا لهم فيها منازل ومساكن وقال آخرون هم من
عرب اليمن وقيل من بني غسان وذهب بعضهم الى انهم اخلاط من بني كنعان
وعالقي . وكان السبب في رحلهم الى تلك البلاد غزوات بعض الملوك
الذين افتتحو بلادهم وتغلبوا عليهم فانهزموا من امامهم وقصدوا الديار المصرية
وعند وصولهم اليها منعهم ملوكها عن التوكل بمجوارهم فرحلوا عنهم وانتشروا
في ساحات البلاد المغربية فقتل بعضهم على السواحل البحرية ونزل البعض
في الجهات الداخلية وسكنوا في تلك الاماكن واستوطنوها وشيدوا فيها القرى
والمدن وتكونت منهم مع نمادي الزمان جملة قبائل وعشائر كصنهاجة ومغرا
وزناتة وغيرهم من البطون والانفاذ . وما يدل على ان اصلهم من بني كنعان
وأكل فينيقية بعض كتابات قديمة منقوشة على بعض الاثار القديمة باللغة
الفينيقية منها هذه العبارة (نحن الذين انهزمنا من امام يشوع بن نون المقتصب)
وهذا يقرب من العقل لانه عند رحيل بني اسرائيل من مصر وقدمهم الى

ارض كنعان وافتتاحهم تلك البلاد لا بد ان كثيرين من سكانها رحلوا منها واستوطنوا في تلك الجهات التي نحن بصددناها وربما كان هناك بعض القبائل المتبررة القديمة العهد فاختلفوا بعض ببعض وتكونت منهم مع تنادي الازمان جملة عشائر وقبائل

وسميت بلادهم قديماً بلاد البربر قيل لما ذلك حسب زعم بعضهم لخشونة اصوات اهلها وبربرة لسانهم غير المفهومة ولكن ليس ذلك فقط بل الارجح لكونهم في ميدانهم كانوا في غاية الوحش والتبرر حتى انهم على ما قيل كانوا ياكلون لحوم الحيوانات نيئة ويقتاتون من عشب الارض كباقي الوحوش وكانوا يرقدون على بساط الارض ايضاً حلو . ولكنهم مع تداول الايام اخذوا يتفلقون من حالتهم الوحشية الى حالة احسن واصح وهكذا بانضمامهم ضمن مدائن وقرى خرجوا شيئاً فشيئاً عن حالتهم المتبررة وبالتدريج ارتبطوا مع باقي الشعوب بروابط اسرعت تذيبهم على نوع ما وعما قليل شيدوا المدن العظيمة وابتنوا لهم سفناً وصاروا اصحاب سطوة واقتدار واستمرت البلاد تحت تسلطهم عدة قرون وكانت مدينة قرطاجنة من اعظم واشهر مدائنهم ولشهرتها وسطوتها قد افرزنا لها فصلاً مختصاً باخبارها ووقائدها

وما زالت البلاد في ايديهم ونحت تصرف احكامهم الى ان افتتحتها الرومانيون بعد حروب ووقائع كثيرة قد ذكرنا اشهرها في اخبار قرطاجنة . وكان كلما تقدم الرومانيون في فتح البلاد ترحل القبائل من امامهم وتلجج الى الجبال والاماكن الوعرة بحيث لا يقدر الرومانيون ان يتوصلوا اليهم وهي القبائل المعروفة الآن عند الافرنج بالنوميديّة واما باقي السواحل كمرّاكش والجزائر وغيرها فكان يطلق عليها اسم موريثانيا وعلى سكانها اسم مور فتخضعوا للرومانيين واختلفوا معهم واعترفوا ديانتهم وسنة ١٧ للميلاد قام احد البرابرة المدعو تاكفراس واستمال قلوب الناس اليه وجعل يحرضهم على العصيان وتخليص البلاد من نير السلطة الرومانية فاجابه الى ذلك اكثر الاهالي

وحاربوا الرومانيين واستمرت الحروب بينهم نحو سبع سنين ولكنهم لم ينجحوا
وسنة ٤٢٧ للميلاد نشر يونيفاس الوالي الروماني علم العصيان ضد
العاصمة وخرج عن طاعة دولته وتعلقت اماله بالاستقلال على البلاد المغربية
فارسل الى الفنداليين الذين كانوا بومثذ سكان الاندلس في اسبانيا يلتمس
منهم المساعدة والامداد على بلوغ غايته فاجابه ملكهم جنساريك الى ذلك وقصد
افريقية بثمانين الف مقاتل وعند وصوله الى تلك السواحل اخذ يفتح المدن
والاقاليم وبضربها الى احكامه فلما راى يونيفاس ان القوم الذين كان يامل
مساعدهم قد صاروا له من حيلة الاعداء والاختصام ندم على ما فعل واضطر
ان يدافع عن نفسه خوفاً من الغلبة ولكنه بعد حيلة وقائع انكسر وتفرق جيشه
وتبدد واستولى الفنداليون على تلك البلاد واستمرت تحت قبضة ايديهم الى
زمن الامبراطور جوستنيان حينما ارسل جيشاً عرمرماً سنة ٥٣٥ للميلاد تحت
رياسة القائد بليساريوس وافتتحها ومن ذلك الوقت انقضت الامة الفندالية
ولم يعد لها ذكر

الباب الثاني

في دخول المسلمين الى بلاد الغرب وافتتاحهم مدنها واقايلها
وباقى ولاياتها

اما قوة الدولة الرومانية بعد انقسامها الى سلطتين شرقية وغربية فاخذت
تضعف شيئاً فشيئاً بعد تلك السطوة والهبة العظيمة اذ لا يخفى ان كل مملكة
انقسمت على ذاتها لا تثبت ولا تدوم . وكان العرب بومثذ في نجاح عظيم فانهم
بعد ما فتحوا سورية ومصر وجهوا افكارهم نحو هذه البلاد فقصدها عمرو بن

العاص والي مصر بجيش جرار سنة ٦٤٤ فنقطع بلاد النوبة وفتح برقة وما جاورها من الاقاليم وكان قد حدث في غيايه ثورة في الاسكندرية الزمته بالرجوع الى الديار المصرية لتهديد القلاقل والفتن في تلك الاثناء توفي عمر بن الخطاب وتولى مسند الخلافة بعده عثمان بن عفان فعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى مكانه عبد الله بن سعد فزحف هذا الوالي الى بلاد المغرب وجارب القائد غريغوار رئيس جيش الروم فكسره ومزق شمل عسكره وفتح تونس وطرابلس وكثيراً من المدن والبلدان ثم تقدم نحو قرطاجنة وارسل الى اهلهما يقول لم انه مستعد ان يقول عنهم وينكر لم باقي البلاد التي فتحها بشرط ان يدفعوا له مليونين ونصفاً من الدنانير فاجابوا طلبه ودفعوا له المال وهكذا اثنى راجعاً الى مصر تاركاً جميع فتوحاته

فلما بلغ هذا الخبر حكومة القسطنطينية استعظمت ذلك المبلغ الذي دفعه رعاياها في الغرب للمسلمين فخذت على عاملها واتهمته بالخيانة وصمته على الانتقام منهم وسنة ٦٦٣ للبلاد ارسل الامبراطور قسطنطس الثاني الى والي المغرب يطلب منه مبلغاً على قدر المبلغ الذي دفعه الاهالي للمسلمين فلم يجبه الوالي الى هذا الطلب واتخذ سراً مع معاوية بن ابي سفيان راس الدولة الاموية على فتح البلاد واستتلاصها من ايدي الرومانيين وانه يكون مساعداً له في الباطن فاغتم معاوية هذه الفرصة وارسل جيشاً تحت قيادة معاوية بن خديجة وعبد الله بن الزبير لفتح بلاد المغرب ففتحوا نجاحاً عظيماً وكسروا الجيوش الرومانية . وسنة ٦٦٦ ارسل جيشاً اخر لنجدة الجيش الاول ثم ارسل في سنة ٦٧٠ نجدة اخرى تحت راية الامير عقبة بن نافع ففتح هذا الامير كل البلاد الشمالية من الشرق الى الغرب الاقصى وافتتح كل بلدة مسكونة في تلك الجهة ومهد باقي الاقطار وسنة ٦٧٥ بنى في حرش غاص بالوحوش الكاسرة مدينة القيروان فصارت من ذلك الوقت مقراً ومركزاً لولاة الاسلام على البلاد المغربية وازدهرت داراً للعلوم ومقصداً للطلاب

وفي اواخر القرن السابع نهض جمهور غنير من البربر وانضم بعضهم الى بعض طمعا بالاستقلال واسترجاع ملكتهم فخلعوا طاعة المسلمين وجأهروهم بالعصيان وكانت تقودهم امرأة موصوفة بالشجاعة والاقدام يقال لها دمية فحسرت جيش المسلمين في حملة مواقع وطردتهم من جميع البلاد فالتجأوا الى بلاد برقة وبقيوا هناك الى ان وافتهم نجدة قوية فحملوا بها وصدموها جنود دمية المذكورة فانتصروا عليها وكسروها واسترجعوا البلاد التي كانت قد اخذت منهم

ثم في سنة ٧٤٦ للميلاد حدثت خلافات اخرى في افريقية وكان سببها ابو سعدي البكري خليفة سيد قبيلة زناتة فانه اخذ يجرس اهالي المغرب على حرب العرب املاً بتأسيس سلطنة مستقلة في تلك البلاد ولكنه لم ينجح في مشروعه واستمرت البلاد بايدي العرب زمناً طويلاً الى ان سقطت سلطنة الخلافة في المغرب والشرق فكانت الولاة على نوع من الاستقلال ولم يكن للخلفاء من احكام الغرب يومئذ الا مجرد الاسم فقط وهكذا كان الحال ايضا في زمن الخلفاء الفاطميين فانه تداول احكام هذه البلاد في ايامهم كثير من الولاة والاحكام ما لا يسعنا ضبط المقام استيفاء اخبارهم

هذا وفي زمن ولاية المعز بن باديس عليها زحف اليها عرب بني هلال من بلاد نجد سنة ١٠٥١ بمجموع كالجزراد المنتشر تحت راية اميرهم حسن بن سرحان وقتلندي جهوشهم ذياب بن غانم وسلامة بن رزق المشهور بابي زيد وكان من اعظم فرسانهم فاجتازوا النيل ونزلوا بلاد برقة فاشتقوا امصارها واستباحوا املاكها وتقارعوا على ولاياتها ثم تقدموا بمجموعهم لافتتاح باقي البلاد فاستعد المعز المذكور لمصادمتهم ومقارعتهم ونهض بمجموع صنهاجة وزناتة مع جمهور غنير من طوائف العرب المتوطنة في تلك البلاد ولما التقى الفريقان افترقت جموع العرب عن الجيوش الاسلامية والطوائف المغربية واتحدت مع الهلاليين نظراً للعصية القديمة وكانت الدائرة على المعز فانهمز شر هزيمة وفر

واخيراً حصرة في تلمسان وقتله

فاستولى على المملكة بعده اخوه خير الدين المشهور باسم بربروس واخذ بشار
اخيه ثم رتب احوال المملكة ونظم امورها واذا كان يخاف من هجمات الاسبانيولين
وغاراتهم على بلاده استعان بالسلطان سليمان الثاني ودخل تحت ظل حمايته
فامده بالجيوش العثمانية . ثم سلمه رياسة العارة الجربية وجعله قبطان باشي دلى
مراكيه الحربية وكان بربروس قد اضر ان يفتح جميع بلاد الغرب ويقدمها
خدمة للسلطان في مقابلة جميله وعند ما شرع في هذا الامر اضطربت اشراف
ابطاليا من سطوته واتحدوا مع شرككان امبراطور اسبانيا على حربه فحاربه
شرككان وقهره وبدد جيشه وسلم زمام البلاد للوكها الاصليين

وسنة ١٥٧٤ للميلاد جهز السلطان سليم الاول جيشاً عرماً وارسله مع
عمارة بحرية تحت قيادة سنان باشا لافتح تونس وباقي بلاد المغرب فافتتحها
من الاسبانيولين ثانية بعد حروب ووقائع هائلة ومن ذلك اليوم صارت جميع
البلاد ما عدا مملكة مراكش خاضعة للدولة العثمانية . وكانت الجزائر قد استقلت
نوعاً سنة ١٥٨٥ واستمرت كذلك الى سنة ١٨٣٠ حين حاربها دولة فرنسا
بسبب تعدي اهلها على السفن الفرنسية وتلى حقوق سننها ورعاياها المقيمين
فيها فافتتحت في اول الامر جانباً منها وكان اعظم مقاومتها في هذه الحروب
الشيخ محيي الدين الحسيني الذي طلب منه اهالي الجزائر حيلة مرار ان يملك عليهم
وكان بابي الملك ترهداً فعند ما ضايقهم الفرنسيون قصدوا اجباره دلى ان
يتسلطن عليهم اما هو فبقي مصرّاً على عدم قبوله فتهددوه بالقتل ان لم يقبل فما
قبل بل اعطاهم ابنة عبد القادر واثار عليهم ان يجعلوه سلطانهم فبايعوا عبد
القادر المذكور في الملك وهو من مشاهير هذا العصر في الشجاعة وعلو الهمة
فقاوم الفرنسيين اشد مقاومة وكانت بينه وبينهم مواقع وحروب كلية لا يسعنا
ضيق المقام التعرض لذكرها ثم سلم اخيراً في ٢٢ كانون الاول سنة ١٨٤٧
للميلاد بعد ان جاربهم مدة ست عشرة سنة . ثم ارسلوه الى فرنسا وبقي هناك

الى سنة ١٨٥٣ حين اعنته نابوليون الثالث من الاعتيال وعين له مرتباً سنوياً يدفع اليه من خزينة الدولة فاتي وسكن دمشق ولم يزل قاطناً بها الى ان توفاه الله

واما بلاد تونس فكانت كالديار المصرية على نوع من الاستقلال تحت مال معلوم تدفعه سنوياً الى الدولة العثمانية الى ان كانت سنة ١٨٨١ ادخلتها فرانساً تحت حمايتها واشهرت سيادتها عليها عنوةً واقتداراً غير انها ابتت سياستها في ايدي اهاليها وواليها الحالي يقال له سيدي علي باشا اخا محمد صادق باشا الوالي السابق وبلقب بالباي وهو مشهور بحسن الادارة وعلو الهمة

وتعد اهالي هذه البلاد يبلغ ٢ ١٠٠ ٠٠٠ نسمة وعاصمتها مدينة تونس عدد سكانها ١٢٥ ألفاً اكثرهم مسلمون وليس لهذه البلاد شهرة عظيمة في التجارة واكثر وارداتها الاقمشة الانكليزية وقد بلغت قيمتها سنة ١٨٨٢ نحو ٤٤ مليون قرشاً واما صادراتها فنحو ١٩ مليوناً تنحصر في بعض اصناف من محصولاتها كزيت الزيتون والاسفنج والبلج والبقول والسمك المملح والصوف والطربوش اما البلاد الوحيدة التي حفظت استقلاليتها من سنة ١٥٥٩ الى هذه الايام فهي مراكش وهي من اشهر واعظم الاقسام المتقدم ذكرها واستقلالها استقلال حقيقي دون غيرها من ممالك بلاد المغرب وسلطانها الحالي يقال له السيد محمد بن عبد الرحمن وهو من افاضل الناس بوصف بالوداعة والمزايا الحميدة

الفصل السادس

في جزيرة مداكسكر

لا يخفى ان في قارة افريقية عدة جزائر متفرقة منها واقعة على شرفها ومنها على غريبها اما الجزائر الواقعة على الجهة الشرقية فمنها جزائر كومورو وسكانها نحو ٢٠ الف نسمة اكثرهم من العرب والمسلمين . وجزيرة بوربون التابعة احكام فرانسوا وعدد اهلها ٦٥ الف نفس وجزيرة مورتوس وملخاتنا التي هي تحت تسلط الانكليز وجزيرة سومطرا او غيرها . واما الجزائر الواقعة على غربي القارة فمنها جزيرة مدايرا وجزر الراس الاخضر وهذه جميعها تحت حكم البرتغال . ثم جزيرة القديسة هيلانة التي بيد الانكليز وجزائر كناري او الخالدات المخصصة باسبانيا وغيرها ولكن اذ كانت جزيرة مداكسكر اعظمها جميعها في الاتساع وعدد الاهالي راينا ان نذكر شيئا عنها قبل الانتقال من هذه القارة ان جزيرة مداكسكر واقعة في بحر الهند للجهة الجنوبية الشرقية من قارة افريقية وتحسب قسماً لقربها اليها مع انه يفصلها عنها خليج موزامبيك الذي مضيق عرضه ٢٠٠ ميل . ومساحة هذه الجزيرة فسيحة فان طولها من الشمال الى الجنوب ٩٥٠ ميلاً ومعدل عرضها ٢٥٠ ميلاً على انه في بعض الاماكن يبلغ ٢٥٠ ميلاً فعلى ذلك تعادل مساحتها مساحة ملكة فرانسوا تقريباً

اما عدد سكانها على ما ذكره الجغرافيون فخمسة ملايين وهم شعوب وقبائل مختلفة متفرقون بين جبالها وسهولها وديانتهم وثنية اذ لم يوجد بينهم من يهدم وبرشدهم لمعرفة الخالق . واما الآن فقد دخلت الديانة المسيحية الى هذه الجزيرة دخولاً عجيباً بواسطة مرسلين انكليز ولاتينيين وغيرهم واخذت تعاليم الانجيل

تنشر بينهم وتمتد حتى ان عدد المسيحيين الان يبلغ نحو ٢٠٠ ألف نفس من
 حلتهم الملكة الحالية ووزراؤها وذوو الرتب والمناصب . وهذا التغيير العجيب
 تم في مدة خمسين سنة فقط . والمامل انه في وقت قريب ثلاثى الديانة
 الوثنية من هذه الجزيرة وتنشر معرفة الخلاص بين جميع شعوبها

اما هواء هذه الجزيرة فعلى الاغلب حار وفي بعض الاماكن تشتد الحرارة
 الى درجة غير محتملة بحيث تكون قتالة للاوربيين القادمين من بلاد باردة
 واما فصولها فتختلف عن باقي الفصول المألوفة للناس اذ لا يكون فيها سوى
 فصلين فقط وهما الشتاء والصيف

فصيفها يبتدى من شهر تشرين الثاني وينتهي في نيسان والشتاء من ايار
 الى نهاية تشرين الاول . واما تربتها فجيدة الى الدرجة القصوى وناتي بنتائج
 عظيمة اخصها الارز وهو المعول عليه في مأكولات الاهالي ويرسل منه جانب
 الى الخارج برسم التجارة ولو كان لاهلها زيادة خيرة ومعرفة في امر الزراعة لكانت
 البلاد في نجاح اكبر مما هي عليه الان . ومن مستغربات اشجار هذه الجزيرة شجرة
 يقال لها شجرة السياح وهي اشبه بشجرة الموز ومن خواصها انه يوجد في اسفل كل
 غصن منها ورقة ملتفة على شكل الكيس تنعما فيها مياه المطر فيستعيب بها
 المسافرين في اسفارهم . قال بعض السياح كنت مسافراً ذات يوم في مداكسكر
 فوصلت الى غابة متسعة فيها كثير من هذه الاشجار واذ كنت عطشاً اناخذ
 احد غلاني رحماً وطعن به غصن شجرة منها فخرج ملاء عذب بارد مقدار ١٥٠
 درهماً فشربت وارويت ظمائي وسرت شاكرًا

وفي هذه الجزيرة بعض المعادن كالنحاس والحديد والرصاص والقصدير
 والزنابق وغير ذلك ولكن لم يستخرج منها الى الان غير الحديد فقط . وبها انهر
 عديدة وجبال شاهقة ارتفاع بعضها نحو ٩٠٠٠ ذراع . ومن اعظم مدنها مدينة
 اتاناناريفو وهي عاصمة الملكة ومقر كرسي الحكومة . وعدد سكانها نحو ٨٠ ألف
 نسمة . ومدينة تاماناف وهي اسكلة بحرية كثيرة التجارة واهلها نحو ٢٠٠٠ نفس

اما شعوب هذه الجزيرة فيقسمون الى قسمين كبيرين . الاول يقال لهم شعوب السفولان وهم يشبهون العبيد في اللون والعوائد يسكنون غربي جبال الجزيرة . والثاني شعوب المالكاز او المالباز ومنها قبيلة الهواز التي سادت على باقي قبائل الجزيرة سطوة وشوكة والتي منها العائلة الملكية الحاضرة . ولذلك يطلق على حكومة مداكسر حكومة المالكاز وعلى شعبها شعب المالكاز . والمظنون ان هذا الجنس خرج في الاصل من شبه جزيرة ملقا او ملايا في الهند الشرقية وانتشروا في عدة اماكن اخضا جزائر المحيط فان اغلب الاهالي منهم . ويتماز هذا الجنس بشدة اسمرار البشرة وبطول الشعر وتديله وسواده وبخفافة الانف وتفرطحه وبكبر الاعين ولعائنها

اما عوائد اهالي مداكسر فنتيجة ويكفي ان نقول انهم عبدة اصنام فليست نتج الفارث ما وراء ذلك من الصفات . ومن عوائدهم الوحشية عملياً احياناً يسمنونها طنجينا اي عملية كشف السحر استعمالوها في القضايا الواقعة فيها المشبهة على بعض الناس من جهة كونهم يستعملون السحر او لم يداخله في فتنة سياسية او ميل نحو النصرانية . وكان اعتقاد العامة في صدق هذه العملية بهذا المقدار قوياً حتى ان الاربياء المهومين في الشكايات المذكورة فضلاً عن كونهم يخضعون ويسلمون بصحة تلك العملية كانوا يطلبون ان تجرى عليهم برغبة شديدة لتبرير انفسهم امام الشعب مع ان الاكثرين منهم كانوا يموتون من مخاطرها وتموت براءتهم معهم . اما كيفية تلك العملية فانهم كانوا ياتون بالشخص المتهم امام رئيس الطنجينا (ويقال له اللاعن) فيضع في فيه ثلاث قطع من جلد دجاجة ليلبها بدون مضغ ثم بطعمه قليلاً من الارز المنفلل وبعد ذلك ياتي بمجوزة من السم فيمخت منها قليلاً في عصير موزة ويسقيها للمتهم ثم يضع يده على راسه ويتدئ بهذه الصلاة قائلاً اسمي اسمي واسمي جيداً يا ابنها الرايما نمانكو^(١) انت بيضة مستديرة من عمل الله انت الذي نظرين وليس لك

(١) اي المنتشة او الفاحضة

اعين انت التي سمعين وليس لك اذان انت التي تحيين وليس لك فم اسمعي
 اذا واصفي جيداً يا ابنها الرأيا نأمانكو . ثم يطيل الكلام في تلك الصلاة التي لم
 نقف الا على ما ذكرناه منها وغاية قصدهم بهذه الاستغاثة للنجينا ان تفحص
 احوال المتهم وتظهر ذنبه فان كان برياً فمجهلة يستفرغ ما ابتلعه من جلد
 الدجاجة صحيحاً كما كان ولكن اذا كانت المعدة قد هضمها ولم يخرج القيء شيئاً
 منها يحسبون ذلك دليلاً واضحاً على ذنب المتهم فيبتدئون حيثئذ بضربه
 ضرباً بالياً حتي يموت ثم يدفونه في حالة الذل والاهانة وفوق كل ذلك
 يضبطون جميع املاكه ويغرمون اقاربه . وكان عدد الذين يموتون بهذه المينة
 الشيعة ثلاثة الاف شخص كل سنة ولكن هذه العادة قد بطلت الآن بواسطة
 دخول الديانة المسيحية

اما تاريخ هذه الجزيرة فمجهول ولا يعلم كيف او اي متى سكنها الناس
 ومع انه كان للعرب والمغاربة صلة قديمة معها في التجارة لم يسمع عنها شيء الا
 في الجبل الثالث عشر من ماركو بولو الفينيسياني الذي اشتهر في سياحته
 الطويلة في اسيا وافريقية فانه يسميها ماغاستر مع انه لم يدخلها . ولول من
 زار هذه البلاد لورنس الميدا حاكم دار بورتو غار في الهند فانه مر عليها وهو
 متوجه الى محل ماموريتيه سنة ١٦٠٥ . وقد حاول البورتوغاليون مراراً عديدة
 اخضاع هذه الجزيرة وامتلاكها فاستولوا على بعض سواحلها ولكنهم اخيراً طردوا
 منها

وكان الفرنسيون قد اجتهدوا ان يضموها الى املاكهم في افريقية واستعملوا
 حملة وسائط الى ذلك فلم تجدهم نفعاً لانهم حصلوا على مقاومات شديدة من
 الالهالي ومن الانكليز ايضاً الذين مع انهم جيران في اوربا لم يسروا بقرهم في
 افريقية واسيا . ففي سنة ١٦٤ قدم الى تلك الجزيرة جماعة من الفرنسيين
 واستوطنوا في بعض اطرافها . وسنة ١٧٧٤ ارسلت فرنسا الكونت بنيانوسكي
 ليقم هناك بعض مراكز حرية فذهب في جيش عديد وعند وصوله الى تلك

الجهات اظهر العصاة على الحكومة طمعاً بالاستقلال فبعثت دولة فرانس
فحاربه وقتله . وسنة ١٨١٥ تملك الفرنسيون بعض مراكز على الشواطئ
البحرية لكنهم التزموا اخيراً ان يتركوها بسبب قيام الاهالي عليهم . وفي اثناء
ذلك وقع الاتفاق بين دولتي انكلترا وفرنسا ان تعتلا كلتاها عن استهلاك
شيء من اراضي الجزيرة وان يتركها لاهلها

وسنة ١٨٥٥ استحصل رجل فرنساوي يدعى لامبر رخصة من الملكة
رانافالونا الاولى لاقامة معمل للسكر شرابة بينه وبينها . فبعصب هذه الشرابة
صار له وسيلة للتردد على العاصمة والتعرف بوزراء الحكومة . ثم اتصل بعد
ذلك بمعرفة الامير راكونتولي العهد فكان يهرح له عن التجارة ووسائط الفنى
الناجيين من اصلاح الزراعة وتحسين احوال البلاد فاتفقا ذات يوم سرّاً
على اقامة شرابة لاجل هذه الغاية ووعدا الامير راكونتو بانة عند جلوسه على سرير
الملك يعطى لامبر اراضي كثيرة للزرع وحضر المعادن وغير ذلك من الامتيازات
التي من شأنها ان تجلب المكاسب وتصلح امور البلاد . فلما تولى الامير راكونتو
زمام الملكة لقب راداما الثاني والنص في جملة من الاجانب واحاط به اصحابه
الاقدمون ممن كانت تحلو له عشرتهم فانكشف على الملاهي واللذات واهمل
عهوده مع لامبر فكان بطالته وبلازمته ويشدد عليه في ذلك حتى التزم اخيراً من
ان يجري ما وقع عليه الاتفاق فاصدر اوامره باعطاء لامبر قسماً كبيراً من
الاراضي واذن له باستخراج المعادن وضرب النقود وعمل الطرقات والترع
 وغير ذلك من الامور التي اجراها على غير رضى وزرائه واران دولته

وفي السنة الثانية من حكمه حدثت ثورة في البلاد قتل بها هذا الملك
وخلفته الملكة رازوهرينا وعند جلوسها توقفت الحكومة عن اجراء اوامر الملك
السابق واعلنت للفرنساويين بانها لا تقبل ولا تسلم بتلك الموافقة السرية
التي جرت بغير معرفة روسانها فتشكى الفرنسيون من تلك المعاملة واقاموا
الحجة على حكومة مداكسكر وولجت فرانس الكومودور دويري ان يفصد

القسم الثالث

في قارة أوروبا

الفصل الاول

في الكلام على هذه القارة وما يتعلق بها

ان قارة أوروبا اصغر القارات ومساحتها ربع مساحة اسيا تقريباً وثلاث مساحة افريقية ولكنها مع ذلك هي اعظم واشهر من باعتبار الغنى والقوة والمدن ولا سيما في المآثر وامتيازات الصنائع والعلوم وهي قسم من نصف الكرة الشرقي يفصلها عن اسيا جبال اورال وعن افريقية بحر الروم او المتوسط لتوسط بين القارين وبوغاز جبل طارق الذي يفصل أوروبا عن افريقية بواحد وعشرين ميلاً وهي محدودة غرباً بالاقيانوس الاندلسي وشمالاً بحر الثلج الشمالي

اما عدد سكانها فيبلغ ٢٠٠ مليون تقريباً وتنقسم شعوبها الى اربعة اقسام اصلية الاول الشعوب الجرمانية وهم سكان جرمانيا وبريتانيا واسوج ونروج ودنمارك وهولندا وبلجيوم. الثاني الشعوب السكينية وهم أكثر سكان روسيا وبعض سكان النمسا. الثالث الشعوب الهندية وهم الاثراك واهل شمالي روسيا.

الرابع الشعوب الذين هم من ذرية الرومانيين القدماء الذين اختلطوا بالقبائل
الشمالية التي تغلبت على المملكة الرومانية القديمة وانتشرت في اقاليمها واستوطنتها
وهم اهل ايطاليا وفرنسا واسبانيا وبرتغال . وفيها ايضا اجبال اخر كالروم
والارمن واليهود ممن لا يمكن وضعهم في مصاف الرتب المذكورة لانهم اصليون
غير متسلسلين من قبائل اجنبية ولغاتهم باقية الى الآن كما هي بلا تغيير

وتنقسم اوربا الى قسمين كبيرين شمالي وجنوبي اما الشمالي فهو شديد
القساوة في البرد ويتضمن بلاد المسكوب واسوج ونروج والبلاد الجرمانية
ودنيارك وهولاندا وبلجيوم وسويسرا وفرنسا وبريتانيا واما القسم الجنوبي فهو
معتدل الهواء يتضمن البرتغال واسبانيا وايطاليا وبلاد اليونان وتركيا
وسوف ياتي الكلام على كل دولة منها بالتفصيل والدين الغالب في هذه
القارة هو النصرانية

ولا ينبغي ان اهل هذه القارة هم من نسل جومر بن يافث بن نوح الذي
هاجر الى شواطئ البحر الاسود وتوطن في تلك النواحي ومن هناك تفرق نسله
غربا كما تقدم القول في بداية الكتاب عند ذكر تفرق بني نوح . والمظنون
ان بلاد اليونان هي اول قسم سكنته الناس في اوربا من نسل ياولان بن
نوح اذ يوجد بعض دلائل تشير الى كثرة عددهم في زمن موسى عند اخراجه
بني اسرائيل من مصر وهم من اقدم شعوب الدنيا ولول شعب برع وتقدم
بالمعرفة والفنون ثم خلف اليونان في اتيان المهن والصنائع الرومان الذين
نفي شهرتهم عن وصفهم ثم برابرة الشمال الذين منهم اكثر الممالك الاوربية
الحالية

ومع ان قارة اوربا لم يدخلها الناس الا بعد تشعب اسيا وافريقية وكان
ينبغي ان يكون اهلها متاخرين عن باقي القارات سواء كان في الغنى والمعارف
ام في الهيئة الاجتماعية فتراهم بعكس ذلك قد فاقوا وامتازوا عليهم في كل نوع

من انواع التقدم وليس ذلك الا من اجهادهم وفرط انصباهم على مطالعة الاخبار والسير لاكتساب التمدن والمعرفة بواسطة الثمرن والاقدام على عظام الامور في الاكتشافات والاختراعات المادية والعلمية التي من شأنها ان ترفي الانسان ثروة وفهما وترفعه الى حالة سامية . ولا يمكن التسليم بان وسائط الاوربيين التي اوصلتهم الى هذه الدرجة الرفيعة كانت اكثر من الوسائط الموجودة في قارتي اسيا وافريقية بل بعكس ذلك نجد عند المقابلة ان الوسائط في هاتين القارتين ولا سيما في اسيا هي اكثر جدًا مما يوجد في تلك الرقعة الصغيرة فان اراضيها اوسع واخصب جدًا وفيها انتشرت المعرفة والنور وعلى الخصوص معرفة الاله الخالق التي هي اساس كل نور وفيها جال رجال الله منذرين وواعظين وفيها نشأت اعظم ممالك العالم كملكة اشور ومصر وغيرها ومنها انتشرت الصنائع والعلوم الى الديار الاوربية وغير ذلك مما كان يجب ان يجعلها افضل من اوربا في الغنى والمعرفة والتدن وحسن الحال . واغرب من ذلك ان تقدم اوربا لم يتدنى قليلاً الا في القرن الثاني عشر والثالث عشر وقبل ذلك لا يشتمل تاريخها الا على اخبار غزوات وانقسامات وحروب لم تأتها بادنى فائدة . والاوربيون انفسهم يقرون ان فجارهم لم تنعش واحوالهم الداخلية لم تحسن نوعاً الا بعد رجوع الصليبيين من الشرق حيث اكتسبوا عوائد وفنوناً آلت جدًا لتقدم بلادهم ولا سيما في الزراعة والتجـر الذي قبل ذلك الوقت كان ميتافياً بينهم . واما تقدم اوربا الحقيقي فلم يتدنى الا في القرن الخامس عشر اذ منه ابتدأت الاكتشافات والاختراعات المفيدة والاصلاحات المجيدة كصناعة الطبع وصب الاحرف واختراع الابرة المغنطيسية التي سهلت اسفار البحر وبواسطتها اكتشف اماكن غير معروفة ثم اختراع البارود والاسلحة النارية ثم اكتشاف راس الرجا الصالح والسلوك فيه الى الهند ثم اكتشاف قارة اميركا وافتتاح بلدانها ثم اصلاح حالة حكومة المالك بواسطة قرض حكومة الالتزامات الامر الذي جعل للدول

الكيرة استقلالاً ونظاماً جيداً . ثم الإصلاح الديني الذي قلب هيئة العالم
وسياسته الى غير ذلك من الامور الكبيرة التي ثبتت سيادة الشعوب الاوربية
فان كانت اوربا قد حصلت على هذا الفوز والتقدم في برهة ٤٠٠ سنة فقط
فلانباستاسيا وافريقية من امل الوصول الى تلك الحالة اذا جدت في التشبه بها



الفصل الثاني

في تاريخ سلطنة آل عثمان

الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد ووصفها الحالي

هذه المملكة قسم واسع جداً من سطح الكرة الارضية واملاكمها ممتدة في
ثلاثة اقسام من الكرة قسم في قارة اوربا وقسم في اسيا والثالث في افريقية
وكل قسم من هذه الاقسام يحتوي على اراضٍ مخصبة واسعة واقاليم عامرة
شاسعة وانهر ومجيدات وجبال شاهقة ولودية وهضاب وبطاح واكثر اقاليمها
جيدة الهواء كثيرة النباتات والمعادن والحيوانات المختلفة وعدد اهلها نحو ثلاثة
اربعين مليوناً كما في الجدول الاتي . والدبانة الغالبة فيها الاسلامية ولكن
يوجد فيها ايضاً كثير من النصارى من تبعة الدولة

عدد سكان السلطنة

عدد

في اوربا

عدد

٤٤٩٠٠٠٠ في املاكها الخاصة

٨١٥٩٤٦ روملي الشرقية وهي اباله تحت حكم اداري محلي

١١٥٨٤٤٠ بشناق وهرسك { الحال فيهم التمسايون
١٦٨٠٠٠ سنجق بني باذار

٨٦٣١٤٠٠ ١٩٩٨٩٨٣ بلغاريا وفي امرية تدفع مالا معلوما

في اسيا

عدد

١٦١٣٣٩٠٠ املاكها الخاصة

١٦١٧٣٠٠٠ ٤٠٠٨٩ ساموس وفي امرية تدفع الجزية للسلطنة

في افريقية

عدد

١٠١٠٠٠٠ ولاية طرابلس الغرب

١٨٥٨٧٠٠٠ ١٧٥٧٧٠٠٠ مصر تحت سيادة الدولة بما فيه البلاد السودانية

٤٣٣٩١٠٠٠

بيان ذلك

٢١٦٣٣٠٠٠ عدد الاهالي في املاكها الخاصة

٢١٧٥٨٠٠٠ عدد الاهالي في الامريات التي تحت حمايتها

٤٣٣٩١٠٠٠

اما القسم الاول فيجده شمالاً روسيا واستريا وجنوباً بلاد اليونان وشرقاً البحر الاسود وبحر مرمر وبوغاز الدردنيل وبوغاز القسطنطينية وغرباً البحر المتوسط واستريا وبلاد البندقية . وهذا القسم ينقسم الى اربعة اقسام كبرى الاول القسطنطينية وما يتبعها من السناجق والاقضية الثاني الرومي الشرقية وهي تحت حكم اداري خصوصي الثالث اميرية بلغاريا وهي تحت حماية الدولة تدفع مالاً معلوماً سنوياً لها والرابع بلاد الهرسك والبشناق مع سنجق بني بازار الذي دخلته العساكر النمساوية حسب قرار معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ وهي الآن تحت حكم الدولة النمساوية موقتاً . واما سربيا اي بلاد السرب ورومانيا اي الفلاخ والبلغدان فقد صارنا ملكتان مستقلتان كل واحدة منها يملك عليها ملك مخصوص تحت قوانين ونظامات خاصة بها وقررت استقلاليتها في مؤتمر برلين الذي التأم سنة ١٨٧٨ وعدد سكان السرب بحسب عد سنة ١٨٨٢ اربع الف وثمان مئة وعشرة الاف نفس وعاصمتها مدينة بلغراد واكثر اهلها روم كاثوليك . واما عدد سكان رومانيا فخمسة ملايين وثلاث مئة وستة وسبعون الفا منهم اربعة ملايين ونصف مليون روم ارتوذوكس تابعين الكنيسة الشرقية والباقيون من اديان متنوعة اكثرهم اسراييليون

واما القسم الثاني اي املاكها في اسيا فيجده شمالاً البحر الاسود وبحر مرمر وجزء من بلاد كردستان وجنوباً بحر الروم وخليج النجم وبادية الشام وبلاد العرب وشرقاً بلاد النعم وغرباً بحر مرمر وبحر الروم ايضاً وبوغاز الدردنيل والقسطنطينية . وقد ينقسم ايضاً هذا القسم الى ستة اقسام كبرى . الاول اسيا الصغرى المعروف ايضاً ببر الاناضول . الثاني ارمينية . الثالث كردستان الرابع الجزيرة الواقعة بين نهري الفرات ودجلة . الخامس العراق العربي . السادس سورية وفلسطين ويقال لها ايضاً بر الشام

واما القسم الثالث من املاكها في افريقية فهو ولايات مصر وطرابلس الغرب وقد مر ذكرها في محله واما تونس فقد صارت تابعة لفرنسا . وكل من

هذه الاقسام المذكورة يتضمن ولايات ومدائن عديدة . وعاصمة هذه السلطنة مدينة القسطنطينية وتعرف الآن باسلامبول وهي من احسن مدن الدنيا موقعاً واجملاً مركزاً مبنية على سبع تلال من اطراف اوربا وعدد سكانها نحو ٧٠٠ الف وكانت قديماً تعرف باسم بيزنتية نسبة الى بانيها الاول بيزنس ولما حل فيها الملك قسطنطين الكبير الذي تولى على سلطنة الرومانيين الشرقية جدد بناءها وانشأ فيها القصور الفاخرة وجعلها تخت امبراطوريته فسميت من ذلك اليوم باسمه . والثاني تنقسم باعتبار وضعها الى اربعة اقسام الاول المدينة الكبيرة القديمة . والثاني الغلطة . والثالث البوغاز . والرابع اسكودار . اما القسم الاول فهو اجمل وابهج الجميع لكثرة ما فيه من الابنية الجميع والقصور الفاخرة المزخرفة العظيمة والجموع الكبيرة ذوات المنارات الشاهقة . وفي هذه المدينة نحو ٢٥٠ جامعاً اكثرها من الرخام واعظها وابهجها جامع اجيا صوفيا الذي بناه الامبراطور يوسنينيانوس كنيسة للنصارى طوله ٢٧٠ قدماً وعرضه ٢٤٠ قدماً وهو من احسن واطرف الابنية القديمة التي بقيت من اثار هذه المدينة

ثم ان المالك العثمانية تنقسم الى ولايات يتراسها ولاة والولايات تنقسم الى سناجق يتراسها متصرفون والسناجق الى قضية يتولاها قائمقامون والافضية الى نواح يسوسها مديرون وكما نود ان نذكر اسماء الولايات والسناجق بالتفصيل لكن راينا ان ذلك لا يوافق حالة المستقبل نظراً للتغيرات التي قد يمكن للباب العالي ان يدخلها فيها بحسب ظروف الوقت واحواله

اما حكم الدولة العثمانية فمن النوع الملكي المطلق غير ان الاحكام الآن تجري بواسطة المجالس لاجل نظام امور السلطنة وسياسة الرعايا واعضاء هذه المجالس من افراد الوزراء الموصوفين بالذكاء وحسن الرأى والتدبير . ومع ان اراضي هذه السلطنة واسعة ومخصبة وفيها وسائط الثروة لا يكثرث اهلها كما ينبغي في اتقان الزراعة ولا يلتفتون الى تقدم الصنائع والفنون والعلوم فيجناجون الى جلب اغلب لوازمهم من البلاد الاجنبية ولذلك لا يتقدمون

الاغوزية وينتهي نسبهم الى يافث بن نوح وكان مبدأ ظهورهم انهم جاءوا من
نواحي خوارزم سنة ١٢٢١ للميلاد ونزلوا بجبال طوروس والصفوا بسلاطين
قوية السجوقيين الذين كانوا يؤثرون مستولين على اسيا الصغرى وارمينيا وبلاد
كرجستان فدخل بعض رؤسائهم في خدمة علاء الدين السجوقي سلطان
قونية ومن حملتهم سليمان شاه وكان اميراً على نيرة وهي مدينة قريبة من بحر الخزر
وبعد موته نزل ولده الامير ارطغرل مدينة سرغونة ومعه من التركان عدة
عشائر وكان اميراً عليها مدة اثنتين وخمسين سنة وكان خاضعاً للسلاطين
قونية وبعد موته خلفه عليها ولده الامير عثمان سنة ١٢٩٦ للميلاد وهو الذي
اقام دعائم الدولة العثمانية واسسها في بر الاناضول سنة ١٣٠٠ مسيحية على ما
بقي من اثار الدولة السجوقية التي اندرست سنة ١٢٩٤ للميلاد. وبعد اندراس
تلك الدولة ودمار سلاطينها استغل من كان تحت تسلطها من الامراء وتاسموا
المالِك فيما بينهم فكان نصيب الامير عثمان منها جزءاً من ملكة بورصة وبعض
بلاد بر الاناضول فتولى احكام البلاد المذكورة وقرر لها قواعد وتنظيمات .
وفتح هذا السلطان فتوحات كثيرة واستولى على اقاليم شهيرة ولتب بالغازي
لشجاعته وكثرة فتوحاته ومغازيه . ولما استقام امره وتمكن من السلطنة نقل
كرسيه الى مدينة بني شهر واقام بها وكان مع شجاعته كريماً حتى كان لا يمسك
شيئاً ولم يترك عند موته من جميع الاموال والنفق النفيسة التي استغوز عليها
في حروبه ومغازيه سوى بعض ملبوسات وامتعة لا تذكر من جملتها سمحة كان
يحملها دائماً يقال انها لم تنزل موجودة في بيت الخف في القسطنطينية . وكانت
مدة ولايته سبعة وعشرين سنة

وتولى بعده ولده اورخان سنة ١٢٢٦ فسلط مسلك ابيه في الحروب
والفتوحات ووسع نطاق الملك بفتوحات جديدة ففتح مدينة بورصة وانشأ فيها
ابنية جميلة ونقل اليها كرسي ملكه . وكانت جيوش ابيه مرلفة من فرسان
التركمان ولم يكن لهم معرفة بالضبط والربط العسكري ولا انتظام حال في

القتال فاستصوب السلطان اورخان ترتيب عساكر جهادية لاجل تأييد سلطته والاستعانة بها عند الحاجة فحدث وفاق الانكشارية . ثم وسع دائرة هذا الوراق ابنه السلطان مراد الاول ثم اكمل نظامه وحسن ترتيبه السلطان مراد الثاني ابن السلطان محمد الاول وما زال الانكشارية في التقدم والازدياد حتى امتازوا عن جميع الوراقات العسكرية بالشجاعة ونفوذ الكلمة فخافت السلاطين اخيراً سطوتهم اذ اصبحوا ارباب الحل والربط في دولة آل عثمان يتصرفون كيفما شاعروا في الاحكام ويسلكون مسلك الرياسة والعتفوان ويعزلون من ارادوا من السلاطين والوزراء واستمروا على هذه الحال الى زمن السلطان محمود الثاني حينما قرضهم بالكلية ودمر وفاقهم واقام مكانهم العساكر النظامية كما ستقف عليه في محله ان شاء الله تعالى

ولما نقل السلطان اورخان كرسي الملك الى مدينة بورصة اخذ في الاهتمام والاستعداد لافتتاح مدن جديدة فجهز الجيوش وجند الجنود وهاجم بلاد اليونان فانزعج اكثر بلدانها وعامل اهليها بالشفقة والرحمة حتى ان كثيراً من النساء الروميات اللواتي فقدن اولادهن ورجالهن في تلك المحروب كن يستغفن بوقوفهن على قدميه ويطلبن منه المساعدة فكان يلاظمن بالكلام وينعم عليهن بما يسر خواطرهن فالت اليه قلوب الناس وما زال يتقدم ويمتد في فتوحاته حتى اشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز غلبولي

وكانت يومئذ الامبراطورية الرومية في حالة الانحطاط الكلي واركابها متزعزعة ولا سيما بسبب المحروب الداخلية التي حدثت فيها بين سنة ١٢٤١ و ١٢٤٢ في زمن وكالة يوحنا كيثاكوزين الذي كان نائباً للامبراطور يوحنا باليولوغوس مدة حياته فكان ذلك داعياً لدخول الدولة العثمانية الى بلاد اوربا . وذلك ان النائب المذكور لما رأى نفسه مبعوضاً ومرفوضاً من طوائف الروم استعان عليهم بآل عثمان فامدوه واتصروا له عند دخولهم اوربا وبهذه الوساطة استولوا على جملة حصون وبلدان في تلك الجهات . ثم في سنة ١٢٥٩

بم اجناز الامير سليمان ابن السلطان اورخان بوغاز شفق قلعة وفتح مدينة غلبولي التي هي مفتاح القسطنطينية ثم توفي في عنفوان شبابه سنة ١٢٦٠ فحزن عليه ابوه السلطان اورخان حزناً عظيماً ومن فرط حزنه استولت عليه الغموم والامراض ولم يمكث بعده الا زمناً يسيراً وتوفي تلك السنة نفسها

وبعد وفاة السلطان اورخان خلفه ولده السلطان مراد الاول سنة ١٢٦٠ وكان من شجاعتين الرجال مجاهداً في انتشار دين الاسلام وكان عند جلوسه على كرسي الملك انه فتح مدينة ادرنة ثم اقلبي السرب والبلغار سنة ١٢٦٥. وفي نحو سنة ١٢٨١ مسيحية كان في بر الاناضول جملة امراء من الاتراك لم يزلوا باقين في حالة الاستتال فحاربهم واخضعهم. وكان قد خطب لابن ببايزيد ابنة امير كرميان رغبة في اكتساب محبة ولاية اسيا الصغرى والاتحاد معهم فزوجه بها وبهذه الوساطة استولى على مقاطعة كرميان وغيرها من الولايات ثم على مدينة كوتاهيا التي وهبها امير كرميان الى ابنته عند زفافها. وسنة ١٢٨٦ اخضع لسلطنته معظم مقاطعتي مكدونيا وبلاد الارناوط. ثم في سنة ١٢٨٨ نهض اهل السرب والفلاخ واهل دلماطيا والبحر والبلغار ونحزبوا جميعاً عليه قاصدين بذلك تعطيل فتوحاته وتوقيفه عن التندم فحاربهم هذا السلطان وشنت شملهم وفرق جموعهم غير انه في اثناء جولاته في ساحة القتال وثب عليه عسكري بلغاري كان مستتراً بين القتلى وطعنه بخنجر في احشائه فقتله وخلفه ابنة السلطان بايزيد الاول سنة ١٢٨٨ وكان على جانب عظيم من الشجاعة وقد تعود مقاساة الخطوب ومشقات الحروب فتبع خطوات ابيه في الغزو والجهاد. وكان اول امر شرع فيه افتتاحه الممالك التركية الصغيرة التي كانت مستقلة في جهات الاناضول. ثم افتتح ايلات الرومي ومكدونيا والبلغار. وبعد هذه الانتصارات صم على افتتاح مدينة القسطنطينية واخضع الممالك الافرنجية فزحف بجيش عظيم الى نواحي اوربا واستولى على مدينة سالونيك ثم شن الغارة على بلاد البحر واتصر على جيش الافرنج في وقعة عظيمة

وكان فاتر الهمة ضعيف الرأي منهكاً بالملاهي واللذات وكان اخوه الامير موسى يترقب فرصة لكي يقتك به فانقضَّ عليه ذات يوم وهو راقد في فراشه وطعته بخنجر في صدره وقتله وكان ذلك سنة ١٤١٠ الميلاذ ثم اقسام السلطنة مع اخيه السلطان محمد الاول . وسنة ١٤١٢ وقع بينه وبين اخيه محمد المذكور خصام ونفور افضى بهما الى القتال فتحاربا وكانت الدائرة على الامير موسى فولى هارباً فتبعه فارس من فرسان اخيه السلطان محمد وقبض عليه وقتله وجاء براسه الى اخيه . وبعد ذلك انفرد السلطان محمد الاول بالسلطنة وصنعت له الايام وانت اليه رسل ملوك الافرنج والروم مقدمين له التهاني بالنيابة عن ملوكهم فاحترمهم واكرمهم ثم شرع في تهديد الامور وعند الصلح مع الدول الاجنبية وقوى معهم روابط المحبة والاتحاد وردَّ الى الامبراطور مانويل جميع ما كان اخذه منه اسلافه من الحصون والولايات . وبالجملية كان سعيد الطالع عادلاً كريماً شفوفاً على الرعية وهو اول من شرع في ترتيب العساكر البحرية وفتح مدينة ازميز ونقل كرسي السلطنة الى ادرنة (ادرينوبل) واعاد رونق السلطنة ووسع نطاقها ونظم امورها وجعلها على امن اساس بعد ذلك الخراب الذي اصابها من وقائع نيورلنك ملك التتر واستمر عزيزاً جليلاً الى ان ادركنه الوفاة

وقام بالملك بعده ولده السلطان مراد الثاني سنة ١٤٢١ فقام بتدبير السلطنة اتم قيام وكان محباً للغزو والفتوحات لكي يوسع سلطته واول امر وجه فكره اليه فتح القسطنطينية فقام بمقتي الف مقاتل وحاصرها حصاراً شديداً فقاومة اهلها اشد مقاومة ولما يس من فتحها رفع عنها الحصار وارتد راجعاً الى املاكه في اسيا لتسكين نيران الفتنة التي اضرها الروم في تلك النواحي وبعد موت الامبراطور مانويل اذن السلطان لخليفته يوحنا بالبولوغوس ان يستولي على القسطنطينية وفرض عليه جزية معلومة يدفعها لخزنته في كل سنة وشرط عليه ان يتنازل له عن جميع البلاد خلا القسطنطينية وضواحيها .

يجمع شئيت العساكر ويحرضهم على الرجوع والثبات فلم ينجح لان الرعب كان قد استولى عليهم وكان عدد قتلاهم عشرة الاف نفس
ثم ان السلطان مراد الثاني بعد هذه النصره تنازل عن الملك ثانية الى ابنه السلطان محمد الثاني وعاد الى انفراد كالاول . واذ لم ترض الانكشارية^(١) بذلك اضطر ان يعود الى السلطنة وعاد ايضا الى ما كان عليه من حب الغزوات وقام بجيوشه وتقدم نحو بلاد الارناؤط . وكان رجل يدعى يوحنا كاتريو حاكما بالارث على قسم صغير من تلك البلاد فلما رأى قدوم السلطان بالعساكر الجريئة لمحاربتو خاف سوء العواقب وعند معه صلحا وعاهدة على دفع الجزية وانه بتقاد لجميع اوامره بشرط ان يبقية في ولايتو وان يكون من حملة عمالو فاجابه السلطان الى ذلك بعد ان اخذ اولاده الاربعة رهينة عنده فاخלט ثلاثة منهم بمالك السلطان حتى صاروا لا يمتازون عنهم في العوائد والملابس واما الرابع وهو اصغرهم المسمى جورج فارتقى في باب السلطان الى درجة سامية بسبب ذكائه وثجاعته ثم اسلم بعد ذلك ولقب باسكندر بك وصرف معظم ايامه في الحروب في خدمة الدولة العثمانية ولكنه ندم اخيرا على ما فرط منه في محاربة الطوائف المسيحية فارتد الى مذهبه الاصلي ومن ذلك الوقت صار من اكبر الازداد والمقاومين للدولة العثمانية فهيج اهالي البلاد وحرضهم على محاربتها . وكان السلطان مراد قد ركب على قسطنطين امير المورة وباقي الاقاليم المجاورة تلك البلاد فاخضعهم ورتب عليهم الخراج وجرت على اثار ذلك حروب كثيرة بينه وبين الارناؤط والمجر الى ان توفي بداء النقطه

(١) ان لفظة انكشارية مستعملة بحسب الدارج ولكن لا معنى لها والكلمة الاصلية هي بكجري ومعناها عسكر جديد

ادافع عنها بكل طاقتي وجهدي الى اخر نسمة من حياتي
 فلم يلتفت السلطان محمد الى ذلك المقال بل استمر على ما كان عليه من
 الاستعداد واخذ الامة للحرب في تجهيز العساكر والاستعدادات بخلاف
 الامبراطور قسطنطين فانه كان يطلب المعونة والامداد من الدول الافرنجية
 ويعدم كاسلافه بضم الكنيسة الرومية الشرقية الى الكنيسة الرومانية الغربية.
 فسر البابا هذا الخبر لانه كان يمتناه وارسل له نجدة من عساكر ملوك الافرنج
 فلم يجد ذلك نفعا اذ لم يكن للروم اهتمام بهذه الحرب وذلك لكراهيتهم ضم
 الكيستين معا ومن جرى ذلك وقعت البغضة في قلوبهم للكلهم قسطنطين
 وتخلوا عنه وكانوا يزعمون ان الله سوف يخذلهم ويسمح بخراب المدينة وسقوط
 الامبراطورية ودمارها لسبب مشروعه في ضم الكيستين الى كنيسة واحدة وان
 المدافعة والمحاماة في هذا الامر ليستا بمحموديتين وقد وافقهم على هذه الافكار
 احد وزراء الدولة العظام وهو الدوك نوتاراس فانه قال باعلى صوته احب
 الي ان ارى في القسطنطينية ناج السلطان محمد من ان ارى فيها اكليل البابا
 وهكذا زاد فتور همتهم وتغلى اكثرهم عن حامية المدينة حتى لم يبق بينهم من يدافع
 ويحامي عنها الا نحو عشرة الاف رجل ما بين روم ولا تينيي انحصر فيهم
 رجاء العاصمة

هذا وبينما كانت هذه الامور تجري في القسطنطينية واذا بالسلطان محمد
 الفاتح اقبل عليهم بجيش جرار يبلغ ٢٦٠ الفا في شهر نيسان من سنة ١٤٥٣
 وكان مصحوبا بعارة بحرية مؤلفة من ٢٠٠ سفينة فترل بجيشه حول المدينة
 وحصرها من كل الجهات وبعث الى الامبراطور قسطنطين يطلب اليه ان
 يسلم المدينة تحت شروط ثقيلة مذلة فاي وصم على الجهاد الى النهاية . فشدد
 السلطان الحصار وعين اليوم ٢٩ من شهر ايار للهجوم على المدينة وفي عشية
 ذلك اليوم جمع الامبراطور قسطنطين اعيان الامراء والقواد ومن يلوذ به من
 اكابر الروم الذين علمهم الاعتماد واخذ يحرضهم على القتال والثبات لعلم

يفوزون وبعد خطاب مستطيل اخذوا بالبكاء والويل وعانق بعضهم بعضاً بقصد الوداع ثم قصدوا الاسوار وتحصنوا فيها ولما كان ذلك اليوم المهلول هجمت عساكر آل عثمان على الاسوار وكان قسطنطين قائماً في وسط المعركة قائداً للجيش يشجعهم ويقاقل كاجد الجنود فاستمر على ذلك مدة طويلة ولما ايس من الظفر وايقن بالهلاك تجرد من اسلحه الذهبية والتي نفسه بين صفوف الاعداء فقتلوه ولم يعرفوه وبموتهم انتهى القتال. فدخلت جيوش الاتراك المدينة ونهبوها واسروا اهلها واحرقوا بعض ابنيها ومكاتبها

ولما عزم السلطان محمد الفاتح على ان يجعل القسطنطينية مقر سلطنته رخص لكل من اراد الرجوع اليها من الروم ان يبني على دينه رغبة في عارها لكن لما كان ذلك غير كاف لزميها وتحسينها امر بجمع نحو عشرة الاف عائلة من ولايات مختلفة ليأتوا اليها ويسكنوها وولى على الارام بطريركاً واعطاه عصا البطريركية وخاتمها حسبما جرت به عادة القياصرة في الازمنة السالفة وقسم باقي المدينة من كنائس ومعابد بين النصارى والمسلمين وجعل لكل من الفريقين حدوداً لا يتعداها الاخر واستمر الحال على ذلك سنين سنة حتى قام السلطان سليم الاول فنسخها وابطلها

وكان السلطان محمد بعد استفتاح القسطنطينية بثلاث سنين قد وجه همة الى افتتاح جزيرة رودس فتهدد اهلها وطلب منهم الخراج فاجابه رئيسهم يوحنا دولسنيك ان فرسان هذه الجزيرة لم يملكوها الا بشجاعتهم واعانة الله تعالى لا بعناية احد من الملوك وها انا مستعد للدفاع عنها الى النهاية الا انه عرض للسلطان ما شغله عن محاربتها وذلك ان البابا كالكستوس الثالث اخذ يحث ملوك الطوائف المسيحية ويحرضهم على محاربة الدولة العثمانية. فلما بلغ السلطان محمداً هذا الخبر نهض بئة وخمسين الف مقاتل وحاصر مدينة بلغراد سنة ١٤٥٦ وضيق عليها براً وبحراً حتى كاد يفتقها. فاخذت احدى رهبان القديس فرنسيس غيرة شديدة وصار يحث المسيحيين ويحرضهم على المداخلة

عن تلك المدينة فاستمال نحو اربعين الفا من العساكر النمساوية وقادهم
بنفسه الى يوحنا هونيادس قائد جيش المجر فاضرباً بالسنن العثمانية بواسطة
هذه النجدة وفقد أكثرها . واستمر السلطان محمد نحو اربعين يوماً وهو يكرر
الهجمات على المدينة المذكورة بلا فائدة ثم ارتحل عنها بعد ان قتل من جيشه
عدد عظيم . وإما هونيادس المذكور فخرج جرحاً بليغاً مات به . وكان
هذا السلطان بعد هذه الغزوة قد زحف على ولاية اثينا سنة ١٤٥٦ للميلاد
فتفتحها سنة ١٤٥٨ فتح اقليم السرب الذي كان قد رده السلطان مراد
الثاني الى امراء هذا الاقليم سنة ١٤٤٤

وفي اثناء ذلك وقع الخصام والنزاع بين الملك توما والملك ديمتريوس
باليلوغوس وهو اخو امبراطور الروم لجهة ملكة المورة التي كانت تحت
حكمها وكانا يدفعان الخراج عنها للسلطان فخارب توما شريكه ديمتريوس
وهزمه فطلب ديمتريوس المساعدة من السلطان على خصمه توما وزوجه ابنته
ليستلمه اليه فلبى دعوته وانجده على توما المذكور فولى هارباً من تلك البلاد
اما السلطان فحمله الطمع بعد ذلك على استخلاص الملكة من ايدي ديمتريوس
فنهأ الى بعض الاديرة واستولى على المورة ما عدا بعض حصون كان توما
قد سلمها قبل فرارهم للبابا واهالي البندقية

وسنة ١٤٦١ استولت اللقوة على طرابزون وهي الملكة الوحيدة التي
كانت باقية من اثار السلطنة الشرقية وفتحت ولاية سينوب واتي بصاحبها
داود كوموين اسيراً الى القسطنطينية فقتله السلطان محمد حيث اتهمه بمراسلات
خفية مع ملك الهيم وكان ذا ثمانية اولاد فامر بقتلهم ايضاً . وسنة ١٤٦٢ تملك
على اقليم بوسنيا وشن الغارة على ولايات الفلاخ والبغدان والصقالبة . وسنة
١٤٧٠ فتح جزيرة اغربوز من اعمال البندقية بعد ان اوقع باهلها وقتل اكثرهم .
ثم استولى على بلاد الارناوط باسرها . وسنة ١٤٨٠ صم على اقتناح جزيرة
رودس فارسل لها عمارة بحرية مشحونة بمئة الف مقاتل تحت قيادة ميشطس

باشا الذي هو من العائلة الباليولوجية الامبراطورية وكان قد اعتنق الديانة
الاسلامية بعد فتح السلطان محمد الثاني مدينة القسطنطينية فحاصر الجزيرة
المذكورة ثلاثة اشهر بدون نتيجة ثم ارتحل عنها . وكان هذا السلطان العظيم
لا تكل منه ولا تقدر عن الفتوحات وشن الغارات فجهز سنة ١٤٨١ جيشين
عظيمين احدهما لمحاربة جزيرة قبرص تحت قيادة احد وزرائه وقاد الثاني
بنفسه لقتال العجم وبينما هو في اثناء الطريق ادركته الوفاة فات بمدينة ازنيكيد
في تلك السنة بنفسها وكانت مدة ملكه احدى وثلاثين سنة

وقد أعقب ولدته بايزيد وجم فقام بالسلطنة بعده البكر منها وهو
بايزيد الثاني سنة ١٤٨١ . وكان شاعراً اديباً محباً ومواظباً للدرس وكان قد
اغار على الديار المصرية لاستخلاصها من ايدي المالك الحركسية ولكنه بعد
حرب شديدة وقعت بينه وبين قايتباي سلطان مصر عند جبل امان في
قرمان قفل راجعاً الى بلاده بدون فائدة . ثم قصد بلاد اوروبا سنة ١٤٨٦
واستولى على جانب من بلاد البغدان وغيرها من اقاليم تلك الاطراف . وسنة
١٤٩٧ زحف على بلاد بولونيا فوقع بها واستولى على جانب عظيم منها . ولم
تخل السلطنة في ايامه من المشاجرات والفتن الداخلية وذلك لانه كان له
خمسة اولاد خرج اثنان منها عن طاعته واقتلوا راحته وراحة البلاد فالتزم الى
قتلها . وكان ولي عهده الامير احمد فاتر الهمة ضعيف الراي يحب الانفراد
والوحدة فلذا كانت الانكشارية تكرهه وتميل الى اخيه الامير سليم فعاهدوه
بالمالك ودعوه الى السلطنة فاجتاز بوغاز القسطنطينية سنة ١٥١١ مسجياً
بعشرين الف مقاتل لاستخلاص الملكة من يد ابيه فحاربة ابوه وهزمه ولما خابت
مساعيه قصد بلاد القرم فاقام بها برهة ثم قصد القسطنطينية ثانياً بمجموع
وافرة وجرى بينه وبين ابيه عدة وقائع ولما اشتد الحال على السلطان بايزيد
خلع نفسه عن السلطنة وعهد بها اليه وطلب منه ان ياذن له في الذهاب الى
مدينة ادرنة ليقم بها باقي ايامه

فلما قبض السلطان سليم الاول على زمام الملك سنة ١٥١٢ امر بقتل اخويه الباقيين وكان لاختيه احمد ولدان فالتجها احدهما الى بلاد العجم والاخره الى سلطان مصر فطلبها عمها من ملكي تلك البلاد فايها تسليهما فكان ذلك داعياً لافتتاح باب الحرب فجهز السلطان سليم الاول عند ذلك لحرب العجم وزحف اليهم سنة ١٥١٤ بجيش جرار فالتقى الفريقان تحت اسوار مدينة طوروس فاقتل قتلاً شديداً ودامت المعركة ساعات طويلة وكانت الدائرة فيها على الاعجام فولوا الادبار واركبوا الى الفرار بعد ان قُتل منهم عددٌ عظيمٌ وقتل من آل عثمان اربعون الفا حتى عدوا ذلك اليوم الذي انتصروا فيه من الايام المشؤمة ثم ارتدوا على الاعقاب وكان السلطان سليم قد صم على ان يشن الغارة على بلاد العجم ثانياً فتمتعة الانكشارية عن ذلك

وسنة ١٥١٦ اغار السلطان سليم على ممالك مصر بجيش عدده ١٥٠ الف مقاتل فخرج الغوري سلطان مصر لمحاربتو فالتقى به في مهل مدينة حلب واشتبك بينها القتال فانهمز الغوري واستولى السلطان سليم على حلب ودمشق سنة ١٥١٧. ثم حدثت معركة ثانية بالقرب من مدينة غزة انهزمت فيها جيوش المماليك ثم تجمعوا على بعد ستة اميال من القاهرة تحت قيادة سلطانهم طومان باي الذي تولى بعد الغوري الذي مات باثناء معركة حلب فوافاهم السلطان سليم الى هناك وقاتلهم وفرق جوعهم وقبض على طومان باي المذكور وشنته واستولى على الديار المصرية وبعد ما اصلى حالها اقام بها نائباً ورجع الى القسطنطينية واخذ في تكثير المهمات والاستعداد لحروب وغزوات جديدة وفي اثناء ذلك ادركته الوفاة وكانت مدة ملكه نحو ثمان سنين

الباب الرابع

في الكلام علي حكم سليمان الاول وفتح جزيرة رودس وما حدث
بعد ذلك من سنة ١٥٢٠ الى وفاة محمد الثالث

سنة ١٦٠٢

انه في نفس السنة التي مسح فيها شارلكان (وهو كارلوس الخامس)
امبراطوراً جلس السلطان سليمان علي كرسي السلطنة سنة ١٥٢٠ والافرنج
يسمونه سليمان الثاني حاسين سليمان ابن السلطان بايزيد الاول سليمان الاول.
وبما ان هذا السلطان من اشهر سلاطين آل عثمان نظراً لتواجده وعلو همته
وطول مدة حكمه راينا ان تتوسع قليلاً في اخباره فنقول انه كان سلطاناً رفيع
القدر موصوفاً بالحكمة والحزم وقد انشأ قوانين جديدة بها ضبط سلطته
واحسن سياستها وقسم مملكته الى عدة ولايات واقام في كل ايلة فرقة من
العساكر للمحافظة ورتب مع غاية الانتان جميع ما يلزم لضبط العساكر ونظم
ايضاً منوالاً جديداً لدخل الدولة وخرجها واقام فيها حملة ابنية فاخرة فازدادت
شوكة الدولة في ايامه وتحسنت احوالها جداً

ولم يكن السلطان سليمان دون الملكين العظيمين معاصريه في العظمة
والبطش فانه كان بارعاً كشارلكان في السياسة والمعرفة ومعادلاً لفرنسيس
الاول ملك فرنسا في القوة والشجاعة. ولما صفاه الوقت وراق وكانت فرنسا
واسبانيا والمانيا واطاليا جميعاً مضطربة بالمنازعات من حيثية ولاية ميلان
وظهور لوثيروس وغير ذلك من الخصومات والانشقاقات اغتم السلطان
سليمان فرصة هذه الامور وزحف بعسكر جرار سنة ١٥٢١ على بلاد المجر واقام
الحصار على مدينة بلفراد وكانت من اعظم ثغورهم الحصينة فاستولى عليها ومع

ان هذه النصرة فتحته له الباب للتقدم في اوروبا اثنتي راجعاً وصم على افتتاح جزيرة رودس فارسل اليها ٢٠٠ الف مقاتل مع عمارة بحرية مؤلفة من ٤٠٠ سفينة تحت قيادة صهره ويرري باشا. فاقاموا عليها الحصار ولم يكن فيها يومئذ من العساكر الا ستة الاف وست مئة من الفرسان وجاق شغاليرية ماري يوحنا المدعويين انصار بيت المقدس وكان قائدهم اذ ذاك يسمى شغاليردي ليل آدم وكان من شجعان ابناء زمانه موصوفاً بالذكاء والحزم فعظم عليه الامر وارسل من يومه يستعين بالامبراطور شركان وفرنسيس الاول السالف ذكرها ويطلب اليها المساعدة والامداد فلم يجيباه الى هذا الطلب بسبب المنازعة الواقعة بينهما. وكان البابا ادریان السادس قد حثهما على المدافعة والمحاماة عن تلك الجزيرة فلم يلتفتا الى كلامه. فاستمر الحصار عليها نحو ستة اشهر واظهر رئيسها ليل آدم المذكور في اثناء هذه المحاصرة من البسالة والثبات ما لا مزيد عليه حتي كلفت همه الانكشارية وبينما كانوا قد عولوا على الانسحاب اتاهم السلطان سليمان بنفسه وشد الحصار وانقض عزائم الجيش بالوعد والوعيد وضايق المحاصرين من كل جهة غير مبالٍ بخسران الرجال فاضطر اخيراً رئيس تلك الجزيرة ان يسلم بعد ان امست الجزيرة خراباً فعجب السلطان سليمان من شجاعة هذا الرجل وثباته فاخرمه ومدحه على شهامته وسلأه على مصيبتهم واجابه الى الشروط التي كان قد عرضها عليه وهي ان تبني الكنائس على جبالها وان يكون للنصارى الصيانة والحرية في دينهم وان لا يتكلفوا الى دفع شيء مدة خمس سنين ثم انسحب ليل آدم من الجزيرة وتبعه ٤٠٠٠ من اهل رودس فاعطاهم البابا مدينة وتيرة فاقاموا فيها الى ان نقلهم الامبراطور شركان سنة ١٥٣٠ الى جزيرة مالطة فنسبوا اليها وصارت من ذلك العهد دار اقامتهم الى ان استخلصها منهم بونابارت وهو آت الى مصر سنة ١٧٩٨ وبعد ما فرغ السلطان سليمان من هذه الحرب رجع الى القسطنطينية سنة ١٥٣٧ وجهز جيشاً يبلغ عدده ٢٠٠ الف مقاتل وزحف به على بلاد الجر

فالتقاء ملكها لويس الثاني بثلاثين ألف مقاتل فقط ولعدم معرفته بإدارة
الحروب قلد بولس طوموري احد اساقفة بلاد قيامة قيادة الجيش وسار معه
لمصادمة الاتراك فالتقيا بهم بازاء مدينة موهاكر واشتبك القتال بين الفريقين
فكانت واقعة عظيمة قُتل فيها الملك لويس وهلك أكثر من عشرين ألفاً من
جنوده وانهمزم الباقون واستولى السلطان سليمان على الحصون والقلاع الواقعة
على الجهة الجنوبية من تلك المملكة ثم قفل راجعاً الى القسطنطينية مخوفاً بالظفر
والغنائم. وبعد موت الملك لويس المذكور وقع النزاع بين قائد جيوشه المسي
يوحنا زابولي وبين الارشودوك فرديند ملك بوهيميا من جهة ولاية مملكة المجر
فتحارب السلطان سليمان الى زابولي وانجده على بلوغ مرامه وضرب عليه مائة
معلوماً يدفعه في كل سنة للدولة العثمانية واعانة على استخلاص عدة مدائن من
فرديند

وسنة ١٥٢٩ خرج السلطان سليمان من القسطنطينية بمئة وعشرين ألف
مقاتل واربع مئة مدفع لحرب النمسا وعند وصوله الى مدينة فينا عاصمة المملكة
نصب خيامه بالقرب منها واقام عليها الحصار ولم يكن عند النمساويين سوى
عشرين ألف مقاتل واثنين وسبعين مدفعاً فقاتلوا اشد قتالاً حتى كان في
يأس. فجمدت قوة الانكشارية بعد هجمات متعددة ولما رأى السلطان ذلك
تحول عن المدينة. وسنة ١٥٣٢ خرج السلطان بمائتي ألف مقاتل لمحاربة
بلاد السرب فافتح في طريقه اربع عشرة قلعة واستولى على اكثر حدود
بلاد النمسا ثم رجع الى القسطنطينية. وسنة ١٥٣٣ عقد صلحاً بين ملوك اوربا
ثم وجهه عساكره لمحاربة العجم وافتتاح مدينة بغداد تحت قيادة ابراهيم باشا
الصدر الاعظم فافتح تبريز وبغداد. وسنة ١٥٣٤ اخرج السلطان بنفسه بالعساكر
تابعاً اثر الصدر الاعظم حتى انتهى الى تبريز ومنها سار الى بغداد ثم اثنى
راجعاً الى القسطنطينية وهناك وشواله على وزيره ابراهيم باشا المذكور فامر
بقتله. وانعم على خير الدين باشا المشهور عند الافرنج باسم بربروس اي ذي

الحجة الحمراء برئاسة العارة الجهرية وارسلة لافتتاح ولاية تونس فافتتحها بعد حصار شديد غير ان هذا الفتح لم يطل امره الا زماناً يسيراً لان الملاحسن صاحب تونس كان قد التجأ الى الامبراطور شركان واستعان به على استخلاص بلاده فاجابه الى ذلك وارسل جيشاً الى تونس وضربها واسترجعها له ثم خرجت من يده ايضاً وقد ذكر ذلك باكثر بيان في تاريخ الغرب فراجعه هناك . وسنة ١٥٢٨ دخلت العارة الجهرية تحت قيادة بربروس المذكور في الارخبيل الرومي واستولت على عدة جزائر لجمهورية البنادقة بعد ان شتمت عارنهم . ثم في نحو الوقت ذاته بعث السلطان سليمان فرقة من الجنود الى شواطئ بلاد العرب لمنع فتوحات البرتغال فاستولت على اراضي عدن وبعض اليمن وفي اثناء ذلك حدث مصيبتان عظيمتان في القسطنطينية شغلنا بال السلطان جداً وهما مرض الطاعون وحريقه كلية احرقت نحو نصف القسطنطينية فتعطلت اشغال الحرية لاهتمامه في جبر النكبات التي تجت عنها

ومع ما كان عليه السلطان سليمان من علو الهمة والاصواف الحميدة فرط منه امر مذموم في التاريخ وهو اغتصابه تاج ملكة الجرج بطريقة غير مناسبة من ابن يوحنا زابولي . وبيان ذلك ان فرديند ملك بوهيميا كان قد صم على استرجاع ولايته من زابولي ملك الجرج واستعد لمحاربته فخاف زابولي من عواقب هذا الامر ووقع في حيرة اذ رأى نفسه مضطراً الى الاستعانة بالسلطان سليمان فانفق سراً مع خصم فرديند على انه يكفيه شره وان يستولي على الملكة بعد موته وكان قصده بذلك ان يرجع نفسه من الفلاقل والحروب المهلكة لانه كان شيخاً مسناً ولم يكن له ولد فاجابه فرديند الى ذلك ولكن لما بلغ اعيان ملكة الجرج هذا الخبر ساءم جداً واجمعوا على منع وقوع ملكهم تحت يد ملك غريب وحملوا ملكهم زابولي على التزوج بالاميرة ايزابله بنت ملك بولونيا فأعقب منها ولداً وجعله ولي عهد ولم يلتفت الى الاتفاق الواقع بينه وبين

الملك فرديند ثم مات بعد ان اناط بكفالة ابنه ونيابة الملكة زوجته واسقف
قارادين . فغضب فرديند من هذه الحادثة وارسل يطلب من الملكة ايزابله
تسليم الملكة وعرض عليها اقليم ترانسلفانيا وهو الاردل لتمكث به هي وابنها
فرفضت هذا الطلب فازداد غيظه وارسل عسكرياً لحربها واستخلاص الملكة
ولمارات ايزابله انها غير قادرة على مقاومتها ارسلت رسولا الى السلطان سليمان
تلتبس منه المساعدة والامداد على عدوها فاجاب طلبها وبعث جيشاً الى بلاد
الجر ثم صار هو بنفسه في جيش اخر وعند وصوله الى هناك كانت الفرقة الاولى
قد فتكت في الاعداء واتصرت عليهم . فاغتر السلطان سليمان باستخلاص
الملكة لنفسه واستسلم الامر اذ كانت بيد طفل تحت وصاية امراء واسقف
فدعا ذات يوم الملكة ايزابله مع ابنها القاصر وسائر اشرف الملكة لوليمة اعدها
لم في معسكره وعند حضورهم اليه هجمت فرقة من جنوده على مدينة بودين
تحت الملكة واستولوا عليها بدون معارض ثم قبض على الطفل وامو وافرز لها
اقليم الاردل وبعض المقاطعات واستولى هو على باقي بلاد الجر وولى وزيراً
من طرفه على تلك البلاد .

وسنة ١٥٤٥ عند مع فرديند هدنة اجلها خمس سنوات بشرط ان هذا الامير
يدفع له جزية سنوية قدرها ثلاثون الف دوقه . وسنة ١٥٤٧ زحف هذا
السلطان الى بلاد العجم واستولى على بلاد شروان وباقي بلاد كردستان بعد ان
دامت الحرب سنتين . وسنة ١٥٦٥ ارسل عمارة بحرية لاقتياح جزيرة مالطة
تحت قيادة مصطفى باشا وبعد حصار شديد وهجمات متعددة ارتد هذا الوزير
راجماً من غير طائل بعد ان فقد من جيشه نحو عشرين الفا . ومات السلطان
سليمان في اثنا حروبه مع الجر سنة ١٥٦٦ وله من العمر ٧٦ سنة . وكانت مدة
سلطته ٤٦ سنة فخرن عليه الناس حزناً شديداً ورثاه الشعراء بكل لسان فمن
ذلك مرثية المفتي ابي السعود التي يقول في مطلعها
أصوت صاعقة ام فحة الصورِ فالارض قد ملئت من نقرناقورِ

ومنها

ام ذاك نبي سليمان الزمان ومن قضت اوامره في كل مامور
 ومن ملأ الدنيا مهابة ونخرت كل جبار ونمور
 وبالحيلة نقول ان السلطان سليمان كان سلطاناً عظيماً لم يقم بين سلاطين
 آل عثمان اعظم منه حتى ان جميع اهل الارض كانت ترعد فرائضهم عند استماع
 اسمه وكان مع ذلك قد وقع منه خطأ كانت نتائجه غير حسنة على الدولة
 العثمانية لانه منذ تاسيسها كان الامراء الذين هم من فخذ السلطان يقودون
 العساكر ويحكمون الاقاليم التي كانت اقطاعاتهم فامر السلطان سليمان بابطال
 هذه العادة فاتي ذلك الدولة فيما بعد بالضعف والخسرات فان اولاد
 السلاطين اذ اخذوا ينشأون في ظل التصور والرفاهية بعيدين عن حركات
 الجيوش ودمدمة اصوات المدافع وقرقعة السلاح زالت عنهم عوائد اسلافهم
 الحربية وبعد ان كانت دولة آل عثمان موصلة على الفتوحات اخذت في
 الانحطاط والتهفري

وقام باعباء السلطنة بعد السلطان سليمان ولده السلطان سليم الثاني سنة
 ١٥٦٦ ولم يكن كايه بل كان محباً للذات والملاهي . وفي ايامه استخلصت بعض
 مدن بلاد اليمن وجزيرة قبرص وغيرها من الولايات . وكانت مشيخة البندقية
 قد اتحدت مع البابا وملك اسبانيا على حرب الدولة العثمانية وبعد عدة وقائع
 بحرية مهولة انتصرت العساكر الافرنجية انتصاراً عظيماً فكانت عبد الافرنج
 افراح عظيمة وصنعوا تذكارات لتلك الغلبة عيداً يعيدونه في اليوم السابع
 والعشرين من شهر تشرين الاول ولما بلغ السلطان ذلك انخير امر تجهيز
 عمارة لمحاربة القوم وفي غضون ذلك ارسلت مشيخة البندقية تعتذر اليه وتطلب
 منه الصلح على وجه آتلى الى شرف السلطنة فاجابها الى ذلك ولوقف الحرب
 ثم مات بعد ذلك وكانت مدة ملكه ثمان سنين . اما الفتوحات التي تمت في
 ايامه فكانت بتدبير كبير وزرائه الذي كان متخلقاً باخلاق السلطان سليمان

وبعد موت السلطان سليم دخل ولده الأمير مراد الثالث القسطنطينية وقام مكان أبيه سنة ١٥٧٤ وليس لهذا السلطان من المناقب التي تستحق الذكر كاسلافه وكانت مدة ولايته ٢١ سنة ولم يجر فيها سوى بعض حروب مع العجم ويقال انه كان مغرمًا بمطالعة التاريخ والشعر وكانت وفاته سنة ١٥٩٥

وصعد بعد موته على سرير السلطنة ولده السلطان محمد الثالث وكان له ١٩ أخًا فلما نبأ السلطنة امر بقتلهم جميعًا وكان لابيهم عشر نساء حبالي فامر باغراضهن في البحر . وفي تلك الاثناء حدث في القسطنطينية مجاعة فامر بطرد الروم منها . وفي غضون ذلك خرج الأمير ميخائيل صاحب الفلاخ عن طاعة الدولة العثمانية واجتمع معه ملك النمسا وبلاد الاردل فبعث السلطان محمد بجيش تحت قيادة فرهاد باشا الصدر الاعظم فكسره الافرنج كسرة هائلة وفقد من جيشه خلق كثير فقتل السلطان فرهاد باشا وولى مكانه سنان باشا وكان شيخًا مسنًا وبعث به لخاربة المتحزبين فجاهد سنان باشا بما عنده فلم يخرج بل كسره القوم كسرة هائلة عند نهر الدانوب وقتلوا من جيشه خلقًا كثيرًا فارسل له السلطان نجدة اخرى فصادفت ما صادفت الجيشان السابقان فعزل السلطان اذ ذاك سنان باشا ونفاه ثم بعد قليل امر برجوعه من النفي واعاده الى الصدارة فاشار على السلطان ان يخرج بنفسه للحرب فخرج السلطان من القسطنطينية سنة ١٥٩٦ بجيش غفير قاصدًا بلاد البحر وحاصر مدينة ارلي ففتحها وكان ملك البحر قد بعث الى ملك النمسا وحكومة الاردل وصاحب الفلاخ والبقدان يطلب منهم المساعدة والامداد فانضموا اليه بجيوش كثيرة وبينما كان السلطان محمد قاصدًا بعسكره قلعة ثانية دهمها المتحالفون بجيوشهم واحاطوا به من كل جانب وشبت بينهم نيران الحرب ودامت النهار بطولها الى ان دخل الليل فانفصلوا واصبحوا اليوم الثاني متحارزين ايضًا فامتصر جيش الافرنج وهجموا على خيام السلطان ونهبوها بعد ان كان انتقل الى خيمة الوزير

ابن جفال في الجانب الآخر. ولما رأى هذا الوزير ما حل بجيش المسلمين من
 الفشل نهض واخذ يشجع العساكر وهم ٢٠٠ وخرق صفوف الأعداء وأعمل فيهم
 السيف فانكسرت جموع الأفرنج كسرة هائلة وفقد منهم خلق كثير ثم عاد
 السلطان إلى القسطنطينية. سنة ١٦٠٢ ورد للسلطان من محافظ فنجوان كتاب
 ماله أن شاه العجم نفذ عهود الصلح وأسر محافظ تبريز فجهز السلطان جيشاً
 كبيراً وأرسله تحت قيادة نصوح باشا وفي أثناء ذلك توفي وسياتي خبر هذه
 التجربة في الباب الآتي. وقد أحب السلطان محمد الثالث العلوم والصنائع
 ورغب في ترقية أسبابها ورواج سوقها وكان عادلاً مستقيماً غير أن الدولة
 ضعفت في أيامه نظراً لتمرّد العساكر وعدم انقيادها

الباب الخامس

في الكلام على حكم السلطان أحمد الأول وما وقع له ولخلفائه من
 المحوادث من سنة ١٦٠٢ إلى وفاة السلطان مصطفى الثاني

سنة ١٧٠٢ ب.م

أنه بعد وفاة محمد الثالث نبأ كرسي الخلافة ابنه السلطان أحمد الأول
 ولم يكن له من العمر سوى ١٥ سنة. ولم يتسلط قبل ذلك في مثل هذا السن
 أحد من سلفائه. وكان له أخ يسمى مصطفى فلم يشأ أن يقتله كما جرت عادة
 بعض أسلافه. وبعد ارتقائه مسند الخلافة بيضة أشهر توفي وزيره الأول فلم
 يتم عوضاً عنه من الوزراء المقيمين بدار الخلافة بل بعث إلى مراد باشا
 بكربليك المنعم بمصر وكان شيخاً مسنناً ذا دراية وحذق وأمانة خارقة العادة
 فحضر واستلم زمام منصبه الرفيع وبعد أن استقر السلطان على كرسي الخلافة
 أخذ في انتمام ما كان قد شرع فيه والده من حرب الأعجام وأصدر الأوامر في

التجهيزات اللازمة وارسل جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا فاتصر على العجم في اول الامر ولكنه نواني اخيراً وعاد من غير طائل فغضب السلطان عليه ولزاد قتله ثم عفا عنه بواسطة ام الوزير . وكان قد ارسل تحت قيادة علي باشا جيشاً لمحاربة الجرفات في اثناء الطريق فعين مكانه محمد باشا المذكور . وكان السبب في فسخ هذه الحرب لا طائل تحته . ثم سعى مراد باشا بين السلطان والجر في الصلح على مدة عشرين سنة وتبركت الحرب بين الدولة والامبراطور رودولف سلطان المانيا تحت شرط ابطال دفع الغرامة التي كانت دولة النمسا تدفعها سنوياً للدولة وانه من ذلك اليوم فصاعداً تكون النصارى التي ترسل من السلطان الى الامبراطور المذكور حاوية على شعائر الوداد والاعتبار المتبادل ككتابة الاخ لاختيه وان يقام سفراء من الطرفين في عاصمة كل من الدولتين وجرى العادة على ذلك من ذلك اليوم ثم عقدت مثل هذه المعاهد مع دولة فرنسا وكان ذلك سنة ١٦٠٦ ب م

ثم سعى السلطان احمد في قطع دابر البغاة الذين عصوا على الدولة في ايام والده ايامه ايضاً منهم حسين باشا الذي كان والياً على الحبشة وقره سعيد وجان بولاد حاكم الاكراد والامير فخر الدين الذي كان حاكماً على جبل لبنان وغيرهم من الخوارج فبعث مراد باشا مع جيش عظيم فبدد شملهم وقبض على بعضهم وقتلهم واسترجع منهم ما كانوا استلموه من البلدان بطريق التعدي والطغيان . وفي بداية سنة ١٦١١ امر السلطان مراد باشا ان يفود الجيوش لمحاربة الاعجام فامتلأ امر سيده كرهاً واخذ نصوح باشا اول معاون حرب معه وكان مراد باشا لا يؤمل بعظيم فائدة من هذه الحرب ولذلك سار مسيراً بطيئاً فبعث نصوح باشا برسالة سرية الى السلطان احمد بها يقول له ان مراد باشا نظراً لشيوخه لم يعد يصلح لركوب الاخطار ومشقات الحروب وبها لمج للسلطان انه هو يكون اصلح لمثل ذلك اما السلطان فاذا كان يحب مراد باشا لاماته ونشاطه بعث اليه برسالة لطيفة العبارة وضمها رسالة نصوح باشا وفوض

اليوان يفعل به ما يشاء ولما وقف مراد على الرسالة المشار اليها استخضر نصوح باشا واطلعه عليها وعلى رسالة مولاهما فارتعدت فرائص نصوح باشا عند ذلك على ان مراد باشا عاملة معاملة الاب لولده وقال له انني قد طعنت في السن ولا عدت اصلح حسب زعمك لركوب الاخطار وما انني قد تنازلت لك عن منصبي الميماي والحربي معاً وولجته قيادة الجيش وكتب الى السلطان بذلك وانتسب الى بلاد ديار بكر حيث قضى باقي ايامه ومات هناك بعد هذه الحادثة بيضعة اشهر وله من العمر ٧٩ سنة. اما نصوح باشا فتقدم لمحاربة الانجم واستظهر عليهم وقهرهم واستولى على تبريز فزبر الشاه عباس والنجبا ببعض الجبال وارسل يطلب الصلح فاجابه نصوح باشا الى ذلك بعد ان اشروط عليه ان يصير ذكر اسم السلطان في خطبة جوامع بلاد العجم وان الدولة الفارسية تدفع مصاريف الحرب وتقوم بترجيع الخسارة التي احدثتها في بلاد السلطنة العثمانية. فعلى هذا الوجه تمت المصالحة وانسحبت العساكر الشاهانية من تلك البلاد غير انه في سنة ١٦١٦ نكث شاه العجم تلك العهود ولم يفر بالشروط ففتحت الحرب ثانية بين الدولتين واستولت الجيوش العثمانية على بعض القلاع بعد حصار شديد ثم تاخرت من كثرة الثلوج والبرد وهلك منهم جانب عظيم وبالحيلة كانت هذه التجريدة مشومة على الدولة

واعثنى السلطان احمد كثيراً بأمر الحرمين واصلح مآثر كثيرة بمكة والمدينة وارسل هدية لقبر النبي فصبين من الماس قيمتها على ما قيل ثمانين الف دينار فوضعها فوق الكوكب الدرّي وهو سمار من الفضة تجاه وجه النبي في الجدار. وكان لا يفتقر عن عمارة المساجد وفعل الخيرات ومن اثاره في القسطنطينية الجامع المعروف باسمه له ست منارات حسنة الوضع. ولما حضرته الوفاة وكان عمره ٢٠ سنة جمع اليه كبار دولته وشيوخها ووصى بالملك من بعده لاختيه مصطفى لان ولده عثمان كان قاصراً فاقام القوم بحق الوصية وبايعوا اخاه المذكور فكان قاصر العقل فاترا الهمة لا يصلح لان يهود زمام دولة عظيمة

الشان كدولة آل عثمان اذ كان قد تربى في ظلال القصور بين الترفه والنعيم فلما رأى اركان الدولة عدم اهليته وكفائته حجزوا عليه واقاموا مكانه ابن اخيه عثمان الثاني فكانت مدة خلافة مصطفى المذكور ثلاثة اشهر وبضعة ايام فاستبشر الناس عند ما نبأ كرسي الملك السلطان عثمان المذكور ولم يكن له من العمر اذ ذاك سوى ١٢ سنة لكنه كانت تلوح على وجهه علامات الفراسة والشجاعة وحسن الطالع . وكان الصدر الاعظم محمد باشا قد خرج بجيش جرار لمحاربة العجم في خلافة عمه مصطفى فرجع يطلب من ارباب الدولة عندما قصدوا خلع مصطفى وتولية عثمان وبعد ان استقر الحال للسلطان عثمان قاد الوزير المشار اليه الجيش ثانية سنة ١٦١٩ لمحاربة العجم ونجح في هذه التجربة كل النجاح واستخلص من الانجم كل الاملاك التي كانوا قد اخنلسوها . وكان السلطان عثمان يظن انه ما من امر يكسب المرء والدول فخراً سوى المحروب والمغازي . وقد فتحت له التفادير نافذة لانعام مرامه وذلك ان صاحب بلاد الاردل احب ان يوسع نطاق املاكه بافتكاك بعض الاقاليم من النمسا فعرض على السلطان عثمان افكاره من هذا القبيل وحسن له الامر واعداً اياه بنفخ بلاد اوستريا ودخوله منصوراً الى وسط فيينا فاغتر السلطان وقصد محاربة بولونيا اولاً تمهيداً لماريه فاصدر الاوامر تجهيز الجيوش والمهمات وقبل ان يخرج من القسطنطينية امر باحضار اخيه محمد اليه وخنه امامه لانه كان يخشى من ان يخنلس الملك مدة غيابه . وكان لما حضر الامير محمد بين يدي اخيه وعرف باطن الامر انه قال له بالله عليك يا اخي لا تدخل في دمي ولا تجعلني خصمك يوم القيامة وانا اقنع منك برغيف في كل يوم وشربة ماء فما كان الجواب الا الامر بخننه فخنن بين يديه فنار الدم من مخربه الى ان وصل الى عمامة السلطان ويقال ان اخر كلام قاله لاختيه سلط الله عليك من لا يرحمك ولا يخشاك فكان الامر كذلك

ثم خرج عثمان بثلاث مئة الف مقاتل واما البولونيون فلم يكن عندهم

سوى مئة ألف بقودهم اولاد يسلاس ابن ملك بولونيا فالتقى العسكران عند حدود الملكتين المتحاربتين وشبت بينهما نيران الحرب فقاتل البولونيون قتال الاسود وصدموا جيوش آل عثمان صدمات قوية فكسروهم كسرة مهولة ثم حدث بين الفريقين معركة اخرى فاز فيها البولونيون ايضا فاضطر السلطان عثمان الى عقد صلح غير مرض ثم قفل راجعا الى القسطنطينية سنة ١٦٦١. وفي تلك السنة جلد البحر الفاصل بين القسطنطينية واسكودار من شدة البرد وكان الناس يرون من اسكودار الى القسطنطينية فوق الجبل

وكان قد شاع ان السلطان عثمان عزم على السفر الى الشام بنية الحج وكان ايضا يرغب في تدمير وفاق الانكشارية لان تلك الزمرة كانت قد طغت ونجبرت واصبحت صاحبة الحل والعقد فهاجت العساكر ووقعت الفتنة من جراء ذلك واخرج المفتي فنوى ان السلاطين لا يتكفون للحج وبعثوا الى السلطان ببعض الشيوخ ليعلموه بالمركز العسر الذي بات فيه فلم يلتفت الى مقالهم بل طردهم منه دأباهم وقائلا بغيظ شديد اني سامعني هولاء المردة العتاة وادمر وجاقهم وذلك بعد ان اتهمكم انتم. فرجع هولاء واخبروا الانكشارية بما كان قهاجوا وماجوا وهجموا دفعة واحدة على صرح السلطان حيث كان قد التجأ اليه الصدر الاعظم وباقي المشيرين وطلبوا لمجاة ان يعطى لهم الصدر الاعظم وبعض المشيرين واذا لم يجب طلبهم اخذوا يطلقون المدافع على الثصر الملكي ويزيدون هيمانا فخرج الصدر الاعظم الى قدامهم املا ان يبرد غيظهم ولكن لما راوه خطفوه وامانوه حالا ثم طفقوا ينادون باسم مصطفى الاول الذي كانوا قد نزلوه وهجموا على بيت سجنه واخذوه ومضوا به الى الجامع وبايعوه. ولما درى السلطان عثمان بذلك خرج من قصره واثى الى مكان المباينة فلما راه الانكشارية صرخوا باعلى صوتهم ليتزل عثمان عن الملك وليسجن مكان عمو فضوا به الى السجن وبعد ايام قليلة خنقه الصدر الاعظم الجديد فاثى كما امات اخاه قبل ذلك باربع سنين. قال الشاعر

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها وما ظالمٌ إلا سبيلٌ باظلمَ
ولما بلغ العجم قتل عثمان وإعادة مصطفى للخلافة ثانيةً وضعوا أيديهم ثانيةً على
أكثر البلاد والأمالك التي فتحها السلطان سليم كبغداد والبصرة وغيرها وقام
نواب الدولة في الأناضول وسوريا ومصر وجاهاروا بالعصيان بحجة طلب ثار
السلطان عثمان فلما رأى أرباب الدولة والعساكر سوء عاقبة فعلهم المعلوم ندموا
على ما فعلوا وصمموا على خلع مصطفى ثانيةً ولما علم بذلك خلع نفسه بعد حكم
سنة وأربعة شهور فاعيد إلى سجنه سنة ١٦٢٢

فبايعوا بالخلافة مكانه السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد الأول
وكان عمره إذ ذاك ١٥ سنة ومع ذلك كان ذا عقل ثاقب تلوح عليه علامات
الشجاعة وقوة الجنان والقلب وحسن المستقبل وكانت الدولة يومئذٍ باحتياجٍ
عظيم إلى رجلٍ فيه اللياقة والكفاءة لإدارة مهامها إذ بانَّت في خطرٍ عظيمٍ من
سوء إدارة سلفيه وتورد الانكشارية والعصيان في الداخل وفي الخارج وكانت
الخزينة في عسر وضيق وكان ملك العجم قد انتهر فرصة هذه الارتباكات فعاد
ووضع يده على الأمالك التي كانت الدولة قد فتحها من بلاده وأخذ خانات
التتر أيضاً في نواحي القرم وأزوف يتعدون على حدود الدولة ويوقعون فيها
السلب والنهب وبالحيلة يقول أن السلطان مراد عندما نبأ مسند الخلافة
كان في مركزٍ صعب جداً لاسيما وهو صغير السن فاخذ يسعى في سد الاختلال
الواقع من كل الجهات فابتدأ أولاً في استئصال دابر العصاة الذين كانوا سبباً
لقتل أخيه عثمان وبردع تعدياتهم التتر وعصيان وكلاء الدولة في آسيا وأقام
حرباً شديدة مهولة مع دولة العجم سنة ١٦٢٤ كانت عاقبتها مشومة فأمر السلطان
بقتل قائد جيش هذه العجربة وفي أثناء سنة ١٦٢٥ عرضت دولة العجم الصلح
على الدولة فارتضت بذلك ولو على وجهٍ غير مرضٍ لها لكي تفرغ لشد باقي
الاختلالات. وسنة ١٦٢٧ مات الشاه عباس ملك العجم وتولى مكانه ولده الشاه
مرزا وكان حديث السن غير أهلٍ لمنصب مهم كهذا فاعتزم السلطان مراد

هذه الفرصة وبعث سنة ١٦٢٨ بجيش عظيم تحت قيادة الصدر الاعظم لحرب الاعجام واسترجاع الاملاك التي خسرتها الدولة فلم يجده ذلك نفعاً وخابت مساعي الوزير وتاخرت الاعلام العثمانية وفقد من جيشها خلق كثير ولما كان الوزير الاعظم قد طعن في السن ونعب من مشقات الحرب ولم يعد له استطاعة على تحملها صرف قصارى جهده في اقناع سيده بعقد الصلح مع الاعجام فقبل السلطان بذلك وعقدت شروطه ومآلها التسليم بكل الفتوحات التي افتتحتها دولة العجم. وكان الامير فخر الدين المعني حاكم جبل لبنان قد اظهر التمرد والعصاة على الدولة فارسل السلطان جيوشاً لمحاربته فقاومها اشد مقاومة واذا وجد ان لامناص له منها طلب الامان واتى بنفسه الى القسطنطينية يطلب العفو من السلطان فحصل عليه لانه كان رجلاً ماهياً وعلى جانب عظيم من الحذق والدرابة واخذ السلطان ولده ووضعته في المدرسة السلطانية في بورصة. ولكن بعد قليل انتقاد السلطان الى وسوس ارباب ديوانه فامر بختنق الامير فخر الدين سنة ١٦٢٢. وسنة ١٦٢٤ زحف السلطان لمحاربة العجم وبعد معارك ومحاصرات افتتح مدينة روان وارسل وفداً الى العاصمة ليجل خبر انتصاره

ولما عاد الى القسطنطينية وجد ان اعلامه كانت قد نكبت في اوربا وان خان التتر نهض بفرقة من الكوزاك واستولى على مدينة ازوف بالقرب من البحر الاسود. ثم عاد الاعجام واستولوا من جديد على مدينة روان التي فتحها فارسل السلطان الصدر الاعظم محمد باشا لمحاربته واسترجاع المدينة سنة ١٦٢٦ واخفى غيظة لجهة خان التتر واذا لم ينجح محمد باشا استدعاه السلطان الى العاصمة وختفه سنة ١٦٢٧ وسنة ١٦٢٨ ذهب بنفسه لمحاربة الاعجام بثلاث مئة الف مقاتل وحاصر مدينة بغداد اياماً طويلة وافتتحها عنوة بعد ان هلك نحو ٢٠ الفاً من جيش العجم ونحو ثلث جيشه وعاد الى القسطنطينية تاركا كبير وزرائه للخبايا بشأن الصلح. وسنة ١٦٢٩ قررت شروطه تحت ارجاع مدينة روان لدولة العجم وابقاء بغداد لدولة آل عثمان واقیم فيها وزير وقد أكثر

الناس من نظم الاشعار في فتحها فن ذلك قول بعضهم
 خليفة الله مراد غزا قلعة بغداد فارداها
 وعندما حاصرها جيشه اندك للأسفل اعلاها
 هذا ما جرى في ايام هذا السلطان من الفتوحات والحروب واما ما وقع
 من الحوادث فمنها تعطيل الفهوات ومنعه شرب التبغ والاقيون وقتله اصحاب
 المفسد من القواد والمجوش واصلاحه حال المالية حتى امست الدولة في ايامه
 في يسر وانتظام لا مزيد عليها هذا وبينما كانت الدولة في تقدم ونمو وزهو
 كانت صحة السلطان مراد تناخر يوماً فيوماً لافراطه بشرب الخمر ولم تطل
 ايامه حتى توفي في الاول من شهر اذار سنة ١٦٤٠ بعد ان ملك ١٧ سنة وله
 من العمر ٢١ سنة

ولم يبقَ يومئذٍ من سلالة آل عثمان سوى الامير ابراهيم اخي السلطان
 مراد فخلقه سنة ١٦٤٠ وله من العمر ٢٠ سنة على انه كان بون عظيم بينه وبين
 اخيه مراد فكان ضعيف الراي والعزم قلما يلتفت الى سياسة المملكة وكان عنده
 من السراري على ما قيل الف وخمس مئة وكان يقسم بينهم مداخل الولايات
 وكان زمام الدولة ونصيبها في يدي امه ومصطفى باشا كبير الوزراء فاخذ
 يسعى هذا الوزير في اشهار سلطنة سيده بفتوحات جديدة فارسل جيشاً لمحاربة
 خان التتر واسترجاع مدينة ازوف وبعد ان هلك خلق كثير استولت الدولة
 على المدينة المذكورة ١٦٤٢ وبعد ذلك بثلاث سنين استولت ايضاً على بعض
 جزيرة كريت ولكن لما كانت اجراءات هذا السلطان غير مرضية واعماله
 مكروهة نفر منه اركان ديوانه ثم اجتمع رايهم فخلعوه وفي ثالث يوم من خلعه
 خنقوه مع وزيره محمد باشا

وكان قد اعتقب ولدًا واحداً ولم يكن له اذ ذاك من العمر الا سبع سنين
 غير كاملة فبوع مكان ابيه تحت اسم محمد الرابع. وكانت الدولة يومئذٍ في
 ارتباك عظيم مزعزعة الاركان وحسادها واعداؤها كثيرين وكانت المالية من

جهة في عسر وضيق ومن جهة اخرى كانت المساكر غير متفاداة لاولياء امورها واصبح وكلاء الدولة في الولايات غير مباينين في تنفيذ اوامرهم فمن جرى هذه الاحوال نبغت الفتن وكثر الفساد وتقوى الضعفاء على الوزراء والاكابر فكان الوزير يتولى اياماً ثم يُعزل او يُنفي او يُقتل وهكذا من سنة ١٦٤٨ الى ١٦٥٧ كانت ايام دولته في تعكير . ومع ان السلطان محمد كان لم يزل صغير السن لم يفتد عن البحث هو وامه على رجل فيه اللياقة والاهلية لان يتبوا مسند الصدارة فعند اخيراً بما كان يمتناه باخذه كوبرلي محمد باشا وكان رجلاً مسناً حاذقاً ذا اخبار لان طول الايام كان قد علمه ما لم يعلمه غيره وحالما استلم عنان ماموريته شرع في سد الخلل الذي كان قد اوقع الدولة في الانحطاط وصرف قصارى جهده في استئصال عروق المضره وفي برهة قصيرة نظم مهام السلطنة وضبط الاحكام على احسن نظام وعادت الى سطوتها وروعتها الاولين واراد هذا الوزير ان يجعل حكم سيده ذا شهرة واعتبار فاخرجه من عالم ظلال القصور الى عالم الشهرة وجهاز جيشاً واثار على السلطان ان ياخذ قيادته ويذهب به الى دلماتيا لحاربة اهل البندقية . فذهب السلطان الى مدينة ادرنة ليستلم قيادة الجيش سنة ١٦٥٨ واقام محمد باشا بمنصبه في العاصمة . وبعد وصول السلطان ببضعة شهور الى ادرنة حدثت ثورة عظيمة في نواحي حلب والموصل بدسيسة ابراهيم باشا واليها وذلك ان رجلاً ادعى انه ابن مراد الرابع وسي نفسه بايزيد زاعماً انه نجا من القتل عندما أمر بقتله وعرضه جمهور غفير فبعث محمد باشا بجيش صغير لحاربة ذلك المدعي زوراً ولاطفاء نار الثورة فانكسر الجيش ولم يثبت فاضطر الى اعادة الجيش الذي ذهب به السلطان الى ادرنة وارسل كل قوة للدولة لاختماد نار العصاة فانهمزم المدعي المذكور وتمزق جمعه وتفرق ثم قبض عليه في الاسكندرية مع ابراهيم باشا الذي كان السبب في ذلك وقتلا وعادت الراحة الى الدولة وذلك سنة ١٦٦٠ . وكانت جمهورية البندقية والشجاع راكوتزكي صاحب ترانسلفانيا من اشد اخصام الدولة

تلك مجراً وهذا براً فاخذ محمد باشا يتاهب للخروج بالجيوش لمحاربة راکوتزكي المذكور فدمته الوفاة في مدينة ادرنة سنة ١٦٦١ وحزن السلطان حزناً لفقد فاقام مكانه ابنه احمد فاضل باشا وكان كايه في الذكاء والحذق فسلك مسلكه في تحسين امور الدولة ونجاحها ونجحت العساكر العثمانية في مبدا الامر في ترانسلفانيا والمجر وما جاورها من البلدان ولكن اخيراً انتصر عليهم القائد النمساوي العام موتيكوكولوي سنة ١٦٦٤ فاجعوا جميعاً على عقد الصلح وقبل الامبراطور ليوبولد ذلك بمزيد الفرح سنة ١٦٦٥

وكان السلطان محمد الرابع قد جعل دار اقامته من سنة ١٦٥٨ مدينة ادرنة كما كان قد اشار عليه وزيره السابق فتذمر اهل العاصمة من غيابه منها واطهروا عنم الرضا فانار عليه وزيره احمد بالرجوع اليها فعاد ولم يلبث الا اياماً قلائل حتى عاد الى مكانه بحجة طلب الصيد والقنص لانه امسى يخشى غدر المفسدين كما غرروا قبلاً بسلفائه. وسنة ١٦٦٨ ذهب احمد باشا الصدر الاعظم الى كريت لانجاز امر الحرب هناك واقتاج ما كان باقياً في ايدي مشيخة البندقية فارسلت المشيخة المذكورة تستعين بدول الفرنج فانجدهم الفرنسيون والبابا وسائر دول ايطاليا وفرنسا مالطة فلم يات كل ذلك بادنى فائدة بل فتح العثمانيون الجزيرة بعد حرب شديدة وبعد ان اقام الصدر الاعظم فيها المحافظين وبنى ما كان قد تهدم من حصونها وارجعها قتل راجعاً بياقي الجيش الى العاصمة سنة ١٦٧٠

وسنة ١٦٧٢ ففتحت الحرب ثانية في المانيا وبولونيا ودامت الى سنة ١٦٧٥ وكانت نارة لم وطوراً عليهم وفي السنة نفسها توفي الوزير احمد فاضل وله من العمر ٤٧ سنة بعد ان حكم ١٥ سنة الامر الذي لم يجر قبل ذلك العهد في الدولة العثمانية فحزن السلطان لفقد لانه كان من افضل الوزراء الذين قاموا في دولة آل عثمان الى ذلك العصر ولو طالبت بعد حيوة هذا الوزير لتحسن حال الدولة جداً فخلفه قره مصطفى باشا ولم يكن في السطوة دون سلفه على انه

كان بينه وبين ذاك بون عظيم في الخدق والدراية فوقع بينه وبين كوزاك اوكرينية نور افصى الى حمل السلاح فطلب هؤلاء الاعانة من دولة روسيا فلبت دعوتهم ووقعت الحرب سنة ١٦٧٨ ففاز الكوزاك والروسيون على آل عثمان ولما بلغ السلطان محمد ذلك خرج بنفسه الى ساحة القتال فلم يات ذلك بالمرغوب ولما رأى وزيره تلك الحال خامره الخوف والوجل وكان القيصر الروسي قد عرض عليه الصلح فقبل به حالاً

وبعد هذه الخسارة اخذ الصدر الاعظم في استعدادات كلية لمحاربة امبراطور المانيا ولما كانت سنة ١٦٨٣ خرج السلطان مع مصطفى باشا من القسطنطينية الى ادرنة ليحتمها هناك بالجيش ومن هناك قاد مصطفى باشا العساكر وتقدم دفعة واحدة واقام الحصار على مدينة فينا قبل ان يهد الطريق بفتح الحصون التي قبلها. ولما وصل هذا الخبر الى الامبراطور ليوبولد اضطرب كثيراً وارسل من يومه يسال البابا ان يطلب الى سويساكي ملك بولونيا ان يتقدم معه على عدوهم العام ولما رأى البابا اينوسانت الحادي عشر الخطر الذي كان محمداً باكثر الدول النصرانية من سطوة آل عثمان خمس سويساكي المذكور وغيره من امراء المانيا ان ينضموا بدءاً واحدة لدفع البلاء فاجاب الجميع استدعاء البابا واخذوا يجتمعون جميعاً للمدافعة. وكان الصدر الاعظم مصطفى باشا يشدد الحصار ويرمي المدينة بالقنابل والنار المهلكة وكان اهلها لا يعرفون النوم ولا الراحة فكانوا يصرفون النهار بالحرب والمدافعة وفي الليل يرمون ما قد تهدم من الاسوار فاستمر الحال على هذا المنوال الى اليوم الثاني عشر من شهر ايلول سنة ١٦٨٣ اذ اقبلت طلائع سويساكي وقد انضم اليه جماهير غفيرة من اقطار المانيا كبافاريا وسكسونيا وغيرها وهجموا دفعة واحدة على صفوف العساكر العثمانية واشتبك بينهم قتال مهول دام من الصباح الى المساء حتي تخضبت الارض بالدماء ونطقت كبد السماء من الدخان وقد فعل سويساكي وجموعه فعلاً نكل عنها صناديد الرجال وقاومت العساكر العثمانية

مقاومة الاسود ولكن اضطر اخيراً مصطفى باشا ان يطلب الفرار وتشتت جيشه في تلك البراري والوهاد بعد ان هلك منه خلق كثير. ولما عاد مصطفى باشا الى بلغراد اخذ الناس وقواد العساكر يذمرون عليه ويطلبون قتله اذ كان هو السبب في ذلك الانهزام فامر السلطان بقتله واقام مكانه قره ابراهيم باشا وسنة ١٦٨٤ اشهرت مشيخة البندقية ودولة النمسا الحرب على الدولة ودامت الحرب بينهم الى سنة ١٦٨٦ وكان النصر فيها دائماً للفرنح فتذكر ارباب الدولة جناً من ذلك. واذ كان السلطان محمد مغرمًا بالصيد صارفًا اكثر اوقاته فيه غير ملتفت الى صالح الدولة وتدير مهامه مقته الشعب والعساكر واجمعوا على عزله فاخرجوا قنوى وخلعوه عن الملك ووضعوه تحت الترسيم واقاموا مكانه اخاه السلطان سليمان الثاني سنة ١٦٨٧ فكان مبدا حكمه مشوشاً من داخل ومن خارج وكانت الاعلام العثمانية منكسة دائماً في البندقية والنمسا ولما رأى السلطان تلك الحال والاضطار المحدقة بالدولة بعث الى حكومتي النمسا والبندقية يطلب اليهما الصلح فلم يجيباه الى طلبه فاضطر الى دفع القوة بالقوة وعزم ان يقود الجيش بنفسه ولما وصل الى بلغراد خاف ان يتقدم اكثر من ذلك لجهله فن الحرب فولج قائداً خلافة سنة ١٦٨٩ فكسره الافرنح وشتتوا جيشه

وتولى الصدارة يومئذ مصطفى باشا كيويرلي المشهور وكان قد ورث من جده وابوه اجراءاتها الحربية والسياسية فاخذ قيادة الجيش وانتصر على النمسا سنة ١٦٩٠ وسنة ١٦٩١ واستخلص منها بلغراد وغير اماكن كانت قد ربحتها على الدولة قبل ذلك ومن جهة اخرى كانت الاعلام العثمانية فائزة ايضاً في البندقية وفي اثناء ذاك توفي السلطان سليمان بعد ان حكم ثلاث سنين وتسعة اشهر

وخلفه اخوه السلطان احمد الثاني سنة ١٦٩١ وفي نفس هذه السنة صار مصطفى باشا بالجيش للحرب مع النمسا فقتل في المعركة وانهزم الجيش وتشتت

بعد ان هلك منه ٢٨ ألفاً . وسنة ١٦٩٢ حدثت حريقه هائلة في القسطنطينية
احترقت ربع المدينة . وسنة ١٦٩٢ ارسلت الدولة جيشاً لمحاربة النمسا فلما بلغ
ذلك قائد جيش النمسا رفع الحصار عن مدينة بلغراد ورجع عنها على انه لم
يُعتد صلح بينهما وبقي جيش الدولة محافظاً هناك وفي السنة التي بعدها مرض
السلطان ومات وكانت مدة سلطته اربع سنين

وتخلف مكانه السلطان مصطفى الثاني بن السلطان محمد الرابع سنة ١٦٩٥
وكان محباً للعلوم والمعارف وعلى جانب عظيم من الرقة والحدق وكان اول امر
باشرة في نفس تلك السنة افتتاحه جزيرة ساقيس من البندقية وبعد هذه الغلبة
سار بجيشه قليل لمحاربة النمسا على انه لم يجز ادنى ثمرة في هذه الحملة بل عادت
عليه بالخسارة وهكذا كان الحال ايضاً في السنة التي بعدها في محاربة المسكوب
فناز الروسيون واخذوا مدينة ازوف . وكانت دولة فرانساً مع باقي الدول
المتحابة ساعية في غضون ذلك في تهديد طريق الصلح فسعى سفير انكلترا
وهولاندا لدى الباب العالي في ترقية اسبابه فلم تصادف مساعدتها قبولاً في
اول الامر بل اصر السلطان على الحرب والانتقام من دولة النمسا ولكنه بعد
واقعة سنة ١٦٩٧ وعدم نجاح العساكر العثمانية على النمسا قبل بالصلح فانعدت
شروطه في مدينة كرلوفيتز بين الدولتين عن يد معندي الدول الاجنبية
وحصل فيها هدنة متاركة السلاح بينها على مدة ٢٥ سنة . واما القبرص الروسي
فلم يقبل الا بهدنة سنتين فقط وتم ذلك في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٦٩٨ وبعد
انقضاء الصلح المذكور هاجمت العساكر والناس بسببه وقاموا على السلطان
وخلعوه عن السلطنة وقتلوا المنفي الكبير وكانت مدة سلطته نحو ثمان سنين
ومات في السنة التي بعدها سنة ١٧٠٢

الباب السادس

في ما جرى من الامور والحوادث منذ خلافة السلطان احمد

الثالث سنة ١٧٠٢ الى سنة ١٨٨٤

انه عندما نبأ السلطان احمد الثالث مسند الخلافة سنة ١٧٠٢ كان السلام منتشرًا في كل اطراف السلطنة الامر الذي ندر وقوعه منذ تاسيس الدولة العثمانية وكانت يومئذ الحرب قائمة على ساق وقدّم بين القيصر الروسي وكارلوس الثاني عشر ملك السويد واسترسلت الى سنة ١٧٠٩ حين انكسر اخيراً كارلوس المذكور في معركة بلتوفا وفاز عليه بطرس الاكبر فانهزم ودخل حدود الدولة العلية ونزل في بندر. فامر السلطان وقتئذ ان يكرم غاية الاكرام وان تكون مصاريفه ومصاريف كل تبعته من خزينة الدولة. اما كارلوس فاخذ يطلب من السلطان نجدة لقتال القيصر الروسي فلم يجبه الى ذلك نظراً للمعاهدة التي كانت بين الدولتين فمكث ست سنوات في بلاد الدولة مداوماً الالحاج عليها لمحاربة روسيا واذ كان له في بلاط السلطان شهرة عظيمة وكانت ام السلطان تميل اليه وتلقبه بالاسد اعتمدت الدولة اخيراً على اجابة طلبه واشهرت الحرب على روسيا سنة ١٧١١ وارسلت جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا البلطجي فاشتبك القتال بين الطرفين عند نهر بروت وبعد كفاح شديد تفقر جيش القيصر واسى الامبراطور في خطر ميين ولولم تدارك الامر زوجته كاترينا بمجذقتها ودرايتها لاصبح زوجها اسيراً فعقدت الصلح مع الوزير الاعظم تحت شرط ترجيع مجرا زوف الى الدولة وهدم الحصون التي على سواحل هذا البحر وعذمت مداخلة روسيا فيما يخص الكوزاك وان تعهد الملك كارلوس بحرية الرجوع الى بلاده وبعد المصادقة على هذه الهدود من الطرفين ارسل الوزير يعلم السلطان بالنتيجة فغضب وامر بعزله

وسنة ١٧١٤ فتحت الحرب على البندقية واذ كانت هذه المشيخة في ضعفٍ من كثرة الحروب لم نستطع منازعة الدولة زماناً طويلاً فاستولت العساكر العثمانية دفعةً واحدةً على ولاية المورة سنة ١٧١٥. وكانت المشيخة المذكورة قد استغاثت بشارل السادس امبراطور المانيا فلبى دعوتها وبعث الى الدولة العليز يطلب منها ان ترسل معتمداً من طرفها الى حدود بلاد الجرجاجل المخابرة معه لجهة جمهورية البندقية وان ابنت عن ذلك فانه مستعد ان يشهر الحرب عليها. فلم تجب الدولة هذا الطلب بل ارسلت على الفور الصدر الاعظم بمئة وخمسين الف مقاتل لمحاربة المانيا فوافاهم ثمانون الفا من عساكر الالمان تحت قيادة الامير اوجين والتقى الجيشان عند كارلوفيتز حيث كان عقد بين الدولتين التمحاربتين معاهدة الصلح منذ ١٧ سنة والتحم القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على عساكر آل عثمان وقتل الوزير الاعظم وكل القواد الاولين وفتح الالمان مدينة تيمسفار بعد حصار شهرين ودخلت الفلاخ تحت نسلطهم. وكانت الدولة قد ارسلت عارنها مجراً لمحاربة البندقية وفتح جزيرة كورفو فخسرت ايضاً ولكن مع كل هذه الخسائر جددت الحرب سنة ١٧١٧ فكانت ايضاً تعيسة عليها اذ خسرت فيها مدينة بلغراد. ولما بلغت هذه الاخبار ديوان السلطان ففتح المخابرات بشأن الصلح سنة ١٧١٨ وكان يطع في عقد الصلح مع كل من دولة المانيا وجمهورية البندقية على حدته فاجاب الامير اوجين بان الامبراطور شارل لا يفتح المخابرات الا تحت شرط عقد الصلحين منوية تحت نظره واردف هذا الطلب بان يعطى له ما عدا مصاريف الحرب ومدينتي بلغراد وتيمسفار اقليما بوسنيا والسرب الواقعة في الجهة اليمنى من نهر الدانوب والفلاخ من حدود بغداد الى نهر دنيستر وان ترجع المورة الى البندقية فعظمت هذه المطالبات على السلطان احمد وفضل فقد التاج على التسليم بشروط مجلبة للعار. فتدخلت اخيراً دولتنا انكلترا وهولاندا في فض الخلاف وصار القرار على ان يبقى في يد كل من الدولتين الاملاك التي تكون في يدها عند امضاء

المعاهدة وإن تبقى ابالة المورة للدولة

وسنة ١٧٢١ حدث حريقه مهولة في القسطنطينية احرقت نحو ربعها .
وسنة ١٧٢٦ توفي الشاه حسين ملك العثم مفتولاً وحدث ثورة عظيمة في بلاده
فاغنمها الدولة ودخل جيشها بلاد العثم واستولت على بعض املاكها . وفي
تلك الاثناء انتصر الشاه طهماسب على اعداء ابيه وغلب جلوسه على سرب الملك
ارسل يطلب من السلطان ترجيع الاملاك التي كان استولى عليها وإذا لم يلتفت
الى ذلك الطلب غار الاعجام على تبريز واستولوا عليها . فلما رأى الناس
والانكشارية عدم مبالاة السلطان بامور الدولة تردوا واجتمع قوم من العصاة
وقتلوا الوزير وخلصوا السلطان عن كرسيه وقام بعده باعباء السلطنة السلطان
عمود خان الاول بن السلطان مصطفى الثاني سنة ١٧٢٠ فرقى في الرعايا
واقفى اثار اجداده بالغزو والجهاد فخارب الاعجام في جملة مواضع وأكن بدون
فائدة عظيمة وحارب ايضاً روسيا والمانيا عدة سنوات وبعد وقائع كثيرة اجرى
معها صلحاً مع هدنة اجلها ٢٧ سنة اما شروط الصلح مع المانيا فهي ان ترجع
للدولة بلغراد مع اقليتي السرب والفلاخ وان يكون الحد الفاصل بين الدولتين
نهر الدانوب واما الشروط مع روسيا فهي ان لا يكون لها مراكب حرية
او تجارية في البحر الاسود وبحر ازوف بل تستخدم لتجارتها مراكب اجنبية وان
تهدم قلعتها في ازوف وان ترجع بعض البلاد التي استولت عليها في زمن الحرب .
وهكذا انتهى الحال وزال الشقاق والاختلال وعظم السلام في السلطنة الى ان
توفي السلطان عمود في ١٢ كسنة ١٧٥٤

وتسلطن بعده اخوه السلطان عثمان الثالث وكان يحب الانفراد لا يبالي
في تدبيرهم الدولة واصلاح امور العباد ولم يكن لهذا السلطان شيء من
المناقب المحسنة وكانت مدة حكمه ثلاث سنين ونصفاً ثم توفي سنة ١٧٥٧ .
وخلفه السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد الثالث في السنة المذكورة
وكان سلطاناً عظيماً موصوفاً بالعدل والحلم فاخذ جالاً في تنظيم احوال

السلطنة وسلك احسن سلوك مع الوعايا وكان يعتمد على وزيره محمد راغب باشا الموصوف بحسن السياسة والتدبير وهو صاحب الجامع والمكتبة الوقفية الشهيرة المعروفة الان باسمه في مدينة القسطنطينية. ولكن لم تطل ايام هذا الشهم اذ توفي سنة ١٧٦٨ وبعد موته ثبت نيران الحرب بين الدولة وروسيا وخرج السلطان للحرب سنة ١٧٦٩ فكان طالها مشوماً جداً عليه فخر شوكرم والبغدان وقصاً من الفلاح ولم تكن السنة التالية اقل شوماً من التي قبلها اذ اخترقت عمارة الدولة بالقرب من جزيرة ساقس وانهمز خان القرم عند نهر بروث وانكسر الصدر الاعظم ايضاً عند شواطئ النهر المذكور وخسرت الدولة مدينة بندر وعدة جزائر في الارخبيل . وفي الوقت نفسه تحرك اليونان في المورة والارناوط ايضاً بدسيسة روسيا واخذوا يستعدون لخلع نير الطاعة للدولة. ونهض ايضاً علي بك من المالك واخذ مصر واراد الاستقلال بها. وحكم ايضاً الشيخ ظاهر العمر على جانب من سوريا مستقلاً فامست الدولة في مركز صعب جداً ومع ذلك لم تقترهمة السلطان مصطفى واستمر يناضل قوة العدو وينازعه على الدانوب حتى عزم ان يقود الجيش بنفسه ولكنه شعر في تلك السنة بهبوط في قواه وكان يزايد يوماً فيوماً حتى شعر بقرب حلول الاجل فاستدعى اليه اخاه عبد الحميد واوصاه بولده سليم (الذي حكم فيما بعد تحت اسم سليم الثالث) ثم توفي في ٢١ ك ٢ سنة ١٧٧٤ وله من العمر ٥٨ سنة

وجلس بعده اخوه السلطان عبد الحميد سنة ١٧٧٤ وكان محمود السيرة سليم السريرة يحب الصلح والسلامة وكان له اذ ذاك ٥٠ سنة من العمر قضى ٤٤ منها في عالم العجب فلم تكن فيه الاهلية لادارة مهام السلطنة لاسيما في تلك الحالة التي افضت اليها بعد كثرة المحروب والفلاقل من داخل ومن خارج وكان سلفه قد باشر التجهيزات لمحاربة الدولة الروسية فامر بانجازها وازديادها وبعث بالصدر الاعظم مع ٤٠٠ الف مقاتل فالتحم القتال بينهم وبين الجيوش الروسية فلم يتصرفوا عليهم لقلة تديبرهم وانحصروا في شومله ووقعوا في صعوبة كابية

ولم يعد لهم منها منفذٌ إلا بالصلح فعقدت شروطه سنة ١٧٧٢ وأخصها استقلال التتار وفتح ابواب كل ابجر الدولة للسفن الروسية ومع ذلك كلو لم تنفع دولة روسية بل كانت تعدى من حين الى حين على حدود الدولة حتى انها اغارت على القرم واستولت عليها وكان السلطان عبد الحميد يفعل تلك التعديات بمرارة عظيمة زماناً طويلاً وهو غير قادر ان ياتىها بالعلاج الشافي ولما رأى ان كل املاك دولته ما وراء الدانوب وقعت في قبضة الاجانب شرع في استعدادات جديدة للحرب وبينما كان مهتماً على القيام وافته المنية في ٧ نيسان سنة ١٧٨٩ تاركاً لابن اخيه السلطان سليم السلطنة في اسوأ حال.

فلما تولى السلطان سليم الثالث مسند الخلافة همّ حالاً لنشل الدولة من تلك الحالة السيئة التي افضت اليها من سوء ادارة سالفه وبعث بالعماسكر المجهزة لمحاربة المجيوش الروسية والنمساوية فالتقى الفريقان في البغدان وصدموا بعضهم بعضاً مدة شهرين فكانت الدائرة على جيوش الدولة وغنم الاجانب غنائم كثيرة واستولوا على قلعة بلغراد وايا لني الفلاج والسرب فتدخلت حيثئذ بروسيا وانكلترا بين ليوبولد امبراطور جرمانيا والدولة في شان الصلح وقرّ القرار فيه بان يصير ارجاع بلغراد وكل الاراضي التي فتحها النمسا خلا شوكرهم لحد نهاية الحرب مع روسيا وتعينت ساقية كرارما حداً فاصلاً بينها وكان ذلك سنة ١٧٩١. اما روسيا فكانت لا تزال منقمة الحرب على قدم وساق وقد حاصرت قلعة اسمعيل وهي من اهم حصون الدولة العلية وامنها وبعد حصار شديد فتحها فتدخلت ايضاً الانكليز وبروسيا وانهموا النزاع والحرب وحملوا روسيا ان ترجع للدولة كل الاماكن التي فتحها خلا اوكرأكوف والاراضي الواقعة بين نهري بوغ ودينيسر حيث اقامت الملكة كاترينا الثانية مدينة اودسا سنة ١٧٩٢ وبعد هذا الصلح حدث فرح عظيم في القسطنطينية على ان الاخبار لم تكن سارة من جهة مصر وسوريا

ثم سعى السلطان سليم في ترقية اسباب تقدم بلاده وعمرانها وارسل يطلب

من فرنسا مهندسين ومعلمي صنائع وضباطاً الى غير ذلك فبعثت له بجانب عظيم على ان علاقاته الحية معها تكدرت سنة ١٧٩٨ حين دخل الفرنسيون مصر عن غير علم الدولة واقاموا فيها الى سنة ١٨٠٠ فالنزمت حينئذ ان تشهر ضدها السلاح واخرجتها من اراضيها المصرية بمعاوضة انكلترا وفي اول اذار سنة ١٧٩٩ فتحت عمارتا الدولة وروسيا السبع الجزر التي كانت لجمهورية البندقية وكانت فرنسا يومئذ مستولية عليها منذ سنة ١٧٩٧. وهذه هي المرة الاولى والاخيرة التي اتحد فيها هاتان الدولتان وفي ٢١ اذار من سنة ١٨٠٠ صار الاتفاق بين الدولتين المشار اليهما في صيدورة الجزر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم جمهورية السبع الجزر

وبعد رجوع بوناپارت من مصر عند سنة ١٨٠٢ معاهدة صلح مع الدولة العلية ولما ارتقى الى منصب الامبراطورية بعث سفيراً الى الدولة لكي تعرفه امبراطوراً فتاخرت من جرى تهديدات روسيا وانكلترا ولكن لما بلغها صدى انتصاراته على النمسا وروسيا في اوستريليز سنة ١٨٠٥ عرفت اخيراً سنة ١٨٠٦ وجددت مع فرنسا علاقات الوداد ووافقتها على محاربة روسيا فكان ذلك داعياً لتعكيرها مع انكلترا التي كانت تسعى في ملاشاة شوكة نابوليون . ولكن لم تستطع انكلترا ان تمنع السلطان سليم عن محاربة المسكوب لان جيوش هذه الدولة كانوا قد تجاوزوا الحدود ودخلوا الفلأخ والبغدان خلافاً للهود فاضطر السلطان ان يحافظ على بلاده ويدافع عن حقوقه فجهز الجيوش وارسلها تحت قيادة الصدر مصطفى باشا شلي مصطفى باشا البيرقدار الى الاقليمين المذكورين فضربوا الروسيين ومنعوا تقدمهم على الاراضي العثمانية

وكان السلطان سليم يرغب ان يلاشي وجاق الانكشارية ويقيم مكانه عسكرياً على الطريقة الافرنجية لانهم كانوا قد زعزعوا اركان السلطنة بعصيانهم وعدم انقيادهم وكان قد نظم في العام الماضي بعض الفرق من النظام الجديد فهاج الانكشارية من جراء ذلك واثاروا في المدينة شغباً عظيماً وغب ان

اعنصبوا عصبة واحدة طفقوا يتعدون على الاهالي ويقتلون من وقعت ايديهم عليه واخيراً غطوا السلطان سليم واقاموا مكانه السلطان مصطفى الرابع حفيد السلطان عبد الحميد في ٢٠ ايار سنة ١٨٠٧

فلما جلس السلطان مصطفى على كرسي الخلافة امر بالقبض على اخيه محمود وعلى السلطان سليم وحجزها في مكان واحد خوفاً من شرها . وحدث في نفس السنة التي تولى بها ان نابوليون الاول فاز على الامبراطور الروسي وعند معاهدة تياسيت فبدا خلع عقدت هدنة بين الدولة العلية وبين روسيا وانسحب العسكران كل الى بلاده . وعند رجوع الصدر الاعظم ومصطفى باشا اليرقردار الى القسطنطينية سعي في ارجاع السلطان سليم الى كرسيه لانها كانا من حربه فاحس بذلك السلطان مصطفى وبعث اناساً خفوا السلطان سليماً واتوه به مخنوقاً ثم ارسل من يفعل مثل ذلك باخيه محمود . فلما بلغ الخبر مصطفى باشا اليرقردار بعث من خلص محموداً بعد ان اوشك ان يقع في ايدي مطارديه واتى به الى بيته وهناه بسلامته فشكره محمود على جميل صنيعه وارسل في الحال جماعة قبضوا على اخيه مصطفى وهو في داره وحجزه في المكان الذي كان هو فيه وتبوأ تحت الخلافة مكانه وذلك سنة ١٨٠٨ وهو السلطان محمود الثاني وجعل مصطفى باشا اليرقردار المذكور صدر اعظم

وكانت الدولة يومئذ في مركز ضعب جداً لم تصل الى مثله منذ تاسيسها فلم ادارة مهامها الى وزيره مصطفى باشا المشار اليه معتمداً عليه كل الاعتماد فقام بتدبيرها اتم قيام واخذ يسعى في استئصال اهل البغي والشر ووضع قوانين ونظامات جديدة توافق روح العصر فابفضه الانكشارية وكثيرون من الناس واضمروا له السوء الى ان هجموا ذات يوم عليه في بيته واضرموا فيه النار فهلك ذلك الرجل المعتبر المحب الاصلاح . ثم هجموا على دار السلطان وارادوا ان يفعلوا ما فعلوا بالوزير وان يترلوه عن السلطنة ويرجعوا السلطان مصطفى فلما راي ديوان الشورى ان بقاء السلطان مصطفى في قيد الحياة يكون سبباً للفتن

والفلاقل خفوه عن غير رضى السلطان محمود وبادروا لاطفاء نار الفتنة التي اضرها الانكشارية فضايقوهم ثم طلبوا لم العفو من السلطان فعنا عنهم الى حين

وكانت يومئذ العساكر الروسية تتقدم الى جهة نهر الدانوب مسرعة فبعث السلطان جيشا عظيما لمصادمتهم فلم يقدر ان يوقف مسيرهم فطالبت فرانسا ان توسط امر الصلح بينها فرفض السلطان محمود مداخلتها لانه نائر جدا من الشروط السرية التي عقدها نابوليون مع اسكندر الروسي في تبليست التي من شأنها اقتسام نول اوروبا فيما بينها من جعلتها بلاد الدولة العلية واستمر في مقاومة الروسيين ومحاربتهم ولكن من غير فائدة واستولى الروسيون على مدينة شومله وعلى عدة مراكز حسنة وضايقوا العساكر العثمانية اشد مضايقة وييفا كانت المصائب محيطة بالدولة من كل جهة اذا بطالع سعيد بزغ في افها وذلك ان نابوليون الاول كان قد اشهر الحرب على روسيا سنة ١٨١٢ وسار اليها بجيوشه الجبراة فالزم ذلك روسيا ان تنحى اكثر جيوشها من حدود الدولة وعقدت في ١٦ ايار سنة ١٨١٢ مع الباب العالي صلحا موافقا جدا للدولة العثمانية

فاغتم السلطان فرصة هذا الصلح لتسكين الثورات في ولايتي بغداد وابدين وغيرها ولائام مشروعاته الحسنة فصرف قصارى همته في ذلك الشأن مدة الثمان السنين التي دام فيها الصلح. وسنة ١٨٢١ تحرك اليونان في المورة وجاھروا بالعصيان على الدولة وكانوا يجهمون براكبهم على سواحل البحر فيقتلون ويسلبون ويرمون الفتن في جميع الاطراف فشق ذلك على الدولة وارسلت العساكر لردعهم وادخلهم في حيز الطاعة فشبت الحرب بينها وقامت على ساق وقدم وبعث الباب العالي الى محمد علي باشا والي ولاية مصر بامر ان يرسل جيشا لمحاربتهم فارسل ولده ابرهم باشا المشهور بخمسة وعشرين الف مقاتل مع عمارة بحرية ولما وصل الى المورة انضم بجيشه الى جيش الدولة وزادت نيران

الحرب شيوياً ولما آيس الاروام من النجاة ونوال الاستقلالية استبدوا بالدول الأوروبية فبادرت دولتا فرنسا وانكلترا الى توسط امرهم لدى الدولة ولما لم يجيب السلطان محمود سؤلها ارسلتا عمارتهما وانضمت اليها العارة الروسية وعند وصولها الى ميناء نافرين بعثوا جميعاً الى ابرهيم باشا يطلبون اليه ان يوقف الحرب فاجاب انه لا يندر على ذلك الا باس من السلطان فعند ذلك دخلوا ميناء نافرين واطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد علي باشا فاحرقوها وكان ذلك في ٦ تموز سنة ١٨٢٧ ولما بلغ ذلك الخبر السلطان محموداً اضطر الى اجابة سؤل الدول المتحدة وامضى الشروط التي عرضت عليه بخصوص ابطال الحرب واستقلال الاروام

وفي وسط هرج هذه الحروب اصدر السلطان محمود امراً بتدمير وجاق الانكشارية فجمعت عليهم العساكر المستجدة والاهليون في العاصمة وباقي الولايات وابادهم عن آخرهم وارناج الناس من جورهم والدولة من اقبالهم . وفي تلك الاثناء غير السلطان محمود لبسته ونزع العمامة والنجية وترى بالزي العثماني الحالي وبالطربوش الصغير ولم يبالى باقوال المعترضين

وسنة ١٨٢٩ زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة عند شواطئ الدانوب وسار جيش الى جهة اسيا فارسلت الدولة عسكراً لمصادمتهم فتغلبت عليهم الجنود الروسية وكسرت في سيلستريا وشومله واستولت عليها ثم كسرت أيضاً كسرة اخرى عند كالينشوقا وقطعت مضيق البلكان واستولت على ادرنة واخذت تهدد العاصمة وكانت جنود روسيا التي قصدت جهات اسيا قد استولت على القرص ويازيد وطراق قلعة وارزروم ولما بلغت كل هذه المصائب السلطان محموداً اضطرب جداً وهذه المرة الاولى التي فيها خامر قلبه الاضطراب والخوف على انه اظهر الثبات وقوة الجنان والقلب في وسط تلك الاخطار المحدقة به وبدولته فتدخلت أيضاً الدولة الانكليزية في انهاء تلك الشرور المهلكة وسلم السلطان محمود بكل الشروط التي طلبت منه وفي الثاني من شهر

أيلول سنة ١٨٢٩ حروب معاهدة الصلح في مدينة أدرنة ومالها التسليم باستقلالية الأروم الثامنة والننازل عن إقليم السرب لعائلة أوبرينوفيتش المستولية إلى الآن وعن أقليمي الفلاخ والبغدان اللذين انضموا سنة ١٨٦١ إلى إميرية واحدة تعرف باميرية رومانيا واستولى زمام أحكامها البرنس شارل الأول من عائلة هوهنلولرن الألمانية سنة ١٨٦٦ بحق توريثها لمن يعقبه وهي تدفع مالا معلوما للدولة في كل سنة كبلاد مصر وعن بعض الجزائر الواقعة عند فم نهر الدانيوب والشالجي الأيمن منه. أراض في آسيا مع غرامة حرب قدرها ١٠ ملايين فرنك. وأما عقيب مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ فرومانيا وسربيا صارتا ملكتان مستقلتان كما سبقت الإشارة عند وصف جغرافية هذه البلاد

وربما استغرب القاري كيف أن الدولة التي سادت على أغلب ممالك العالم وألفت العرب في قلوب جميعهم لم تستمر في نموها وتقدمها حتى التزم سلاطينها أن يرضخوا إلى شروط نظير هذه والحال إذا نظر إلى هذا الأمر بعين خالية من الغرض بحق الاستغراب من وجه آخر وهو كيف أمكن هذه للدولة أن تحتل كل تلك الصدمات الشديدة والمقلومات المريعة من أعدائها في أوروبا وآسيا وأفريقية مع عدم فتور الخلل في داخلها بسبب أصحاب البغي والفساد مع ما لوقعت وجاق الانكسارية من الخلل ولم تنزعج أركانها بل استمرت في سلك الثبات العجيب ولم تستطع قوة أو سبب آخر أن يثنيها. فهذا أعظم بوهان على عظمتها وقوتها

وسنة ١٨٤١ عندما كانت الدولة العلية خارجة من الحرج تلك الحروب للملكة جهز محمد علي باشا وإلى مصر ولده إبراهيم باشا بثلاثين ألف مقاتل لافتتاح الإقطار الشامية انتقاماً من عبده باشا وإلى عكا فسار إليها واستولى عليها واستمرت أحكامها في يده نحو تسع سنين وكانت مدة خلافة السلطان محمود ٢١ سنة وهو عادل ورحم من سلفه من سلاطين آل عثمان وجلس بعده على سرير السلطنة ولده السلطان عبد المجيد خان سنة ١٨٤٩

وكان عادلاً حليماً مطبوعاً على مكالم الأخلق . فاول امرٍ باشرو استخلاص الديار الشامية من ايدي الحكومة المصرية ثم اخذ بعد ذلك في اجراء ما كان قد شرع فيه جناب والده من الترميمات والتنظيمات على مقتضى الشرع والقوانين السياسية لرفع المظالم وراحة البلاد وردع اصحاب البغي والفساد واصدر امراً شريعاً مبنياً به اصول التنظيمات التي فاضت بها مراحة الشاهانية لغزو الرعية وامر بنشره في اقطار السلطنة العثمانية ليعيط الجميع به علماً وهو المعروف بالتنظيمات الخيرية . فانتعشت ارواح الرعايا يجلس هذا السلطان واستبشروا به وفي مدة حكمه اتسخت الحرب بين الدولة العلية والدولة المسكوية وهي المعروفة بحرب القرم وسببها انه كان قد وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين في القدس من عدة سنين بسبب كنيسة الزيامة وبعض الاماكن المقدسة فكانت كل طائفة منها تدعي لنفسها حق الرياسة والتقدم على الاخرى باستلام منافجها ثم اخذت هذه المسئلة تتعاظم بينها وتند يوماً بعد يوم الى ان آل الامر الى التراع والجidal في سنة ١٨٥١ فوقع الباب العالي في حجة وارتيك من جهة تسكينه لاجنادنا رها لان روسيا كانت تحامي عن حقوق الروم وفرنسا تنصير لللاتين فدخل سفير انكليز اللورد ستراتفورد دي ردكليف في صرف هذا المشكل ورسم ترتيباً موافقاً لاثلاف الملتيين المتخالفتين فقبلته فرنسا واما روسيا فلم تقبله لان مقصدها الوحيد لم يكن مقصراً على محاماة حقوق اكليروس الروم بل كان لها غايات اخرى طالما كانت تفتهد على نواها وترقب الفرص لاستخدامها وهي ابعاد الدولة العثمانية من قارة اوروپا والاستيلاء على اقاليمها وولاياتها فانتهز الامبراطور نقولا تلك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته . وبلغ اريه فارسل الامير منشيكوف الى القسطنطينية سنة ١٨٥٢ لمقابلة السلطان عبد الحميد خان بعد ان كان بعث جيشاً يبلغ ١٤٤ الفاً الى نهر الدانيوب ليكون مسعداً لوقت اللزوم والحاجة . فلما وصل الامير منشيكوف الى القسطنطينية رفض مواجهة فولاد باشا وزير الخارجية ودخل راساً على الحضرة الشاهانية وصحبه سفير روسيا

واعرض له طلب الامبراطور نقولا في المسئلة المتعلقة بالاماكن المقدسة ثم قال
 له ان الامبراطور يطلب ايضا ان جميع الروم الذين من تبعة الدولة العلية
 يكونون تحت ظل حمايته من الآن وصاعداً استناداً على احد بنود معاهدة سنة
 ١٧٧٤ المعقودة في كوجك فينرجي وان بطرك الروم القسطنطيني وباقي اساقفة
 الطائفة يكون انتخابهم وتغييرهم منوطاً به وان الشكاوي والدعاوي التي تنصدر
 عليهم من جهة نصرقاتهم وسلوكهم تعرض راساً اليه لينظر فيها . فاستعظم
 السلطان هذه التطلبات ورفضها لانها مخلة بناموس السلطنة ومغايرة للاصول
 وقوانين الدول فانتفى الامبر منشيكوف راجعاً من حيث اتى واعلم الامبراطور
 نقولا بواقعة الحال فاستشاط غضباً واصدر امراً الى العساكر التي ارسلها الى
 اطراف الدانوب ان تعبر نهر البروث وتستولي على تلك الاطراف فاجتازت
 النهر وشنّت الغارة على امارات الفلاخ والبغدان واستولت عليها في اليوم
 الثالث من شهر حزيران . ولما تحقق الباب العالي قدوم ذلك الجيش الى
 اطراف بلاده علم ان مقاصد روسيا في تطلبتها لم تكن الا وسيلة لاشهار الحرب
 فجهز جيشاً وارسله الى تلك الحدود تحت قيادة عمر باشا المجري لردع الروسيين
 ولما تاكدت الدول الاوروية بغية روسيا ومقاصدها بادرت انكلترا
 وبروسيا والنمسا الى عقد جمعية للنظر في اجراء الوفاق بين الدولتين وارسلت
 كل دولة منها معتمداً من طرفها الى مدينة فيينا حيث وافاهم سفير من طرف
 روسيا واخر من طرف الدولة العلية وعقدوا هناك مجلساً في ٢١ تموز سنة ١٨٥٣
 لم يات بالمرغوب . فلما لم يعد سبيل للصلح اشهر الباب العالي الحرب اشهاراً
 نهائياً وصدّم سليم باشا العساكر الروسية في اسيا وانتصر عليهم في عدة مواقع
 بينما كان عمر باشا يهاجمهم في اوروبا حيث كسرهم بالقرب من اولتينيتزا وفاز
 عليهم عند قلنات واماكن اخرى . واما العارة الروسية التي كانت في البحر الاسود
 تحت قيادة الاميرال ناشيموف فصدمت العارة العثمانية عند سينوب في
 ٢٧ ث ٢ واستظهرت عليها بعد حرب شديدة فالتفتها وكانت مولفة من سبع

فركانات وباخرين وثلاثة مراكب حربية

اما انكلترا وفرنسا فاذ تيفتا سوء نتائج هذه الحرب انتصرنا لمعونة السلطان واعلنا الحرب على روسيا في ١١ ث ٢ سنة ٥٢. ولما كانت اوائل سنة ١٨٥٤ ابتدانا في نقل رجالها ومهاتها الى ساحة الحرب واشتبكتنا في القتال واما باقي دول اوربا فكانت محافظة على الحيادة

وكانت الدولة الانكليزية قد ارسلت عمارة حربية الى بحر بلتيك تحت قيادة الادميرال نايار فاستولت على قلعة بومارستود لخمسة عشرة بقية من شهر آب ثم على جزيرة الاند ولكنها لم تقدر على استخلاص القلعة نظراً لخصاتها. واذ كانت سباسبول اعظم قوات روسيا التي يعول عليها في البحر الاسود وجهت انكلترا وفرنسا قواها لافتحاها والاستيلاء عليها فارسلنا في ١٤ ايلول فرقاً من عساكرها يبلغ عددها ستين ألفاً وكان اكثرهم فرنساويون فتلوا في بويانوريا وفيما كانوا يتقدمون الى سباسبول صادتهم العساكر الروسية. وكان الفرنسيون تحت قيادة المارشال سنت ارنو والانكليز تحت قيادة اللورد راكلاف فاقتتل الفريقان اقتتالاً شديداً الى ان دارت الدائرة على الروسيين فانكسروا عند نهر الماء. واما العساكر الروسية فكانت اذ ذاك تحاصر مدينة سيلستريا ولم تقدر على اخذها فخرجت العساكر العثمانية من المدينة واقبحتهم فاتصرت عليهم وفرقهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا الى الآخرين وقصدوا القرم لخدمة حصار قلعة سباسبول التي اليها وجهت روسيا كل قوتها من مهات وعساكر وذخائر. واما جيش الانكليز ففعلت فوارسهم فعل الاسود الضواري اذ صادموهم جيشاً عرمرماً من الروسيين عند بالاكلافا وفازوا بهم فوزه خللت لم ذكراً جيلاً بعد ما فقد منهم خلق كثير ثم ان الروسيين المحاصرين في انكرمان وعددهم ستون ألفاً خرجوا من مكان حصارهم واقبحوا العساكر العثمانية والانكليزية والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة المخسران على الفريقين انجلت بانهمزام الروسيين ولزومهم حصن المدينة ولم يكن حيثئذ في

طاقة الدول المتحدة استلام سباسبول مع انهم كانوا يزيدون قواتهم الحربية ويكثرون هجماتهم وقنايرهم ولم يقدروا على استخلاص تلك القلعة او ان يمنعوا المساعدات التي كانت تاتيها من داخل البلاد

ولقد قاست العساكر المتحدة ولا سيما الانكليز في شتاء سنة ١٨٥٤ وشتاء سنة ١٨٥٥ اهوالاً وشدائد يكل اللسان عن وصفها وتعدادها فان الامراض والوجاع قد اخذت في العساكر كل ماخذ واهلكت كثيرين هذا فضلاً عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد والابخرة المثنة التي كانت تنصاع من جيش القتلى والحيوانات

اما سردينيا فكانت يومئذ تحت حكم فيكتور عمانوئيل مطلقة الحرية وهي ايضاً هيأت جنودها للحرب وانضمت الى الجنود المتحدة فارسلت ١٥٠٠٠ مقاتل بعدما تهدت لها انكلترا بدفع مبلغ مليون ليرة على سبيل الاعانة واشهرت رجالها في تلك المعلمع بالشجاعة والثبات

وفي خلال ذلك توفي الامبراطور نيقولا في ٢ اذار سنة ١٨٥٥ وجلس ولده اسكندر الثاني مكانه وفي اليوم الثامن من شهر ايلول من السنة المذكورة حدثت واقعة هائلة بين المسكوب والعساكر المتحدة كانت الدائرة فيها على الروسيين واستولت جيوش فرنسا على قلعة ملاكوف ببساطة لا مزيد عليها واذ لم بعد للروسيين استطاعة على حفظ مراكزهم تركوا سباسبول في مساء ذلك النهار وعولوا على الهزيمة والفرار ودخلت العساكر المتحدة الى القلعة وامتلكها فانفتحت جميعت مخازرات الصلح وعقدت جمعية في باريز في ٢٥ شباط سنة ١٨٥٦ حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحابة وهي انكلترا وفرنسا وتركيا والنمسا وبروسيا وسردينيا وفي ٢٠ اذار امضيت شروط الصلح متضمنة ٢٤ بنناً مجلة لكل من الدول المشار اليها اخصها ان الدولة العلية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول اوربا من جهة القوانين والتنظيمات السياسية وانها تكون مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول الافرنجية وان المجر

الاسود يكون بمنزل عن جولان مراكب حرية فيه من اي جنس كان ما عدا روسيا وتركيا فان لما حقاً في ادخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحرية لاجل محافظة اساكلها وان لا يكون لتركيا ولا لروسيا ترسجانات بحرية حرية على شواطئ البحر الاسود الى غير ذلك من الشروط وهكذا انتهت العساكر الى مواطنها وانتهت الحرب التي لم يكن لافتتاحها داع سوى المطامع والغايات

وفي نهاية مدة السلطان عبد المجيد خان حدثت الحرب اللبنانية في اوائل سنة ١٨٦٠ بين طائفتي النصارى والدروز كما مرّ في اخبار سورية. وفي شهر حزيران سنة ١٨٦١ توفي السلطان عبد المجيد وخلفه اخوه السلطان عبد العزيز خان فقام باعباء السلطنة على احسن منوال وسلك سلوك ابيه في الاصلاح وترقية اسباب التقدم والنجاح وسعى في تاسيس المعامل والمدارس والمطابع وانشاء الطرق الحديثة في البلاد العثمانية فحصلت الرعايا في ايامه على مزيد المنونية واصبحت السلطنة في امن ورفاهية خالية من الارباكات والقتل والحركات الى ان كانت سنة ١٨٦٧ فحدثت فتنة في جزيرة كريت استمرت نحو سنتين ولولا تعصب اليونان لاهل الجزيرة المذكورة وامدادهم اياهم بالدخائر والتقود لما استلزم الامر كل ذلك الوقت لاجتماعهم

ثم في سنة ١٨٧٥ ثارت نيران الفتن في اقاليم الدولة الغربية اي المهرسك والبشناق والمجبل الاسود وبلغاريا وكان السبب في ذلك ظاهراً ظلم الحكام العثمانيين وعدم معاملتهم المسيحيين بالرفق والانصاف ولكن باطن الامر على ما يظن كان بسبب دسائس روسيا وعودها الاهلين بالمساعدة في تحصيل استقلاليتهم فالتزمت حينئذ الدولة ان ترسل عساكرها لاجضاع تلك البلدان الثائرة فلم تصب نجاحاً واخيراً تظاهرت روسيا علناً في نفاومتها واشهار الحرب عليها فجندت الجنود وزحمت بها على الاراضي العثمانية واصطلت نيران الحرب بين الفريقين نحواً من سنتين واظهرت الجنود الاسلامية من شدة الجنان ما لم

يخطر على بال انسان خاصة في حصار بلاقنا الذي كلف روسيا عدداً غفيراً من الجنود وروساء الجنود ولكن لما كانت الكثرة تغلب الشجاعة لم يعد ممكناً لعثمان باشا وجنوده ان يداوموا الدفاع وهم محصورون في بلاقنا بدون مؤن وذخائر فالتزموا ان يسلموا للروس ومن ذلك الوقت انحل عزم باقي الجيش العثماني واخذ الروس يتقدمون شيئاً فشيئاً الى ان وصلوا الى مقربة من القسطنطينية فحينئذ تظاهرت أنكلترا لمقاومتهم وادخلت عمارتها الى ميناء العاصمة وتوعدتهم بالضرب ان لم يكفوا عن التقدم فتوقفوا عن ذلك وانعقد الصلح بين روسيا وتركيا وأُحيل الى الدول الكيرة النظر في تسوية الخلاف الواقع بين الدولتين المتحاربتين لجهة تحرير الاقاليم المار ذكرها فعقد مؤتمر في مدينة برلين سنة ١٨٧٨ حضره نواب الدول المار ذكرها تقرر فيه سلخ الهرسك والبشناق وبني بازار موقفاً عن الملكة العثمانية ووضعهم تحت حكم دولة النمسا وان الجبل الاسود يكون مستقلاً وان روملي الشرقية تكون تحت حكومة ادارية محلية مستقلة بتولاها حاكماً ينصبه الباب العالي وان القرص وباطوم في اسيا تكونان للروس الى غير ذلك من الشروط وهكذا انتهى النزاع بين الدولتين وصفت نوايا الاتيين وعاد الغائب وانتهى التفاوض

وفي اثناء تلك الثورات والحروب نهض بعض وزراء الدولة وخلعوا السلطان عبد العزيز عن سرير ملكه وسعوا في قتله في وسط قصره واقاموا مكانه اخاه السلطان مراد فلم يستقم امره في سدة الخلافة لانحراف صحبه وبعد نحو ستة اشهر قام مكانه اخوه السلطان عبد الحميد وذلك في ٢١ آب سنة ١٨٧٦ فاخذ في الحال ان يسعى في تحسين ما كان قد تلف وتنظيم ما كان قد فسد وبعد توقيع الصلح مع روسيا شرع في تحقيق مثل السلطان عبد العزيز وجازى المذنبين بما استحقوا وهو الآن صارف قصارى جهده في ترقية اسباب تقدم الاهالي ونجاحهم ساعياً في تحسين مالية الدولة وتشيد اركانها ولما كانت أنكلترا نخشى دخول الروسيين الى اسيا الصغرى اي بر الاناضول

خوفاً من امتداد سطوتها في اسيا وهددها الهند الشرقية عقدت مع الدولة العثمانية عهداً اشترطت فيه مدافعة الروسيين معها عند الاقتضاء وردعهم عن الدخول الى الاناضول وفي مقابلة هذا العهد تنازلت تركيا لانكلترا عن جزيرة قبرس في اواسط سنة ١٨٧٨ ليس على سبيل التملك بل ليكون مقراً لجنودها وذخائرها الحربية وقت الحاجة . وبما ان الدولة العثمانية كانت تستغل من الجزيرة المذكورة ايراداً سنوياً بحاكمي المئة وثلاثين الف ليرة انكليزية تعهدت انكلترا بدفع ذلك لخزينة الدولة كل سنة ما دامت مقيمة في الجزيرة



الفصل الثاني

في تاريخ اليونان

الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد

انه كثيراً ما تشتهر بلاد وناثي العالم بفوائد كثيرة مادية وادبية ولئن كانت في عين الناظرين اليها ضيقة الاملاك وقليلة الاعتبار . فان بلاد اليونان التي نحن في صدددها كانت بلاداً صغيرة قليلة المساحة ومع ذلك قد بلغت في الاعصار السالفة الى اعلى درجات المجد والفخر ادياً ومادياً . فاشتملت على القسم الجنوبي من بلاد آل عثمان في اوروبا وبلاد الروم والمورة مع عدة جزائر مجاورة

للأراضي المذكورة . اما حدودها فكانت الى الشمال ايليريا المعروفة الآن
ببوسنيا اي البوشناق وميسيا العليا وفي الان بلاد السرب وشرقاً اراقيا وهي الجزء
الشرقي من الرومي والارخيل الرومي وجنوباً بحر الروم وغرباً خليج البندقية
وقد انقسمت هذه البلاد طبيعياً الى اربعة اقسام كبرى وكل من هذه
الاقسام انقسم ايضاً الى اقسام صغار قائمة على حدتها . القسم الاول الشمالي وهو
يشمل اقلبي ابيروس وئساليا وها الان من املاك الترك باوروبا . الثاني
مكدونية وهو الجزء الشمالي من بلاد الارناوط والجزء الغربي من بلاد الرومي
ومن مدنها فيلي وتسالونكي وقاعدتها بلأ وهي وطن اسكندر بن فيليس
المكدوني الشهير وهذه ايضاً من املاك الترك في اوروبا . الثالث بلاد اليونان
الاصلية وقيل لها هلاس المماسة الان بلاد الروم . الرابع بلبونيسوس المماسة
بشبه جزيرة المورة وكان تابعاً لها خلاف هذه الاقسام جزائر الارخيل الرومي
التي كانت وقتئذ زاهية خضراء وليست قاحلة كالآن وجزائر البندقية وجزيرة
كديا اي كريت وكان لليونانيين منازل في اسيا الصغرى وسبيليا وابطاليا
واماكن اخر

اما الآن فنقتصر المملكة اليونانية بالقسم الثالث من الاقسام المار ذكرها
وبحدها بلاد الترك شمالاً ومن باقي الجهات البحر المتوسط وعدد سكانها يبلغ
نحو مليون ونصف وقصبتها مدينة اثينا التي لا تزال مشتهرة على اثار تشهد على
عظمتها القديمة وبراعة اهلها وحذاقتهم لاسيما في فني النقش والتصوير واحسن
جررها جزيرة سيرا . اما هواوها فحيد وارضها مخصبة . واهلها موصوفون
بالنباهة والذكاء والشجاعة ولكنهم لم يصلوا بعد الى اعلى درجات التمدن . وقد
انقسم تاريخ هذه البلاد قديماً الى قسمين احدهما يتضمن تاريخ الازمنة المجهولة اي
من اول نشأتها الى حين هاجمها الفرس في زمن تلك داريوس بن هستاسب
سنة ٤٩٠ ق م وسيمت ايضاً العصر الخرافية والثاني منذ مهاجمة الفرس الى
فقدانها عنان الملك وخضوعها للرومان

الباب الثاني

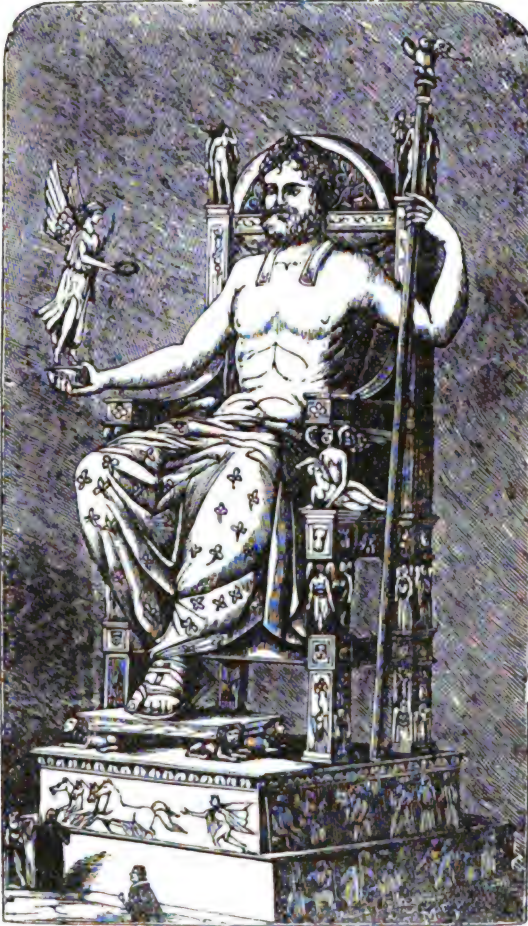
في اخبار العصر الخرافية واولاً في اصل نشأتها وشعوبها الاولين

ان بدء تاريخ اليونانيين ككثر التواريخ القديمة مغشى بظلمة كثيفة ومزوج
بامور كثيرة خرافية وقلم يوثق بما قيل في كتب المؤرخين في هذا الشأن .
قيل ان اصل اليونانيين من نسل باوان بن يافث بن نوح وهذا يقرب كثيراً
ما نصه هيرودوتوس لجهة اصل اليونانيين . وكانوا قديماً متوحشين عدي
التمدن يرعون الماشي ويعلمون الارض ويسكنون الكهوف والاكواخ ويكنسون
يجلود الغنم ويقتاتون بالبقول والجذور وقيل انه لما علم فلاسغوس اكل
البوط قدموا له اكراماً الهياً وجعلوه في مصاف الالهة

وفي تلك الاثناء ما في بلادهم قوم من فينيقية قبل لم التيتانيون وكان
ذلك بقرب عصر ابرهم فاخذوا بالالهة الاصليين وعندهم اخذ اليونانيون
جملة معارف فخرجوا عن حالهم المتبررة . ومن ثم تعلموا ايضاً عبادة الهة
الفيثيين كاورانس وساتورنوس وهو زحل عند العرب وزفس او جوبيتر اي
المشتري واصل هؤلاء الالهة بشر قد اشتهروا في امر ما من الامور . وعما قليل
ادخل اليونانيون هؤلاء التيتانيين في مصاف الهتهم اذ كانوا يقدمون لمن اشتهر
منهم اكراماً عظيماً بعد موته وهذا اصل خرافات اليونانيين من جهة الالهة

اما التيتانيون فانشأوا جملة مدائن صارت فيما بعد ما لك صغيرة . من
اقدما مدينة سيمون عند خليج ليباتو كان وضع اساسها في عصر حران جد
ابرهم الخليل اي نحو سنة ٢٠٨٩ ق م . ومدينة ارغوس ايضاً أسست سنة
١٨٥٦ ق م وذلك في اواخر ايام ابرهم وقد ذكر اسم ملك من ملوكها اسمه
اوغييس عاش سنة ١٧٩٦ قبل الميلاد وكان التيتانيون كثيري الغزوات

والمحروب فتلاشوا وانقضوا
وبعد انقراض هؤلاء التبتانيين رجع اليونانيون الى حالتهم القديمة وبقوا



صورة زفس نحت فيدياس الشهير

على ذلك نحو ٢٠٠ سنة الى ان وافي بلادهم رجل مصري يدعى ككرويس
وبعيتة قوم من بلادهم وذلك سنة ١٥٥٦ فاستولوا على اراضي انيكسا وانشأوا فيها

اثنى عشرة مدينة فكان ذلك بداية ملكة اثينا. وتزوج ككروبس المذكور بابتنة ملك تلك البلاد ثم خلفه في الملك بعد موته وكان يومئذ سكان تلك المملكة لم يزالوا عاثين متفرقين بعضهم عن بعض فجمعهم في اثني عشرة قبيلة او جمهوراً وعلمهم زراعة الكرم والحنطة والربثون وسن شرائع للزيجة وطفوساً لاحفالات الدفن لاسيما محكمة اوديون اربوس باغوس الذي اشتهر فيها بعد اشتهاراً كلياً. قيل وبعد موت ككروبس خلفه في الملك على اثينا رجل اسمه امفكتيون فحمل باقي الممالك الصغار الكائنة يومئذ ان يقيموا عهداً فيما بينهم لاجل منفعتهم العمومية فاجابوه الى ذلك وكانت المدن التي دخلت في هذه المعاهدة ترسل نوأباً الى الديان الذي كان يتعقد مرتين في كل عام في مدينة ثرموبوليس ودعي ذلك الاجتماع بالمشورة الامفيكتيونية. ونحو سنة ١٥٥٩ اتى قسماً من بلاد اليونان يدعى بيوتيا رجل فينيقي يدعى كدموس وبني قلعة عظيمة سماها كادمه حيث بني بعد حين حولها مدينة ثيبة اليونانية وهو الذي ادخل معه حروف الهجاء وفن الكتابة. وكان اليونانيون اولاً يكتبون سطرّاً من اليسار الى اليمين ثم سطرّاً من اليمين الى اليسار وهم جرّاً فانتشرت هذه الفنون في بلاد اليونان ومنها الى سائر بلاد المغرب

وكان لليونانيين القدماء عقائد خرافية مضحكة كثيرة لا يسعنا ضبط المقام ابرادها الا اننا نذكر شيئاً من ذلك. فمنها انهم عدوا عدداً كثيراً من الالهة وقالوا انهم ذكور واناث ولدون ويولدون ونسبوا اليهم السلطان على الامور الارضية ووصفوه بجميع الاوصاف والمزايا البشرية الا قبول الموت والفناء. وكان اذا اشتهر احد من الناس بصفات حميدة او ذميمة او باعمال غريبة من كل نوع قدموا له بعد موته احتراماً دينياً وسموه نصف اله وسموا بهنا الاسم ايضاً بعض فحول البشر الذين حسبهم ولدوا من اله وبشر معاً. واقدم الالهة حسب زعم اليونانيين هو الذي تسمى عندهم سيروس اي الفلك. قيل كان له ولدان احدهما اسمه ساتورنوس فتزوج بشقيقته اوبيس وتسمت ايضاً

جدة لانها كانت ام اكثر الالهة والابن الثاني تيتان وهو البكر فاعتلى الملك
 لاخته ساتورنوس على شرط ان يأكل جميع اولاده الذكور لكي يرجع الملك
 بعد حين الى نسل تيتان ففعل كذلك حتى ولدت امراته جوبيتر ابي المشتري
 واخته يونون واخاه نبتون فاخذتهم ولم يأكلهم والدم. ومن ثم تغلب جوبيتر على
 ابيه واخلى الملك من يده وطرده ثم قسم الملك بينه وبين اخويه فاخذ لنفسه
 القسم العلوي المبرعنة عندهم بالسماء واعطى سلطان المياه والابحار الى اخيه
 نبتون وسلطنة القسم السفلى اى جهنم لاخته بلونون ثم دنا نفسه ملك اواله الالهة
 والبشر. وما عدا هؤلاء كان لهم الهة للجبال والسهول والحدود والزراعة والثمار
 للحرب وللصالح للرياح وللعواصف للصنائع وللعلوم والفنون للعبادة وللبنوة
 للنكاح وللخمر وهلم جرا. ولليونان خرافات كثيرة من هذا القبيل لو اردنا
 ذكرها جميعاً لطال بنا المجال

ومن جملة حوادث العصور الخرافية الاسرار الابلوسينية التي اخترعها
 ابركثيوس ملك اتكا اكراماً للالهة سيريس التي اقيمت مرة واحدة في كل
 خمس سنين في مدينة ايلوسيس في شهري آب وابلول وكان لا يؤذن بدخول
 احد اليها الا بعد صلوات وذبايح عديدة للالهة وتطهير الجسد والتعهد بمحفظ
 الاسرار المزمع ان يتسلها. ومنها ايضاً اختراع الملاعب الاولمبية التي اقيمت
 مرة واحدة في كل اربع سنوات في مدينة اولمبية في المورة اكراماً لجوبيتر.
 والملاعب البيثيكية التي اقيمت في مدينة تيبا في المورة كل سنتين اكراماً لهركول
 احد انصاف الالهة وذلك لقتله سبعاً عظيماً في القياض بقرب المدينة المذكورة.
 ومنها ايضاً الملاعب البرزخية التي اقيمت في برزخ كورثوس كل اربع سنين
 اكراماً لنبتون اله البحار. واعظم كل هذه الملاعب هي الاولمبية التي كان يجري
 فيها نوع من المغالبة والمصارعة والمسابقة. وكان الغالب في هذه المجاهدات
 يكلل باكليل من اغصان الزيتون الاخضر ويكرم اكراماً لازيد عليه. وكان
 من اراد المجاهدة فيها يعد نفسه لها بامتناع عن الاطعمة القليظة وانواع

المسكرات وعن كل ما يضعف الجسم وإلى هذا أشار الرسول بولس في
الاصحاح التاسع عدد ٢٤ و٢٧ من رسالته الاولى الى اهل كورنثوس . وهم
الذين ابتدأوا بتقسيم الوقت الى اوليادات ولاولبياد هو مدة اربع سنوات
وفي هذا العصر ايضاً بني الهيكل المشهور لابلون في المورة

الباب الثالث

في حرب طروادة ورجوع الهيراكليدية وحروبهم

ان هذه الحرب على ما جاء من اخبار اليونانيين هي من اشهر حروبهم
القديمة ومعظم حوادثها مأخوذة عن اشعار هوميروس الشاعر اليوناني المشهور
ولا ريب ان كثيراً منها حكايات لا يوثق بصحتها . واسباب هذه الحرب هي
انه كان لبعض ملوك سيارطه التابعة لملكة المورة ابنة بديعة الحسن والجمال
اسمها هيلانة وكانت اشهر نساء عصرها حسناً فزوجها ابوها بمنيلاس ملك
لاكونيا وميسينيا فحدث بعد ذلك انه اتى سيارطه باريس (او اسكندر) بن
بريام وهو ملك قسم عظيم من اسيا الصغرى قاعدته مدينة طروادة الشهيرة
وذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد فآكرمه منيلاس اكراماً لا مزيد عليه
وبعد ان اقام في بلاطه مدة من الزمان كافاه على جميل صنيعه وضيافته بطغيان
زوجته هيلانة فاخذها وفرّ هارباً بها بعد ان اخذ ما لا جزيلاً واتى بها مدينة
والده طروادة . فلما علم منيلاس بذلك شقّ عليه الامر جداً واخذ الفلق والصجر
فبعث الى ملوك اليونانيين واكابرهم يدعوم ان يسعفوه في الانتقام من باريس
فاجابوه الى ذلك وجهزوا جميعاً نجدة عظيمة لمحاربة طروادة تحت امره اغاممنون
اخي منيلاس وملك ميسان وكورنثوس وسيسيون وجهزوا عمارة يبلغ عددها
١١٨٦ سفينة وركب فيها نحو ١٠٠ الف مقاتل وكان الجميع تحت قيادة
اغاممنون المار ذكره واخيه منيلاس . ومن جملة الابطال الذين اشتهروا في هذه

الحرب اشبل وصاحبه باتروكل وديوميد ملك ارغوس واجاكوس والحكيم
متور ويلوس وعولس صاحب الحبل والتداير وغيرهم . واما اهل طروادة
فكانوا تحت قيادة هكتور الشجاع بن ابريام ملك طروادة وفي معاونة اخيه
باريس وسريدون وابنياس الفاضل . ففتح اليونانيون المتحالفون اولاً نجاحاً
عظيماً الا انه وقع بعد حين بينهم شقاق فحسروا ما كانوا قد رجحوا ولكنهم اخيراً
فازوا بانتحاج طروادة بعد حصار دام عشر سنين فنهوا المدينة وخربوها
واحرقوها وقتلوا ابريام ولولاده وسبوا عائلته وكان ذلك نحو سنة ١١٨٤ ق م
وهي تساوي عصر بفتاح احد قضاة بني اسرائيل وبعد ذلك بنحو ثمانين سنة اتي
بعض اليونانيين اى نواحي طروادة وشيدوا كولونية وما بقي من مملكة ابريام انضم
الى مملكة ليدا

وبقرب هذا العصر اي نحو ٨٠ سنة بعد فتح طروادة شبت بين اليونان
حرب شديدة سميت حرب الهيراكليدية وسببها هو ان الهيراكليديين (من نسل
هركول) الذين كانوا قد طردوا من بلادهم في المورة من رجل اسمه اوربستي
جد اغاممنون ومينيلاس رجحوا ومعهم احدى القبائل اليونانية التي انضمت
لنجدتهم وحاربوا اليونانيين اخصامهم واستولوا على مسيني ولاكونيا التي قاعدتها
شبارطه وطردوا الاخائيين الذين التجأوا الى بعض المقاطعات التي بقي لقيهم
عليها وهي اخائية . ومن ثم انقسم الهيراكليديون البلاد التي فتحوها الى ثلاثة اقسام
وهي ارغوليدة ومسيني ولاكونيا

وكان اهل لاكونيا يمجسدون المسيبيين نظراً لحسن موقع بلادهم وجودة
اراضيها وكانوا يترقبون وقوع سبب ما يتخذونه حجة لخارتهم والاستيلاء على
بلادهم الى ان وقع بعض الاسباب فيما بينهم فشبت بينهم حروب شديدة دامت
عشرين سنة وكثيراً ما كاد المسيبيون يهدمون اركان دولة السبارطيين الى ان
فاز اخيراً هؤلاء باهل مسيني وفتحوا بلادهم وطردوهم منها فالتجأوا الى اركاديا
ومنها اقلعوا تحت رئاسة ابني رئيسهم اريستومون الى سيسيليا واستولوا على مدينة

زانكليا ودعوها مسين ولم يزل الاسم عليها الى الآن ثم حارب السبارطيون مملكة اثينا فلم يتصروا عليها ومن ثم صار لسبارطه واثينا التقدم على ممالك بلاد اليونان وسباني الكلام على كليهما في ما ياتي

الباب الرابع

في جمهوريتي سبارطه واثينا

ان مدينة سبارطه كانت قاعدة لأكونيا التي هي قسم من اقسام المورة وموقعها في الجهة الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة المورة ويلها من جهة الشمال مملكتا ارغوس واركاדיا ومن جهة الغرب مسيني ومن الشرق والجنوب البحر المتوسط . قيل ان بانها الملك لكديمون وكان عائشاً في الجبل الخامس عشر ق م وبعد رجوع الهيراكليديني واستيلائهم على لاكونيا وارغوس ومسيني كما تقدم الكلام ملك على لاكونيا ابنا اريستوديم وكان اسم الاول اوريسثين والثاني بروكليس وبعد وفاتها بقيت مملكتها مقسومة الى قسمين ولولاد كل منها يحكمون عليها ودام الحال على هذا المنوال نحو ٩٠٠ سنة وكان بين ملوك القسمين انشقاقات ومخاصات كثيرة في غضون تلك المدة

ونحو سنة ٨٨٤ ق م توفي بوليديكوس احد ملوك القسمين المار ذكرها بلاعقب ناراً زوجته حلي وكان له اخ اسمه ليكورغس شهير بين اليونانيين فراودته امرأة اخيه طالبة ان يتزوج بها ويستبد بالملك من بعد اخيه وانها تمهلك الجنين اذا قبل ان يفعل ذلك . اما ليكورغس فكره ان يرتكب هكذا امراً قبيحاً منكرأ وعندما وضعت امرأة اخيه ذكراً اهتم بتربيته كل الاهتمام ودعاه ملك سبارطه الشرعي وكان يدبر مهام امور دولة ابن اخيه بالنيابة ولكن اذ حصل نفور بينه وبين امرأة اخيه كره ان يبقى على تلك الحال فسافر ليكورغس الى جزيرة كريت ومن ثم الى اسيا الصغرى والى مصر لكي يدرس

علوم تلك البلاد وشرائعها وفي مدة غيابي حدثت في سيارطه مخاصمات وفتن كثيرة وجاهر كثيرون بالعصيان على الملك وشرائع المملكة . فبعث الشعب يطلبون من ليكورغس بلجاجة ان يوافيهم عاجلاً ويتفقد زمام الملك وبقي بلاده من الدمار فاجابهم الى ذلك وعاد راجعاً الى بلاده واخذ حالاً باصلاح البلاد واخذ الثورات والفتن ولول امر فعله هو انه غير هيئة الحكومة من الملكية الى الجمهورية وعما قليل اقتدى به كثير من ممالك اليونانيين بحيث اصبح الحكم الجمهوري غالباً في أكثر البلاد

ولما كان ليكورغس يرغب في ان يجعل تسوية بين وجاهة الملوك والاكابر والعامية رتب لذلك ديواناً مؤلفاً من ثمانية وعشرين شخصاً يتخيم الشعب من اكابر البلاد وجعل ملكي لاكونيا المتقدم ذكرها رئيسي الديوان وكان الديوان المشار اليه يسن الشرائع والقوانين ثم تعرض على جمعية العامة فان ثبنتها الشعب بالمصادقة عليها ثبتت والا ألغيت . واذا اراد ليكورغس ان تكون مبادئه واجراءاته مبنية على اساسات وطيدة اخذ يربط الشعب بعضهم ببعض جاعلاً اياهم كاعضاء عائلة واحدة ولذلك قسم املاك المملكة فيما بينهم بالساواة لكيلا يكون بينهم فقير وغني . وبطل المعاطاة بالذهب والنضة وجعل عوضها قطعاً من حديد

ومن جملة الوسائل التي استعملت بين اهالي سيارطه انهم نظروا الى جميع الاطفال المولودين حديثاً فسلخوا الكاملي البنية منهم الى مرضعات من طرف الجمهورية حتى متى جاء عليهم سبع سنين ادخلوهم الى المدارس وعودوهم الشجاعة والشعب ومقاساة المشقات لكيلا يبالوا بعد حين في امر من الامور . وكان المعلمون يساوون بين سائر الاولاد في التعليم بلا تمييز وكذا النساء ايضاً اكتسبن فضائل الرجال واتخذن ببسالة اولادهن وشجاعتهم واخبرن ان يموتوا في خدمة وطنهم . وقد روي عن امرأة انها عند ذهاب ابنها الى الحرب ناولته ترسة فائتة عذماً به واما عليه اي اغلب او مت كرمياً في القتال . وهكذا بواسطة شرائع

وقوانين مثل هذه تشيدت اركان جمهورية سبارطه وقويت جدًا وتعاظمت ولوقعت الرعب في قلوب جميع ممالك اليونان التي امست تخاف سطوتها وبقيت سبارطه على هذا المنوال نحو ٥٠٠ سنة

اما اثينا فكانت قاعدة مملكة اتيكا قديمًا وكان حكمها اولًا من نوع الملكي حتى زمان احد ملوكها المسمى قودروس الذي كان معاصرًا لشاؤل ملك بني اسرائيل . وفي ايام هذا الملك رجع الهيراكليدي الى المورة كما تقدم وكانوا لما اتوا لمحاربة اثينا استشاروا في هيكمل ابولون الفال فانباهم انهم يفوزون بالغلبة على الاثينيين ان لم يقتل ملكهم قودروس في الحرب واذ كانوا يرضخون لهذه الاوهام احتسوا جدًا من قتلهم واما قودروس فلما علم ذلك تزيى بلباس العامة وانسل بين صفوف الجنود الهيراكليدي وقتل في وسط المعركة حبًا بانفاذ وطنه . ولما علم الهيراكليدي ذلك وراوا جثة ملك اثينا مجندلة بين صفوفهم وكانوا معتقدين كل الاعتقاد بصحة الفال يسسوا من الغلبة وانقلبوا راجعين وذلك سنة ١٠٨٢

اما الاثينيون فبعد موت ملكهم الذي بذل نفسه حبًا ببلادهم لم يجبا ان يولوا بعده ملكًا عليهم فابطلوا الحكم الملكي واقاموا الحكم الجمهوري . فكانوا يولون رؤساء يسمونهم اراكة او اراخنة واول من تولى هذا المنصب ابن قودروس وبنوه من بعده واستمر في الحكم يد ذريتو نحو ٢١٢ سنة وكان الاراخنة في اول الامر يولون مدة حياتهم ثم بعد حين الى عشر سنين ثم بعده الى سنة واحدة فقط وزيد عددهم شيئًا فشيئًا الى تسعة وكانوا جميعًا يشتركون في جميع مهام امور الدولة وكانت وقتئذ الشرائع غير مستوفية النظام والترتيب فقام رئيس الاراكة في ذلك الوقت وشرع في تنظيمها وتجدد ها ووضع قوانين ثقيلة صارمة جدًا فجعل الموت عقابًا لكل ذنب مها كان جرمة عجيبة في ذلك بان ادنى ذنب او تعذر يستوجب الموت ونظرًا لصرامتها قيل انها كتبت بالدم ولكنها اهلأت بعد حين لصعوبتها

ثم انه بقررب سنة ٥٩٤ ق م قام رئيساً للاراكنة صولون الحكيم المشهور وكان من ذرية قودروس فوضع نظاماً جديداً وشرائع وقوانين عادلة مناسبة لروح ذلك العصر واحوال البلاد وجعل السلطة الاجرائية في جمعة من الشعب لا يدخلها الا من كان قد اتي عليه ٢٠ سنة واقام ديواناً عدد اعضائه ٤٠٠ شخص تزيد فيما بعد الى ٥٠٠ عضو وجدد ايضاً ديوان اريوس باغوس وقسم الشعب الى اربع رتب بحسب وجاهتهم وغناهم وانتخب ارباب الوظائف والاحكام من الثالث الرتب الاولى واما الرتبة الرابعة فاشتملت على عامة الشعب. ومن ثم اهتم صولون ايضاً بتوسيع دائرة التجار وترقية المهابات الصنائع والمعامل والفنون وتكثيرها والزم كل انسان ان يباشر عملاً ما من الاعمال لتجصيل ضروريات المعيشة وحرص الناس على العفة وطهارة السيرة والاقتلاع عن استعمال الكلام الخلل في الآداب او بخر اللاتق ومن خالف ذلك عوقب اشد العقاب. ثم ان صولون بعد ان مهد الامور واشهر شرائعها واجراها طلب السياحة خارج بلاده فسافر واتي منازل اليونان في اسيا الصغرى ثم لبيدا التي كان ملكها كريسوس المشهور بالغنى

ولما عاد صولون الى بلاده وجد ان جميع ما كان نظمه ورتبه قد فقد نظامه وراى عوزة فتناً قائمة لم يستطع ان يحمي نيرانها وذلك لان رجلاً يدعى سيسترانوس كان قد اخلس الحكم من الاراكنة فبذل صولون قصارى جهده عبثاً لتخليص البلاد من يد المقتصب فلم ينجح. اما سيسترانوس فنجح باستمالة الشعب اليه وبمعاملته اهل اثينا بالطف والاحسان فزاع الاثينيون في ايام حكمه بالسعادة والراحة وورغد العيش. وكان يحيط بالملك اشهر حكماء ذلك العصر وكان بلاطة كدرة للعلاء وهو اول من اعنى بجمع اشعار هوميروس الشاعر المشهور وبعد موته خلفه ابنه هيبارخوس وهيباس سنة ٥٢٩ ق م. قبل ان هيبارخوس اهان احدى الخدراوات الاثينيات فقام عليه اخوها مع رفيق له فقتلاه فقبض عليها وقتلها. اما هيباس فكان يُقتل على اهل اثينا

ويظلمهم كثيراً فاحتقوا عليه واستغاثوا بأهالي سيارطه ان ينجدهم على طرد ملكهم فلما رأى هيبياس ذلك فرّ هارباً والتجأ الى داريوس ملك الفرس يطلب اليه المساعدة لترجيحه الى ملكه وذلك سنة ٥١٠

وبعد فرار هيبياس قام اثنان من الروساء وهما كليستينوس وايساغوراس وتنازعا الحكم فقوي كليستينوس على ايساغوراس وطرده واستبد وحده في امر ادارة الاحكام فجدد نظامات صولون نفسها واعاد الراحة في البلاد. اما سيارطه فاذا رغبت في ان يكون لها التقدم والسطوة على كل البلاد اليونانية جهزت جيشاً وارسلته تحت قيادة ملكها كليومينيس لتعارض ما احدثه كليستينوس من التغييرات ولكي تعيد ايساغوراس الى الولاية فلم تات مساعيهم بالمقصود وانتصر الاثينيون على اهلي سيارطه ومن تحالف معهم وكسروهم وبددوا ثلهم ولما بلغ ايضاً الولايات المتحدة مع حكومة اثينا ان كليومينيس ملك سيارطه كان قد اتى بهبياس من اسيا الصغرى لكي يوليئه عنوة على اثينا غضبوا من جراء ذلك جداً واظهروا علم رضاهم ومصادقتهم على هذا العمل فاضطر هيبياس ان يلتمج ثانية الى داريوس. وكان داريوس وقتئذ عازماً على محاربة بلاد اليونان واستفتاحها فحسب ما جرى على هيبياس علة مناسبة لفتح الحرب على اليونانيين فبعث يطلب الى الاثينيين ان يعيدوا هيبياس الى ملكه ولما لم يقبلوا جعل داريوس عدم قبولهم اياه سبباً لمهاجمة بلادهم

الباب الخامس

في ما جرى بين اليونان والفرس من سنة ٥٠٠ تقريباً الى

حين تولى فيلبس على مملكة مكدونية سنة ٢٦٠ ق م

اننا قبل ان نشرع في الكلام عن الحروب التي شبت بينهما بين الفرس واليونانيين نذكر ايضاً الاسباب التي مهدت لها السبيل وكانت مصدراً لها ثم

حوادثها بالاختصار فنقول

قد علمنا ما تقدم ان بعض قبائل اليونانيين كانوا قد صنعوا منازل في اسيا الصغرى وسكنوها فصارت مقاطعات يونانية منها كاريا وايونيا وابوليا وكان كريسوس ملك ليديا قد استفتح هذه الاقسام وضماها الى مملكته ولما انتصر كورش على كريسوس ملك ليديا وتغلب عليه انضمت جميع هذه الاقسام الى المملكة الفارسية . وفي عصر داريوس بن هستاسب صهر كورش نهض اهل ايونيا بقلب واحد وقصدوا ان يخلعوا نير الطاعة للفرس وان يخلصوا من عبوديتهم فبعثوا الى ائتنا يطلبون الامداد والمعونة ومثله الى جزائر الارخيل الرومي فاجابوهم الى ذلك وارسلوا اليهم خمسا وعشرين سفينة مع عدد من الجيوش وشرعوا اولاً بحاربة الاساكل البحرية التي كانت خاضعة للفرس وحاصروا براً مدينة سرديس قاعدة ولاية ليديا مقر الوالي المرسل من قبل ملك فارس واحرقوها فوافتهم عساكر الفرس وطردتهم فارتد اليونانيون مدبرين الى بلادهم اما داريوس فلما راي ما فعله اليونانيون شق عليه الامر جداً وعزم من ذلك الوقت على غزو بلادهم واستفتاحها . وكانت العادة في تلك الايام قبل اشهار الحرب ان يرسل الملك رسلاً الى البلاد المجاورة بالعصيان في طلب الطاعة والخضوع فارسل داريوس وفداً الى ائتنا وسبارطه في طلب علامات الخضوع وهي ان يرسلوا تراباً وماء فشتهم اليونانيون ورموا بعضاً منهم في بحر وبعضاً في البوغة فائلين لم خدوا ما شتم من كلمها . واذا تأمل الانسان بعظمة الدولة الفارسية وسطوتها في تلك الايام واتساع دائرة املاكها وضعف الدولة اليونانية وصغرها يتعجب كل العجب من تجاسر اليونان وجراتهم

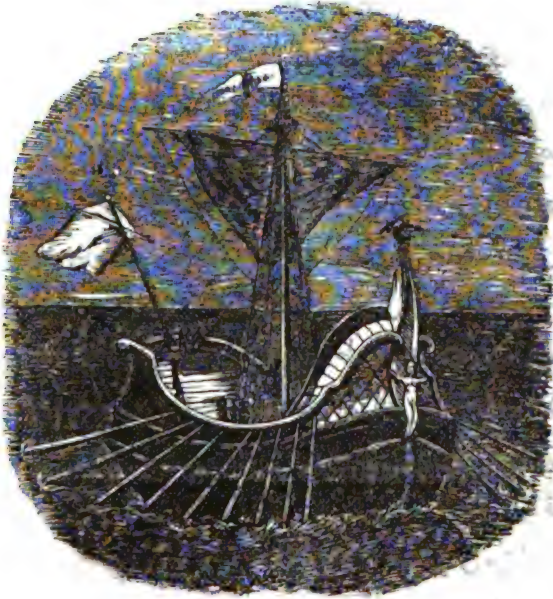
اما داريوس فلما بلغه ما حل برسله في ائتنا وسبارطه وما كان من تجاسر اليونانيين اغناظ غيظاً لا مزيد عليه واعتمد على محاربتهم براً وبحراً فارسل عمارة بحرية مؤلفة من ثلاث مئة سفينة تحت قيادة مردونيوس صهره فهاج عليها نوبة فتكسرت في البحر قبالة جبل اثوس واما الجيوش البرية فبعد ان اخضعوا

مكدونية وتقدموا لمحاربة سپارطه واثنينا هاجمهم البريجيون وكسروهم فارتدوا على الاعقاب

وسنة ٤٩٠ ق م ارسل ايضاً داريوس نجريدة جديدة تحت قيادة داتيس وارنغون مع عمارة بحرية مؤلفة من ست مئة سفينة فجهموا على جزائر الارخيل وفتحوا عدة منها ونهبوا مدينة اريثريا واسروا اهلها وشيعوهم الى بلاد فارس ثم تقدموا الى شطوط اتিকা ونزل الجيش الى البر وعدده ١١٠٠٠٠ مقاتل وكان دليلهم هيپاس المتقدم ذكره فارسلت في الحال اثنينا الى سپارطه تطلب منها نجدة فوعدت بارسال جيش لكنه لاسباب لم يصل الا بعد انتهاء الحرب فتقدم هيپاس بجيش الفرس الى ماراتون وهي بلدة صغيرة على شاطئ البحر تبعد عن اثنينا نحو عشرة اميال فقط فوافاهم عشرة الاف مقاتل من اليونان تحت قيادة القائد ميلتياديس وكان رجلاً ذا دراية وشجاعة واقدم وبعد ان رتب جيشه القليل واقام الحواجز لتقية من هجمات فرسان الفرس وكان جناحه اليمين مستنداً الى جبل عسر المسالك هم اخبروا بجيشه على صفوف الفرس هجمة هائلة صارخون جميعهم الموت او الحرية فلاقاهم الفرس ايضاً واتشبت نيران القتال بين الفريقين في سهل ماراتون ولم يلبث طويلاً حتى انكسر الفرس وتشتت ثملهم اي تشتت واندفعوا جميعاً يتهافتون الى البحر والنجاة الى المراكب طلباً للنجاة بعد ان تركوا من القتلى نحو ٧٠٠٠ قتيل ومن جملتهم هيپاس اما خسارة اليونان فلم تكن سوى نحو ٢٠٠ رجل بين قتيل وجريح واما قواد الفرس فانزلوا جيشهم ثانية املاً بالاستيلاء على اثنينا فدفعهم اليونان مرة اخرى وكسروهم اشركسرة فيثسوا من النصر وعادوا راجعين الى بلادهم بالخيبة والفشل

اما ميلتياديس فاكسب بهذه النصر شهرة لا مزيد عليها. ثم جهزته ايضاً اثنينا بهارة وجيش لكي يذهب لمحاربة الفرس في الجزائر التي كانوا قد استولوا عليها ويطردهم منها فضى ونجح ايضاً نجاحاً كلياً واستخلص جميع تلك الجزائر من الفرس الا جزيرة پاروس فلم يقدر على اخذها ولما عاد الى اثنينا اتهمه اهلها بانه

قد ارتشى من الفرس فغرموه غرامة عظيمة ثم مات بعد ذلك بقليل
وكان يومئذ في اثينا رجلان معتبران احدهما اريستيديس الصديق وهو
افضل الاثينيين في ذلك العصر وكان وقتئذ في المنفى والثاني ثيمستوكليس ولما
راى هذا الاخير المخطر المحدث ببلادهم من جرى هجمات الفرس وكان موقفاً انه
اذا استجدت حرب بين اثينا والفرس تكون على الاغلب بحرية اخذ بحرض
قومه على تكبير سفنهم فامتثلوا مشورته وانشأوا مقدار مئة سفينة
وفي تلك الاثناء توفي داربوس المتقدم ذكره وخلفه ابنه زركسيس الاول



سفينة يونانية حربية قديمة

فعمزم على الانتقام من اليونان وفقاً لمقاصد ابه فاخذ في الاستعداد لذلك وصرف
اربع سنين في الاستعدادات فجهز عارة بحرية عدد سفنها ١٢٠٠ سفينة وجيشاً
عزماً يتوف عن المليون وتقدم لمحاربة اليونانيين فلم يصادف معارضاً الى ان

صار بالقرب من اثينا حيث عزم يونان اثينا وسبارطه مع بعض حلفائهم على مصادمة الفرس والقيادات الى النهاية فتقدم ليونيداس ملك سبارطه بعدد قليل من الرجال منهم ثلث مئة رجل من اهالي سبارطه والثنى الفريكان في مضيق ثرموبيل وهو مضيق بين جبليين في ثساليا . وكان قبل شوبوب الحرب ان زركسيس لما رأى قلة عدد اليونان بعث الى ليونيداس يطلب اليه ان يسلم سلاحه مع انفاره القلائل فاجاب ليونيداس : تعال وخذ : ثم ابتداء القتال ودام يومين وهلك من الفرس عدد كثير ولم يستطيعوا ان ينفذوا من ذلك المضيق وكان عددهم الهائل كالعدم اذ لم يقدر ان يجاروا جميعاً بدأ واحدة ولولا الخيانة لفاز اليونانيون الى النهاية لان رجلاً يونانياً من ثساليا كان قد ارى الفرس طريقاً آخر بين الجبال فهبوا على ليونيداس ورجالهم من وراء ومن قدام وضايقهم جداً . ولما رأى ليونيداس عظم الخطر المهدق به وثيقن الهلاك صرف جميع من كان معه من الرجال الا الثلاث مئة السبارطيين وسبع مئة آخرين احبوا ان يموتوا معه وثبت هؤلاء يدافعون ويحاربون حتى هلكوا جميعاً الا رجلين . وفي نفس ذلك الوقت انتشبت نيران الحرب ايضاً في البحر بين المراكب اليونانية والفارسية ففاز اليونان في اول الامر بعض الفوز ولكن لما بلغهم موت ليونيداس تاخروا واتوا شطوط اثينا بقرب جزيرة سلمينه وتقدم عسكر الفرس ناهباً البلاد ومنسداً ومغترباً حتى دخل اثينا فهرب الاهالي الى السفن فدخلها الفرس ونهبوها واحرقوها

وفي هذا الوقت طلب ثيمستوكليس ترجيع اريستيديس الصديق الذي كان قد نفي فاخذ الاثنان قيادة السفن البحرية مع رجل آخر من سبارطه وحدث وقعة عظيمة بين سفنهم وسفن الفرس وكان عدد الاولى ٢٠٠ والثانية ١٢٠٠ . فدارت الدائرة على الفرس وانكسرت مراكبهم . وكان زركسيس جالساً على البر في مكان عال مشرف على ساحة القتال فلما رأى انكسار سفنه خاف جداً وكان قد بلغه ان اليونان مزعمون ان يقطعوا عليه الطريق باحراقهم

البحر فحرب للحال وقطع البوغاز وجاء الى سرديس ناركاً ٢٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة صهره مردونيوس في ماراتون لكي يجدد الحرب في الربيع. فاجتمع جيشا اثينا وسپارطه وكان عددها ١١٠٠٠٠ مقاتل تحت امره يوزانياس من اهل سپارطه واريسنيديس الاثيني وهاجوا مردونيوس وصاريين الفريقين وقعة مهولة في سهل بيوتيا فانكسر الفرس انكساراً عظيماً ونشنت شلهم وقتل مردونيوس وغنم اليونان غنائم لا تحصى. وفي نفس هذا الوقت كانت الحرب قائمة بحراً عند شطوط اسيا الصغرى وكانت الدائرة فيها ايضاً على الفرس. اما زركسيس الاول الذي كان لم يزل باقياً في سرديس فلما بلغه خبر انكساره براً وبحراً انهم راجعاً الى بلادهم وبعد قليل قتله احد اتباعه.

واما اليونانيون فلم يرجعوا عن محاربة الفرس بعد انتصارهم المتقدم ذكرها وحرّضوا اهل ايونيا على طرح نير الفرس وتخلصهم من عبوديتهم واعانهم على ذلك واستخلصوا منهم جزيرة قبرس. ثم اتوا مدينة يزانتيوم اى القسطنطينية الحالية ونهبوها ورجعوا الى بلادهم بمكاسب وغنائم وافرة ثم شرعوا في ترميم اثينا وحسنوها وزينوها بالابنية الفاخرة والمراح الجميلة ووسعوا مبانيها حتى اضمحت ابي مداخل ذلك العصر واجملها

ومن ثم اخذ اليونانيون يتفوّون ويسترجعون مدنهم في مكثونية شيئاً فشيئاً واما يوزانياس قائدهم العام فلما رأى انهم يريدون ان ينكسوه و يضعوا في طريقه نصعبات اخذ يكتسب ملك الفرس سرّاً واعداً اياه ان يسلمه جميع بلاد اليونان بشرط ان يزوجه ابنته وان يكون نائباً مكانه على البلاد التي يسلمه اياها فاشتبه اليونانيون به ودعوه الى مجلسهم فبرر نفسه اذ لم يكن لهم حجة ظاهرة بمسكوته بها ولكن اذ وقعت ايدهم بعد ذلك رسالة الى زركسيس ارادوا ان يقبضوا عليه فحرب والنجا الى هيكل پلاس فلم يستطيعوا ان يدخلوا اليه لياخذوه منه لانه حسب عندهم حراماً مسك من النجا اليه فسدوا عليه الباب فمات جوعاً. وقيل ان امه هي اول من اخذت حجراً فوضعت على باب الهيكل وان الباقين

لما راوا ذلك فطنوا لسد باب الهيكل . ثم اقاموا الحجة على ثيستوكليس منهميه
بالاشتراك في خيانة بوزانياس فنفوه ايضا من البلاد فالتجأ الى اعظم عدوه
وهو زركسيس الثاني ملك الفرس الذي قبله بكل فرح وترحب به كل
الترحاب وغمره بنعمه فاقام ثيستوكليس في بلاد الفرس الى يوم وفاته . قيل انه
امات نفسه بالسّم لئلا يجبر على اخذ السلاح ضد وطنه مكافاة لما ابداه زركسيس
من المعروف نحوه . وقام بعد نفي ثيستوكليس رئيسا للاراخنة اريستيديس
الصديق وبعد موت هذا تولى الرياسة سيمون بن ملياتيس وكان رجلاً
ذاسعة وديعاً كريماً محباً لجميع الناس فاتحاً بينه وبساتينه الجميلة لمن اراد
الدخول اليها وكانت اصحابه تتبعه حامله نفوداً فكان يعطي المحتاجين من ابناء
وطنه من صادفهم في طريقه . فاغضبت تصرفاته هذه اهل بلاده زاعمين انها
تاتي الشعب والبلاد بخسائر ادية فنفوه وتولى مكانه بريكليس ثم دعوه بعد
خمس سنين وولوه قيادة الجيش وكانت يومئذ المحاصمات والفتن الداخلية آخذة
من اليونانيين كل مأخذ فلكي يلاشها لم يجد لها علاجاً انفع من اشهار الحرب
على الفرس ثانية فانتصر عليهم في عدة وقائع وافتتح الجانب الاعظم من جزيرة
قبرس التي كانت تابعة لم . ولما راى زركسيس ملك الفرس ان مملكته قد
ضعفت في الحروب الكثيرة المستطيلة اضطر ان يطلب الصلح فاجابه سيمون الى
ذلك تحت الثلاثة الشروط الآتية وهي اولاً انه يرفع يده عن جميع املاك اليونان
في اسيا الصغرى وان تكون ممالك مستقلة بذاتها . ثانياً ان يمنع سنه من السير
في البحر . وثالثاً ان عساكره لا تخطأ أكثر من ثلاثة اميال ضمن حدود المنازل
اليونانية غير ان سيمون لم يتمتع بثمرة اعماله العظيمة اذ انه توفي من جرى جرح
اصابه في حصار جزيرة قبرس سنة ٤٤٩ ق م . وبقي بريكليس رئيساً في اثينا بعد
موت سيمون مدة عشرين سنة واهتم كثيراً بتحصين المدينة وترتيبها وفي عصره
بلغ اهلها الدرجة القصوى في اتقان الصنائع والفنون ومعامل البناء لاسيما
بالنقش والتصوير وراجت فيها سوق المعارف والعلوم فكانت مدرسة للعلماء

والعلوم ولذلك سميت ام العلوم والفلسفة. وفي اواخر ايام بريكليس وقع خلاف وشقاق بين اثينا وسبارطه كانت نتيجةها اخيراً شوب نيران الحرب الطويلة التي دامت مدة ثمانى وعشرين سنة وسميت حروب الهلبونيسوس اى حروب المورة. وكان السبب في ذلك انه لما وقعت حرب بين ولاية كورنثوس وجريمة كورفو ان بريكليس عرض حكومة اثينا على مساعدة اهل كورفو فحسب هذا الامر في سبارطه تعدياً ونكثاً للهود التي كانت قد اقيمت بين ممالك اليونانيين. وكانت سبارطه تنظر الى اثينا ونجاحها بعين الحسد وترقب الفرص لاذلالها وتنكيس شوكتها فطلبت اليها ان تنفي العائلة الاكمينيدية كانها تريد بذلك نفي بريكليس. فهذه الاسباب وغيرها مما لايسعنا ضيق المقام لاستيفائها كان من شأنها جميعاً اثارة الحرب المذكورة

ففي سنة ٤٣١ ق م ثبت نيران تلك الحروب ودامت الى سنة ٤٠٤ بدون انقطاع. فكان من الجهة الواحدة سبارطه وكورنثوس وجميع ولايات المورة الى ارغوس واكثر الممالك الشمالية ومن الجهة الاخرى اثينا ونساليا وبعض جزائر الارخبيل الرومي وكان عدد جيش اثينا يبلغ نحو ٢٢٠٠٠ مقاتل وعدد جيش سبارطه ٦٠٠٠ مقاتل تحت امر ارخيداموس ملكهم. اما الاثينيون ففاقوم جداً بالقوة المجرية فاشتملت بينهم الحروب برأً وبحراً وملك منهم عدد عظيم جداً في مدة الثمانى والعشرين سنة التي دامت الحروب فيها وكان الانتصار نارة لاثينا واخرى لسبارطه. ولكن في السنة الاخيرة من هذه الحروب قام في سبارطه رجل شهيد ذو حذق ودراية عارف فن الحرب وابوابه وهو ليساندروس فانتصر على جيش اثينا انتصاراً عظيماً ومن ثم تقدم وحاصر اثينا برأً وبحراً وما زال يشدد عليها الحصار حتى طلبت التسليم فعقد شروط الصلح واصبحت اثينا بموجبها خاضعة لحكومة سبارطه التي صارت بعد ذلك من اعظم الولايات اليونانية واقواها. فتكبر السبارطيون جداً وتعظموا وشرعوا في المظالم والعدوان وابطل ليساندروس من اثينا الحكم الجمهوري ونظامها القديم

واقام عوضها ثلاثين عنصراً او رئيساً تحت امر حكومة سبارطه فشرع هؤلاء يظلمون ويعتسفون الاثينيون ويجورون عليهم كثيراً وقتلوا منهم في مدة اقل من سنة عدداً عظيماً وما زالوا يظلمون ويتعدون الى ان ضجر منهم الاثينيون وشرعوا يتآمرون في ايجاد طريقة لخلع نير هؤلاء المركة وكان يومئذ في اثينا رجل ذو دراية وحذق اسمه ثراسيبولوس فنهض مع اهل اثينا جميعاً وطردها الثلاثين رئيساً السبارطيين ورجعوا الحكم الجمهوري وذلك بمساعدة بوزانياس ملك سبارطه نفسها لانه كان يكره ليسانديروس ويحشى سطوته واعادوا نظمات صولون

وفي هذا العصر عاش سقراط وهو اشهر فلاسفة اليونان واول من علم بوحانية الله ومخلود النفس وكان رجلاً تقياً ورعاً فاشتكى عليه اهل اثينا زاعمين بانه يفسد عقول الناس بتعاليمه فحكم عليه بالموت وذلك بشرب عصير الشوكران وقد ترك تعاليم مفيدة جداً الا انه لم يكتب منها شيئاً في حياته وانما كتب بعد موته عن يد تلميذه افلاطون

وكان اليونانيون المستوطنون في ولايات اسيا الصغرى اليونانية قد قاموا على زركسيس الثاني بن داريوس نوثوس ملك الفرس وطلبوا مساعدة سبارطه فارسلت جيشاً لتجديدهم تحت قيادة ملكهم اجيزيلاس فمجددت الحرب ثانية بين اليونان والفرس فقدم اجيزيلاس الى اسيا الصغرى وفزع فريجة ومنها تقدم نحو بلاد فارس نفسها فخاف زركسيس جداً واخذ يجرّض اثينا وغيرها من بلاد اليونان ممن كان بينها وبين سبارطه عداوة ان يقوموا لمحاربة سبارطه فالتزم اجيزيلاس ان يعود الى بلاده للمحاربة عنها ولولا ذلك لهدم اركان السطوة الفارسية وبعد ان دامت الحرب جملة سنين عقد اخيراً الصلح المعروف بصلح اتلسيداس وهو ان يصير ارجاع اسيا الصغرى وجزيرة قبرس للفرس وان مدن هيلاس وجزائرها كافة تكون مستقلة قائمة بذاتها ما عدا جزائر لمنوس وامبروس وسيروس فتنضم الى اثينا وان ملك الفرس وسبارطه يقيمان

حوادثها بالاختصار فنقول

قد علمنا ما تقدم ان بعض قبائل اليونانيين كانوا قد صنعوا منازل في اسيا الصغرى وسكنوها فصارت مقاطعات يونانية منها كاريا وايونيا وابوليا وكان كريسوس ملك ليديا قد استنقح هذه الاقسام وضمها الى مملكته ولما انتصر كورش على كريسوس ملك ليديا وتغلب عليه انضمت جميع هذه الاقسام الى المملكة الفارسية . وفي عصر داريوس بن هستاسب صهر كورش نهض اهل ايونيا بقلب واحد وقصدوا ان يخلعوا نير الطاعة للفرس وان يخلصوا من عبوديتهم فبعثوا الى اثينا يطلبون الامداد والمعونة ومثله الى جزائر الارخيل الرومي فاجابوهم الى ذلك وارسلوا اليهم خمسا وعشرين سفينة مع عدد من الجيوش وشرعوا اولاً بمحاربة الاساكل البحرية التي كانت خاضعة للفرس وحاصروا براً مدينة سرديس قاعدة ولاية ليديا مقر الوالي المرسل من قبل ملك فارس واحرقوها فوافتهم عساكر الفرس وطردتهم فارتد اليونانيون مدبرين الى بلادهم اما داريوس فلما رأى ما فعله اليونانيون شق عليه الامر جداً وعزم من ذلك الوقت على غزو بلادهم واستفاحتها . وكانت العادة في تلك الايام قبل اشهار الحرب ان يرسل الملك رسلاً الى البلاد المجاورة بالعصيان في طلب الطاعة والخضوع فارسل داريوس وفداً الى اثينا وسبارطة في طلب علامات الخضوع وهي ان يرسلوا تراباً وماء فشتهم اليونانيون ورموا بعضاً منهم في بحر وبعضاً في بالوعة فائلم لم خذوا ما شتتم من كليهما . واذا تأمل الانسان بعظمة الدولة الفارسية وسطوتها في تلك الايام واتساع دائرة املاكها وضعف الدولة اليونانية وصغرها يتعجب كل العجب من تجاسر اليونان وجرائمهم

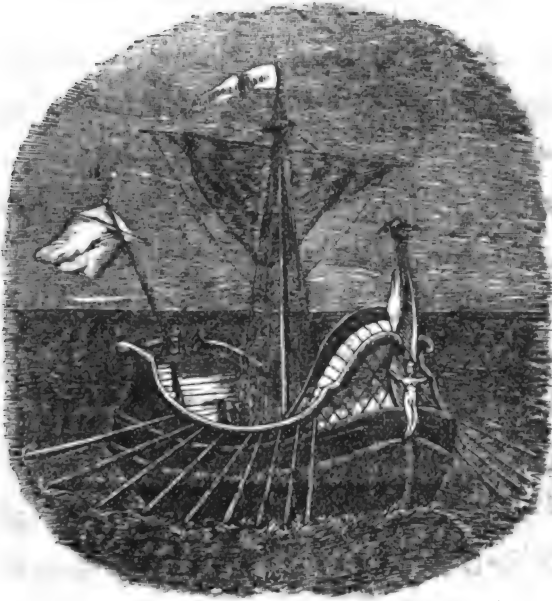
اما داريوس فلما بلغه ما حل برسله في اثينا وسبارطة وما كان من تجاسر اليونانيين اغناظ غيظاً لا مزيد عليه واعتمد على محاربتهم براً وبحراً فارسل غارة بحرية مؤلفة من ثلاث مئة سفينة تحت قيادة مردونيوس صهره فهاج عليها نوا فتكسرت في البحر قبالة جبل اثوس واما الجيوش البرية فبعد ان اخضعوا

مكدونية وتقدموا لمحاربة سپارطه واثنينا هاجم البريجيون وكسروهم فارتدوا على الاعقاب

وسنة ٤٩٠ ق م ارسل ايضاً داريوس نجريدة جديدة تحت قيادة داتيس وارغون مع عمارة بحرية مؤلفة من ست مئة سفينة فجهموا على جزائر الارخبيل وفتحوا عدة منها ونهبوا مدينة اريثريا واسروا اهلها وشيعوهم الى بلاد فارس ثم تقدموا الى شطوط اتيكا ونزل الجيش الى البر وعدده ١١٠٠٠٠ مقاتل وكان دليهم هيبياس المتقدم ذكره فارسلت في الحال اثنينا الى سپارطه تطلب منها نجدة فوعدت بارسال جيش لكنه لاسباب لم يصل الا بعد انتهاء الحرب فتقدم هيبياس بجيش الفرس الى ماراثون وهي بلدة صغيرة على شاطئ البحر تبعد عن اثنينا نحو عشرة اميال فقط فوافاهم عشرة الاف مقاتل من اليونان تحت قيادة القائد ميلتياديس وكان رجلاً ذا دراية وشجاعة واقدم وبعد ان رتب جيشه القليل واقام المحاذير لتفقيه من هجمات فرسان الفرس وكان جناحه اليمين مستنداً الى جبل عسر المسالك هم اخيراً بجيشه على صفوف الفرس هجمة هائلة صارخين جميعهم الموت او الحرية فلاقاهم الفرس ايضاً واتشبت نيران القتال بين الفريقين في سهل ماراثون ولم يلبث طويلاً حتى انكسر الفرس وتشتت شملهم ايّ تشتت واندفعوا جميعاً ينهاتون الى البحر والنجاوا الى المراكب طلباً للنجاة بعد ان تركوا من القتلى نحو ٧٠٠٠ قتيل ومن جملتهم هيبياس اما خسارة اليونان فلم تكن سوى نحو ٢٠٠ رجل بين قتيل وجريح واما قواد الفرس فانزلوا جيشهم ثانية املأ بالاستيلاء على اثنينا فدفعهم اليونان مرة اخرى وكسروهم اشركرة فيسوا من النصر وعادوا راجعين الى بلادهم بالخيبة والفشل

اما ميلتياديس فاكتسب بهذه النصر شهرة لا مزيد عليها. ثم جهزته ايضاً اثنينا بعارة وجيش لكي يذهب لمحاربة الفرس في الجزائر التي كانوا قد استولوا عليها ويطردهم منها فمضى ونجح ايضاً بنجاحا كلياً واستخلص جميع تلك الجزائر من الفرس الا جزيرة باروس فلم يقدر على اخذها ولما عاد الى اثنينا اتهمه اهلها بأنه

قد ارتشى من الفرس فغرموه غرامة عظيمة ثم مات بعد ذلك بقاليل
 وكان يومئذ في اثينا رجلان معتبران احدهما اريستيديس الصديق وهو
 افضل الاثينيين في ذلك العصر وكان وقتئذ في المنفى والثاني ثيبستوكليس ولما
 راي هذا الاخبر الخطر المحقق ببلادهم من جرى هجمات الفرس وكان موقفاً انه
 اذا استجدت حرب بين اثينا والفرس تكون على الاعاب بحرية اخذ بحرض
 قومه على تكثير سفنهم فامثلوا مشورته وانشأوا مقدار مئة سفينة
 وفي تلك الاثناء توفي داريوس المتقدم ذكره وخلفه ابنه زركسيس الاول



سفينة يونانية حربية قديمة

فغزم على الانتقام من اليونان وفقاً لمقاصد ابيه فاخذ في الاستعداد لذلك وصرف
 اربع سنين في الاستعدادات فجهز عمارة بحرية عدد سفنها ١٢٠٠ سفينة وجيشاً
 عظيمماً ينوف عن المليون وتقدم لمحاربة اليونانيين فلم يعادف معارضاً الى ان

صار بالقرب من اثينا حيث عزم يونان اثينا وسبارطة مع بعض حلفائهم على مصادمة الفرس والنبات الى النهاية فتقدم ليونيداس ملك سبارطة بعدد قليل من الرجال منهم ثلث مئة رجل من اهالي سبارطة والثنى الفريقان في مضيق ثرموبيل وهو مضيق بين جبلين في ثساليا . وكان قبل شبوب الحرب ان زركسيس لما رأى قلة عدد اليونان بعث الى ليونيداس يطلب اليه ان يسلم سلاحه مع انقاره التلائل فاجاب ليونيداس : تعال وخذ : ثم ابتداء القتال ودام يومين وهلك من الفرس عدد كثير ولم يستطيعوا ان ينفذوا من ذلك المضيق وكان عددهم الهائل كالعدم اذ لم يقدر ان يجاربوا جميعاً يداً واحدة ولولا الحيانة لفاز اليونانيون الى النهاية لان رجلاً يونانياً من ثساليا كان قد ارى الفرس طريقاً آخر بين الجبال نهجوا على ليونيداس ورجاله من وراءه ومن قدام وضاقوم جداً . ولما رأى ليونيداس عظم الخطر المهدق به وثيقن الهلاك صرف جميع من كان معه من الرجال الا الثلاث مئة السبارطيين وسبع مئة آخرين احبوا ان يموتوا معه وثبت هؤلاء يدافعون ويحاربون حتى هلكوا جميعاً الا رجلين . وفي نفس ذلك الوقت انتشبت نيران الحرب ايضاً في البحر بين المراكب اليونانية والفارسية ففاز اليونان في اول الامر بعض الفوز ولكن لما بلغهم موت ليونيداس تاخروا واتوا شطوط اثينا بقرب جزيرة سليهه ونقدم عسكر الفرس ناهياً البلاد ومنسداً ومغرباً حتى دخل اثينا فحرب الاهالي الى السفن فدخلها الفرس ونهبوها واحرقوها

وفي هذا الوقت طلب ثيمستكليس ترجيع اريستيديس الصديق الذي كان قد نفي فاخذ الاثنان قيادة السفن البحرية مع رجل آخر من سبارطة وحدث وقعة عظيمة بين سفنهم وسفن الفرس وكان عدد الاولى ٢٠٠ والثانية ١٢٠٠ . هدارت الدائرة على الفرس وانكسرت مراكبهم . وكان زركسيس جالساً على البر في مكان عال . مشرف على ساحة القتال فلما رأى انكسار سفنه خاف جداً وكان قد بلغه ان اليونان مزعمون ان يقطعوا عليه الطريق باحراقهم

المجسر ضرب للحال وقطع البوغاز وجاء الى سرديس ناركاً ٢٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة صهره مردونيوس في مارانون لكي يحدد الحرب في الربيع. فاجتمع جيش اثينا وسپارطه وكان عددها ١١٠٠٠٠ مقاتل تحت امرة پوزانياس من اهل سپارطه واريسنيديس الاثيني وهاجموا مردونيوس وصاريين الفريقين وقعه مهولة في سهل بيوتيا فانكسر الفرس انكساراً عظيماً وتشتت شملهم وقتل مردونيوس وغنم اليونان غنائم لا تحصى. وفي نفس هذا الوقت كانت الحرب قائمة مجراً عند شطوط اسيا الصغرى وكانت الدائرة فيها ايضاً على الفرس. اما زركسيس الاول الذي كان لم يزل باقياً في سرديس فلما بلغه خبر انكساره براً وبحراً انهزم راجعاً الى بلاده وبعد قليل قتله احد اتباعه.

واما اليونانيون فلم يرجعوا عن محاربة الفرس بعد انتصاراتهم المتتالية. ذكرها وحرّضوا اهل ابونيا على طرح نير الفرس وتخلّصهم من عبوديتهم واعانهم على ذلك واستخلصوا منهم جزيرة قبرس. ثم اتوا مدينة ييزانتيوم اى القسطنطينية الحالية ونهبوها ورجعوا الى بلادهم بمكاسب وغنائم وافرة ثم شرعوا في ترميم اثينا وحصنوها وزينوها بالابنية الفاخرة والمرايح الجميلة ووسعوا مبانيها حتى اضمحت ابي مدائن ذلك العصر واجملها.

ومن ثمّ اخذ اليونانيون بتنفّوس ويسترجعون مدنهم في مكثونية شيناً فشيناً واما پوزانياس قائدهم العام فلما رأى انهم يريدون ان ينكسروا ويضعوا في طريقه تعصبات اخذ يكاتب ملك الفرس سراً واعداً اياه ان يسلمه جميع بلاد اليونان بشرط ان يزوجه ابنته وان يكون نائباً مكانه على البلاد التي يسلمها اياها فاشتبه اليونانيون به ودعوه الى مجلسهم فبرر نفسه اذ لم يكن لهم حجة ظاهرة بمسكوته بها ولكن اذ وقعت ايدهم بعد ذلك رسائل الى زركسيس ارادوا ان يقبضوا عليه فهرب والتجأ الى هيكل پلاس فلم يستطيعوا ان يدخلوا اليه لياخذوه منه لانه حسب عندهم حراماً مسك من التجأ اليه فسدوا عليه الباب فمات جوعاً. وقبل ان امه هي اول من اخذت حجراً فوضعت على باب الهيكل وان الباقيين

لما راوا ذلك فطنوا لسد باب الهيكل . ثم اقاموا الحجّة على ثيستوكليس متمهية
بالاشتراك في خيانة بوزانياس فنفعوه ايضاً من البلاد فالتجأ الى اعظم عدو له
وهو زركسيس الثاني ملك الفرس الذي قبله بكل فرح وترحب به كل
الترحاب وغمره بنعمه فاقام ثيستوكليس في بلاد الفرس الى يوم وفاته . قبل ان
امات نفسه بالسّم ثلاثاً يجبر على اخذ السلاح ضد وطنه مكافأة لما ابداه زركسيس
من المعروف نحوه . وقام بعد نفي ثيستوكليس رئيساً للاراخنة اريستيديس
الصديق وبعد موت هذا تولى الرياسة سيمون بن ميثياديس وكان رجلاً
ذاسعةً وديعاً كريماً محباً لجميع الناس فاتحاً بيته وبساتينه الجميلة لمن اراد
الدخول اليها وكانت اصحابه تتبعه حاملة نفوداً فكان يعطي المحتاجين من ابناء
وطنه من صادفهم في طريقه . فاغضبت تصرفاته هذه اهل بلاده زاعمين انها
تاتي الشعب والبلاد بخسائر اديّة فنفعوه وتولى مكانه بريكليس ثم دعوه بعد
خمس سنين وولوه قيادة الجيش وكانت يومئذٍ الخاصات والفن الداخلية آخذة
من اليونانيين كل مأخذ فلما يلاشها لم يجد لها علاجاً انفع من اشهار الحرب
على الفرس ثانية فانتصر عليهم في عدة وقائع وافتتح الجانب الاعظم من جزيرة
قبرس التي كانت تابعة لهم . ولما راى زركسيس ملك الفرس ان مملكته قد
ضعفت في الحروب الكثيرة المستطيلة اضطر ان يطلب الصلح فاجابه سيمون الى
ذلك تحت الثلاثة الشروط الآتية وهي اولاً انه يرفع يده عن جميع املاك اليونان
في اسيا الصغرى وان تكون ممالك مستقلة بذاتها . ثانياً ان يمنع سفنه من السير
في البحر . وثالثاً ان عساكره لا تقتطع اكثر من ثلاثة اميال ضمن حدود المنازل
اليونانية غير ان سيمون لم يتمتع بثمره اعماله العظيمة اذ انه توفي من جري جرح
اصابه في حصار جزيرة قبرس سنة ٤٤٩ ق م . وبقي بريكليس رئيساً في اثينا بعد
موت سيمون مدة عشرين سنة واهتم كثيراً بتحصين المدينة وترتيبها وفي عصره
بلغ اهلها الدرجة القصوى في اتقان الصنائع والفنون ومعامل البناء لاسيما
النقش والتصوير وراجت فيها سوق المعارف والعلوم فكانت مدرسة للعلماء

والعلوم ولذلك سميت ام العلوم والفلسفة. وفي اواخر ايام بريكليس وقع خلاف وشقاق بين اثينا وسبارطه كانت تبيجتها اخيراً شوب نيران الحرب الطويلة التي دامت مدة ثمانى وعشرين سنة وسميت حروب اليليبونيسوس اى حروب المورة. وكان السبب في ذلك انه لما وقعت حرب بين ولاية كورنثوس وجزيرة كورفو ان بريكليس عرض حكومة اثينا على مساعدة اهل كورفو فحسب هذا الامر في سبارطه تعدياً ونكثاً للهود التي كانت قد اقيمت بين ممالك اليونانيين. وكانت سبارطه تنظر الى اثينا ونجاحها بعين الحسد وترقب الفرص لاذلالها وتنكيس شوكتها فطلبت اليها ان تنفي العائلة الالكيمونيدية كانها تريد بذلك نفي بريكليس. فهذه الاسباب وغيرها مما لايسعنا ضيق المقام لاستيفائها كان من شأنها جميعاً اثارة الحرب المذكورة

ففي سنة ٤٢١ ق م ثبت نيران تلك الحروب ودامت الى سنة ٤٠٤ بدون انقطاع. فكان من الجهة الواحدة سبارطه وكورنثوس وجميع ولايات المورة الى ارغوس واكثر الممالك الشمالية ومن الجهة الاخرى اثينا وفساليا وبعض جزائر الارخبيل الرومي وكان عدد جيش اثينا يبلغ نحو ٢٢٠٠٠ مقاتل وعدد جيش سبارطه ٦٠٠٠ مقاتل تحت امر ارخيداموس ملكهم. اما الاثينيون ففاقوم جداً بالقوة البحرية فاشتعلت بينهم الحروب برّاً وبحراً وملك منهم عدد عظيم جداً في مدة الثمانى والعشرين سنة التي دامت الحروب فيها وكان الانتصار نارة لاثينا واخرى لسبارطه ولكن في السنة الاخيرة من هذه الحروب قام في سبارطه رجل شهيد ذو حذق ودراية عارف فن الحرب وابوابه وهو ليساندروس فانتصر على جيش اثينا انتصاراً عظيماً ومن ثم تقدم وحاصر اثينا برّاً وبحراً وما زال يشدد عليها الحصار حتى طلبت التسليم فعند شروط الصلح واصبحت اثينا بموجبها خاضعة لحكومة سبارطه التي صارت بعد ذلك من اعظم الولايات اليونانية واقواها. فتكبر السبارطيون جداً وتعظفوا وشرعوا في المظالم والعدوان واطل ليساندروس من اثينا الحكم الجمهوري ونظامها القديم

واقام عوضها ثلاثين عنصراً او رئيساً تحت امر حكومة سبارطه فشرع هؤلاء يظلمون ويعتسبون الاثينيين ويجورون عليهم كثيراً وقتلوا منهم في مدة اقل من سنة عدداً عظيماً وما زالوا يظلمون ويتعدون الى ان ضجر منهم الاثينيون وشرعوا يتآمرون في ايجاد طريقة لخالع نير هؤلاء المركة وكان يومئذ في اثينا رجل ذو دراية وحذق اسمه ثراسيبولوس فنهض مع اهل اثينا جميعاً وطردها الثلاثين رئيساً السبارطيين ورجعوا الحكم الجمهوري وذلك بمساعدة بوزانياس ملك سبارطه نفسها لانه كان يكره ليساندروس ويخشي سطوته واعادوا نظمات صولون

وفي هذا العصر عاش سقراط وهو اشهر فلاسفة اليونان واول من علم بوحانية الله ومخلود النفس وكان رجلاً نقياً ورعاً فاشتكى عليه اهل اثينا زاعمين بانه يفسد عقول الناس بتعاليمه فحكم عليه بالموت وذلك بشرب عصير الشوكران وقد ترك تعاليم مفيدة جداً الا انه لم يكتب منها شيئاً في حياته وانما كتب بعد موته عن يد تلميذه افلاطون

وكان اليونانيون المستوطنون في ولايات اسيا الصغرى اليونانية قد قاموا على زركسيس الثاني بن داربوس نوثوس ملك الفرس وطلبوا مساعدة سبارطه فارسلت جيشاً لتجديدهم تحت قيادة ملكهم اجيزيلاس فمجددت الحرب ثانية بين اليونان والفرس فقدم اجيزيلاس الى اسيا الصغرى وفتح فرجيحة ومنها تقدم نحو بلاد فارس نفسها فخاف زركسيس جداً واخذ يجرّض اثينا وغيرها من بلاد اليونان ممن كان بينها وبين سبارطه عداوة ان يقوموا لمحاربة سبارطه خالتم اجيزيلاس ان يعود الى بلاده للحمالة عنها ولولا ذلك لهدم اركان السطوة الفارسية وبعد ان دامت الحرب جملة سنين عقد اخيراً الصلح المعروف بصلح اتلستيداس وهو ان يصير ارجاع اسيا الصغرى وجزيرة قبرس للفرس وان مدن هيلاس وجزائرها كافة تكون مستقلة قائمة بذاتها ما عدا جزائر الخوس وامبروس وسيروس فتنضم الى اثينا وان ملك الفرس وسبارطه يقيمان

الحرب على كل من لا يعمل بموجب شروط هذه المعاهدة . وكان ذلك سنة

٢٨٨ ق م

هذا ولما كانت الحرب قائمة على ساقٍ وقدم بين اثينا وسبارطه تقوت
ثيبة جداً وصارت ذات سطوة كلية وما زالت في نجاحٍ واقبال حتى أصبحت
قاعدة للندن والأراضي المجاورة لها . اما سبارطه التي كانت تحب ان تترأس على
جميع الممالك اليونانية فلما رأت نجاح ثيبة خافت من تزايد سطوتها وقوتها
فارسلت جيشاً واخذتها فجأة واقامت عليها ولاية من قبلها فشرعوا يقتلون
ويظلمون ويجرون على الاهالي كما جرى في اثينا فهرب كثيرون من الاهالي
وانتقلوا الى ثيبة فاعنط الاثينيون من هذا الفعل البربري وتظاهروا بالميل الى ثيبة
اما سبارطه ففجئت ايضاً من هذا الفعل القبيح وقاصت القائد الذي فعل ذلك
الا انها لم تتنازل عن الاستيلاء على ثيبة ولحقاتها . فقام اخيراً ايبامينونداس
ويلويداس رجلان شهيران من اعمال ثيبة وقتلا ظالم بلادها . فثبتت من ذلك
حرب شديدة بين سبارطه وثيرية ودامت زماناً ليس بقليل ففاز اهل ثيبة اولاً
فوزاً عظيماً في واقعة حدثت بقرب لوكرا احدى مدن اركاديا في المورة
وتقدموا بانتصار حتى ابواب سبارطه نفسها واحرقوا مدناً كثيرة ونهبوا سبارطه
ثم عادوا الى بلادهم فاترين غانمين . ثم تجددت الحرب ايضاً بعد مدة وجيزة
وكانت الغلبة لايامينونداس ايضاً ولكنه قُتل في الحرب وقبل موته بقليل بينما
كان متظراً نتيجة الموقعة التي كانت سبباً لموته لما اخبروه ان الفوز كان لم
صرخ قائلاً كفاني حياة ونزع السهم الذي كان ما زال في جسده واسلم الروح
فكانت به بداية سطوة ومجد ثيبة ونهايتها بنهايتها فعقدت الصلح مع سبارطه لكي
تبقى اقلما يكون على ما كانت عليه من الاستقلال لانها امست خائفة سبارطه بعد
فقد قائدها ايبامينونداس . واما اجيزيلاس ملك سبارطه فمع ما كان عليه من
الشجوخة اذ كان ابن ٨٠ سنة لم يطب له عيش الا بالحروب فاتي مصر لمحاربة
الفرس فلقى الموت هناك وبموت ارتاحت البلاد وعظم السلام على ان الآداب

اخذت من هذا الوقت مهاجر ربوع البلاد اليونانية وكسدت فيها سوق التقدم
والفلاح واخذت تميل ويتفقر ادياً
وبقرب هذا الوقت حدث في مكدونية قلاقل كثيرة وذلك ان استاناس
ملكها توفي تاركا ثلاثة بنين فشرع هؤلاء يتنازعون الملك فبعث المكدونيون
وفداً الى ثيبة يطلبون مساعدتها في نزع الخصام من بلادهم فارسلت ثيبة عسكرياً
تحت امر ميلوبيداس لكي يصلح احوال تلك البلاد ولما اتى مكدونية ولي احد
ملكها عليها ومهد الاحوال وعاد معه فيلبس اخو الملك وهو ابو اسكندر الكبير
وعدد من اعيان البلاد رهناً ومن حين انتصار ثيبة على سيارطه المرة الاخيرة
وعقد الصلح بينهما لم يحدث بين اليونانيين امر مهم حتى زمان تلك فيلبس
المذكور آنفاً على بلاد مكدونية

الباب السادس

في مملكة مكدونية وقيام فيلبس سنة ٢٦٠ ق م الى

موت الاسكندر

ان تاريخ بداية هذه المملكة كالتواريخ مباني باقي الممالك والشعوب محاطاً
بظلمة كثيفة اما مؤسسها ولول ملوكها فرجل اسمه كرانوس عاش في اوائل
الجيل الثامن ق م والمظنون ان المكدونيين واليونانيين هم من اصل واحد على
ان اليونان حسبوا المكدونيين نصف برايرة كباقي الامم ولم يكن لهم صوت في
المشورة الامفيكتيونية وكانت السلطنة في يد اشراف البلاد على نوع ما ولم
يكن لللك شيء من الاستقلال والجنود كانوا طوعيين اذا شاموا تبعوا الملك
في غزواته وحروبه لاسيما اذا علموا ان في ذلك لهم فخراً او غنائم ليسابوها .
وكان ملوكها خاضعين للفرس زماناً طويلاً غير انهم في زمن حروب البليونيزية
اخذوا يتخلصون نوعاً من ثقل ذلك النير ومن هدة بحر الظلام والجهالة

وقد علمنا في ما تقدم ان فيلبس الذي كان ابن الملك السادس عشر من ملوك مكدونية كان قد أخذ الى ثيبة عندما اتى يلويداس الى مكدونيا ليرتفع منها القاتل والفساد وكان يومئذ عمره نحو ١٠ سنين فاقام في ثيبة نحو اثني عشرة سنة فتعلم اموراً كثيرة مفيدة ودرس عند ايبامينوناس فن الحرب وابوابه ولما بلغه خبر قتل اخيه المالك في مكدونيا هرب الى بلاده فوجدها مضطربة نائرة وكان لاهي فيلبس ولد صغير السن فأخذ عمه فيلبس على نفسه ان يكون وصياً له واعنى بامرتيته وحكم باسمه ولكن عما قليل قام المكدونيون وطلبوا اليه ان يكون هو الملك الشرعي عليهم اذ لا يريدون ان وصياً يملك عليهم فاجاب طلبهم وتولى زمام المملكة وكان حينئذ عمره نحو ٢٥ سنة. وقبل ان يتبوأ تخت الملك خرج لمحاربة جيوش اعداء كثيرين كانوا يهددون عرش ملك ابن اخيه فاتصر عليهم جميعاً وبدد ثلهم واخضع جملة اماكن فاجبه قومه كثيراً ولما تمكن فيلبس في الملك اخذ يدبر واسطة لاختضاع باقي المالك اليونانية وضمها الى ملكه. وكانت سيارطه واثينا اقوى المالك اليونانية قد ضعفتا من الحروب التي وقعت بينهما وبين الفرس. وثيبة ايضاً كانت قد وهنت من حروبها مع سيارطه وفقد قائدها الهامر ايبامينوناس فاخذ يزرع الشقاق والفساد بين هاتيك المالك وكان له في جميعها اناس من اهلها واعيانها في خدمته الذين ساعدوا كثيراً في اجراء واتمام مقاصده هذا وكان قد وجد في نواحي مدينة فيلي معادن من فضة وذهب فاستخرج منها اموالاً وكثوراً وافرة ساعدته كثيراً في اتمام مرغويه اذ استطاع ان يتصر بواسطتها حيث لم يقدر يتصر بجيوش السلاح. وفي سنة ٢٥٦ ق م وهي السنة الرابعة من ملكه وضعت زوجته الملكة اولمبياس ولناً ذكراً فمأه اسكندر ولما نشأ قليلاً سلمه الى الفيلسوف اريستوطاليس الشهير لكي يعتني بتعليمه وتهذيبه فنشأ شاباً اديباً شجاعاً كما سيأتي الكلام عنه

وبقرب هذا الوقت حدث بين ممالك اليونان حرب شديدة سميت

الحرب المقدسة مهدت لفيلبس السيل الذي طالما صبا اليه لنوال مرغوب من اخضاع الممالك اليونانية لسطوته . وكان السبب في ذلك ان قوماً من اهالي فوسيديا وضعوا ايديهم على حقل من اوقاف هيكل ابولون فحسب ذلك امراً عظيماً وحكم عليهم من قبل المشورة الامفيكتيونية بغرامة مبلغ وافر كفارة عن ذنبهم وفوضت الجمعية المشار اليها اللوكرين واهل ثيبة ان يحصلوا منهم تلك الغرامة فأبى اولئك ان يخضعوا لحكم المشورة وتنعوا عن الدفع وجأهروا بالعصيان وحملوا السلاح واستعدوا للحرب فشبت نيران الحرب ودامت مدة عشرين سنين بين فوسيديا وسبارطه واثينا من الجهة الواحدة وثيرية وئساليا ولوكريا من الجهة الاخرى فانتهر فيلبس هذه الفرصة ليكون له نوع من المداخلة الرسمية بين تلك الممالك وطلب اليهم ان يكون وسيطاً ومصلحاً فيما بينهم فقبلوه وجعلوه عضواً من اعضاء المشورة الامفيكتيونية ما عدا الاثينيين فان خطيئهم الشهيرة ديموستين حذرهم من فيلبس الذي كان احب من ثعلب وحرّضهم على عدم قبول مداخلة في ما يتعلق ببلادهم واراهم ان مقاصده انما هي ليزع حزينهم ويخضعهم لسلطته . فاعتنم فيلبس فرصة هذه الحرب وتقدم بجيوشه قابضاً فمخ مضيق ثرمويل ليكون كحصاً يتوكل عليه عند الحاجة . اما ديموستين فلما درى بذلك جهز فرقة من العساكر ولاقي فيلبس عند المضيق المذكور . فلما رآه فيلبس جيش اثينا اثني راجعاً تاركاً مقصده الى فرصة انسب

وكان بعد ذلك ان قوماً من اهالي لوكريا وضعوا ايديهم على بعض اراضي هيكل ابولون فحكمت عليهم المشورة الامفيكتيونية كالحكم السابق فأبوا ان يخضعوا فتجددت الحرب المقدسة الثانية ودعي فيلبس ان يكون قائداً في هذه الحرب فكان يتظاهر بالتمنع في اول الامر لكي يخذلهم ويجهلهم يطمنون من جهته واخيراً زحف بجيوشه وابتدأ بشق المدن المجاورة بيوتيا وفوسيديا . اما ثيبة فلما رأت ذلك اندهشت واثينا اخذتها الحيرة فهض ديموستين واراهم مقاصد فيلبس وحيلة التي طالما حذرهم منها واخذ يحرضهم على النهوض لمقاومتهم فجهزوا

جيشاً وخرجوا للاقام بثلاثين الف مقاتل والتقى الفريقان بالقرب من احدى مدائن بيوتيا الشمالية واصطدم الجيشان في سهول شبرونه واصطالت نار القتال بينهما وبعد قتالٍ شديد دارت الدائرة على اليونانيين وانتصر فيليبس عليهم وذلك سنة ٣٣٨ ق م. فلما امست كل الممالك اليونانية خاضعةً له عامل اليونانيين معاملةً حسنة جداً واطلق الاسرى بدون فدية ولكي يُنسي اليونانيين مصيبة فقد استغلاليهم اراد ان يحول افكارهم نحو محاربة الفرس عدوهم القديم فعقدت جمعية في مدينة كورنثوس حضرها وكلاء من قبل سائر الدول اليونانية وقرّر الفرار فيها على تولي الملك فيليب قيادة الجيش الاولى في الحرب التي كانوا عازمين فتحها على اسيا. فخرجت الاوامر في تحضير المقاتلات الحربية وشرعوا في الاستعدادات الكلية والجزئية وارسل فيليب القائد بارمينون مع مقدمة الجيش الى اسيا الصغرى حيث كان مزعماء ان يلاقيه ببقية الجيش على ان العناية لم تسمح له بذلك اذ قتله بوزانياس احد اتباعه سنة ٣٣٦

فخلّفه ابنه اسكندر الملقب بالكبير وعند العرب بذي القرنين وكان عمره يومئذ ٢٠ سنة وكان على جانب عظيم من الخدق والدراية والشجاعة والاقدام. ولما بلغه ذات يوم نجاح وانتصارات ابيه قال باسفي وغمر ان اي قد غلب تقريباً على العالم بسيفه ولم يترك لي شيئاً اغلب عليه بسيفي

وكان بعد موت فيليبس ان الممالك اليونانية فرحت جداً املاً باسترجاع استقلاليتها وكان ديموستين الخطيب يحذّرهم من اسكندر كما كان يحذّرهم من ابيه. وبعد ان تبوأ اسكندر تخت الملك جاهدت ثراقيا بالعصيان فانها وحاربها وانتصر عليها واخضعها لسطوته ولما علم بمجاهرة الاثينيين وغيرهم بالعصيان تقدم اليهم بقوة عظيمة واتى اولاً ثيبه وفتحها وخرّبها وباع نحو ٢٠٠٠٠ من اهلها ولما رأت باقي البلاد اليونانية ما كان من بأسه وقوته خافت جداً وخضعت له. ومن ثمّ عند جمعية دولية في مدينة كورنثوس حضرها وكلاء من كل البلاد اليونانية واعلم ان عازم على محاربة الفرس كما كان عازماً ابيه قبل وفاته

ففوضته الجمعية قيادة جيش اليونانيين

فاخذ يوزع كنوزايه على قواد جيشه واصحابه ولم يبق لنفسه شيئاً فقال له
احدهم ايها المولى اراك قد افرغت كل كنوزك فماذا اقيمت لنفسك فقال له
الرجاء. ومن ثم نأهب للسفر ولم ياخذ معه من الزاد والمهمات سوى ما يكفي شهراً
واحداً لانه كان موقفاً بالجناح وسار بجيش عدده ٢٠٠٠٠ رجل و ٦٠٠٠
فارس واني اولاً طروادة وقدّم ذبائح اكراماً للابطال الذين قُتلوا في حرب
طروادة ومن ثمّ تقدم نحو بلاد فارس



اسكندر الكبير

فلما علم داريوس قدمانوس ملك الفرس بقصد اسكندر استهزأ به وعزم
على كسر شوكته وكان يدعوهُ الصبي المجنون . فوافاه داريوس بجيش عظيم
قيل ٢٠٠ الف مقاتل عند شاطئ نهر غرانيكوس من اسيا الصغرى فتقاتل

الفريقان قتالاً شديداً كانت الدائرة فيه على عساكر الفرس وقد قُتل منهم حسب قول البعض نحو ٣٠٠٠٠ قتيل ولم يقتل من جيش اسكندر الا نفرٌ قليل. وفي وقت المعركة هجم اثنان من امراء الفرس على اسكندر ولولا مساعدة احد امرائه لقتلوه. وبعد هذا الانتصار خضعت لاسكندر اسيا الصغرى الا القليل وفي السنة الثانية اتى داريوس ذاته بمجيوش جرارة مقدارها نحو ٦٠٠ ألف مقاتل فوافاهُ اسكندر الى الاراضي الوعرة عند ايسسوس في كليكيا وحاربة وغلبة فهلك من جيش الفرس عدد لا يحصى. واما خسارة اسكندر فكانت قليلة جداً. فانهزم داريوس ليلاً وقطع نهر الفرات غير مصدق بالنجاة وهو يتعجب من شجاعة اسكندر وبسالة جيشه ووقعت زوجة داريوس وامه وابنتاهُ في يد اسكندر فاعتبرهن كل الاعتبار واكرهن اكراماً لا مزيد عليه وامر ان يعتنى بهن كل الاعتناء

فبعث داريوس وفداً الى اسكندر يطلب اليه فداء زوجته واهل بيتها بمبالغ وافرة وانه يعقد معه الصلح فيزوجهُ ابنته ويهرها كل الاراضي الواقعة بين نهر الفرات وبحر الروم فاجابه اسكندر مع وفده انه مستعد ان يسلم حريمه بادنى شرط اذا اتى بنفسه يطلبهن. فعظم الامر على داريوس جداً ولم يرد ان يتنازل الى هذا الحد

وقد اتى هذا الانتصار بتسليم سوريا فاطبة ففتحت جميع مدنها ابوابها للمتصر الا مدينة صور فاغناط اسكندر جنّاً من كبرياء اهلها وتقدم لمحاربتها فحاصرها سبعة اشهر وقيل تسعة اشهر وفتحها بعد ان ردم البحر بمخرايات المدينة القديمة وقد تقدم الكلام عنها في تاريخ فينيقية. ومن ثم تقدم وحارب مدينة غزة التي اظهرت العصاة ففتحها عنوة بعد حصار شهرين وباع من اهلها مقدار ١٠٠٠٠ نفس واسر جاكها باتيس الخصى وربطه في سلسلة وراء مركبته فكانت الخيل تسير وهو يخط على الارض حتى هلك. ومن هناك قام الى القدس التي كانت خاضعة وقتئذٍ للفرس فخرج للملاقاة رئيس الاحبار والكهنة بملاسمهم

الرسمية فاعتبرهم اسكندر كل الاعبار ودخل الى هيبكم وسجد ومنهم تأمينات وتأمينات دامت لم زماناً طويلاً من بعده

ثم تقدم الى مصر التي فتحت له ابوابها بدون مقاومة وبعد ذلك اتى هيبكل جوينيرامون الكائن في الصحراء فهلك كثير من جيوشه في تلك الرمال المحرقة فقدم ذبائح وطلب من الكهنة ان يلقبوه بابن جوينير بعد ان اعطاهم هدايا وافرة فقلع بابن جوينير ومن ثم عاد الى مصر ووضع اساسات الاسكندرية مسمياً اياها باسمه

وبعد ان نظم احوال البلاد تقدم ثانية نحو بلاد فارس لكي ينزل بها البلاد الاخير فبعث داريوس بعرض عليه عند الصلح فبسطه كل الاراضي الواقعة الى غربي نهر الفرات . فرفض اسكندر قبول ذلك قائلاً ان العالم لا يستطيع احتمال رين كما انه لم يستطع احتمال شمسين فلما رأى داريوس عناد اسكندر وتعظم عزم على المداغة الى النهاية فركب نحو ٧٠٠ الف مقاتل وقال بعضهم اكثر وبعضهم اقل . فوافاه اسكندر بجيش مقداره ٦٠٠٠٠ والتقى الفريقان بقرب اريلا احدى مدن الفرس وتقاتلا قتالاً شديداً ارجحت له قواعد الجبال فلم يلبث طويلاً حتى انكسرت جيوش الفرس اذ كان قد وقع في فلوهم الرعب من قتال اسكندر في المواقع السابقة فانهمز داريوس وولى هارباً الى بكتريا وهي جزء من بلاد القتر المستقلة وقتل هناك فساد اسكندر على الممالك قاطبة وتزوج بروكسانا ابنة داريوس

واذ كانت المطامع ماثلة قلبه لم يكتفِ بكل هذه الفتوحات فتقدم الى بلاد الهند وفتح اكثرها واراد ان يتقدم بعد الى جهة المشرق على ان عساكره لما رأت ان لا حد للطامع ولا نهاية لاتعابهم ابوا ان يتقدموا اكثر من ذلك وطلبوا الرجوع الى اوطانهم فاننى راجعاً ليس بدون اسف وحرن واتى مدينة پرسبوليس وهي من اشهر مدن بلاد فارس وانخرها واحرقها حرقاً فانه مع ما كان عليه من رفعة الشأن والقلبة والمجد كان شديد المحن سريع الغضب .

وكان قد اتى مدينة بابل قاصداً ان يرميها ويحطمها قاعدة المالك الشرقية فاقام
 ١٠٠٠٠ الف فاعل يشتغلون فيها وقصد ان يمضي بعد ذلك الى قرطبة
 ويفتحها ومنها الى اوروا ليخضع اسبانيا وابطاليا ومن ثم يعود الى مكثونية ولكنه
 بعد ذلك بفترة قصيرة مرض ومات في السنة الثالثة والثلاثين من عمره والثالثة
 عشرة من حكمه وذلك سنة ٢٢٢ ق م

الباب السابع

في ما حدث بعد موت اسكندر الى هذه الايام اي من سنة

٢٢٢ ق م الى سنة ١٨٢٢ ب م

فات اسكندر ولم يترك خليفة من نسله وكان عندما احسن بقرب حلول
 اجله نزع خاتمة من اصبعه واعطاه الى برديكاس احد امرائه فسأله فواده
 واكابر خواصه عن بعين ولي عهد بعده فقال الاكثر استخفافاً . فتقلد
 برديكاس بعد موت اسكندر باتفاق رفقاته من القواد نيابة الملك الى حين
 ولادة الملكة روكسانا التي كانت حلي عند وفاة زوجها اسكندر اما المساكين
 فلم يرتضوا بذلك واعلنوا انهم يريدون اقامة اريدي اخي اسكندر فكان له من
 الملك الاسم فقط . ومن ثم قسم برديكاس ممالك سيده على ٢٤ قائداً من القواد
 الاولين وكان له الرئاسة على الجميع وفي تلك الاثناء وضعت روكسانا زوجة
 اسكندر ولداً ذكرأ فسي باسم ابيه . فاخذ برديكاس على نفسه امر تربيته وان
 يكون وصياً عليه ولكن لم يلبث طويلاً حتى حسده رفقاته وعزموا على قلبه
 او اهلاكه وكان اعظم عامل في هذه الثورة اتيانار ولكنه كان مضطراً ان يجهد
 اولاً نيران الفتنة التي كانت اخذت في الاشتعال بين اليونانيين

ولا يخفى ان اسكندر قبل خروجه من بلاده كان قد خلف اتيانار وكبلاً
 للملك في مكثونية فلما علم اليونانيون بموت اسكندر فرحوا جداً املاً باسترجاع
 استقلاليتهم وحريتهم . فعمل ديموستين بجرض الاثينيين للنهوض في طلب حريتهم

وانضم اليهم كثيرون من باقي البلاد اليونانية فقاموا جميعاً يداً واحدة وحاربوا انتيباتر في لاميا من اعمال ثساليا فكسروهُ ولحقوه وحاصروه وكسر اليونان احد قواد اسكندر الذي جاء للنجدة انتيباتر وقتلوه ولكنهم انكسروا بعد ذلك في وقعة صارت بينهم وبين كراتيد قائد مكدوني عند كراتون فانهمزوا وتشنت شملهم . فعاد اهل ثساليا للطاعة واضطر الاثينيون الى مثل ذلك واشترط عليهم بدفع مصاريف الحرب واقامة جيش مكدوني في مونيخيا من بلاد اليونان وتعليم الخطيبين ديموستين وهيباريد اللذين كانا يحرضانهم على المجاهرة بالعصيان . فهرب الاثنان اما الاخير فلم ينجُ فقبض عليه وقتل . واما ديموستين فانهمزم الى هيكل نيقون في جزيرة كالوريا ولكن لما راي انه لا يقدر ان يفلت من اعدائه ولئلا يقع في ايديهم فميتوه مهاتاً شرب سماً فات . واما انتيباتر فبعد تهديد هذه الامور عقد الصلح ايضا مع اهل ايتوليا لكي يستطيع الذهاب حالاً لمحاربة برديكاس في اسيا فلاقاه برديكاس وانضم اليه ايضا القائد كراتير المتقدم ذكره فاتصر انتيباتر عليها في وقعة عظيمة قتل فيها كراتير ايضا واما برديكاس فقتله عسكره بالقرب من مدينة منفيس في مصر حيث ذهب لمحاربة بطليموس الذي خلفه اسكندر واليا هناك وكان ذلك سنة ٢٢٠ ق م

فاخذ انتيباتر نيابة الملك بعد موت برديكاس زماناً يسيراً والزم اوليمياس ام اسكندر ان يهرب الى ابيروس لانه كان بينهما عداوة قديمة من زمن فلبس زوجها فاخذت معها كتبها روكتانا والملك الصغير وبعد ذلك بقليل مات انتيباتر وخلف مكانه صديقه بوليسبرثون عوضاً عن ابنه كاساندر فحزب كثيرون ضد النائب الجديد وكان معظم السبب في ذلك كاساندر بن انتيباتر لانه احب ان يكون نائباً بعد ابيه واما بوليسبرثون فلما يستميل الاثينيين ويتخذهم حرباً له جدد لم هيئة حكومتهم القديمة واتشبهت الحرب بينه وبين كاساندر . وبينما كانوا على هذه الاحوال كان اتيمونوس مشتغلاً في اسيا

بتعظيم سطوتو ونوسيع دائرة امتلاكاته واخيراً قبض على اومين الذي كان
 بعضد الحزب الملكي بواسطة جنوده الذين خانوه وامانه جوعاً فعظمت بذلك
 شوكتة وسطوته . فلما رأى ذلك بقية قواد اسكندر اضطربوا وخافوا من
 ازدياد سطوتو فنهضوا لحاربه فكسروهم جميعاً سنة ٣٠٧ ق م واخذ قبل الجميع
 لقب ملك . وما زالوا يتنازعون بعد ذلك الى سنة ٣٠١ ق م فصارت بينهم
 وبين اتيفونوس وابنه ديمتريوس وقعة مهولة في ابيسوس في فريجية فدارت
 بها الدوائر على اتيفونوس وولده ديمتريوس وقتل اتيفونوس فيها فاتسم اذ
 ذاك قواد اسكندر ملكته الى اربع ممالك . الاولى مصر التي اخذها بطليموس
 سوتير مع بر العرب وجزء من بر الشام اي فلسطين . الثانية مكدونية وبلاد
 اليونان اخذها كاساندر . الثالثة ثراقيا ويسبانيا وبعض اجزاء اسيا الصغرى
 اخذها لسباخوس الرابعة بقية الممالك من البحر الاسود الى نهر لاندوس في
 الهند اخذها سلوقس وسميت مملكة سوريا وهي اعظم الجميع وقد تقدم الكلام
 عن كلٍ منها في مكانه

وفي اثناء تلك المخاصات والحروب اخذت عائلة اسكندر التبعة الحظ
 في الاضطلال حتى انقرضت اخيراً وذلك انه لما كان كاساندر وبوليسبرثون
 يتحاربان انضمت اوليمپياس ام اسكندر الى الاول وفوضت اليه امر تربية اسكندر
 الصغير ابن روكتانا ولكن اذ كان كاساندر قد اخذ اليه اريدي اخا اسكندر
 وزوجته ولم يلتفت الى روكتانا وابنها اخطأت اوليمپياس على اسر اريدي
 وزوجته فقتلها ولكن بعد زمان ليس بطويل وقعت اوليمپياس اسيرة في يد
 كاساندر مع كتبها وحفيدها اسكندر فقتلها كاساندر ووضع روكتانا وابنها في
 سجن ضيق وبعد قليل قتلها بالاشتراك مع اتيفونوس وبتليموس . وكان قد
 بقي في قيد الحبوة ابن لاسكندر من غير زوجته الشرعية اسمه هر كول وكان
 بوليسبرثون قد اخذ على ذاته امر الاعثناء به والحماية عنه فعرض كاساندر
 على بوليسبرثون ان يعطيه المورة اذا كان يبيت هر كول المذكور آنفاً فبعت هذه

المشاركة بينها بقتلو وهكذا بعد موت اسكندر باحدى عشرة سنة لم يبق احد من عائلته

اما هذه الامور الفظيعة كلها فلم تكن نهاية المنازعات والحروب فان ديمتريوس بن انتيغونوس بعد موت كلساندر صار ملك مكدونية وفتح حرباً على سلوقس فلقية هذا وتغلب عليه واسره فقام لسياخوس واخذ ملكة ديمتريوس فوافاه سلوقس وحاربه واخذ ملكته وقتله ومن ثم قُتل هو ايضاً من سيرونوس بن بطليموس الذي كان قد التجأ الى بلاده وصار سيرونوس هذا ملكاً على مكدونية. وكان بعد ذلك انه هاجم بلاد اليونان ومكدونيا قبائل غالية جاها من نواحي غالية وجرمانيا فقتل سيرونوس في المدافعة ضد هؤلاء النوم البرابرة. وبعد ان افسد الغاليون ونهبوا البلاد اليونانية الشمالية طردوا اخيراً فذهبوا واقاموا في ثراقيا ومنها الى اواسط اسيا الصغرى وصنعوا لانفسهم هناك منازل سميت باسمهم وفي غلطة او غلاطيه

فقام بعد سيرونوس انتيغونوس غوناناس بن ديمتريوس الذي لم يبق له بعد موت ابيه سوى بعض اقاليم في بلاد اليونان ونبأ تخت مملكة مكدونية بموجب معاهدة تقررت بينه وبين انطيوخوس الاول ابن سلوقس وفي ايام ملكه هاجم الغاليون بلاده ثانية فدفعهم بعزم ونشاط لا مزيد عليها. وفي اثناء ذلك رجع من ايطاليا يروس ملك ايبيروس الذي كان قد طرده ليسيماخوس فتغلب على انتيغونوس وطرده وقام مكانه بالملك سنة ٢٧٤ ق م. ولكن بعد ذلك بستين قتل في حصار ارغوس فعاد انتيغونوس الى ملكه وبقي الملك في يده ولنسله من بعده بدون انقطاع. ولما رأى ملوك مكدونية ان الدهر قد صفا لم ولم يعد لهم منازع ولا معارض وجهوا افكارهم نحو بلاد اليونان ايضاً واخذهم لمدينة كورنثوس القوية سنة ٢٥١ ق م كاد يوصلهم الى ما طالما صبو اليه. ولكن عندما قررت المعاهدة المعروفة بمعاهدة اخائية بمساعي وهمة الشاب اراتوس الذي نبغ في ذلك العصر عاد الى البلاد اليونانية بعض رونقها

وسطونها زماناً يسيراً . وبعد ذلك اتى الرومان وضموا جميع البلاد اليونانية الى ملكهم بعد حرب قصيرة فامست البلاد اليونانية جزءاً من المملكة الرومانية ودعيت من ذلك الوقت اخائية على اسم قسم من اقسامها وذلك سنة ١٤٥ ق م ولبثت في ايدي الرومان حتى نقل الامبراطور قسطنطين كرسية الى القسطنطينية سنة ٣٢٤ م فصارت جزءاً من المملكة الشرقية الرومانية . ثم استقمها الاتراك في اثناء القرن الخامس عشر م فصارت جزءاً من المملكة العثمانية ولبثت في ايديهم الى سنة ١٨٢١ م ثم نهضت في طلب الحرية في السنة المذكورة ووقعت الحروب بينهم وبين العثمانيين واستمرت بدون انقطاع مدة ثماني سنين متوالية كما مر ذلك في خبر دولة آل عثمان ففج اليونان بالحصول على بعض ما كانوا يتمنون وذلك باستيلائهم على قسم من بلادهم القديمة بمساعدة بعض دول اوروبا فاستقلوا ودعوا اميراً مسكوبياً لملك عليهم فقتله احدهم ثم ملكوا عليهم اوثنون ابن ملك باقاريا فملك عليهم نحو ٢٠ سنة ثم طردوه سنة ١٨٦١ قائلين بانه لم يكن له ولد ثم ملكوا عليهم جورج الاول ابن ملك الدنيارك ولم يحدث امر يذكر من بعد ان تبوأ تخت الملك ولا نعلم ماذا تكون آخرة هذا الملك الجديد . لانه منذ القدم لم يتم رجل معتبر في بلادهم الا وقتلوه او نفوه كما فعلوا بتمستوكليس وسقراط واريميديس الصديق وغيرهم الله اعلم

الباب الثامن

في ذكر بعض شعراء اليونان وفلاسفتهم وطوائفهم

ان اول شعراء اليونان واشهرهم هو هوميروس . قبل انه كان اعمى بطوف متسولاً وهو ينشد قصائده وكان ينشدها قطعة قطعة في اثناء تطوفه ثم جمعت وقد ذكرنا عن اعني بجمعها . ومجموعها قصيدتان طويلتان انقسمتا الى عدة اقسام احدها تعرف بالايهاد وموضوعها حوادث حروب طروادة والثانية

سميت اوديسي وموضوعها سفرات عولوس بعد استنتاج طروادة وهامن اجود
الشعر وافصح. وكان وطنه ازبيرو عاش في اواسط القرن التاسع ق م
والثاني من شعراء اليونان هنريودوس وكان معاصرا لهوميروس نشأ في
ضبعة من ضيع بيونيا ولم يصل لنا من شعره الا قصيدتان احدهما سميت نسبة
الالهة موضوعها ميثولوجية اليونانيين اي خرافاتهم واعقاداتهم لجهة نوايلد
الهنم وما جرى بينهم من الحوادث. والثانية سميت الاشغال اليومية وموضوعها
الزراعة ومتعلقاتها وله ايضا قصيدة اخرى تعرف بنرس هيراكليس وشعره جيد
ومقبول لكنه لم يضاء شعر هوميروس

اما حكماء اليونانيين وفلاسفتهم فاقدمهم واشهرهم تاليس عاش سنة ٥٤٧
ق م وهو اول فلاسفة اليونان ومؤسس الطائفة الايونية نسبة الى وطنه ايونيا
ومن اشهر تعاليمه ان الماء هو اول الكائنات وعنه وجدت سائر الصور والمواد
وان الله اوجد كل شيء من الماء وهو راي قدم ذهب اليه قدماء المصريين وعثم
اخذه تاليس لانه تلذذ في مصر وهو ما زال مقبولا ومعولا عليه عند كثيرين
من علماء هذا العصر. الثاني صولون وقد سبق ذكره فلا حاجة الى التكرار.
ومنهم فيثاغوروس وهو مؤسس الطائفة المدعوة باسمه ومن عقائدها التنازع
وهو اول من علم عن استدارة الارض ووضع جدول الضرب للارقام الهندية.
ومنهم سقراط وهو مؤسس الطائفة السقراطية نسبة اليه ومن تعاليمها المعقولات
ووحداية الله. ومنهم اتبشينيوس وديوجينس مؤسسا الطائفة الكيونية ومعناها
الكلية لانهم شبهوا بالكلاب اذ نجوا عنهم كل الامور ولم يقبلوا بشيء منها فرفضوا
المعرفة والعلم كشيء لا تنفع منه واعتدوا عن معاشره الناس ولذات الدنيا ولا مولا
كل اجناس الناس ولذلك دُعوا بالكليين. ومنهم افلاطون منشئ الطائفة
الاكاديمية وسميت بهذا الاسم لانه كان يعلم تلاميذه في غياض قرب مدينة اثينا
سميت بغياض الاكاديموس. ومنهم ابيكوروس مؤسس الطائفة الايكورية ومن
تعاليمه انه يجب رفض كل شيء غير التمتع بالذات وافراح الدنيا ومنها ايضا

الرواقية ومؤسسها زينون وكان يعلم تلاميذه في رواق في مدينة اثينا ولذا سميت بهذا الاسم . وقد أُشير الى هاتين الطائفتين في اعمال ١٨٠١٧ . ومنهم اريستوناليس منشي الغرافية وقد اشتهرت نعالمة جداً واعنتها ونشبت بها اهالي اوروبا زماناً طويلاً وما زالوا يعولون على بعضها . ومن اطبايهم المشهورين بقراط الذي كتب عدة فصول مفيدة في الطب وظهر بعده جالينوس وروفس وغيرها فتوسعوا فيه أكثر فاكثر



الفصل الثالث

في تاريخ الرومانيين القدماء

الباب الاول

في تاسيس رومية واخبار ملوكها الاولين الى سنة ٥٠٩

ق م حين اقيمت الحكومة القنصلية

ان السلطنة الرومانية كانت في الازمنة القديمة من اشهر ما لك الارض واعظمها وتاريخها يمتد من اجيال عديدة وهو مشحون من الاخبار والحوادث الدموية وكثرة الشرور والظلم التي يجيها السمع ويكرها الطبع ومع ان ذكرها غير مقبول تلجئنا الضرورة الى سردها واثباتها لكونها حوادث حقيقية ومن واجبات المورخ ان يذكرها كما توقع في اوقاتها فنقول ان مدينة رومية

الشهيرة مبنية على نهر تير في ايطاليا على بعد ستة عشر ميلاً من البحر وسميت رومية نسبةً الى بانيها رومولوس وتاسست سنة ٧٥٣ ق م وكان رومولوس هذا رئيساً على ثلثة الاف نفر من اللصوص وقطاع الطريق فانوا وبنوا بعض اكواخ على ثلثة هناك اسمها البلاتين واقاموا حولها حائطاً لمنع مهاجمات الاعداء فكان ذلك بداية اشهر مدن العالم . قيل ان ذلك الحائط كان واطناً حتى ان رموس اخا رومولوس احفره لوطوه وقال لاخيه يوماً انظن هذا السور سور مدينة فغضب اخوه من كلامه وطعنه بحربة كانت في يده فاماته وكان ذلك الدم اول دم سفك والتطخت به اسوار هذه المدينة

ولما انتهى رومولوس واصحابه من بناء بيوتهم طلبوا لانفسهم نساء وكانت ايطاليا يومئذ مسكونة ببعض قبائل متوحشة منهم قوم يقال لهم الصايون كانوا قاطنين بجوار رومية فطلب رومولوس ان ياخذ من بناتهم نساء لرجالهم فابوا ولم يجيبوه الى طلبه فغند عليهم وصم على هلاكهم فاعد لهم يوماً وليمة عظيمة ودعاهم اليها فحضروا الى دعوتهم مع بناتهم ونسائهم وانفق رومولوس مع اصحابه على علامة متى اظهروا لهم يجمون على القوم فيفتكون بهم فلما انتهى الصايون في الفرج والملاعب ولذات الماكل والمشارب وقد اعجبهم براعة الرومانيين وخفة حركاتهم في الرقص واللعب اظهر رومولوس تلك الاشارة الى اصحابه فسلوا سيوفهم وهجموا على ضيوفهم وقتلوا اكثرهم وقبض كل من الرومانيين على امرأة واتخذها زوجة له . فلما بلغ طوائف الصايين هذا الخبر الفج استشاطوا غضباً وانضم بعضهم الى بعض واستعدوا لمحاربة الرومانيين فالتفاهم رومولوس بجموعه وايطاليا ولما التقى الجمعان وتقابل العسكران وكاد يقع بينهم القتال دخلت نساء الرومانيين الى ساحة الحرب وفرقت بين الطرفين وكن يصحن باعلى اصواتهن فائتلات ارجعوا ولا تضربوا بعضكم بعضاً فاية فرقة منكم انتصرت على الاخرى لا تجلب علينا سوى الحزن والاسف لاننا بنات الفرقة الواحدة ونساء الفرقة الثانية فائز كلهم في قلوب الفريقين وراى الصايون ان قلوب النساء قد

نطقت برجالهم الرومانيين فتوقفوا عن الحرب وهكذا انتهى الامر على محبة وسلام وعقدوا معاهدة فيما بينهم

واتخبط الشعب رومولوس ملكاً عليهم فساهم احسن سياسة واقام لهم مجلساً مؤلفاً من القضاة والنواب لتنظيم احوال بلادهم وفض مشاكلهم واستمر ملكاً الى ان مات وكانت مدة حكمه ٢٧ سنة واختلفوا في موته فمنهم من زعم انه خطف بفتة الى السماء وقال اخرون انه كان قد صم على ان يجعل نفسه ملكاً مستغلاً فخلعه الشعب ومزقوه ارباً وهذا هو الاصح

وبعد موت رومولوس قام ملك ثان على رومية يدعى توما فنبيلوس وكان رجلاً حازماً حكماً محباً للسلام فسن شرائع عديدة حسنة وعلم شعبه الزراعة وعدة صنائع نافعة وكانت مدة ملكه ٤٢ سنة وخلفه طلس هسنبيلوس فكان محباً للحرب والمغازي وفي ايامه وقع النزاع واتشب القتال بين الرومانيين والالبانيين الذين كانوا يتجاورين ثم انتهى الحال بينهم بان كل فريق من العسكريين يتخبط ثلاثة ابطال من شعبان عسكره ليبارز بعضهم بعضاً وان الذي يتصر منهم على الاخر ينسب اليه انتصار الجيش وكان في جيش الالبانيين ثلثة اخوة اسم كل منهم كورباتيوس وكان ايضاً في جيش الرومانيين ثلثة اسم كل منهم هورانيوس فانتخبط هؤلاء السنة رجال ثلاثة من كل فريق ليفوموا مقام الجيشين في القتال فركبوا خيولهم واعنقلوا سلاحهم ونزلوا الى ساحة الميدان واتشب بينهم الضرب والطعان وكان كل فريق من الجيشين واقفاً تجاه الاخر منتظراً النهاية فاتصر الكوريانيون في اول الامر على اخصامهم وقتلوا منهم اثنين فاستعظم اخوها مصابها وايقت بالتلف والعدم واذ لم يكن له استطاعة على مصادمة اخصامه الثلاثة اطلق عنان جواده وفر من بينهم فجدوا في طلبه ليقتلوه وكانوا اعيوا من هول المعركة مع خصمهم اللذين قتلوهما ولذلك قصرت خيولهم ولم يدرك هورانيوس منهم الا واحداً بعد واحد وكان ذلك غاية مرادهم لانه كان كنواً لكل واحد بمفرده فلما اقترب منه الاول ارتد اليه وهم عليه

وضربه بالسيف على عاتقه فالتأه قتيلاً ثم كرّ على الثاني والثالث فالحقها باخيهما فلما رأى الالبانيون ما حلّ بأصحابهم من النكال خابت آمالهم فنكسوا اعلامهم والقوا سلاحهم الى الارض وسلحوا نفوسهم الى اعدائهم فاستبشر الرومانيون بهذا الانتصار العظيم والتفوا هورانيوس بالتعجيل والتعظيم لانه كان سبباً لانتصارهم وانقذارهم وكشف عارهم ورجعوا به الى المدينة وهم يبنون عليه . وما يصغى الذكر لانه كان لهذا الشاب اخت مفرطة في الجمال كانت تحب رجلاً من الكوريانيين الثلاثة الذين قتلهم اخوهم في ذلك اليوم فلما بلغها هذا الخبر مزقت ثيابها حزناً واسفاً عليه وقصدت باب المدينة وهي تندب وتوح فالتقت باخيهما في تلك الساعة وهو راجع الى البلد فاخذت تلومه وتفتنه على قتلها حبيها فغضب من اعمالها وقال لها يا عاهرة اما كان يجب عليك ان تندي اخوك المقتولين عوضاً عن حبيبك وان تظهرى حاجيات الفرح والسرور في انتصار شعبك وخلص الامة ثم انه اسفل سيفه وضربها به فاماتها فحكمت عليه الشريعة بالموت جزاء على هذا العمل النطيع ولكنه حصل على العفو بواسطة الانتصار الذي جرى على يديه ولكن مع ذلك كان عاره بقله اخيه اعظم من العرف والاعتبار الذي ناله بسبب انتصاره وسببت تلك الحرب حرب الهورانيين والكوريانيين نسبة الى اسماء الابطال المار ذكرهم

وبعد موت طلس هسيليوس انتخب الرومانيون انكوس مرنئوس ملكاً عليهم ومن بعده خلفه تركوين الاكبر وكان ابوه تاجراً غنياً ثم جلس بعده على سرير الملك رجل يقال له سرفيوس فحكم ٤٤ سنة ثم قتله زوج ابنته المدعى تركوين الثاني وجلس مكانه فلما بلغ زوجته ابنة الملك المقتول هذا الخبر وكان اسمها طليبا فرحت فرحاً عظيماً بانتصار زوجها على ابيها حبا بالملك والرياسة وركبت من وقتها في مركبتها وقصدت دار الولاية لتلاقي زوجها الشرير وبهتة بالملك وبينما كانت سائرة في احدى الشوارع التفت بمجة ابيها مطروحة هناك فلما رأى سائق المركبة جثة الملك على تلك الحالة اضطرب وخاف وعول على

الرجوع الى الوراء فمنعته وشمته وامرته ان يتقدم واذا كان الشارع ضيقاً مرت المركبة على جنبه الملك فداستها الخيل وتلححت عجلاً بدم الملك ولم تبال طلباً بشيء من ذلك ولما تمكن تركوين من الولاية سلك على سرير الملكة كما سلك اسلافه بالجور والظلم وارتكاب الفواحش فلعبه الشعب بتركوين المتكبر وكان الرومانيون يكرهونه جداً . ويقال ان امرأة دخلت عليه ذات يوم الى الديوان وفي يدها تسعة مجلدات من الكتب واعرضتها عليه للبيع وطلبت في ثمنها مبلغاً فاحشاً واذا كانت الكتب المذكورة مجهولة عنده استعظم ثمنها وامتنع عن مشراها فرجعت المرأة بالكتب الى دارها واحرقت منها ثلثة ثم قصده في اليوم الثاني واعرضت عليه الستة الباقية بنفس الثمن الاول فامتنع ايضاً فتركته ورجعت اليه في اليوم الثالث ومعه ثلثة كتب فقط واعرضتها عليه بالثمن الاول فتأثر الملك ونعجب من هذا الامر وصم على ان يشتري الكتب منها ليرى ما فيها واذا بالمرأة الفتم بين يديه واخفت في الحال فانذهل الملك وجميع من حضر من الاكابر والاعيان فتحملوا الكتب وطالعوها فوجدوها رسائل واشارات تتضمن على حكم ونبوءات مولفة من بعض النساء فاحترمها الرومانيون غاية الاحترام واعتبروها كآيات منزلة وحظوها في خزائنهم وكانوا يتلون بها بكل خشوع واعتبار كلما وقعوا في شدة او ضيق معتقدين بانها تنبئهم بما يحدث عليهم في الازمنة المستقبلية

وكان عاقبة امر تركوين المذكور انه طرد مع عائلته من رومية بعد ان حكم نحو عشرين سنة وكان السبب في ذلك ابنه سكستوس فانه كان ذمياً قبيحاً الى الغاية فمنته الشعب حتى لم يعد يمكنهم ان يحملوا قبايحهم ومعاصيهم فنهوه مع ابيه وكان طردها من رومية سنة ٥٠٩ ق م واستلم زمام الحكومة بعد تركوين اثنان من القضاة وتلقب كل واحد منها بلقب فنصل اي منفذ الاحكام وكان الشعب يتعجبون هؤلاء القناصل في كل سنة ولول من تعين لهذه الوظيفة بروتوس وكولانيوس فكان بروتوس عادلاً مهيباً محباً للوطن حتى انه حكم بالموت على

ابنيه الاثنين بسبب جنائيه ارتكباها ولم يشفق عليها

الباب الثاني

في ذكر كوربولانوس واستيلاء الغاليين على رومية وحروب

قرطاجنة الثلاث

وكان سكان رومية يومئذٍ منقسمين الى حزبين الاول من الاشراف والثاني من العامة وكان جميع ارباب المجلس العالي واكثر الاكابر والعهد من القسم الاول فكان انتخاب القناصل منوطاً لهم ولذلك قويت شوكتهم وعظمت سطوتهم وصاروا اصحاب المحل والربط فنشأ عن ذلك فتن ومشاجرات بين الطرفين حتى كادت تقع بينها المحروب ولكنها اتفقا اخيراً بانه في كل سنة يُنتخب خمسة اشخاص من وجوه العامة بوظيفة قضاء في المحاكم وبهذه الوساطة تحسنت احوال العامة وارتفع شأنهم وانحطت سطوة الاشراف بهذا التدبير ثم اشتدت البغضة والعداوة بين الفريقين . وفي اثناء ذلك نهض رجل من الاشراف يقال له كوربولانوس وكان بطلاً صندبداً وجباراً عنيداً فشرع في ابطال منصب القضاء وبذل في ذلك غاية اجتهاده فقاومه العامة وحاربوه ولما تمكنوا منه نفوه من البلاد فذهب الى مدينة اثينوم والتحق بشعب الفولسيين وكانت هذه الامة من اشد الطوائف عداوة للرومانيين فاخذ يحرضهم وينشطهم على محاربة قومه ووعدهم بالغلبة والانتصار فانقادوا اليه واجابوه الى ذلك واعرضوا عليه فرسانهم وابطالهم فانتخب منهم جيشاً عظيماً وقصد به مدينة رومية ولما اقترب منها وبلغ الرومانيين خبره خافوا واضطربوا وارسلوا اليه في الحال بعضاً من اعيان شيوخهم لاستعطاف خاطره فلم يصغ لكلامهم واستمر في مسيره ثم ارسلوا اليه جماعة من خواص كهنتهم وعند وصولهم اليه وقعوا على قدميه والتمسوا منه ان يتحول عنهم ويغض النظر عن قبائحهم فلم يتمكنوا من تغيير

مقاصده ولما اقترب من رومية نزل بعساكره تجاه الاسوار والحصون واخذ
يتفكر في ايجاد الطرائق المناسبة لمهاجمة المدينة فبينما هو كذلك اذ اتاه سفارة
ثالثة مؤلفة من اشراف نساء الرومانيين وهن لباسات ثياب الاحزان وكانت في
مقدمتهن امه فيتوريا وفرجيليا امراته فاستغاثتا به وتضرعنا اليه ان يكف عن
هذا العمل ولا يكون سبباً لحراب وطنه وهلاك قومه فلما شاهد تذللاً شفق عليها
والثفت الى امه وقال لها لقد انتقدت يا اماه مدينة رومية بتوسلاتك ولكنك
سوف تعذبين ولذلك هذا عن قريب ثم نهض في الحال وارند راجعاً بالعساكر
الى مدينة اثينوم قصبة ملكة الفولسيين فلما بلغ القوم رجوعه عن رومية حقدوا
عليه وصموا على قتله وعهد وصوله الى ابواب المدينة امانوه

ثم انه مع تمادي الزمان انتظم حال الدولة الرومانية وتعاظم امرها وقويت
شوكها في الداخل والخارج وازداد عدد اهاليها وبقيت في رونتها وزهوتها الى
ان دهمها جيش الغالين سكان فرانس سنة ٢٨٤ ق م تحت قيادة الجنرال
بريئوس وحاصروا رومية ليقبضوها فدافعت عن نفسها مدة طويلة ثم اقتحموها بعد
مهاجمات عديدة وعند دخول القائد المذكور الى المدينة التي بجاعة من الشيوخ
جالسين في دار جميلة على كراسي من عاج وفي يد كل منهم عصاً من عاج تلوح
على وجوههم سمات الهبة والشجاعة فاندش القائد وباقي العسكر من هذا المنظر
ولاسيما من ثباتهم وعدم فرارهم فتقدم احد المجند وقبض على لحية اقدم وكان
يقال له بايريوس فاستشاط الرجل غضباً من صنيعه هذا وضرب المجندي
بعضاه فعد ذلك هجمت العساكر على بايريوس وجاعته وقتلوه جميعاً ومن
هناك اتشروا في المدينة واحرقوا اكثرها . وكانت رومية يومئذ مدينة عظيمة
فيها ابنية فاخرة وقصور شاهقة اعظمها وامنها قصر الكاينول وهو اشبه بقلعة
حصينة فلما افتتح الغاليون المدينة ودخلوها تجمع في هذا القصر المذكور اكابر
شجعان الرومانيين وحاصروا فيه فحجم عليهم مواكب الاعناء كالجراد واحاطوا
بذلك القصر فلم يتمكنوا منه واستمر الحال على مثل ذلك مدة وفي بعض الليالي

بينما كان عسكر الغالين قد اقترب من ابواب الحصن والحراس نيام استفاق
رفث من الاوز في احد المياكل القريبة من ذلك المكان فابقظ بصياحه الحراس
فصدوا القوم عن التقدم واحترم الرومانيون هذا النوع من الطير وحرموا على
انفسهم اكله من ذلك اليوم . ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى قام كاملوس
احد ابطال الرومانيين وانتصر على الغالين وقتك بهم حتى قبل انه لم يرجع
احد منهم الى بلاده

وكان الرومانيون يصرفون اكثر اوقاتهم في محاربة الدول والممالك
الاجنبية فبرعوا في فن الحرب وكانوا كثيراً ما يظفرون في حروبهم ومغازيهم حتى
انهم اخضعوا اخيراً جميع ولايات وممالك ايطاليا واستولوا عليها
وكانت قرطاجنة الدّ عولرومية وهب مدينة حصينة مبنية على شطوط
افريقية الشمالية على مسافة اربعمائة ميل الى جنوبي رومية فاتصلت بينها العداوة
الى التراع والقتال وجرى بين الفريقين ثلاث حروب عظيمة تُعرف بالحروب
البونيقية فقد فيها جيش كثير من الطرفين وقد استوفيناها في تاريخ قرطاجنة
فلا حاجة لتكرارها هنا وكان الرومانيون في حريم الاخيرة مع اهل قرطاجنة
قد فازوا بالنجاح والغلبة بواسطة قائدهم الشجاع المشهور المدعو سيبو فانه فتك
بجيش الاعداء فتكاً عظيماً ودخل مدينة قرطاجنة سنة ١٤٦ ق م واحرقها بالنار
ورجع الى رومية بالفنائم والاموال . وعند وصوله اليها البسوه اكاليل الغلبة
والانتصار التي هي من اعظم جوائزهم وساروا به الى الكايتول بموكب عظيم حسب
العوائد المجارية عندهم

وكانت العادة بين الرومانيين عند وصول القائد المنتصر الى رومية انه
يقف قليلاً في ميدان كميوس مرتبوس وهي ساحة خارج المدينة وهناك يلبسونه
ثوباً ارجوانياً منسوجاً بالذهب ويضعون على راسه تاجاً من ذهب ثم يدخلونه
الى المركبة المعدة له محاطة بصحابه واقاريه وهم في الملابس البيضاء ووراءهم
القناصل وارباب المجلس في ملابسهم الرسمية وكان الجيش المنصور يمشي من ورائهم

لابساً خوذاً مكلفة بفصوص الدفل وحاملو البيارق رافعون في ايديهم نسوراً من الفضة مطلية بالذهب عوضاً عن البيارق ثم ياتون بالثيران التي يرسم الذبح فيطلون قرونها بالذهب ويضعون على رؤوسها اكاليل مختلفة الاشكال وبعد ذلك ياتون بالغنمة الماخوذة من العدو مع تاج او اسلحة الملك او القائد المغلوب ويسيرون بها امامهم كما حصل عند دخول نبطس بالظفر الى رومية بعد غلبته على اورشليم فانه حملت امامه المنارة الذهبية وتابوت العهد وباقي الغنمة التي اخذها من الهيكل. وفي اثناء الحروب التي اقيمت على انطاوخوس ومنديانس وغيرها من الملوك المشرقيين كانوا يقودون في المواكب جالاً وافيالاً ونموراً واسوداً وغيرها من الوحوش الضارية واحياناً كانوا ياتون بها الى المراسم حيث كانوا يقيمون احتفالات الفرح بانواع شتى من الملاعب. ثم بعد الغنائم المذكورة كانت تمشي فرقة من الاسرى وبينهم الملوك والرجال المأسورون والنساء والاولاد جميعهم مقيدون بالسلال الثقيلة فكانوا احياناً يزدرون بهم ويقتلونهم بالارحمة واحياناً يبقونهم باقي ايام حياتهم في حالة العبودية ويسلمونهم لبعض الرومانيين الفاقدين اصحابهم في الحرب لينتموا منهم ويعذبونهم ثم من بعد هذه الفرقة كانت تدق آلات موسيقية بنغمات مرتفعة لتزيل تهديدات وصراخ اولئك المنكودي الحظ وامامهم جماعة من الرقاصين واصحاب المساهر يتنطنون ويهرولون وهكذا كانوا يتقدمون بالقائد المتصر مارين في جميع اسواق رومية الى ان يصلوا به الى الكاينول

الباب الثالث

في اخبار سِلا ومارتيوس الى قتل يوليوس قيصر سنة ٤٤ ق م

وما زال الرومانيون يفتحون البلاد والممالك الى ان اصبحت اسبانيا باسرها ولاية رومانية ثم اثاروا حرباً على مملكة نوميديا في افريقية المعروفة الآن بجرائم

الغرب فافتحوها واستاسروا ملكها جوكرتا واتوا به الى رومية فامانوه في السجن جوعاً وعطشاً

ثم في سنة ٩١ ق م حاربوا ولايات ايطاليا المجاورة لم فاضفوها . ثم اقاموا حرباً على منريدانس ملك بنطس في اسيا الصغرى ولم يتصرفوا عليه انتصاراً تاماً الا بعد مرور اربعين سنة وفي اثناء تلك الحرب قام في رومية قائدان من اهل الشهرة هما ماريوس وسلاً فكان ماريوس جندياً شجاعاً ومع شجاعته وبراعته فصيحاً وذات تربية حسنة فتحرب لكل من هذين القائدين قوم من الاهالي وكانت قد وقعت بينها الفيرة والبقضة حتى الجأها الحال الى القتال فحدث من ذلك حرب أهلية . ومن غريب الاتفاق الذي حدث في اثناء هذه الحروب ان رجلاً من عسكر سلاً المذكور كان قد قتل جندياً من جنود ماريوس وعندما نزع عن راسه الخوذة وجد انه اخوه فخرن من هذه الصدفة حزناً شديداً ومن فرط غمو على فقد اخيه قتل نفسه يده اسفاً وحسرة . واستمر القتال بين الفريقين مدة طويلة وحدث بينها عدة وقائع فكانت الدائرة اولاً على ماريوس وجوعه ولكنه انتصر فيما بعد على خصمه وهزمه واستولى على رومية ثم اخذ يتقم من اخصامه ومقاوميه فحدث مذبحه عظيمة بين الاهالي قتل فيها عدد كبير من ارباب الوظائف والمجالس واشراف الناس جهاراً في الاسواق . واما ماريوس فلم يتخلص من العقاب الذي استحقه بارتكابه هذا العمل لان ضميره كان يوبخه ليلاً ونهاراً نوبخاً شديداً ولاجل التخلص من ذلك انصب على شرب المسكرات فكان يتناول منها كمية وافرة ليسلي نفسه ولم تكن الا مدة قصيرة حتى اُصيب بحمى شديدة انتهت بها حياته . ولما بلغ سلاً موته قصد رومية بمحش عظيم فامتلكها ودعا نفسه الحاكم المطلق وقد سلك مسلك سالتو في قتل من كان متمحزاً عليه من الاهالي فحكم مدة قصيرة ثم خلع نفسه عن معاطاة الاحكام ففرح الجميع بذلك لانه كان مبغضاً ومكروهاً من اكثر الناس وبعد تنازله ببرهة وجيزة مات فلما احب الرومانيون الحرية كالايام السابقة لما خضعوا لظلم وجور سلاً

وماريوس ولكنهم التهموا وتولعوا باللذات الناشئة عن الغنى الذي حصلوا عليه بواسطة فتوحاتهم وانتصاراتهم على ممالك الارض فالتهموا بالعرض عن الجوهر وصرفوا النظر عن صلواتهم الحقيقية فكانوا يخضعون لروسائهم وكبرائهم الذين قادوهم في تلك الانتصارات العظيمة ويقدمون لهم احتراماً زائفاً فوق الوصف وبعد موت سلاً وماريوس ظهر في رومية قائدان عظيمان احدهما يدعى بومبي والآخر يوليوس وكان بومبي اكبر سنّاً واشهر لانه كان قد افتتح خمس عشرة مملكة واخذ ثمان مئة مدينة وتغلب على مثير بدانس اما يوليوس فلم يكن اقل همة وفروسية منه فانه هو ايضا اثار حروباً كثيرة على فرانسا وجرمانيا وبريتانيا ويقال انه انتصر في حروبه على ثلاثة ملايين من الناس وقتل نحو مليون منهم . ولما قويت شوكة هذين الاميرين وشاع بين الناس فخرها وبطشها كسالتها سلاً وماريوس ضاقت عليها البلاد بحيث ان كل الممالك الرومانية لم تعد تسعها فدخلها الحسد والطمع وظهرت بينها العداوة وكان قد انضم شعب رومية الى حزبين بحسب اغراض هذين القائدين فانفرد كل منهما بمجزية واقتتلا في فرساليا من اعمال نساليا وكان قسم كبير من جيش بومبي مولفاً من اشراف الرومانيين الاحداث فلم يستطيعوا الوقوف امام فرسان يوليوس فولوا منهزمين خوفاً من العدم والتلف وتمكن يوليوس من الانتصار على عدوه انتصاراً عظيماً وهرب بومبي الى ارض مصر فقتل هناك واُتي برأسه الى يوليوس فحزن على موته وناح عليه ولكنه لم يرد ان يراه . ولما بلغ ارباب المجلس الروماني انتصار يوليوس قدموا اصواتاً احتفالية لاهلهم ومنحوه السلطنة المطلقة ما دام حياً ولقبوه بقصر وحكموا على شخصه بالقداسة فصنعوا له تماثلاً واقاموه بين تماثيل الالهة والابطال في الكابيتول بالقرب من تماثيل المشتري وكتبوا عليه هذا تماثل قيصر نصب الاله فانظر الى غباوة الرومانيين وجهلهم في ذلك الزمان والى الدرجة التي توصلوا اليها من الاستعباد والتوحش . ولما رأى قيصر علو رتبته ورفعة مكانه ومتلوه في اعين الشعب لم يبق عليه ما كان يرغبه ويشتهي الا شيء واحد وهو

ان يسي نفسه ملكاً فوجه افكاره وقواه لاستئالة رضا الشعب والعساكر واخذ
 ينفق مبالغ وافرة على الولائم والضيافات وانواع الافراح والمسررات التي كان
 يدعو اليها جمهور الناس لتليقهم واستحلاب خواطرم لنحوه فمن ذلك وليمة عظيمة
 دُعي اليها الجيش الروماني جميعه فكان مدوداً في اسواق رومية اثنان وعشرون
 الف مائدة ملوة بالاطعمة اللذيذة والمشروبات الفاخرة ولم يمنع احد من الجلوس
 والمناولة سواء كان صاعولاً ام حفيراً . واذ كان الرومانيون قد فقدوا تلك
 المحاسنات الشريفة التي كانت عند اسلافهم ارتضوا ان يكونوا تحت نير عبودية
 قيصرهم بشرط ان يحصلوا على الاطعمة اللذيذة والمناظر المبهجة فسلموا له بما اراد .
 ولا ينكر بان قيصر كان رجلاً جليلاً مهيباً متصفاً بالصفات الحميدة والحدافة
 ولذلك نسي الشعب بانه كان قد خدعهم بهذه التلقبات واعدمهم حرية بلادهم
 فكانوا يسرون في مشاهدته في المواسم والولائم العمومية جالساً على عرش من
 ذهب وعلى راسه اكليل مرصع بالجواهر النفيسة

ولكن مع كل ذلك لم يخل الامر من وجود بعض الأشخاص من الرومانيين
 الذين استمروا متمسكين بحجة الحرية محبة مجردة فكان بعضهم يبغض قيصر
 لظلمه وبعضهم حسداً وغيرة من تقدموا فانفقوا على قتله واسرعوا في استعمال
 الوسائط على هلاكه واعدامه وكان رئيسا هذه الفتنة رجلين احدهما يدعى
 برونوس والثاني كاسيوس اما برونوس فكان محباً لبصر ومحبوباً منه ولكنه راي
 ان واجباته لنحو تحرير وطنه تلزمه ان يتظاهر بقتل صديقه قيصر واما كاسيوس
 فمع انه كان موافقاً برونوس من جهة تحرير البلاد من نير العبودية كان له
 اسباب اخرى تحركه للقيام وهي انه كان يبغض قيصر ويمنى هلاكه حسداً على
 عظمتيه . واشترك معها في هذا العمل ستون رجلاً قد صمموا على اجراء مفاصدم
 جهاراً في دار المجلس العالي خلافاً للاكثرين الذين كانوا قد اتفقوا على قتله سراً
 عند انتصاف الليل . وكانت العلامة بينهم انه عند قدوم قيصر الى دار الولاية
 يعطيه احدهم رقعة كانه طالب حاجة فيختمذ فيجمعون عليه ويقتلونه . ولما كان

الصباح الذي عيّنهُ لقتلو خرج قيصر من قصره حسب عادته محاطاً بمجهور
 غفير من اصدقائه الهنالكين وعند نزوله الدرج خارج باب القصر تقدم اليه
 رجل من المنجمين اسمه ارتميدوروس وناولهُ ورقة تتضمن خبر تلك التنة فتناولها
 منه وقد ظن انها عريضة فسلمها لاحد كُتبت ولم يقرأها ولو قرأها لا مكنهُ ان
 يتخلص من الموت ثم مرّ قيصر بموكبه الخاص في اسواق رومية والناس يقفون
 من حولهم على الجانبيين اجلالاً له ويهتفون في مدحهم ويدعون له بطول
 العمر فخامرته الكبرياء واستعظم بنفسه شاعراً بأنه قد صار من اعظم العالم
 واستمر في مسيره الى ان وصل الى دار المجلس العالي حيث كان مصفوقاً على
 تماثيل كثيرة من مشاهير رجال الرومانيين ومن جملتهم تماثيل القائد بومبي
 الذي قد اتى برأسه الى قيصر من مصر وعند ما اقترب من هذا التمثال تقدم
 اليه احد المشتركين في هذا الفساد يقال له متلوس سهر فقدم له اعراضاً وجنا
 امامه اخناً بطرف رداؤه كأنه يستغيث به في قضاء حاجة له فوقف الملك
 ليرى ما في تلك الورقة ولم يعلم انها حيلة وعلامة اتفقوا عليها لاتمام مقاصدهم الا
 انه لم يتو منها حتى وافاه رجل اسرع من البرق وطعته بنخجر في كتفه فالتفت
 قيصر اليه واخطف النخجر من يده وشمته فعند ذلك هم عليه الباقيون فدافع
 عن نفسه بحجارة ونشاط لا مزيد عليها ثم ظهر بروتوس من بين المجهور
 وطعته بنخجره وقد ذكرنا ما كان بينه وبين قيصر من الصداقة والمودة فلما رآه
 قد رفع يده عليه توقف عن المدافعة ونظر اليه بعين التوبخ قائلاً وانت ايضا
 يا بروتوس ثم ستر وجهه بطرف ثوبه وسقط على الارض ميتاً امام تماثيل بومبي
 فغمس اولئك العصاة اسلحتهم في دمه المسفوك وخاطب بروتوس سبسون
 احد ارباب المجلس الذي كان خطيباً شهيراً ومحباً للوطن قائلاً له بهل وافرح
 يا ابا وطننا لان رومية قد تحررت الآن وكان وقوع هذه الحادثة سنة ٤٤ ق م

الباب الرابع

في حكم اوغسطس قيصر وامتداد السلطنة في ايامه مع ذكر
الوسائط التي سببت لها هذه الشهرة والقوة

وبعد موت يوليوس قيصر حدث خلل عظيم في احكام رومية فنهض
اصدقاؤه واعوانه لالاخذ ثارهم والانتقام من المذنبين فاضطر بروتوس وكاسيوس
وغيرها من المشتركين في القنة المار ذكرها ان يهربوا من المدينة وكان ليوليوس
قيصر المقتول ابن اخت اسمه اوكتافيوس كان صغيراً لما مات ابوه فتبناه
خاله قيصر واعتنى بتربيته وارسله الى بلاد اليونان للتعليم والتدريب فلما قتل
خاله المذكور في رومية كما تقدم كانت عمره ثماني عشرة سنة وعندما بلغه هذا
الخبر حضر الى رومية ليستولي على ميراث خاله فاعطاه مرقس انطونيوس احد
روساء الجمهورية جزءاً عظيماً من الميراث وتزوج باخا اوكتاوة ثم اشركه
معه في رياسة الجمهورية الرومانية واشركا اميراً ثالثاً معها يقال له ليديوس
وكانوا مثل يوليوس قيصر يكرهون الحكومة الجمهورية ويميلون الى المذهب
الملكي فاتفقوا على تشييت شمل اعدائهم وشرعوا في توطيد سلطنتهم واخذوا
يقتلون كل من كان مقاوماً لهم فكتبوا رقعة تتضمن ٣٠٠ اسم من اعضاء المجلس
العالي والذين من اعيان الناس وسلموها لبعض من يعتمدون عليهم وغروهم
بالجوائز على قتلهم وكانوا يظهرون مزيد الفرح والسرور عندما ياتهم احد براس
من كان اسمه مكتوباً في تلك القائمة فكان اكثرهم يقتلون ابائهم واعمامهم ومن
يعز عليهم طمعاً ورغبة في المال . اما برونوس وكاسيوس فكانا قد قصدا بلاد
اليونان والتجأ الى ملكها واستعانوا به على حرب رومية فامدها بمئة الف مقاتل
من شعبان قومو فانتصرا راجعين على الفور الى رومية بهذا الجيش العرمم لتخليص

الملكة من ايدي المغتصبين. وكان قد بلغ خبرها مرقس انطونيوس واوكتافيوس
 فخرجا لقتالها بالجيوش الرومانية فالتقيا بهما في اطراف فيلي وليا وقعت العين
 على العين اشتبك القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على بروتوس وكاسيوس
 وانهمزمت جموعها وتبددت فالتزما ان يقتلا نفسيهما خوفاً من الاسر والانتقام
 وبموتها رافقت احوال الملكة للشركاء الثلاثة ثم اتفق اوكتافيوس وانطونيوس
 على طرد شريكها الثالث فطرداه من شركتها وصفا لها الوقت وراق ثم وقع
 بينها الاختلاف والتراع بسبب تزوج انطونيوس بكليوباترا ملكة مصر واستمزاز
 باخت اوكتافيوس التي كان متزوجاً بها فخاربا بعضها بعضاً وانتهى الامر
 باتصار اوكتافيوس على انطونيوس في بلاد مصر فقتل انطونيوس نفسه يده
 هناك فاصبح اوكتافيوس بدون مقاوم ولا منازع واستقل بنفسه على احكام رومية
 واتخذ لنفسه لقب امبراطور واشهر باسم قيصر ونسي ايضاً اوغسطس ومعناه
 المؤقر وهي القاب ثلاثة مترادفة على معنى واحد تطلق عند الرومانيين على كل
 ملك من ملوكهم وكان المجلس العالي ايضاً اعطاه لقب باتر باتريا اي ابي وطن
 وغير ذلك من الالقاب على سبيل التخم والتعظيم ومن ذلك الوقت تحولت
 الجمهورية الرومانية الى دولة ملكية. وكان اوغسطس من افراد الملوك عادلاً
 حليماً يميل الى المعارف والآداب فرتب القوانين العادلة لراحة الاهالي وافتتح
 ممالك واقاليم كثيرة بشجاعة قواده وامرائو لاسيما قائده المسمى اغريبا فانه كان
 من افراد الابطال ثم استولى على مصر وغيرها وكان مع سطوت وابهت وديعاً
 انيساً ومع انه لم يكن يومئذ في رومية الا قليل من اهل الصلاح وعصب السلام
 نصرف هذا الملك باستعمال سطوته على طريقة اصلح مما استعملها كثيرون غيره
 لانه في كل مدة حكمه كانت رومية في غاية الهدوء والسلام وفي ايامه عاش فيرجيل
 وهوراس ولوفيد وغيرهم من مشاهير الشعراء وحازوا على انعام وشملهم بانظاره
 ولذلك مدحوه في اشعارهم واطنوا في وصفه وعاش اوغسطس قيصر المذكور عمراً
 طويلاً ثم مات سنة ١٤ بعد الميلاد وله من العمر ست وسبعون سنة بعد ان حكم

أحدى وأربعين سنة حكومة ملكية فضلاً عن مدة الرئاسة الجمهورية. وكان العامل على اليهود بالقدس من قبله هيرودس وفي مدة حكمه صار الاكتئاب العمومي المذكور في الانجيل الذي سببه ذهب يوسف ومريم الى بيت لحم حيث وُلد المسيح كانت السلطنة الرومانية في أيام أوغسطس في اعظم وأعلى درجة من زهوها وغناها وكانت متسلطة على جميع شعوب أوروبا ما عدا بعض القبائل في الجهات الشمالية الذين استمروا محافظين على استقلاليتهم. أما الممالك التي كانت تحت تصرف احكام الرومانيين في أوروبا فهي أنكلترا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا وجميع ولايات إيطاليا واليونان وتركيا في أوروبا وغيرها وكانوا أيضاً يحكمون على أكثر البلدان الواقعة بين آسيا الصغرى غرباً والهند شرقاً مع كل آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين وغيرها وقد امتدت قوتهم وقويت شوكتهم بهذا المقدار حتى أنهم اخضعوا أكثر ممالك أفريقيا كصر ومراكش والحبشة وغيرها وكان لهم في كل ولاية ومملكة من هذه الممالك المذكورة ولاية وحكام وعساكر رومانية تسوسها وتحفظها وبالحقيقة ان هذا الامر من اعجب العجائب لانه لم يتيسر لغيرهم من دول الأرض ما تيسر لهم من الفتوحات والانتصارات وليس ذلك إلا بواسطة ادارة حكاهم وعلو قوتهم. وفي ذلك العصر تجمعت صنائع البناء والنقش والتصوير وتوصلت الى درجة سامية من الكمال وامتدت في جميع اطراف السلطنة. وكانت المدن والبلدان مزينة بالهاكل المبهجة والقصور المرمومة المزخرفة الملونة من النمايل الجميلة والصور الثمينة فاقاموا في جميع البلدان التي اضمتهما الرومانيون ابنية عامة كثيرة النفع كتحصين الطرق وقيام الجسور الثمينة وبناء الاقنية لجلب الماء الى المدن والى يومنا هذا كثير من بقايا تلك المشروعات والعمليات العظيمة في اغلب البلدان التي وقعت تحت ايدي ذلك الشعب العظيم مع انها اقيمت منذ التي سنة تقريباً. وإما مدينة رومية فكانت من اعظم مدن العالم وإيجها وكانت دائرتها في زمن أوغسطس ٥٠ ميلاً وعدد سكانها اربعة ملايين وكانت محاطة بأسوار عالية متينة البناء نظير

بأقي المدن القديمة لأن الضرورة يومئذ الزمتهم إلى ذلك لأجل وقاية المدن وصيانتها من هجمات العدو. وكان لها ثلاثون باباً وكانت من عجائب الزمان منظرًا وبهجة حتى يكاد الواصف يعجز عن وصف زخارفها وحسن رونقها وزينتها لأن القواد الذين اختلوا الممالك الأجنبية بانتصاراتهم كانوا يأتون بجميع الامتعة والتحف النفيسة العجيبة التي يحوزون عليها في مغازيمهم ويضعونها في قصور هذه المدينة وهياكلها زينة لما فكان فيها تماثيل جاءوا بها من بلاد اليونان وأعدة من مصر وامتعة مجنسة عجيبة وغريبة من اسيا وغير ذلك من الفضة والذهب والنجارة الكريمة التي كانوا يجمعونها من اقطار المسكونة . وكان فيها قصور جميلة وهياكل مستظرفة أكثرها من المرمر المنقوش نقشاً جميلاً ومرايح ومحلات مدهشة للشاهد والملاهي العمومية وغير ذلك من الابنية الفاخرة التي تدهش الابصار وتغير بحسنها الافكار وبالأجمال كانت مشحونة بغنائم وظرائف الدنيا بأسرها. اما الوسائط التي استعملها الرومانيون للحصول على هذه الشهرة والافتخار فهي الفتوحات والممالك التي استولوا عليها والغنائم الكثيرة التي اكتسبوها بواسطة قساوتهم البربرية في قتل اعدائهم وسلب اموالهم بدون ادنى رحمة ولا شفقة.

ولا بُدَّ أن الرومانيين نظير اليونانيين والفرس والمصريين وغيرهم من الامم القديمة كانوا يتصورون تصورات من جهة الفضيلة فكانوا يعلنون أحياناً اعمالاً حسنة تستحق المدح ولكنهم كانوا نظير الشعوب المذكورين فاقدي الاداب الحقيقية التي تستدعي معاملة الناس على نفس الاسلوب الذي يريدون ان يعاملوا به . وكانت رومية ايضاً نظير غيرها من الامم القديمة فاقدة تلك الديانة الحقيقية التي تعلم الناس ان كل قوة غير مبنية على مبادئ العدالة والاستقامة لا بد من سقوطها وانقراضها فلذلك كانت فاقدة لمجد الحقيقي لانها لم تحصل على تلك العظمة والشهرة الا بواسطة سفك الدماء والنهب ولكن مع كل ذلك استمرت زمناً طويلاً في عظمتها وبهجتها بعد اوغسطس قيصر وزادت

تبعات اغنيائهم وإشرافها وتوصلت في المعارف والفتون الى درجة سامية

الباب الخامس

في تعداد إمبراطرة الرومانيين وبعض اخبارهم

وبعد موت أوغسطس خلفه طيباريوس سنة ١٤ لليلاد وكان رجلاً جافياً فانتگا شرس الطبع فيج المنظر اقزع الراس مولعاً بشرب المسكرات وكان فيه تبه وتعاظم ولذلك كان يتفخر على من تقدمه من الملوك السالفين وكان كثيراً ما يقول في خطبه انا مولى الرعايا وقائد القواد وملك الاهالي وسيدهم واستوزر من يلائم طبعه من الوزراء والأمراء فاشاروا عليه بقتل عائلة أوغسطس فقتل أكثرهم وحكم على كثيرين من الناس بالموت بدون حجة ظاهرة والنبي جثمهم في الازقة والأسواق ليشاهدها الناس ومن جملة قبائحها انه امر يوماً بقتل امرأة مسكينة لانها ناحت على قتل ابنها . وكان مع بطشه وفتكه في اضطراب وإرتباب عظيم خوفاً على نفسه من القتل فكان ضربه يوسوسه ويفلقه ومع انصافه بهذه الخصال الذميمة كان خيراً بالسياسة والتدبير فكانت أيامه صلحاً وسلاماً مع باقي الممالك الأجنبية ولم يحصل في مملكته ادنى اختلال في النظامات . وفي أيامه صلب السيد المسيح في اليهودية التي كانت وقتئذ ولاية رومانية . واليه تُنسب مدينة طبرية التي بنواحي القدس بناها هيرودس انتيباس بن هيرودس الكبير وكان عاملاً له على اليهودية وسماها باسمه . ومرض هذا الامبراطور مرضاً شديداً واذ كان مشرفاً على الصحة خنته الحرس بفراشه فمات

ثم خلفه كليغولا وهو ثالث امبراطور من امبراطرة الرومانيين بعد أوغسطس تولى سنة ٢٧ بعد وفاة عمه طيباريوس فاستبشر به الرومانيون لانه كان في اول حكمه على جانب عظيم من الاستقامة والعدالة ثم لما مرض

وُسُفِي من مرضه استعالت استقامته وعداثة الى التمدي والظلم وارتكاب الكبائر وسفك الدماء . وكان يحجب اهل الملاهي والسخرية واللعب ويستخضرم الى ديوانه ويدعو لذلك ارباب المجلس ويظهر لهم الفرح والانشراح وكان كل من يرفع صوته من الوزراء والاعيان في هذا الاجماع بأمر بضربه . ومن غريب اعماله انه كان قد اصطنع له اصطبلًا من المرمر لفرس كان يعزها وعمل لها حوضًا من العاج ورصع سروجها باللؤلؤ والجواهر وقيد اسمها في دفتر الكهنة بزعموا انها ستصير ذات يوم حاكمة على الرومانيين . وبالحيلة فانه كان من افجع الناس سيرةً وكان من فرط قساوته وقبحه انه اذا امر بقتل انسان لا يكتفي بقتله الا بحضور اهلوا ليشاهدوا عذابه وموته . وفي ايامه كانت الحروب غير منقطعة وعلى الخصوص في بارتيا وبرثانيا . فلما كثر جوره وعم الناس شره قتله احد قواده في قصره واراح الاهالي من ظلمه

ثم خلفه كلوديوس سنة ٤١ وكان على غابة من الخفة والنفلة ومع ذلك كانت له مشاركة في الادب والمعارف فقد ألّف تاريخ رومية وقرطاجنة وغير ذلك من الكتب التي فقدت وضاعت . وكان تزوج بامراة تسمى مسالينة فكانت تبغضه وتبغضه الموت طمعا في زواج شاب من الامراء كانت تودّه وقيل اليه فصمت يوما على قتله لتولي محبوبيها زمام المملكة فلما انكشفت له خيانتها قتلها وتزوج بامراة ارملة من نسل اوغسطس اسمها اغرينة وكانت اشر واخبث من الاولى وكان لها ولد من زوجها الاول يقال له نيرون وكان لكلوديوس المذكور ولد من زوجة اخرى ابريطانيكوس فكانت تغار منه وتطع في تولية الملكة لابنها نيرون ليكون لها نفوذ الكلمة في الحكومة مجاهدة فنصت قتل زوجها كلوديوس لتتال مرغوبها فسقته كاسًا مسمومة لتمينه واذ كان قصدها ان تقيم ابنتها نيرون خليفة لايه عوضًا عن ابن ضرّتها المتقدم ذكره اخفت عن الشعب موت كلوديوس واخذت تستميل اليها قلوب الاعيان والوزراء وقواد الجيوش حتى تمكنت منهم ووافقها الجميع على تولية ابنتها نيرون وبايعوه وهو ابن خمس

عشرة سنة

وكان جلوس نبرون على سرير الملك سنة ٥٤ للميلاد وكان يظهر منه في اول الامر الانس والوداعة وكال الاستقامة ثم تغيرت اطواره وسامت احواله فخلع العذار وجار على العباد بالقتل والظلم والعذابات المختلفة وكان يبغض المسيحيين بغضاً شديداً ويتمنى هلاكهم . وكان قد بلغه ذات يوم ان كثيراً من اهل رومية اعتنفوا الديانة المسيحية فكره ذلك منهم وامر بقتلهم ثم قتل بولس الرسول ظلماً وعدواناً وقتل بعده بطرس الرسول ثم قتل مرقس الانجيلي بالاسكندرية لثنتي عشرة سنة من ملكه ثم قتل امه وامراته واخاه ومعلمه الفيلسوف سينيكا . وكان قد امر بحرق جانب عظيم من مدينة رومية بالنار مجرداً لكي يراها مشتعلة فعند ما اضطربت بالنار كان على احد السطوح المرتفعة يضرب



صورة بولس الرسول وجدت في احدى القبور القديمة منقوشة على قطعة نحاس وفي من الجبل الخامس

على العود فاتهم المسيحيين بهذه الحريقة واجرى عليهم قصاصات صارمة . وكان بصطنع الولاة ويدعو اليها الناس وينفق عليها الاموال الكثيرة ويجول في الليل متنكرًا يزى المالك باطراف المدينة ليتجسس اخبار الناس وما يقولون

فيه . واستمر على هذه الحالة الذميمة الى ان خلعه اكاير الشعب فانزلوه عن كرسي الملك وحكوا عليه بالموت بضرب العصي فقتل نفسه يده ليخجروا العذاب وقيل ان عسكره هجموا عليه ففطعوه بالسيف حتى لم يبق في جسده عضو يعرف والقوه الى الخارج فادلوه الى الكلاب ولم يدفن ولما يوجد نظيره في التدرب بجميع الخصال الردية وظهرت قباحتها اكثر لسبب سمو رتبته وشرف مقامه قال الشاعر

العيب في الجاهل المغفور مغفور وعيب ذي الشرف المذكور مذكور
كفوفة الظفر تخفى من صغارتها ومثلها في سواد العين مشهور
وقام بعده غلبا ولوثون في سنتي ٦٨ و ٦٩ اما الاول فقتله جده واما الثاني فقتل نفسه يده

ثم قام بعدها فينيلوس سنة ٦٩ وكان بطلاها ما وشجاعا مقداما عديم الشفقة قاسي القلب يجب القتال ومباشرة الحرب ولا يهمله صالح الشعب فمقتله الناس وكرهوه واضمروا له الشر وفي اثناء ذلك قام عليه احد قواد جيشه غاربة واسره ثم اوثقه بجمل وامر العساكر ان تقوده على هذه الحالة الى موضع معلوم في المدينة ليتلقوا فقادوه الى ذلك المكان وامانوه هناك موتا قبيحا ثم قطعوا راسه ووضعوه على راس حربة والقوا جثته في نهر تير وكان ذلك آخر الهدى

ثم خلفه فسباسيانوس سنة ٦٩ وكان متصفا بالسياسة وحسن التدبير وكان وقتئذ يجارب اليهود في اليهودية لعصيانهم على الدولة الرومانية فلما بلغه موت سالو جعلت عساكره تنادي باسمه قيصر فترك فلسطين وسار الى رومية وقام ابنة تيطس مكانه ودخل المدينة بدون ادنى مقاومة فخضع له جميع الاهالي وبايعوه بالملك فحكم عشر سنين اغلبها في الراحة والسلم وهو اول امبراطور روماني مات حنفا انه

ثم خلفه ابنة تيطس سنة ٧٩ وكان قبل جلوسه على سرير السلطنة لا يهد

منه إلا التساوة والجبروت لاسيما ما ظهر منه من كثرة القتل والنهب عند محاصرته القدس واستيلائه عليها فلما حكم سلك سبيل العدل والانصاف وحمدت خصاله فاحبه الناس ولقبوه مسرة البشر ومن جملة مناقبه انه مضى عليه يوم لم يفعل فيه شيئا من الخير لرعاياه فيبينا هو يراجع نفسه بذلك في المساء هتف صارخا آه يا اصحابي قد ضيعت يوما . وفي ايامه هاج بركان جبل بزوف بقرب نابولي وخرب ثلاث مدن واحترق جانب عظيم من مدينة رومية ثم اغتبه وبأ مخيف مات به كثيرون من الاهالي وفقد منهم في يوم واحد عشرة الاف نفس فكان تبطس ينفق على المصابين من خرائطه بكل سخاء ثم مرض تبطس بعد ذلك بالحمى فدخل الحمام فمات به فجأة بعد ان حكم ستين وشهرين

ثم خلفه اخوه دومينيانوس سنة ٨١ وكان قبل تملكه منصب القيصرية متصفا بمكارم الاخلاق والسيرة المحسنة ولكن بعد جلوسه على كرسي السلطنة تبدلت محاسنه بالقبائح والذرائل فاشبه يديرون في ارتكاب الفواحش وقتل النفوس بدون جنابة وكان اذا لم يجد من يقتله سقى نفسه بقتل الذبان حتى لا يخلو دقيقة واحدة من الاذية والضرر قيل ان احد خدامه سئل يوما هل عند الملك احد اجاب ولا ذبانه . وكان مع هذه الاوصاف الذميمة متعظا منكبرا حتى انه لقب نفسه الها وسيدا . وكان يكره اليهود ويغضهم بغضا شديدا فقتل اكثرهم ثم اضطهد المسيحيين وامر بقتلهم كما فعل نيرون وحبس يوحنا الانجيلي . ومن غريب اعماله انه كان قد استدعى ارباب المجلس يوما الى وليمة اعدوها لهم وعند حضورهم دخل بهم الى مخدع مظلم كان قد وضع فيه عدة نوايس مكتوب على كل منها اسم واحد منهم وبعد ان مهددهم بالقتل امر باطلاقهم ويقال انه دعاهم اليه يوما آخر وطلب منهم ان يتذكروا بعضهم مع بعض عن الذل الاطعمه وافضلها وان يعطوا قرارهم عن احسن الاواني المناسبة لطبخ جنس من اجناس السمك . وكانت اكثر اعماله على هذا النمط فلما زاد

شدة منته الشعب وخذلوا عليه فاغروا على قتل اميراً يدعى اسطفانوس فحضر
اليه بوسيلة كتاب حضر به اليه ثم ناوله الكتاب فيبيناً كان مشغولاً بقرايته وثب
عليه وقتله

ثم خلفه نرفاسنة ٩٦ وهو في سن السبعين وكان جواداً انيساً ذا معرفة
وسياسة ولكنه اذ كان مستأصب عليه ان يقوم باقتال السلطنة وحده فاستدعى
اليه تراجان حكامار جرمانيا فتيناه واشركه في الملك معه وعينه خليفة له . وكان
قد امر برد من كان منفياً من المسيحيين واباح لهم التمسك بدينهم ورجع يوحنا
الانجيلي الى افسس

ثم خلفه تراجان المذكور وكان على جانب عظيم من الحكمة والفتنة وشدة
الباس فحنف المكوس واهتم بجلب كل ما ينفضي لراحة الشعب فانشأ القناطر
واصلح الطرق وجدد المواقي البحرية لتكثير التجارات والمعاملات وبني في
رومية ملعباً لسباق الخيل وجدد مكتبة عظيمة واقام العمود الرخامي الايض
المسي التراجيان ورسم عليه الحروب التي وقعت بين الرومانيين وباقي الدول
الاجنبية وجميع انتصارات الفياصرة في ذلك الزمان . وكان قد عبر نهري
الفرات والدجلة بعساكره واخضع ما بين النهرين وبلاد العرب وغيرها من
الملك الشرقية وصيرها ولايات رومانية فاشتهر ذكره في سائر الاقطار حتى
ان ملوك الهند بعثوا اليه سفراء ليهشوه على انتصاره . وكان مضطهداً
للمسيحيين ومن فرط بغضه لم امر بقتل سمعان بن اكلاوبا اسقف اورشليم وعند
زيارته انطاكية سنة ١٠٧ امر بطرح اغناطيوس اسقف تلك المدينة الى جب
الاسود فات شهيداً

ثم جلس بعده على سرير الملك ابن عمو ادريانوس سنة ١١٧ وكان سريع
الغضب كثير القلب لا يثبت على راي فكان نارة حليماً واخرى قاسياً جافياً
وكان مبغضاً للمسيحيين واليهود فقتل منهم خلقاً كثيراً وهو الذي رم مدينة
القدس وبنائها بعد ان كانت قد هدمت في حصار تيطس فرجع اليها اليهود

وزادوا في تحصينها وتحصينها وكان قد بلغه انهم يريدون ان يخرجوا عن طاعته
فارسل اليهم العساكر وقتل اكثرهم وخرب المدينة حتى صارت قاعاً صنفاً
وكان هذا الخراب لثلاث وخمسين سنة من خراب نيطس

ثم تولى بعد هذا القيصر نيطس انطونيوس سنة ١٢٨ وكان حليماً عادلاً محباً
للسلام مطبوعاً على مكارم الاخلاق وفي ايامه حصلت المسيحيون على تمام الراحة
لانه كان قد رفع عنهم تلك الاضطهادات السابقة واعطاهم حريتهم وكانت مدة
حكمه ٢٢ سنة

ثم خلفه مرقس اوريليوس انطونيوس سنة ١٦١ وكان متمسكاً بمذهب
زينون المحكيم احد الفلاسفة المتشككين وكان منعكماً على المطالعات والدروس
واكتساب العلوم والفنون ولكن اذ كانت حالة الملكة بومثري في قلق واضطراب
لم يعد يمكنه ان يلتفت اليها بل التزم ان ينهض الى محاربة الولايات التي كانت
قد عصت عليه في الجهات الشمالية وبخضعها . وفي ايامه فاض نهر رومية فازعج
الاقاليم المجاورة واضر بالاهالي ثم عقب ذلك زلزلة عظيمة ازعجت المسكونة
وحدث وباء عظيم هلك به خلق كثير

ثم خلفه ابنه كومودوس سنة ١٨٠ وكان قد شارك ابيه في حرب البرابرة
ولكنه بعد موت ابيه عقد معهم صلحاً وخالف في ذاك وصية والده ليغتنم فرصة
التنعم في ملاهي رومية ولذا انها وعند موته قام مكانه بولاية الامر برتيناكس والي
المدينة سنة ١٩٣ فضج الجند من جرى ذلك لانهم لم يكونوا يريدونه قيصراً عليهم
فقصدوه نحو ثلاث مئة نفر منهم الى داره وهجموا عليه وقتلوه . فلما خلا سرير
السلطنة من ملك او ولي عهد استصوب الشعب ان يضعوا المنصب الملكي
في الزاد فينالته من يدفع فيه مالا اكثر من غيره فاجتمع الاكابر والاعيان
وارباب الوظائف والاركان واخذ بعضهم يتزايد على البعض فاستقر البيع على
بوليانوس وكان ذا ثروة عظيمة فبايعوه بالملك وصادقوا على ولايته بدون ارادة
عامة الجند المتفرقة بومثري في بريتانيا وسوريا وباقي الاقاليم الخارجية الذين

عند وقوعهم على هذا الخبر خلعوا الطاعة وباع جنود كل اقليم ملكاً اختاروه من القواد حتى سادت المملكة ثمزق الى عدة قباصة فاخترت العساكر المحافظة على سواحل ايطاليا سفيرس القائد قبصراً على المملكة وكان موصوفاً بالشجاعة وحسن التدبير فقصد رومية بسرعة مع جيشه ودخلها بموكب عظيم ونبوا نخت المملكة بدون حرب ولا قتال . وكان المجلس العالي قد اصدر حكماً بعزل يوليانوس المذكور وقتله كعجزه فقبض عليه الجند وقتلوه بعد ان حكم ٢٦ يوماً فقط وذكر بعضهم ان سبب قتله كان عدم تقديمه العطايا التي كان قد وعد بها ارباب المجلس عند مبايعتهم اياه نخت المملكة . وفي غضون ذلك حدثت حرب اهلية بين شعوب الرومانيين استمرت نحو اربع سنين

وكان سفيرس يقارب يوليوس قيصر في الشجاعة والبسالة والادارة العسكرية فانتصر على مقاوميه وعاملهم بقساوة لا مزيد عليها وقبض على الذين كانوا قد باعوا كرسي المملكة لسالفه واثار حرباً على الاسكونسيين سنة ٢١١ ومات في مدينة يورك من اعمال انكلترا

ثم تولى بعده ابنه كاراكلا وكان دمويّاً شريفاً قتل اخاه وجرح امه في ذراعيها وفك باكاير الناس وقتل منهم نحو عشرين الف نفس ثم اضطرب واخذ القلق والوسواس من جرى ذلك ولازمه الهم والخوف حتى انه كان يرى كثيراً احلاماً مزعجة فكان يلقي ذاته عنها بالولائم والالعب المختلفة وكانت نفوده مغشوشة فكانت دنائره الذهبية من نحاس مغطاة بالذهب ومسكوكاته الفضية من رصاص مغطاة بالفضة وكان يخزن المعاملة الخالصة في خزائنه لوقت الزوم والحاجة . وكان يتربى بزي اسكندر المكدوني في اللبس والعوائد حتى انه اتخذ لنفسه ستة الاف من العساكر المكدونية تقليداً للعساكر اسكندر وعاق ايضاً مثال اسكندر على الهياكل والمعابد وسمى نفسه اسكندر لتكون هذه القائل رمزاً له ثم شرع واستعد للغزو والفتوحات على منوال اسكندر ولكنه لم ينجح فلما رأى جنده حالة الهامة وانحطاط ناموس دولتهم بوجوده قتلوه وهم

يومئذ ببلاد سور يا بدسية مكرينوس الحاكم الذي خلفه في السلطنة زماناً يسيراً ثم قام بعد مكرينوس المذكور بسيانوس هليوكو بالوس سنة ٢١٨ وكان غلاماً بديع الحسن والجمال وقيل له بسيانوس يعني الشمس لحسنه وجماله وكان في أكثر الاوقات يتزني بزني النساء فيضع في عنقه قلادة من ذهب وفي يده اساور من الذهب وكان ينشر في قصره انواع الزهور والرياحين وينشر تحت رجليه النقة والذهب فاستفجع الناس افعاله فقام عليه الاهالي وقتلوه وكانت مدة حكمه اربع سنوات

ثم خلفه ابن عمه اسكندر سيفيروس سنة ٢٢٢ وكان ملكاً عادلاً حليماً انيساً وديعاً الى الغاية وكانت امه مسيحية يقال لها مامه فكان يستشبرها في جميع اموره ويعمل برايا فلما ابطال عبادة الاوثان واخرج الاصنام من رومية ودعا الناس الى الديانة المسيحية وكان كثيراً ما يجمع الاهالي ويعظم بالخطابات المنيفة ويدارك بجسده ملاحظته ما يقع من الخلل والفساد في اقطار المملكة وكان ينعم على اهل الفنون والصنائع بالجوائز السنية لترغيبهم وتنشيطهم ولم يكن يقبل في ديوانه احداً من ارباب الملاهي والالات من المغنين كباقي اسلافه وامر بدفع اجور العسكر في اوقاتها وكان يزور المرضى من الجند في خيامهم . وتصدى سيفيروس لحرب الهم فقصده تلك البلاد بجيش عظيم وعند وصوله الى انطاكية عصت عليه فرقة من عسكره وصممت على قتله فنادها الى الطاعة بواسطة شجاعته وثباته ثم تقدم نجاه بلاد الهم وحارب ملكها اردشير واتصر عليه ورجع الى رومية ظافراً منصوراً واستمر ملكاً الى ان قام عليه بعض العساكر وهو يومئذ في حرب القبائل المتبررة وقتلوه مع امه بدسية مكسيمينوس . وكان السبب في ذلك ان سيفيروس قبل وقوع هذه الحادثة باثنتين وثلاثين سنة وهو اذ ذاك قائد الجيوش الرومانية كان قد نزل بجيشه على مدينة تراس وهي مدينة مكسيمينوس المار ذكره فامر المصارعين والهلوانية وجميع ارباب الملاهي والحرف ان تلعب امامه ذات يوم وكان مكسيمينوس في ذلك المكان وكان

جباراً عتيذاً شديد القوة شرس الاخلاق طويل القامة فتقدم هذا الى امام
سفيروس وتمثل بين يديه وطلب منه ان ياذن له بالدخول بين زمرة
المصارعين ليريه شيئاً من براعته فاذن له بذلك فدخل بينهم واطهر من النشاط
والقوة الشديدة ما ادهش به العقول فاستحسن سفيروس عمله وانشرح من برازه
وحسن حركاته فقرّبه اليه وادخله نفراً في سلك عسكره ثم اخذ يدمه ويرقيه
في الوظائف والمناصب الى ان صيره من اكابر القواد فلما اشتهر امره واتشهر
ذكره بمجد فضل مولاه واحسانه الذي كان سبباً لارتقائه وحدثه نفسه على قتله
واعدامه طمعاً بمنصب القيصرية فاخذ يستميل اليه القلوب والخواطر ويجرّض
الجنود على قتل سفيروس فيصرهم حتى قاموا عليه وقتلوه كما وصفنا وشرحنا
وبابعد هذا الغدار المذكور ونادوا باسمه قيصراً . وقد ذكرنا ما كان فيه من
القوة والبطش وشراسة الاخلاق فاحقر الناس اشد الاحقار وعاملهم بالجنفا
والاستكبار وكان قد زحف لقتال اهل جرمانيا بالجيوش الرومانية فساء ذلك
في اعين الشعب وتمنوا له الهلاك نظراً لما شاهدوه من قبائحهم وفضائحهم فرفضوه
وعزلوه في غيابة باتفاق المجلس العالي وسعوا مكانة غودريان وابنه غودريان
الاصغر معاً لداعي لياقتها واهليتها لهذا المنصب العالي وكان غودريان وقتئذ
عاملاً على ايلة من اقاليم قرطاجنة في افريقية . وكان للرومانيين حكماداري في
بلاد المغرب يسمى كابلينانوس فلم يوافقهم على هذا العمل ونهض في الحال لمقاومة
الرجلين المذكورين فقتلها بعد معركة شديدة . فلما بلغ اعيان المجلس في رومية
هذا الخبر انتخبوا رجلين من افرادهم واقاموها على كرسي الملكة يقال لاحدهما
مكسيموس والثاني بليينوس وعندما تمت هذه الاخبار وانصلت الى مسامع
مكسيمينوس القيصر المعزول وهو يومئذ يحارب بلاد جرمانيا استشاط غضباً
وغيظاً من اعمال المجلس وما اجراه في حق فارند راجعاً على النور قاصداً رومية
وفي اثناء مسيره حوّل وجهه نحو ايطاليا لينتقم من اخصامه ومبغضيه . وكان
المجلس قد اصدر امراً الى ولاية ونواب تلك الاقاليم التي لا بد من مرور

مكسيمينوس عليها برفع الذخائر والمؤونة وباقي اللوازم العسكرية من جميع المدن والقرى التي في تلك الاطراف حتى عند وصوله اليها لا يجد فيها ما يستعين به على قطع الطريق وكان الامر كذلك فانه عند قدوم هذا الملك بالجيوش الجحرة الى تلك البلاد وجدها خالية من المأكولات ولوازم العسكر وكان قد نفذ زاده فسات امورهُ وتضعضت احواله فهاج العسكر عليه لشدة ما فاسوا من الجوع ومن مشقات الحرب وقتلوه في مضرية . وبعد موته سى المجلس عوضاً عنه شاباً اسمه غودريان وهو من نسل غودريان المذكور سابقاً فبايعوه واجلسوه على كرسي المملكة . وكانت الفرس في ايامه قد غزت أكثر الولايات الرومانية التي في جوارها واستولت على أكثرها بطريق التعدي والعدوان فنهض هذا الملك لحاربهم وزحف اليهم بالعساكر فحاربهم وانتصر عليهم في أكثر المعارك واستخلص منهم تلك الولايات ثم مرض بعد ذلك ومات

الباب السادس

في اخبار باقي قياصرة رومية الى انقراض السلطنة

وفي سنة ٢٤٤ للميلاد نبأ نخت السلطنة القيصرية رجل عربي الاصل يدعى فيلبس وكان حاذقاً نجيباً وكان قبل ارتقاؤه الى هذا المنصب والياً على المدينة فهاج عليه الجنود اخيراً وعزلوه . واقاموا مكانه رجلاً يسمى ديسيوس وكان من اكابر قوادهم فحارب الاثنان وكانت الدائرة على فيلبس المذكور فقتل بعد ان حكم خمس سنين . وكانت مدة حكم ديسيوس المذكور عديمة الانتظام كثيرة الفتن والفساد وتولدت هذه الاختلالات والمفاسد في أكثر الولايات الرومانية حتى كادت الدولة تكون على خطر عظيم وتنج أكثر ذلك من سوء تصرف القياصرة واغصابهم كرسي المملكة بدون اهلية ولا استحقاق وفي ايام هذا الملك سنة ٢٥١ تحرك الغوثيون من الاقاليم الشمالية وخرجوا من بلادهم واجتازوا نهر الطونة وحاربوا الولايات الرومانية واستولوا عليها ونهبوها واضربوا باهلها فالتزم

ديسيوس ان يسير اليهم لتخليص تلك البلاد من ايديهم فحاربهم نحو ستين ثم قُتل في تلك الوقائع وخلفه قائد جيشه المسمى غالوس فعقد صلحاً مع اولئك البرابرة وارضاهم بالمال لكي يرجع الى حظوظه ولذاته في رومية بدون ان يلتفت الى صالح وطنه . وفي اثناء ذلك زحف الفرس لاستخلاص سوريا من يد الرومانيين ونحرك اهل الشمال ثانية فكانت الحكومة في اضطراب وارتياب بين الشمال والشرق . وكان مع غالوس قائد يدعى اميليانوس فتولج هذا حرب اهل الشمال وبعد انتصاره عليهم طع في لبس تاج الملك فلذّب نفسه قيصرًا بين جنده وتقدم نحو مدينة رومية ليحارب مولاه فاستعد غالوس لقتاله وخرج بالاعساكر لاستقباله ولكنه اذ كان مكروهاً من الجند وقواد العساكر قتلوه وسموا مكانه اميليانوس امبراطورًا

وكان في رومية رجلٌ شجاعة اسمه فاليريان قد نسي قاضيًا من طرف المجلس الكبير في ايام ديسيوس وكان محبوبًا ومعزوزًا من جميع الناس فلما بلغه قتل غالوس نهض بجيش عظيم لقتال اميليانوس طمعًا بالقيصرية فالت اليه المجنود وسموه قيصرًا عوضًا عن اميليانوس المذكور . وكان سابور الاول ملك الفرس قد استولى يومئذ على انطاكية ثم قصد مدينة حمص ليستخلصها من ايدي الرومانيين فزحف اليه فاليريان للدفاع عن تلك البلاد واقام مكانه ابنه غلينوس نائبًا في رومية وكان شابًا مهلاً عدم المعرفة في السياسة والامور الحربية . فعند وصول فاليريان الى سوريا اشتبكت الحرب بينه وبين سابور المذكور فاتصر سابور عليه بواسطة مكيدة دبرها له فهزم جيشه واخذ اسيرًا وكان بهيمةً ومجنونةً ويستعجبه معه ابنا حل ويلبسه احسن الثياب الفاخرة ويقصد بذلك الاستهزاء به والنهك عليه وكان اذا اراد ان يركب فرسه طرحه على بطنه وداسه برجله واستمر فاليريان على هذه الحالة العيسة عدة سنوات ثم مات في اسر الفرس وقام مكانه بالملكة ابنة غلينوس وفي ايامها كانت الملكة الرومانية في اسوأ حال مضطربة من خارج ومرتبكة من داخل بواسطة المغازي والثورات

حتى كادت تشرف على الخراب والدمار وقد انصب عليها في وقت واحد جميع
المصائب والنكبات كالقحط وفيض الأنهر والأوبئة ومع هذه الدواهي كانت
الامبراطور غلينوس ملتجئاً بولائه ودعواته ومنكباً على مسرته وشهوته غير مبالٍ
بأغارة الأعداء ولا مكترث بخراب المملكة وكان يقول ما دام اقليم ايطاليا تحت
امري وتصرف بدي فلا ابالي بضباع باقي الاقاليم الخارجية فغضب الجند من
فعاله وقاموا عليه وقتلوه وانتخبوا مكانه كلوديوس الثاني سنة ٢٧٠ وكان معدوداً
من فحول رؤساء الجيوش . وكان الوثنيون قد جمعوا جيشاً عرمرماً ونزلوا على
سواحل البحر الاسود واغاروا على المدن الرومانية في تلك الاطراف ففساد
هذا الملك لفتاها وانتصر عليهم نصره عظيمة ومات غيب ذلك بالطاعون
ثم خلفه اوريليان قيصر سنة ٢٧٠ وكان بطلاً صنديلاً وجاراً غيباً وكانت
بريتانيا وفرنسا واسبانيا في ايامه في حالة العصيان فزحف الى تلك الممالك
وبدد شمل العصاة وادخلهم تحت الطاعة والانقياد . وكانت زنوبيا ملكة تدمر
ارملة اودينانوس احد القواد الذي كان محالفاً للرومانيين ومظاهراً لهم على
الفرس قد قويت شوكتها بعد موت زوجها ومدت يدها لاستخلاص ولايات
الرومانيين التي في تلك الجوار فاستولت على اكثرها وساعدتها الاقدار الى انها
تملكت الديار المصرية ولكنها لم تطل احكامها في مصر حتى طردت منها فقصدتها
هنا القيصر الى سوريا وحاربها وانتصر عليها في موقعتي انطاكية وحمص وقبض
عليها واخذها اسيرة الى رومية ودخل بها الى المدينة في موكب عظيم وهي مقيدة
بزناجير ذهبية . ثم نهض اوريليان بعد ذلك لمحاربة الفرس في اسيا وعند
وصوله الى القسطنطينية قامت عليه فتنة من جده اثارها كاتب سره فقتل عنها
ونولى بعده سنة ٢٧٥ ناسيتوس احد ارباب مجلس رومية بعد فترة ثمانية
اشهر بدون ملك وكان من ذرية ناسيتوس المورخ المشهور وكان شجاعاً مسناً
فاضلاً عاقلاً صافي الذية ولكنها لم تطل ايامه فمات في كبدوكية بعد ستة اشهر
من حكمه من جرى الانعاب والهجوم التي تراكمت عليه

وخلقه اخوه فلوريانوس الذي لم يكن اهلاً لهذا المنصب ودعا نفسه امباطوراً قبل قرار المجلس بشيئته قيصرًا وكان قائد جيوش الشرق المدعى بروتوس لا يميل لهذا القيصر فقاومه بمساعدة المجلس وتولى مكانه سنة ٢٧٧ ونودي باسمه ملكًا . وكانت طوائف البرابرة في اثناء الفترة التي كانت فيها الكرسي بدون ملك اغارت على فرانسوا وما يليها من البلاد ونهبت مدائن كثيرة فانقض عليهم بروتوس وبدد ثلهم واستخلص منهم المدن والاموال ثم شرع في تحصين الحدود والثغور لاجل صيانة البلاد وكان لا يدع الجند في البطالة بل يستعملهم في الخدمة العمومية كعمارة القناطر والجسور واصلاح شغل الطرق وفتح الترع فغضب الجند من مداومة هذه الخدمة فقاموا عليه وقتلوه ثم خلفه كاروس الوالي وكان قد اشرك معه في الاحكام ابنه كارينوس ونوميريان واذا صم على حرب الفرس اخذ معه ابنه نوميريان واقام ابنه كارينوس نائباً في غنايه وعند وصوله الى ما بين النهرين مات هناك بصاعقة على ما قيل سنة ٢٨٢ بعد ان اخضع عدة مدائن في تلك الجهات . فتنازل الرومانيون من هذه المحادثة ولو قفوا المحرب ثم مات ابنه نوميريان بعد ذلك قليلاً بعد رجوع الجيش من اسيا . واما كارينوس الذي كان قد تخلف على تخت السلطنة بالنيابة عن ابيه فارتكب من الفبايح والشور ما لم يرتكبه نبرون في زمانه وكان مع ذلك محبوباً من الجميع ما عدا جنود الشرق فانها لم تخضع له ونادت باسم ديوكليتيان الذي كان في اول امره فلاحاً من اهل دلماتيا ثم ارتقى باجتهاده الى رتبة قائد جيش من جيوش الرومانيين فلذلك وقع الخصام والنزاع بين عساكر الولايات الشرقية والغربية ونهض الفريقان لمحاربة بعضها البعض فالتقى في ميسيا واقتلا اشد قتال وبينما كانت دلائل الانتصار تلوح على صفوف عسكر كارينوس قتله احد قومه وبموتو اصبحت الحكومة في يد ديوكليتيان وكان المذكور ذاهمة ونشاط وكان حكمة ابتداء نظام جديد اكمل في حكم قسطنطين الكبير

واذ رأى ديوكليتيان انساع السلطنة وعدم امكان ادارة مهامها كما ينبغي من مركز واحد اشرك معه في الحكومة صديقاً مخلصاً له يدعى مكسيميانوس وسأواه بنفسه في نفوذ الكلمة وجعل اقامته في ميلان وولجته زمام ايطاليا وافريقية ثم انتخب رجلين وهما قسطنطينوس مكوروس وغاليريوس وولجها ادارة ولايتي الدانيوب والرين واما هو فجعل دار اقامته في مدينة نيكوميديّة في اسيا الصغرى ليكون قريباً من الولايات الشرقية ولا سيما من الفرس ليروي غليله ويتم منهم من اجل مهاجمتهم المتتابعة على الاملاك الرومانية ومن اجل الاهانة القبيحة التي اجروها على القيصر فاليريان . واما المجلس الكبير فابقاه في رومية ولبعد المسافة بينها وبين المراكز المتقدم ذكرها كان المجلس عديم الحركة اسماً بلا جسم وكان هذان الامبراطوران يشتركان في تدبير الملكة معاً مع غاية الوفي والحنة وكانا يضمنان وينهيان في الاشغال الكلية والجزئية من تلقاء انفسهما بدون سؤال فكان ديوكليتيان راس الدولة ومكسيميانوس عضدها . وفي ابام هذا الملك ذهب قسطنطينوس القائد واخضع بريتانيا التي كانت قد اظهرت العصاة واستقلت بنفسها من عهد عشرين . وبينما كان غاليريوس مشغولاً في حرب الغوثيين ومكسيميانوس منهمكاً في اطفاء نيران الثورات في افريقية كان ديوكليتيان موجهماً كل عزمو ومستعداً لمقاومة الفرس فانتهاز فرصة الاضطراب الكائن وقتئذ في بلاد العجم بسبب تسمية الملك نارسيس وارسل تيرداداتيس ملكاً على ارمينية التي كان سابور قد افتتحها وجعلها من ملحقات مملكته ورفع مداخلة الرومانيين من حق تسمية ملوكها . وكان تيرداداتيس المذكور من ذرية ملوك ارمينية وكان يومئذ مقيماً في رومية تحت حماية الرومانيين مهزماً من وجه الفرس فلما وصل الى ارمينية ترحب به الاهالي ونادوا باسمه واستقرت له الولاية مدة . ولكن لما استقام حال بلاد فارس وسكنت الفتن والاضطرابات خاف تيرداداتيس من هجوم العجم عليه واستغاث بالرومانيين فعند ذلك زحف ديوكليتيان لحرب الفرس فانتصر عليهم في عدة مواقع ثم عقد معهم صلحاً به ان استولى على جملة

ولايات وجعل ارمينية من ملحقات رومية وبعد ذلك ارتد راجعاً الى رومية وفي السنة المحادية والعشرون من ملكه تنازل عن الكرسي الملكي سنة ٢٠٤ وسكن في دلماتيا وجعل صاحبة مكسيميانوس بتغى ايضاً في نفس ذلك اليوم . ولكن مع كل الشهرة والعظمة التي اكتسبها ديوكليتيان جلب عاراً عظيماً على اسمه بسبب الاضطهاد الفظيع الذي اثاره على المسيحيين في كل اقاليم سلطته اذ كان قصده ان يحوثرهم ويظني خبرهم من على وجه الارض ومن فريد اعماله انه امر يوماً وهو في مدينة نيكوميديا بحرق ٦٠٠ نفس من المسيحيين كانوا مجتمعين يوم عيد الميلاد للعبادة فمات جميعهم

اما عدد الاضطهادات التي اثارها قياصرة الرومانيين على المسيحيين فهي عشرة اولها سنة ٦٤ للميلاد في زمن نيرون . الثاني سنة ٩٥ في ايام دوميتيان . الثالث سنة ١٠٧ في ايام تراجان . الرابع سنة ١١٨ في ايام ادریان . الخامس سنة ٢١٢ في ايام كاراكلاً . السادس سنة ٢٣٥ في ايام مكسيمينوس . السابع سنة ٢٥٠ في ايام ديسبوس . الثامن سنة ٢٥٧ في ايام فاليريان . التاسع سنة ٢٧٤ في ايام اوريليان . والعاشر سنة ٣٠٣ في ايام ديوكليتيان المذكور . وبعد هذا الملك انتقلت الامبراطورية الى قسطنطينوس كلوروس الذي كان اخاه ديوكليتيان مع غاليريوس كما سبق الكلام وفي امبراطوراً نحوه ١ شهر حين وقع مريضاً في مدينة يورك من اعمال انكلترا وبلغ ذلك ابنه قسطنطين اسرع سرا من نيكوميديا وقصده الى هناك فوصل قبل وفاته فسماه خليفة له وصادق له على ذلك اهل برتانيا ونودي باسمه فيها سنة ٣٠٦ ثم زحف على فرانسوا وبعدما دبر امورها سار الى ايطاليا وكان المجلس الكبير غدير ارض قسطنطين فخرج الاهالي ضده ونادوا باسم مكستينوس بن مكسيميانوس امبراطوراً في رومية فنهرو قسطنطين بعد حرب تذكر وقتله ثم انتصر على باقي المقاومين واخضع البلاد شيئاً فشيئاً حتى استبد بالسلطنة وحده بدون منازع وكان الملك قسطنطين عظيم الهامة صحيح البنية شديد الباس لا يبالي

بالمشقات والاختصار ولا يكمل من الانتعاب والاسفار وكان مع ذلك مشهوراً بكمال
الرافة والشفقة منفرداً بالوصاف الحميدة والآراء الصائبة السديدة فلم يغفل عن
صوامح الحكومة وعن استجلاب رضا الشعب وبالحيلة كان من افراد الرجال
وصناديد الابطال . وقد امتازت ايامه عن باقي ايام القياصرة بامرین عظيمين
اولها نقل كرسي السلطنة الى القسطنطينية والثاني اعتناق في سنة ٢١٢ اديانة
المسيحية وشدة تمسكه بها حتى لم يكن احد من الملوك أشد حمية منه عليها فجعلها
ديانة الولاة والحكام وهدم هياكل الاصنام واذ لم يكن في ذلك الوقت اسقف
عام على جميع الكنائس فكان هو في واقع الامر صاحب القول عليهم . وفي ايامه
ظهر الاعتقاد الاربوسي الذي قاومه اثاناسيوس رئيس اساقفة الاسكندرية فامر
قسطنطين بالثام مجمع اكيريكي في مدينة نيس في ايطاليا فتقرر به حرطة
اربوس وكان ذلك اول مجمع مسكوني . وقيل ان سبب نقل قسطنطين سرير
السلطنة الى القسطنطينية هو انه لما دخل الى مدينة رومية في اول امره مؤيداً
منصوراً لم يلق من اهلها بشاشة وجه وترحيب وذلك لتمسكه بالديانة المسيحية
فغضب من ذلك ولا سيما من انعكاف الاهالي على العبادة الاصنامية وصم على
ان يبني مدينة غير رومية يجعلها مقر الحكومة ودار السلطنة فاختر مدينة
يزراتيا لتزايها وحسن موقعها بين اوروبا واسيا ولكونها مشرفة على ثلاثة انحر
فرسمها وبنى اسوارها وقصورها وأتمها على احسن حال فرغب الاهالي فيها لكثرة
منافعها وفوائدها وقصدها الناس من جميع الاقطار واشتهرت بالقسطنطينية
نسبة لقسطنطين . وكان قسطنطين هذا قد افرز من خزائنه مبالغ جسيمة من
الاموال لاجل قيام الكنائس في مدينة اورشليم وفي الاراضي المقدسة فاتخذت امة
هيلانة على ذاتها العناية بذلك فسافرت من القسطنطينية في بعض شهور سنة
٢٢٦ الى اورشليم وكان سفرها المذكور علة لسعادة سكان تلك البلاد الذين
كانوا يلتجئون اليها من اغنياء وفقراء وارامل وديونين ومرضى ومحبوسين
فانما كانت تعولهم وتنقذهم وتوزع عليهم الاموال الكبيرة وعند وصولها الى

القدس هدمت معبد الزهرة الذي كان الوثنيون قد شيّدوه على جبل المحجلة
ثم اعنتت بكشف قبر المسيح ويقال انها وجدت بقايا من الصليب فجاءت بها
الى القسطنطينية. وكانت هذه الامبراطورة قبل اعتناقها الديانة المسيحية متزوجة
بقسطنطينوس كلوروس ابي قسطنطين الذي لم يكن وقتئذ سوى قائد من
القواد الرومانية. فلما صار قيصرًا طلبها بحسب عادة الرومانيين الوثنيين طمعًا
بزواجها بناودورة ابنة الامبراطور مكسيميانوس فلما ارفق ابنها قسطنطين الى
كرسي القيصريّة بعد موت ابيه ارسل فاحضراؤه هيلانة الى البلاط الملكي
وشرفها بتسمية اوغسطا اي ملكة ثم عرضها بمعتقد الديانة المسيحية التي كان قد
اعتنقها فتتصرت من يومها وانعكست على العبادة وكانت غيرة على اقتناء
الفضائل الانجيلية

وعند وفاة قسطنطين سنة ٣٣٧ انقسمت المملكة بين اولاده الثلاثة وهم
قسطنطين الثاني وقسطنطيوس وقسطنس وكانوا قساة القلوب منعكبين على
الملاهي والتمعات التي من شأنها ان تهدم اركان النجاس وتفسد الازهان فكان
اول شيء فعلوه انهم اصدروا امرًا بقتل سبعة اشخاص من اقربائهم خوفًا منهم
على الاحكام ثم اخذوا يعدمون باقي اعضاء عائلتهم شيئًا فشيئًا حتى لم يبق منها
سوى ولدين ضعيفين من ابناء عمهم ثم وقع بينهم الشقاق والخلاف وعادي كل
واحد منهم الآخر. وفي تلك الاثناء نهض سابور الثاني ملك الفرس لغزو الولايات
الرومانية فوافاه قسطنطين احد الاخوة المذكورين الذي كان سهمه في القسم
الشرقي من المملكة واتشبت بينهما حرب شديدة استظهرت فيها الفرس ثم انتهى
الحال بوقوع الصلح بين الفريقين. وعند رجوع قسطنطين الى بلاده وقع بينه
وبين اخيه قسطنس منازعة مات بسببها سنة ٣٤٠ وفي قسطنس وحده حاكمًا
على الاقطار الغربية مدة عشر سنوات الى ان قتله مغنطيوس قائد الجيوش
الرومانية في غاليا طمعًا باخلاص منصبه. ولما بلغ قسطنطيوس قتل اخيه
استشاط غضبًا ونهض في الحال بم جيش عديد للانتقام من مغنطيوس فاتصر

عليه بعد عدة وقائع هائلة قُتل فيها اربعة وخمسون ألفاً من خاص عسكريه واذا
 راي مغنطوبوس ما حل به من الذل والتكال قتل نفسه
 فمذه الثورات المتتابعة زعزعت اركان الدولة الرومانية وجعلتها في خطرٍ
 عظيم فكانت برابرة الشمال تهجم عليها من جهة المغرب واكاسرة الفرس تهددها
 من جهة المشرق فتضيق قسطنطوبوس من جري ذلك ولم يعد يرى نفسه كفواً
 للقيام بجميع مهام المملكة فاشرك معه ابن عمه يوليان وسماه قيصرًا على الولايات
 الغالية فسار يوليان الى قتال الافرنج وحلفائهم الذين كانوا قد غزوا البلاد
 فخارهم واتصر عليهم واشهر اسمه بين الجنود ومالت اليه القلوب حتي انه اقيم
 امبراطوراً سنة ٢٦٠. وكان قد صمم على قتال قسطنطوبوس طمعا ان يستقل
 بنفسه على اقطار المملكة فجدد الجنود وسار بنفسه قاصداً القسطنطينية وكان
 قسطنطوبوس يومئذٍ مشغولاً بحرب الفرس فات قبل وصول يوليان اليه وبموته
 انفرد يوليان باحكام المملكة وتلقب بالجاحد لانه جحد الديانة المسيحية واعاد
 الديانة الوثنية سنة ٢٦٢ ولما صفا له الوقت وراق استعد لحرب الشرق فتقدم
 نحو اسيا فشتى في انطاكية ثم حوّل وجهه نحو القدس فواقع بسوريا الوبال
 واخذ يجمع اليهود الى اورشليم وابتدأ بهار هيكلم لكي يبين بذلك فساد الكتب
 المقدسة ويكذب نبوة المسيح بهذا الشأن وذكر اميانوس احد مورخي الامم الذي
 عاش في تلك الايام انهم اذ كانوا يجفرون الاساس خرجت نارٌ من الارض
 وحرقت النعلة وسمعو اعوداً وشرارات نارية تخرج من الصخور فكفوا عن العمل.
 ثم قصد بلاد الشرق فاجتاز الفرات وحارب الفرس فاتصر اولاً ولكنه انكسر
 اخيراً وبينما كان يحاول الفرار جرح جرحاً بليغاً مات به. وبموته نودي باسم
 يوفيان امبراطوراً مكانه سنة ٢٦٣ فعقد صلحاً مع الفرس بعد ان اعطاهم اربع
 ولايات رومانية. وفي ايامه نشيدت النصرانية ثانية ولكنه توفي قبل رجوعه الى
 القسطنطينية
 ثم خلفه فالنتينيان قائد المحرس سنة ٢٦٤ وكان فضلاً غليظاً فاشرك معه

في المملكة اخاه فالانس وخصه باحكام البلاد الشرقية وابقى لنفسه الممالك الغربية ثم سار بنفسه لقتال البرابرة في شمالي اورويا فخاربهم وانتصر عليهم ولكن مع كل ذلك كانت المملكة تزداد سقوطاً يوماً بعد يوم لان الحروب الداخلية التي حدثت في مدة حكم اولاد قسطنطين الكبير اهلكت جانباً عظيماً من العساكر وتركزت حدود المملكة عرضة للمهاجمات الاعداء وغاراتهم . وكان هذا الملك يعاقب على الذنب باشد العقاب ولذلك كان قد حبس دين مفتريين في قنص واجاعها حتى اذا اراد قتل احد اطلقها عليه

ثم مات هذا القصر سنة ٢٧٥ بعد ما حكم ١٢ سنة تقريباً وترك المملكة الغربية لابن غراطيان بينما كان فالانس متولياً على الشرقية وكان قد اشترط على غراطيان ان يشارك معه اخاه الاصغر فالنتينيان الثاني الذي كان وقتئذ قاصراً . وفي تلك الاثناء قام الهونيون (وهم قوم برابرة اشداء من سكان اسيا الشمالية) على الفوثيين الذين كانت احكامهم عنده من بحر البلتيك الى حدود نهر الدانوب فخاف منهم الفوثيون والتجأوا الى فالانس المذكور وطلبوا منه ان يبيدهم ويأذن لهم ان يسكنوا في بلاده فاجابهم الى سوالهم واثبتهم في ملكه وسمح لهم ان يتاجروا ويتعاطوا اسباب التجارة وكان عددهم نحو مليون نفس . وكان الرومانيون يحجرون عليهم ويعاملونهم بكل قسوة حتى لم يعد لهم استطاعة على الاقامة بينهم فخلعوا طاعتهم وصموا على استخلاص المملكة من ايديهم فاعتقلوا بسلاحهم وزحفوا بجمعهم على القسطنطينية وحاصروها فخرج الامبراطور فالانس لقتالهم بعساكر المدينة وانتشب القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على الرومانيين فانهم هزمت جموعهم وجرح امبراطورهم ثم مات عقب ذلك . ولما اتصل هذا الخبر الى غراطيان امبراطور المملكة الغربية نهض لانتفاذ المملكة الشرقية والانتقام من الفوم ولكنه اذ رأى ضعف حاله وانحطاط سطوة حكمه اشرك معه رجلاً يسمى ثيودوسيوس وكان اسبانيولي الاصل موصوفاً بالحنافة وحسن التدبير فولاه عوض فالانس فنجح ثيودوسيوس واصلى الاحوال في اثناء اربع سنين بمجس

سياسته وتديره وعقد صلحا مع الفوثيين بعد ان اخضعهم وفي غضون هذه الحركات قام في الغرب القائد الروماني المدعو مكسيموس وزحف بجيشه جرار على فرانسوا ونسي امبراطورا وكان غراطيان وقتله في باريز ففر هاربا الى مدينة ليون وهناك قتل بوشاية مكسيموس المذكور ثم نهض مكسيموس بعد ذلك لمحاربة ايطاليا طمعا باثهار نفسه امبراطورا على جميع الممالك الرومانية . وكان لغراطيان زوجة تدعى جوستينا وولد يسمى فالنتينيان الثاني وابنة اسمها غلا غهرت جوستينا مع ولديها الى ثيودوسيوس واستجارت به فالتفاهما بالترحاب والتعجيل وتزوج بابتها غلا ثم استعد لحرب مكسيموس فنهض بجيش عديد وحاربة فظفريه وقتله واعاد الملك الى فالنتينيان بن غراطيان سنة ٢٨٨ غير انه لم يفل ايامه حتى مات وبموتو انفرد ثيودوسيوس بحكومة السلطنة الرومانية وحده ومات سنة ٢٩٥ في مدينة ميلان

الباب السابع

في انقسام الدولة الرومانية الى سلطنتين وانقراض

المغربية منها

وكان لثيودوسيوس المذكور ولدان احدهما يسمى اركاديوس والآخر يسمى هونوريوس فقسم بينهما السلطنة في حياته وجعلها امبراطوريتين مستقلتين احدهما امبراطورية المشرق وكرسيها القسطنطينية والثانية امبراطورية المغرب وكرسيها رومية فتولى هونوريوس على المغرب واخوه اركاديوس على المشرق . وكان لهونوريوس وزير من افاضل الناس يقال له سبيليكو من قوم القندال فكان يوده ويستشير في جميع اموره نظرا لادارته وحسن سياسته . وكانت الممالك التابعة رومية وقتئذ ايطاليا وافريقية وفرنسا واسبانيا وبريتانيا وعدة ولايات في بافاريا والنسا وغيرها ولكن مع كثرة هذه الولايات والممالك التي

تدل على عظم السطوة الرومانية لم يعد الرومانيون قادرين على المرافعة عن انفسهم وحفظ بلادهم من غزوات البرابرة المتصلة لان انقسامهم وتجزئهم من الجهة الواحدة وانعكافهم على الملاهي واللذات من الجهة الاخرى استأصلت منهم تلك الحماسة والبسالة التي اشتهروا فيها قديماً وجعلتهم يرتضون بمحالتهم بها كانت دنية ويسلمون انفسهم للندى فكانت الاعداء تغزوهم وهم وقوف وان نهضوا لمقاومتهم خسروا ونهضوا بحيث لم يبق ادى ريب من جهة سرعة انقراض تلك السلطنة العظيمة لاسيما بعد انقسامها . وحدث في سنة ٤٠٢ ان قوماً من الفوث المقيمين في الغرب تحت رياسة قائد يقال له الاريك دخلوا بلاد اليونان ونهبوا اكثر مدائنهم وهدموها وكان لامبراطور الشرق وزير يدعى روفينوس موصوف بالحنافة وحسن التدبير فاقنعتهم بحسن سياسته ان يخرجوا من بلادهم ويفقدوا بلاد ايطاليا حيث الغنائم الكثيرة ووعدهم سراً بالمساعدة والامداد فهذه الواسطة ابعدهم عن اراضي المملكة الشرقية والتي مخطهم على هونوريوس الذي بمساعي وإدارة وزيره سنيليكو امكنه ان يصادم غاراتهم وهجماتهم المتتابعة ويبعدهم عن بلادهم مؤقتاً . ثم بعد هذه الحادثة بايام يسيرة نقل هونوريوس سريالسلطنة من مدينة ميلان الى رافينا وفي غضون ذلك اغار على الرومانيين اقوام من قبائل جرمانيا المتحالفين وكانوا نحو مئتي الف رجل تحت رياسة ملكهم رودوغاست فالتفاهم سنيليكو الوزير بمساكر الرومانيين وبعد قتال شديد انتصر عليهم فقتل ملكهم وبدد جموعهم ثم قصد بلاد غاليا بعد هذه النصرة فوقع باهلها وامتلكتها من حدود الرين الى جبال البرن . ولما اشتهر امر هذا الوزير حسده اكثر الناس فوشوا به الى هونوريوس واتهموه بخيانة كاذبة فامر بتلوه بدو . فخص ولائيات وبموت تشددت عزائم ملك الاريك على قتال الرومانيين فزحف ثانية على رومية بجيش جرار وهدد اهلها بالهلاك والخراب فخاف الشعب من كثرة الاعداء المتجمعة عليهم واذ لم يمكنهم المدافعة تعهدوا لملك الاريك بدفع مبالغ وافرة اذا رفع عنهم تلك البلية فاجابهم الى ذلك وانسحب

عنهم ولكنه اذ رأى منهم عدم الوفاء في ما اتفقوا عليه عاد اليهم بعزم اشد من الاول فخاربهم واخضع المدينة عنوةً والى فيها النهب والسلب بعد ان قتل الوقا من الاهالي واحرق جانباً منها . ثم قصد جنوب ايطاليا حيث كان مزماً ان يركب البحر المتوسط ويحجاز الى افريقية ليفتحها ولكنه مات في اثناء ذلك وخلفه اخوه ادولفوس . وكان قصد هذا الملك ان يجعل رومية سرير سلطنة الفوثيين ثم عدل عن هذا الفكر خوفاً من عدم امتزاج شعبه المتوحش مع شعب الرومانيين المتمدن فاختر السكن في مكان اخر يناسب حالة شعبه فترك ايطاليا وسار مع جنده واستوطن في اسبانيا بعد ان تسمى ملكاً على ايطاليا اربع سنوات وتزوج بيلاسيدا اخت هونوريوس . اما الرومانيون فكانت سطوتهم وشوكتهم تضعف يوماً بعد يوم بحيث التزم هونوريوس ان يتنازل عن زمام احكام بريتانيا وعن اراضي جرمانيا العليا والسفلى ثم توفي عقب ذلك بعد ان حكم ٢٨ سنة وخلفه قسطنطيوس احد قواد الرومانيين المشهورين . وكان هذا القائد قد تزوج ببيلاسيدا المذكورة عقب رجوعها من ايطاليا بعد وفاة زوجها في اسبانيا ولكنه لم يستقر بالخلافة الا زماناً يسيراً حتى قام عليه البعض وقتلوه فخلفه ابنه فالنتينيان الثالث واذ كان عمره ست سنوات كانت امه تحكم بالوكالة عنه وفي تلك الايام زحف جنساريك ملك القندال في اسبانيا الى افريقية فغزاها واستخلص جميع الولايات الرومانية من يد بونيفاس الوالي الروماني . وفي اثناء ذلك خسرت رومية ايضاً تملكاتها الاسبانيولية والفرنساوية حتى لم يبق لها الا بلاد ايطاليا التي انسلخت عنها بعد ذلك بقليل

وفي ايام هذا الملك سنة ٤٥٢ غزا ايطاليا اتيلا ملك قبائل الهون وبينا كان قاصداً مدينة رومية ليفتحها توفي قبل وصوله اليها فلم يلحقها منه اذى . ثم قتل فالنتينيان الثالث سنة ٤٥٥ وخلفه عشرة ملوك لم نذكرهم حباً بالاخصصار وكان اخرهم رومولوس اوغستولوس وفي ايامه تجمعت قبائل المروال القاطنة يومئذ على شطوط بحر البتيك وزحفت تحت راية ملكها اودواكر فغزت بلاد

بافاريا والنمسا ثم تقدمت على رومية واستغنتها ومات رومولوس المذكور غيب
ذلك سنة ٤٧٦ وانقرضت به الدولة الرومانية بعد قيامها ١٢٢٩ سنة . وما
يسمى العجب ان اول ملك اسس هذه المملكة كان رومولوس الاول واخر
ملوكها هو رومولوس الثاني وهذا من غريب الاتفاق

الباب الثامن

في عوائد الرومانيين القدماء وبعض اصطلاحاتهم

ان الرومانيين كانوا ينقسمون الى قسمين اي الاشراف والعوام ثم بعد
ذلك اُضيف الى هذين القسمين قسم ثالث يُعرف بمجرب الاسياد وهو في درجة
وسطى بين الاشراف والعوام وحدث بينهم من جرى ذلك منازعات ومخاصات
كثيرة . واما روساء الدين فكانوا يُنتخبون من اعيان الاهالي وكانت وظائف
روساء الكهنة ذات اهمية سياسية عظيمة لانهم كانوا مولجين بتقديم الذبايح البشرية
للآلهة ويعتنون بالطفوس الدينية ولكثرة الخرافات الكثيرة وقسداً اقاموا
جمعية من الناس المنجمين والمبصرين لاجل تفسير الاحلام والامامات والمناظر
الغريبة والانبياء عن امور مستقبله وكانوا يستندون في تفليكاتهم على هيئة السماء
وهيئة امعاء الحيوانات والطيور وغير ذلك وكان الرومانيون يعتقدون بها كل
الاعتقاد . وكان اولئك المنجمون في رومية يفسرون للشعب ارادة الآلهة من
جهة اشهار الحرب او عند الصلح حتى لم يكن احد يجسر على مناقضتهم ومن فرط
اعتقاد الناس بهم لم يباشر احد عملاً ما قبل ان يستشيرهم وياخذ رأيهم فلذلك
كانت وظيفة المنجم ذات اهمية عظيمة حتى كان كثيرون من خواص ارباب
المجلس العالي يجتهدون في الحصول عليها . وكان كانوا ويسبسون المعدادان
من افراد رجال رومية في العالم وذكاة العقل من جملة اولئك المنجمين
ولكنها لم يكونا يعتقدان في تلك المحبل والخرافات الكاذبة ويقال ان

كانوا المذكور قال يوماً لأحد أصحابه كيف يمكن أن ينظر منجم إلى وجه منجم آخر ولا يضحك

أما ديانة الرومانيين فهي مستعارة من الديانة اليونانية وكانت عبادة جوبيتر أي المشتري وغيره من الآلهة متضمنة فيها . وكانوا يعتقدون بالبر خصوصي لكل من فضائل الناس ورزاياهم وقوام الجسدية والعقلية ولكل شيء مادي أو جوهري من العالم المنظور وغير المنظور وكان لهم أيضاً آلهة خصوصية لكل وادٍ وجبل وساقية وكثيراً ما كانوا يؤلهون علماءهم وإبطالهم العظام وبالاختصار أن جميع أنواع العبادات الوثنية كان جائزاً استعمالها في رومية . أما اليهود والمسيحيون الذين لم يكن بينها فرق عند الرومانيين فكابدوا مشقات كثيرة بسبب الاضطهادات البربرية التي أثارها عليهم أولئك القوم واستمرت الحال على مثل ذلك مدة طويلة حتى انتصرت أخيراً العقائد النصرانية على تلك الخرافات الباطلة وصارت ديانة السلطنة . وكان للرومانيين هياكل كثيرة جميلة البناء مزخرفة بالمنحوتات المستزقة وملوذة من التقدّمات التي كان الشعب ياتي بها وكان عدد أكبرها وأشهرها ما بنوف عن الأربع مئة وكان الكهنة يخدمون في تلك الهياكل ويقدمون ذبائح من الثيران والغنم وغيرها من الحيوانات . وكان لهم هياكل أخرى يرسم الآلهة التي من الطبقة الثانية وهي أقل ظرفاً من الأولى ودعوها البيوت المقدسة وكان في بيت كل عائلة غنية معبدٌ مختصٌ بها لأجل عبادة آلهتها الخصوصية

أما الزواج فكان عندهم من الأمور الضرورية وعاقبوا من امتنع بأشدّ القصاصات الصارمة وفي بعض الأجيال فرض قضائهم وقتاً مخصوصاً لزواج الشبان فليتز من بلغ السن المعبين أن يتزوج في برهة محدودة وجعلوا ذلك فريضة شرعية . وكان أوغسطس أيضاً يشدد القصاصات على الذين يتوقفون عن الزيجة ويمنع كثير من النسل عطاباً كثيرة . وكانوا يخطبون البنات مدة طويلة قبل عقد الزواج الذي يجروئه باحتفال عظيم بحضور الكهنة والمجتمين

ويجرون شروط الزيجة بحضور جمهور من الشهود وكان الثريان يبتنان تلك الشروط بقشة يكسرانها امام الحاضرين وبعد ذلك يهدي العريس عروسه خاتماً تلبسه في الوسطى من يدها اليسرى لاعتمادهم انه يوجد عرق يتد من تلك الاصبع الى القلب ثم يختمون احفالم بضيافة بقيها ابو العروس . وعند تشييط العروس وقت الزفاف كانوا يفرقون شعرها بسنان ربح اشارة بانها



هيئة ملابس الرأس عند نساء الرومانيين القدماء

ستكون عن قريب قرينة مقاتل ثم يتوجونها باكليل من زهور ويضعون على راسها منديلاً يليق بها وعند نهاية لبسها يرافقها الى بيت العريس ثلاثة صبيان من كان والدوم احياء ونجل امامها خمسة مشاعل ومردن ومغزل . وعند وصولها الى البيت تربط جوانب الباب بحبال من صوف مغمسة في شحم مذوّب لاجل منع قوة السحر وبعد ذلك يحملونها ويدخلون بها الى الغرفة اذ لم يكن يسمح لها ان تدوس العتبة برجلها ثم يتقدم العريس ويهديها مفاتيح البيت

مع انائين فيها ماء و نار . ثم يصنع ضيافة عظيمة لجميع اهل العرس مصحوبة
بالاث الطرب والرقص وكان المدعوون يشدون ملابسهم للعريس
وكانت العادة عند الرومانيين ان يحرقوا موتاهم كما كانت تفعل اليونان
في الازمنة القديمة غير ان هذه العادة التبعة لم يكونوا يستعملونها الا في ايام المشيخة
الاخيرة وبعد ذلك اُدْرِجَتْ في افطار الملكة واستمرت الى حين دخول
الديانة المسيحية وكانوا يفركون جثث الاموات بانواع الطيب و يلبسونهم الثياب
الفاخرة و يلقونهم على فراش مغطى بالزهور و يزینون ابواب البيت باغصان
السرو . واذ كانوا يعتقدون ان شارون الموكل بارواح الاموات لا يحمل روح
الميت و يعبر بها نهر الموت ما لم ياخذ الرسم المعين كانوا يضعون قطعة صغيرة
من النقود في فم الميت يرسم شارون المذكور . وكانوا يوقدون المشاعل و يحملونها
امام الجنازة و اقرباء الميت و اصدقاؤه يحملون جسده على نعش مكشوف
مغطى باثن الاقمشة و موكب الجنازة يسير تحت ادارة شرط الرومانيين . فاذا
كان الميت جندياً يضعون عليه علامات رتبته و ترافقه الجند منكبي الاسلحة
اوامه حسب العادة الجارية الآن و كانوا يحملون امام النعش تماثيل الميت و تماثيل
سلفائه و بعد ذلك ياتي الموسيقيون و الندباء و الرقاصون و المهرجون و يمشون
امام الميت ثم يسير وراء النعش اهل الميت و بناته في الملابس المزينة بلطن
و يندبنة مكشوفات الرؤوس و محلولات الشعور ثم القضاة و الاشراف بدون
ثياب رسمية ثم عييد الميت الذين كان قد حررهم في مدة حياته لابسين طرايش
الحرية . اما جنازة العطاء و الاعيان من ذوي الرتب فامتازت عن غيرها في
الاحتفال و الملبأ التي تتناشدها اصحاب الميت فوق جثته في الكاينول و كان
ذلك كثير الاستعمال في اواخر مدة المشيخة و عند نهاية هذه الاحتفالات كانوا
يرشون القبر و ينشرونه بالزهور و يودعون الميت و داعاً اخيراً و بعد ذلك
يرش الكهنة جميع الناس الحاضرين بالماء و يصرفونهم الى بيوتهم . ولكن لما
أدخلت عادة حرق اجساد الموتى كانوا يطرحون الجسد على حزمة من حطب

على شبه مذبح ثم يدور الجمهور حوله بكل هدو على صوت آلات الموسيقى ثم يتقدم احد الاقرباء بمشعل ويضرم النار في ذلك الخطب ثم يلقون الاطياب في اللهب ويطفئون الوقيد المشتعل بالخير ثم يجمعون الرماد في آنية ثمينة ويلقونها في قبر العائلة . وإذا كان الميت من طبقة الجنود فيضعون سلاحه والعتائم التي يكون قد سلبها من العدو على الحزمة المقدم ذكرها لتحرق مع البقية

وإذا كان الاعتقاد العام عند الاقدمين بان ارواح الاموات يسرها سفك الدم كانوا يذبحون على قبر الميت تلك الحيوانات التي كان يميل اليها في مدة حياته . واما في الازمنة القديمة الموحشة فكانت تلك الذبائح بشرية فكانوا ياتون بالعبيد والاسرى ويذبحونهم على قبور ساداتهم واحيانا كان ياتي بعض الاصحاب ويقدمون انفسهم للذبح حبا بالمقنودين وجرت بعض حوادث تظهر هذه بين الرومانيين الاقدمين لكنهم مع نمادي الايام ابدلوا تلك العادة القبيحة عندما ابتدأوا يقدنون

اما صنائع الرومانيين القدماء فانحصرت في حراثة الارض وبعض من بسيطة متعلقة بها وكانوا يعتبرون امهر الحرائث كافضل الناس . وكان الحراثون يملون الى الخرافات فكانوا يمتنعون عن الاشغال كافة في خامس يوم من الهلة . وفي السابع والعاشر منه كانوا يزرعون الدوالي ويضعون البذر على صفار البقر لاجل التطبيع . وفي العاشر منه يباشرون في السفر . وكانوا ياتون بحججة حمار ويطفونها على حدود الحقول لاعتقادهم بان ذلك ما يحسن تربتها ويجمع عنها الحبل . وفي زمان المشيخة الاولى لم يكن في بساين الرومانيين سوى قليل من انواع البقول واشجار الفاكهة واما التفاح والكرز وغيرها من الاثمار اللذيذة والزهور الجميلة فقد استجلبوها من بلاد العجم واسيا الصغرى بعد مدة طويلة . وكانت العادة عندهم ان يظلوا مساطب جنائهم وماشيها باغصان الدوالي ويلقون فيها الثمايل ويحيطونها بسياج من مرتفعة من الشوك والعليق . والمرج ان الرومانيين اكتسبوا معرفة زرع الكروم واستخراج الخمر من اليونانيين فكانوا

وقت استخراجهم يتجهون ويفرحون ويصبون الخمر الجديد على الارض اكراماً
للمشيقي والزهرة

وكان للرومانيين اليد الطولى في الابنية والنش على الحجر والمرمر وفي
اقامة الجنائن المستظرفة . ومن اشهر ابنينهم في تلك الاعصار قصر الفيلسوف
بيليني صاحب الثروة العظيمة فكانت له املاك عديدة منها القصر المذكور
الذي لم تضرب صفحاً عن ذكره لشهرته في بطون التواريخ

ولما كانت حروب الرومانيين تكاد تكون متواصلة الا قليلاً كانت امورهم
العسكرية وما يتعلق بهامها الحربية تشغل انتباه اشهر رجالهم وتوجه التفات
الجمهور الى الاستعدادات والاختراعات التي من شأنها ان ترفع شأنهم وتلقي
هيبته في قلوب اعدائهم . وحكمت الشريعة وقتئذ على كل رجل من احرارهم
ان يخدم في العسكرية رغماً عنه في اي وقت كان من سن السبع عشرة الى سن
الست والاربعين . وكانت القوات الرومانية مقسومة الى فرق ومواكب
فاشتملت كل فرقة على ثلاثة الاف من العساكر المشاة وثلاث مئة من الخيالة
ثم زادوا عددها بعد ذلك فجعلوها سبعة الاف وكان يبرق الفرقة نسراً من
فضة بمجلة ضابط من ذوي الرتب على رمح . اما الخيالة فكانوا يحملون علامات
من شريط منقوش عليها باحرف ذهبية الاحرف الاولى من اسم الامبراطور
وعدد الفرقة . ولم يكن عندهم من آلات الموسيقى العسكرية سوى النفير . وكان
بعض العساكر يتسلحون بمجربات خفيفة والبعض بمجربات ثقيلة ويتقلدون
الانتراس والبلطات على البمين ويتدرعون بدروع من نحاس او فولاذ ونحت
الدرع ثوب احمر واصل الى الركبة وعلى رؤوسهم خوذ من نحاس بشراريف
من شعر الخيل . واما القواد فكانوا يلبسون قمصاناً مدرة بخشفاً من النحاس
او الفولاذ مصفحة احماً بالذهب ونحتها اثواب ضيقة واصله الى واسط الساقين .
وكانوا يركبون الخيل بدون ركابات وكانت سروجهم قطع فاس ملفوفة بحسب

على شبه مذبح ثم يدور الجمهور حوله بكل هدوء على صوت الانبالموسيقي ثم يتقدم احد الاقرباء بمشعل ويضرم النار في ذلك الخطيب ثم يلتون الاطياب في الهيب ويطفئون الوقيد المشتعل بالخمر ثم يجمعون الرماد في آنية ثمينة ويلقونها في قبر العائلة. وإذا كان الميت من طبقة الجنود فيضعون سلاحه والفتاح التي يكون قد سلبها من العدو على الخزنة المتدم ذكرها لتهرق مع البقية

وإذا كان الاعتقاد العام عند الاقدمين بان ارواح الاموات يسرها سفك الدم كانوا يذبحون على قبر الميت تلك الحيوانات التي كان يميل اليها في مدة حياته. واما في الازمنة القديمة المتوحشة فكانت تلك الذبائح بشرية فكانوا ياتون بالبيد والاسرى ويذبحونهم على قبور ساداتهم واحيانا كان ياتي بعض الاصحاب ويتقدمون انفسهم للذبح حباً بالمفتودين وجرت بعض حوادث نظير هذه بين الرومانيين الاقدمين لكنهم مع تمادي الايام ابطلوا تلك العادة القبيحة عندما ابتدأوا يتقدمون

اما صنائع الرومانيين القدماء فانحصرت في حراثة الارض وبعض من بسيطة متعلقة بها وكانوا يعتبرون امهر الحرائين كافضل الناس. وكان الحراثون يميلون الى الخرافات فكانوا يمتنعون عن الاشغال كافة في خامس يوم من الهلة. وفي السابع والعاشر منه كانوا يزرعون الدوالي ويضعون النبر على صغار البقر لاجل التطبيع. وفي العاشر منه يباشرون في السفر. وكانوا ياتون بحججة حمار ويلقونها على حدود الحقول لاعتقادهم بان ذلك ما يحسن تربتها ويجمع عنها الحبل. وفي زمان المشيخة الاولى لم يكن في بساين الرومانيين سوى قليل من انواع البقول واشجار الفاكهة واما التفاح والكرز وغيرها من الثمار اللذيذة والزهرة الجميلة فقد استجلبوها من بلاد العجم واسيا الصغرى بعد مدة طويلة. وكانت العادة عندهم ان يظلوا مساطب جنائهم وماشيها باغصان الدوالي ويلقون فيها الثمايل ويحيطونها بسياج من مرتفعة من الشوك والعليق. والمرجح ان الرومانيين اكتسبوا معرفة زرع الكروم واستخراج الخمر من اليونانيين فكانوا

وقت استخراجهم يتجهون ويفرحون ويصبون الخمر الجديد على الارض اكراماً
للمشترى والزهرة

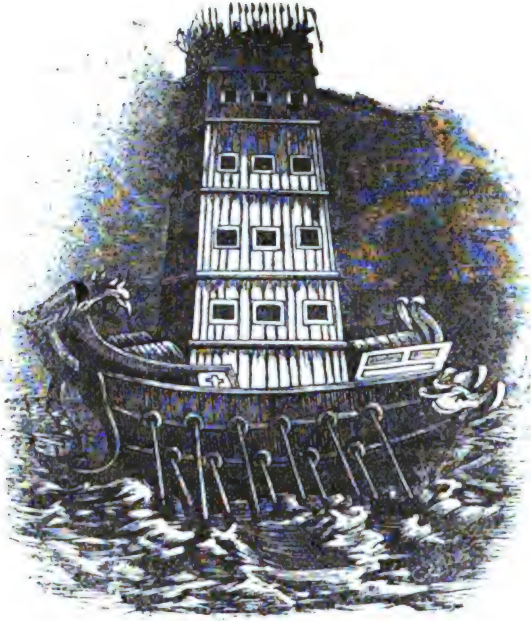
وكان للرومانيين اليد الطولى في الابنية والنش على الحجر والمرمر وفي
اقامة الجنائن المستظرفة . ومن اشهر ابنينهم في تلك الاعصار قصر الفيلسوف
بيليني صاحب الثروة العظيمة فكانت له املاك عديدة منها القصر المذكور
الذي لم تضرب صفحاً عن ذكره لشهرته في بطون التواريخ

ولما كانت حروب الرومانيين تكاد تكون متواصلة الا قليلاً كانت امورهم
العسكرية وما يتعلق بمهامها الحربية تشغل انتباه اشهر رجالهم وتوجه التفات
الجمهور الى الاستعدادات والاختراعات التي من شأنها ان ترفع شأنهم وتلقي
هيبته في قلوب اعدائهم . وحكمت الشريعة وقتئذ على كل رجل من احرارهم
ان يخدم في العسكرية رغماً عنه في اي وقت كان من سن السبع عشرة الى سن
الست والاربعين . وكانت القوات الرومانية مقسومة الى فرق ومواكب
فاشتملت كل فرقة على ثلاثة الاف من العساكر المشاة وثلاث مئة من الخيالة
ثم زادوا عددها بعد ذلك فجعلوها سبعة الاف وكان يبرق للفرقة نسرًا من
فضة بمجلة ضابط من ذوي الرتب على رمح . اما الخيالة فكانوا يحملون علامات
من شريط منقوش عليها باحرف ذهبية الاحرف الاولى من اسم الامبراطور
وعدد الفرقة . ولم يكن عندهم من آلات الموسيقى العسكرية سوى النفير . وكان
بعض العساكر يتسلحون بمجربات خفيفة والبعض بمجربات ثقيلة ويتقلدون
الانتراس والبلطات على البمين وتدرعون بدروع من نحاس او فولاذ وتحت
الدرع ثوب احمر واصل الى الركبة وعلى رؤوسهم خوذ من نحاس بشراريب
من شعر الخيل . واما القواد فكانوا يلبسون قمصاناً مدرعة بخشنات من النحاس
او الفولاذ مصفحة احكاماً بالذهب ونحنيها اثواب ضيقة واصله الى اواسط الساقين .
وكانوا يركبون الخيل بدون ركابات وكانت سروجهم قطع فاش ملفوفة بحسب

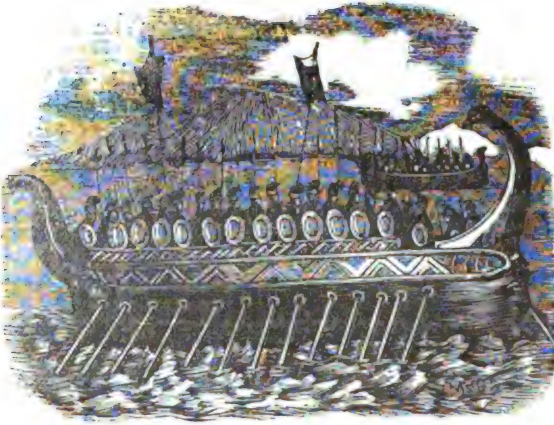
رغبة الراكب وكان تدير العساكر ونظامها متقناً غاية الانقان وقوانينهم في غاية ما يكون من الصرامة

اما مراكب الرومانيين البحرية فكانت على شبه مراكب قرطاجنة غليظة وضعيفة البناء عالية المؤخر والجوانب ومع انها كبيرة لم تكن تصلح لمصادمة الانواء والارياح العاصفة وكان لها صفان او ثلاثة صفوف من المقاذيف بحسب عدد طبقاتها اما مقدمها فكان مدرعا بالحديد على هيئة راس حيوان وعلى ظهرها الاعلى برج غير ثابت تستخدمه العساكر كنمراس لاطلاق الاسلحة وفيه جسر يستعملونه وقت العبور والهجوم على مراكب العدو. وقبل اكتشاف آلة المحك التي بواسطتها استؤمن السفر في اواسط البحر كان سير المراكب مختصراً في الشطوط. وحسب المركب كبيراً اذا كان محمولة نحو ثلاثة الاف كيلة. وكان تجار الولايات البحرية التي على شطوط البحر المتوسط يجلبون الى رومية جميع انواع محاصيل الشرق غير ان تلك التجارة انحصرت فيما بعد باهل رومية بعد ان فتح اوغسطس الديار المصرية وصارت حيثئذ مدينة الاسكندرية مركزاً لتلك التجارة

وكان للرومانيين مرايح كثيرة قد شيدوها لاجل الفرجة على الوحوش الضارية وعلى مصارعة الابطال وانواع الملاعب بالسيف. وكانوا يحفظون الوحوش البرية في اوجرة حول الفسحة الوسطى من المرايح ويصونون تلك الفسحة تصويماً متيناً ويحيطونها بقناة من الماء لاجل صيانة المتفرجين وعند اجتماعهم في هذا المرح كانوا يطلقون الوحوش بعضها على بعض فكانت تضر ببعضها ويُقتل كثير منها. ويقال انه قُتل منها احد عشر الفا في مشاهد الاشهر الاربعة التي اقيمت فيها الافراح لاجل انتصار الرومانيين على اهل داسيا وقتل ايضاً في حادثة اخرى نظيرها خمس مئة اسد في برهة وجيزة. وكثيرون ايضاً من المسيحيين الاولين مانوا شهداء بواسطة طرحهم للوحوش في تلك المرايح. ومن ملاعب الرومانيين التي افتخروا بها المصارعة بالسيف اي لعب المحكم وهذا



برج حرلي بحري



سفينة حربية رومانية

النوع من اللعب حدث في رومية على ما قيل في اواخر الجبل الخامس من تأسيسها وكانوا قد استعملوه في اول الامر امام جنازة بقصد الاحتفال والتعظيم ومن ثم صار استعماله في الجنازات العمومية وبعد ذلك حسبوه ضرورياً وواجباً للاحتفالات الرسمية التي اقيمت في ايام المواسم والاعبياد. اما الاسلحة التي استعملوها في تلك المصارعات فكانت مضرة وقاتلة وكثيراً ما وقع عددٌ وافر من اولئك المصارعين قتلى على الارض لاجل تفرُّج الآخرين. وفي اول الامر خصصوا تلك المصارعات للجرمين او للاسرى ثم للعبيد فكانوا يتصارعون بالسلحة مختلفة نارة بالاسلحة الكاملة واخرى مخرجة ذات ثلاث شوكات وشبكة بواسطتها يجهد احد الخصمين ان يعرقل خصمه وبشبكة بها وهكذا يتمكن من قتله. وكان الامبراطور كومودوس يشترك احياناً كثيرة في تلك المصارعات متحفظاً على نفسه باعفائه الاسلحة الكثيرة. واستمرت هذه العادة دارجة ومستعملة بينهم الى الجبل الرابع حينما ابطها الملك قسطنطين الكبير واقام عوضاً عنها ملاعب اخرى من شأنها ان تنشط الجسد وتقوية لان عهده. فلهذا الاخبار كافية لتظهر لنا حالة تلك الازمنة المتوحشة ونجعلنا شاكرين المراحم الالهية التي لم تسمح بان يكون نصيبنا في تلك الازمنة القبيسة

وسنة ٢٩١ من تأسيس رومية اي سنة ٢٦٢ ق م ادخلت اللعب التياترية الى رومية ولم تكن في البداية الا الرقص على انغام الناي ولم تعتبر الروايات عندهم الا بعد ذلك بمئة سنة وقيل ان اول مسرح بني لهذه المناظر كان يسع ٤٠ الف نسمة من المتفرجين. واما الصنائع اللطيفة او الرياضية فلم تُعرف عند الرومانيين الا بعد الجبل السادس من تأسيس رومية اذ اكتسبها جنودها من الامم الذين فتحوا بلادهم وادخلوها الى رومية. ثم بعد ذلك ابتداء الغنياء ان يتفنوا دورهم ويزينوها بالتصاوير وانواع النقوش. وكان في مساكن الاشرف مخادع جميلة فيها مكاتب مباحة لمن يرغب الاطلاع عليها من الادباء والعلماء وكانت الكتب نادرة الوجود لسبب كثرتها وصعوبة نسخها فكتبت على الرقوق

وبعضها على الورق المصنوع من اوراق النبات المصري المعروف باسم بايروس فكانوا يصلون اطراف الاوراق بعضها مع بعض ويلفونها درجاً ويحفظونها ضمن لفافة من الجلد او الحرير. واما ملابس الرومانيين الاعيادية فكانت قميصاً واسعاً من صوف لا كمان له وثوباً آخر ابيض ضيق يلبسونه تحت القميص وقت الخروج من البيت الى السوق وعند رجوعهم الى بيوتهم يترعون القميص. وكان رجالهم غالباً مكشوفى الرؤوس يلبسون في ارجلهم نارة احذية مكشوفة مربوطة بالرجل بواحدة شرائط ونارة جزمة قصيرة



الفصل الثالث

في اخبار ايطاليا

الباب الاول

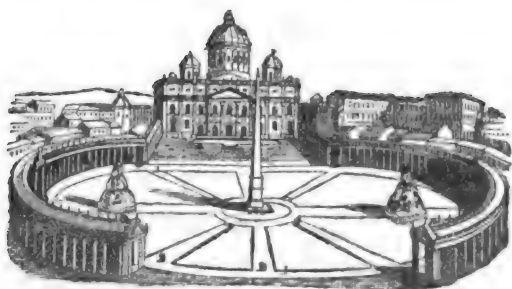
في جغرافية هذه البلاد

هذه المملكة موقعها في جنوبي اوروبا وممتدة الى داخل البحر المتوسط وهي على شكل جزيرة واشبه بفردة جزمة في وضعها وتكوينها وعدد سكانها الآن نحو سبعة وعشرين مليوناً اكثرهم على المذهب الباباوي. وحكمها من نوع الملكي المفيد. اما هواؤها فهو في غاية الاعتدال والتفوق حتي ان صيتها لا يكاد يختلف

عن فصل الربيع. اما ارضها فمخصبة جداً وفيها كثير من الفاكهة المتنوعة كالتي
والعنب والبردقان والخمر المجيد وكل نوع من المحاصيل كالارز والقطن
وسائر انواع الحبوب وفيها ايضاً دود القز وانواع البرفير والمرمر والرخام.
ولا هلهل صنائع عديدة يعتنون بانقانها وتحسينها كالنصوير والنقش والابنية
المزخرفة والآت الطرب وغيرها من انواع كراخين الاقمشة والفخار والفرغوري.
واكثر اهلهل يحبون الملاهي والمسرات كالغناء والرقص وجانب عظيم منهم في
حالة الكسل والشقاوة والفقر يميلون طبعاً الى تصديق الخرافات والقصص التي
لا طائل تمنحها

وفي هذه البلاد عدة مجبرات وانهر وجبال. منها البركان المسمى فاسوفوس
الذي بقرب مدينة نابولي وهو جبل شهير وقديم العهد يتخذ منه احياناً
دخان ولهب نار ممتزجة بمواد ذائبة. وفي جزيرة سيسيليا وهي صقلية بركان
آخر يدعى اتنا نظير ذاك ويوجد بقره كروم مخصبة من العنب والتين
والبردقان والزيتون وبساتين وجنائن عديدة ذات زهور جميلة. وعند هذا
الجبل مدينة عظيمة البنيان يقال لها كانانيا

ومن اعظم مدن ايطاليا مدينة رومية وهي مدينة كبيرة ذات ابنة جميلة
وقصور فاخرة عظيمة. وبها كنيسة مار بطرس وهي من الاله اعظم الهياكل في



كنيسة مار بطرس في رومية

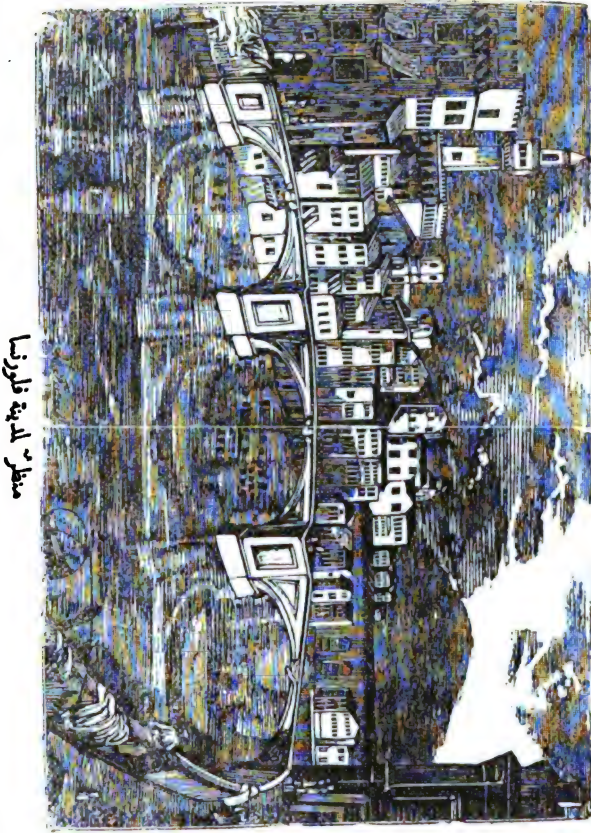
العالم وبقرها قصر الفاتيكان الشهير المخصص لسكن الباباوات. وفي هذه المدينة

كثير من الصور والتماثيل القديمة التي تفوق على غيرها من تصاوير ومنقوشات باقي الناس في الصنعة وحسن الرسم الدالة على براعة وحذافة سكانها الاقدمين ولا سيما خرائبها المتفرقة التي تذهل العقول وتدهش النواظر ببهجتها وجمالها وعظم ارتفاعها. وقد افرزنا فصلاً مخصوصاً لذكر اخبار هذه المدينة وبعض حوادثها. ثم مدينة نابولي وهي جميلة المنظر وبها ابنية فاخرة. ومدينة فينيس وهي من اشهر مدائن تلك البلاد واجملها. ومدينة تورين عاصمة سردينيا. ومدينة فلورنسا البهجة. ومدينة جينوا واقليم تسكانا الذي هو من اجمل اقاليم ايطاليا واظرفها وغيرها من المدن المشهورة التي لا يسعنا الوقت ان تعرض لها لان ذلك مما يخرجنا عن موضوع روح الكتاب المقصود به التلميح لا الاسهاب

وخلاصة الكلام ان مملكة ايطاليا بوجه الاحمال جميلة وظريفة جيدة الهواء بقصدها ذوو الامراض من باقي جهات اوروبا واميركا في فصل الشتاء لاعتدال اقاليمها. وتقصدها السياح من جميع الاقطار للفرجة على ما فيها من الاثار القديمة والابنية الفاخرة ولكن مع كل منتزهاتها وحسن هوائها وزخرفة قصور مدنها وخرائب رومية المدهشة لا يرغب السائح ان يتوطن فيها نظراً لشراسة اخلاق المجانب الاكبر من شعبها والجهل المستولي عليه وليس ذلك الا من سوء نصرّف الولاة والحكام الاقدمين وعدم التفاتهم الى تنوير الشعب. وفي هذه الايام بعد انضمام ممالكها الصغيرة وولاياتها الى مملكة مستقلة اخذ ملكها الحالي فيكتور عمانوئيل في اصلاح شأنها وتحسين حاله شعبها بواسطة وضع الشرائع والنظامات المحسنة وتأسيس المدارس الكلية واعطاء الحرية اللاتمة حتى انه في زمن قريب يمكن للابطالباينيين ان يضاهاوا باقي اصحاب

الرتبة الاولى في المدن

والمعارف



منظر المدينة فلورنسا

الباب الثاني

في تاريخ ايطاليا ويتضمن بعض اخبار البندقية

ان هذه الملكة كانت تسمى قديماً ساتورنيا ثم غلب عليها اسم ايطاليا نسبة
الى ابطالوس احد ملوكها القدماء الذين وفدوا اليها من اركاديا (وهي قسم
من المورة) في الجيل الرابع عشر قبل المسيح. وكان يسكنها وقتئذ ام وقبائل

مختلفة الاجناس والالقباب يعسر تاصيلها لتقدم عهدا اذ لم تندنا التواريخ شيئاً عنهم الى ظهور رومولوس مؤسس السلطنة الرومانية التي ضمت اليها كل بلاد ايطاليا واوروبا واكثر ولايات الشرق الامر الذي الجأنا الى فقع باب مخصوص لاختبار الرومانيين والاختصار في هذا الفصل

وبقيت ايطاليا في ايدي الرومانيين الى ان انقضت دولتهم سنة ٤٧٦ للميلاد واستولى على البلاد اودواكر ملك الهول فتزع عنها اسم الدولة الرومانية ودعاها مملكة ايطاليا . ثم اختتمها ثيودوريك ملك الاستروغوث وبقيت تحت نسلط خلفائه الى سنة ٥٥٢ حينما استخلصها من ايدهم السلطنة الشرقية عن يد القائد بليساريوس اولاً ثم بواسطة نارسيس القائد الثاني الذي اقيم والياً عليها في مقاطعة رافينا . وسنة ٥٩٨ اتى ايطاليا قوم يقال لهم اللونغوبارد الذين سمو فيها بعد لومبارد واستولوا على اقسامها الجنوبية فانقسمت حينئذ الى قسمين قسم سمي ايطاليا اللومباردية وقسم ايطاليا الرومية . فاستمرت ايطاليا الرومية تحت نسلط ولاية الروم المنتصين من طرف قياصرة السلطنة الشرقية الى سنة ٧٥٢ للمسيح عبارة عن مئتي سنة وكان عدد ولائها في المدة المذكورة تسعة عشر والياً اولهم نارسيس المذكور واخرهم اونيغيوس وكان كل من هؤلاء الولاة يُلقب باسم اكسارخوس

وسنة ٧٢٦ حدث هياج في ايطاليا بسبب اخلاقات دينية بين الكنييسة الغربية والكنييسة الشرقية انتهت باستقلال امارة رومية ودخولها في سلك الجمهورية تحت رياسة البابا . وسنة ٧٥٢ امتد اللومبارديون الى جهة جنوبي ايطاليا فاستخلصوا من الروم جانباً من املكهم ودعوها مقاطعة بنفانتو . وبعد ذلك هاجم ايطاليا الفرنساويون في ايام ملكهم بيبين ثم في ايام ابنه شارلمان الذي اسس سلطنة غربية مكان السلطنة الرومانية التي انقرضت وتزوج امبراطوراً عليها سنة ٨٠٠ للميلاد فكانت اغلب ايطاليا من جملة ممالك سلطنته . ولكن بموت كارلوس السمين انتقلت سلطنة الغرب من العائلة الكارلوفنجية

واخلى ايطاليا اكابر امرائها فخص كل واحد منهم لنفسه ولاية من ولاياتها
وكان اشهرها نابولي وتوسكانا وبارما وجنوا ولومبارديا وسردينيا ورومية
وفيس اي البندقية التي هي من اشهر مدائن تلك البلاد واجملها
ومع قلة العلاقات التي كانت بين الدول المختلفة وقلة وسائط الاتصال
كان للايطاليين ولاسيما اللومبارديين شهرة ورغبة في التجارة واتقان الفنون
وخاصة بعد محاربتهم لاهالي المشرق وقت الحروب الصليبية ومع ان الغرض
من تلك الحروب والمغازي انما هو مجرد افتتاح البلاد عن هوس خارج عن
الصواب قد عادت بالنفع على التجارة وتولع الايطاليون في اتقانها بحيث انه
في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كادت تجارات اوربا ان تكون في
ايديهم وكانوا يحسبون رؤساء التجار والصنائع ولم تخط منزلتهم الى وقت معاهدة
المدائن الانسيانيكة للتجارة

واذ كانت فيس من امهات مدائن ايطاليا التي اكتسبت شهرة عظيمة في
الاحقاب القديمة راينا ان نذكر عنها شيئا قبل استيفاء الكلام عن تاريخ ايطاليا
فنقول انه في سنة ٤٥٢ للميلاد غزا ايطاليا قوم من برابرة شمالي اوربا وكان
بقرب هذه المدينة طوائف من السكان فلما دهمهم هذه البلية فر بعضهم من وجهه
مطارديهم وقصدوا سواحل البحر واتخذوها لم مسكنا وكانوا يعيشون بالتجارة
وصيد السمك واستخراج الملح. وكان هناك عدة جمر صغيرة متقاربة بعضها لبعض
فاخذ القوم يقيمون فيها الابنية ويستوطنونها وكانت تنوارد اليها الناس من
اكثر الجهات وتنضم الى ذلك القوم حتى في مدة قصيرة اكتست تلك الصخور
القرعاء بالابنية والقصور الفاخرة واصبحت كدبنة واحدة متصلة بعضها ببعض
بالمجسور والقناطر المستظرفة. وعلى توالي الايام اشهر اهلها في التجارة والقوة
البحرية اشتهارا عظيما. وكانت هذه الجزر في اول الامر منفردة ومستقلة عن بعضها
ولكنها في سنة ٦٦٢ اتحدت معا واقامت عليها رئيسا عاما لمسوسها ويدبر
امورها ومن ذلك اليوم صارت نحسب مشيخة تابعة السلطنة الشرقية وبقيت

تابعة لها الى الجيل العاشر حين استقلت استقلالاً تاماً . وسنة ٩٩٧ لما كان بطرس اورسيولو الثاني رئيساً عليها قويت شوكتها بهذا المقدار حتى انها اخضعت كل الاساكن البحرية في دلمانيا وباستيريا وصارت تُعد اقوى واغنى دولة في اوروبا لاسيما في عارتها البحرية . وما زالت شوكة الفينيسيين تزداد وتقوى يوماً بعد يوم حتى انهم في الجيل الحادي عشر جهزوا عمارة عظيمة مولفة من مئتي سفينة وارسلوها لمساعدة المشنكيك في الحروب الصليبية الاولى . ثم ساعدوا الصليبيين بعد ذلك على فتح مدينة القسطنطينية سنة ١٢٠٤ وحازوا منها على غنائم وافرة ونحف متكاثر من نفائس الجواهر والمعادن وانواع الصور والتماثيل المشغولة وجاءوا بها الى بلادهم ولكن بعد ذلك بقليل اخذ طالعهم في سقوط وهبوط اذ حاشرتهم مشيخة جنوا واستظهرت عليهم في جلة وقائع . وفي الجيل الخامس عشر حارب فينيسيا السلطان محمد الثاني واستخلص منها عدة جزائر في الارخبيل وبعض ولايات في المورة ولكن لما كانت شوكة اهل البندقية لا تزال عظيمة في اوروبا وصينهم منشراً في كل اطرافها خافهم مجاورهم وحسدوهم ملوك الافرنج على ثروتهم ونجاحهم فاخذ البابا بولوس الثاني بهج الدول عليهم وبعد ان استمال اليه بعض الملوك اعنصب معهم على اذلال تلك الجمهورية فكان امبراطور المانيا وملك فرانسا وملك اراغون والبابا بولوس المذكور روساء تلك العصبة المعروفة بعصبة كبري فاغاروا على البندقية واستخلص البابا جميع المدن التي كانت للبنادقة في الاراضي الباباوية واسترجع فردينند ملك نابولي المدن التي استولت عليها المشيخة المذكورة على سواحل كلابر . فلما رأى اهل البندقية انهم محصورون من كل جهة وليس لهم نصير التزموا ان يسلموا بما انت به التقادير وانحصروا داخل اسوار ملكتهم وسنة ١٥٧١ استخلص منها السلطان سليم الثاني جزيرة قبرس وسنة ١٦٦٩ استخلص منها السلطان محمد الرابع جزيرة كريت فهذه المصائب مع غيرها اضغظتها واضرت تجارها جناً ولكنها استمرت في استقلاليتها الى الجيل الثامن عشر حينما خضعت لفرانسا . وسنة

١٧٩٨ استولت عليها دولة النمسا وبقيت تحت تصرف احكامها الى ان الحقت بمملكة ايطاليا سنة ١٨٦٦ كما سيأتي شرح ذلك في محله
اما احوال ايطاليا فاستمرت على الحالة المذكورة آنفاً نحو سبعين سنة وكانت المنازعات فيها متصلة دائمة من اهل الطمع وارباب الفساد فكان الحجر بغزون اراضيها الشمالية بينما كانت اقاليمها الجنوبية عرضة لمغازي الاسلام الذين افتتحو سبيلها واستولوا عليها زماناً بديراً الى ان اخرجهم منها امراء نورمنديا واقاموا مكانهم

وبينما كانت الاحوال مضطربة في ايطاليا استدعى البابا يوحنا الثاني عشر اوثنون الكبير ملك جرمانيا اليه لينفذه من جوراجد ملوك ايطاليا الذي كان قد تعدى عليه فسار اليه وحارب خصمه وافرج عنه تلك الشدة وتزوج ملكاً على كل ايطاليا ثم امبراطوراً على كل السلطنة الغربية وكان ذلك سنة ٩٦٣ للمسيح فاستمرت ايطاليا خاضعة لملوك جرمانيا الى سنة ١٢٦٨ ثم اخذت بعد ذلك تستقل امرياتها الواحدة بعد الاخرى . وصارت كل امرية منها قائمة بذاتها تحت حكم ملك او جمهورية او امرية ودام حال ايطاليا على هذا المنوال الى سنة ١٥٠٤ حين وقع النزاع بين فرنسا واسبانيا في شان هذه البلاد فكانت كل دولة منها تود ان تضع يدها عليها وتستخلصها لنفسها . وبعد ان بذلت فرنسا غاية جهدها في امتلاكها لم تنل بغيتها وفازت اسبانيا باستيلائها على مملكة الصقليتين سنة ١٥٠٥ ثم استولت على امرية ميلان سنة ١٥٤٠ اذ حصرت ايطاليا شمالاً وجنوباً ونصرفت بباقي ولاياتها كما ارادت ولم يبق مستقلاً الا البندقية . وفي القرن السابع عشر اخذت قوة اسبانيا في ايطاليا ان تضعف وتنقص حتى كادت تزول بالكلية واغضبت منها اوستريا سنة ١٧٠٦ امرية ميلان ومملكة الصقليتين فبقينا تحت حكمها مدة ثم تنازلت عن الصقليتين وعن امرية بارما الى فرعين من عائلة البوربون الاسبانوليين بشرط ان لا تنضم الى مملكة اسبانيا

ولكن لم يمضِ زمنٌ طويلٌ حتى تبدلت احوال ايطاليا بسبب حروب
 المشيخة الفرنسية ووقائع نابوليون الاول الذي بعد ان ضمَّ بيموتي وسافوي
 الى فرنسا احدث انفصال امرية ميلان عن النمسا وجعلها دولة جمهورية
 واستعاضت النمسا بدلاً عنها بالبندقية وملحقاتها. ولكن بعد حرب اوسترلينس
 سنة ١٨٠٥ اثم نابوليون دولة النمسا ان تتنازل عن البندقية وضماها الى امرية
 ميلان وسماها مملكة ايطاليا واقام فيها البرنس اوجان ابن زوجته الاولى نائباً
 عنه بالملك. ثم افرز نابولي وجعلها مملكة قائمة بذاتها واقام عليها صهره الجنرال
 يواكيم مورات. اما توسكانا ورومية وجنوا وغيرها فاضيفت الى اعمال فرنسا.
 فعلى هذا الوجه كانت كل ايطاليا تابعة لفرنسا ما عدا سردينيا وجزيرة سيسيليا.
 ولكن بعد حوادث سنة ١٨١٤ رجعت رومية وملحقاتها للبابا ورجعت نابولي
 سنة ١٨١٦ الى فردينند ملكها الاول واستولت دولة النمسا على ميلان
 والبندقية وسُمينا مملكة اللومبارديا والبندقية وهكذا باقى الاقاليم رجعت لاربابها.
 وفي سنة ١٨٥٩ انتصرت فرنسا لسردينيا فخارتها النمسا واستخلصت منها
 اللومبارديا واضيفت الى احكام فيكتور عمانوئيل الثاني ملك سردينيا. وفي سنة
 ١٨٦٠ انعقد اربع جمعيات من عمد اهل ايطاليا بمدينة فلورنسا وبولونيا وبارما
 ومودينا وبعد مداوات كثيرة استقر الراي على خلع ملوكهم لتقصيرهم وعدم
 اهليتهم وضم ممالكهم لمملكة سردينيا تحت ولاية الملك فيكتور عمانوئيل المشار اليه
 فاستحسن الاهالي آراءهم وافقوا عليها وقبل ملك سردينيا هذا الانضمام واخذت
 الممالك تنضم اليه الواحدة بعد الاخرى من ذلك اليوم وكان اول من انضم اليه
 نابولي وصقلية ولومبريا التابعة لمملكة رومية وغيرها وفي سنة ١٨٦١ نودي به
 ملكاً على ايطاليا. وفي سنة ١٨٦٦ انضمت اليه اعمال البندقية. بعد المعركة
 الماثلة التي وقعت بين النمسا وبروسيا عندما تحزبت بروسيا لايطاليا. ثم في
 سنة ١٨٧١ وضع يده على مدينة رومية وجعلها مقراً كرسي المملكة. وبعد موت
 فيكتور عمانوئيل قام مكانه ابنه هومبر وذلك في ٩ ك ٢ سنة ١٨٧٨ وجعل مكان

اقامته في مدينة فيورنسا

فهذا هو بالاختصار تاريخ ايطاليا التي كانت ميداناً وسیعاً للمشاجرات والحروب بعد انقراض السلطنة الرومانية وما تقدم يظهر ان هذه البلاد لم تنصر قط دولة مستقلة كانكلترا او فرانسا او غيرها تحت ولاية ملك عام او مشيخة عامة بل كانت على الدوام متجزئة بين امراء كثيرين ومنقسمة الى ممالك صغيرة منها مستقلة ومنها تابعة بحيث يعسر وصف كل منها على حدته واستيفاء الشرح عنها واما انضمامها الآن فهو ما لم يحصل عليه الايطاليون قبل هذا التاريخ وهذا الاتحاد يتضمن فوائد جمة نأول لنجاح الأمة ووضعها في مصاف ذوبه الرتب الاولى

الفصل الرابع

في اخبار رومية وبعض احبارها

انه لامر معلوم ان روساء الديانة الاولين كانوا جميعاً متساوين في ما يختص بامر الدين والسلطة الكنائسية غير انه امتاز اساقفة المدن الكبيرة على ما سواها نظراً لوجودهم في مراكز الحكومات واحتياج الغير اليهم لاجل المساعدات . فكانت رومية والقسطنطينية والاسكندرية وانطاكية والقدس مراكز السلطة الكنائسية وتعتبر اساقفتها على نوع ما كروساء الدين . ولكن اذ كانت رومية كرسي الامبراطورية الرومانية ونحت الدنيا بتامها كان لاساقفتها شرف وامتياز

على غيرهم فخطوا من الاحترام والاكرام باوفرها ولم يكن لهم امتياز آخر غير ذلك. وفي اثناء المجمل الرابع فافت عظمة رومية والقسطنطينية على باقي المدن المذكورة وانحصرت فيها سطوة اساقفتها ومن ثم اخذت كل منها تدعي السيادة والرياسة على اختها فوقع النزاع والحصام بين الكنيستين اعني الشرقية والغربية واستمر البغض والحسد بينها الى اوائل المجمل الثامن في ايام ليو الثالث امبراطور الشرق الذي قاوم مسئلة عبادة الصور والتماثيل فيما نشبت رومية في استعمالها فانفجرت حينئذ العداوة الظاهرة بين الكنيستين وحصل الانقسام الذي لم يعد يجد سبيلاً للانضمام

وفي اواسط المجمل الثامن لما لم يجد غريغوريوس الثاني اسقف رومية طريقاً لابطال نشب الكنيسة الشرقية في رفض عبادة الايقونات حوّل قواه الى نهج الشعب الروماني للانتقام الى هذه المسئلة الدينية فعصت رومية وراقينا على قوادها وولاتها المتولجين ادارة الاحكام من قبل سلطنة القسطنطينية وتقلد كل شعب ايطاليا السلاح واثاروا هيجاناً عظيماً في كل اقطار البلاد وكسروا جميع تماثيل قياصرة الرومانيين الموجودة في رومية وقتلوا الوالي الكبير المقيم في راقينا وكل مناومي مشروع عبادة الصور واستقلت اماره رومية وصارت دولة جمهورية تحت رياسة البابا. ولكن مع ذلك لم يكفّ ولاه الروم عن مقاومة الباباوات ومضادتهم فكانت الاحوال في اضطراب عظيم فانتهاز فرصة هذه الثورات لويثيرباند ملك لومبارديا واستولى على راقينا واخضع جميع المدن التابعة لها ثم استرجعها منه عاجلاً سلاطين الروم واذا لم يستطيعوا ان يحفظوا البلاد كالايام السابقة فمض استولفوس ملك لومبارديا واقتح راقينا من ابدي ولاه الروم ويهدد رومية بالخراب فمض البابا استفانوس الثالث وذهب الى فرانساستغيثاً بملوكها فانجدوه واستخلصوا من اللومبارديين ولاية راقينا واهدوها للعبه الروماني ليستولي على محاصيلها وايراداتها وينفقها في منافع الكنيسة ويكون موريساً مديناً خاضعاً لاحكام فرانساً. وصادق على ذلك الملك شارلمان

وزاده اراضي اخرى كان قد استملكها من مغازيه على لومبارديا فصارت
تملكات المحبر الروماني عظيمة وغناه وافرا جدا وازدادت ثروته يوما بعد يوم
لنوارد الهدايا اليه من كل جهة ومكان وقدم له كثيرون من الامراء والاعيان
قري ومقاطعات برمتها حتى انه في وقت قريب اجتمع في شخص الباباوات
سطوة الدين والدنيا وصاروا ملوكا ارضيين وروساء دين معا بحيث ان عظمتهم
كانت مساوية لسطونهم بلا حدٍ وهكذا مع تهادي الايام صار للباباوات اهمية
عظيمة وحق كبير في تولية ملوك الارض وعزلم حسب مشيئتهم

اما كلمة بابا فكانت قديما تطلق على جميع الاساقفة بدون استثناء ولم
يخصص بالمحبر الروماني الا في سنة ١٠٧٣ في زمن غريغوريوس السابع الذي
شيد اركان سلطة الباباوات السياسية فكانت سطوتهم يومئذ في اعلى طبقة سائدة
على كل ملوك الارض اذ كان لغيرهم من الملوك تاج واحد واما هم فكان لبعضهم
ثلاثة نيجان احدهما فوق الاخرى دلالة على السلطة المثلثة المجمعة فيهم وهي
رياسة الكنيسة العمومية واسقفية رومية والولاية المدنية على الاراضي الرومانية .
وبلغ اعتبار هؤلاء الاحبار الى هذا المقدار حتى انهم احيانا عندما كانوا يعلنون
ظهور الخيل يسك لم الركاب كثيرون من الملوك وانشاطين . وكانوا احيانا
يصدرون حرما على امّة باسرها ويأمرون بحاربتيها وكان اذا انكر احد سلطة
البابا يُحرق وهو حي . وسنة ١٠٧٢ اُلزم البابا غريغوريوس هنري الرابع
امبراطور المانيا ان يقف حافيا ثلاثة ايام في فصل الشتاء امام باب قصره
ليطلب منه الغفران وقد استوفينا هذا الخبر في ترجمة هنري الرابع كما سيأتي .
وسنة ١١٧١ رفس بابا اخر برجله تاج ملك اخر من ملوك جرمانيا حينما كان
الملك جائئا امامه وبالاجمال نقول ان جهالة تلك الاعصار طست بصائر
الشعوب حتى لم يعودوا يروا في روساء الدين خطأ فكانوا يذعنون لكل
احكامهم واجراءهم ويخضعون لكل ما يستقر عليهم كأنه منزل لا عيب فيه .
والى هذا المقدار اتصلت سيادة الباباوات وشوكتهم حتى لم يبق في اوربا مملكة

الا واضطربت من افعالهم ولا ملك الا ونعكر من مطامعهم ولا كرسي الا وارنج
من شوكتهم

وفي الجبل الحادي عشر وقع النزاع والخصام بين الباباوات وبين باقي
مالك اوروبا وعلى الخصوص مع المانيا في شان السيامات الاكليريكية التي
نشأ عنها حروب كثيرة . لانه كما لا يخفى ان الاكليروس في تلك الازمنة كانوا
عندما يرسمون على مقاطعة او ابرشية ملزومين ان يحلفوا للملك بين الامانة
والطاعة وبعد ذلك يلقب الملك بلفي الكنائسي ويقلد وظيفته سواء كان
بطريركا ام اسقفا ام غير ذلك من الوظائف وبأذن له ان يتصرف بالملكات
المنصة بابرشيته لكونها مربوطه بالتزامات اميرية ثم يعطيه عكازا وسيفا دلالة
على السلطة الزمنية ثم صليبا وخاتما اشارة على السلطة الروحية وبدون هذا
التصريف من قبل الملك لم يمكن للاكليروس الدخول في وظيفتهم

فلم يقبل الباباوات بهذا الامر واخصهم غريغوريوس السابع فانه نهض
سنة ١٠٧٣ لمقاومة ذلك وطلب رفع مداخلة الملوك في هذا الامر واراد تخصيص
هذه الحقوق وحصرها بالباباوات فنشأ عن ذلك مخاصمات قوية ومحاربات
شديدة اخصها بين جرمانيا وابطاليا في ايام ملكها هنري الرابع ثم ابنه هنري
الخامس الذي غزا ايطاليا مرتين واسر البابا اوربانوس الثاني ثم اطلقه واستمر
ذلك الحال الى سنة ١١٢٢ حين عقد صلح بين الطرفين في ايام البابا
كاليكستوس الثاني وقض هذا المشكل على وجه مرض للفرقيين وهوان يكون
للملك حق التصرف المدني وللبابا التصرف الكنائسي . وفي اول الجبل التالي
هاجت تلك الخصومات ثانية واضطربت نيرانها وامتزجت بين منازعات
اخرى كانت قائمة وقتئذ بين قسمين كبيرين في المانيا وابطاليا يقال لما
الغوالف والجيبلين ولكنها انطفت اخيرا سنة ١٢٦٨ عند موت كوتراد ملك
جرمانيا

ولكن مع كل سطوة الباباوات يومئذ وتوطيد سلطتهم على الاراضي الرومانية

كثيراً ما كانت مدينة رومية تعصم وتقاوم عندما يتذكر اهلها مجدها القديم ويقابلونه على حالها الدينية فكثيراً ما خلعوا الطاعة ورفعوا علم العصيان ضد رياسة الباباوات وكثيراً ما خلع الحبر الاعظم عن كرسيه ونفي من رومية حتى التزم في وقت ما ان ينفل الباباوات كرسي الحبرية الى افينيون من اعمال فرانسا حيث اقاموا فيها نحو سبعين سنة هرباً وخوفاً من هيجان ومقاومة الشعب . واذ لم يوجد في رومية قوة كافية لتوقيف اسباب الفتن والحركات كثيراً ما كان يظهر بعض البلغاء من ذوي النباهة والاقدام على عظام الامور وبواسطة مناداتهم واعمالهم يستميلون قلوب الاهالي الى الاتحاد معهم بطلب الحرية والاستقلال فينشأ عن ذلك تحزبات وخصومات تأول للخلل وسلب الراحة . غير ان تلك المشروعات لم تنجح حتى النجاح لان سلطة الباباوات كانت كفوءاً لاختادها واطفاء نيرانها بواسطة القاء القبض على المسيبين وقتلهم اما حرقاً بالنار او بمجد السيف . ومن اشهر هؤلاء الثوم ارنولد دي بريسكي ونيكولا دي ريتزي الذي حكم مدينة رومية مدة في الجبل الرابع عشر

وكان لاجبار رومية شوكة عظيمة وهيبة قوية ليس فقط بين الناس ولكن بين الدول ايضاً حتى ان الملوك كانت تؤدي لهم مزيد الاحترام والطاعة وحسب سعيماً من كان ميل الحبر الاعظم نحوه . واذ كان للاجبار دخل في الامور المدنية واغراض في الامور السياسية كان ذلك موجباً لتعرضهم الى نتائج تلك المداخلات في اشهار الاسلحة عليهم وعلى اراضيهم وهتك حرمة دين النصرانية . فانه امر غني عن البيان انه بسبب تحزب الباباوات لبعض الملوك او الامراء او لاغراض اخرى دينية كثيراً ما اوجبوا حروباً في بلاد ايطاليا وانشقاقاً بين الشعب وكثيراً ما قامت عليهم الملوك وحاربهم ونهبت رومية وباقي اراضيهم لاسباب سنة ١٥٢٧ في زمن البابا اكليمنضس السابع حين هاجمته جيوش الامبراطور شارلكان تحت قيادة الدوك دي بوربون وفتكت مجيشه واملاكه واسرته بعدما نهبوا المدينة واحرقوا فيها وفي الاهالي ما يقصر عنه

الشرح وما لا يتصوره عقل

وكان البابا اينوسنت في ايام فيليب اوغسطس ملك فرansa وابنه لويس الثامن في الجبل الثالث عشر قد اصدر امراً باضطهاد وابادة الولدنسيين والابيجنسيين وهما فرقان من مذاهب النصرانية في جنوبي فرansa . وكان السبب في ذلك ان تابعي هاتين الفرقتين كانوا يندرون الشعب بالامور الدينية ويجولون من مكان الى مكان حاملين الكتاب المقدس ومبشرين به فالتصق بهم كثيرون من الناس واقتدوا بتعاليمهم من جلهم بطرس فالدورجل من قرية ثوفي فرansa وتاجر عظيم في مدينة ليون فحركته الغيرة والحبة الى خلاص الانفس فباع كل املاكه ووزعها على الفقراء ثم انة ترجم التوراة الى لغة القودوا وجال كارزا من مكان الى مكان فتبعه كثير من الناس وتلقبوا بالولدنسيين نسبة الى بطرس فالدو المذكور مقدمهم الشهير ويعرفون ايضا باسم ثودوا نسبة الى ثومديتو . ومع ان ظهور فالدو المذكور كان في الجبل الثاني عشر زعم بعض المؤرخين ان هاتين الشيعتين نبغتا في عهد الرسل ويسندون في اثبات قدميتها على شهادة معانديهما رئيسي اساقفة طورين وصانكوريز اذ يقولان ان الولدنسيين هم اقدم القبائل واكثرهم تقوى . واما الولدنسيون فيؤكدون ان كبسهم اسمها الرسل واستمرت من ذلك الوقت متمسكة بتعاليم الرسل البسيطة بدون ادنى تغير . فلما راي الحبر الاعظم نجاج هؤلاء النوم وانه بواسطة تعاليمهم وادعاء عامتهم في حق التبشير تنسلب حقوق الكنيسة الرومانية ويقع الخلل في نظامها شرع في استعمال الوسائط للملاشاتهم واثار عليهم اضطهادات شديدة وعدمهم من المجرمين بالهرطقة وهاج عليهم ملوك فرansa وباقي الشعب كما تقدم فكانوا يعذبونهم بسائر انواع التعذيبات التي لا تخطر على بال بشر فكان منهم من يحرق حياً ومنهم من يمزقون اعضاءه بالسيوف الى غير ذلك من العذابات الاليمة ودامت عليهم الاضطهادات مدة طويلة . وكان عدد من قتل منهم في اثناء هذه الاضطهادات على ما قيل نحو مليون نفس ومع كل ذلك لم يزل

موجوداً منهم الى يومنا هذا نحو عشرين الف نسمة في بلاد ايطاليا
وفي القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر حصل شقاق عظيم في امر
الذين اورث الكنيسة عاراً كبيراً وذلك ان اثنين او ثلاثة من الباباوات كانوا
يجولون في وقت واحد في اوربا كل واحد منهم يستميل خاطر ملوكها اليه
للمعاضدة في مقاومة الاخر فكان ذلك سبباً لاحتقارهم وانحطاط شانهم والازدراء
بمناصبهم السامية فنشرت منهم القلوب وانكر الناس على روساء الدين تلك
الاعمال ولا سيما وقت ظهور اسكندر السادس ثم يوليوس الثاني فانه ظهر منها
ما كسا الكنيسة عاراً واحقاراً على مدى الاجيال بواسطة عدم استقامتها وفساد
اعمالها ما لا نريد التعرض لذكره

اما انتخاب الباباوات قديماً فكان يجري بمعرفة الاكليسوس والشعب .
ولكن اذ كان يحدث من جرى ذلك اختلافات ومنازعات شديدة اوجد البابا
غريغوريوس العاشر طريقة مناسبة لرفع اسباب تلك الخصاصات وهي انه عند
انتخابهم حبراً كانت تجتمع الكردبالية في مكان معلوم ويُقبل عليهم الباب من
خارج فيأخذون في المداولة واعطاء القرار في تسمية خليفة للكرسي وكانوا
ملزومين ان يتموا انتخابهم في مدة ثمانية ايام فان لم يتم ذلك في المدة المعيّنة
كانوا يمنعون عنهم المأكولات ولا يقدمون لهم سوى الخبز وقليل من الخمر فقط
في كل الوقت الذي كانوا بصرفوته علاوة على الثمانية ايام . ومن شروط ذلك
الاجتماع ان البابا الذي سوف يقع عليه الاختيار يقتضي ضرورة ان يكون من
زمرة المجتبعين لا من غيرهم . وعند ما كان يقر الرأي على احد كانوا يحملونه على
الاكتاف ويأخذونه في الحال الى كنيسة مار بطرس وينادون باسمه غب اجراء
الاحتفالات اللازمة ويقلدونه بمفتاحين احدهما من ذهب والاخر من فضة رمزاً
الى منافع السماء الموعود بها الى مار بطرس

وللباباوات رسل عند الدول الاجنبية . على نوعين احدهما يدعى قاصداً
وهو الذي ينوب عنه في الامور الدينية والاخر يدعى نونوس وهو الذي يقوم

مقامه في الامور السياسية . واغلب متوظفي حكومة الباباوات هم من طغمة اهل الدين ما عدا العساكر الذين يبلغ عددهم اثني عشر ألفاً فانهم من عامة الناس وسنة ١٥١٧ ظهر مرتينوس لوثيروس من اعمال جرمانيا منادياً باصلاح الكنيسة فاهتزت مالک اوروبا بأسرها من تعاليه ومولفاته وقد ذكرناه ولوردنا شيئاً من اخباره في نارنج جرمانيا فلا حاجة الى ذكرها هنا . ومن ذلك الوقت ابتدأت السلطنة الباباوية الزمنية في السقوط والهبوط يوماً بعد يوم حتى ان بعض الممالك في اوروبا رفضت كل صلة معهم سواء كانت سياسية ام دينية بعد ان وقع بينهم مخاصمات ومحاربات شديدة . ولم يزل امرهم في انحطاط وسقوط الى سنة ١٨٧١ حين دخل الايطاليون الى رومية وجعلوها عاصمة المملكة وذلك عقب انفضاض الجمع المسكوني الذي صادق ونادى بعصمة البابا بيوس التاسع . ولكن مع انه فقد السلطنة الزمنية لم يزل رأساً للكنيسة الرومانية . اما البابا المتولي الآن فوليون الثالث عشر جلس على كرسي الرئاسة في ٢٠ شباط سنة ١٨٧٨



الفصل الخامس

في اخبار الدولة الرومانية الشرقية بعد انفصالها عن السلطنة الغربية وذلك من سنة ٢٩٥ الى سنة ١٤٥٣ عبارة
عن ١٠٥٨ سنة

قد ذكرنا في ما مضى كيفية انقسام الدولة الرومانية الى مملكتين غربية

وشرقية بعد ان شرحنا اخبار الدولة الاولى وحوادث ملوكها الى زمن انقراضها ونذكر الآن اخبار السلطنة الثانية وما يتعلق بها من اهم الحوادث والاخبار على وجه الاختصار فنقول انه بعد وفاة ثيودوسيوس الاول جلس ابنه ارКАДيوس سنة ٢٩٥ على كرسي السلطنة الشرقية . وكان من جملة ما لهما ولمخفاتها الخارجية مصر وسوريا واسيا الصغرى ثم تراكييا وهي قسم كبير من بلاد الرومي ثم داسيا اي مولدافيا وفلاخيا وما يليها من النواحي . وكان هذا الملك ضعيف الراي عديم التدبير لم يحدث في ايامه ما يستحق الذكر فكانت البلاد في راحة وسلام . ومات ارКАДيوس بعد ثلاث عشرة سنة من حكمه وخلفه ابنه ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٠٨ وكان عمره يومئذ تسع سنين وكان كاهيه في ضعف العقل وقلة الادراك فلما كانت مدة ايامه تحت طاعة وزرائه واخيه بوليكريا فكانت متسلطة عليه وقائمة بتدبير الملكة . وحدث في زمانه ان قبائل الهونيين اي الهجر اغاروا على القسطنطينية فحاصروها وضيقوا على الاهالي بعد ان استولوا على سبعين مدينة ونهبوها فالتزم ثيودوسيوس ان يعقد صلحا مع قائدهم تخم شروط مهينة للسلطنة

وبعد موت ثيودوسيوس المذكور خلفته اخيه بوليكريا فكانت ذات حكمة وفراصة موصوفة بالعقل والاداب وهي اول انثى جلست على سرير السلطنة الرومانية . وكان السبب في انتخابها انخراط مقام الدولة الرومانية والاهانة التي لحقت بها في ايام اخيها وايها فافتضى الحال رفع شان الدولة وتقوية شوكتها فاختر اكابر الملكة هذه الاميرة لتكون ملكة عليهم وذلك لما يهدونه من حكمها وحسن تدبيرها فبايعوها بالملك . ولكن لما كان حكم النساء عند الروم على خلاف العادة خافت من ان يخلعوهما بعد ذلك عن الكرسي فتزوجت برجل متقدم في السن من اكابر المجلس يدعى مارسيان وفوضت اليه امور الملكة فكانت احكامها منفردة ومتمدة مع زوجها ثلاث سنين ثم انفرد زوجها بالملك الى سنة ٤٥٧ وموت الملكة المذكورة انقضت عائلة ثيودوسيوس الاول . وبعد

موت زوجها مارسيان نبياً ليو الاول سرير الملكة بانتخاب قواد الرومانيين وهو اول امبراطور توجه بطرك. ثم خلفه ابنه ليو الثاني سنة ٤٧٤ وكان اولاً رئيس المحافظين في ولايته من ولايات الاناضول. ثم تولى بعده زينو ثم انسطاسيوس وكان هذا الرجل قد نشأ بمدينة من مدن ايطاليا وهو من عائلة خاملة الذكر فارتيق بهارتو الى ان صار من جملة ضباط القصر الملكي فساعدته التفادير الى ان تزوج بالتيصرة اريانة ام القيصر زينو فسمعت في تربيته الى المسند القيصري وامرت المجلس الروماني بانتخابه قيصراً وكان في اول حكمه مكرماً معظماً من جميع الرعايا ثم سلك مسلك الظلم والعدوان فصار ممقوتاً ومغوضاً من الجميع. وكان دنياً بهذا المقدار حتى انه كان يعرض بيع المناصب والرتب لمن يشترى. ثم خلفه جوستينوس واصل مولده في بلاد الرومي وكان اولاً برعى المواشي ثم انتظم في سلك العسكرية وارتقى الى اعلى الرتب في ايام ليو الاول ثم استولى على سرير الملكة بالخيالة والخداع بعد انسطاسيوس وسلك في احكامه سبيل العدل والانصاف

وبعد جوستينوس قام جوستينيانوس سنة ٥٢٧ للميلاد فزهت السلطنة في ايامه وعظمت سطوتها بسبب انتصاراته الكثيرة فاستخلص بلاد افريقية من ايدي القندال بواسطة بليساريوس القائد الشهير الذي اخضع قرطاجنة ايضاً واسر ملكها جليم واتى به الى القسطنطينية فقتل هناك في وسط محفل عظيم. ومن ذلك الوقت صارت افريقية تابعة سلطنة القسطنطينية. ثم زحف بليساريوس على ايطاليا واخضعها مع سيسيليا وقهر فينيس ملك الاستروغوت واتى به اسيراً الى القسطنطينية مقيداً بالزناجير. فهذه الانتصارات والافتتاحات حركت حمية قباد بن فيروز ملك فارس على حرب الروم وتجهز بجيش عظيم لقتالهم. ولما بلغ خبره جوستينيانوس ارسل اليه قائده بليساريوس بالجيوش الكثيرة فجرى بينهما عدة وقائع تارة انتصر فيها الفرس واخرى الروم فاستمر الحال على ذلك مدة مستطيلة واذ لم يتمكن الواحد من الآخر تمكناً كافياً اوقفا

وشرقية بعد ان شرحنا اخبار الدولة الاولى وحوادث ملوكها الى زمن انقراضها ونذكر الآن اخبار السلطنة الثانية وما يتعلق بها من اهم الحوادث والاخبار على وجه الاختصار فنقول انه بعد وفاة ثيودوسيوس الاول جلس ابنه ارКАДيوس سنة ٢٩٥ على كرسي السلطنة الشرقية . وكان من جملة ما لهما وملحقاتها الخارجية مصر وسوريا واسيا الصغرى ثم ثراكيا وهي قسم كبير من بلاد الرومي ثم داسيا اي مولدافيا وفلاخيا وما يليها من النواحي . وكان هذا الملك ضعيف الراي عديم التدبير لم يحدث في ايامه ما يستحق الذكر فكانت البلاد في راحة وسلام . ومات ارКАДيوس بعد ثلاث عشرة سنة من حكمه وخلفه ابنه ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٠٨ وكان عمره يومئذ تسع سنين وكان كاهيه في ضعف العقل وقلة الادراك فلما كانت مدة ايامه نجت طاعة وزرائه واخوه بوليكريا فكانت متسلطة عليه وقائمة بتدبير الملكة . وحدث في زمانه ان قبائل الهونيين اي المجر اغاروا على القسطنطينية فحاصروها وضيقوا على الاهالي بعد ان استولوا على سبعين مدينة ونهبوها فالتزم ثيودوسيوس ان يعقد صلحا مع قائدهم نجت شروط مهينة للسلطنة

وبعد موت ثيودوسيوس المذكور خلفته اخيه بوليكريا فكانت ذات حكمة وفراصة موصوفة بالعقل والاداب وهي اول انثى جلست على سرير السلطنة الرومانية . وكان السبب في انتخابها انخراط مقام الدولة الرومانية والاهانة التي لحقت بها في ايام اخيها وايها فافتضى الحال رفع شان الدولة وتقوية شوكتها فاختر اكابر الملكة هذه الاميرة لتكون ملكة عليهم وذلك لما يعدونه من حكمها وحسن تديرها فبايعوها بالملك . ولكن لما كان حكم النساء عند الروم على خلاف العادة خافت من ان يخلعوهما بعد ذلك عن الكرسي فتزوجت برجل متقدم في السن من اكابر المجلس يدعى مارسيان وفوضت اليه امور الملكة فكانت احكامها منفردة ومنجدة مع زوجها ثلاث سنين ثم انفرد زوجها بالملك الى سنة ٤٥٧ وموت الملكة المذكورة انقضت عائلة ثيودوسيوس الاول . وبعد

موت زوجها مارسيان نبأ ليو الاول سرير الملكة بانتخاب قواد الرومانيين وهو اول امبراطور توجه بطرك. ثم خلفه ابنه ليو الثاني سنة ٤٧٤ وكان اولاً رئيس المحافظين في ولاية من ولايات الاناضول. ثم تولى بعده زينو ثم انسطاسيوس وكان هذا الرجل قد نشأ بمدينة من مدن ايطاليا وهو من عائلة خاملة الذكر فارتقى بهارتو الى ان صار من جملة ضباط القصر الملكي فساعدته التفادير الى ان تزوج بالقيصرة اريانة ام القيصر زينو فسعت في ترقية الى المسند القيصري وامرت المجلس الروماني بانتخابه قيصرًا وكان في اول حكمه مكرماً معظماً من جميع الرعايا ثم سلك مسلك الظلم والعدوان فصار ممقوتاً ومبغوضاً من الجميع. وكان ديناً بهذا المقدار حتى انه كان يعرض بيع المناصب والرتب لمن يشترى. ثم خلفه جوستينوس واصل مولده في بلاد الرومي وكان اولاً برعى المواشي ثم انتظم في سلك العسكرية وارتقى الى اعلى الرتب في ايام ليو الاول ثم استولى على سرير الملكة بالحيلة والخداع بعد انسطاسيوس وسلك في احكامه سبيل العدل والانصاف

وبعد جوستينوس قام جوستينيانوس سنة ٥٢٧ للميلاد فزهت السلطنة في ايامه وعظمت سطوتها بسبب انتصاراته الكثيرة فاستخلص بلاد افريقية من ايدي القندال بواسطة بليساريوس القائد الشهير الذي اخضع قرطاجنة ايضاً واسر ملكها جليم واتى به الى القسطنطينية فقتل هناك في وسط محفل عظيم. ومن ذلك الوقت صارت افريقية تابعة سلطنة القسطنطينية. ثم زحف بليساريوس على ايطاليا واخضعها مع سيسيليا وقهر فيتيجس ملك الاستروغوت واتى به اسيراً الى القسطنطينية مقيداً بالزنجير. فهذه الانتصارات والافتتاحات حركت حمية قباد بن فيروز ملك فارس على حرب الروم وتجهز بجيش عظيم لقتالهم. ولما بلغ خبره جوستينيانوس ارسل اليه قائده بليساريوس بالجيوش الكثيرة فجرى بينهما عدة وقائع تارة انتصر فيها الفرس واخرى الروم فاستمر الحال على ذلك مدة مستطيلة واذ لم يتمكن الواحد من الآخر تمكناً كافياً اوقفا

الحرب ومهادنا مدة خمسين سنة . وكانت قبائل الفوث في ايطاليا قد اظهرت العصاة يومئذ على الملكة الشرقية واستقلت في تلك البلاد فارسل اليها الملك جوستينيانوس القائد بليساريوس ثانية ليقابلها ويخضعها . وعند وصوله الى ايطاليا وشى به بعض حساده ومبغضيه الى الملك وتكلم في حقو بما لا يليق فاستدعاه الى القسطنطينية وارسل مكانه نارسيس القائد فاستخلص البلاد من ايدي الفوث وادخلهم تحت الطاعة والانقياد ومن ذلك العهد صارت حكومة ايطاليا منوطة بايدي الولاة الروم فكانوا يحكمون عليها ويسوسونها من طرف سلطنة القسطنطينية . وفي تلك البرهة نهض قوم من البلغار بين واتحدوا مع قبائل بلاد السرب وتقدموا بمجموعهم الى مكدونية وثاركا فهاجموها ونهبوها وامتدوا في غزروهم وغاراتهم الى ان اقتربوا من القسطنطينية فخرج لقتالهم القائد بليساريوس المذكور فواقعهم وشنت عليهم وكانت هذه المحروب آخر انتصاراته اذ رفضه بعد ذلك الملك واكابر الوزراء بسبب وقوع بعض مناسد وقتن اتهموه بها فصار مكروهاً ومبغضاً من الجميع وصرف باقي عمره في النل والهوان

ولكن مع كل سطوة الملكة وشهرة عظمتها ومجدها من خارج كانت احوالها الداخلية غير مرضية بسبب المصائب التي دهمتها لاسيما بوقوع الزلازل الكثيرة التي حدثت في اقطار الملكة واضرت باكثر المدائن وعلى الخصوص مدينة انطاكية فانه كان قد هدم اكثرها وقتل فيها نحو ٢٥٠ الف نسمة . ثم عتب ذلك وبأعالم دام وقتاً طويلاً . وكان يموت بهذا الطاعون في القسطنطينية يومياً نحو خمسة الاف نسمة على ما قيل ثم اتصل العدد الى عشرة الاف في كل يوم واستمر ذلك على مدة ثلاثة اشهر حتى قل عدد الجنس البشري في ايام الملك جوستينيانوس وانقضت مدائن كثيرة في الشرق من سكانها

واشتهر هذا الملك في اشتغاله بمساعدة تربيونيان الفقيه على استخلاص السنن والشرائع الرومانية الكثيرة المجموعة منذ اجبال عديدة وفي سن قوانين

وشرائع مدنية تعرف بالقانون الجوسنياني فكان ذلك من اعظم اعمال ذلك العصر وهو الان قاعدة واساس الاحكام المدنية المحاضرة

ثم قام بعد جوسنيانوس ابن اخيه جوسينيوس الثاني وكان في اول امره حميد السيرة موصوفاً بالعدل والاستقامة ثم ظلم وجار في الرعية واشتغل بالولائم والملاهي عن الاحكام وترك تدبير المملكة بيد زوجته صوفية التي احبت شاباً يسمى طيباريوس متصفاً بالذكاء والاراء السديدة فكانت تستشيرهُ في جميع امورها ولا تعمل الاّ براءهُ فطلبت من زوجها وحملته ان يتيناهُ وان يوصي له بالتصيرية بعدهُ قاصدةً ان تزوج به فاجابها الى سؤلها وتيناهُ وعهد اليه بالمملكة وجملةً مستشاراً وشريكاً معه في السلطنة . وفي ايام جوسينيوس المذكور هاجم شمالي ايطاليا قوم من اللونغوبارد فملكوها واستغلوا بها بعد ان طردوا منها حكام السلطنة ودعوها ايطاليا اللومباردية . وكان ملك التتر الهبارة قد ارسل الى جوسينيوس سفراء لعقد معاهدة حية بين الدولتين فرفض هذا الطلب واظهر التعاضم والكبرياء ثم اتفق بعد ذلك مع ملك التريكان وتحالف معه على حرب كسرى انوشروان ملك فارس بسبب منازعتها على بلاد ارمينيا . فقامت الحرب بين جوسينيوس وانوشروان واستمر القتال بين الدولتين الى موت الملكين فانقطعت الحرب بموتها مدةً وكانت مدة حكم جوسينيوس ثلاث عشرة سنة

وقام بعدهُ بالملك طيباريوس السالف ذكرهُ . وعند جلوسه على كرسي السلطنة اقام حرباً مع هرمز بن انوشروان وارسل لقتاله قائداً من خاص قواده يدعى موريس . بتأين الف فارس فخارب العجم واتصر عليهم في عدة مواقع . فكافأ الملك هذا القائد بالمواهب الجزيلة وزوجهُ بابتو وعهد اليه بالملك . وبعد موت طيباريوس نبواً نحت السلطنة موريس المتقدم ذكرهُ وفي ايامه حدثت ثورة في بلاد الفرس الزمت هرمز بن انوشروان ان يفر من البلاد ويأتي اليه مستغيثاً به فترحب به واكرمه وامدهُ بالجيش واعادهُ الى كرسي العجم

نحت اسم ابرويز خسرو الثاني . ثم حوّل هذا الملك التفتاة الى حرب التتر الهبارة الذين كانوا قد اتوا من اسيا واتحدوا مع اللومباردين وسكنوا بانونينا التي هي بلاد البحر فارس لغتاهم قائداً من قواده واصحبه بجيش عديد فانتصر عليهم في خمس وقائع . وكان ملك التتر قد اسر من عسكر الروم في تلك الحروب اثني عشر ألف فارس فاعرض على موريس اقتداء الاسرى المذكورين وجعل على كل واحد ديناراً . واذا كان موريس موصوفاً بالجل الذي لا مزيد عليه لم يقبل بذلك ثم راجعه ملك التتر وطلب منه نصف دينار فداء كل راس فرفض سوا له وابتى ان يعطيه شيئاً فاغناظ ملك التتر من فرط بخله وذبح جميع اسرى الروم فلما اشتهر هذا الامر نفرت طباع الناس من ملكهم وانبضوه وحشد عليه جميع الجند واطهروا عليه العصيان واقاموا مكانه رجلاً من رعاي الجند يدعى فوكاس فبايعوه بالسلطنة سنة ٦٠٢

وكان موريس وقتئذ بالقسطنطينية فلما بلغه هذا الخبر فر هارباً مع عائلته الى خلكيدون فارس فوكاس في اثره مغبضوا عليه وجاءوا به اليه مقيداً مع اولاده وكانوا خمسة فامر بضرب اعناق الاولاد بحضر ابيهم . وبينما كانوا يقتلونهم كان ابوهم ينادي ويقول عادل انت يا الله وعادته في احكامك ولما انتهوا من قتلهم امر فوكاس بقتل موريس ابيهم فقتل . ومن اعمال هذا الملك الفظيعة انه عند جلوسه على تخت السلطنة اصدر امراً الى عامله بمصر يامره برفض جنس المصريين من الوظائف الميرية فحدث من جرى ذلك اضطراب وفتنة في الاسكندرية وكان اكراهل هذه الفتنة طائفة اليهود بالاسكندرية فحكم عليهم هذا الملك ان يتنصروا فتنصروا واعتمدوا رغماً عنهم

اما خسرو الثاني ملك الفرس الذي هو ابرويز بن هرمز فعند سماعه بقتل موريس الذي انتذه واعاده الى ملك ابيه اظهر الحزن والاسف واتهمز الفرصة لفتح باب الحرب مع الروم متخذاً ذلك حجةً وسبباً للانتقام من فوكاس فنهض واستخلص من ولايات الروم الشرقية عدة حصون وقلاع واتصلت

غارته الى بلاد سوريا وكان فوكاس قد سير جيشاً جراراً لقتاله فانكسر وتفرق

وكانت امة الروم قد نفرت من تصرف فوكاس واعماله القبيحة وندمت وزراء السلطنة وباقي الامراء على مبايعته وصمموه على خلعه فكتب احدى رسالة من طرف اكابرهم الى هيراكليوس والي افرقية وهو المعروف عند مؤرخي العرب باسم هرقل ان يحضر لتخليص القسطنطينية من ايدي فوكاس . فلما وقف هيراكليوس على هذه الرسالة جهز عارة عظيمة وشعبها بالمهات والعساكر وارسل ابنه طليعة امامه ثم سار بنفسه الى القسطنطينية وعند وصوله اليها قبض الشعب على فوكاس واتوا به الى هيراكليوس وضربوا عنقه وعنق اخوته ومن يلوذ به وبابعا هيراكليوس في سنة ٦١٠ للمسيح وعمره ٢٥ سنة

وقد ذكرنا ان ابرويز خسرو ملك فارس كان قد تغلب على اكثر ولايات الروم الشرقية في زمن فوكاس . فاستمر بافتتاح البلاد في ايام هيراكليوس ايضاً حتى استولى على انطاكية والقدس والاسكندرية ثم اتصلت مغازيه الى ديار مصر وبلاد المغرب وصالح مصرًا على ان تدفع له مالاً معلوماً كما كانت تدفع لقباصرة الروم . ثم انه بعد هذه الانتصارات قصد بلاد الاناضول واستولى على بروسه الواقعة على بوزاز القسطنطينية واستعان هناك بقبائل التتر المبارة وتعاهد معهم على ان يغيروا على بلاد الرومي فغاروا على تلك الجهات ونهبوا المدائن والقرى واستمروا في غزوهم حتى اقتربوا من اسوار القسطنطينية وانتشروا في تلك الاماكن . فكانت السلطنة الرومية يومئذ في ضيق شديد محاطة بعساكر الاعداء من جميع الجهات حتى لم يبق من ملكتها اذ ذاك الا مدينة القسطنطينية وبعض اقاليم على سواحل البحر . فلما اشتد الحال على هيراكليوس وأبى من النصر لقلّة عدد العساكر وعدم وجود النقود الكافية لتعيين المجبوش صم ان يسافر الى تونس وينقل سريره ملكه اليها لانها كانت من جملة ولاياته الغربية . فصدّه عن ذلك بطرك القسطنطينية وفتح خزان الكنيسة وامدّه بما يلزم من الاموال

للعين المجنود والابطال فصالح النذر المذكورين ورفع عنه اثمهم تحت مبلغ معلوم من المال ثم انه عين جيشاً عرمرماً وزحف بنفسه لقتال الفرس وعند وصوله الى كبلبيكة نصب خيامه في ايسوس حيث انتصر اسكندر على داريوس فوافقه جنود الفرس الى هناك فانتصر عليهم بعد قتال شديد ثم رجع الى القسطنطينية ظافراً مصوراً . وكانت عساكر الفرس بعد هذه الهزيمة لا تزال نشن الغارة عند وقوع الفرص على تملكات الروم الشرقية وتثير الفتن وتلقي الفساد في اطراف تلك البلاد فنهض هيراكليوس ثانية لصدوم وردعهم فعبه البحر الاسود وقطع جبال ارمينية وكان قد اتحد مع التركمان على قتال الفرس فامدوه بمجانب من المجد ثم قصد بلاد العجم وعند وصوله الى نينوى وقع بينه وبينهم قتال مهول انتصر فيه جندُه على الفرس انتصاراً عظيماً . وافق بعد ذلك بابايم قليلة ان شيرويه وثب على ابيه ابرويز خسرو ملك فارس فقتله وجلس مكانه وعند صلحا مع هيراكليوس بعد ان رد له جميع الولايات التي كان قد اقتحمها ابوه من الروم فانسحب هيراكليوس بعد ذلك عن حربه واراد راجعاً الى بلاده بالعز والنصر

ولكن لم تكن اواخر ايام هيراكليوس كواسطها فانه بعد رجوعه الى القسطنطينية اهل ادارة الاحكام وانهمك في مجادلات دينية من جهة لاهوت المسيح . وفي اثناء ذلك افتتح المسلمون في ايام خلافة ابي بكر مدينة القدس ودمشق الشام واستولت على جانب كبير من سوريا . وكانت مدة حكمه احدى وثلاثين سنة . وكان نائبة على مصر المنوقس الذي حارب عمرو بن العاص في ايام خلافة عمر بن الخطاب وافتتح منه البلاد

ومنذ موت هيراكليوس الى قيام جوستنيان الثاني سنة ٦٨٥ لم يحدث شيء يستحق الذكر سوى مهاجمة المسلمين القسطنطينية مراراً عديدة ورجوعهم عنها بالفشل والخيبة . وكان جوستنيان المذكور عنيداً قاسياً عدم الشفقة مضطرباً في جميع احواله ففتنه الشعب وقواد المجنود فخلعوه عن الكرسي وخلفه

ليوتيبوس ثم طيباريوس الى سنة ٧٠٥ . وكان طيباريوس نظير جوسنيان السالف الذكر فخلعه الشعب عن الكرسي فسار الى بلغاريا وهناك جمع عسكرياً ثم رجع كاراً الى القسطنطينية لاسترجاع تاج الملك فدخلها واغضب الكرسي قهراً وبقي ملكاً مدة ست سنوات ثم قام عليه الشعب وقتله .

وسنة ٧١٦ نبأ سرير السلطنة ليو الثالث وكان اصله من ايسوريا وفي مقاطعة صغيرة في اسيا الصغرى وهو من نسب حفيد الأنة كان حازقاً نجيباً سريع الادراك للامور البعيدة فارفق بهذه الواسطة الى رتبة سامية في العسكرية ثم نسي بعد ذلك قيصرأ واستبد بالسلطنة الى سنة ٧٤١ وفي ايامه انفتح باب الجبال بين الكنيستين الشرقية والغربية من جهة عبادة الصور ووقع بينها الاختلاف والتراع في شان هذه المسئلة حتى انتهى بها الامر الى الانقسام وفي ايامه ايضا خسرت الروم جميع تملكاتها في ايطاليا

وكان بعد موت ليو الرابع ان زوجته ابريناتبوات كرسي السلطنة بالنيابة عن ولدها قسطنطين السادس الذي كان يومئذ صغير السن فلما بلغ ابنها اشدّه نزع الملك من يدها وقبض على زمام السلطنة فحسده واضمرت له الشر طعماً بالملك ثم احوالت عليه فاعدمته بصره واستبدت باحكام السلطنة نحو خمس سنين وهي التي اعادت عبادة الصور الى الكنيسة الشرقية . وسنة ٨٠١ ارسلت كتاباً الى شارلمان ملك فرانساعرض عليه ان يتزوج بها ويضم السلطتين الى سلطنة واحدة كما كانتا سابقاً فقام عليها قهرمانها نيسيفوروس واستخلص منها كرسي السلطنة وجلس مكانها بعدما نفاها الى جزيرة ليسبوس حيث قضت هناك سنة كاملة في احتياج وضيق شديد وبقي نيسيفوروس المذكور ملكاً الى ان قتله كرومنوس ملك البغار سنة ٨١١ . وفي ايامه غزا المسلمون اسيا الصغرى وقهروا الروم في املاكهم الشرقية وضربوا عليهم الاموال . ثم خلف نيسيفوروس ميخائيل الاول سنة ٨١١ وكان قد حارب كرومنوس ملك البغار لباخذشار سالفه نيسيفوروس فانكسر وانهمزت جيوشه والنزم ان يهرب وبلغى الى بعض

الاديرة . ثم خلفه ليوا الخامس سنة ٨١٢ وهو ارمني الاصل وكان بطلاً هاماً ذا صولة وهيبة وعند جلوسه على كرسي السلطنة جهز العساكر والجنود وسار بنفسه لحرب البلغار بين فانتصر عليهم وقهرهم وقتل منهم عدداً كثيراً . ثم خلفه ميخائيل الثاني سنة ٨٢٠ . ثم ثيوفيلوس قليل الحظ سنة ٨٢٩ . ثم ميخائيل الثالث سنة ٨٤٢ وهو اخر ملك تولى من ذرية هيراكليوس وكان طفلاً صغيراً فكانت امه ثيودورا تحكم عنه بالنيابة وكان لها اخ يدعى برداس كان قد اقيم وصياً على الولد في حياة ابيه فاحضه الطمع في تاج الملك ووجه افكاره الى الحصول عليه فطفق يستعمل الوسائط اللازمة لنوال المرغوب واذ نجح في مقاصده طرد ثيودورا من القصر الملكي غير مبالٍ بالمعروف الذي كان قد ناله من يدها وتصرف بالملك مدة ٢٤ سنة . وكان برداس المذكور محباً للعلوم والفنون وهو الذي اقام فوتيوس الشهير بطبركا على القسطنطينية سنة ٨٥٨ . ولكن لما بلغ ميخائيل سن الكمال نفر من برداس لاختلاس الملك فعمل على قتله بواسطة تابعه باسيل واستبد بالاحكام الى سنة ٨٦٧ وكانت الحروب يومئذ متصلة بين المسلمين في خلافة المتوكل بالله واخيراً مات قتلاً من يد باسيل

ثم قام بعد ميخائيل الثالث باسيل المعروف بالملكوفى سنة ٨٧٦ وهو اول سلاطين الدولة المكدونية وكان اصل هذا الامبراطور من عائلة فقيرة وسائساً عند سالفه ميخائيل الثالث ماهراً جداً في تربية الخيل . فاحبه ميخائيل ومال اليه لقتله برداس واشركه معه بالاحكام واذ كان هذا الامبراطور موصوفاً بالفراسة والذكاء ومحباً لانتشار المعارف لم يحتمل اطوار ميخائيل الفظة وقساوته الشنيعة فعمل على قتله واستبد بالاحكام الى سنة ٨٨٦ واعاد للسلطنة جانباً من عزها وشرفها الاولين باستخلاص كريت والصفليتين ثم باصلاح نظامات وشرائع البلاد وتخصيمها وتقويتها بحيث صارت نستطيع ان تنجح حروباً وتقاوم مهاجمات العرب وقبائل اوربا . ولهذا الامبراطور تاليف يعرف بفن الاحكام كتبه لابنه ليوطبع في باريز سنة ١٥٨٤ وترجم للغة الفرنسية سنة ١٥٩٠ وله ايضا مجموع

للشراخ في ٦٠ مجلدًا تعرف بالباسيلية ابتدا فيها باسيل وأكلها ابنه وهي مطبوعة
 ايضاً في باريز حديثاً. واستمرت الاحكام في ايدي سلاطين العائلة المكدونية الى
 سنة ١٠٥٦ للميلاد ومن اشهر سلاطينها واعظهم نيسفوروس فوكاس ويوحنا
 زميسيس فكانت البلاد في ايامها نامية وزاهية وكان يوحنا زميسيس
 قد حارب المسكوب عند غارتهم على القسطنطينية فاتصر عليهم وقهرهم. ثم
 زحف الى سوريا فاستخلص اولاً جزيرة قبرس ثم مدينة انطاكية من ايدي
 المسلمين وبعد ان ارجف بغاراته قلوب اهل تلك البلاد زحف بالعساكر
 وقطع نهر الفرات وافتتح مدائن وحصوناً كثيرة في تلك الجهات. ولكن بعد
 موت هذا السلطان الشهير تنبؤاً سرير الملك عدة ملوك خاملي الذكر ضربنا عنهم
 صفحا وكان اخرهم ميخائيل السادس فكانت المملكة في ايامه في حالة السقوط
 والضعف

ولما رأى الروم ضعف ملوكهم وسقوط دولتهم بايعوا اسحق كومنينوس
 بالسلطنة سنة ١٠٥٦ وكان المذكور من عائلة معتبرة من عيال الرومانيين
 فاستبد بالاحكام نحو سنتين ثم تنازل بسبب مرض اعتراه. ومن خلفائه
 أليكسيوس كومنينوس جلس سنة ١٠٨١ وكانت البلاد في ايامه في اضطراب
 وخطر عظيم من مهاجمات الاتراك واستخلاصهم الولايات الشرقية ومن تهددات
 النورمنديين ونقدتهم على القسطنطينية تحت رئاسة روبرت غيسكار بعدما كانوا
 استولوا على جميع تملكات الروم في ايطاليا. فتمض اليكسيوس بالجيوش
 للمدافعة والمحاماة عن بلاده من سطوة الاعداء فالتقى بالنورمنديين الذين
 كانوا يومئذ محاصرين مدينة دورانسنو فقاتلهم وانهمزم من امامهم بعد وقائع
 هائلة. ثم تجددت تلك الحروب ثانية بين الفريقين مجراً تجاه جزيرة كورفو
 فكانت الدائرة على اليكسيوس. واتفق في ذلك الوقت موت روبرت
 غيسكار فانسحب النورمانديون عن الحرب بموت ملكهم ولزعدوا راجعين الى
 بلادهم وكان ذلك سبباً لجهالة السلطنة الرومية وخلاصها من ايدي الغتصين.

وكان لاليكسيوس الذي نحن في صدده ابنة يقال لها حنة كومينا ذات عقل
وادب وذكاء مفرط وكانت من احسن نعله عصرها وانجبت واعظم من اشتهر
من جنس النساء في فن التاريخ. واشهر الكسيوس هذا في صحف التاريخ
نجياتو للصليبيين ومقاومتهم لم سراً فكان بدعوم في اول الامر من اوربا
ويعدم بالمساعدة على اعدائهم ليضعف بواسطتهم قوة الاتراك السلجوقيين
الذين كانوا يهددونهم بالحروب والغارات ثم عند انتصارهم بعل على ضرهم.
وكان جل قصده بهذه التدابير السياسية تجميع مالك اوربا ونشغل افكار شعوبها
بتجهيز الرجال وجمع الاموال للحاربة سوريا وفلسطين ليوفي سلطنته من مغازي
طوائف الافرنج التي كانت طالما نشأت الى فتح تلك البلاد طمعاً باكتساب
غناها. وقد جاءه الامر طبق مراده فانه بسبب حروب الاتراك مع الصليبيين
انتهر الفرصة فاستخلص عدة مدائن وجزار كان المسلمون قد استنفوها منه
وجعل البلاد ان تكون في امن وسلام ليس فقط في ايامه بل ومن بعده ايضاً
زمناً طويلاً

ومن ملوك هذه الدولة اسحق انجيليوس حكم من سنة ١١٨٥ الى سنة ١١٩٥
وفي ايامه استقلت بلاد البلغار بعد حروب مهولة وأخذت جزيرة قبرص
وبيعت كريت الى قنيس ثم اظهر العصاب عليه اخوه اليكسيوس انجيليوس
فانزله عن الكرسي وبجته بعدما قلع عينيه وجلس مكانه. فحرب ابن اسحق
المذكور وكان اسمه اليكسيوس ايضاً الى مدينة رومية واستغاث بالبابا ابنوسنت
الثالث في اعادة ملك ايو اليه. وكان وقتئذ مجتمعاً في مدينة قنيس جمهور
غفير من عظماء اوربا وارشافها بقصد ارسال تجريدة صليبية رابعة الى فلسطين
فارسل البابا اليهم اليكسيوس واصحبه بتوصية قوية الخ عليهم فيها ان يتنذرو
من تعدي عمو وظلمو. فاجابوه الى ذلك وارسلوا مائة جماعة من الحجاج القاصدين
زيارة الاراضي المقدسة مع عشرين القنا من القنيسين الى التسطنطينية وعند
وصولهم الى المدينة حاصروها بعد ان احرقوا عمارة الروم المحافظة عليها. ولما

اشتد الحال على اليكسيوس انجيلوس هرب سراً خوفاً من القتل فعند ذلك حلت الالهالي ملكها الاول اسحق من الاعتقال ونادت باسم ابنه اليكسيوس وفتمت ابواب المدينة الى اللاتينيين فدخلوها على سبيل الضيافة . وكان لما وعد البابا اليكسيوس بالمساعدة على هذه الكنيهة اخذ منه وعداً بأنه عند نهاية الامر ونوال المرغوب يجعل السلطنة الشرقية ان تكون خاضعة لاحكام الباباوات وقوانينهم وأنه يكون مساعداً في جميع الحروب الصليبية وان يعطي متقديه تضييماً كافياً مقابلةً لانتقامهم . فاستعظم الروم هذه الشروط ورفضوها ولا سيما انهم نفروا من خدش استقلالية كنسنتهم . فاجتمع جمهور اعيانهم وطلبوا من المجلس العالي ان يعزل لم اليكسيوس بن اسحق المذكور ويختب لم امبراطوراً اخر يكون اكثر لياقةً لذلك المنصب السامي . فلبى المجلس مرغوبهم واجابهم الى مطلوبهم واقام لم اليكسيوس دو كاس الملقب مازوفلوس ملكاً وعند جلوسه على سرير السلطنة قبض على اليكسيوس بن اسحق وقتله واما ابنه فأت بعد ذلك في شيوخة محزنة

واذ لم يفر مازوفلوس بوعده سالفه اليكسيوس الذي تعهد به للبابا نهض اللاتينيون وحاصروا المدينة وتملكوها ونهبوها وهدموا قصورها وابنيها المستظرفة واقاموا عليها قائدهم بودوين امبراطوراً وبني ملكاً الى ان مات قتيلاً في وقعة حدثت بينه وبين الهالي نراكيا . واستمر حكم اللاتين على السلطنة الشرقية من سنة ١٢٠٦ الى ١٢٦١ وكانت حروب الروم في اثناء هذه المدة متصلة دائمة مع اللاتين طعماً باستخلاص العاصمة من ايديهم . وفي غضون ذلك اسست امة الروم ملكتين روميتين احدهما في نيقية سنة ١٢٢٢ وملكها ثيودور لاسكاريس والثانية في طرابزون وملكها اليكسيوس كومنيوس فكاتا في نوعظيم يوماً بعد يوم بينما كانت سلطة اللاتينيين في القسطنطينية في هبوط وسقوط . وفي سنة ١٢٦٠ اذ كان ميخائيل باليولوغوس ملكاً على نيقية نهض مع صاحبه يوحنا لاسكاريس وهاجما القسطنطينية في زمن سلطانها بودوين الثاني فاستخلصها من ايدي

اللاتين واعادوا اليها تخت السلطنة كما كانت في سالف الازمنة وجلس على سريره ميخائيل باليولوغوس السالف الذكر وكان يوحنا لاسكاريس الذي اعانه واشترك معه على استخلاصها وتحريرها منتظرًا الخلافة بعده . فعامله باليولوغوس بفساوة وحشية اذ قلع عينيه ونفاه من اقطار السلطنة . فخرمه البطريرك ارسانيوس على هذا الفعل القبيح واستمر باليولوغوس ملكًا الى ان توفي سنة ١٢٨٠ فقام مكانه ابنه اندرونيكوس وسبغ ايامه اغار على السلطنة طوائف من الاسبانيولين فلم يتمكنوا منها وكانت البلاد يومئذ في فاق واضطراب بسبب ثورات داخلية

وسنة ١٢٥٥ نبأ سرير السلطنة يوحنا باليولوغوس وكانت مدة حكمه نحو ٢٦ سنة وكان ملكًا ظالمًا قاسي القلب قبيح السيرة ومن جملة قبائحہ انه قلع اعين ابنه الاكبر اندرونيكوس وحيد يوحنا وبجتها وسمي مانويل ابنه الثاني وريثًا له . فهاج الشعب من هذا الصنيع الشنيع واجتمع اعيانهم فاخرجوا الاعيين من السجن واعادوها رغاء الى كرسي الملكة . فالتزم باليولوغوس ان يهرب مع ابنه مانويل ويسبب ذلك وقع مخزبات وانقسامات بين الاهالي الجائهم الى ان يشهروا السلاح بعضهم على البعض واخيرًا انتقلوا على ان يقتسموا السلطنة الى قسمين فحصلوا مدينة القسطنطينية لباليولوغوس وابنه مانويل وضموا باقي البلاد الى حدود القسطنطينية للاميرين الضريين

وفي سنة ١٢٩٥ اغار على القسطنطينية السلطان بايزيد من آل عثمان ويهدد ملكها بالحروب فعقد معه صلحًا تحت مال معلوم يدفعه له فانسحب عنه ثم هاجمها ثانية سنة ١٢٩٩ تحت حجة الاخذ بشار يوحنا الاعى فحاصرها وضيق عليها فالتزم مانويل ان يهرب الى فرانس يطلب الامداد والنجدة فلم يجده احد . واتفق في اثناء ذلك ظهور نيمورلنك واغارته على الولايات العثمانية فاضطر السلطان بايزيد ان يرحل عن القسطنطينية خوفًا من سطوة نيمور على بلاده

فكر راجحاً وجاربه بفرب مدينة انقرة فانهزمت جيوشه وقتل هو في تلك الموقعة.
 وقام مكانه محمد الاول فاستولى على بلاد البشناق والغلاخ ثم جلس بعده السلطان
 مراد صاحب الوقائع المشهورة مع الدول الافرنجية ولاسيما في موقعة فارنا.
 ثم ضعه عليه على سرير الملك السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح وكان من
 الشجعان الموصوفين ولم يكن دابة الا الغزو والجهاد واقتناح البلاد وكان قد
 صم النية على استخلاص القسطنطينية والاستيلاء على السلطنة الشرقية فجهز العساكر
 والجنود وعقد الرايات والبنود وزحف اليها بثلاث مئة الف مقاتل في زمن
 ملكها قسطنطين الذي هو اخر سلاطينها فحاصرها براً وبحراً الى ان افتتحها قوة
 وضراً في اليوم التاسع والعشرين من شهر ايار سنة ١٤٥٣ وصارت من ذلك
 اليوم كرسي سلطنة دولة آل عثمان . وقد مر استيفاء الكلام على حصارها
 وافتتاحها في تاريخ الدولة العثمانية ومن ذلك الوقت انقضت السلطنة الشرقية
 وهكنا بالتدرج فقدت جميع تملكاتها وولاياتها فان اثينا سقطت سنة ١٤٥٦
 ثم مولدافيا وبلاد السرب ثم المورة وطرابزون والبلانيا ثم بلاد القرم
 وغيرها من الملائن الاوروبية التي قد مر ذكرها في
 الكلام عن تاريخ آل عثمان فسبحان
 من يغير ولا
 يتغير

الفصل السادس

في مملكة اسبانيا

الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد

ان مملكة اسبانيا هي شبه جزيرة وتحسب من الممالك الشهيرة نظراً لوضعها وقدميتها ومحاصيلها . اما هواؤها فليد لا يتسلط فيها البرد الشديد كباقي البلاد الشمالية . وفيها كثير من الجبال المنخفضة المرتفعة واودية مستظرفة مبهجة الى الغاية . اما حدودها فللشمال الشرقي فرانسا يفصلها سلسلة جبال الپيرانيذ اي جبال البرن وللشمال الغربي الاوقيانوس الاثلاثيكي وخليج يسكي وغرباً البورتوغال وجنوباً البحر المتوسط وبوغاز جبل طارق الفاصل بينها وبين افريقية وشرقاً البحر المتوسط ايضاً . ومن جملة ما يثبت في هذه البلاد القمح وغيره من الحبوب والنباتات والبقول وانواع من الاثمار والفواكه كالرمان والتين والليمون واللوز خصوصاً العنب الذي يستخرجون منه الخمر الجيدة . ويوجد فيها من احسن اجناس الخيل ولا سيما الفهم الممعة مروية وهي ذات اصواف عظيمة رفيعة يصنعون منها الشالات النفيسة والاقشة الثمينة . وبها ايضاً عمل الفحل والحبر والقرمز وغير ذلك

اما سكانها فيبلغ عددهم سبعة عشر مليوناً عدا سكان املاكها الخارجية . واكثر اهلها في حالة الغباوة ويمتازون بصلابة الراي . والفقر بينهم كثير من

جرى حروبهم الداخلية التي تكاد تكون متواصلة ولكن مع ذلك توجد فيهم
الاناسة واللفظ وهم يحبون الملاهي والمسرات

وعاصمة هذه المملكة مدينة مادريد وهي من المدن الظرفية تحتوي على
٢٧٥ ألفاً من السكان يحيطها سور كبير وازقتها عريضة ونظيفة وفيها من الابنية
والمعامل والمدارس والمكاتب ما يكفي لان يجعلها بين صفوف مدائن الرتبة
الاولى وكانت في زمن تلك الرومانيين قرية صغيرة ولما افتتحها المغاربة سنة
١١٠٩ اقاموا فيها الحصون والابراج واطلقوا عليها اسم مادريد . وسنة ١٤٠٠
اعتنى بتحصينها وتكبيرها الملك هنري الثالث ولكنها لم تصر عاصمة المملكة الا سنة
١٥٦٢ في ايام فيليب الثاني

ولهذه المملكة تملكات خارجية يبلغ عدد اهلها نحو ستة ملايين ونصف منها
جزيرة كوبا الشهيرة وجزيرة بورتوريكو في اميركا وهي التي اكتشفها كريستوفوس
كولمبوس سنة ١٤٩٢ ومن ذلك الوقت صارت من تملكات الاسبانيوليين
ولكنها دخلت في ايدي الانكليز مدة قصيرة ثم ارجعتها لاصحابها والمرحج بانها
لا تبقى تابعة اسبانيا زمناً طويلاً وسيصيرها ما اصاب باقي تملكاتهما في اميركا .
ومنها ارخبيل الفيليبين بين جزائر الاوقيانوس

وفي هذه المملكة قصور وكنايس وابنية فاخرة من اعجب ما يوجد في العالم
اقامها العرب في زمن تملكهم تلك البلاد . اما الديانة الغالبة فهي اللاتينية

الباب الثاني

في تاريخ اسبانيا منذ منشأها الى ظهور فردينند وازبالا في

الجيل الخامس عشر للميلاد

ان اول من دخل اسبانيا الفينيقيون بقصد التجارة لكثرة معادنها وغلاتها
فكانوا يبيعون لاهلها محصولات بلادهم ويجلبون منهم الذهب والفضة . وكثرت

ترددهم اليها بنوا عند مضيق جبل طارق عمودين كبيرين وهما المعروفان
بعمودي هر كول فكانا علامة حدٍ لاسفارهم اذ لم ينجروا وقتئذ على الدخول الى
المحيط التاسع . ثم بعد الفينيقيين دخل اليونان الى اسبانيا وبنوا فيها عدة مدائن .
ثم دخل بعدهم الفراطاجيون وتملكوها ولكنهم لم يلبثوا زماناً طويلاً حتى استخلصها
الرومانيون من ايدهم سنة ١٢٤ ق م وبقيت في حكمهم الى سنة ٤٠٦ لليلاد
حين اتى قومٌ من برابرة شمالي اوروبا يدعون سوافيين وهم قبائل مختلفة من
شعوب جرمانيا كالسكيثيين والفنديلين الذين باسمهم سميت البلاد انديلوسيا
اي الاندلس واستولوا عليها . فسكن بعض هذه القبائل فيها مدة قصيرة ثم رحلوا
عنها وبعضهم اقاموا فيها اكثر من مئة سنة . وفي اثناء ذلك اتى قومٌ من نواحي
الدنيارك واسوج ونروج سنة ٤٧١ لليلاد يدعون بالفوثيف فدخلوا الى
اسبانيا وتغلبوا عليها واستولوا على قسمٍ من فرانسا ايضاً . وكان اليونانيون
ينرددون كثيراً على اسبانيا حتى صار لهم حيلة مراكز على الشواطئ البحرية في زمن
الملك جوستينيانوس فنهض الفوثيون لمقاومتهم سنة ٦٢١ وابعدهم عن تلك
الجهات واستقلوا في البلاد بدون معارض ولا منازع وكانت مدة اقامتهم فيها
نحو ٢٠٠ سنة . وكان آخر ملوكهم رودريك الذي في ايامها هاجمت المسلمون
البلاد واستلوكوها كما تقدم القول في اخبار العرب ما عدا اراضي استوريا التي
على الشاطئ الشمالي . واذ كان لكل امرٍ سبب لا باس من ذكر الاسباب التي
هيأت الطريق لدخول المسلمين الى اسبانيا فنقول ان رئيس قبيلة الفوث
المسي اورك كان قد نظم لاسبانيا قوانين جديدة وتنظيمات مفيدة ارتقى بسببها
الى درجة سامية عند الاهالي فاقاموه عليها ملكاً . ثم تنصر الفوثيون في ايام
الملك ريكراد الاول واخضعوا بالامة اللاتينية والامة الاسبانيولية الاصلية فصاروا
جميعاً امة واحدة اسبانيولية . وكان الفوثيون يقيمون ملوكهم بالانتخاب فكان
ذلك مصدراً للنزاع والغريبات والحروب الاهلية . فاتفق في اواخر الجبل
السابع ان ملكاً من هؤلاء القوم يقال له فينيثرا وقع بينه وبين دوك كردوفا

نزاع فاستطال على الدوك المذكور وقلع عينه فنهض ابن الدوك للانتقام من الملك واخذ بشار ابيه وكان اسمه رودريك والعرب يسمونه لزريق وقاتل الملك فنيتهرا وانتصر عليه واغتصب منه تاج المملكة سنة ٧١٠ للميلاد . حينئذ ذهب اولاد الملك المخلوع مع باقي اقاربهم الى بلاد المغرب والتجأوا الى موسى بن نصير العامل من طرف الوليد بن عبد الملك وطلبوا منه ان يقيم حرباً على الاندلس ويتقم من ملكها رودريك فكتب موسى الى الوليد يستأذنه بذلك فاذن له . فارسل موسى جيشاً جراراً تحت قيادة طارق بن زياد فافتتح البلاد شيئاً بعد شيء . وكان الاسبانوليون يفرون من امامهم منهزمين حتى انحصروا اخيراً في اراضي استوريا الوعرة الكثيرة على الشاطئ الشمالي واستوطنوا بها لكونها صعبة المرفق لا يمكن الوصول اليها وكانت قلوبهم مع ذلك مملوءة خوفاً ورعباً من سطوة اعدائهم المسلمين . هذه العيشة المتعبة مع ما تبعها من الاحنajas والصعوبات صلّدت قلوبهم وجعلتهم قوماً ذوي اقدام وبطش لا يبالون بالاهوال والمصائب ولا يرهبون حادثات الدهر

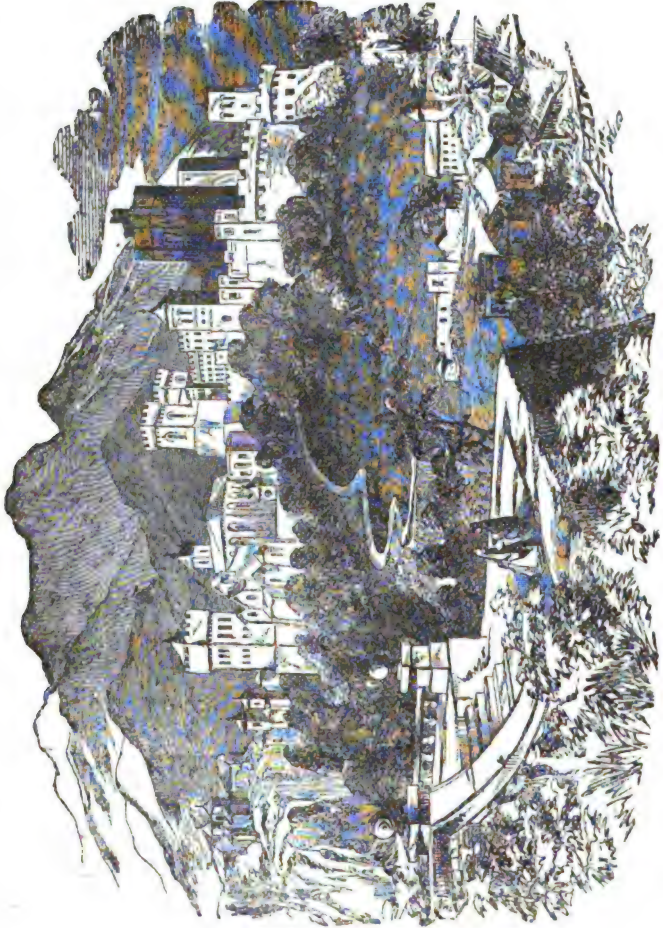
اما المسلمون تحت حكم الخلفاء الامويين فكانوا متمتعين بالراحة والسكينة لا فلاقيل بينهم ترجمهم فنشأت بينهم العلوم والمعارف وازهرت وانت باثمار لم ياتوها غيرهم من اقوام تلك الاعصار فانهم اتقنوا فن الزراعة وعلم البحر والتجارة وغير ذلك مما كان سكان باقي اوربا غائضين في لجة بحر الجهالة والغباء لا يعرفون شيئاً من الفنون والعلوم . وقد ترجم افرس بن رشد الكردوثي كتاب ارسطاطاليس ففترى الكتاب في مدارس كردوثا وفي افرقية بين المراكبيين وانصبوا على درسه وعدوه قسماً من العلوم الرياضية لما فيه من الحكيم والبراعة . وزها في مدارس المسلمين ايضاً علم الجبر والحساب وانصبّت الطلبة على العلم من كل نادر وتنافست به . اما الافرنج فلم يكن منهم من يعرف ما في الحروف الهجائية حتى ولا اشرافهم ايضاً . ولما رأى المسلمون حالم في عز وامن انهم كانوا في التعم واللذات وانعموا على ممارسة الفنون فاكسهم ذلك الرخاوة ونحافة الجسم

واضعف جانباً من قواهم العسكرية وحينهم الحرية ثم انتشبت بينهم خصومات وقلاقل فعند ذلك اغتم الاستوريون الفرصة وانهبوا من شمالي البلاد خلقاً كثيراً واندفعوا على املاك المسلمين وامتلكوها مدينة بعد مدينة ومقاطعة بعد اخرى الى ان استولوا على القسم الاكبر منها. وسنة ١٢٨٢ هاجم المسلمين قوم الكاسنيليين بجيش جرار تحت قيادة الفونسو السادس وفريدريكو دي ينفار الملعب بسيد كامبيادور وكان بطلاً شجاعاً فوصلوا الى مدينة طوليدو اي طليطلة التي على نهر تاغوس وامتلكوها بعد حصار ثلاث سنوات. فلما رأى المسلمون ما حل بهم استنجدوا اخوتهم المراكشيين فبادروا لمساعدتهم وقاموا الاسبانيولين اشد مقاومة فكسروهم كسرة هائلة في الزلقة. وكان قائداً على قوم المراكشيين رجل اسمه يوسف واذ رأى ان النصره جاءت على يده اخذ الطمع في الجلوس على تخت الخلافة الاندلسية فخرج في مساعيه وارتقى الى تلك الرتبة الرفيعة فكان راس دولة المراودين

ومن ذاك الوقت لم تنقطع الحروب بين الاسبانيولين والمغاربه وكان النصر متردداً بين الفريقين الى ان اتصر الاسبانيوليون اخيراً سنة ١٤٥٠ على اعلائهم فاقاموهم من البلاد التي انتشروا فيها وحصروهم في مملكة غرناطة التي كان المسلمون قد اسموها منذ سنة ١٢٨٢. وكانت هذه المملكة كثيرة المدن والسكان واهلها من ذوي الفنى والمقدرة. وعاصمتها تدعى غرناطة ايضاً وكانت مزينة بالابنية الجميلة المزخرفة التي تذهل الناظرين. ومن محاسن ابنتها الحمراء وهو قصر فاق زهاء وبهجة على جميع قصور العالم ولم تزل آثاره الى الآن

ومع ان الاسبانيولين استولوا على اقسام كبرى في البلاد كانت املاكهم غير منضمة بعضها الى بعض بل منقسمة الى عدة ممالك صغيرة مستقلة وكانت الحروب بينهم متواصلة والخصومات دائمة غير عالمين ان هذا الانشقاق يكون وبالاً وبهلكة لم ولكنه وقع اخيراً الامتزاج والالفة بين تلك الممالك واتحد اهلهما

بعضهم مع بعض وكان اشهرهم واعظمهم ملكة كاستيل المشتملة على استوريا
فضمها الملك فردينند سنة ١٢٣٠ مع ولاية ليون وصيرها ملكة واحدة ثم اغتصب



الحصن في اسبانيا

من المراكبيين مدينتي كردوفا واشبيلية. وكذلك خمس الاول الاراغوني احد
ملوك ذلك العصر تغلب على بعض الجزائر وعلى ملكتي فالنسيا وموريكا. كما ان
الفونسو الحادي عشر من كاستيل استظهر على الجزائر سنة ١٢٠٩ فبذلك

صارت المملكة الاسبانيولية ذات شوكة وعظمة

وبعد موت الفونسو هنا خلفه ابنه بطرس الاول وكان ملكاً ظالماً بهذا المقدار حتى انه قام على امرائه الملكة بلانش البوربونيه وقتلها ثم جار على اخيه هنري بالظلم والعدوان حتى الزمه ان يعاديه ويقصد ضرره . فذهب هنري الى كارلوس الخامس ملك فرانسوا واستجار به فاجاره لانه كان يريد ان يتنقم من بطرس لقتله بلانش وانجده بجيش من العساكر الفرنسيه فحاربوا بطرس وخلعوه عن سرير ملكه . ففر هارباً واستجار بادورد الملقب بالامير الاسود وكان يومئذ متولياً اماره الانكليز في اكين من اعمال فرانسوا . فاجاره مراعاة لقوانين الشرف واراد ان يختصم له من اعدائه فخرج في قوم من جنده الى اسبانيا وبطس بالفرنساويين والكانسليين وكسرم كسرة مهولة واخذ قائدهم اسيراً وارجع بطرس الاول الى سرير ملكه . ولكنه مجال رجوعه رجع بطرس الى ما كان عليه من السيئات والمظالم فاهله الامير الاسود ولم يشأ ان يساعده بعد . وكان شارل الخامس قد افتدى قائد جيشه الذي اسره الامير الاسود فارجمه اذ ذاك للجدة هنري فحارب كلاهما بطرس الاول واستظهر عليه في وقعة عظيمة وبعد ان قبضا عليه وقتلاه صعد هنري على تخت الملكة سنة ١٢٦٩ تحت اسم هنري الثاني وظهر من نسله عدة ملوك حكموا ملكي كاستيل واراغون الى واسط المجمل الخامس عشر

وكانت اسبانيا وقتئذ منقسمة الى قسمين كبيرين الاول ملكة المغاربة في غرناطة والثاني الممالك الاربع المسيحية التي كانت لكلٍ منهم ملكٌ مستقل . فالمملكة الاولى كاستيل وتمتد من بحر يسكي الى البحر المتوسط . الثانية ملكة اراغون وتضمن على نفس اراغون وباقي الولايات التي بينها وبين البحر المتوسط . الثالثة ملكة البورتوغال اوبوزتانيا القديمة وكانت قبل ذلك العصر بيد المسلمين زماناً الى ان اتاها الفونسو واستظهر على اهلها في واقعة كبيرة واخذ مدينة ليسبون واستولى على اربع ولايات منها فصارت ملكة اسبانيولية سنة ١١٢٩ .

والملكة الرابعة كانت مقاطعة يربنيب النافارية

الباب الثالث

في اخبار الملك فردينند والملكة ايزابله والتفتيش الديني الذي
حصل في ايامها وخروج المسلمين من اسبانيا وحوادث
اخرى الى سنة ١٨٧٤

ولما استوى حال اسبانيا واعصبت ممالكها بعضها مع بعض حصلت البلاد
في غنى ونجاح لاسيا بواسطة نظاماتها المستحسنة التي اوجدت فيها الراحة
والسلم فكانت في تقدم بينما كانت شوكة المسلمين في انحطاط . وما زاد اسبانيا
سطوة انضمام اقسامها الى مملكتين قويتين وهما مملكة كستيلة ومملكة اراغون
اللتان انحصرتا فيما بعد في عائلة واحدة بتزوج فردينند ملك اراغون بايزابله
ملكة كستيلة سنة ١٤٦٩ . فلما اقترن هذان الشخصان اتفقا على ضم الممالك
الاسبانية الى واحدة وطردها المغاربة من غرناطة وغير ذلك من الامور ما سباني
ذكره

وكانت ايزابله هذه على جانب عظيم من المخافة في الآداب والمعارف
رفيقة الطبع انيسة لطيفة مستقيمة الراي ذات اقدام في الامور وكان لها من العمر
بومئذ ثمان عشرة سنة وهي ذات جمال باهر بذهل الناظر وقد طلبها كثيرون
من ذوي الغنى والرفعة فآبت الى ان خطبها فردينند ملك اراغون وتزوجها
وبذلك صارت مملكتا اراغون وكستيل مملكة واحدة من اقوى ممالك الدنيا
واعظمتها . الا ان ايزابله كانت متولية زمام مملكتها كاستيل لانها كانت قد
اشترطت على زوجها فردينند بان يني حكم الملكة المذكورة بيدها . فافترغت
هذه الملكة الجلييلة كل جزدها في ترقية اسباب نجاح مملكتها ولاجل تنكيس

سطوة الاشراف وكبريائهم قوت واحيت جمعية الاخوة المقدسة المعروفة بساتنا
 هرندا التي تشكلت منذ القرن الثالث عشر لاجل الغاية المذكورة وسلمت
 اعضاها زمام ضبط البلاد . فكانوا يحكمون ويعدلون بين الشعب ويقاصون
 المذنبين ويعاقبون سالي الراحة العمومية بدون نظر الى رتبهم ومقاماتهم .
 فتقوى العدل في اقرب وقت واطمان الاهالي وعادت تلك الجمعية بالضرر
 على الاشراف : فشكوا منها للملك والملكة وطلبوا محوها فلم تستجب انعامهم بل
 بالعكس لما راي فردرند المنافع الصادرة عن الجمعية المذكورة سعى في تقويتها
 وبذل جهده في حمايتها وامل نوال المرغوب بواسطتها في اضعاف احكام
 البارونات وحقوقهم الانترامية . وكانت الملكة ايزابله تعلق بنفسها متن جوادها
 ونجول من مكان الى اخر تنفذ احوال الرعايا وتنصف بينهم حسب مقتضى
 الشريعة ولم تأخذ بالوجه او نبال بذي رفعة او نعمة بل تجري القانون على
 اي تعناه وبذلك رنع الاهالي بالامن والهدو وشيد حكمها وتقوى . غير ان تلك
 الطهارة والاستقامة التي انصفت بها ذامها الجليلة قد افسدها بعض المنسدين
 فلاوا قلبها وسواسا وخرافة وجعلوها نعد وعدا صادقا بانها تستاصل كل هرطقة
 في ملكها . وقد ذكرنا في الكلام عن باباوات رومية ما اجراه انيوسنت الثالث
 من الاصطهاد على الولدنيين والاليجنسيين وكيف نظم مجلسا لفحص الهرطقة
 وابادتهم . فاذا كانت ايزابله مرتبطة بالعهد السالف ذكره تمكن اصحاب الغايات
 من اقناعها على غير رضى قلبي منها ان تصادق على وجوب اجراء التفتيش
 الديني في اسبانيا كما كان جاريا في فرانسفا صا دقت عليه وأقيم التجسس في
 الملكة وبلغ حاله الى اعلى درجة من الفحش مما لم يصل اليه في اماكن اخرى .
 ولول مدينة اقيم فيها التجسس المذكور مدينة اشيلية في ١٧ ايلول سنة ١٤٨٠
 وسماه احد الناس بالخدمة المقدسة فارسل لها البابا سكستوس السادس غفرانا
 مجانيا على حسن تصرفات اهلها وكان ذلك بطلب بعض الرهبان الدومينيكيين
 وموافقة الملك ايضا

وكان اليهود خلفاً كبيراً في اسبانيا ذوي املاك وثروة وكان غنمهم ظاهرة
لعموم الناس فهاج عند ذلك حسد الحساد من الاشراف وطع الملك فيهم
ومالوا باجمعهم عليهم وصمموا على خرابهم واهلاكهم فاقاموا عليهم حججاً وشهوداً
بانهم في اعيادهم الاحتمالية يذبحون اولاداً مسيحيين وقد حلفت خمسة وعشرون
من الاشراف بانهم راوا اليهود في عيد الفصح يصلبون ولداً مسيحياً . فصدق
الشعب كل ما قيل على اليهود واضطهدوهم حتى الموت في جميع اطراف اوروبا .
وكان الاسرائيليون في معظم زهائمهم في اسبانيا على جانب عظيم من الذكاء
والاداب والمعارف يشاركون المسلمين في الانعكاف عليها . وبعد انقلاب المغاربة
في اسبانيا بقي اليهود مع الاسبانوليين وهم يتقدمون رويداً رويداً الى ان صاروا
اغنى قوم في المملكة وكان الاشراف يستدينون منهم الاموال ولذلك لم يجدوا
طريقاً لوفاء ديونهم الا بتدمير اليهود وابادتهم وتحويل كل املاكهم لمنفعة
الكنيسة والشعب

وفي اثناء ذلك اصدر التجسسون امراً يقولون فيه انه من المتعصي القبض
والشكاية على تابي الهرطقة وعلى الذين يُظنُّ بهم الهرطقة . فتواردت الشكايات
من كل فجٍّ عميق . وكان اوجيد احد رؤساء التجسسين وقومه الثقلة قد جعلوا
اقامتهم في قلعة سبانا خارج المدينة لكي يتمكنوا من اجراء افعالهم الردية من
قتل الانفس والانتقام من عباد الله الابرياء فكانوا كلما راوا احداً من اليهود
يوم السبت لابساً ثياباً احسن حالاً من ثياب باقي ايام الاسبوع ياخذون ذلك
الرجل ويلصقونه ويتفقون منه ظلماً وعدواناً . وفي برهة الاربعة الايام الاول من
اقامتهم في القلعة احرقوا بالنار ستة رجال ولغاية شهر تشرين الثاني بلغ عدد
المحروقين ثلث مئة رجل . ولم يكف هولاء القوم بالانتقام من الاحياء فقط
بل نبشوا الاموات من قبورهم واحرقوا رمهم على رؤوس الشهداء ولم يهابوا
الا اله ولا الانسان وكان اضطهادهم في الغالب منجهاً نحو الاغنياء سواء كانوا
احياء ام امواتاً فكانوا يضبطون املاكهم ومنروكانهم

وفي غضون ذلك ضرب الله مدينة اشيلية بوباء اهلك من اهلها ١٥٠٠٠
نفس فلم يعتبر التجمعسون ذلك بل انتقلوا الى مكان اخر واستمروا على ما كانوا
عليه من الاذية حتى انهم في مدة سنة واحدة اهلكوا التي نفس حرقاً . واذ كان
هذا المشروع بعد من المشروعات المقدسة اقام المحبر الروماني الخوري نوركبادا
معلم ذمة الملكة ايزابله رئيساً عاماً في كاسنيل واراغون على ذلك التفتيش
الديني واعطاه سلطانه بان يرنب مجلساً جديداً هناك . فبادر حالاً الى ذلك
الامر واطام مجلساً كبيراً مؤلفاً من عمد الناس والاشراف وكان عدد جمعيات
الفرعية ثلثين جمعية منتشرة في اطراف الملكتين

ولول امر اجراء المجلس المذكور انه اشهر اعلاناً في الكنائس ايام الاحاد
مضمونه ان كل من يعرف او يشبه بالتخص انه تابع الهرطقة يلتزم ان يقرر عنه في
الحال وان لا يجعل الكهنة كل من يهمل بهذا الامر . فالتزم الانسان ان يقرر
عن معرفته بهذه الحالة ولو كان اباه او امه او احد اقاربه حتى ان الشكايات
كانت تُقبل وتُسمع ولو زوراً . فكان الكتاب يسجل اسماء الشهود مع شهاداتهم
وبعد ذلك يامر المجلس بالقبض على المشتكى عليه فياخضعه قبل التخص
ويسجنونه في سرداب مظلم تحت الارض حيث وضع رقباة من قبل المجلس قد
تعاهدوا على انفسهم بقسم ان لا يدعوا احداً من المسجونين يراهم او يشعروهم
ليتمسكوا حركاتهم واقوالهم ويخبروا المجلس عنها . وبعد ابقاء المسجون زمناً في
ذلك السرداب يؤتى به للحاكم امام المجلس فان ابي ان يقر بكونه مذنباً يوضع
حالا تحت العذاب الاليم اما بالة معدة لذلك واما بالنار وذلك في مكان
منعزل بلا حنو ولا شفقة واذا اقر من شدة العذاب بان افكاره هرطقية يكونون
عن تعذيبه في الحال مشترطين عليه ان يُبعد هذا الاقرار مرة اخرى في اليوم
التالي اذا بقي حياً . فاذا ابي ان يفعل ذلك يعرضون حالاً جسده المروع الى
عذاب اشد من الاول فلا يكون امامه سوى الموت المر او عيشة الدل
والفاقة والمسكنة ملوفاً جسده من القروح فيضعف نسله ويكون مهتوك العرض

بين الناس

ثم ان المحجسين الحوا على فرديند وايزابله ان يصدرا امراً بنفي كل اليهود الذين لا يقبلون المعمودية فاجاباهم الى ذلك واصدرا امراً بهذا الخصوص سنة ١٤٩٢ فالتزم هؤلاء المنكودو الحظ ان يترحموا عن بلادهم ووطانهم ويتفرقوا في افطار المسكونة ناعمين من مكان الى مكان لا بيت لهم ولا مأوى مهانين ومحتقرين من الجميع هذا فضلاً عن الموت الذي ابتلع الوفاً كثيرة منهم بسبب الجوع وضخامة المعيشة وضيقها بعدما كانوا بارغد عيش ونعمة.

وفي اثناء ذلك اقام المراكشيون حرباً في شمالي البلاد واستولوا على قلعة الزهراء بعد ان فتكوا بالاسبانيولين محافظيها فتحولت حيثئذ افكار فرديند وايزابله الى مداركة هذا الامر ومصادمة الاعداء فجردا جنودها وشأن علمهم الغارة. وكان قد وقع الانقسام والاختلاف بين المراكشين فخل بهم حيثئذ الوبال والويل. وكان سيدهم المولى ابو الحسن قد خاصم امرائه الشرعية السلطانة زريفة وجار عليها جوراً عتيقاً فجمعت ذات يوم بعض القلائد والحلى الثمينة وهربت بها من القصري ولولادها. فلما رأى الشعب حالها وما افترى به زوجها عليها اغتاظوا جداً وبادروا حالاً الى خلع ابي الحسن عن كرسي الملك واقاموا مكانه ابنه ابا عبد الله من زوجة زريفة المذكورة واما ابو الحسن فانه قصد ملقاً قبلوه هناك بترحاب واحفال وهكذا انقسمت الملكة على ذاتها

ونجح الاسبانيوليون في هذه الحرب اذ كانوا تحت قيادة بطلين عظيمين اي فرديند وايزابله. فان فرديند كان في مقدمة الجيش بقودهم بحسن تديره وجودة رايه وبشجهم على الثبات والهجوم قائلاً لم انه اذا رآهم في ضيق او شدة لا يتخلى عنهم بل يندبهم بنفسه وماله. اما ايزابله فتولجت مصاريف الحرب وخدمة المعسكر وتدير المرضى والجرحون كالام الحنونة فكانت تنجول في الحرب من مكان الى اخر وعندما كانت قلوب العساكر تسقط وتهبط فكانت

تفجهم ونطيب قلوبهم بالفاظها العذبة فتطلع منها الخوف والرعب وتمكن فيها
 الفراسة والحاسة فيجهمون على اعدائهم هجمة الاسود الكواسر فينتصرون ويظفرون
 فكانت بالحقيقة هي روح تلك الحرب وعلة قوتها . وبعد عدة وقائع انهمز
 المغاربة ودارت الدائرة على جموعهم فاستولى الاسبانيوليون على مملكة غراناطة
 وطردوا جميع المسلمين من تلك الاطراف بعد حروب تذكر وكان ذلك سنة
 ١٤٩٢ للمسيح وهي ذات السنة التي فيها اكتشف كولبوس الشهير قارة اميركا
 باسعاف وامداد الملكة ايزابلا هذه . وقد حصر بعض المورخين عدد الوقائع
 التي جرت بين الاسبانيولين والمسلمين منذ دخولهم الى وقت خروجهم فبلغت
 ثلاثة الاف وسبع مئة

وسنة ١٥١٦ توفي فردينند المذكور وخلفه ابنه كارلوس الخامس المعروف
 بشارلكان وبعد جلوسه بوضع سنين توفي جده مكسيميليان سلطان النمسا
 والفلنك فانتخبة الشعب امبراطوراً على كل بلاد جرمانيا كما سيأتي تبيان ذلك
 في محله . وكانت اسبانيا وقتئذ من الدول الاوروبية الاولى . ومن مشاهير
 ملوكها فيليب الثاني ابن شارلكان نبواً سرير الملك سنة ١٥٥٦ وسنة ١٥٨٠
 لبس تاج ملكة البورتوغال التي بقيت تابعة لاحكام اسبانيا الى سنة ١٦٤٠
 وكان ملكاً عظيم الشأن ذاهية وسطوة

وكان ابوه قد تنازل له عن مملكة نابولي والصفليتين سنة ١٥٥٤ قبل
 جلوسه على الكرسي فانزع بذلك ملكه وعظم امره ثم تزوج بمرم ملكة انكلترا
 ولكن من غير ان يكون له سلطة على الانكليز . وفي السنة التالية من ملكه
 تنازل له ابوه ايضاً عن مملكة هولاندا فازداد قوة وسطوة . وكانت افكاره
 منجبهة الى اخضاع فرنسا والاسنبلاء عليها فحاربها وكسر جيشها في عدة وقائع
 ولكنه لم ينجح في مقاصده فعقد مع ملكها هنري الرابع صلحاً سنة ١٥٩٨ وهي السنة
 التي توفي فيها . وكان هذا الملك غيوراً في مذهبه الكاثوليكي عدواً للمذهب
 البروتستانت الذي كان آخذاً في الامتداد والانتشار في ممالك اوروبا . واذ

قصد ان يقيم مفتشين في ولايات الفلنكية لازالة الهرطقات حصل على مقاومات شديدة من طرف الاهالي فخلعوا طاعته واشهروا عليه علم العصيان وبعد حروب مهلكة خسر بعض تلك الولايات سنة ١٥٧٩

وجلس بعد فيليب المذكور على سرير الملك ابنه فيليب الثالث سنة ١٥٩٨ وكان ضعيف الراي فاترا الهمة عديم الدربة في سلوك طرائق الرئاسة والسياسة. وبعد جلوسه بضع سنين طرد جميع المغاربة الذين كانوا قد استوطنوا في اسبانيا واخناروا الاقامة فيها على الرحيل وكانوا نحو ٢٠٠ الف نسمة واكثرهم من اهل الصنائع والعلوم. وما يحكى عنه انه كان ذات يوم جالسا في قاعة المجلس الشوري بالقرب من وفاق كبير مشتعل بالنار لتدفئة المكان وكانت النار مضطربة بهذا المقدار حتى انها احدثت حرارة زائدة احدثت شدة كبرياؤه لم يتنازل الى ان يقوم ويسحب كرسيه بل امر ان تُطفأ النار. واذا كان الخادم المتوكل امر الوراق غائبا لم تجسر باقي الخدم ان تجري تلك الامور فلبثت النار مضطربة واشتدت حرارتها في القاعة حتى اضرت بالملك ومات بسببها

ثم قام بعده بالملكة ابنة فيليب الرابع سنة ١٦٢١ تخم ٤٥ سنة وكانت اكثر اياما تعيش على اسبانيا فانها خسرت بلاد الفلنك سنة ١٦٣٠ وبلاد البورنوغال سنة ١٦٤٠ وتنازلت عن جملة مقاطعات الى فرنسا سنة ١٦٥٩ فاخذت الملكة من ذلك الحين في انحطاط وسقوط. وبعد وفاة هذا الملك جلس ابنه كارلوس الثاني مكانه فتوفي سنة ١٧٠٠ بدون وريث وخلفه امير فرنساوي اسمه فيليب دوك انجو وهو حفيد لويس الرابع عشر ملك فرنسا كان كارلوس قد اوصى له بالملك من بعده ليس فقط لاهليته ولكن لكونه من اقارب فدعي فيليب الخامس وهو راس عائلة البوربون الاسبانية. فنهض حينئذ الارشيدوك شارل النمساوي وادعى بحقه لتاج ملكة اسبانيا فنشأ عن ذلك نزاع عظيم اعقبته فن حروب ليس فقط بين النمسا واسبانيا ولكن بين

بأقي دول أوروبا لان لويس الرابع عشر ملك فرنسا احشد لحفيده فيليب المذكور واتحصرت انكلترا وبروسيا وهولاندا للنمسا فاصطلت نيران الحرب بين الفريقين وهي المحروب المعروفة بحروب الوراثة الاسبانيولية وكانت الدائرة فيها على فرنسا واسبانيا فخلع فيليب عن كرسي ملكه مدة ثم اعيد اليها وفي ملكا الى ان مات

وقد تظاهرت اسبانيا ضد انكلترا مراراً عديدة ولا سيما وقت الثورة الاميركانية فانها اتحدت مع فرنسا في مقاومتها ومحاربتها ولكنه اخيراً عقد بينها صلح سنة ١٧٨٣ فنقضته بعد ذلك بخمسة عشر سنة حين اشتركت ثانية مع فرنسا وقت اشتباكها مع انكلترا

وسنة ١٨٠٨ حينما كان نابليون الاول في سمو مجده وسطوته الزم فردينند السابع ملك اسبانيا ان يتنازل عن تحت الملكة وإقام مكانه اخاه يوسف بوناپارتي بقوة السيف . فلم يقبل بذلك عموم الشعب الاسبانيولي . فخلعوا طاعته وانزلوه عن الكرسي ولذلك اتشبت حروب مريعة بين الطرفين . واذ كانت انكلترا وتتنيد تنرقب الفرصة لكي تضعف قوة فرنسا وتلاشي سطوة نابليون احشدت للاسبانيولين وارسلت فرقاً من العساكر الى اسبانيا وبورنوغال تحت قيادة الدوك وليتون الشجاع الشهير وساعدتهم على ابعاد الفرنسيين وترجيع فردينند الى كرسيه سنة ١٨١٤ . ثم مات فردينند المذكور سنة ١٨٣٣ وخلفته ابنته ايزابله الثانية واذ كان للملكة المذكورة عم اسمه دون كارلوس كانت اماله متجهة الى نوال تاج الملك اخذ في استعمال الوسائط التي توصله الى ذلك المنصود فتمزب له عددٌ غفيرٌ من الاهالي وبسبب ذلك هاجت الفتن والحروب بينه وبينها دامت الى سنة ١٨٦٠ ثم راقمت الاحوال واستقر لها الامر ولكن مع ذلك الهدولم تستقر احوال اسبانيا على ما ينبغي لان نيران الفتن والحركات كانت لم تزل متقدة في صدور اهل الفساد ولم تنهد من رؤوس اصحاب المقاصد والغايات . ولما التهب شرارها واضطربت نارها التزمت ايزابله

ان نهرب من اسبانيا في ٣٠ ايلول سنة ١٨٦٨ ونذهب الى فرنسا . فاستلم
 زمام المملكة الماريشال سيرانو والجنرال برهم الاول نائب ملك والثاني رئيس
 مجلس الوزراء . اما النزاع فلبث قائماً داخل البلاد فكان البعض يطلبون
 المشيخة والبعض يطلبون ملكاً الى ان قرّر قرارهم اخيراً على انتخاب الابن الثاني
 لفكتور عمانوئيل ملك ايطاليا . ففي سنة ١٨٧٠ نودي به ملكاً تحت اسم اماديو
 الاول وكان دخوله الى اسبانيا في ذات النهار الذي قتل به الجنرال برهم من
 احد اخصامه

ولكن مع كل ذلك لم تسترح داخلية اسبانيا من الفتن والفساد لان الحرب
 الجمهوري لم يتر عن اجراء ما يوجب الاخلال في المملكة . واذ كانت هذه
 الحركات والفساد متصلة بين الاهالي ولم تفعل فيها المعاملات السلمية والتهديدات
 الحرية وكان الملك اماديو الاول من الذين يكرهون الحركات ويحبون الهدوء
 والسكون تنازل عن تاج ملكه في شهر شباط سنة ١٨١٣ وتزوج من العاصمة
 تاركاً البلاد لاهلها وهو في غنى عن هذا الشعب والمنا وقام مكانه ألفنس
 الثاني عشر في اخر سنة ١٨٧٤ وهو الملك الحالي

الفصل السابع

في وصف مملكة البورتوغال وتاريخها

ان مملكة البورتوغال تمتد في القسم الغربي من اسبانيا ويحدها شمالاً
 وشرقاً مملكة اسبانيا وجنوباً وغرباً المحيط الاثلاثيكي وعدد سكانها اربعة ملايين .
 ويتبع هذه المملكة عدة جزائر يبلغ عدد اهلها نحو ٢٦٠ ألفاً هذا ما عدا املاكها

ومستعمراتها الاجنبية فان لها في افريقية جزائر الراس الاخضر وجزائر سان تومار وموساميد وموزنيك وغيرها . وفي اسيا غولا وسالسييت وباردز وغير ذلك من البلاد في الهند ثم ما كان في الصين وجزيرة تيمور بين جزائر البحر . وعدد سكان هذه الاملاك الخارجية يبلغ ثلاثة ملايين وثمان مئة وثمانين الفا فيكون مجموع اهل البورتوغال ثمانية ملايين وبنفاً . وكانت مملكة البرازيل ايضاً تابعة البورتوغال قبل سنة ١٨٢٢ واذا صارت دولة مستقلة ستكتمل عنها عند ذكر دول قارة اميركا

اما هواء هذه البلاد فمعتدل وترتبتها مخصصة وهي كثيرة المعادن ولكن قلماً يعني الاهالي باستخراجها وفيها يربي من الحيوانات الخيل والمواشي ودود الفز . ومن اعظم حواصلها ملح البحر وهو من اروج تجارها التي تحمل الى خارج البلاد لاسيما الى انكلترا . ومن طيب اثمارها الثين والبردقان والتارنج والعنب المجيد . ومن مصطنعاتها الفخار والصيني والصباغ والنسج والاسلحة واصطناع البلور والجوخ . ومن اعظم مدنها مدينة ليسبون والعرب يسمونها اشبونة وهي قصبة الملكة مبنية على مصب نهر تاغوس الذي هو من اكبر انهارها . وفيها ابنة فاخرة وقصور جميلة مستظرفة وكنائس عديدة وسكانها ٢٥٠ الفا ولها مكتبة فيها ٨٠ الف مجلد . ثم مدينة بورتو وهي من اعظم مدن البورتوغال بعد ليسبون كثيرة التجارة غزيرة المياه ولها ميناء حسن ونيزها جيد الى الغاية وعدد سكانها ٨٠ الفا واسم البورتوغال مأخوذ الصدر منها . اما الديانة العامة في هذه البلاد فهي الديانة اللاتينية والاديرة فيها كثيرة يبلغ عددها ٤٩٨ منها ٢٦٠ للربان و١٢٨ للراهبان . ولتقدم الآن لذكر بعض اخبار هذه الملكة من جهة تاريخها فنقول

ان بلاد البورتوغال كانت تدعى في الزمن السابق عند الرومانيين لوسيتانيا . وقد استولوا عليها عند افتتاحهم اسبانيا واستمرت في ايديهم ٥٧٠ سنة الى حين دخول القنطال والسواب وغيرهم من شعوب برابرة الشمال الذين

حكموها الى سنة ٧١٢ حين استخلصها منهم العرب وضموها الى مملكتهم بالاندلس فصارت ملحقة بها . ولما قويت شوكة الاسبانوليين في الاندلس واخذوا في استرجاع بلادهم وطرد العرب منها استخلص هنري البورغوني من عائلة فرانسا الملكية بلاد البورتوغال بعد ان كسر جيوش المسلمين وسبي عليها اميراً تحت حامية الفونس السادس ملك كاستيل في اسبانيا وخلقها لابنه الفونس الاول الذي بعد محاربة المغاربة واستظهاره عليهم سنة ١١٣٩ نودي باسمه ملكاً فاستقلت بورتوغال عن اسبانيا من ذلك الوقت

ثم اخذت بورتوغال في التقدم والنجاح وتوسيع دائرة املاكها بواسطة استخلاصها الاراضي من العرب الذين في جوارها . وبواسطة اسفارها البحرية وتعرضها للاهوال والمخاطر في المحيط الشاسع اصبحت في سطوة وغنى لا مزيد عليها لاسيما في الجبل الخامس عشر وقت اكتشافها طريق الهند واستيلائها على جملة مدائن وارضى في افريقية واسيا فكانت تعد بين ممالك الارض من الدول البحرية الاولى . ولا يسمنا ان نذكر بالتفصيل ما استولى عليه البورتوغاليون من الاملاك في القارتين المذكورتين خصوصاً في قارة اسيا بالهند والصين وجزائر اليابان لكننا نقول انهم حازوا على اراضي واملاك كثيرة وبسببها حصلوا على غنى ومجد وشهرة عظيمة . ولم يكتفوا بذلك بل مدوا ايديهم ايضاً الى قارة اميركا في بداية القرن السادس عشر واستولوا على بلاد البرازيل التي مكثت في ايديهم الى سنة ١٨٢٢

غير ان التوفيق لم يخدمهم زماناً طويلاً فانه في سنة ١٥٨٠ نهض فيليب الثاني ملك اسبانيا وهو ابن عم شارلكان واغتصب تاج دولة البورتوغال وازاد البلاد الى ملكه فكان ذلك سبباً لتأخير الدولتين في المستقبل . لان الاسبانوليين نظراً لاملاكهم الاميركانية من الجهة الواحدة ونظراً لانشغالهم في الحروب والمسائل السياسية من الجهة الاخرى اهلوا الالتفات اللازم الى فتوحات البورتوغاليين في اسيا وافريقيا فانهز الفلنكيون تلك الفرصة واغاروا

ومستعمراتها الاجنبية فان لما في افريقية جزائر الراس الاخضر وجزائر سان
توماز وموساميد وموزنيك وغيرها . وفي اسيا غوا وسالبيت وباردز وغير
ذلك من البلاد في الهند ثم ماكان في الصين وجزيرة تيمورين جزائر البحر .
وعدد سكان هذه الاملاك الخارجية يبلغ ثلاثة ملايين وثمان مئة وثمانين الفا
فيكون مجموع اهل البورتوغال ثمانية ملايين ونيفاً . وكانت مملكة البرازيل
ايضاً تابعة البورتوغال قبل سنة ١٨٢٢ واذا صارت دولة مستقلة ستكتمل عنها
عند ذكر دول قارة اميركا

اما هواء هذه البلاد فمعتدل وتربها مخصبة وهي كثيرة المعادن ولكن قلماً
يعتني الاهالي باستخراجها وفيها يربي من الحيوانات الخيل والمواشي ودود القز .
ومن اعظم حواصلها ملح البحر وهو من اروج تجارتها التي تحمل الى خارج البلاد
لاسباً الى انكلترا . ومن طيب اثمارها التين والبردقان والتاريخ والعنب الجيد .
ومن مصطنعاتها الفخار والصيني والصباغ والنسيج والاسلحة واصطناع البلور
والجوخ . ومن اعظم مدنها مدينة ليسبون والعرب يسمونها اشبونة وهي قصبة
الملكة مبنية على مصب نهر تاغوس الذي هو من اكبر انهارها . وفيها ابنية فاخرة
وقصور جميلة مستظرفة وكنائس عديدة وسكانها ٢٥٠ الفا ولها مكتبة فيها
٨٠ الف مجلد . ثم مدينة بورتو وهي من اعظم مدن البورتوغال بعد ليسبون
كثيرة التجارة غزيرة المياه ولها ميناء حسن ونيذها جيد الى الغاية وعدد سكانها
٨٠ الفا واسم البورتوغال مأخوذ الصدر منها . اما الديانة العامة في هذه البلاد
فهي الديانة اللاتينية والاديرة فيها كثيرة يبلغ عددها ٤٩٨ منها ٢٦٠ للربان
و١٢٨ للراهبات . ولتقدم الآن لذكر بعض اخبار هذه المملكة من جهة تاريخها
فنقول

ان بلاد البورتوغال كانت تدعى في الزمن السابق عند الرومانيين
لوسيتانيا . وقد استولوا عليها عند افتتاحهم اسبانيا واستمرت في ايدهم ٥٧٠ سنة
الى حين دخول القنطال والسواب وغيرهم من شعوب برابرة الشمال الذين

حكموها الى سنة ٧١٢ حين استخلصها منهم العرب وضموها الى مملكتهم بالاندلس فصارت ملحقة بها . ولما قويت شوكة الاسبانوليين في الاندلس واخذوا في استرجاع بلادهم وطرد العرب منها استخلص هنري البورغوني من عائلة فرانسوا الملكية بلاد البورتوغال بعد ان كسر جيوش المسلمين وسبي عليها اميراً تحت حامية الفونس السادس ملك كاسيل في اسبانيا وخلفها لابنه الفونس الاول الذي بعد محاربة المغاربة واستظهاره عليهم سنة ١١٣٩ نودي باسمه ملكاً فاستقلت بورتوغال عن اسبانيا من ذلك الوقت

ثم اخذت بورتوغال في التقدم والنجاح وتوسيع دائرة املاكها بواسطة استخلاصها الاراضي من العرب الذين في جوارها . وبواسطة اسفارها البحرية وتعرضها للاهوال والمخاطر في المحيط الشاسع اصبحت في سطوة وغنى لا مزيد عليها لاسيما في المجال الخامس عشر وقت اكتشافها طريق الهند واسيلائها على جملة مدائن وراضي في افريقية واسيا فكانت تعد بين مالئ الارض من الدول البحرية الاولى . ولا يسعنا ان نذكر بالتفصيل ما استولى عليه البورتوغاليون من الاملاك في الفارين المذكورين خصوصاً في قارة اسيا بالهند والصين وجزائر اليابان لكننا نقول انهم حازوا على اراضي واملاك كثيرة وبسببها حصلوا على غنى ومجد وشهرة عظيمة . ولم يكتفوا بذلك بل مدوا ايديهم ايضاً الى قارة اميركا في بداية القرن السادس عشر واستولوا على بلاد البرازيل التي مكثت في ايديهم الى سنة ١٨٢٢

غير ان التوفيق لم يخدمهم زماناً طويلاً فانه في سنة ١٥٨٠ نهض فيليب الثاني ملك اسبانيا وهو ابن عم شارلكان واغتنب ناج دولة البورتوغال وازاد البلاد الى مملكته فكان ذلك سبباً لتأخير الدولتين في المستقبل . لان الاسبانوليين نظراً لاملاكهم الامبركانية من الجهة الواحدة ونظراً لانشغالهم في الحروب والمسائل السياسية من الجهة الاخرى اهلوا الالتفات اللازم الى فتوحات البورتوغاليين في اسيا وافريقيا فانتهز الفلنكيون تلك الفرصة واغاروا

على املاك البورتوغاليين في اسبا فطردوهم من اليا بان واستخلصوا جزائر مولوك وكادوا يستولون على برازيل ايضاً . وسنة ١٦٤٠ قام اهل البورتوغال على الاسبانوليين وخرجوا عن طاعتهم وملكوا عليهم يوحنا الرابع احد دوقات ابراغسا الذين هم من ذرية ملوكهم القدماء والذين ما زال الملك في عنهم الى الآن . وبعد استقلالهم اتحدوا مع فرانسوا واتخذوها معبنة ومساعدة لهم . ولكنهم في ايام بطرس الثاني تركوا فرانسوا واستندوا على الانكليز واعتمدوا عليهم وعقدوا فيما بينهم عهداً سنة ١٧٠٣ فصارت انكلترا من ذلك اليوم صاحبة الكلام ويدها زمام الحل والربط في البورتوغال . وكانت المصانع والزراعة والتجبر وسياسة المملكة في يدها بحيث لم يكن للبورتوغاليين في المملكة سوى مجرد الاسم فقط .

ولما كان نابوليون الاول في سمو سعيه واقباله صم على اقتباح بلاد البورتوغال فارسل لها جيشاً تحت قيادة الجنرال جونو سنة ١٨٠٧ فتغلب عليها وامتلكها وسمي عليها والياً تحت لقب دوك دارباتيس . فتظاهرت حينئذ انكلترا لمساعدة البورتوغال وارسلت جيشاً تحت قيادة اللوك وليتون فخارب الفرنسيين وازاحهم منها بعد ما ارسل العائلة الملكية الى برازيل فقيم هناك وتسترخ من غوائل الحروب واهوا لها فمكثوا هناك الى سنة ١٨٢١ وحكم البلاد في مدة غيابهم نواب تحت مظلة انكلترا

وسنة ١٨٢٠ حدث في مدينة بورتوشغب وهياج من الشعب وكان قصدهم ان يمحوا الحكومة البورتوغالية حكومة مفيدة بشرائع البلاد ونظامات المجلس . فقبل الملك يوحنا السادس بهذه الشروط ورجع الى اوروبا سنة ١٨٢١ واستبد بالملك الى سنة ١٨٢٦ . ولكن بعد خروجه من برازيل بسنة واحدة نهض البرازيليون بطلب الاستقلالية فانفصلوا عن بورتوغال واستقلوا بانفسهم وانتخبوا لانفسهم امبراطوراً يقال له دون بيدرو بن يوحنا السادس المذكور وثبتت استقلالية برازيل عندما دعي دون بيدرو ليرث ابيه في تاج ملكة

بورتوغال فلم يذهب بل تنازل عنه الى ابنته دوناماريا وليث امبراطوراً في
برازيل

وعند جلوس دوناماريا على سرير المملكة نهض لمقاومتها عمها دون ميكل
طمعاً باستخلاص المملكة لنفسه فحزب معه جمهور غفير من الشعب واستمرت
الفتن والقتال في اقطار المملكة نحو ستة حتى التزم اخيراً ان ياتي ابوها من
برازيل ويحارب اخاه ويوطد كرسي ابنته . وكانت هذه الملكة عاقلة اديبة
موصوفة بالغنى وحسن السيرة فاستبدت بالاحكام الى سنة ١٨٥٤ ثم توفيت
وتركت اولاداً قاصرين منهم بطرس ولي عهدا . واذ كان يومئذ قاصراً اجمع
راي الوزراء على اقامة زوجها الامير فرديناند وكيلاً مؤقتاً الى ان يكون ابنها
بلغ سن الرشيد فاقاموه من ذلك اليوم وكيلاً ووصياً ومكث بالوكالة الى ان
استوفى ابنته بطرس الاكبر سن اللياقة فتنازل له عن الاحكام واستبد بطرس
بالمملكة تحت اسم بطرس الخامس ولكنه لم يلبث ملكاً اكثر من ستة اشهر حتى
ادركته المنية . فقام بعده اخوه دون لويس وهو الملك الحالي فتسلم

زمام المملكة في اواخر سنة ١٨٦١ وهو فتى حديث السن

غير انه بعد من افراد هذا العصر في

المعارف وحسن

الاخلاق

الفصل الثامن

في تاريخ فرنسا

الباب الاول

في وصف فرنسا الحالي

ان هذه البلاد مجدها شمالاً بجم المانش وبغاز كالس الفاصل بينها وبين
انكلترا ثم البلجيك والمانيا . وشرقاً المانيا ايضاً وبلاد الموريس وايطاليا . وجنوباً
البحر المتوسط وجبال الپيرينه الفاصلة بينها وبين اسبانيا . وغرباً الافيانوس
الانلانتيكي

اما الآن فليس لفرنسا من المحدود ما كان لها عندما كانت تدعى غالباً
قديمًا لانها بعد سقوط الدولة البونابارتية اولاً سنة ١٨١٥ للميلاد وسقوطها ثانية
سنة ١٨٧١ قد خسرت حدودها الطبيعية في الجهة الشرقية والجهة الشمالية
والفاصل بينها الآن وبين الجهتين المذكورين هو خط صناعي اقامته ابدى
العباسة . اما عدد سكانها قبل الحرب الاخيرة فكان نحو ثمانية وثلاثين مليوناً
اما الآن فهو نحو ستة وثلاثين مليوناً ونصف . هذا بعد طرح سكان اللزاس
واللورين الذي انضم الى المانيا بعد الحرب وهو نحو مليون ونصف واكثرهم
على المذهب الكاثوليكي والحرة مطلقه لجميع المذاهب

وعلى شطوط فرنسا عدة جزائر راجعة اليها وفي جزيرة كورسيكا وجزائر
بارس في الجهة الجنوبية من البحر المتوسط وجزائر ري ولوليدون ولويسان

وليل ديو وليل في الجهة الغربية من البحر المحيط . ومن املاكها عدة مستعمرات في جهات مختلفة في غير قارة اوروبا . ففي افريقية بلاد الجزائر في الجهة الشمالية وولاية السبنيكال وجزيرة غوري في الناحية الغربية وجزائر لاريونيون وسنت ماري ومايوت وبوربون في الجهة الجنوبية الشرقية منها وعدد اهلها جميعاً نحو ثلاثة ملايين و ٢٥٠ ألفاً وهم مسلمون وكاثوليك وبروتستانت ويهود . ومن املاكها في اسيا ميناء بونديشيري وكاريكال وماهي ونيلون وسانديرناغور في الهند وسافون في الكوشين صين وعدد اهلها جميعاً نحو ٢٥٠ ألفاً . ولها في امريكا عدة جزائر اشهرها جزيرة كواديلوب ومارتنيك وسان بيير وميلكون وقسم من ولاية الفيان الفرنسية في الناحية الشمالية الشرقية من امريكا الجنوبية . وفي المحيط جزيرة خلكيدونيا الجديدة وجزائر مركيز وغيرها وعدد سكان جميعها نحو ٥٢٠ ألفاً . وكانت لفرنسا سابقاً في امريكا كناندا ولوزيانة وسان دومينيك وسانت لوسي وتاباكو واماكن كثيرة في اسيا اعظمها مركز سورات وقد خسرت كل ذلك خصوصاً في زمان الدولة البونابارتيه الاولى

ان فرنسا هي اجل ارض سياسية وتجارية نظراً لحسن موقعها الطبيعي وهي غنية بالمعادن والخصولات . وفيها كثير من الفحم الحجري العظيم النفع والحديد والرصاص والنحاس والقطران الارضي اما الفضة والذهب فقليلان فيها . وبها انواع الرخام والمرمر وحجر الطبع وغيرها من الحجارة وبها انواع الجص والتماب الكبريتي والزاجي ونحوها وكثير من البنايع المعدنية المختلفة . واكثر اراضيها مخصبة جيدة تعطي اكثر انواع الحبوب والثمار . والكرم فيها في غاية النجاح يستخرجون منه كل انواع الخمر المشهورة . وبها دود القز بكثرة وانواع الطير والحيوانات المستخدمة . وصناتها في غاية النجاح والاثان واهاليها متميزون عن سواهم بانقان عمل الجوخ وجميع اقشة الحرير والصوف والكتان والظن والجلود والبلور والصيني والفخار المطلي وعمل الحلي واكثر الآلات المنيدة ونحو ذلك . اما

دائرة المنجر فيها ففي غاية ما يمكن من الاتساع والنمو داخل البلاد وخارجها .
 وفيها كثير من المدن الكبيرة المعتمدة كليون ومرسيليا وبوردو ونور ولورليان
 وغيرها وعاصمتها باريس وهي من اجمل مدن الدنيا واعظمها بعد لندن . وفيها
 كثير من القصور المزخرفة باظرف اعمال البشر والمراح المعتمدة الكثيرة ويمر
 في وسطها نهر السين فينقسمها شطرين وهو اعظم انهرها بعد نهر اللوار . وفي
 فرانس كثيرا من الانهر والجداول والوديان والجبال مما لا يسعنا ضيق المقام
 تعدادها وحكمها الآن من النوع الجمهوري

الباب الثاني

في اصل فرانس وشعوبها القدماء واديانهم وعوائدهم وتغلب
 الرومانيين ثم الافرنك عليهم وتأسيس الدولة الاولى
 الملكية المعروفة بالمير وفنجية سنة ٤٨١ ب.م
 ثم سقوطها وانقراضها سنة ٧٥٢

ان فرانس كانت تدعى قديماً غاليا او غاله ويبدو تاريخها الى القرون
 السادس عشر م وهو في اعصره الاولى كباقي توارنج مبادي المالك القديمة
 لا يعلم عنه الا القليل . اما شعوبها فهم من قبائل مختلفة دخلت البلاد في
 اوقات غير معلومة واستوطنت فيها . واخص تلك الشعوب قوم الكلتيين
 جاءوا من الشرق من نواحي بكتريان مع الامم التي هاجرت الى البلاد اليونان
 وايطاليا وتقدموا في شمالي غاليا حتى اشرفوا على المحيط ونزل بعضهم وقطعوا
 البحر وعمروا جزائر بريطانيا الانكليزية . وقد وفي غاليا قبائل اخرى قاطنة
 في جنوب البلاد وهم الايبيرز او الباسك الذين بطن فيهم انهم اتوا من شمالي

افريقية واسبانيا ولم يزل البعض من الفاسكون او الباسك الفاطنين في جنوبي فرنسا عند جبال الپيرني يتكلمون بلغتهم . ثم اتاها ايضاً الفينيقيون بحراً ودخل بعضهم اواسط غاليا واخلطوا باللام التي وافت قبلهم . ثم آتى اليونان ونزلوا في الشطوط البحرية الجنوبية في القرن السادس ق م ويقال انهم اول من وضعوا اساسات مدينة مرسيليا

اما عوائد الغالين القدماء وملابسهم واطعمتهم فكانت خشنة كسائر الامم القديمة وكانوا على جانب عظيم من الحماسة والمحبة والشجاعة والكرم والسخاء والقيام بحق الضيافة . فكانوا يكرمون جداً من نزل بجوارهم غاضين النظر عن اصله وفصله ويتصرفون لكل من استغاث والتجأ بهم . وكانوا طوال القامة اجشاء الصوت قليلي التكم سريعي الغضب قريبي الرضا يطلبون بعضهم بعضاً الى المبارزة الشخصية عند الغضب . وكانت اسلحتهم البلطات والحراب وكانوا يتسربلون بالدروع وعلى رؤوسهم الخوذ وارتاسهم كبيرة جداً تسترهم من الراس الى القدم . وكان لنسائهم الحرية في اختيارهن ازواجهن وكن ياتين رجالهن بالمهر . فكان الاب اذا اراد زواج ابنة له دعا جمهوراً من الشبان الى منزله فخرج الابنة ويدها كاس ملانة خمرآ فن ناولته الكاس كان عريساً لها وكان للرجل التسلط المطلق على المرأة وعلى اولاده وله حق التصرف في حياتهم جميعاً . وكانوا عند موت رب العائلة يحرقون معه كل ما كان عزيزاً لديه حتى ومن الحيوانات . ويطرحون معه ايضاً بعض المكاتب ظناً منهم ان الميت المحروق يستطيع اخذها معه الى اقاربهم المتوفين . اما اديانهم فاشبهت اديان اهل الشرق كالمندو مثلاً ولا بد ان هذه العادة المار ذكرها في حرق جثث امواتهم مأخوذة عن هولاء المندو . وكان لهم عقائد بعضها حسنة وبعضها سيئة ومذهبهم يُعرف بالدرويديسم نسبة الى كهنتهم الدرويد . وكان لهؤلاء بعض تعاليم حسنة فكانوا يعلمون بالثواب والعقاب بعد الموت ويحرضون رعيتهم جداً في شان تربية الاولاد حسناً وعمل الخير ويقولون ان من افرض

صاحبة مالا في هذه الحيوة باخذنه في الحيوة الآتية ومن قتل نفسه لاجل صديق
له يلاقيه في العالم الآخر وان الاباء في عيالهم هم بمنزلة ارباب وملوك . وعلوا
احيانا بتناخ الارواح واشياء من هذا القيل واقاموا احتفالات عبادتهم بين
احراش السنديان مقدمين احيانا الذبايح البشرية لزعيمهم ان الاله لا تسر الا
بالدم . وكان هولاء الكهنة اصحاب الحل والعقد ذوي سطوة عظيمة على الشعب
وبعدهم الاعيان ثم العامة وبقي هذا المذهب الى بعد دخول الديانة المسيحية الى
فرانسا وكان اوغسطوس قيصر بعد يوليوس قيصر قد اصدر امراً بملاشات ومع
ذلك بقي زمناً طويلاً يمارس في بعض انحاء المملكة

وكان الغالبون اي الفرنسيون القدماء على جانب عظيم من البسالة
والشجاعة ومحبة الاستقلال والحرية لا يرضون لما ياتيهم ويأتي بلادهم بالذل
والعبودية . وكانوا يحبون الحروب والغزو فخاف سطوتهم وباسهم اكثر الامم
المجاورة لم حتى الدولة الرومانية التي وطدت اركان سطوتها في اغلب اجزاء
العالم المعروف يومئذ وكادوا يهدمون اركان دولتها . وقد هاجموا ايطاليا مراراً
من سنة ١٤٠٠ الى سنة ٥٨٧ ق م وفتحوا مدينة رومية عاصمتها سنة ٢٩٠ ق م
قطعوا جبال الالب ونهر الدانوب وافسدوا البلاد ونهبوها ودخلوا اراضي
اليونان ايضاً واعلموا فيها السيف والنهب ثم امتدوا ودخلوا اسيا وصنع بعضهم
فيها منازل ومستعمرات . وقد اُنيت تلك الاراضي باسمهم غلاطية نسبة الى غاله .
ولم تتمكن الدولة الرومانية من قهر الغالين الذين كثيراً ما كادوا يهدمون اركانها
الا بعد ان صرفت اموالاً كثيرة في اجراء استعدادات كلية ولم تتمكن من
التغلب عليهم واخضاعهم لسطوتها الا من سنة ٥٨ الى سنة ٥٠ ق م بعد حروب
هائلة عن يد اعظم واشهر قوادها يوليوس قيصر . وكانت الدلة الرومانية تنظر
بعين الاهتمام الى اخضاع هولاء القوم فبعد ما فتح يوليوس قيصر عليهم حروباً
دموية طويلة منحت الدولة الرومانية انعامات وهبات وافرة ورفعت قدره
وشانه ولكن مع ذلك لم تستطع ان تقبض على زمام الملك على هذه الامة زماناً

طويلاً جداً . فبقيت تحت نسلها الى اواسط القرن الخامس للبلاد حين هاجمت غاليا قبيلة من قبائل المشرق كانت قد هاجرت اسيا في زمن غير معلوم تماماً ونزلت في شمالي فرنسا في بلاد بلجيوم وفي تخوم المانيا الغربية يقال لها قبيلة الافرنك فدخلتها وقطعت الى اسبانيا ولوقعت فيها السلب والنهب مدة من الزمان ثم عبرت البحر ودخلت افريقية وتضععت فيها . وسنة ٢٥٨ في سلطنة يوليانيوس قيصر هاجم الافرنك غاليا مرة ثانية ونزلوا عند شطوط نهر الموز فنازعهم يوليانيوس قيصر زماناً طويلاً ولم يقدر على اخضاعهم فتركهم اخيراً يستوطنون عند شطوط النهر المذكور

وكانت الامة الافرنكية مقسومة الى عدة قبائل كل منها خاضعة لامير خصوصي وكان جميع هؤلاء الامراء خاضعين لامير واحد قيل اسمه فاراموند وابتدأ حكم هذا الامير سنة ٤٢٠ للبلاد وبقي الى ٤٢٠ ثم خلفه ابنه كلوديون ودامت ولايته الى سنة ٤٤٨ وهو اول من اخذ في توسيع دائرة سلطة الافرنك . ثم توفي وخلفه ميروفي احد اقاربه سنة ٤٤٨ . وسنة ٤٥١ اتحدت القبائل الافرنكية مع الغالين سكان فرنسا القدماء وانضموا جميعاً الى الرومانيين لمحاربة الهونيين الذين كانوا قد هاجموا غاليا ووقعوا فيها السلب والتخريب وحاربوهم وطردهم بعد معارك شديدة ففعلوا الى جرمانيا . وبعد هذه الحادثة وطد الافرنك اركان حكومتهم في غاليا الشمالية تحت قيادة كبير امراءهم ميروفي المذكور وهو اول امير دعا ذاته ملكاً وتوفي سنة ٤٥٦ وتولى مكانه ابنه شيلدبريك الاول الى سنة ٤٨١ ثم خلفه ابنه كلوفيس وقد دعي جميع الملوك الذين خلفوا ميروفي من عائلته الملوك الميروفنجيين نسبة اليه وهذه العائلة هي العائلة الاولى التي نبأت تحت مملكة فرنسا على ان المؤرخين لا يورخون ابتداء مملكة الافرنك الا منذ تبوأ تختها كلوفيس الاول بن شيلدبريك بن ميروفي وذلك من سنة ٤٨١ للبلاد لانه اول من تغلب على جميع قبائل الافرنك التي هو منها واخضعها لسلطونه وفتح الجانِب الاعظم من غاليا

ولما تولى كلوفيس المذكور سنة ٤٨١ كانت الرومان والالمان والفيزيغوث والبورغنديين وغيرهم يتنازعون في غالبا فاتصر الافرنك عليهم جميعا . ففي سنة ٤٨٦ كسر كلوفيس جيش الرومانيين في سواسون وطردهم من جميع الاقطار التي كانوا لا يزالون فيها . وسنة ٤٩٦ حارب الالمان واتصر عليهم في موقعة تولياك ودفعهم الى ما وراء نهر الرين واخضع بعضهم . واذ كانت الديانة المسيحية قد انتشرت قبل ذلك بزمان طويل في تلك النجوم تنصر الملك كلوفيس عقب المعركة التي ربحها على الالمان وكان السبب في تنصر زوجته كلوتيلد فتعمد في مدينة ريمس مع عائلته وجنوده واعيان دولته وكان هو الملك المسيحي الوحيد في ذلك العصر بينما انحاز غيره من الملوك الى اربعة اربوس وبناء على ذلك حاز ملوك فرانسوا التقدم الديني على ما سواهم من الملوك الكاثوليكين

وسنة ٥٠٠ للميلاد حارب كلوفيس جماعة البورغنديين واخضعهم فخلوا اليه الخراج . وفي سنة ٥٠٧ حارب الفيزيغوث واتصر عليهم وطردهم وحاصروهم في اقليم سبتيانيا وهو قسم كبير من جنوب فرانسوا واخرج ما عداه من ايديهم . وبعد ذلك اذ اخطط الافرنك بالالاهالي الاصليين تغلب اسم الافرنك على كل سكان بلاد غالبا فسميت بلادهم فرانكا ثم بعد ذلك ببعض سنين بدلت الكاف بالسين فصار اسمها فرانسوا وفي الاصل لم يكن اسمهم افرنك بل انما ذلك لقب غلب عليهم (من فرانكس اي شجعان)

ثم توفي كلوفيس سنة ٥١١ بعد ان حكم ٣٠ سنة وهو من اشهر ملوك هذه الدولة وله اربعة اولاد وهم شيلديبرت وكلوتير وكلوديمير ونياري . فاقسموا الملك بينهم وتبع من ذلك اربع ممالك متفرقة فاخذ شيلديبرت الاولى وكانت مدينة باريس تختا لها والثانية قاعدتها سواسون والثالثة قاعدتها اورليان والرابعة متس . وفي سنة ٥٢٤ انضموا جميعا وكسروا شوكة البورغنديين ومحو رسوم ملكهم بالتام واخضعوا بلادهم كباقي البلاد . وبقيت فرانسوا منقسمة الى ان مات ثلاثة منهم فضمها كلوتير الاول سنة ٥٥٨ مملكة واحدة تحت حكمه لكنها

انقسمت بعدهُ ثانيةً وذلك سنة ٥٦١ وصارت اربع ممالك مستقلة كالاول . وكانت باريس ايضاً نخعاً للاولى وسواسون للثانية وبتس للثالثة وبورغنديا للرابعة . وفي سنة ٥٦٧ توفي كاريبرت ملك باريس فصارت ثلثاً واستمرت هكذا منقسمة الى سنة ٦١٢ . وقد اعقب هذا الانقسام حروب اهلية طويلة نتج عنها انضمام زماناً يسيراً في عهد كلوتير الثاني وبقيت منضمة الى عهد ابني راغوبرت الاول سنة ٦٣٨

وبعد وفاته انقسمت مرةً ثالثة الى اربع ممالك وهي اوسترازي ونوسيري وبورغونيا واكيانيا وكانت الاثنان الاوليان ممتازتين عن الاثنتين الاخرين بالسلطة والنفوذ مدةً من الزمان . ثم اجتمعت ايضاً مملكة واحدة من سنة ٦٧٠ الى سنة ٦٧٢ في حكم شيلديريك الثاني ثم في سنة ٦٨٧ نقوت اوسترازي وارتفع شأنها على نوسيري وتقدم امرأؤها وفازوا بباقي الولايات فادخلوا بورغونيا تحت طاعتهم ثم اكيانيا وهو القسم الرابع من مملكة فرنسا الذي استخلصه شارل مارثل من عرب الاندلس سنة ٧٣٢ في زمن خلافة عبد الرحمن بعد حربٍ مهلكة قتل فيه نحو ٢٠٠ الف رجل من جيوش العرب وربما كان ذلك مبالغة

وسنة ٧٥٢ للميلاد انقضت الدولة الفرنسية الاولى وهي الدولة الميروفنجية وسبب انقراضها طياشة ملكها شيلديريك الثالث وقلة درايتة اذ كان له وزيرٌ يقال له پايين على جانب عظيم من الخدق والدراية والاقلام وكان من اشرف رجال فرنسا وعظماهم فكان قابضاً على زمام الامور ولم يكن لشيلديريك المذكور من الملك الا مجرد الاسم كما كان قد آل امر سلفائه ايضاً منذ سنة ٦٨٧ فانهم كانوا ملوكاً بالاسم فقط فقبض پايين على الملك شيلديريك وحجز عليه في احد الاديرة واستولى زمام الملك بدون مانع ثم توفي شيلديريك بعد قليل وبموتيه كانت نهاية الدولة الاولى التي ملكت فرنسا مدة ٢٠٤ سنين وعدد الملوك الذين خرجوا منها ٣٤ ملكاً

فهذه هي الدولة الاولى التي وطّدت اركان المملكة الفرنسية وسنّت لها
نظامات موافقة لروح ذلك العصر اذ كانت قبل ذلك شوكة الملك ضعيفة
جداً فكان النفوذ لجمعية الملة العمومية التي اجتمعت كل سنة في وقت معين
وكان لها الحق في انتخاب الملوك وفي اعطائهم الامدادات والاعانات اللازمة
وكانت هي التي تشرع القوانين والشرائع وتحكم في فصل جميع الدعاوي بدون
معارض . وكانت الخدمة العسكرية بالاختيار لا بالاعتصاب . وكانت القيمة
التي يغنيها الجيش تُوزّع عليه بالحصص حتى ان الملك نفسه كان لا يأخذ منها
الا ما يخصه بالقرعة . ويؤيد ذلك ما حدث بعد معركة سواسون التي اشرفنا
اليها في ما تقدم فان جنود الملك كلوفيس الاول صاحب النصر في تلك
المعركة كانوا قد نهبوا كنيسة سواسون واخذوا منها امتعها ومن جملتها اناه
ذهب كيرثمين فبعث اسقف الكنيسة الى كلوفيس رسلاً يترجوه ان يرجع
الاناء المذكور على الاقل فقال لهم ان وقع هذا الاناء في نصيبه يرجعه الى
الكنيسة فلما جمعت الغنائم ووضعت في وسط الجنود طلب كلوفيس ان يعطوه
قبل القسمة الاناء المذكور زيادة على حصته فاطهر جميع العساكر انهم يريدون
اجابة طلب الملك الا انه خرج من بينهم عسكري جهور تقدم كالوحش ورفع
بلطته وضرب بها الاناء بشدة وقال للملك باعلى صوته مالك شيء مطلقاً سوى
ما ينحسك بالقرعة ولا تفرّك بامتياز خصوصي وكانوا احياناً يهينونه اذا لم يمثل
الى طلبهم فاشبهوا من هذا القبيل الانكشارية في الدولة العثمانية

الباب الثاني

في قيام الدولة الفرنسية الثانية وإنقراضها وهي المعروفة
بالكارلوفنجية من سنة ٧٥٢ الى ٩٨٧

ان هذه الدولة هي من عائلة الدوك باين الذي اغضب الملك من
شيلديريك الثالث وتُعرف بالكارلوفنجية وقد دُعيت بهذا الاسم نسبةً الى
كارلوس الكبير ابن باين اشهر الملوك الذين خرجوا منها وهو المعروف ايضاً



شارلمان

باسم شارلمان ملك فرنسا وإمبراطور المغرب وكان هو راس هذه الدولة وأول
ملوكها. وقد ذكرنا ما كان عنده من السطوة والأقدام فقام بتدبير المملكة اتم قيام

وضم مقاطعات فرنسا الى مملكة واحدة ما عدا مقاطعة بريطانيا الفرنسية وتغلب على سبتيانيا من سنة ٧٥٢ الى سنة ٧٥٩ ثم على أكتانيا من سنة ٧٥٩ الى سنة ٧٦٨ وامتد سلطانه ونفوذ كلمته الى ايطاليا والمانيا والزم السكسونيين ان يدفعوا اليه الخراج . وسنة ٧٥٤ اتى البابا استفانوس الثاني الى فرنسا ووعد باين بمساعدة سلطان الكنيسة على اثباته في الملك وهو وعد البابا بالمساعدة العسكرية . وكان اللومبارديون قد تهددوا رومية فخارهم باين والحجاء استولف ملكهم الى احترام البابا وجعل للكنيسة الرومانية عدة امتيازات وملكها عدة اراضٍ .

وبعد موت هذا الملك سنة ٧٦٨ خلفه ولده شارلمان المذكور وكارلومان . ففي سنة ٧٧١ توفي كارلومان واستبد شارلمان بالملك وحده وكان ذا شوكة وبأس موصوفاً بالذكاء والدراية وله حروب ونصرات كثيرة . فانه قد تغلب على نصف ايطاليا من سنة ٧٧٢ الى سنة ٧٧٤ وعلى سكسونيا وبافاريا ثم اتى رومية وثبت للكرسي الباباوي الحقوق التي كان منحها له والده وعندما دخل رومية المرة الاولى صعد على درج كنيسة ماري بطرس وقبل بورع كل درجة منه . ثم حارب عرب الاندلس وتغلب على اسبانيا الشمالية سنة ٧٧٨ وعلى الافاراي التي اثار الهبة اهل پانونيا سنة ٧٨٧ وضم جميع الممالك المذكورة في مملكة كبيرة ساهها بالسلطنة الغربية المتحدة واراد بالمتحدة احياء السلطنة الرومانية الغربية بعد اندراسها . وسنة ٨٠٠ للميلاد ذهب الى رومية وتوج يوم عيد الميلاد من البابا ليو الثالث امبراطوراً على المغرب . هذا وقد رغب شارلمان في ترقية اسباب العلوم والفنون كما رغب فيها الخليفة هرون الرشيد في الشرق اذ كان معاصراً له . فذاع صيته عند الملوك وارتفع مكانه فكان اشهر ملك ظهر في اوربا من وقت سقوط الدولة الرومانية الغربية الى سقوط الدولة الشرقية . واسس في باريس مدرسة جامعة لسائر المعارف وكان يصرف أكثر اوقاته في مطالعة العلوم واكتساب المعارف وكان مجلسه مخفوقاً بالعلماء .

وسنة ١١٢ اشرك معه في الملك ابنه لويس الملقب بالحليم وما زال في عزٍ ونجاح الى ان توفي سنة ١١٤ فتولى مكانه ولده لويس المذكور. غير ان هذه السلطنة لم تتجاوز سنة ١١٤ حتى انقسمت الى ثلاث ممالك مستقلة وهي فرنسا والمانيا واطاليا وصار تاج السلطنة يتناوله بعض الذرية في ايطاليا مرة واقاربهم من امراء العائلة الكارلوفنجية اخرى حتى انتقل الى طائفة من الاعيان ليسوا من تلك العائلة ثم انتهى الامر بابقاء بيد الامان وانقراض هذه العائلة سنة ١١٧

اما سبب ضعف هذه العائلة وتلاشيها فهو انه لما كان الملك لويس المذكور ابن شارلمان فاترا لهبة وضعيفا غير قادر ان يقوم بحق سياسة كل الممالك التي فتحها والد قسم قبل وفاته سلطته المتسعة بين اولاده الثلاثة سنة ١١٤ كما ذكر. فلك ابنه الاكبر على بلاد جرمانيا والثاني على فرنسا والثالث على ايطاليا. الا انه لم يعين حصولا مناسبة لفصل فرنسا عن المانيا ولكنه اعطى ولده البكر لويس الذي نبأ كرسي سلطنة المانيا بلادا في الجهة الشمالية اليسارية من نهر الرين مع انها كانت من اراضي فرنسا بحسب النجوم القديمة والفواصل الطبيعية. ولما كان هؤلاء الملوك الثلاثة المذكورون غير اهل للقيام بحق ادارة ممالكهم المنسومة كما قام بجنتها جدهم شارلمان شرعوا في استعمال وسائل غير مناسبة واجراءات مضرة ردية ظانين انها توطد اركان سطوتهم وقواعد ممالكهم وسنوا شرائع وقوانين انت بلادهم بعدهم بنوائب عديدة ودواهي كثيرة لاسيما حين صارت سطوة اشرافهم تتزايد وتعاظم

اما تلك التنبيات والاجراءات المضرة التي اقاموها فهي اعطاء الذين يحسنون خدمتهم القابا عالية ورتبا سامية وامتيازات لم ولنسلم من بعدهم وهي التزامات وراثية اي ان يحكموا على مقاطعات من ممالكهم ويورثوها لذريتهم وان يتصرفوا فيها تصرف المالك بالملك وذلك ليستندوا عليهم عندما تمس الحاجة. فاني ذلك باضرار ونكبات كثيرة على ممالكهم لان هؤلاء الحكام مع تنادي الايام

تقووا كثيراً حتى صاروا اصحاب شوكة وسطوة فخلعوا طاعة مواليهم وجاهروهم بالعصيان واستقلوا باقطاعاتهم بعد ثورات ومنازعات وحروب كثيرة . ثم شرعوا يحاربون بعضهم بعضاً ويخربون في البلاد كيفاً شاءوا فاستبدوا وامسكوا اخيراً عنان سلطة مطلقة في ما يتعلق بسياسة الرعايا واقام بعضهم المحروب على نفس الملك فاقى ذلك الدولة والامة بالضعف والتهفر مدة سنين كثيرة . وما زالت عصية اعيانهم تتعاضد وتغتم فرصة التسلط على السلطة الملكية حتى انه في سنة ٨٨٧ قام احد اولئك الاعيان المتزعمين يقال له اودون وهو جد العائلة الثالثة المعروفة بالكاينيانية وسلب الملك من يد العائلة الثانية التي نحن في صددنا الى سنة ٨٩٨ . ومن ذلك الوقت اخذ يتناوله تارة الكارلوفنجيون وطوراً خلفاء اودون المذكور الى سنة ٩٨٧ حين كان لويس الخامس الملقب بالكسلان ملكاً من العائلة الكارلوفنجية فنهض حيث ذكر كبير وزرائه وفعل به ما فعله سالفه الاول باخر ملوك الدولة الاولى . وقبل ان امرائه بلانش دسست له سماً بالاتفاق مع وزيره المذكور هوك كاييت فات في السنة العشرين من عمره الاولى من ملكه وبه تلاثت الدولة الثانية وقام عوضاً عنه هوك كاييت راس الدولة الثالثة

الباب الثالث

في قيام الدولة الثالثة المعروفة بالكاينيانية وسقوطها

من سنة ٩٨٧ الى سنة ١٧٨١

ان هوك كاييت المتقدم ذكره الذي اغضب الملك من يد آخر ملوك العائلة الكارلوفنجية كان من اعظم اشراف فرانسا واشدهم باساً وأكثرهم ولوسهم املاً كما قبض على عنان الملك وتبوأ تخت فرانسا سنة ٩٨٧ واستبد في الملك

الى سنة ٩٩٦ وكان نسله كثيراً وخرج من عائلته رجال كثير من ذو حنق ودراية واقدام وتلكوا فرنسا زماناً طويلاً أطول من الزمان الذي ملكت فيه العائلتان السابقتان . وقد تفرعت هذه العائلة الى جملة فروع وهي امراء كاييت نسبة الى خلفاء هوك كاييت المذكور الذين استمروا يتناولون الملك الى سنة ١٢٢٨ . وامراء فالوا الاولون والثانيون اولم فيليب السادس واخرهم هنري الثالث من سنة ١٢٢٨ الى ١٥٨٩ . وامراء اورليان وهم فرع من امراء فالوا . وامراء بوربون اولم هنري الرابع واخرهم كارلوس العاشر من سنة ١٥٨٩ الى سنة ١٧٩٢ ومن سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٣٠ . ثم فرع اورليان من السنة المذكورة الى سنة ١٨٤٨ . وقد دامت دولتهم بانصال مدة ٨٦٤ سنة منذ سنة ٩٨٧ لليلاد الى سنة ١٧٩٢ حين قُتل لويس السادس عشر عند حدوث الثورة الفرنسية العظيمة التي احدثت انقلابات كلية في الهيئة والسياسة والعوائد . وهذا هو الذي حمل الامة الفرنسية على اعتبار تاريخ الثورة المذكورة حداً انتهى اليه تاريخ القرون المتأخرة

وعندما جلس على كرسي ملك فرنسا هوك كاييت مؤسس الدولة الثالثة كانت البلاد لم تزل على ما هي عليه في زمن الدولة الثانية . فان الجمعيات التي اسلفنا عنها كانت لم تزل مستمرة على عظم شوكتها وتنفيذ اوامرها فكانت هي تتخبط من العائلة الملكية الامير الذي يتولى كرسي الملكة ولا يولى ملك الا برضاها ولم تقدر الملوك ان ترتب قانوناً جديداً من غير رضا ارباب تلك الجمعيات . اما هوك كاييت فانه عند جلوسه على كرسي الملكة احدث في سياستها تغييرات عظيمة اثرت في شوكة الجمعيات العمومية المتقدمة وبغى احكامها فاخذت من ذلك الوقت تتزايد القوة الملكية في فرنسا شيئاً بعد شيء حتى الى ايام الملك كارلوس السابع في الجيل الخامس عشر حين كسر شوكة الاشراف وابطل الترابيب والمحقوق الاتزامية في القوانين العسكرية وانشأ فرقة من عساكر المشاة وجعل عليهم ضباطاً لاجل تعليمهم وقيادتهم فصاروا يخضعون له ويعتبرونه كولي

نعمهم . ثم ان الحروب الصليبية التي كان للفرساويين دخلٌ عظيم فيها ولئن هلك فيها نفوس عديدة وصرف لاجلها اموال جزيلة اورثت البلاد نتائج حسنة جداً سواء كان من جهة المشروعات والترانيب العسكرية ام من جهة اتقان التجارة والزراعة ونحو ذلك

ومن ملوك هذه العائلة فيليب الثاني الملقب اوغسطس جلس سنة ١١٨٠ . وسنة ١١٨٩ اتحد مع ريكاردوس ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وقام الاثنان بجيش جرار وجاءوا سوريا للنجدة الصليبيين وهي الحرب الصليبية الثالثة . ولما وصلا الى سيسيليا اي جزيرة صقلية وقع بينهما شقاق ومنافرة افضت الى افتراقهما . على ان فيليب اوغسطس اتى سوريا وله يوم مجيد في اخذ عكا ثم قفل راجعاً سنة ١١٩١ الى فرansa واخذ يهجم الاحزاب ضد ريكاردوس المذكور انفاً . ولما عاد هذا الاخير الى ملكته بعد عقد الهدنة مع صلاح الدين الابوي انتشبت الحروب بينه وبين فيليب الذي لم يزل فيها فوزاً يستحق الذكر في مدة تلك ريكاردوس ولكنه من سنة ١٢٠٤ الى سنة ١٢٠٥ استخلص من ايدي انكلترا عمالات نورمنديا وانجويوانو . وقد رغب هذا الملك في ترقية اسباب المعارف والتجارة وله عدة مناقب حسنة ثم توفي سنة ١٢٢٢

وقد خلفه الملك لويس الثامن ولم يحدث في ايام امرهم وكانت مدة حكمه ٢ سنين فقط فخلفه لويس التاسع المعروف بالقديس لويس سنة ١٢٢٦ وهو من مشاهير هذه العائلة فهد مصالح الملكة وساسها احسن سياسة وجعل للناج ما يستحقه من الاعتبار والسلطان واقام دعائم الملك على اتمن اساس . وكان نقياً ورعاً محباً للاداب والمعارف . وسنة ١٢٤٤ اعتراه مرض شديد اوشك ان يموت فيه فذره اذا شفي ياتي الى محاربة المسلمين في فلسطين . فقام سنة ١٢٤٨ واتى مصرأ وفتح دمياط سنة ١٢٤٩ ثم تقدم الى داخلية البلاد وصارت بينه وبين جيش المسلمين معركة في المنصورة سنة ١٢٥٠ انتصر فيها ولكن بسبب الجاعة والمرض الذي اصاب جيشه بعد ذلك الازم ان يقتل الى

الوراء فوق اسيراً مع اثنين من اخوته في قبضة العدو فانقضى نفسه مع اخويده
بقتلار من الذهب يبلغ نحو سبعة ملايين فرنك وباخلاء ديمباط ونحوه عن
القطر المصري فخرج من مصر واتي فلسطين واقام فيها مدة اربع سنين وفي اثناء
اقامته فتح قصيرة وصور وهذه كانت نتيجة جميع اعماله في هذه التجربة . واذ
كانت امه تطلب اليه ان يرجع الى ملكته منذ مدة طويلة عاد الى فرانسا
واخذ في اصلاح احوال داخلية . سنة ١٢٧٠ نهض مرة اخرى لنجدة الاراضي
القدس في فلسطين لكنه اتى اولاً تونس بقصد الانتقام من التونسيين الذين كثيراً
ما كانوا يتعمدون على السفن الفرنسية وغيرها ويستلبونها واسمى البحر عرس
السلوك بسببهم . فخرج اولاً بعض النجاج على ان الدهر لم يسأله الى النهاية اذ
اصاب جبهة مرض الطاعون واضر به جداً ثم اصيب هو ايضاً به فادركته المنية
في تونس

وقد ازدادت فرانسا ثمناً ايضاً في مدة فيليب الثالث خليفة القديس
لويس من سنة ١٢٧٠ الى سنة ١٢٨٤ اذ اضاف المذكور مقاطعة لانفسوك الى
التاج وتدخله في جميع المنازعات الحاصلة يومئذ في املاك اسبانيا المسيحية امتد
نفوذ كليته الى ايطاليا لا سيما في نابولي . وقد خلفه ولده فيليب الرابع
سنة ١٢٨٤ فشرع في استرجاع الاملاك التي كانت قد اعطيت الى لوتير
امبراطور المانيا واثار عدة حروب في نفس فرانسا على بعض الامراء الفرنسيين
اصحاب المقاطعات ومع ادورد الاول ملك انكلترا ونجح في اكثرها ووسع نطاق
الملكية ونجح في مقاطعاته ضد سلطة البابا الزمنية وكسر شوكة خدمة الدين وسلطة
الاشراف وجعل بينهم وبين السيادة حاجزاً وهو مجلس المشورة فكانت تنظر
فيه قضايا الملكية والشعب . ووقع بين فيليب الرابع وبين البابا بونيفاس
الثامن مخاصات ومنازعات كثيرة فاخرج البابا المذكور ضد ثلاثة مناشير ودعاه
ضالاً ورايكيكاً ثم حرمة . فاغناظ فيليب جداً وارسل جيشاً الى ايطاليا فقبضوا
على البابا واهانوه اهانة عظيمة واذ لم يكتفر اصحاب فيليب بتنكيس البابا

بونيفاس بما حصل عليه من الاذلال اهانة لم يسمع قط بمثلها وهي انهم اركبوه بغلاً بالملقوب من غير سرج ولجام ووجهه مدار الى نحو مؤخر البغل وطافوا مستهزئين به فذه الاهانة بالحبر الروماني مع فقد امواله الكثيرة التي وضع فيليب ملك فرانسا وقواده ايدهم عليها أثرت به تأثيراً عظيماً اعدته الحيرة

وبعد توفي فيليب الرابع خلفه فيليب الخامس الملقب بالطويل بعد وفاة اخيه لويس العاشر الذي لم يملك الا سنتين. فرجعت فرانسا القهري من ذلك اليوم. لانه بعد موت فيليب الرابع الذي اقام دعائم الملك اخذ اولاده وحذنه في الميل الى الاعيان بدون تبصر في عواقب الامر والنتائج المضرة التي تترتب عليه. فجاء ذلك الاشراف طبق المراد واغتنموا تلك الفرصة لارجاع سلطانهم ثانية باعانة اولئك الملوك الذين كانوا يجهلون مصالح الملك كما ينبغي. وقد حصل مثل هذه الاعانة للاشراف من الفرع الثاني الملكي الملقب بالثقل الذي اشرنا اليه في صدر الكلام عن هذه الدولة وذلك اقتداء بخلفاء فيليب الرابع. فبسبب هذا التصرف المعلوم اشرفت فرانسا على السقوط والاضمحلال بعد ذلك الفوز والنجاح وفتح الباب للدول المجاورة لها على مهاجمتها واستغلالها املاك كثيرة منها فاغتنم الانكليز فرصة اختلال احوالها وضعفها وشرعوا في الحروب المعروفة بحروب المئة سنة وظهرهم في عدة اماكن بعد ان استولوا على جانب كبير من بلادهم. وكان مبدأ هذه الحروب سنة ١٢٢٧ واستمدت الى سنة ١٤٥٢ نشب نيرانها من وقت الى وقت واشهر الوقائع التي انتصر فيها الانكليز على الفرنسيين معركة كريسي سنة ١٢٤٦ وواقعة بواتي سنة ١٢٥٦ حين أخذ ملكهم يوحنا الثاني اسير حرب وتوفي رهوناً في بلاد الانكليز. وبينما كانت فرانسا آخذة في النهوض في زمن حكم كارلوس الخامس الملقب بالعاقل من سنة ١٣٦٤ الى سنة ١٣٨٠ عادت القهري في ايام كارلوس السادس اذ كان قاصراً بعد لا يستطيع ادارة مهام الدولة ثم لاختلال عقله فيما بعد بمرض

المونومانيا . واذ ذاك كادت فرنسا تشرف على الاضمحلال بالكلية خاصة بسبب نزاع وشقاق امراء العائلة الملكية اصحاب الثروة والنفوذ وتداخلهم في سياسة الممالك طمعاً في الاستيلاء على التاج ورغبة في السلطة ونفوذ الكلمة لاسيما مع ما آل اليه امر العائلة الثانية من اشراف وامراء بورغونيا الذين كانت سطوتهم تضاهي سطوة الملك لابل وأكثر من ذلك خاصة في اماره كارلوس المجازف . وما زاد فرنسا ضعفاً ووهناً على ضعفها المشاجرات والمنازعات العديدة التي أهرقت فيها دماء كثيرة بين شيعتي ارمينياك وبورغندا . اما الحروب مع انكلترا فكانت بلا فتور وسنة ١٤١٥ انتصر الانكليزي في واقعة ازنكور وتغلبوا على أكثر الايلات البحرية الفرنسية وتوغلوا في اواسط البلاد واستولوا زمام احكامها ونودي باسم ملكهم هنري الخامس ملكاً عليها وتزوج بعده ابنه هنري السادس فكانت فرنسا مملكة انكليزية محضة جملة سنوات . وبينما كانت غارقة في الحرج اوقيانوس القلق والاضطراب والبلايا محيطة بها من كل ناحية ولا ترى لها منفذاً للتخلص من ذلك الارتباك اذا بطالع سعيد بزغ في افقها سنة ١٤٢٩ وذلك بظهور الابنة جان دارك وهي ابنة احد الفلاحين متظاهرة بالتقوى والورع . فرغمت ان الله ارسل اليها ملاكاً يامرها ان تخلص فرنسا من بلاياها وانه تراءى لها الملاك ومرم العذراء عدة مرات وامراها ان تذهب الى الملك وتطلعه عما كان . فترددت حسب زعمها في اول الامر ثم كاشفت والدها عما كان وطلبت اليه ان يسمح لها بالذهاب الى الملك فلم يجب طلبها ولكنها ذهبت اخيراً خفية عنه وانت الملك كارلوس السابع وكان وقتئذ في شبينون واطلعه على الخبر فتعجب من شجاعتها غاية التعجب ولم يكن لها من العمر حينئذ الا ١٨ سنة . وبعد مفاوضات طويلة انقاد اخيراً الملك وارباب ديوانه الى طلبها وكان الانكليزي يومئذ محاصرين مدينة اورليان وكادوا يفتقونها فجهز الملك لجان دارك المذكورة جيباً صغيراً فقادته بشجاعة نقصر دونها شجاعة الرجال وهمهم ولم يمس الا بضعة ايام حتى انكسر جيش الانكليز وقهر بعد ان فقد منه خلق

كثير وما برحت تطاردهم وتدفعهم حتى اوصلتهم الى مدينة ريمس ثم كسرتهم هناك ايضاً مرة اخرى بعد ان كبدتهم خسائر عظيمة ثم تحولت بالجيش نحو باريس لطرد الانكليز منها وفعلت اموراً ادهشت الانكليز حتى ظنوها ساحرة. وبينما كانت تهاجم مدينة كومبيان هجمت املم الجيش على الاسوار فكبها بها فرسها ووقعت اسيرة في ايدي الانكليز فاخذوها ومن غيظهم منها حكموا عليها بالموت بدعوى انها ساحرة واماتوها حرقاً بالنار فكان ذلك فعلاً ملوماً ومنظراً محزناً جداً تشعرت منه الاجسام. وسنة ١٤٤٤ عُدَّ صلح مع الانكليز بعد ان خسرنا معظم فتوحاتهم في فرانسوا واقتصروا على بعض الاقاليم البحرية. ثم في سنة ١٤٥٢ تجددت الحرب مع الانكليز ثانية ودامت الى سنة ١٤٥٣ فطُرد الانكليز بالكلية من اراضي فرانسوا وكانت هذه الحرب نهاية الحروب المهمة بحروب المئة سنة.

وبعد ان انتقلت فرانسوا من ايدي الانكليز شرع كارلوس السابع في تقويم اودها واصلاح شأنها وازال ما لحق حكومتها من الخلل وجدد بها وجعلها من العساكر المحقرة فكان بذلك قدوة لمن اتى بعده من الملوك حيث سلكوا على منواله ولم يحتاجوا الى طلب العساكر من الامراء المتفرجين كما في الماضي وكسر من شوكة الاعيان جانباً عظيماً وحصل بينهم وبينهم حروب كانت له النصرة عليهم. ثم توفي سنة ١٤٦١ وخلفه ولده لويس الحادي عشر فحفظ حذو سالفه ونقلب على عصبة الاعيان وازاد الى حكمه الفاج احدي عشرة ايالة كانت كل واحدة منها مستقلة بالنصرف ولئن كانت ولايات حكامها بيد الملك في الظاهر. وكان هذا الملك شديد الاستقامة عالي الهمة محباً للعلوم والمعارف وانشأ جملة اماكن لاتشارها وكان محامياً للآداب مكرماً للعلماء واهل الطباعة والفنون وكان قد اخترع هذا الفن في ماينس بوجنا غوتنبرغ سنة ١٤٥٠ ثم نقل الى باريس سنة ١٤٧٠ في عهد هذا الملك فانتسعت بهذه الوساطة دائرة العلوم وتقدمت باقرب وقت. وكان علم الطب يومئذ قليل التقدم مزوجاً بالتضلالات

والاعمال الصربية ولم يكن له مدرسة مخصوصة فجدد له هذا الملك مدرسة
خصوصية سنة ١٤٧٣. وكان لهذا الملك مزيد الافئدة الى المنجارية فاحضر
من بلاد اليونان ومن بلاد ايطاليا كثيرين من ارباب الحرف والصناعات ووجد
للمعامل لعمل الاقمشة المزركشة بالذهب والفضة واقلمة الحرير. ومن عظيم
مشروعاته تربية البريد وكانت البرد في مبداء الامر معدة لمصالح الملك والبابا
خاصة ثم انسمت دائرتها سنة ١٤٨١ حتى صارت تستعمل في مصالح الاهالي
ومراسلاتهم. وبالمجمل احدث اصلاحات كثيرة نافعة ووسع نطاق المملكة بشؤون
ايقاع حروب ولم يحدث في ايامه سوى واغتين ومع ذلك اكتسب بعباسه من
الفتوحات ما لا يكتسبه غيره من الملوك بالاسلحة ثم مات سنة ١٤٨٢ وترك
جميع ثغور المملكة محصنة مستوفية سائر اللوازم

وخلقه ابنة كارلوس الثامن ولم يكن له ما كان لا يه من الاوصاف والحماد.
وكان والده قد ترك جيشا يبلغ ستين الفا على احسن حالة واكمل نظام فخرج
في حروب ايطاليا من سنة ١٤٩٤ ولم تدمت الى سنة ١٤٩٨ وفتح امريّة ميلان ثم
خرجت من يده ولم يبق من هذه الحرب سوى المشقات وفقدان العسكر. ثم
توفي سنة ١٤٩٨ في ريعان شبابه ولم يترك عقباً فخلعه لويس الثاني عشر وهو
اقرب اقاربه اليه فتعدي في الحروب في ايطاليا حتى افنى فيها ماله ورجاله
وفتح سنة ١٥٠٠ امريّة ميلان ثلثة وسنة ١٥٠١ استولى على بلاد لومبارديا
وبالمجمل نقول ان ايام هذا الملك صرفت اكثرها في الحروب ومات اخيراً سنة
١٥١٥ بعد ان خسر اقليم ميلان الذي كان قد فتحه

وقام باعباء المملكة بعده فرنسيس الاول وكان قد اظهر منذ صباه ما
يدل على حسن مستقبله. وكان سالفه قد ولج في حياته بعض ماموريات منج
فيها حتى النجاش فلما استلزم زمام الاحكام شرع في انجاز مقاصد سلطه من جهة
استرجاع ميلان وبعد ان جدد المعاهدات القديمة التي كانت بين فرانس
ودولتي انكلترا والبندقية رجع الى ايطاليا بجيش لم يسبق لفرانس الى ذاك

الوقت انها بعثت بثله الى ما وراء جبال الالب . وكانت الخزينة عند موت
سلفه قد امتست في عسر الا ان ذلك لم يثنه عن عزمو فسار حتى جاوز جبال
الب واتصر سنة ١٥١٥ على سويسرة في واقعة مارينيان واستولى على بعض
المدن المحصنة منها مدينة نوار ونخلي اهل سويسرة عن اقليم ميلان وانعدت
شروط الصلح وصارت حكومة جنيفاً تحت حمايته ثم انكسرت جيوشه في ييكوك
سنة ١٥٢٢ في محاربة الامبراطور شارلكان فخسر اكثر فتوحاته . وسنة ١٥٢٥
عزم على استرجاع ما فقد من الاملاك في ايطاليا فاتصر في مبدأ الامر ثم
انكسر في واقعة بافيا وانجرح ووقع اسيراً في قبضة العدو فاخذ اسيراً الى
اسبانيا وبقي في اسر الامبراطور شارلكان اكثر من ١٢ شهراً . ثم عقدت مشاركة
مألمة تخلية كل الاقاليم التي فتحها فرنسيس في ايطاليا ودفع مبلغ من النفود
نظير فدية وهكذا تخلص فرنسيس من اسره بعد ان قاسى كثيراً . وسنة ١٥٢٩
عزم هذا الملك على ارجاع اقليم ميلان وارسل جيشاً لفتح فانكسر كسرة عظيمة
وتجددت ثانية شروط الصلح وكان الوسيط في عقدها البابا اكليمنضس .
وهكذا مع حذق فرنسيس ودرايته وشجاعته لم تيسر له مدة ملكه ان ينال ما
كان يصبو اليه وبالمجهود استطاع ان يدفع عنه قوة الامبراطور شارلكان
وسطوته

ومن ثم عظم السلام بالمعاهدة التي عقدها فرنسيس مع هنري الثامن ملك
انكلترا . وكان من شروط هذه المعاهدة ان ولي عهد فرنسا يتزوج بالاميرة
مارية الانكليزية . وقد رغب هذا الملك في ترقية اسباب المعارف والفنون
فراج سوقها بعد ان كان كاسداً حتى صار يلقب ابا العلوم والمعارف فكان راية
ان ليس لتعظيم العلماء حد ينتهي اليه وانه ما دام العلم معظماً في ملكه دام عزها
وفلاحها واذا امين فيها سقطت . واذ كان قد نشأ من صغره على حب العلم
ومارسه كان يحب مجالسة العلماء فكانوا يصاحبونه في كل مكان ولا يفرقونه
في اسفاره ولا في منتزهاته وكان يقدمهم المناصب الرفيعة ويجزل لهم العطاء .

وقد اعتنى جداً بالفنون والصناعات وإنشأ عدة ابنية عظيمة فاحرة كقصر
فوتنبلو وقصر سان جرمين وغير ذلك من الابنية المعتبرة الجميلة الى ان توفي
اخيراً سنة ١٥٤٧

ثم خلفه هنري الثاني . سنة ١٥٥٢ اضاف المذكور الى حكم التاج ثلاث
عمالات كان كل منها مرووساً باستقر وكان هؤلاء الاساقفة يقيمون الحروب
على ما جاورهم لتوسيع نطاق عمالاتهم واخضاع جيواناتهم وكانوا يقتلون الرماح
والسيوف وكانوا في كل مكان في حرب مع الاهالي لان الشعب طلب الحرية
وهم طلبوا الطاعة الهباء

وفي ايام الملك كارلوس التاسع الذي حكم سنة ١٥٦٠ حدثت مذبحة
البروتستانت المعروفة بمذبحة ماري برثولماوس سميت بذلك لانها حدثت يوم
عيد ماري برثولماوس في ٢٤ آب سنة ١٥٧٢ . وكان ذلك بامر الملك وشابة
امو ماري دي مديسيس . فاقام الكاثوليكيون المتعصبون بحق تنفيذ هذا الامر
البربري حتى التيام في اكثر انحاء المملكة وكان ذلك النهار يوماً مهولاً على
البروتستانت يفوق وبله وبل يوم ذبح الاطفال في بيت لحم ونواحيها بامر
هيدوس . فقتل في ذلك النهار عدد غفير قيل عشرة الاف في مدينة باريس
وستون ألفاً في باقي مدن فرنسا والخالصة انه كان يوماً جهنمياً وكانت فرنسا
كانها قبر مفتوح معد لابتلاع البشر . ويؤكدون ان الملك نفسه كان واقفاً في
احدى نوافذ صرحه في اللوفر يشاهد تلك المناظر المريعة منهلاً وأنه قتل
عدة انفس بغير ربه التي كان يطلقها على اولئك المساكين . ولما بلغ البابا هذا
الخبر سراً جداً وامر بقيام تشكرات وابتهالات لله في جميع الكنائس الكاثوليكية
من اجل هذا العمل . واستمر ذلك التعصب ضد البروتستانت حملة سنوات
وكانوا يقتلون هوكينوت . ولحوادث تلك الاضطهادات كتب مطولة وشروح
مستوفية

وفي اثناء حكم الملك هنري الثالث آخر امراء عائلة فالوا كانت فرنسا

مقسومة الى ثلاثة اقسام. القسم الاول البرونسانت ورئيسهم امير كونددي وهندي
نافر الذي نبأ سير الملك فيما بعد تحت اسم هنري الرابع. القسم الثاني البوليبيك
او الكاثوليكي المعتدل وانضم هذا الى القسم الال ورئيسه الدوك دالانسون
اخو الملك هنري الثالث. القسم الثالث الكاثوليكي الممصبون او الحمر
ورئيسهم الدوك دي كيز. فوقع بين الطرفين وقائع بطول شرحها وكان
العز فيها للعلمين الاولين. فعقد هنري الثالث صلحا مع هنري الرابع يُعرف
بصلح لوش او بولجو. فهاج حزب الكاثوليكي الممصبين واقاموا الاتحاد المعروف
بالاتحاد المقدس وكانت الغاية فيه تخلص الديانة فهو ذكر الكليتين اي
البرونسانت وبادتهم عن آخرهم. وقرر في ذلك الاتحاد انه من واجبات كل
اهل الوطن ان يصفوا الميو ولا يفتبروا ويعاملوا كأعداء وان يبتضوا على
الملك هنري الثالث ويضعوه في دير ويقيموا مكانه الدوك دي كيز ملكا
على فرنسا. اما هنري الثالث فلما كان مرتابا من جهة غايه ذلك الاتحاد
المدعو بالاتحاد المقدس وكان ايضا يخشى سطوة الدوك دي كيز والاضطراب
نصده فر هاربا من باريس واتى بلوا وارسل يدعو اليه الدوك دي كيز ولما
حضر قتله. فهاج جميع كاثوليكي فرنسا ضده من جرا هذا الفعل فاضطر ان
ينضم الى هنري الرابع وحاصر باريس اذ اوشك ان يغلب عليها فقتل رجل
يدعى كلامان في اليوم الاول من شهر آب سنة ١٥٨٩ مات في اليوم الثاني وبو
اغرض آل فالوا ونودي باسم هنري الرابع ملكا على فرنسا من قسم عظيم
من البجود

وبملك هنري الرابع ابتداء فرع آخر من العائلة الملكية وهو فرع من
البوربون. وكانت ولادة هذا الملك في ١٢ ك ١٥٥٣ في مدينة بوجيت
له قصر باقى الى هذا اليوم على ما كان عليه من القدمية. وهو من سلالة
الكونت روبرت دي كلارمون الابن السادس للملك لويس التاسع. وكان
رجلا حادقا مدركا برونسانتي المعتقد في بداية الامر ولكنه اتبع المذهب

الكاثوليكي فيما بعد لنوال ماري لانه بعد وفاة سالفه هنري الثالث تركه قسماً كبير من الجنود الكاثوليكية فاضطر ان يرفع الحصار عن باريس . ومع كل اجتهاده وشدة بأسه وانتصاره مرتين على مقاوميه في اراك وايفري لم يستطع ان يدخل العاصمة الى سنة ١٥٦٣ حين ترك مذهب اللدويم البروتستانتي واعتنق المذهب الكاثوليكي ولولا ذلك لاستمرت القلاقل والحروب والمنازعات زماناً طويلاً ولم يتمكن من اخضاع القوم وسنة ١٥٦٨ ابرز امراً يعرف بالمرنات نسبة الى المدينة التي أُعطي فيها اجازته للبروتستانت ان يتمتعوا بممارسة رسوم مذهبهم بكل حرية بدون مناع ولا معارض الامر الذي الفاه خفيه لويس الرابع عشر . وفي تلك السنة نفسها عند صلح مع ملك اسبانيا ومن ثم انكب على اصلاح داخلية البلاد واتحاد الفتن وعصب المجراح التي انت بها الثورات والحروب الدينية الالهية وتوفي اخيراً قتيلاً في ١٤ من شهر ايار سنة ١٦١٠ وخلفه ابنه لويس الثالث عشر الملقب بالعاذل

وكان عمر لويس ٩ سنين عند وفاة ابيه فكانت نيابة الملك في يد امه ماري دي مديسيس الى ان بلغ السنة الرابعة عشرة من عمره فقبض على عنان الملك . وكان ضعيف العزيمة فاترا الهمة وكان الكردينال ريشليو الشهير هو الذي يدير امر المملكة ومهاجها واما الملك فكان له الاسم فقط . وفي ايام دولته كثرت الحروب من داخل ومن خارج ولكنه فاز وانتصر فيها . فحارب اسبانيا والنمسا وإيطاليا في الخارج ومن داخل كانت الحروب الدينية فتغلب على البروتستانت ونجح مدينة روشيل التي كان البروتستانت محاصرين فيها من عظم جور الكاثوليكين عليهم وذلك بعد حصار شديد ولكنه لم يبلغ الامر الذي كان والده اجاز به للبروتستانت ان يتمتعوا بحقوقهم الدينية ومات سنة ١٦٤٣ وكان قد سبقه الى القبر وزيره الكردينال ريشليو ببضعة اشهر وهذا الوزير المذكور هو الذي انس الملك المطلق ومهد طريقة لويس الرابع عشر بعد ان كسر شوكة البروتستانت وبما اثر تصرفات الاشراف وهو الذي رفع شأن

فرانسا الى ذرى المجد والفخر في الحروب المسماة بحروب الثلاثين سنة وذلك من سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨ ونقل اليها الرجحان الذي كان قبل ذلك لدولة النمسا.

وبعد وفاة هذا الملك خلفه ابنه لويس الرابع عشر الملقب بالكبير ولم يكن له اذ ذاك من المهر سوى خمس سنين فكان تحت وصاية ووكالة امو حانة دوترش والكردينال مازارين الوزير الاول الذي خلف الكردينال ريشليو وكانت الحروب يومئذ لم تزل متعاقبة فعقد سنة ١٦٤٨ صلح وستفاليا ثم سنة ١٦٥٩ عند صلح البيريني فصارت فرانسا بشروط هذين الصلحين اعظم مالك اوروبا سطوة ونفوذاً وقد تعصبت عليها اكثر دول اوروبا ودافعت حتى الدفاع وازدادت قوتها وسطوتها في صلح نيم سنة ١٦٧٨ ثم اخذت اخيراً بالتقهري من طول الحروب مع اسبانيا المسماة بحروب ورائة اسبانيا . وقد رغب جداً لويس الرابع عشر في ترقية اسباب التجارة والفنون والعلوم وخفض رسوم الاموال الاميرية وفعل اموراً كثيرة مستحقة الاعتبار فزمت البلاد ونمت وكادت تخسف رونق اعظم دول اوروبا ولكن عندما اتى اوامر جده المار ذكرها من جهة البروتستانت اخذت عيال كثيرة بروتستانتية من اهل الشهرة والمعارف والفنون فخرج اوطانها عندما باتت مسلوبة الحرية من ممارسة رسوم ديانتها . ومن ثم حدثت الحروب الكثيرة التي اشرنا عنها وجلبت هذه الامور على الدولة الضعف واناخر الادبي والمادي فاضحت فرانسا فاقدة اكثر فتوحاتها في الشرق والشمال والجنوب وانحصرت ضمن دائرة حدودها الاولى وهكذا فقدت في اواخر ايام هذا الملك العظيم الشان عزا وبهاء ما ورونتها بالنسبة الى اوائلها وبالاجمال نقول ان عصره كان من ابهج وازهى الاعصار السالفة وقد ظهر فيه عدة مشاهير من ارباب الحرب والعلم ككوندي وتورين ودوكازن وكوير ولوفوا وراسين وموليارد ولافوتين وبيالزا وبوسوي وفيلون مؤلف نلباك ولوبرون وغيرهم . وهو الذي انشأ دار الاثابلد وقصر فرساليا

الذي انتق عليه اموالاً جزية وكانت وفاة هذا الملك في الاول من شهر ايلول سنة ١٧١٥ للميلاد في السنة السابعة والسبعين من عمره والثانية والسبعين من ملكه.

وخلفه حفيد ابنه لويس الخامس عشر وكان ايضاً فاطر الهبة ضعيف العزيمة محاطاً بجمهور من النساء اللاتي يجمل الانسان ان يصف بهنّ الذميمة فبات عنان الملك يلتفت في آفة اميالهنّ واغراضهنّ . وحدثت في ايامه حروب كثيرة اكثرها في فائدة دولة فرنسا وذلك من سنة ١٧٥٦ الى سنة ١٧٦٣ وقد حازت فرنسا في ايامه اللورين وجزيرة كورسيكا على انها ضيعت مستعمراتها في الخارج ودام حكمه من سنة ١٧١٥ الى سنة ١٧٧٤ للميلاد ثم توفي بمرض الجدري

وتبعاً بعده نعت الملك حفيد لويس السادس عشر سنة ١٧٧٤ وقد اطلب المؤرخون في مديحه وقالوا انه كان تقياً ورعاً محباً للشعب وراغباً في تقدمه ونجاحه غير انه كان ضعيف العزيمة لا يحق الاركان في نفسه وفي ايام دولته حدثت الثورة العظيمة في فرنسا وهذه الثورة هي ابتداء تاريخ فرنسا الحديث وسقوط الدولة الثالثة الفرنسية

الباب الرابع

في الثورة الفرنسية واسبابها وقيام الجمهورية الى الامبراطورية الاولى من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٠٤

ان الشيء بالشيء يذكر . وقبل ان نشرع في الكلام عن حوادث الثورة التي حدثت سنة ١٧٨٩ رابنا انه من اللازم ان نذكر شيئاً عن الحوادث التي مهدت لها السيل والتي كانت مصدراً لها فنقول . قد علمنا فيما تقدم ان فرنسا ابتدأت بالتأخر السياسي والمادي والادبي منذ اواخر مدة ملك لويس

الرابع عشر وفي زمن تلك ابن حفيد لويس الخامس عشر لان هذا الاخير لم يكن لهم لآل بالقيام بحق شعراؤهم واميلو للفاسدة فلاحظوا نماته كثيرات اتقن في بلاطه في فرساليا مستوليات على قلبه فامسى عنان الدولة في ايديهم وبات زمام ادارة المهام وسياسة العباد في اكف اغراضهم واميلهم ولكن همقات في ما ياتينهم ويأتي اهلهم واعوانهم بالمجد والسطوة وكسب الاموال وتنفذ المارب فاطعات النظر عن صوامع البلاد والرعايا . وفي اواخر ملك لويس الخامس عشر باتت سياسة البلاد الداخلية في ارتباك عظيم وفي ايامه طرد الرهبان اليسوعيون من فرنسا كما طردوا من الممالك الأوروبية الاخرى . فكان ذلك مصدراً لاضطرابات ومقالات كثيرة لان الرهبنة المذكورة كانت ذات شهرة وسطوة عظيمة . فهذه السياسة واعمال اخرى كثيرة نذكرها لا يسعنا ضبط المقام لاستيفائها اضعفت قوة الدولة ولوقعت المالملة في عسر لا مزيد عليه وقطعت العلاقات التي ربطت فرنسا باسبانيا وناپولي ونكست شرفها واذلتها في اعين دولتي انكلترا وروسيا وهكذا امست الامة ففاقدة الامل في ما يرفع عنها ذلك الجور والظلم وبات الجميع ينتظرون زمان الشروع في اصلاح ما قد طرأ من الفساد . ولولم يمت لويس الخامس عشر وطالت حياته ولو مدة يسيرة لاقتدات الثورة في ايامه ولكن ما اخرحدونها مدة خمس عشرة سنة هو نبوءة حفيد نخت الملك لانه كان محباً للشعب جداً وكان يحاول اصلاح الاحوال بتشييد اركان الدولة بالاشتراك مع مجلس نواب الامة الذي كان قد الغاء سالفه

وكانت حيثئذ الامة الفرنسية مقسومة الى ثلاثة اقسام وهي الامراء وخدمة الدين والعامه وكانت اعنة السياسة وزمام ادارة مهام الامور قد اضعفت في ذلك الوقت في ايدي الامراء وخدمة الدين . اما الشعب فلم تكن له يد فيها ولا كان لهم حق في المراتب ولا في ادارة امر ما من الامور العمومية فصرف هذا الملك التعميس الحظ قصارى جهده وحنقه بمساعدة وزرائه لاصلاح احوال

الامة والدولة فلم يات كل ذلك بادنى نتيجة حسنة . ولما كان روح الثورة قد انتشر بين الشعب واخذت الجرائد تتجاوز حدود الاعتدال في الكلام ضد الملك وحكومته رأى لويس السادس عشر ان لا فائدة من الاصرار على الملكية اذ لا عضد له ولا معين فعزم على الخروج من فرنسا وخرج من قصره في التوليزي في ٢٠ حزيران سنة ١٧٩١ ومعه الملكة واخنة وابنة وبنته وركبوا جميعهم مركبة كانت معدة لهم وساروا سرا متكرين ولكنه انكشف امرهم اذ عرفهم في مدينة فارين فقبضوا على الملك واهانوه واعلوا الحكومة في باريس بذلك فارسلت امرا بترجع الملك الى باريس للمحاكمة . فقل ذلك اعتباره عند الشعب والجمعية الوطنية وجعل مضادي الحكومة الملكية يشددون طلب قيام الجمهورية

ولما رأت ملوك دول اوروبا ما هو جار في فرنسا خافوا ان ياتوا هم ايضا هدفا لأمور كهذه وعلى الخصوص بعدما رأوا ما حدث عندما ألقي القبض على الملك اتفق امبراطور المانيا وملك بروسيا بموجب معاهدة سنة ١٧٩١ ما لمّا ان الدول تعتبر ما هو جار على لويس السادس عشر ملك فرنسا كأنه جار عليها جميعا . فاغتاضت الامة الفرنسية من ذلك واجمع رايها مع ملكها ووزرائه على اشهار الحرب على المانيا وبروسيا وكان ذلك في العشرين من نيسان سنة ١٧٩٢ وصادفت الجمعية على ذلك فانتشبت نيران تلك الحروب الشديدة التي دامت مدة ثلاث وعشرين سنة ونالت بها فرنسا الفخر اكامل المجد كما سباني ذكره في مكانه قال الجميع وقتئذ الى الملك ولكن الى مدة قصيرة ثم حدث بعد ذلك امور كثيرة لا يسعنا استيفائها لضيق المقام وهاج الشعب هجانا عظيما وهم على بلاط الملك وطلب اليه المصادقة على نظامات جديدة كانت قد قررتها الجمعية المدعوة بالحكومة الاجرائية فابي وبعد ان حدثت امور يطول شرحها قبضوا على الملك وعلى عائلته وسجنوه في دار التامبل وبقي مسجوناً مدة اربعة اشهر وكان من حبس معه زوجته ماري انطوانت شقيقة امبراطور المانيا

والنساء ثم ابنة وابنة وشقيقته الاميرة البصابات وخادم. وفي اثناء سجنه اقيمت
الحجة عليه بانه قد خان الوطن وحتفوا عليه كل الحقن لاسيما عندما راوا
انتصارات جيوش الاعداء الالمانية والبروسية وعهددها العاصمة. وفي ٢١ ايلول
سنة ١٧٩٢ اقاموا جمعية الكوثانسيون ناسيونال اي جمعية اتفاق الامة وقررت
هذه الجمعية باتفاق اعضائها الغاء الملكية وقبضت على زمام السلطة الاجرائية
والنظامية وكانت الجنود الفرنسية قد اظهرت ما لا مزيد عليه من الشجاعة
والبسالة وسرعة الحركة في محاربة الدول المتحدة فسرت الحكومة الجمهورية
الفرنساوية بهذا النجاح واعلنت وجوب الغاء المظالم الناتجة عن وجود الملوك
في كل اوربا ونشرت اعلاناً ماله انها مستعدة ان تساعد الامة التي ترغب في
خلع ملكها طلباً للحرية واعلنت ايضاً انها ستلغي السلطة الملكية من كل البلاد
التي تدخلها جنودها وتقيم عوضاً عنها سلطة الامة وتلقي المحجز على املاك خدمة
الدين والامراء قيماً بحق مصاريف الحرب وكان كل ذلك في ١٥ كانون
الاول سنة ١٧٩٢

وبعد انقضاء اربعة اشهر من تاريخ سجن لويس السادس عشر واقامة
الحجة عليه كما تقدم حكم عليه بالموت فطلب الملك فرصة ثلاثة ايام ليستعد فيها
لموت فرفض مجلس النواب ان يمنحه أكثر من ٢٤ ساعة وفي صباح ٢١ من
كانون الثاني سنة ١٧٩٢ جاءوا بالملك الى محل القتل موثق بالدين وكانت
تلوح على وجهه علامات الشجاعة وعدم الاضطراب. فخلع ثيابه ولما وصل الى
اعلى المكان المعد للقتل بعد عن المجلادين وتقدم قليلاً الى جهة الساحة حيث
كان مجتمعاً جمع غفير وجيش جرار. وقال مخاطباً الشعب بصوت مرتفع.
ايها الفرنسيون اني اموت برياً ما اتهمني به هذا الشعب واسامح من رغب
في قتلي واسأل الله ان لا يجعل فرانساً مسئولية سفك دمي. وكان يرغب ان يطيل
الكلام غير ان الاوامر صدرت بضرب الطبول والالات الموسيقية العسكرية
حتى لم يقدر احد بعد ان يسمع صوت الملك فساقوه الى الذبح وضرب عنقه

وحدث بعد قتل الملك في فرنسا شعبٌ عظيمٌ وكان القتال مشتتاً خارج المملكة وداخلها وكانت البلاد في ذلك الوقت كأنها قبرٌ مفتوحٌ معدٌّ لابتلاع القتلى . ووقعت فرنسا في الحروب المستطيلة التي انت بها بعد قتل ملكها . اذ تحالفت جميع الدول على محاربتها وابداء شعبها واقتسام مملكتهم . وكان في مقدمة هذه الدول النمسا وبروسيا . وزد على ذلك الحرب الاهلية التي اثارها اهل بلجيوم وولاية فاندني بسبب سياسة جمعية الكوثانسيون الملوثة الخالية من المحفانية وفي ٨ شباط سنة ١٧٩٢ اشهر مجلس الكوثانسيون الحرب على انكلترا وهولاندا وجميع دول اوروبا ما عدا اسوج والدانيرك وفينيسيا والدولة العثمانية . فاشتبت نيران الحرب في كل فرنسا وكان ابتلاؤها في بلاد بلجيوم في ٢٠ شباط سنة ١٧٩٢ ومن ذاك الحين كانت الحروب متصلة بين فرنسا واكثر دول اوروبا ودامت الى سقوط الامبراطورية الاولى سنة ١٨١٥

وحدثت بعد ذلك امور كثيرة فظيعة نقشعثر منها الابدان . منها انهم بعدما حكموا على الملك بالقتل اقاموا ايضا المحجة على الملكة واتهموها بانها كانت مشاركة في كل اعمال زوجها وحكموا عليها بالموت ايضا فاركبوها مركبة لنقل البضائع واتوا بها الى حيث كانوا قد قتلوا زوجها من مدة قريبة وبعد ان صعدت على المذبحه خرَّت على ركبتيها وصرخت صوتاً مرتفعاً قائلة يا الهي اسالك ان تسامح قاتلي . ثم نهضت فساقتها الى المذبحه وقتلوا ذلك في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٧٩٢ ودفنوها في القبر الذي كانوا قد دفنوا فيه زوجها منذ تسعة اشهر واخذوا ولدها ولي العهد وسلوه لرجل اسكاف وقوضوا اليه امر تربيته . وكان رجل يُسمى روبسبير مشهور بالظلم والعدوان قد تولى ادارة تلك الهمة القاسية البربرية فاستدعى الاميرة اليصابات شقيقة الملك لويس السادس عشر التي كانت لم تزل مسجونة في دار التامبل واقام محاكمتها في ٩ ايار سنة ١٧٩٤ في مجلس الجنايات حيث أصدر عليها الحكم بالموت فقتلوا ظلماً وعسواناً في نفس ذلك النهار

ثم ان روبسير المذكور لكي يميل بالشعب اليه كان قد امر قبل ذلك بنهب الكنائس والاديرة وباضطهاد خدمة الدين بوجه الاجمال وايضا قتلهم فاقام القوم بمعنى تنفيذ هذا الامر البربري حتى القيام . ثم امر بتفريز نسق جديد لحساب الاشهر والسنين وكان قصده ابطال جميع الاصطلاحات السابقة وقرّر اول التاريخ منذ قيام الجمهورية في ٢٢ ايلول سنة ١٧٩٢ . وغير اسماء الاشهر والايام مبتدئاً من شهر ايلول وقسم الاسبوع الى عشرة ايام وغير اسماء الايام فسمي يوم الاحد الاول والاثنين الثاني واثلاثا الثالث ولم يجرأ الى العاشر . وكان كل شهر ثلاثين يوماً وازاف لآخر السنة ستة ايام . وبعد ان اصبح وجهه قابضاً على زمام الامور شرع في نشر ما كان يجب ان ينشره من تعاليم فولتير وروسو الكافرين للذين كانوا قد همّوا بحب الثورة في قلوب الفرنسيين وعملوا وقوعها بواسطة كتاباتهم . في ١٠ ايار سنة ١٧٩٤ امر روبسير بعد ان اتفق مع اعوانه الاردباء نظيره الذين كانوا يدعون انهم ينوبون عن الامة بابطال الديانة المسيحية وجميع الاديان واعلن انه من الواجب ان يفر الانسان بوجوده الخالق وخلود النفس فقط . وامر ايضاً بقتل خدمة الدين وجميع اللذين يتصرفون ويخربون لم . ففاز هؤلاء الاردباء الاشرار مدة ولكن بعد ذلك بمدة ليست طويلة حدثت ثورة في باريس وسقط روبسير ورفاقه من رجال الحكومة واقامت الدعوى على روبسير نفسه وعلى اعوانه لحكم عليهم بالموت فنالوا جزاء اعمالهم الشنيعة البربرية وماتوا موت الانزال . فانه عندما صعد ذلك الذي خُصّب ارض فرانساً بدماء اولادها هو واعوانه على المذبحة اظهروا من الخوف والحيين ما يعيب الرجال فكانوا يكون كالاطفال حتى ان بعضهم ماتوا من مجرد النظر الى قتل رفاقهم وكان ذلك في ٢٧ و ٢٨ تموز سنة ١٧٩٤ وكانت جيوش الحكومة قد انتصرت وطردت جيوش الاعداء من فرانساً واسترجعت مدينة طولون من الانكليز بالقوة وذلك تحت ادارة شاب لم يتعود بعد خوض المعارك ولم يحضر في ساحات القتال قبل حضوره في هذا الحصار

وهو البطل المشهور نابوليون بوناپارت وبعد ذلك امرت بجميع الامم من
الاهالي ورجعت الراحة الاهلية مدة يسيرة اذ حدث بعد ذلك قلاقل كثيرة.
وفي ٢٧ تشرين الاول سنة ١٧٩٥ اقاموا حكومة جديدة تعرف بحكومة
الدبركتوار مؤلفة من خمسة اشخاص مديري للحكومة الاجرائية ولذلك دُعيت
حكومتهم حكومة الدبركتوار اي الحكومة المدبرية ودامت هذه الحكومة من
٢٧ تشرين اول سنة ١٧٩٥ الى ١١ تشرين الثاني سنة ١٧٩٩ للميلاد وحدثت
في زمانها حروب كلية نالت بها فرنسا انحر اكليل الجهد والسطوة والقوة.
فحاربت المانيا والنمسا اولاً ثم حاربت دول ايطاليا المختلفة تحت قيادة القائد
بوناپارت الشهير فانتصر انتصارات كلية وفتح كل ايطاليا ووضع عليها ضرائب
واقام فيها حكومات واضعاً لها نظمات وقوانين جمهورية . وكانت وتنتز
ايطاليا مقسومة الى ممالك صغيرة ودوقيات مستقلة اكثرها خاضع للنمسا وبعد
ان انتصر في معارك عديدة وقعت بينه وبين جيوش النمسا في ايطاليا ومهد
الامور وعند معاهدات مع دول ايطاليا ودوقياتها تقدم لمحاربة النمسا في اراضيها
وهناك ايضاً فاز فوزاً عظيماً وفتح اكثر مدنها غير ان الجيوش الفرنسية
الاشرى التي كانت تحت قيادة غيره من اشهر قواد فرنسا لم تاتي بنتيجة حسنة
عندما كانت تحارب المانيا والنمسا من الجهة الشرقية وارتدت الى فرنسا بعد
وقائع كلية بدون ادنى نتيجة . ومن ثم طلبت دولة النمسا الصلح فعقد بوناپارت
معها صلحاً اتى فرنسا بالثغر والشرف والفوائد السياسية والمادية وعاد راجعاً بعد
ذلك الى باريس فتلقاء الشعب والحكومة بمزيد الاعتبار واتى الجميع عليه
مزيد الشناء والشكر وكان ذلك سنة ١٧٩٧ . وبعد ان اقام مدة في باريس
عرضت عليه حكومة الدبركتوار ان ياخذ قيادة العمارة البحرية التي كانت قد
تعينت لغزو الاساكل الانكليزية ولكنها استصوبت اخيراً الراي الذي كان
قدمه بوناپارت بفتح البلاد المصرية وبلاد سوريا لكي تكونا مفتاح بلاد الهند
وكان جل قصد الحكومة ان تبعده عن فرنسا لانها امست خائفة سطوته .

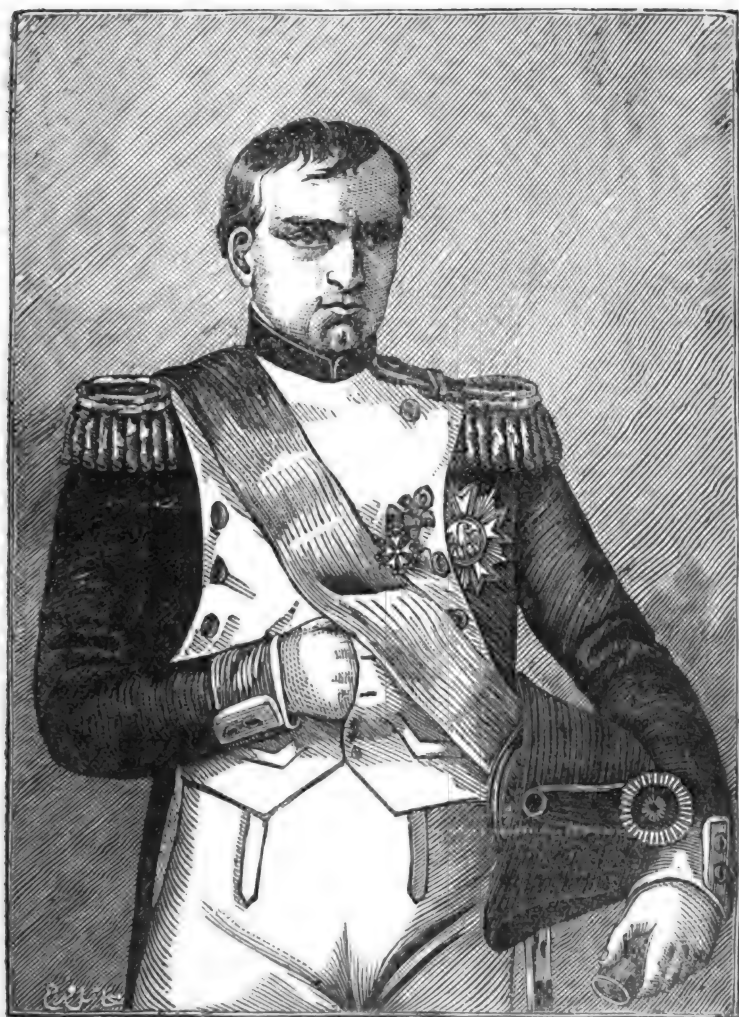
فجهزت له اربعة وثلاثين الف جندي مع عدد عظيم من السفن البحرية الحربية
والخرى لطل الممات . فركب بونابارت هو وجده تلك السفن واقبلوا
قاصدين الاسكندرية . وفي اثناء السفر فتح جزيرة مالطة من غرسان انصاريت
المقدس وقد مر ذكرهم في تاريخ آل عثمان . فتترك بونابارت فيها ثلاثة الاف
عسكري وتقدم الى الاسكندرية مع بقية الجيش واكثر السفن فاخذ الاسكندرية
والاسياكل البحرية ثم تقدم بحوده الى داخلية البلاد قاصداً القاهرة فاستولى
عليها بعد معركةين انتهت بدمائها يصفويين مراد بك قائد جيش المالك .
الاولى عند الرحمانية بالقرب من دمهور . والثانية امام اهرام الجيزة . وفي غضون
ذلك وردت اليه الاخبار لجهة اتصال عمارة الانكليز على عارضة الفرنسية في
اي فير واخراق الجانب الاكظم من بوارجه واسر الجانب الاخر فتكدر
واضطرب لانه امسى متصلاً عن فرنسا ومع كل ذلك ما زال الامل بخامر
خفية بالتغلب على جميع الموانع والصعوبات وبعد ان مهد الامور في النظر
المصري تقدم برفقة من الجنود لفتح بلاد سوريا فاخذ العريش وغزة وبافا
وتقدم واقام الحصار على عكا متباح هذه البلاد وضابها جنأ واشك ان يفتحها
لولا مساعدة الانكليز للجزائر والى سوريا ووقع مرض الطاعون بين صفوف
عسكره فالتفت راجعاً عنها ناراً فتوحات في المدن التي ذكرناها آنفاً وعاد الى
مصر ومنها سافر راجعاً الى باريس بعد معركة اي فير الثالثة التي هلك فيها ١٢
الف جندي من عسكر آل عثمان والانكليز ناراً بقيادة الجيش الاول الى القائد
المشهور كليبر الذي لم يكن دون بونابارت بالشجاعة والحدق والدرابة وقد
قتله فيما بعد رجل احق بسميعة من قبل المالك ومُسلًى مصر . فقام بونابارت
اخطاراً عظيمة في اثناء سفره الى ان وصل الى فرنسا اذ اشك ان يبيت اسيراً
في قبضة الانكليز وذلك في اواخر سنة ١٧٩٩ للميلاد . وكانت دولة النمسا
ودول ايطاليا يتوقف عن اجراء بعض شروط المعاهدة التي قررها بونابارت
قبل ذهابه الى مصر وكانت انكلترا تهيج دول اوروبا على فرنسا فباتت تلك

المعامدة متعلقة بين الملوك والجماعة واخذت فرنسا والنمسا ودول ايطاليا تستعد جميعاً للحرب وفي اثناء ذلك بعثت فرنسا سرذمة صغيرة تحت قيادة القائد هومبرت وعازمة بحرية الى ايرلاندا من املاك انكلترا لضم نذر الهيمان بين الاعمالى ويحلم على العصيان املاً بتقريب انكلترا لعلها تطلع عن نزع النمسا وباقي دول لوروا على فرنسا ثم اخذت تهمز جيشاً اخر لخدمة القائد هومبرت في ايرلاندا فتاخر ذلك فحارب هذا للقائد بالنفر القليل الذي كان معه مدة ليست بقليلة واضطر اخيراً ان يسلم وبعد ذلك امت بعض البوارج الانكلزيرة ببعض الجنود وانزلتها في ميناء اوسفند الفرنسلوبة لخدمة الاوقيانيوس فدفعهم الفرنساويون واهلكوا منهم عدداً كثيراً

هذا وكانت حكومة نابولي قد اشهرت الحرب على فرنسا وولجت قيادة جيشها الى القائد النمساوي ماك فخاربه القائد الفرنساوي في ايطاليا وكسره واحتولى على مدينة نابولي نفسها والزم الملك واهل بيته واعيان دولته ان يتجهوا الى البوارج الانكلزيرة التي كانت تحت قيادة الاميرال نيلسون في جزيرة صقلية وقرر القائد الفرنساوي الجمهورية في تلك البلاد وبلا كانت اللافل والاضطرابات آخذة بالازدياد ودول اوربا مضطربة على كبح عنفوان الفرنساويين اخذت فرنسا تستعد كل الاستعداد وتجهز الجنود واخيراً لما رأت انه لا بد من فتح الحرب بعثت في ١٢ اذار سنة ١٧٩٢ الى القائد جوردان صورة اعلان اشهار الحرب ليهبث به الى دولة النمسا وامرته حكومة الديركتوار ان يهاجم جيش النمسا الذي كان تحت قيادة الارشيدوق شارل وبعثت ايضاً ببلى هذه الاوامر الى القواد الذين كانوا في ايطاليا وهكذا شبت الحرب وقامت على قدم وساق فنجمت المجوش الفرنساوية في اول الامر كل النجاح وكان نجاحها في ايطاليا مستديماً غير ان جيش الرين الذي كان تحت قيادة جوردان انكسر اخيراً ونفهر الى الحدود ولولا بعض الموانع التي حالت بين الارشيدوق النمساوي وبينه لانزل به الويل والهوان . فعاد القائد جوردان الى باريس

تاركاً قيادة جيشه الى أحد أركان حربه ليعرض على الحكومة سوء حالة الجيش
والاحتياجه الى الزاد والمهمات وفي غضون ذلك كان رجوع بونا بارت من مصر
ولما اتى بونا بارت باريس وجد حكومة الديركتوار في أسوأ حال فاقدة
سلطونها واعتبارها إذ ليس لها رئيس فيه الاهلية واللياقة لان يدبر مهام امورها
كما ينبغي فاخذ بمساعي اخيه لوسيين وبعض اعوانه ممن كانوا يميلون اليه بقلب
الحكومة المديرية واقامة حكومة جديدة فنجحت مساعيه واطل حكومة
الديركتوار واقام الحكومة المعروفة بحكومة الكونسولات وفي مؤلفة من ثلاثة
اشخاص يدعون قناصل وتبوأ هو رياستها فسمي قنصلاً أولاً الى عشرين سنين وكان
ذلك في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني سنة ١٧٩٩ ثم سمي قنصلاً مدة حياته
سنة ١٨٠٢ وسنة ١٨٠٠ بعد ان تبوأ المسند الاول في الحكومة الجديدة استلم
قيادة جيش ايطاليا وتقدم لمحاربة ايطاليا والنمسا اذ نكثتا بالعهود التي كان
عندها معها قبل سفره الى مصر فحاربها واتصر عليها بينما كان القائد مورو
قائد جيش الرين متصرفاً في الجهة الشرقية. فطلبت النمسا الصلح فعقد معها
معاهدة تعرف بمعاهدة لونيل وذلك في ١٤ تموز سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٠٢ عقد
معاهدة أميين مع الانكليز غير ان هذه المعاهدة لم تدم من الطرفين وتجدد بعد
ذلك العدوان والتنافر

هنا وبعد ان انتهى بونا بارت اعماله العظيمة في الخارج انكب على اصلاح
داخلية بلاده وضد جراحاتها التي انت بها الثورة والحروب الكثيرة الداخلية
والخارجية وسوء ادارة مهام امور الدولة التي كان يسوسها قوم غير اهل للقيام
بمحن ادارة اعمال عظيمة وكثيرة الاهمية لاسيما في تلك الظروف الصعبة التي
بانت فيها فرنسا فكثلت مساعيه بالنجاح العظيم. وهكذا بعد ان كان مهام
المجلس القضائي (السينا) سنة ١٨٠٢ قنصلاً طول حياته على الجمهورية رقاءً الى
الامبراطورية سنة ١٨٠٤ وهكذا انتهت الحكومة الجمهورية الأولى في فرنسا
التي دامت اثنتي عشرة سنة



ناپوليون الاول امبراطور فرنسا ودين

الباب الخامس

في قيام الامبراطورية الفرنسية الاولى وسقوطها وارجاع الملكية
وسقوطها ايضا الى قيام الجمهورية الثانية والامبراطورية
الثالثة وذلك من سنة ١٨٠٤ الى سنة ١٨٤٨

انه لما كان هذا الفصل ذا اهمية كلية في تاريخ فرنسا وكان معظمه متعلقا
بالامبراطور نابوليون الاول ولم تصد في ما تقدم لتقرير حياة هذا الرجل العظيم
راينا قبل ان نستوفي الكلام من جهته ان نقرر اولاً ولو بالابحار خبر حياة هذا
الرجل الذي لم يتم في الارض كثير من نظيره فنقول
ان نابوليون ولد في ١٥ آب سنة ١٧٦٩ للميلاد في مدينة اجاكسيو عاصمة
جزيرة كورسيكا التي كانت قبل ذلك تابعة لولاية جينوا الايطالية قبل ان
تفتحها فرنسا وضمها الى بلادها. وكان والده شارل بوناپارت من المشهورين في
الجزيرة المذكورة وكان له ثمانية اولاد فخمسة منهم ذكور وهم يوسف ونابوليون
ولويسين ولويس وجيروم. وثلاثة منهم اناث وهن ليزا وپاولينا وكارولينا.
وكانت ولادة نابوليون بعد ان استولت فرنسا على تلك الجزيرة بنحو شهرين
وكان ينو في الثامنة ويتقدم في الآداب تحت ادارة امو التي كانت على جانب
عظيم من التهذيب والتفوق والدراية لان اباها شارل بوناپارت توفي حديث
السن فاعتنى بامر عائلته اخوه لوميين الذي كان رئيس شامسة وكان يخصص
بالاعتناء نابوليون اذ رأى فيه ما يدل على حسن استعداداته. ولما كان هذا
الشاس على مضجع الموت اجتمع حوله اولاد اخيه كلهم فقال مخاطباً كبيرهم وهو
يوسف انك انت اكبر اخوتك سناً غير ان نابوليون هو اكبركم دراية ومعرفة

ولا يقتصر في المستقبل الى اعتناء احد فانه قادر ان يعتني بذاته
ولما بلغ نابوليون سن العشر سنوات أدخل الى مدرسة حرية في مدينة
برين فاقام فيها اربع سنين وانصب كل الانصباب على المطالعة واقتبال العلوم
ولاسيما العلوم الرياضية وهام بمطالعة التاريخ جئاً . وكان حاد الطباع قليل
الكلام والحركة قليل اللعب وكثير التفكير وكان شديد الميل لمطالعة فن الهندسة
ولاسيما ما كان يتعلق منها بهندسة الحصون والقلع ولما بلغ سن الاربع عشرة سنة انتقل
من مدرسة برين الى مدرسة باريس فبرع جئاً وفاق على جميع التلامذة رفقاءه .
وفي اول ايلول من سنة ١٧٨٥ نال الدبلوم وهي شهادة المدرسة ورتبة وكيل
قائمقام في سلك المجدبة وبعد مدة قصيرة ارسلوه الى فرقة من الجيوش مقيمة في
مدينة فالانس فرقوه الى رتبة قائمقام وبعد ذلك بستين اتى باريس ولما
ابتدأت الثورة سنة ١٧٨٩ كان بوناپارت في مدينة فالانس ومع ان كثيرين
من المأمورين والضباط كانوا يخرجون من الخدمة العسكرية ثبت بوناپارت
في خدمته وقبل بالثورة وبالتغيرات التي انت بها ثم رفته جمعية الكوثانسيون
الى رتبة فريق بعد حصار طولون وفتحها من الانكليز وهكذا ما زال نجم سعيه
يطلع في برج السعود الى ان اضحي في قبضة يد عنان اعظم شعوب العالم
وادارة مهام امورهم وذلك عندما اقامه المجلس النضائي ١٨٠٤ امبراطوراً
على فرنسا وبعد ذلك بسنة سبي وتزوج ملكاً على ايطاليا في مدينة ميلان
الابطالانية

الا ان الدولة الانكليزية منذ سنة ١٨٠٣ لم تكن تنظر الى ترفي نابوليون
واجراءاته بعين القبول فجددت التنافر مع فرنسا وكانت تترقب الفرص
لاذلالها ولم ترض ان تعقد معه صلحاً ولا ان تعرفه رئيس الامة الفرنسية فغضب
من ذلك واخذ يجري استعدادات وتجهيزات كلية لقطع خليج المانش وغزو
المملكة الانكليزية وبينما هو منهمكاً في ذلك اتحدت دولة النمسا مع دولة روسيا
على محاربتهم فانهم ان هزك استعداداته البحرية وبحول وجهه نحو تلك الصاعقة

المجدبة فتغلب على النمسا وروسيا ودخل فيينا عاصمة النمسا وفتح الأوسترو روس في معركة أوسترليتز الشهيرة وبينما كان صدى انتصارات نابوليون ماثلاً واسطاً أوروبا سنة ١٨٠٥ كانت الأخبار مكدرة لجهة العارة البحرية الفرنسية التي أبادها الأميرال نيلسون الأنكليزي في ترافلكار حيث قتل فيها أيضاً. فبعد انتصار نابوليون في أوسترليتز عند مع النمسا الصلح المعروف بصلح بريسبورج الذي به وجّه ضم إلى ملكة إيطاليا املاك فينيسيا المعطاة للنمسا سنة ١٧٩٨ وسنة ١٨٠١ وجعل دوقيني ورتنبرج وبافاريا في سلك الممالك وأعطى دوكية بادن الكبرى إلى صهره مورات وملك مملكة نابولي من فردينند الرابع ملك سيسيليا المزدوجة فأعطاه سيسيليا فقط وهي جزيرة صقلية. وأعطى أخاه يوسف مملكة نابولي وأقام أخاه لويس نابوليون ملكاً على هولاندا. وأنشأ الاتحاد المعروف باتحاد الرين فبطلت امبراطورية المانيا وبات الاتحاد المذكور تحت حماية نابوليون وذلك سنة ١٨٠٦

أما أنكلترا وبروسيا وروسيا فكانت تنظر إلى هذه الأمور بعين النور والخوف من اخلال ميزانية أوروبا. فانفتحت بروسيا وروسيا على مقاومة نابوليون واشهرتها الحرب على فرنسا. فقام نابوليون سنة ١ٸ٠٦ وحارب بروسيا أولاً وقهرها قهراً عظيماً ودخل برلين عاصمتها وأخذ منها ضرائب وبعض اقسام من مملكتها ثم حارب اسكندر الاول الروسي واتصر عليه أيضاً ببعض معارك عظيمة وعند معه ومع ملك بروسيا صلح نيلسبت سنة ١٨٠٧ وأقام أخاه جبروم بوناپارت ملكاً على فاستفاليا من اعمال المانيا وجعل سكسونيا في سلك الممالك وفصل املاك بروسيا في بولونيا وجعلها دوكية تُعرف بدوكية فارسوفي الكبرى وإضافها إلى مملكة سكسونية. ومن جملة اشروط التي ثررت في معاهدة هذا الصلح بعض شروط سرية منها معاهدة دفاع ومهاجمة واقتسام مالكة أوروبا بين القيصر الروسي والامبراطور الفرنسي خلا المملكة العثمانية والمملكة البريطانية. وإن كل دول أوروبا تقفل ميناها على السفن الأنكليزية ولا تدخل

بلادها وفي تلك السنة نفسها عقدت مشاركة بين فرنسا وإسبانيا مآلها انقسام دولة البورتوغال بينها ودخلتها الجيوش الفرنسية واستولت على عاصمتها ليسبون وهرمت العائلة الملكية الى بوجينبرو في برازيل ومن ذلك اليوم امتدت الحرب هناك بين فرنسا وإنكلترا الى سقوط الدولة البونابارتية . وسنة ١٨٠٨ تم كتاب التشريع الفرنسي المعروف بكود نابوليون لانه هو الذي شرع فيه وتم تحت مناظرة وفي السنة نفسها دخل موراث صهر نابوليون اسبانيا بثمانين الف جندي فوقع من ذلك فيها الشقاق والفلاق حتى اضطرت العائلة الملكية ان تلجئ الى بايون . ومن ثم اقام كارلوس الرابع ملك اسبانيا نابوليون قاضياً بينه وبين ولده لنصل الخلاف الواقع بينها فكانت النتيجة اخيراً استعفاء كارلوس وابلاذو وتنازلهم عن الملك لنابوليون . فاقام نابوليون اخاه يوسف نابوليون ملكاً على اسبانيا . وتبوأ تحت ملكة نابولي عوضاً عن اخيه يوسف صهره موراث . الا ان ذلك لم ياتِ بنتيجة حسنة لالملك الجديد ولا لامبراطورية . لان الاسبانيوليين لم يكونوا يرضخون لما ياتهم بالذل والعبودية ومن ذلك الحين الى سقوط الامبراطورية لم تقدر الحروب بين اسبانيا وفرنسا لاسيما ان انكلترا لم تكن تقدر عن معاضدة اسبانيا طوراً باخذ السلاح ظاهراً وتارةً ببذل الذهب الواضح فهلك في الحروب الاسبانيولية من سنة ١٨٠٨ الى سنة ١٨١٢ ما ينوف عن ٤٠٠٠٠٠ نفس من فرنساويين والمان وإيطاليان وبولونيين

ولما كانت فرنسا قد ضعفت بسبب فقدان عدد عظيم من نخبة جيوشها نهضت دولة النمسا ناكثة بالهود سنة ١٨٠٩ لمحاربتها فلاقاها نابوليون وكسر جيوشها في جملة معارك هائلة وحاصر فيينا ورمها بالقنابر والكرات المحشوة واستولى عليها وبعد ان فاز في معركة واغرام الهائلة فعوض ان ينسب املاك النمسا الى ولايات صغيرة ارتضى باخذ بعض مقاطعات وبعتد عهد الزواج على الاميرة ماري لويزا ابنة امبراطور النمسا فتزوج بها وطلق امراته الامبراطورة جوزيفين التي قبلت بشرب تلك الكأس المرة فخرمه البابا لاجل ذلك الهل

المذموم اما نابوليون فلم يبال بمجرمو وارسل وقض عليه وأتي به الى فرنسا
اسيراً وبقي بها الى سنة ١٨١٤ . وسنة ١٨١١ ولد له ولد ذكر من زوجته ماري
لويزا ودعي من حين ولادته ملك رومانية

وسنة ١٨١٢ اشهرت الامبراطورية الحرب على القيص الروسي لانه نكث
بعهود هلمسليست فنهض نابوليون بجيش جرار وقطع المانيا ودخل بلاد روسيا
فوقعت بينه وبين الروسيين معركتان كبيرتان وما زال يطارد العدو الى
ابواب موسكو عاصمة روسيا في ذلك الوقت حيث التقى بالجنرال كوتوزوف
الروسي فهزم جيشه وشتت شمله ودخل موسكو . غير ان الروسيين كانوا قد
هياؤا طريقة لاهراق عاصمتهم قبل ان يخلوها فاضرموا فيها النار وكاد يهلك
نابوليون وكل جيشه . فانهم الفرنسيون واخذوا من ذلك الوقت يتنهفرون
ويهلكون افواجاً افواجاً من البرد الشديد والجوع والمرض . واخيراً لما اخذ
الضعف منهم كل ماخذ شرع القواد الروسيون في مهاجمتهم ومطاردتهم فهلك
اكثرهم الا القليل فهرب نابوليون وعاد الى باريس منتكراً وجنّده صفوفاً جديدة
وخرج سنة ١٨١٢ لمحاربة الدول المتحدة وهي روسيا والنمسا وبروسيا واكثر
ولايات المانيا التي كانت قد هاجت عليه بسبب خيبتة في حربه الاخيرة مع
الروسيين فاتصر اولاً وفاز ولكنه غلب اخيراً ودخل المتحدون باريس
واشهروا ارجاع الملكية من سلالة آل بوربون في ٢١ اذار سنة ١٨١٤ ودعوا
لويس الثامن عشر وهو اخو لويس السادس عشر المقتول . فاستغنى نابوليون
في ٤ نيسان سنة ١٨١٤ واعطوه جزيرة الالب لملك عليها فاقام فيها عشرة
اشهر ثم عاد ودخل فرنسا في اول اذار سنة ١٨١٥ واتى باريس بدون مقاومة
فهرب لويس الثامن عشر ليلاً وعاد الى انكلترا

اما الدول المتحدة فلما رأت ذلك نهضت ايضاً لمحاربة فرنسا ومعها انكلترا
فخرج نابوليون من باريس واخذ قيادة الجيش واتصر في لينبي على الجيوش
البروسية انتصاراً عظيماً ولكنه غلب في معركة واترلو الشهيرة من الدول

وليتون قائد الجيش الانكليزي وكانت معركة هائلة جداً فانتفى راجعاً الى الورا ودخل باريس وتنازل عن الملك الى ابنه نخت اسم نابوليون الثاني في ٢٢ حزيران سنة ١٨١٥ غير ان الدول المتحدة لم تقبل بان يسوا نخت فرانساً احد من سلالة نابوليون . وكانت مدة حكمه بعد رجوعه من جزيرة الالب مدة يوم فقط وبعد تنازله عن الملك ذهب الى روشفورت وطلب من حكومة انكترا ان تقبله ضيفاً في بلادها حيث بقي نخت شرائع البلاد وقوانينها فركب من روشفورت البارجة الانكليزية المسماة بلروفون فانت به الى بليهور احدى الموانى الانكليزية وقبل ان يتزل منها الى البر ارسلت اليه الحكومة الانكليزية معتمدين انكليزيين اعلنا له انه اسير الدول المتحدة فاقام المحبة على ذلك ولكن من غير فائدة فابتغته الحكومة الانكليزية في البلروفون نخت الترسيم عشرة ايام ثم شيعته الى جزيرة القديسة هيلانة في جنوبي الاوقيانوس الانلاتيكي فبقي هناك اسيراً الى ان توفي في ٥ ايار سنة ١٨٢١ تحت ودفن وبنيت جنته هناك الى سنة ١٨٤٠ ثم اتى به الفرنسيون من تلك الجزيرة ودفنوه في دار الانفاليد في باريس وهكذا كانت نهاية الامبراطورية الاولى الفرنسية وصاحبها

وبعد سقوط نابوليون والامبراطورية انحصرت فرانساً ضمن حدودها القديمة ودعت الدول المتحدة الملك لويس الثامن عشر ثانية لينبوا نخت فرانساً فجلس على كرسي الملك ثانية في شهر تموز سنة ١٨١٥ ودامت مدة ولايته ٩ سنوات ثم توفي سنة ١٨٢٤ بدون عقب فنبوا نخت الملك اخوه كارلوس اماشر وله عدة اجراءات حسنة وفي ايام ملكه فتح الفرنسيون جزائر الغرب في ٦ تموز سنة ١٨٣٠ وبعد هذا الانتصار ببضعة ايام اراد تقرير بعض قوانين مغايرة لروح الشعب وسلب حرية المطابع والجرائد فلما غاظ هذا الامر الشعب جداً وحدث هيجاناً عظيماً كانت نتيجة سقوط كارلوس عن نخت الملك وذلك في ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ تموز سنة ١٨٣٠ فاستغنى متنازلاً عن الملك لحنده الدوك دي بوردو ولكن بدون نتيجة . فذهب الى اكوس في بلاد الانكليز ومن هناك اتى

براغ ومنها إلى كورنيز مدينة نمساوية وتوفي فيها سنة ١٨٢٦ في السنة ٨٠ من عمره. فتبطل تخت الملك بعده لويس فيليب من سلالة آل اورليان في ٩ آب سنة ١٨٣٠ وكان على جانب عظيم من الحذق والدراية والشجاعة والافتداه. وقد اطلب المورخون في مدحهم. واحداث اصلاحات كثيرة في فرنسا ودامت ولايته من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٨ اذ حدثت الثورة الفرنسية الثالثة فسقطت الملكية ثانية وأقيمت الجمهورية الثانية فذهب لويس فيليب وعائلته إلى ألكنترا ومات هناك سنة ١٨٥٠ في السنة ٧٧ من عمره وفي أيام هذا الملك تم فتح الجزائر في افرقية

الباب السادس

في قيام الجمهورية الثانية من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٥٢ وقيام
الامبراطورية الثالثة من سنة ١٨٥٢ الى ١٨٧١ وسقوطها
وقيام الجمهورية الثالثة سنة ١٨٧١ الى ١٨٨٤

كثيراً ما يرى ارباب السياسة من نافذة المحاضر ما يحدث في المستقبل.
ان نابوليون الاول عند ما قدم له المجلس القضائي تاج الامبراطورية قال لم
بعد ان شكرهم وشكر الامة الفرنسية انه سيركض في المستقبل احد انسابي
سرير هذه السلطنة ايضاً. وما قد جاء الزمان الذي اثار عنه ذلك الرجل
العجيب حيث سقطت الملكية ثانية وأقيمت الجمهورية الثانية وتبوء المسند الاول
في ادارة مهام امورها لويس نابوليون ابن اخي الامبراطور نابوليون الاول. هذا
ولما كان خبر رجوع الملك للسلالة البونابارنية مستحق الاعبار لم نجد بداً من
تقرير بعض الاسباب والحوادث الاكثر اهمية بهذا الشأن وذلك بالايجاز الكلي
فنقول

ثم بعد عودة نابوليون الاول بالحنية من معركة واترلو اجتهد بان يقيم ابنة الذي من امرأتها الثانية والذي كان ولي عهد فرنسا امبراطوراً على فرنسا تحت اسم نابوليون الثاني فلم تسلم بذلك الدول المتحدة فأرسل الى جده امبراطور النمسا حيث ربي في بلاطه وتوفي بدها الممل سنة ١٨٤٢

فلما توفي ولي عهد نابوليون الاول صار حتى الملك على تخت فرنسا للبرنس نابوليون الثالث الذي كان قد اخرج اسمه في دفتر ولاية العهد عند ولادته اذ لم يكن لنابوليون الاول عمو ولد لان للشرعية التي سبقت بمصادقة الامة في ولاية العهد لم تعط حتى ارث الملك اذ لم يكن للامبراطور نسل الا لاولاد يوسف ولويس واذا لم يكن لنابوليون الاول والاخي يوسف اولاد ادرج اسم شارل لويس ابن لويس نابوليون تطبيقاً للشرعية المار ذكرها في راس دفتر سلالة العائلة النابوليونية وجرى احتفال عظيم عند ولادته كانه مزيج ان يكون وريثاً لتخت مملكة فرنسا . فلما توفي ابن عمو ولي العهد الشرعي واصبح هو ولي عهد الامبراطورية اخذ يعلق امله بالمستقبل وبصرف قصارى جهته ومساعدته في الوصول الى ما طالما كان يتمناه . وبعد رجوع الملكية الى فرنسا خرجت الاوامر بتفي العائلة النابوليونية من كل تخوم فرنسا

واذا كان البرنس نابوليون غير مرمك بدوام حكم الملك لويس فيليب وعالم كراهية الاعيان جميعاً للملك المشار اليه ما كان يراه من ميل العامة نحو وشدة ميل جموع الفرنسيين نحو الامبراطورية السابقة عزم اخيراً سنة ١٨٣٦ على الخروج من ظلة المنفى الى ساحة الشهرة وجعل يبذل جهده باساعة اسمه واكتساب الشهرة وذلك بواسطة التأليف الكثيرة التي نشرها من سنة ١٧٩٢ الى سنة ١٨٣٦ وباستخدام غيرها من الوسائط ايضاً ولكن بمقدار ما كان صبت العائلة النابوليونية شهيراً كانت الوسائط التي استخدمها لنوال مرغوبه قاصرة وضعيفة ولم تاتو بالمرغوب ومع ذلك لم يتر من التظاهر والاجتهاد لنوال غابته الى ان قبضت عليه اخيراً الحكومة ونفته الى البلاد المتحدة ثم عاد منها

عندما بلغه خبر مرض والدته في سويسرا أقام عندها نحو شهرين الى ان ماتت سنة ١٨٢٧ ثم اخذ يجدد الوسائط للول مرغوباته وكانت فرنسا في تلك الايام مرتبكة بسبب المعاهدة التي عقدت بين الدول في اوربا في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ التي كان من شروطها منع فرنسا عن الدخول في الاتحاد الاوروي . فكان اخراج فرنسا من ذلك الاتحاد سبب خسارة سياسية كلية .

وفتح الباب للبرنس نابوليون ان يقيم ثورته في فرنسا

فلاخذ البرنس بصرف جهده وحمته في ذلك ولكنه لم ينجح ايضا بل قبض عليه وسجن في قلعة هام وبقي مسجوناً مدة ست سنوات محاولاً الى ان اتت سنة ١٨٤٦ لما بلغه مرض والده الذي كان شيخاً ومشتقاً على الموت وانه يرغب في ان يرى ولده قبل وفاته ولو مرة واحدة . فلياماً نجح في الالتجاءات النبوية ارضى بان يطلب من الملك لويس فيليب ان ياذن له ليعضي ويدفن والده ثم يرجع الى السجن ليعضي باقي حياته كما قد حكم عليه فلم يجبه الملك الى ما طلب فعزم على الفرار لكي يرى ابيه الذي كان متنبأاً حينئذ في مدينة فيورنسا فدير طريقة للفرار من تلك القلعة مع ما فيها من الخنزير والجنود ونجح فيها . فخرج نابوليون من تلك القلعة بعد ان حلق شاربيه وتزني بزني فاجل واتى بلجيكا ومنها الى مدينة لندن ولما علمت حكومة فرنسا هربه كتبت الى دوك توسكانا ان لايسمح لنابوليون بالدخول لبلاده وهكذا سد بوجهه باب الذهاب الى والده المريض وصارت انكثرا متفياً جديداً له

ولما فرنسا فكانت في ذلك الوقت في هيجان واضطراب عظيم وذلك لان الاهالي كانوا قد طلبوا الى الملك لويس فيليب اصلاح قوانين الانتخاب وغير ذلك فرفض طلبهم فزاد ذلك هيجان الامة وسلبت الامنية وكثر التعدي واقتل في شوارع باريس ولم يعد الملك بأمن على حياته والتزم ان يهرب الى انكلترا . فدامت الاحوال على هذا المنوال وامتد النزاع الى كل اطراف فرنسا ونودي بالجمهورية واستقر الراي اخيراً على انتخاب البرنس نابوليون

ليكون رئيساً لها فتسلم زمام الامور في ٢٠ ك ١ سنة ١٨٤٨ واخذ يصرف المهمة
بنفع اصحاب الاهوال المحرفة واصلاح الخراب الذي احدثته الثورة عند سنوط
الملك لويس فيليب . ولم يمض الا القليل حتى توطدت الامنية واخذ دولاب
الاعمال يدور كجاري عادته . وسدت ابواب القتل والفساد وفتحت المدارس .
هذه فضلاً عن الاصلاحات التي احدثتها في دوائر الاحكام والمحاسن والعسكرية
وهكذا ما زال نابوليون يزد سطوته ويوطد اركان دولته باسئالة قلوب
الامة مع ما كان له من الاصداد والانهزام الانداء وفرنسا تتقدم وتتو بوماً فبوماً
الى ان ارقى الى مسند الامبراطورية في ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٥٢ فجاز
قصب السبق على كل ملوك اوربا ووصلت فرنسا في ايام دولته الى اعلى
درجات المجد والشرف واصبحت ميزان العالم السياسي

وفي اوائل السنة الثالثة من ثبوته نابوليون تخت الملك شبت نيزان حرب
القرم اي سنة ١٨٥٤ التي دامت مدة ثلاث سنوات وانتهت سنة ١٨٥٦ فكان
فيها للجيش الفرنسي من الاعمال الحرية العظيمة ما اكسبها عظمةً ومجداً لا
مزيد عليها . وبعد ان فتحوا قلعة سيستانبول طلب القيصر الروسي الصلح
وعقدت الجمعية الدولية في باريس بعد ان كانت تجري في فيانا عاصمة النمسا
وقرروا معاهدة سنة ١٨٥٦ المعروفة بمعاهدة باريس . ومن ذلك الوقت اضعفت
باريس مرتعاً تزداد اليه اكثر ملوك الجبل التاسع عشر واعيانوه

وسنة ١٨٥٩ حدثت حرب ايطاليا فاخذ نابوليون نفسه قيادة الجيش
للماربة اوستريا فخارب الامبراطور فرنسيس يوسف وانتصر عليه في معركتي
ماجانتا وسولفرينو وكسر جيوشه واخذ منه ما كان باقياً من املاك الايطالية
تحت تسلطه وضما الى ممالك ايطاليا فانفردت كل ايطاليا امةً للناهما واخذ مقابل
ذلك مقاطعتي ساقوا ونيس وعقد الصلح مع اوستريا بعد ان قهرها . وسنة ١٨٦٠
ذهبت الجيوش الفرنسية تحت قيادة الجنرال موتوبان مع بعض الجيوش
الانكليزية وكانوا جميعاً ١٥٠٠٠ مقاتل فدخلوا الصين ثم الكوشين صين

وكسروا جيوش امبراطور الصين الكثيرة العدد والعِدَد وبددوا ثلهم. فبعث امبراطور الصين بدعوم للصلح فصالحوه تحت شروط لو سمعها قبل ذلك الصينيون لاقشعرت ابدانهم منها . وسنة ١٨٦٢ ارسل نابوليون جيشا الى المكسيك وفحصها واقام عليها امبراطورا الارشيدوك فرديناند مكسيميليان شقيق امبراطور اوستريا. ولكن هذه الحرب لم تجدي نفعاً لفرنسا ولذلك الامبراطور المنكود المحظ لانها كانت سبب انصرام حياته ولم يجن نابوليون منها سوى الفدح واللوم في سياسته والمصاريف الباهظة على خزينة الملكة. وهكذا ما زال طالع نابوليون وفرنسا سعيداً الى سنة ١٨٧٠ حين ثبت نيران الحرب الاخيرة بينها وبين بروسيا والمانيا . ولا يخفى ان من جملة الاسباب التي سببت فجع الحرب هي احفاد كامنة في الصدور من عهد طويل لانه كان ان انتصر الفرنسيون في معركة ينا سنة ١٨٠٦ للبلاد صم البروسيون على اخذ الثار الى ان اتشبت نيران معركة ليبسيك ومعركة واترلو وما المعركتان اللتان سيتنا سقوط نابوليون الاول ودخول المنتصرين لاسيا البروسيين الى باريس فهكذا تمكن البروسيون من ان يخذلوا بعض ما كان عندهم من الرغبة في الانتقام . لان الدول المتحدة مع بروسيا كانت تمنعها عن تنفيذ كل ما رآها وهكذا كانت الامتان تنتهزان كل فرصة لاتنتقام احدهما من الاخرى . وما زالت الاحفاد كامنة في الصدور الى ان وقع ما وقع والذي هيج هذه الاحفاد ما حصل سنة ١٨٦٧ من النزاع بين هاتين الدولتين بسبب اقامة بروسيا في لوكسمبرج ولولا مداخلة انكلترا لاتشبت الحرب بينها فان جمعية لندن الدولية اصلحت الامر في تلك السنة وهكذا اخذت نيران الحرب التي كادت تشب في ذلك الزمان اخماً وقتياً . لان رماد السياسة سترها بدون ان يطفئها

ومنذ حدوث الثورة في اسبانيا سنة ١٨٦٨ وخلع الملكة ايزابلا عن الملك اخذ الاسبانيون يسعون في اقامة ملك لينبأ عرش ملك بلادهم وكان الجنرال بريم الاسبانيولي قد صرف اقصى جهده بهذا الشأن الى انهم اخبروا طلبوا الامير

ليوبولد البروسي . فلما بلغ نابوليون دولته بان الامير ليوبولد ارتضى بان يصير ملكاً على اسبانيا وراى في عين السياسة ان ذلك ما يحل بينانية اوروبا اذ يجعل اتحاداً قوياً بين دولتي اسبانيا وبروسيا . ويعرض فرنسا ايضاً الى مخاوف عظيمة اذ يجعلها في مركز خطر نظراً لوضعها الجغرافي التزم ان يشهر الحرب ضد بروسيا فموسطت انكلترا لانها اذ ذلك الخلاف بسياسة الاقلام ولكن بدون فائدة . ولا ريب ان بروسيا كانت تعلم جيداً ان سماحها لاميير الماني ان يجلس على كرسي ملكة اسبانيا يسبب شوب نيران الحروب بينها وبين فرنسا ولكنها تظاهرت بعدم مداخلتها في ذلك فيما كانت ترغبه وتعصده سراً وفي ١٦ تموز سنة ١٨٧٠ اشهرت فرنسا رسمياً الحرب على بروسيا وخرج نابوليون من باريس ومعه قيادة الجيش وخرج ملك بروسيا ايضاً من الطرف الآخر قائداً جيوشه الجرارة وحدثت المعركة الاولى بين الفريقين في ٢ اب امام مدينة ساريبروك وكان الفوز فيها للفرنساوين وحضر هذه المعركة نابوليون وابنه وفي المعركة الاولى والاخيرة التي انتصر فيها الفرنسيون وكان سبب رجائهم فيها منافعهم الرائنة التي كانت تحصد صفوف البروسيين ومن ذلك اليوم لم يتم للفرنساوين قائم في جميع الحروب والمعارك التي حدثت بين الفتيين وما زال الفرنسيون في تأخر والبروسيون في نجاح الى ان حدثت معركة سيدان في ٤ ايلول وانهر الفرنسيون فيها اي انهار واحاط بهم الالمان من كل جهة واخذوا يرمونهم بالكرات المحشوة والمحرقة فاشتعل القسم الاعظم من المدينة وكادوا يهلكون جميعاً لولا طلب التسليم وذلك بعد ان بذلوا ارواحهم وكل ما هو في طاقتهم للتخلص من الاسر الميمن فلم يجديهم نفعا . فسلم الامبراطور نابوليون سيقته لملك بروسيا وكل جيوشه ايضاً واصبح اسيراً مع نحو ثمانين الفا من الجنود وبقي اسيراً في قصر ويلهم شو في فاستفاليا من اعمال المانيا الى ان انتهت الحرب بين فرنسا وبروسيا

ولما بلغ ذلك الخبر الشعب والحكومة في باريس اضطربوا اضطراباً عظيماً

واخذوا في تحصين العاصمة والاستعداد للحصار واعلنوا سقوط الامبراطورية واقاموا حكومة مؤقتة تُعرف بحكومة المحاماة عن الوطن وذلك في ٤ ايلول سنة ١٨٧٠ اما البروسيون فما برحوا ينتصرون في اكثر المعارك التي كانوا يقيمونها لابل في جميعها ويحاصرون القلع ويفتحونها وتقدموا وحاصروا باريس وفي اثناء ذلك سلم المارشال بازين في مينس مع نحو ١٥٠٠٠٠ جندي فسبقوا اسرى الى المانيا افواجا افواجا. وما زال الالمان يقيمون الحرب على قدم وساق ويشددون الحصار على باريس ويرمونها بالكرات المشوة الى ان سلمت اخيرا وعُقدت شروط الصلح بين الدولتين المتحاربتين تحت شروط لم يجر لها مثيل في كل القرون الماضية. ومن جملتها سلخ ولاية الازراس وخمس ولايات اللورين من فرنسا ودفع غرامة الحرب خمس مليارات من الفرنكات. وهذا المقدار يبلغ نحو نصف عشر مال العالم وابقاء خمسين الف جندي الماني في ولايات فرنسا الى ان تدفع التضييعات المذكورة فهذا ما جعله فرنسا من هذه الحرب الاخيرة اي هلاك عدد عظيم من الانفس والذل والهوان وفقد جانب عظيم من اخصار اراضيها وهكذا سقطت الامبراطورية الثالثة وعادت الجمهورية ثالثة ورئيسها ادولف تيرس

وبينا كانت هذه الامور جارية مع الاعداء في الخارج كانت القلاقل والاضطرابات آخذة كل مأخذ من داخل بين الفرنسيين انفسهم فان كثيرين من رؤساء الاحزاب ومحبي الثورات كانوا قد هيجوا واستمالوا كثيرين من الارباش وسفلة النعم طمعا بالارتقاء الى المراتب السامية فاقاموا جمعية بباريس تعرف بالكمون واتخذوا من حزم بعض القواد والجنود واقاموا الثورة في باريس واخذوا يهيجون الشعب للقيام ضد الحكومة الجديدة فوضعوا ايديهم على مخازن الحكومة ومهاتها وتحصنوا في باريس حاسين ان حكومتهم هي الحكومة الرسمية وطاعين في حكومة تيرس واعوانه واذ لم تقدر الحكومة على توقيف الثورة والثائرين بقلم السياسة اضطرت ان تلجئ الى اخذ السلاح واشهار الحرب

عليهم فحاصرت باريس زماناً ليس بقليل ووقع بين الفتيين عدة وقائع الى ان فازت اخيراً حكومة تييرس بالنفوز والغلبة والقت القبض على من كان له دخل في تلك الثورة وقتلت البعض ونفت البعض الآخر وهكذا اخذت الراحة تعود الى فرنسا . على ان اولئك الثائرين لما رأوا عدم نجاحهم في ما طالما صوبوا اليه اخذوا يوقعون السلب والنهب في باريس واحرقوا اعظم قصورها واجمعها واتلفوا كثيراً من الآثار النفيسة التي لا تعوّض واحترق جانب عظيم من مكتبة اللوفر المتعبدة فكان ما اتلفه الفرنسيون انفسهم يقارب ما اتلفه الالمان في زمن الحرب بطوله

هذا وقد ظن أكثر الناس في اثناء الحرب بين فرنسا والمانيا . وبعد نهايتها ان فرنسا لا تخرج من هذه القهقري التي قفلت اليها الا بعد زمان طويل جداً وظن البعض انها ربما لا تخرج منها الى ما شاء الله على اننا نرى انه لم يمض الا بعض السنين حتى رأينا هذه الامة العظيمة الشان قد نهضت نهوضاً عظيماً من سقطتها وقد وفّت غرامة الحرب المائلة المقدار واخذت تتقدم سريعاً جداً وقد توطدت الامنية في داخليتها واخذت دولاب الاعمال يدور كجاري عادتو على محور جيد وفي ٢٤ شهر ايار سنة ١٨٧٣ استعفى تييرس من رئاسة الجمهورية وانتخب مكانه الماريشال مكاهون الذي شهرته نغني عن ذكر صفاته وفي خلال سنة ١٨٧٨ تنازل المذكور عن الرئاسة وانتخب مكانه جول كرفي في بداية سنة ١٨٧٩ وهو الرئيس الحالي . ومن اعمال الجمهورية الحاضرة اشهار سيادتها على تونس الغرب وذلك سنة ١٨٨٠ ثم اسبلاؤها على تونكين ومحاربها الصين سنة ١٨٨٤

الفصل الرابع

في تاريخ مملكة الانكليز

الباب الاول

في جغرافية انكلترا ووصفها الحالي

ان المملكة الانكليزية كائنة على جريئين منفصلين فالاولى تدعى جزيرة بريطانيا الكبرى وتشتمل على انكلترا وويلس واسكونسيا المعروفة باسكونلاندا. والثانية جزيرة ايرلاندا ولذلك يسمي الانكليز ملكهم مملكة بريطانيا الكبرى وايرلاندا. فجزيرة بريطانيا واقعة على شطوط اوروبا الغربية يفصلها عن فرانسَا المخليج الانكليزي الذي عرض مضيقه ٢٥ ميلاً. اما ايرلاندا فموقعها غربي جزيرة بريطانيا على مسافة نحو ٦٠ ميلاً ولكن جانباً منها اقرب جداً الى اسكونسيا

ومع ان هاتين الجزيرتين لا تُعدّان من البلاد المتسعة وبقيتها تُعتبر من الرتبة السابعة من ولايات اوروبا بالنظر الى المساحة فاهاليها لبسوا باقل من ٢٢ مليوناً ويتبعها ايضاً تملكات خارجة كثيرة في القارات الاربع بحيث ان مملكة بريطانيا تحكم على اكثر من ٢٠٠ مليون تقريباً من الشعوب كما يظهر من الجدول الآتي. هذا عما هي عليه من القوة البحرية واتساع المنجر والمعامل والصنائع والعلوم فلذلك تُعتبر الاولى على وجه الارض في الغنى والقوة والهيئة الاجتماعية

عدد سكان بريتانيا الكبرى وما يتبعها

عدد

في بريتانيا

عدد

في أنكلترا ووالس	٢٢٢٠٤١٠٨
في اسكتلندا	٠٢٢٠٨٦١٢
في ايرلندا	٠٤٤٠٢٧٥٩
في جزيرة مان	٠٠٠٥٢٨٦٧
في جزائر نورمونديا	٠٠٠٩٠٥٦٣
عساكر وبحرية خارج البلاد	٠٠٢٠٧١٩٨
	٢١٨١٧١٠٨
	١٥٩٦٦٦٤٢٨
في الهند الشرقية	
في املاكها الخارجية ما عدا الهند	

عدد

في اوروبا	١٦٠٢٦٩
في اميركا	٥١٢٢٧٢٢
في افريقية	١٨٦٠٠٠٠
في اوستراليا	١٩٥٨٦٥٠
في سيلان	٢٤٠٥٢٨٧
في هونك كونك وغير اماكن	٤٢٦٠٤٧
	٢١٩٤٢٥٧٢
	٢٠٢٤٢٧١٠٨

اما اوصاف اهلها فلا يمكننا اطالة الشرح بالتكلم عنها ولكن يجب القول
بانهم شريفو النفس اصحاب حرم وعزم في الامور محبو الوطن وعمل الخير مستقيمو

السيرة والتصرف متكفون على التقدم في الصنائع والعلوم وعندهم الحرية الكاملة في اعمارهم وطبائعهم ومذاهبهم شديدو الرزانه. والديانة العامة بينهم هي البروتستانتية

وفي هذه البلاد انهر كثيرة منها نهر التاميس الذي تصعد فيه مراكب كثيرة الى لندن ونهر مرسي الذي يصب في بحر ايرلاندا وغيرها والهواء معتدل في هذه الولايات وارضها مخضبة واهلها يعتنون في ابر الزراعة اكثر من غيرهم. وفي هذه البلاد معادن كثيرة من الفحم الحجري والحديد والنحاس والرصاص والتصدير. وفيها من المعامل العظيمة ما لا يوجد في ممالك اوروبا

وقصة بريتانيا الكبرى مدينة لندن وهي اعظم مدن العالم وعدد سكانها مع ضواحيها بنوف عن ثلاثة ملايين نسمة واسواقها نحو عشرة آلاف سوق يخرجها نهر التاميس في الوسط فتعبر الناس من جانب الى اخر على جسور متقنة جئا منها حديد ومنها حجر وليس لهذه المدينة سورٌ يحيط بها كباريس وبرلين وباتي مدن اوروبا الكبيرة بل يحيطها خلافاً ظريف متبعٌ بضيق صغيرة وقصور وانية مستظرفة لسكن فصل الصيف وفي هذه المدينة كثيرٌ من الابنية العظيمة مثل كنيسة وستمنستر وكنيسة ماري بولس وسراي بوكينهام التي هي محل اقامة الملكة. وفي هذه المدينة سكك حديدية كثيرة جانبٌ منها نحت الارض بين الاسواق يسير فيها الناس من جهة الى اخرى باسرع وقت

ومن مدن انكلترا مانشستر حيث تعمل الاقمشة القطنية للعالم. وليفربول وهي ميناء تجاري لمراكب العالم. وبرمينكهام وشفيلد محل عمل الآلات والاسلحة الحديدية وغيرها. وفي الجهة الغربية من انكلترا مقاطعة وياس يتكلم اهلها بلغة مخصوصة لانهم الانكيز. وفيها جبال كثيرة يستخرج منها الفحم الحجري وغيره من المعادن ومع ان اهلها كانوا قديماً في غابة التوحش فالان يعيشون حسناً وهم اصحاب غيرة واجتهاد

اما اسكوثلاندا فهي الى جهة الشمال من انكلترا وهي منسومة الى قسمين.

اعلى واسفل فالقسم الاعلى يشغل على جبال عالية باردة وبعض سكانها يتكلمون
 الغاليكي الذي يعسرفهمه . اما القسم الاسفل فهو لجهة الجنوب يعادل انكلترا
 في الجودة واهله يعتنون جداً في العلوم ويرغبون في اشاعة المعرفة وتكثر في
 هذه البلاد معادن النعم والحديد وفيها معامل عظيمة ومدارس كلية واشهر مدنها
 ادنبرج وفيها مدرسة طبية لا نظير لها في كل بلاد الانكليز . وكلاسكو وهي
 شهيرة في معاملها واقمشنها

اما جزيرة ايرلاندا فيفصلها عن جزيرة بريتانيا الكبرى خليج مار جرجس
 ومجر ايرلاندا وهي جيدة التربة وهوائها رطب معتدل واهاليها فقراء بسبب
 عدم الثقات الحكومة . فكثير منهم يهاجرون بلادهم ويستوطنون في اميركا .
 ولكن المأمول انه بواسطة التغييرات الجديدة التي احدثتها الحكومة ستتحسن
 احوال هؤلاء الشعوب الذين اكثرهم باباويون . ومن اشهر مدن هذه الجزيرة
 دوبلين ولفاست . وكانت هذه الجزيرة مستقلة قديماً لم تغلب عليها الانكليز
 الا سنة ١١٧٢ مسيحية ولم نصر جزءاً من الملكة الا سنة ١٨٠١ حين قبلت في
 المعاهدة مع القسمين الاخرين

الباب الثاني

في اصل البريتانيين القدماء واصنافهم وديانتهم وتملك
 الرومانيين على بلادهم الى سنة ٤٢٠ للميلاد

ان اصل البريتانيين لا يعرف بالتحقيق وتاريخهم القديم كباقي التواريخ
 القديمة لا يؤثق به والمرجح عند العامة ان بريتانيا نشبت شيئاً بعد شيء من
 محلات مختلفة من قارة اوربا غير انه لا يعلم في اي وقت دخلها الناس أولاً .
 والمخبر الوحيد الذي يؤثق به من هنا القليل هو ان جماعة من الكلتيين وهم

فرع من الغالين اي الفرنسيين الذين مقر بلادهم بين نهر السين ونهر غارون اتوا من شطوط فرنسا ونزلوا على شواطئ بريطانيا بدون مقاومة احد وكان قصدهم في انتقام توسيع دائرة مغرمهم وفقاً لارادة ملكهم نيوتات الذي كان محباً للتجارة ونفذها حباً مفرطاً . ثم بعد هولاء اتى ايضاً قوم من البلج من شمالي فرنسا وهم ايضاً فرع من الغالين وسكنوا البلاد . فرما ينتسب الى هاتين القبتين البريتانيون الاولون



كلتيون سكان بريطانيا الاقدمون

ولم يكن للبريتانيين القدماء شيء من المعرفة والندن فكانت ملابس العامة من جلود الوحوش الضارية وكانت زينتهم صنع اجسادهم بعصير بعض النبات يطلون به ابنائهم واحياناً ينقشون عليها صور بعض الحيوانات . اما المتقدمون فيهم فكانوا يتدرون بمآزر من قاش حول وسطهم ويطوفون اعناقهم بسلاسل من ذهب ونساءهم يلبسن اساور ذهبية . وكانت مساكنهم اكواخاً خفية يقيمونها تارة من اوراق الاشجار وطوراً من طين وكان شغلهم الوحيد صيد الحيوانات واشبهوا عرب البادية جائلين من مكان الى آخر بحسب فصول السنة

فكانوا في زمن الصيف يجلون غالباً في الاودية المنخفضة حيث يجدون مرعى وماء لمواشيهم وفي الشتاء يتقلون الى التلال والجبال لاجل النشاف للصحة . وكانت مأكلاهم لحوم الحيوانات والالبان ولكن بعد دخول البيجين من غالبا علوا الاهالي ما كانوا يعرفونه من امر الزراعة ومن ذلك الوقت ابتدوا ان يصطنعوا الخبز . اما احكامهم فكانت عائلية اعني ان كل رب عائلة كان مسئولاً لجيرانه عن عائلته

وكان الشعب ينقسم الى ثلاث رتب اشرف واكبروس وعامة وكان اهل هذه الرتبة الاخيرة من ادنياء الشعب يعاملون كالعبيد اما الاشرف فكانوا كالامراء كل منهم يحكم على مقاطعة مستقلة واما الكهنة فكانوا ينقسمون الى ثلاث رتب اخصها المعروفة بالدرويد . فكانوا معتبرين عند الشعب وكان لهم حق المناظرة ايضاً على كل اعمال الرعية وكان لرئيس هذه الرتبة السلطة والتصرف المطلق في كل الاشغال . فقام تسلط الدرويد على الشعب الى زمن نيمون امبراطور الرومانيين حين استولى على البلاد وامر بقتلهم . واما الرتبان الاخران فاختصت لجلها بنظم الاشعار وانشادها على التباير والآخرى بالدرس العقلي للفلسفة والاعمال الطبيعية وفي كل علم او كار من شأنه ان يذهل الشعب ويجعل لهم حرمة عظيمة في عينيه . وبناء عليه اعتبر الشعب اهل هذه الرتبة انصاف الهة ممتازين بمواهب سماوية خصوصية . اما ديانة البريتانيين فكانت صنمية من النوع الاردن وكثيراً ما قدموا ذبائح انسانية لاهلهم الكاذبة وكانوا يمجدون للضخور والحجارة وينابيع المياه واما ما كان في مزيد الاعتبار عندهم وكانوا يعبدونه بوقار غريب فهو شجر السديان ونبات آخر ينمو على قاعدته وهذه المعارف عن حالة البريتانيين القدماء وعوائدهم وعبادتهم اتصلت للتأخرين بواسطة الاشعار التي نظموها واتنلت من جبل الى آخر

وسنة ٥٥ ق م اتى بريانيا يوليوس قيصر قائد جيش الرومانيين بقصد

اختتاعها فقاومة الاهالي وساعدهم على ذلك هيجان عظيم حدث في المجرشنت كل الفرسان فاستصوب قبصر ان يؤخر المهاجمة الى وقت آخر. ففي الربيع المقبل حضر ثمانية ومئة كاسيوس قائد فرقة من العساكر المشهورة في الحروب ودخل البلاد ولكنه لم يتغلب عليها تغلباً كاملاً. وسنة ٤٢ ب م ارسل كلود يوس امبراطور الرومانيين الرابع بعض القواد ليملكوا الجزيرة فقاومهم كاراكتاكوس رئيس قبيلة بريطانية فانكسر وقبض عليه وأرسل اسيراً الى رومية غير ان كلود يوس اطلته بعد ذلك . وسنة ٥٧ للمسيح اتى سويتونيوس بولينوس من قبل الامبراطور نيمون ليستلم زمام الاحكام فوجد بين كهنة الدورويد المار ذكرهم روح العصاة ومحبة الاستقلالية فعزم على ابادتهم واذ هربوا من امامهم لحفهم وقتك بهم فلم يسلم منهم الا طويل العمر

وكان بين البريتانيين قبيلة تدعى قبيلة ايسني منرسة عليها الملكة بواديكيا فنهضت هذه الملكة وحركت همة الاهالي على اخذ الثار من الرومانيين لاجل قتلهم الدرويديين فاجابوها الى ذلك . وبما كان سويتونيوس السائف ذكره منشغلاً في ملاحقة هؤلاء الكهنة نهض البريتانيون على الرومانيين الفاطنين بينهم وقتلوا منهم ٧٠ ألفاً واحرقوا مدنها . ولكن عند رجوع سويتونيوس من سفره ونظره الى ما حل بقوم انتقم من البريتانيين وقتل منهم ٨٠ ألفاً على ما قتل وضائق الملكة بواديكيا فاخارت الموت على الوقوع في ايدي الاعداء وشربت سماً وماتت . ولم يكن سويتونيوس بهذا الانتقام بل استمر على مضايقة البريتانيين بفساوة شديدة حتى امرت الدولة الرومانية بعزله وارسلت مامورين غيره كانت سياستهم مجانسة الاهالي وتوطيد السلام . ومن جملة هؤلاء القواد يوليوس اغريكولا الذي بواسطة سياسته العادلة الحكيمة اكمل اخضاع ولاية بريطانيا وثبت سيادة رومية . وكان ذلك من سنة ٨١ الى سنة ٩١ للميلاد في ايام دوميتيان امبراطور رومية الحمادي عشر

وفي اثناء تلك الرومانيين كانت بريطانيا مقسومة الى خمس ايلات يحكمها

حأمورون من طرف الحكم الأكبر. وكانت البلاد مضطربة على الدوام بسبب غزوات شعوب اسكونسيا المتوحشة الذين كانت مساكنهم في جبال كاليدونيا. فالتزم اغريكولا ان يقيم سوراً كبيراً بين نهر فورث ونهر كلايد لاجل منع غزوات السكونسيين. وبعد ذلك أقيم سور آخر اعظم من الاول يمتد على مسافة ٨٠ ميلاً اطلق عليه اسم سور اديان نسبة الى اديان امبراطور رومية الرابع عشر سنة ١٢١ مسيحية. ثم بعد ذلك بحملة سنين صارت تقوية هذا السور بمعرفة الامبراطور سيبرس وهو سلطان رومية التاسع عشر الذي توفي في مدينة يورك من اعمال بريطانيا سنة ٢١١. وسنة ٢٨٧ عصى الملكة الرومانية احد قوادها الجربين المدعو كاروسوس فالتصق بالبريتانيين الذين كانوا يصبون الى خلع طاعة رومية فقبلوه وسموه عليهم ملكاً وبعد ذلك بسنين قليلة قام عليه احد اتباعه وقتله طمعاً بالولاية فعينت الدولة الرومانية قسطنطيوس القائد لاختضاع بريطانيا فسار اليها واخضعها عنفاً لان الحروب الداخلية والانقسامات سهلت عليه الامر فرجعت بريطانيا الى حالتها الاولى ولاية رومانية يعد انفصال عشر سنوات ودامت على ذلك الى الجيل الخامس

وفي مدة الاربعة الاجيال ونيف التي حكم بها الرومانيون البلاد البريتانية تقدم الاهالي تقدماً نشيطاً في بناء المداين واثقان الصنائع والزراعة وغير ذلك حتى حصلت البلاد على نوع من الثروة والمدن. ولا سيما بواسطة دخول الديانة المسيحية التي لم تلبث الا زمناً قصيراً فقط لشدة الاضطهاد الذي اثير عليها في زمن نسطر الانكلوساكسونيين ولكنها ظهرت ثانية سنة ٥٩٦ كما سيأتي وفي الجيل الخامس قام على الملكة الرومانية بعض قبائل من برابرة الشمال وكانت احوال ايطاليا يومئذ في اضطراب فالتزم الرومانيون في ايام الامبراطور فالنتينيان ان يسمحوا قوتهم العسكرية من بريطانيا لاجل المعاضدة عن وطنهم فانسحبوا جميعاً تاركين البلاد بيد اهاليها. وكان حدوث ذلك سنة ٤٢٠

الباب الثالث

في ذكر تملك الدولة السكسونية وحكم الدولة الدنياركية وذلك
من سنة ٤٢٠ الى ١٠٦٦

فلما ترك البريتانيون الى حالهم وجدوا انفسهم غير قادرين على مقاومة
غزوات جيرانهم البكتيين والاسكوتسيين لانهم في مدة خضوعهم للرومانيين
فقدوا ذلك الروح المحرري الذي كان لهم فاضحوا عرضة لمغازي اعدائهم الذين
كانوا يمتدون رويداً رويداً الى داخل البلاد حتى التزم اخيراً احد رؤساء
البريتانيين سنة ٤٤٩ ان يلتمس معونة السكسونيين (قبيلة جرمانية عند شواطئ
نهر الالب) لمساعدتهم على مقاومتهم. واذ كان بين القبيلتين مودة وصلة قديمتان
اتى البريتانيون فرقة من هؤلاء القوم تحت قيادة هنجيست وهورسا وساعدوهم
على طرد البكتيين والاسكوتسيين من البلاد وارجعهم الى الجبال التي اتوا منها.
ولكن عوضاً عن ان يرجع السكسونيون بعد ذلك الى بلادهم طمعوا في استهلاك
البلاد واستحسنوا ان يقيموا مكان المطرودين فانام الامداد يومياً وانضم اليهم
فرق سكسونية وانكليية حتى صاروا عدداً غفيراً. فلما شعر البريتانيون بمناصدة
مساعدتهم فضلو لطردهم ولكن لعدم اتحاد بعضهم مع البعض لم ينجحوا في مساعدتهم.
فلامت الخصومات والحروب بينهم ١٥٠ سنة حتى كاد يفترض البريتانيون
جميعهم والذي سلم منهم نزع والتجأ الى جبال ولس وكورنوال وبعضهم جازوا
المانش وذهبوا الى ارموريكا من اعمال فرانسا وسكنوا هناك وسمي ذلك المكان
باسم بريتانيا نسبة للبريتانيين
اما الانكليون والسكسونيون فقسما البلاد الى سبع مقاطعات تُعرف

بالسبع ولايات السكسونية وهي كنت وسوسيكس وواسكس وإيسيكس ونورثمبريا
وانكليا الشرقية ومرسيا. واقاموا ملكاً على كلٍّ من هذه المقاطعات وكان احد
هؤلاء السبعة رئيساً على الستة له حق المناظرة العمومية والسيادة على البقية . فمن
جري ذلك وقعت بينهم منازعات عديدة آلت اخيراً لانفكاك ذلك النظام
وسنة ٥٩٦ دخلت الديانة المسيحية دخولاً حقيقياً بواسطة اوغسطينوس
وغيره من الرهبان المرسلين من طرف البابا غريغوريوس وذلك في زمن
اثلبرت ملك مقاطعة كنت حينما كان ملكاً عاماً على باقي المقاطعات المار
ذكرها. وكانت برثا زوجة الملك اثلبرت المذكور وابنة كاربيرت ملك باريس
قد اقبلت الايمان المسيحي قبل ذلك بقليل فسمعت في ارنزاد زوجها فارتد
واعهد هو وكثير من رعاياه بعده ومن ذلك الحين اخذت الديانة الاصنامية
ثلاثي والديانة المسيحية تمتد شيئاً فشيئاً حتى انها في مدة اجيال بسيرة عمت
البلاد جميعها

وكان كلما قام ملك عام على السبع المقاطعات يجتهد في توسيع دائرة ملكه
واخضاع الممالك الصغيرة اليه فاخذ هذا الامر يزداد شيئاً فشيئاً حتى انه في
سنة ٨٢٧ في زمن الملك اغبرت ملك ولاية واسيكس لم يبق ملك مستقل على
الولايات الست الاخر فغلب عليها الخراج وصارت جميعها تابعة اغبرت
المذكور وهو اول من استقل بالبلاد ولول ملك من ملوك انكلترا من الدولة
الانكلوساكسونية . ولكن مع ذلك لم ترخ البلاد في ايامولان من تاريخ ملكه
ابتدأت هجمات الدنياركيون التي انتهت اخيراً باستيلائهم على البلاد فكانوا
يضررون في البلاد ضرراً جسيماً وخاصة بالاديرة واماكن التربة اذ وجهوا كل
قواهم نحو خرابها . وسنة ٨٦٥ لما كان الملك اثلبرت وهو الثالث بعد اغبرت
ملكاً على انكلترا اتى الدنياركيون تحت قيادة رئيس عمارتهم الشهير المدعو
رغزلودبروك ونزلوا على شاطي نورثمبرلاند فقاومهم رئيس تلك الجهة واسر
قائدهم وطرحه في مغارة مملوءة من الحيات فاماتته ورجع الدنياركيون

بدون فائدة ولكن بعد ذلك بقليل نهض اولاد رغنر المذكور واقاربته واخذوا
بنارو واتفعلوا له من البريتانيين اشد الانتقام بعد ان افتتحو اطراف البلاد
واستولوا عليها

وبعد وفاة اغبرث نبواً نجت الملك ابنة ثم اولاد ابني الثلاثة وفي مدة حكمهم
كانت الحروب مع الدينباركيين متصلة وغزوات هولاء مستديمة حتى انه في
ايام الملك الفريد كانوا قد استولوا على ولايات نورثمبريا ومرسيا وانكليا الشرقية
فكان مركز الفريد من اصعب المراكز لانه من الجهة الواحدة اراد استخلاص
البلاد من المغتصبين ومن الجهة الأخرى خاف من افتدائهم واسبلاهم على
باقي الجزيرة . فبينما كان متعباً من هذا الامر وساعياً في تدير منعهم نهض احد
قواد الدينباركيين المدعو كنوم وهاجم البريتانيين في فصل الشتاء بجيوع
كثيرة فدهمهم وهم غير مستعدين وانتصر عليهم فهرب الفريد ملكهم واخبا في
بيت احد الفلاحين وفي هناك مئة متكرراً . قيل انه في اثناء اقامته في ذلك
البيت كان يخدم اهله وانه بينما كان يوماً ما واقفاً ينجذ كمكاً ناه في اجبر افكار
التدبير فاحرق الكعك ولم ينبه فوثقته صاحبة البيت توبخاً قاسياً على اهاوله .
ولكن لم يطل الحال الا ونهض احد اشراف الانكليز وقام الدينباركيين وقتك
هم وهم تحت رياسة ابن رغنر لودبروك المار ذكره . حينئذ نهض الفريد من
مخبئه وانضم اليه جمهور البريتانيين وحشر الدينباركيين في مراكزهم وظفر بهم
اي ظفر حتى اضطر كنوم رئيسهم ان يسلم . فاسترجع الفريد بلاده من
ايدي المغتصبين

واذ رأى الفريد ان استئصال الدينباركيين من البلاد امر مستحيل نظراً
لطول اقامتهم فيها وعددهم الغفير عقد مع كنوم معاهدة خُصص له فيها ولبن
بمختلفه ولاية انكليا الشرقية وولاية نورثمبريا بشرط قبول جميع الدينباركيين
الديانة المسيحية وان يكونوا ملزومين للقيام والاتحاد مع البريتانيين في محاربة
الاعداء لدى الحاجة . فقب عقد هذا الارتباط التفت الفريد الى اصلاح ما

كان التحق بالبلاد من جراء حروبها واقام القلع والتحصينات وشرع في تقوية العمارة من دون ان يغض النظر عن اسباب ترقية حال الشعب بواسطة الصنائع والعلوم وابتعاد المدارس وتوسيع دائرة التنوير. ومع كل انشغاله في تدير امور المملكة كتب جملة مؤلفات وترجم عدة كتب الى اللغة الانكليزية. منها تاريخ الكنيسة للعلامة بيد وكتاب في الفلسفة. وفي وصية هذا الملك وجدت عبارة طالما الانكليز يلهجون فيها وهي هذه يجب ان يكون الانكليز احراراً كافكارهم. ثم توفي هذا الفاضل سنة ٩٠٠ تاركا لبلاده مثالا شريفا في كل امر ولقب بالفريد الكبير

ثم جلس بعده ابنه ادورد وحكم الى سنة ٩٢٤. وقام بعده ابنه اثلستان فكان شجاعا حارب الديناريين وكسره مرارا واستبد بالمملكة وحده. فذاعت سطوة انكليزها في الخارج وصارت الدول الاجنبية تطلب الاتحاد معها. وفي ايامه عقدت اول معاهدة مع فرانس وتزوجت اخته بكارلوس الثالث ملك فرانس واخرى بملك جرمانا اوثو الكبير واخرى باخر من الذوات الفرنسيين العظام ثم توفي سنة ٩٤٠

ومن ملوك الدولة السكسونية ادغر نبوا سرير الملك سنة ٩٥٩ وكانت بريطانيا في ايامه حاصلة على تمام الراحة والسلام مهية من الجميع في الداخل والخارج. فكان حكما ونشيطا في سياسته يزور كل اقطار بلاده مرة في السنة وينتقد احوالها وكانت عمارته البحرية نحو ٤٠٠ قطعة. وما يذكر عنه انه فرض على رعيته ثلاث مئة راس ذئب في السنة لانها كانت كثيرة الوجود في تلك البراري. وبهذه الوسطة قرض الذئاب التي كانت مائة الفطر

وفي ايام الملك اثلريد اذ كان بغض الديناريين اخذ من قلوب الانكليز كل مأخذ نظرا لمقاصدهم في استهلاك بلادهم اصدر الملك المذكور امرا عاما سنة ١٠٠٢ بقتل كل الديناريين القاطنين في انكلترا فقتل الانكليز منهم عددا كبيرا وكانت اخت ملك الدينارك من جملة القتولين في تلك المذبحة. فهاج

الدينباركيون واتوا مع ملكهم سوين الى بريتانيا واقاموا المحروب على قدم وساق
 وافتحوا البلاد . فالتمز اثلريد ان يهرب مع زوجته وابنيه والتجأ الى نورمنديا
 وهي ولاية فرنساوية كان اثلريد متزوجاً بابنة دوكتا ريكاردوس الثاني واقام
 هناك الى ان توفي . ولكن لم يستقر سوين في بريتانيا حتى توفي هو ايضاً تاركاً
 فتوحاته وحقوقه لابنه كانونت الذي بحسب اول ملوك العائلة الدينباركية في
 انكلترا . وكان كانونت عادلاً حكيماً محسناً لطيفاً فسعى في توسيع نطاق المملكة
 واحداث جملة تحسينات في نظام الاحكام والسياسة وفرض جانباً من سطوة
 الاشراف المضرة فاحبة جميع رعاياه لحسن تصرفه وخصوص نيته وفي ايامه كانت
 البلاد في هدو وسلام والشعب منعكماً على تحصيل المكاسب والفوائد الناجمين
 من الهدو والسكينة . فانتهاز كانونت تلك الفرصة وذهب لزيارة المحبر الروماني
 في رومية وبينما كان في ايطاليا التقى بكونراد امبراطور جرمانيا وزوج ابنة
 بابنه هنري الثالث . وغلب رجوعه الى بلاد الدينبارك من زيارته في رومية
 بعث كتاباً الى جميع قبائل انكلترا يتضمن المبارات الآتية وهي ليعلم جميعكم باني
 قد كرمت حياتي لله ونذرت باني احكم كل مالكي بالعدل وان افعل المستقيم
 في كل امر . فان كنت في ما مضى وانا في مدة عفوان الشبوية وعدم المبالاة
 خرقت مبادئ العدل والحقانية فاني عازم الآن بمعونة الله ان اعوض ذلك
 تعويضاً كاملاً . فبناء عليه ارجو وامر كل من سلمته زمام الاحكام ممن يريد
 طاعتي ويود خلاص نفسه ان لا يظلم احداً فقيراً كان ام غنياً . ودعوا الاشراف
 وغير الاشراف ينالون حقوقهم بالسوية وفقاً للشرائع التي لا ينبغي ايقاع الخلل
 فيها لا خوفاً مني ولا حباً برضى خاطر الاقوياء ولا لاجل ملء صناديق خزينتي
 فاني لا اريد ما لا يجمعوا بالظلم

وكان بعد توفي اثلريد في نورمنديا ان زوجته رجعت الى بريتانيا وتزوجت
 بكانونت المذكور واما ولداها فبقيا في نورمنديا ولم يجاسرا على الذهاب الى هناك .
 ففي سنة ١٠٣٦ الما توفي كانونت وقام عوضاً عنه ابنة هارولد حضر من نورمنديا

ابن اثلريد الاكبر وكان اسمه الفريد وطلب استرجاع ناج ابيه . فنهض اعوان
 هارولد وقتلوه واسند هارولد بالملك مدة ثلاث سنين ولم يحدث في ايامه شيء
 يستحق الذكر . وقام بعده اخوه هرديكانوت سنة ١٠٣٩ . ولم تطل ايامه فتوفي
 بعد سنة من حكمه وبه انقضت الدولة الدنيارية ورجعت العائلة السكسونية
 فاول من نبأ نمت الملك من العائلة المذكورة بعد هرديكانوت المذكور
 ادورد احد اولاد اثلريد السالف ذكره وذلك سنة ١٠٤١ . وكان المذكور يميل
 الى اهل نورمنديا لانه صرف بينهم ٢٧ سنة من حياته فاحضر منهم الى بريطانيا
 عددا كبيرا ووظفهم الوظائف العليا فتأثر البريطانيون من ذلك وداخلهم الغيرة
 والحسد ونهض احد اشراهم الامير غودوين وقاوم هذا المشروع وبواسطة ما
 كان له من النفوذ نجح باخراج النورمنديين من البلاد وتهدد بحفظ السلام والقيام
 بمتنضيات الملكة بدون احياج الى الاجانب . ثم تزوج الملك ادورد بانية
 غودوين المذكورة واذ لم يرزق نسلا ارسل فدعا ابن اخيه الاكبر (الذي كان
 له حق بالارث قبله) بناء على ان يخلفه بالملكة فحضر مع ابنه ادغر ولكن حالما
 وصل الى البلاد توفي نازكا ابنه في سن لا يليق بالسلطنة . وفي اثناء ذلك توفي
 الملك ادورد سنة ١٠٦٦ . وهو اخر ملوك العائلة السكسونية . فبعد موت ادورد
 قام هارولد اخو زوجته اي ابن غودوين المار ذكره واغتصب لنفسه ناج
 الملك فقاومه اخوه في السنة ذاتها وهاج عليه حربا غلب ان استنجد بالنورمنديين
 لمساعدته فقتل الاثنان في اثناء تلك المواقف الكبيرة وموت هارولد انقضت
 حكم الدولة السكسونية . فكان عدد ملوكها من سنة ٨٢٧ الى سنة ١٠٦٦ سبعة
 عشر ملكا يفصلهم ثلاثة ملوك دنياريين وهم كانوت وابناه من سنة ١٠١٦ الى
 سنة ١٠٣٩ كما مر

الباب الرابع

في ذكر تملك العائلة النورمندية والعائلة البلاتاجينية

من سنة ١٠٦٦ الى سنة ١٢٩٩

انه بعد انقراض الدولة السكسونية كما تقدم حكم انكلترا دولة نورمندية اعني حكام من بلاد نورمندية التي هي ولاية فرنساوية مجاورة للانكليز. فكان اول ملوك هذه الدولة ولیم الاول الملقب بالظافر. وكان قبل استيلائه على تحت انكلترا حاكماً في ولاية نورمندية تحت يد فيليب الاول ملك فرنسا. فليسد ولیم كان فيليب وقتئذ صغير السن قصير المعرفة تحت وضاية بودوين احد اشراف فرنساويين وكان زمام فرنسا بيده. ومع ان بودوين المذكور كان عمًا لفيليب فكان ايضاً حمواً لولیم وبالضرورة كان يرغب صالح صهره وابته. فانتهمز ولیم تلك الفرصة المناسبة واغار على البريتانيين الذين كانوا مهتمين في اقامة ملك عليهم ولم يترك لهم وقتاً للمذاكرة في ذلك الامر وبواسطة تدبيره ومساعدته ازال كل الموانع والتم اشراف الانكليز ان يخضعوا لرياسته وتزوج عليهم ملكاً يوم عيد الميلاد سنة ١٠٦٦ في كنيسة وستمينستر وشرع حالاً في بناء القلع والحصون وملاها من حراس النورمنديين

ثم بعد تملك ولیم زمام البلاد بوقت وجيز ذهب لزيارة نورمندية بلاد و ترك ادارة الاحكام في يد اخيه اودواسف بابو. واذ كان يخشى سطوة اشراف الانكليز ولا يامن خلوصهم اخذ معه عدداً كبيراً منهم خوفاً من حدوث فتنة في غيبته فلم يجِد ذلك الاحتياط نفعا لان تعديات النورمنديين وظلمهم الزمت البريتانيين ان يتظاهروا بالعصيان فاعتصموا فرصة غياب ولیم وارسلوا يستدعون ملك الدنمارك لمساعدتهم واعده بتاج الملك واذ لم يات اتحاداً مع السكسونيين

الذين كانوا باقين في البلاد وإثاروا جملة فتن ومعارك قتلوا في احداها ٢٠٠٠ من عسكر النورمنديين ذبح السيف . فلما بلغ ذلك ولم حضر عاجلاً وفتك بالعصاة وبعد ان اخذ الفتنة اجري قصاصات صارمة على المعتصين واتم من الاهالي اشد انتقام وذبح منهم عدداً كبيراً بعد ان احرق بيوتهم واخرب مزارعهم فترح كثيرون من الانكليز والتجأوا الى اسكونلاندا المجاورة لم وبسبب ذلك مع زمناً نتج عنه من عطل الارض ومحل المواسم حدث مجاعة عظيمة في انكلترا قيل انه هلك فيها فوق مئة الف نسمة من الجوع

وكان ولم المذكور عند قيامه من نورمندي لافتياج انكلترا انه ترك زمام الاحكام في يد ابنه روبرنوس فبقيت في يده عدة سنين حتى بلغ فيليب الاول سن الكمال واستلم سلطنة فرansa . فلما رأى فيليب ما حصل عليه ولم من التقدم والنجاح في انكلترا اخذته الغيرة والحسد وشرع بفصل نورمندي عنه وترك روبرنوس مستقلاً فيها بدون مداخله ابيه . واذا لم يرتض ولم بذلك وقعت الحروب بين الاب والابن واستدامت جملة سنين حتى قيل انه في احدى المواقع بارز روبرنوس اياه واذا كانا في ملابسها الحربية بحسب عوائد تلك العصر لم يعرف احدهما الاخر حتى غلب الاب ففجّل الابن . ثم مات ولم من وقع عن فرسه سنة ١٠٨٧ عندما كان ذاهباً لتخليص بعض اراضي نورمندي التي كان الفرنساويون قد اخلسوها وخلفه ابنه ولم الثاني المانوب روفوس اى الاحمر من احمرار شعره . وكان ولم روفوس المذكور يريد ان يتزع نورمندي عن اخيه روبرنوس ويضفها الى ملكة انكلترا فتأهب لقتاله واشتبكت الحروب بينهما زماناً طويلاً ولم يحصل ولم على ما كان يبتغيه . وفي تلك الاثناء ظهرت الحروب الصليبية لتخليص الاراضي المقدسة وكان روبرنوس والي نورمندي من جملة الذين انضموا الى زمرة المحاربين ولكن اذ لم يكن عنده مال كافٍ للوازم الحرب استقرض من اخيه ولم مبلغاً وافراً وارهن عنده كل الولاية وتوجه . فاتى ذلك ولم طبق المرغوب وامل نوال المراد ولكن ما كل ما يبتنى المرء

يدركه فانه بعد ذلك بقليل ذهب ولم ذات يوم بقصد الصيد الى الحرش
 الجديد الذي كان قد انشاء والده وينا كان جائلاً فيه اصيب بنبله انتهت
 حياته فاتهم احد امراء الانكليز بهذا الفعل ولكن اذ لم يكن لوليم روفوس عند
 جماعة الانكليز قيمة ولا مقدار لقبائحو وجوره لم يتعن احد لفحص سبب ميته
 وسنة ١١٠٠ قام هنري الاول ملكاً على انكلترا وهو الابن الاصغر لوليم
 الظافر مع ان حق الارث كان لروبرتوس والي نورمندي ولكن اذ لم يكن قد
 رجع بعد من سفره الى الاراضي المقدسة اغتم هنري الفرصة وسعي في لبس
 تاج الملكة وكانت سياسته مدوحة واجراءاته حسنة غير انه لم يرض على ذلك
 ثلاثون يوماً حتى رجع روبرتوس واذا وجد له حرباً في انكلترا نهض لتخليص
 الملك من اخيه واتى بقوات كثيرة ونزل في مينا بورنساوث . فوافاه رئيس
 اساقفة كندبري وعقد بين الاخوين صلحاً . فتنازل روبرتوس لـ اخيه عن حقوقه
 بشرط ان يرتب له معاشاً سنوياً وان كل الذين تحالفوا معه ضده يكونون
 معافين مستامين على اراضيهم واموالهم . ولكن بعد قيام روبرتوس نكح هنري
 بشروط هذه المعاهدة واصل الضرر الى من كان تظاهروا في مقاومتهم . وسنة ١١٠٦
 استغف هنري بلاد نورمندي بعد قتال عظيم واسر اخاه وجمعه في قصر
 كريدف حيث توفي في سن الثمانين وضم البلاد الى تاج انكلترا . وسنة ١١١٩
 قام ابن روبرتوس بمساعدة لويس السادس ملك فرنسا لاستخلاص ملكة ايبو
 فاتصر عليها هنري في حرب برنيل ولم ينال ارباً . وبعد ذلك وقع النزاع
 بين هنري وبين البابا كما كان وقع مع ملوك آخرين ايضاً من جهة السياسات
 الاكبريكية واعطاء الاساقفة العكاز والخاتم وتخليصهم بين الطاعة للملك . فان
 الملوك ارادوا ان يكون ذلك مخصصاً بهم اما البابا فانكر عليهم هذا الحق مؤكداً
 انه لا يستطيع السلطان الزمني ان يمنح المقامات الدينية المشار اليها بالعكاز
 والخاتم وقد دعي الملوك الذين يلاومون استعمال ذلك بالسميونين نسبة الى
 سيمون الساحر الذي اراد ان يشتري موهبة الروح القدس بالمال

وكان هنري المذكور ولدان شرعيان فقط صبي وابنة فلاجل منع النزاع بعد وفاته استخمن ان يسي ابنه ملكاً على أنكلترا وعلى نورمندي في حياته فاخذته الى نورمندي ليعرفه بالاشراف وابناه هناك مدةً وبينما كان الولد راجعاً الى أنكلترا غرق ومات. واما الابنة وهي ماتيلدا فكانت قد تزوجت بهنري الخامس امبراطور جرمانيا ولكن حين وفاة اخيها كانت ارملة بدون اولاد فزوجها ابوها بامير فرنساوي يدعى جوفروا بلاتاجيت وهو كونت انجو (اسم مقاطعة في فرنسا) واقامها خليفة له على أنكلترا ونورمندي ثم توفي سنة ١١٢٥

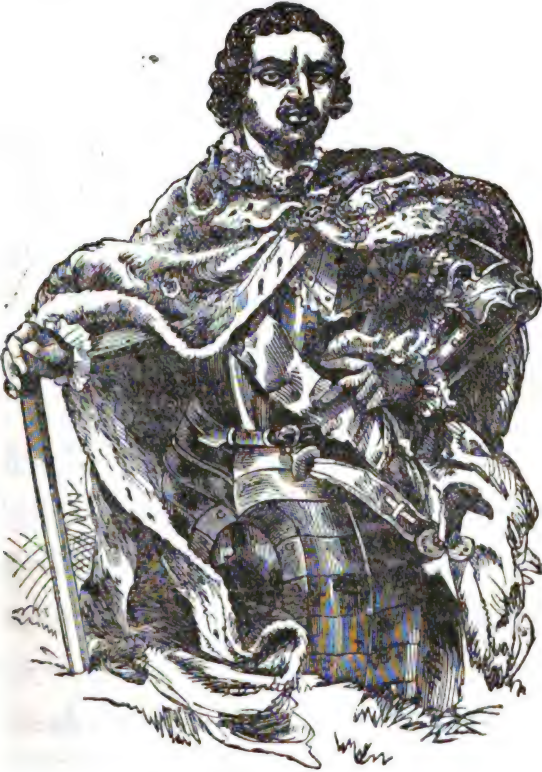
فبعد توفي هنري الاول نهض رجل من الاشراف في نورمندي يدعى اسطفان وهو ابن ابنة ولم الظافر التي كانت تزوجت بكونت بلوا واغضب حكم أنكلترا لذاته مع انه كان من جملة الذين اقرؤا وخضعوا لخلافة ماتيلدا ابنة هنري الثاني. وكان اسطفان المذكور حسن المصنات لين الجانب فجعله ذلك محبوباً عند الجميع وساعدهُ ايضاً نفوذ اخيه اسقف أنكلترا اذ جعل الكنيسة تحضه. واذ كانت البلاد وقتئذٍ منقسمة الى عشائر كان امر تولية امرأة على مملكة امرأاً جديداً عند رؤساء تلك العشائر فلم يصدر منهم مقاومة لمقاصد اسطفان المذكور فتزوج ملكاً على أنكلترا وطاعه الجميع ولكن لم يرض عليه وقت طويل حتى تبدلت صفاته الحسنة بمخمرة العظمة والاستكبار فاخذ يبعدى على حقوق الامالي والاكليروس ويجري من المظالم ما لا يستطيع احد على حمله فغضب الشعب وبمض بعضهم لخلعوا فقاومهم اعوانه والمتمزبون له ومن جرى ذلك انتشبت في البلاد حروب أهلية سرقت فيها دماء كثيرة. فاعتمدت ماتيلدا تلك الفرصة وانت لمباربة واستخلاص البلاد من يده فلم تنجح في اول الامر ولكنها اخيراً اسرته سنة ١١٤١ وحبسته واستولت على زمام المملكة. ولكن بعد قليل اذ لم تخمن النصف هاج عليها الشعب فالتزمت ان يهرب ورجع اسطفان من مجبه الى تحت الملك. واذ كان ابنه الاكبر قد مات اجري عهداً مع هنري ابن ماتيلدا زوجة جوفروا بلاتاجيت المار ذكره مآله ان اسطفان

يبقى ملكاً مدة حياته وان هنري يكون خليفة في الملك وقبل بذلك الجميع
 في السنة التالية اي سنة ١١٥٤ توفي اسطفاث وجلس على تخت المملكة
 هنري المذكور وهو هنري الثاني من ملوك الانكليز والاول من العائلة
 البلانتاجينية^(١). وكان هذا الملك على جانب عظيم من الحماسة والشجاعة صاحباً
 ومتبهاً لكل ما بأول لنجاح البلاد وكان مع ذلك غنياً جداً له جملة مقاطعات
 في فرنسا ورثها من ابيه. فشرع حالاً بازالة القلع والحصون التي كان انشأها
 روساء العشائر بقصد العصاة وقت الحاجة فقلت بذلك اسباب الحروب
 الكثيرة التي كانت تجري داخل البلاد. ثم قسم البلاد الى ست مقاطعات
 واقام قضاة مخصوصين للفحص عن احوالها وراحة اهلها واصلح الاعوجاجات
 القديمة ونكس سطوة الاشراف فانه ذلك بالدمج والشكر من الجميع. وحدث
 امران مهمان في مدة ولاية هذا الملك اولهما مشاجرته مع توماس ابكيت رئيس
 اساقفة كانتربري وثانيهما انضمام ايرلاندا الى انكلترا اذ كانت قبل ذلك منسوبة
 الى خمس ولايات مستقلة. اما سبب مشاجرة هنري الثاني مع توماس ابكيت
 فهو ان المذكور كان وزيراً فيها حاذقاً في خدمة الملك واذ كان للكنيسة في
 ذلك الوقت مدعيات سفسطية لم يوافق عليها هنري الثاني واراد تنكيس
 مداخلاها فاتقرب وزير توماس المذكور واقامه رئيس اساقفة املاً بنوال
 المرغوب بواسطته. ولكنه عوضاً عن الحصول على ذلك وجد في توماس مقاومة
 كلية جلبت عليه اكداراً بليغة. فنهض اربعة من رجال الملك هنري وذهبوا
 الى كتربري وقتلوا توماس ابكيت على المذبح فاصدين بذلك رضى سيدهم
 فكان هذا العمل الفظيع سبباً لاضطرابات وانعاب كثيرة لان البابا تهدده
 بالحرم فالتمز هنري لاجل تسكين غضب البابا ان يذهب لزيارة قبر ابكيت
 ويظهر بذلك علامات الاسف على ما وقع. فلما وصل الى الدبر حيث كان

(١) ان هذه الكلمة هي اسم نبات اطلقت على هذه العائلة من حيثة كان بعضها

اعضاؤها في برانيطهم

التبر قامت عليه زمرة الرهبان وهجموا عليه وضربوه فاحتل منهم هنري تلك
المعاملة بكل طول اناة ولم ينافع عن نفسه وبناء على صبره واحتماله حصل على
ساج الحبر الروماني وغفرائه
ومن ملوك هذه الدولة ريكاردوس الملقب بقلب الاسد نتوج سنة ١١٨٩



ريكاردوس الملقب بقلب الاسد

وكان شجاعاً نشيطاً غريب القوة والبسالة محباً للحروب والمبارزات وهو الذي
ذكرناه في الحروب الصليبية حين ذهب مع فرقة من قومه لاجل مساعدة
الصليبيين واكتسب شهرة عظيمة في تلك المعارك ولكنه بينا كان راجعاً الى

بلادهِ أُسر في بلاد النمسا مدة سنتين ولم يخلص من أسرهِ حتى فداهُ قومه بمبلغ جسم. ثم توفي من نبلهِ اصابته وهو محاصر قلعة في نورمندي. ومنهم يوحنا اخو ريكاردوس السالف ذكرهُ وهو اردأ ملك قام بين ملوك الانكليز. وفي ايامهِ خسر الانكليز نورمندي والاراضي التي تملكوها في فرانس. ومن اجراءاته الذميمة انه قتل ابن اخيه الذي كان وريث الملك عوضاً عنه فاستشاط اشراف الانكليز غضباً من هذه الافعال واجتمعوا في ١٩ حزيران سنة ١٢١٥ والزمو الملك ان يضي نهباً على نفسه وعلى من بحلفه مآله التنازل عن السلطة المطلقة وهذه المعاهدة تعتبر اساس حرية الانكليز. ثم توفي سنة ١٢١٦ وخلفه ابنهُ هنري الثالث وهو في سن التسع سنين. فاستبد بالملكة ٥٥ سنة وكان صاحب مقاصد حسنة لكنه غير كفوء للاحكام

وجلس بعده ادورد الاول سنة ١٢٧٢ ولقب بذي الساقين لطول ساقيه وكان فارساً مهاباً حارب ببسالة في فلمطين وفي الحروب الداخلية التي اتشبت في انكلترا. وهو الذي تغلب على ولاية ويلس وضماها الى انكلترا اذ كانت قبل ذلك مستقلة. ثم انه شرع باخضاع اسكتلاندا ايضاً ولكنه لم ينجح كثيراً وقاومه الاهلون المرة بعد الاخرى حتى توفي وخلفه ابنهُ ادورد الثاني سنة ١٣٠٧ فمسلك امه من جهة اخضاع اسكتلاندا ولكنه كان خالفاً من فروسية امه وسياسته ومع انه زحف اليها بمئة الف مقاتل لاقاه الاسكوتسيون تحت قيادة رنهيم روبرت بروس بثلاثين الفا وفتحوا مجيشه فتكاً ذريعاً واهلكوا منهم عدداً غفيراً فقتل ادورد راجعاً بالخبية والنشل. ولم تكن مناقب ادورد الاخر احسن حالاً من التي ذكرناها فان الخفة وطيشة العفل كانتا من جملة مزاياه واخيراً قامت عليه امرأته وحاربتهُ واسرته وبسبب وشايتها قتل اشنع قتله في الحبس ثم قام بعده ابنهُ ادورد الثالث سنة ١٣٢٧ وهو في سن الثماني عشرة وحكم ببسالة خلافاً لايه فغضب الاسكوتسيين وفاز عليهم ثم زحف على فرانس مجيش عظيم واقام عليها القتال مدعياً بان له حقاً في تاجها أكثر من فيليب فالوا الذي

كان وقتئذٍ على تخت مملكتها وذلك لان والدته كانت ابنة فيليب الرابع احد ملوك فرansa السالفين. فكان ذلك سبباً لتتوح الحروب المعروفة بحروب المئة سنة بين انكلترا وفرنسا التي هُزمت فيها دماء كثيرة وناسمت بسببها العداوة الشديدة بين الامتين. وفي بداية هذه الحروب طلب ادورد الثالث من ملك فرansa المبارزة الشخصية فابى فيليب واستخار ملاقاته بجيش من المقاتلين فوقع بينهما قتال شديد في محل يدعى كريسي في فرansa سنة ١٣٤٦ كانت اللامعة فيه على الفرنسيين وقتل منهم في تلك المعركة نحو ثلاثين الف شخص وجملة من كبار القوم واستولى البريطانيون على عدة اماكن فرنساوية. واذ كانت مدينة كالي التي على المانش في متناج فرansa للانكليز حول ادورد الثالث الغفلة نحو اقتحام تلك المدينة وبعد حصار اثني عشر شهراً استنفجها وطلب من الاهالي ان ياتوا اليه بعمته اشخاص من كبارهم لكي يقتلهم فدية عن اهل المدينة. فاول من قدم ذاته فدية عن بلاده على ما قيل رجل فاضل يدعى اوسماك ثم تبعه خمسة آخرون والحبال في اعناقهم وهم خاة الارجل. وفيما كان الملك مصمماً على قتلهم حضرت الملكة زوجته التي كانت في محاربة الاسكوتيين وتوسلت اليه بان يعفو عنهم فاجابها الى ذلك واطلقهم. ومن ذلك الحين استولى الانكليز على مدينة كالي وبقيت في ايديهم نحو جيلين. وكان لادورد الثالث ابن وهو وريث عهده يلقب بالامير الاسود بسبب لون درعه والحمرة الحمرية فارسله ابوه سنة ١٣٥٠ لمحاربة فرansa. وكان ملكها وقتئذٍ يوحنا الصالح ابن فيليب فالو السالف ذكره. فالتقاه بخمسين الف مقاتل ولم يكن مع الامير الاسود سوى عشرة الاف فقط فرمهم الانكليز بالنبال واتصروا عليهم واسروا ملكهم واخذوه الى مدينة لندن حيث بقي تحت الحفظ حتى مات. وسنة ١٣٧٦ توفي الامير الاسود وبعده بسنة لحقه ابوه. ومن كل هذه الحروب لم تكتسب انكلترا الا ثلاث مدن شهيرة وهي كالي وبوردو وبايون وقد ظهر في عصر هذا الملك زجل يقال له يوحنا ويكلف من اعمال

بورك ولد سنة ١٢٢٤ وكان متفتناً في العلوم صاحب عقل ثاقب فانتخب رئيساً للمدرسة الكلية في كانتربري واذ كان له آراء دينية مخالفة للمعتد الروماني لم يتوقف عن اشهارها فشرع ينادي ويعلم بها علانية منها عدم وجوب الرهينة وإنكار سلطة الباباوات الروحية والزمنية وإنكار الاستخالة وعدم لزوم الاعتراف وعدم التسليم بهلاك الاطفال الذين يموتون بدون معمودية الى غير ذلك فوافقه كثير من الناس واصبحت تلك التعاليم موضوع المذاكرة والبحث عند البعض حتى صار له جملة تلامذة تابعين افكاره فكان ذلك اول صوت نودي به للإصلاح وبعده البروتستانت خيرة لتعاليم يوحنا هوس وجيروم دي براك ومرتينوس لوثيروس ولذلك يسمون ويكليف المذكور نجمة صبح الإصلاح. اما الكنيسة الرومانية فحسبت ويكليف المذكور من اعظم الهرمين بالهرطقة وبناء عليه صدر امر البابا غريغوريوس الحادي عشر الى اسقف لندن ورئيس اساقفة كانتربري بان يلتوا القبض على ويكليف ويطنثوا خبره فدعوه الى مجمع للمحاكمة ولكنهم لم يستطيعوا ان يصدروا عليه حكماً لان احد امراء الانكليز نصدى لحمايته فاطلقوه من بعدما حرضوه على حفظ السكوت. اما هو فازداد غيرة واخذ يعلم باكثر نشاط حتى التزم الباباويون ان يهتموا في اطفاء مغايل تلك التعاليم ففقدوا جميعاً في مدينة لندن سنة ١٢٨٢ وحكموا بالهرطقة على بعض تعاليمه واخرجوه من مدينة اوكسفورد خوفاً من ازدياد الشر. ولهذا العالم جملة مؤلفات وله ايضاً ترجمة انكليزية للتوراة

وفي ايام ريكاردوس الثاني ابن الامير الاسود الذي خلف جده ادورد الثالث تركت الاحكام في انكلترا لتهامل الملك وانهاكم بالذات فنشأ عن ذلك ثورة كان رئيسها رجل حداد يدعى وات تايلر ومعه جملة رفقاء آخرين فمشوا على لندن بمئة الف مقاتل واضروا بالبلاد ضرراً بليغاً. فالتفاهم الملك ومهد الامور بمجمل سياسته بعد ان قتل رئيس تلك الفتنة فانفض النزاع مؤقتاً ولكن بعد ذلك بقليل اشتعلت نيرانه ثانية وزاد متع الشعب للمكهم لتساويه

وسوء تديرو فانزلوه عن الكرسي وحجزوا عليه في قلعة وهناك قتل او مات
جوعاً وبه انتهى تملك العائلة البلاشاجينية وكان عدد ملوكها ثمانية وعدد ملوك
نورمندي سلفائهم اربعة

الباب الخامس

في ذكر ملوك عائلة لانكستر وعائلة يورك من سنة ١٢٩٩

الى سنة ١٤٨٥

انه بعد افراض العائلتين السالف ذكرهما تناول تاج انكلترا عائلة لانكستر
ونسبت هكذا نسبة الى دوك لانكستر اول ملوكها. وكان الدوك المذكور من
العائلة الملكية مشهوراً بين قوم ومقبولاً عند الاكثرين وهو المحرك للحادثة
المذكورة في الباب السابق التي بها قتل ريكاردوس السالف ذكره. فلما بلغ
دوك لانكستر ما كان يتمناه من قتل ريكاردوس اغتصب تخت الملك لنفسه
سنة ١٤٠٠ وقبل به الجميع ودعي هنري الرابع وفي مدة حكمه هاج عليه فتنان
كان منراً على واحدة منها رئيس اساقفة يورك ولم يبلغ منشأها من هنري
مأرباً فانه قهرها ومات بسلام بعدما حكم جملة سنين

وسنة ١٤١٢ تولى سزير انكلترا هنري الخامس ابن السالف ذكره وكان
جسوراً مهيباً فبعد جلوسه بمسنتين زحف لمحاربة فرنسا وبيت واخضع بلادهم
وتملكها وانتشرت في اطرافها الجنود الانكليزية واستولى زمامها المحكام البريتانيون
واضحى الاهلون في ضنك عظيم بكابدون الذل والجور العنيف. ولكن لم يزل
هنري ثمة انعا به لانه في وسط انتصاراته توفي وهو في من الرابع والخمسين. وقام
بعده ابنه هنري السادس وهو في سن السبعة اشهر فوضع على راسه تاجا فرانسا

وانكلترا وهو في حضن مرضعة في مدينة باريس وكانت فرانسوا اذ ذاك دولة انكليزية ولكن لم يمض على ذلك الا بضع سنين حتى تخلص الفرنسيون من نير الانكلز واخرجوهم من البلاد شيئاً فشيئاً بواسطة امراة فرنساوية كما اوضحنا في الكلام عن فرانسوا ولم يبق في ايديهم الا بعض الاماكن فقط فخلع حينئذ ناچ فرانسوا عن راس هنري العاشر الذي لعدم اهليته للاحكام كان ناچ انكلترا ايضاً سبباً لفقد حياته فيما بعد. والسبب في ذلك هو انه كان لطيف المزاج بسيط القلب لا يصلح للوظائف الملكية في تلك الاعصار فكان محنراً بين قومه وكانت امراته مرغريت انجو تحكم عليه حكم الام على ولدها . وفي ايام هذا الملك حدثت الحروب الاهلية المعروفة بحروب الورد التي دامت مدة ثلاثين سنة . وكان السبب في ذلك هو ان ورثة ريكاردوس الثاني الذين اغتصب منهم ناچ الملك الدوك لانكسندر بعد ان عمل على قتل الملك كما تقدم القول انتظروا فرصة مناسبة لخلع الطاعة واخذ الثار فلم يستطيعوا على التظاهر في ايام تملكه ولا في مدة تملك ابنه هنري الخامس لانها كانا جبارين عبيدين يخافهما الجميع ولكن عند تولى هنري السادس نهضوا لطلب استرجاع الملك الى العائلة السابقة وكان وقتئذ الدوك يورك هو الوريث الاقرب من تلك العائلة فقام سنة ١٤٥٥ وحمل السلاح ضد الملك وتحزب معه جمهور غفير ولولا مرغريت زوجة هنري السادس وتحزب القسم الاكبر من الاشراف لكان فاز الدوك يورك بمناصده ورفع التاج عن راس خصمه . فمن ذلك الحين انقسمت انكلترا الى حزبين كبيرين يمتاز رجال الواحد عن الاخر بلبس وردة من شريط مختلفة الالوان اما على رانبطهم او على صدورهم فكان حزب البوركيين اي التابعين للدوك يورك يلبسون وردة من شريط ابيض والحزب الملكي يلبس وردة من شريط احمر ومن ذلك نمت تلك الحروب حروب الورد مع انه كان الاولى تسميتها حروب الدوك لانها هُتت عدداً كبيراً من الفريقين واقلقت البلاد زماناً طويلاً فضلاً عن الخسائر الجسيمة التي احدثتها . وفي سنة ١٤٦١ غلب حزب

الورد الايض تحت قيادة الامير وادويك حزب الورد الاحمر بعدما قتل منه ٢٦ ألفا واسروا الملك فنودي باسم الدوك يورك ملكًا على بريتانيا العظمى وأقرب ادورد الرابع ولكن بعد ذلك بقليل وقع الخصام بين الامير وادويك وبين الملك ادورد فاخرج هنري السادس من السجن واجلسه على تخت الملك والتم ادورد ان يهرب الى فرنسا ولكنه لم يقدِر عن مداومة الحرب حتى انتصر مع حربه على الحزب الملكي واسترجع نايج الملكة بعدما قتل هنري السادس وابنه سنة ١٤٦٤ وحكم الى سنة ١٤٨٢ واظهر من القسوة ما لا مزيد عليه حتى انه امر بقتل احد اخوته ولكن اشفاقا عليه خيره باية مئة بريد ان يموت واذا كان اخوه من محبي المسكرات اخذوا ان يوضع في برميل مملوء من النبيذ ويقتل عليه ففعل به كما طلب ومات على تلك الصورة

اما احوال الامة الانكليزية فكانت في ذلك الجبل آخذة في النجاس ولا سبازراعنها حتى ان الفلاحين الذين من اوطأ درجة صاروا اصحاب اراضي وكان لهم حق الاشتراك في انتخاب وفاق المحامين . واذ كثر عدد الذين ينتخبون وكان ذلك موجبا للارتباك اصدرت الحكومة سنة ١٦٨٠ لائحة لاحد ان يكون من ذوي الاصوات في الانتخاب ما لم يكن صاحب ايراد لبرنين انكليزيين من ملك خاص له وبما ان النفود في ذلك الجبل كانت قليلة انحصرت حتى اعطاء الصوت في ذوي الاقدار من اهل الفلاحة فانت تلك الشريعة بالغاية المطلوبة . وكان للنفود قيمة هذا مقدارها حتى انه من صرف ١٢ ليرة في السنة حسب من اصحاب الثروة العظيمة ومن المعلوم ان الايرادات كانت وقتئذ قليلة فان معاش القضاة الذين ياخذون الآن من الالفين الى الثلاثة الاف ليرة كانت في ذلك الوقت ٧٢ ليرة وكانت الالبسة ايضا ذات قيمة كبيرة حتى انه كان يوصى بها من سلف الى خلف كارت . وكانت وماحظ المواصلات عمرة جدا بحيث لم يرغب احد في الغرب عن بلاده فانه ما عدا السائح الذاهب لزيارة الاراضي المقدسة والتاجر الذي يقصد الموالد لاجل بيع

بضائعهم بالكذبة كنت ترى رجلاً ينجس على ترك وطنه. وكانت الكتابة غير معروفة
الأ عند القليل الى ان اوجد فن الطبع رجل يدعى كاستون فاخذت حينئذ
المعارف في الامتداد وطبعت الكتب المقدسة وانتشرت الانارة الحقيقية التي
كانت بلا شك واسطة للاصلاح

وسنة ١٤٨٣ توفي ادورد الرابع وترك ولدين اكبرها نسي انورد الخامس
وكانا كلاهما تحت وصاية عمها ريكاردوس الدوك غلوسستر الذي بالحال وضع
عينه على تاج الملك واعتمد بان يقتصبه لنفسه فاخذ يستعمل الوسائط اللازمة
لذلك فازال كل ما رآه مانعاً لنوال مقصده وامات جملة من مقاوميه واخيراً
ارسل من خنق الاخوين معاً وهما في برج لندن واشهر ذائمه ملكاً ونسي
ريكاردوس الثالث ولكن لم تطل عليه السنون حتى قتل في حرب اقامها عليه
هنري نيودر الوريث الوحيد لهنري السادس الملك السابق وكان ذلك بمساعدة
فرانسا التي قدمت له جميع مهام الحرب . وموت ريكاردوس الثالث انتهت
جروب الورد التي هلك فيها ١٠٠ الف نفس بعد ما دامت ٣٠ سنة . وانتهى
ايضاً حكم العائلة الوردية المتسلسلة من العائلة اليلاناجينية

الباب السادس

في تملك العائلة الوردية من سنة ١٤٨٥ الى سنة ١٦٠٣

ان الملوك الذين نبأوا تحت انكلترا من هذه العائلة خمسة . اولهم هنري
نيودر المتقدم ذكره وهو هنري السابع قام سنة ١٤٨٥ وكان محباً للهدوكارها
الحروب والقتل وهو اول من شرع بما هو جار عليه الحال الى الآن في عدم
اشهار الحرب عاجلاً عند وقوع النزاع بين دولة ودولة واستعمال طول الاناة
لاجل التخابر وتعاطي وسائط السلم أولاً ثم توسط الغير لازالة الموانع اذا امكن
ذلك قبل المبادرة لسفك الدم . وهو ثم المشروع . ودلالة لكرهه الحروب

عند تحالفًا دائمًا مع جنس الرابع ملك اسكوتلندا وازوجهُ بابتو مرغريت وازوج ابنة ارثور بكاترينا ابنة فرديناند وايزابلا ملك ومملكة اسبانيا ولكن اذ قُضي على ارثور بعد زواجه بوقتٍ وجيز اجهد ملك انكلترا ان يزوج كاترينا بابو الثاني هنري فاستحصل الرخصة اللازمة من البابا وعند كتاب خطبتها وكانت سياسة هنري السابع متجهة بالاختصاص الى تخفيف سطوة العشائر في البلاد فادخل اواسط الشعب في الخدمات الاميرية وقدمهم حتى انه رفع الامتيازات التي كانت تُدعى بها اهل العشائر الى ذلك الوقت وفي ايامو قام رجلان دجالان ادعيا بحجتها لتاج الملك اكثر من هنري السابع فكان احدهما ابن رجل خباز قال عن نفسه انه ابن اخ ادورد الرابع والاخر ابن رجل جزار دعي بانه هو احد الاميرين الصغيرين اللذين امانهما الملك ريكاردوس في البرج كما سبقت الاشارة الى ذلك . فكانت هذه التنتة سبباً لهيجان عظيم لان كثيراً من الناس ومن الاشراف غزبوا لمذنبين الرجلين وتظاهروا بالعصاة ولكن اخيراً فُجئت الحكومة بالقاء القبض عليها فامرت بشنق ابن الخباز واما ابن الجزار فُجِّلَ خادماً بفصل الصعوان في مطبخ الملك . وقد خسرت انكلترا في ايامو مقاطعة بريتانيا وهي املاكها الوحيدة الباقية لها في فرانساً وذلك بدون حرب لانه اذ كان هنري السابع محباً للمال ومبغضاً للحروب قبل من كارلوس الثامن ملك فرانساً مبلغ ٤٠٠ الف ليرة لاجل تنازله عن تلك المقاطعة وكان داب هنري جمع المال فكان يخصص لنفسه كل ما وصلت اليه بدءً حتى انه بعد موته وُجد في قصرة مبلغ عظيم يحاكي العشرة ملايين ليرة انكليزية

ثانيهم هنري الثامن وهو ابن السالف ذكره . لبس التاج سنة ١٥٠٩ وهو ابن ثمانى عشرة سنة فكان بارعاً عالماً . ولكنه كان ايضاً عنيداً فاسياً سريع الغضب كثيراً ما امر بقتل بعض الشعب وهو في حدة خلوه . وكان له ست زوجات احدهن ماتت موتاً طبيعياً واثنان طلفها واثنان قتلها واما السادسة فحضرت دفنه . وكانت امراته الاولى كاترينا وزوجة اخيه ارثور . زُفَ عليها بعد

جلوسه وليث معه ١٨ سنة وولدت له جملة اولاد ماتوا جميعاً في طفولتهم ما عدا ابنة يقال لها ماري. واذ كان هنري بشهري اولاداً ذكوراً ليخلنوه في الملك وكان قد وقع في حب ابنة من الاشراف سعى في تخليتها كاترينا وطلب من البابا اكليمنصس الثاني ان ياذن له بذلك وكان البابا وقتئذ تحت الترسيم في قبضة كارلوس الخامس سلطان جرمانيا والمالك المغربية فختلف من اعطاء الرخصة في تخليتها كاترينا اذ كانت ابنة اخ كارلوس الخامس السائد السلطنة في اوروبا ولكنه لاجل عدم الظاهر في مقاومة ملك الانكليز ارسل قاصداً من طرفه لاستماع الدعوى في انكلترا فابت كاترينا الدخول في المرافعة ورفعت دعواها الى رومية فرجع القاصد كما اتى . حيثئذ اجتمع روساء الدين في انكلترا واصدروا قراراً بان زواج هنري بكاترينا كان غير جائز من اوله لانها امراة اخيه فطلعت . وقد حارب هذا الملك فرانسوا ثلاث مرات مرةً باتحاد عمو ملك اسبانيا ابني امراته حين استولت تلك الملكة على مقاطعة نافار الفرنسية ومرتين بالاتحاد مع شارل كان . وفي ايامه هاجم الاسكوتسيون انكلترا مرتين ورجعوا خائبين بعد ان قُتل ملكهم جيمس الرابع في اثناء المعركة . وحدث في داخل البلاد جملة اصلاحات انت الشعب الانكليزي بفوائد جمّة . ومن اعظم ما اشهر به هنري الثامن اعتناقه المذهب البروتستانتي من بعد ما كان له عدواً ألد في اول الامر وكان كتب والف كتاباً رثاً على لوثيروس ساه السبعة الاسرار الذي لاجله لقبه البابا ليون العاشر بخاي الايمان . فعضد هنري الاصلاح الى درجة منكرة حتى انه كان يامر بقتل من لا يقبله وقد ترجمت وطبعت في ايامه الكتب المقدسة باللغة الانكليزية وانضمت مقاطعة ويلس الى انكلترا وصارت ترسل نواباً من طرفها الى المجلس الكبير ثم مات اخيراً سنة ١٥٤٧ وهو في سن الست والخمسين اما الملك الثالث فهو ادورد السادس ابن هنري الثامن وكان عمره عشر سنين عند جلوسه على كرسي الملكة فكان شاباً ظريفاً ذا معرفة وسياسة ولكنه لم يعيش زماناً طويلاً فتوفي بمرض السل وهو في سن الست عشرة

الرابع الملكة مريم شقيقة ادورد المذكور تبوأّت تخت الملك سنة ١٥٥٣ وتزوجت في السنة التالية بفيليب الثاني ملك اسبانيا وهو ابن شارلكان المشهور ولقبت بالدموية لانها اذ كانت تابعة المذهب الروماني اجتمعت ان تزيل المعتد البرونستاني فامرت بمحرق من انكر سلطة البابا حتى ان كثيرين من الاساقفة والقسوس الانجيليين هلكوا في وسط لهيب النار في ابامها . وكان المجلس الكبير قد قاومها على هذه الاعمال الفظيعة فخلعت اعضاءه واقامت مكانهم اناساً اخرين ممن خضعوا لوامرها فوافقوها على هذا المشروع واصدروا امراً بآبادة وملاشاة مسيحي الهرطقة فكان عدد من قتل منهم ٢٧٧ نفرًا اكثرهم من اعيان الناس واكبرهم ثم قطعوا النفقات المعينة لمعاش الاكليروس المتزوج هذا ما عدا البلص والقعدي الذي جرى على كثيرين . وقد اشتهرت هذه الملكة بالحرب على فرانسوا مساعداً لزوجها فيليب ملك اسبانيا فلم يات ذلك انكثرا سوى خسارة مدينة كالي التي كانت لها حينئذ ٢١١ سنة تحت تملكها . وكانت مدة ملك مريم المذكورة خمس سنين وماتت في حالة نعيصة من شدة الوسواس والغوم التي كانت قد تراكت عليها

الخامس الملكة اليزابات ابنة هنري الثامن واخت مريم المذكورة من امه اخرى تزوجت سنة ٥٥٨ او كانت برونستانية ولكنها لم تتعرض لاذية الكاثوليكين وقد ساعدت الاسكوتسيين على طلب حريتهم في امر الدين فاخذوا اصلاح يتد وينشر في تلك البلاد حتى عم أكثر اقاليمها وبلدانها وبالاجمال نقول ان انكثرا في ايام هذه الملكة العظيمة وصلت الى اعلى درجات المجد والفخار لان سياستها وحسن تديرها كانا احسن مما وجد الى ذلك الحين وكانت مع هذه الاوصاف على جانب عظيم من الحذاقة والحزم والجمال والعفة . وكان قد طلبها كثير من اشراف البلاد ليتزوجوا بها فلم تقبل واختارت ان تبقى حرة رئيسة على جسدها كما كانت على ملكتها وكانت بهذا المقدار تأنف من الزواج حتى انها كانت تظهر الاسف والحزن عندما يبلغها زواج من تعرضن من السيدات .

وكان قد خطبها لنفسه فيليب الثاني ملك اسبانيا فابت وامتنعت فاغناظ منها وصم على افتتاح بلادها فجهز عمارة بحرية وارسلها سرّاً لتلك الاطراف لاختضاع الولايات البريتانية فهاجت عليها عواصف شديدة اعدمت جانباً منها واما ما سلم من العواصف فالتفتة العارة الانكليزية

ولهذه الملكة بعض اعمال قاسية فهاكي اعمال ايها هنري الثامن منها انها امرت بقتل مريم ملكة اسكونسيا التي انت الى انكلترا طالبة الحماية من مقاومتها بعد ان حجرت عليها نحو ١٢ سنة . ولكن نجاح الملكة وتقدمها سواء كان بحسن سياستها ام بواسطة الرجال العظام الذين اشتهروا في ذلك الوقت واعانوا على انتشار المعارف والصنائع اخفى نقائصها وزلاتها . وفي مدة تلك هذه الملكة حصلت مذهبة ماربرثماوس في فرانسوا حيث قتل جمهور غفير من البروتستانت فكان امتداد المعتقد البروتستانتى سبباً لمقاومات وحروب كثيرة في اوروبا وكان اكثرهم جرمانيين وفرنساويين وهولانديين فكانوا يتركون بلادهم ويذهبون للاختفاء في اماكن مختلفة اخصها انكلترا لان البصابت كانت تحمي كل من استجار بها من هذا القليل وادخلوا معهم جملة من الصنائع والفنون ما كان مجهولاً او غير متفن في انكلترا فكان ذلك من جملة اسباب التقدم والنجاح . وفي مدة حكم البصابت ادخل الهولنديون الشاي الى انكلترا والجرمانيون الساعات وادخل احد امراء الانكليز التبغ والبطاطا وسنة ١٥٨٠ عملت المركبات وفي سنة ١٦٠٠ تشكلت شراكة الهند الشرقية التي كانت سبباً لادخال كل تلك البلاد في طاعة بريتانيا الى الآن هذا ما عدا التاليف العديدة وترجمة الكتب الكثيرة التي اتى بها رجال ذلك العصر ثم توفيت هذه الملكة في سن السبعين وتركت الاسف والحزن لشعب الانكليز اذ لم يبق قط في انكلترا من يسوس البلاد مثل تلك المجيلة

الباب السابع في تملك عائلة استوارت

ان اضل ملوك هذه الدولة من اسكونسيا وكانت اكثرا يامهم عديمة الراحة والانتظام من جري النزاع والمشاجرات المستطيلة التي كانت تحدث من الشعب ضد السلطة المطلقة سواء كان من طرف المحكام ام من طرف الامراء العظام الامر الذي كان قد اقلق الملكة وافقد المجلس نفوذه الشرعي وفي اثناء تلك المشاجرات انتقلت الحكومة مدة من حالة الملكية الى حالة المشيخة تحت رئاسة اوليفر كروموويل كما ستقف عليه . وبعد موت اليبابات خلفها جيمس استوارت وهو اول ملوك انكلترا بهذا الاسم والسادس في اسكونتلاندا وكان ابتداء حكمه سنة ١٦٠٣ وكان السبب في انتخابه ملكا هو ان اليبابات عند موتها كانت قد اقررت له بالخلافة من بعدها لانه كان ابن ابن ابنة هنري السابع ملكة اسكونسيا التي قطعت اليبابات راسها . ومن ذلك الوقت انضمت اسكونسيا الى بريطانيا العظمى وصارتا تحت حكم ملك واحد

وكان هذا الملك حاذقا ادبيا نجيبا بارعا في العلوم والمعارف محبا للطلعات وقد ألف كتباً عديدة مفيدة وكان متمكنا في اللغة العبرانية واليونانية واللاتينية مغرما بالتكلم بها حتى ان وزرائه كان يصعب عليهم احيانا كثيرة ان يفهموا معنى كلامه واما هو فكان يحسب نفسه من درجة سليمان في الحكمة . وفي ايامه حاول بعض الباباويين احراق مجلس البرلمان بن فيه بغضا للبرونستانت الذين كانوا يزددون ويتقدمون بمقتل ما كان اولئك ينفصون ويتأخرون فصنعوا كميناً وضعوا فيه ٣٥ برميلا من البارود وبينما كانوا يترقبون فرصة مناسبة لانعام هذا العمل اكتشف الملك جيمس على هذه المكيدة فبادر في الحال وارسل حراسا

يراقبون اعمال المشتريين في تلك الدسيسة فوقعتم يدهم على رجل اسمه كاي فوكس وهو في نفس المكان حيث كانت البارود موضوعاً فقبضوا عليه واحضروه امام الملك واخذوا يستطفونه فاعترف بحقيقة الحال واقترع عن ثمانية رجلاً من رفاقه فاحضروهم الملك وحكم عليهم جميعاً بالموت . وكان لخمسة صفة حميدة نادرة الوجود عند الملوك بنوع الاجمال وفي انه كان مبغضاً للحروب ولذلك قضى مدة حكمه في السلم وتجنبين احوال الرعية ومات سنة ١٦٢٥ وخلفه ابنه كارلوس الاول

وكانت مدة كارلوس متعبة اكثر من زمان ابنه وذلك لانه كان وقته كثير من البروتستانت بقاومون كنيسة الملكة والاساقفة لاجل تشبههم وتسميهم بالاختلالات والعوائد الرومانية التي بقيت من بعد خلع الاعتراف الكاثوليكي . وجانب اخر من الشعب كان يعتمد بان ملوك انكلترا لهم سلطة اكثر من اللازم ولذلك قصدوا ان يضعوا حداً لهذه السلطة وان يجعلوا الملك يملك لاجل مجرد انشراحه ومجده بل لاجل خير الشعب . واما كارلوس فلم يجمع هذه الاعتقادات والتصورات خاسباً ان عامة الناس ظنوا لاجل تسلط الملوك عليهم فقط . ففي بداية حكمه اثار اضطرابات على المطالعة الانجليزية ولم ينسحب لاحد من قسوتهم ان يباشر وعظاً ولا للشعب ان يحضروا الى الكنيسة لاجل استماع الوعظ وضابغهم كثيراً لكنه لم يجسر ان يامر بحرقهم بالمار كما فعلت الملكة مريم فسافر كثير من منهم الى اميركا طالين حرية الدين وكان يوحنا هيدين ويوحنا ييم ولويلر كرومويل وغيرهم من الذوات المشهورين قد صعدوا على السفير الى اميركا فتمهم الملك قصاروا بعد عجز اقوي اعدائهم

وكان البارليمنت (مجلس الامة) الى حين حكم كارلوس الاول لم يجسر اعضاؤه قط على مقاومة ارادة الملك واما الآن فوقع بينهم وبين كارلوس مشاجرات مستديرة واصروا على حفظ حقوقهم وكرامتهم وعدم اطلاق العنان للملك فكان ذلك سبباً لعزيم من مناصبهم وتولية خلافهم وما يستحق الاستغراب

انه كلما اقام الملك مجلساً جديداً وجد مقاومة من اعضائه اشد من سلفائهم لان روح الحرية كان قد نمكن في صدور العامة والنور كشف عن بصيرتهم رداء الاستعباد لارادة شخص مطلق التصرف . وما زال الحال يزداد يوماً فيوماً حتي لم يبق وجه لصرف هذا المشكل بالكلام فتسلح الفريقان ونهضا لمحاربة بعضهم بعضاً وكانت اكثرية عظماء انكلترا واسكوتلاندا واساقفة الكنيسة الانكليزية وكليرونها مع جميع شبان المملكة الفطاحل مخزيين الملك كارلوس واما حزب المجلس فكان بعض الشرفاء والاكثرين كانوا من اهل الصنائع وعامة الشعب فعزم هولاء على مقاومة الملك وحزبه وصمموه انهم لا يشنون عن عزيم ولو صرفوا جميع اموالهم فابتدأت الحرب بين الفريقين سنة ١٦٤٢ وحدثت مواقع كثيرة بينها جرت فيها الدماء كالغدران وكان من جملة المخزيين للمجلس رجل يقال له اوليفر كرومويل من عائلة معتبرة موصوفاً بالشجاعة وعلو الهمة فنهض لمقاومة الملك واعوانه وعين على نفقة نفسه الآباء من العساكر المجهادية كان هو مدبرها ورئيسها فنجح في اعماله واشتهر في مواقعهم حتي ارتقى الى رتبة فريق ولامر بريدته الله انتصر في موقعين عظيمتين احدهما في مارستين مور سنة ١٦٤٤ والاخرى في ناسي سنة ١٦٤٥ فالتزم الملك كارلوس ان يسلم نفسه لاحكام القضاء والقدر اذ لم يجد امكاناً للتخلص من ايدي مقاوميه فقبض عليه اوليفر كرومويل والغاء في قصره تحت الترسيم واخذ كرومويل من ذلك الحين يوجه افكاره وآماله الى الجلوس على سرير المملكة فاستعمل لذلك الوسائط المناسبة واستمال اليه قلوب العساكر وقواد الجيوش ثم اشتغل في اقناع المجلس ان يحكم بقتل الملك كارلوس واذا رأى كثيرين منهم لا يوافقونه في هذا الرأي وضع السيف في اعناق البعض ونفى البعض منهم ولم يبق في المجلس الا من كان موافقاً له ولما تم له ما اراد اقام محاكمة كارلوس بحضور اعضاء المجلس فوجد خائفاً مستعني الموت فاضطرب الشعب من هذا الحكم واستعظوه ولكن لم يستطع احد ان يحرك ساكناً لان هيبة كرومويل وسلطوته كانتا كافيتين لمنع

المصاوة والشفاق . فعند ذلك امر باحضار الملك من قصره الى محل القتل فأُتي به في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٤٩ حيث كان موضوعاً قطعة من خشب الجلاباد ببلطية واقفاً بالقرب منها وعساكر كرومويل وقوفاً بسلاحهم حوله فتقدم الملك نحوهم بكل ثبات وهدو وقال لقد نزعوا عني تاجي الذي بنى ولكني ذاهب لانا ل نأجاً لن بنى ثم جثا على ركبتيه وصلى ثم التفت نحو الشعب وودعهم وبعد ذلك وضع عنقه على تلك الخشبة المذكورة فرفع الجلاباد ببلطية وقطع بها راس الملك . وكان الملك قد ترك ولداً ذكراً يخاف كرومويل من عاقبة امره . لئلا يهيج الشعب ثانية ويدعي بالارث فيبادر في الحال باجراء التفتيش عليه ليهلكه فعثرت به الجنود وهو مع زمرة من المتخزين له فاحاطوا به وضابطوه ولكنه اخبراً تخلص من بين ايديهم وهرب

فلما خلت كرسي مملكة انكلترا من ملك او ولي عهد تجميع عظام الشعب واكابر الاشراف واقاموا عليها مديراً ورئيساً كرومويل المذكور واطلقوا عليه اسم محامي انكلترا وسموا حكومتهم الحالية بالجمهورية فكان كرومويل يتعاطى مهام الاحكام ورياسة الجيوش فارفع قدره وانتشر ذكره ووقعت هيئته في قلوب الناس وما زالت سطوته تمتد في البلاد حتى انه في اقرب وقت استولى على زمام المملكة فنزعوا عن المجلس الكبير من هذا الامر واعترضوه على ذلك اما هو فلم يلتفت اليهم بل عزلم في الحال واقام اناساً غيرهم ممن كان يأنتمهم ويعتد عليهم الا انهم لم يقوموا بوظائفهم اكثر من خمسة اشهر حتى استعفوا جميعهم فقبل استعفائهم حالاً اذ كان ذلك اعز مشتهاه وغاية متمناه

وسنة ١٦٥٤ نودي به السيد المحامي لجمهورية انكلترا وبني متقلداً ذلك المنصب مدة اربع سنوات وكان حاكماً حازماً ذا اقتدار وسطوة مهيبة مكرماً من اهل المملكة وسائر الدول وكان دائماً لباساً درعاً تحت ثيابه خوفاً من غدر احدائهم واستمر كذلك الى ان مات محبوماً سنة ١٦٥٨ وهو في سن التسع والخمسين وخلفه ابنته ريكاردس في نفس المنصب ولكنه لم يكن كنوا له واذ لم

يمكنه ان يجعل اهل المملكة تنقاد لوامره خلع نفسه من الوظيفة فاصبحت الحكومة في قلق واضطراب واشتاق الشعب الى ترجيع سليله ملوكهم طائنين ان الحكومة لا تلج نائية الا نحت زمام احكامهم وكان الجنرال جورج منك اول رجل ذي سطوة وهيبة في العسكرية بعد موت كروموويل المذكور فدعا بكر كارلوس الاول للرجوع الى بلاده ووعده بمساعدة العسكرية لاجل تسميته ملكا وكان هذا الامير المنفي قد صرف زمان غربته في اماكن مختلفة في اوروبا واتصل الى ادنى درجة من الثقافة فاسرع بالرجوع الى انكلترا ودخل مدينة لندن بكل عترة واکرام وفرح الشعب بقدومه وتوجه سنة ١٦٦٠ وتنبه بكارلوس الثاني ولما استبد بزمام الاحكام وصفت له الايام امر بشنق كثيرين من الاشخاص الذين تداخلوا بقتل ابيه الملك السابق ثم اخرج جثة اوليفر كرومويل من مدفنها وامر بعملتها على المشقة ثم اعادها الى مكانها

وكان كارلوس الثاني هنا قد عاش عيشة رخية مدة نفي وعند جلوسه على كرسي المملكة استمر على ما كان عليه وصرف اكثر ايامه وليلاليه في شرب الخمر وفي قضاء شهواته الدنية . واتفق سنة ١٦٦٥ ان انكلترا اقامت حربا على هولندا مدعية انها تعرض لتعطيل تجارتها فارسلت عمارة بحرية تحوي على ١١٤ قطعة حربية تحت رياسة الدوك يورك احيى الملك وعند وصولها الى تلك الاطراف اشتبك القتال بين الطرفين في ٢١ نيسان من السنة المذكورة كان النصر فيها للانكليز ثم في السنة نفسها حدث وباء عظيم في مدينة لندن اهلك تسعين الف نسمة من الاهالي في سنة واحدة ثم اغتبه حريقه مهولة احرقت ثلاثة عشر الف بيت من المدينة ولم تؤثر هاتان الضربتان ادنى تأثير في الملك بل استمر على حاله المبهودة . وكان قد سلم زمام الاحكام بايدي اناس من اهل الشقاوة عديمي المعرفة والشفقة حتى ان الديانة والفضيلة حسبتا خيانة ورديلة في مدة حكمه . وقد حدثت موقعتان اخريان بين انكلترا وهولندا كانت الدائرة فيها على الانكليز واخيرا وقع الصلح بين الدولتين وصار امضاء المعاهدة

في بريتا في ١٠ تموز سنة ١٦٦٧ وفي تلك المعاهدة اعطت هولاندا لانكلترا مدينة نيويورك من تلكاها في اميركا وكان مقصد انكلترا في اتحادها مع هولاندا ان تقاوم نظام فرنسا في افتتاحاتها فارسلت قاصداً من طرفها الى هولاندا وعقدت معها صلحاً واشترك معها في هذا الاتحاد ملكة اسوج وزوج فسي ذلك الاتحاد الملك . ومن سياسة هذا الملك المفقوة انه ابطال بعض شرائع الملكة بدون مخافة المجلس واقام خمسة نواب من اشراف الملكة للقيام بهام الملكة وتأييد سلطته المطلقة بدون التفات الى البرلمان فعقد هولاء عهداً مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا على حرب هولاندا براً وبحراً ونهب اموالها وباداة مشيختها فلم يصدق الهولنديون هذا الخبر ولكنهم تحققوه عندما اشهر الملك كارلوس الحرب عليهم سنة ١٦٧٢ باتحاد فرنسا فكان هذا الامر بعد من اعظم العيوب نظراً للمعاهدات التي كانوا قد اتفقوا عليها . ومن ثم اشتهت الحرب مجراً بين العارة الانكليزية والعارة الهولندية وكانت العارة الفرنسية هناك فلم تاتى الانكليز بالساعدة المطلوبة وبعد عدة وقائع الفسحت عمارة هولاندا من ميدان المعركة ولم تبعها عمارة الانكليز فكانت غلبة غير كاملة ثم بعد ذلك غزا الفرنسيون هولاندا براً واضروا باهلها ضرراً جسيماً كما سذكر ذلك مفصلاً في محله . واذ لم تخن انكلترا ثمة من هذه الحروب الا هلاك رجالها وصرف اموالها ونسب المجلس اعمال الملك على سوء تصرفه بتلك السياسة وعلى ابطاله شريعة قصاص مخالفتي الاصلاح الذي فان العامة اعتبرته مخعة للباباوين وتعدياً على حقوق المجلس في ابطال شيء كان قد عنده فسلم الملك لدعوى المجلس وابطل مجلس النواب المذكور ثم عقد الصلح مع هولاندا وزوج ابنته مريم بالبرنس ولیم اورانج الهولندي لتوطيد روابط المحبة والاتحاد . وكان قد حدث حملة اضطرابات في داخلية البلاد من جهة الدين والدنيا لم يتصرف بها كارلوس العرف المحسن واستمر على حاله الى ان مات سنة ١٦٨٥ وخلفه اخوه جيمس الثاني

وكان جسم المذكور كاثوليكيًا في اعتقاده ولم يكن اهتمامه إلا في كيفية ارجاع شعب بريطانيا العظمى ثانية تحت سلطة بابا رومية وبهذا العمل جلب على نفسه بغض رعاياه حتى ردلوه واحرقوه وخدوا عليه وصموا على عزله ليخلصوا منه ثم هاجت منهم العظام والاشراف ودعوا وليم برنس اورانج ليأتي من هولاندا ويصير ملكًا عليهم ولم يكن لهذا البرنس حق بالملك غير انه كان قد تزوج بابنة اخي هذا الملك كما سبقت الاشارة فحضر وعند وصوله الى انكلترا بادر الناس لاستقباله وجاهوا به الى القصر الملكي بهوكب عظيم فبايعوه بالملك وتوجوه مع امرائهم سنة ١٦٨٩ تحت لقب الملك وليم الثالث والملكة ماري . واما جسم فكان قد فرّ هاربًا الى فرانس وكان بعض احزائه يحاولون ان يبيدوه ثانية الى كرسي الملكة ولكنهم لم ينجحوا في ذلك هذا التغيير الذي حدث في الملكة يسمي اعتياديًا بثورة سنة ١٦٨٨ المجيدة . ومن ذلك اليوم صار وضع بعض النظمات والقوانين لاجل تقييد السلطة الملكية وتثبيت الشرائع المستنونة والتي تُسنّ ومن جملة تلك القوانين انه لا يباح بالتاج الملكي لاحد الا لمن كان بروتستانتًا . وفي تلك الاثناء اضطرت الملكة الى قرصة دراهم لاصلاح لوازمها فتناولته من اغنياء بلادها وكان ذلك اول دين على الدولة فتشكل لاجل سنة ١٦٩٤ البنك المعروف بينك انكلترا وهو البنك الباقي الى يومنا هذا . اما وليم فانكب على اصلاح داخلية البلاد واتحاد الفتن فتمت في ايامه الاقاليم البريطانية وزهت ومن ذلك الحين اخذت تجارتها تمتد من خارج وصنائعها من داخل . وما ساعد ايضا على هذا التقدم هو ما حدث في فرانس في مثل ذلك الوقت في ايام ملكها لويس الرابع عشر عند القائه المنحة المعطاة للبروتستانت من جهة هنري الرابع في ممارسة امور ديانهم بلامعارض فانه عند ذاك اتى واستوطن في انكلترا خمسون الفا من المهاجرين الفرنسيين وكان اغلبهم من ارباب الصنائع واليمن فاقاموا فيها الاشغال معلمين ما كان مجهولًا ومساعدين في ما كان جارياً فامتدت بواسطتهم دائرة الاعمال والفنون ولتقدم انكلترا اسباب

اخر كثيرة لا يسعنا ذكرها . واذ كان هذا الملك الفاضل مغرمًا في الصيد كان ذلك سببًا لتعجيل موته فانه وقع عن جواده يومًا ما في سنة ١٧٠٢ وهو بصطاد ومات بعد ذلك بشهرو كانت الملكة قد توفيت قبله بعدة سنين
ثم نبوأ بعده تخت الملكة حنة ابنة جيس الثاني وكان حكمها حكمًا مجيدًا لانكترا وفي ايامها انتصر الدوك ملبروك الشهير في وقائع مشهورة على الفرنسيين وكان ذلك بالانحداد مع هولاندا والنمسا لاجل تنكيس سطوة فرانس التي ارادت ان يقيم ملكًا على اسبانيا احد اعضاء ملوكها . وكان اشهر تلك الوقائع حرب بليهم حيث كانت خسارة الفرنسيين مع حلفائهم اهل بافاريا ٢٥ ألفًا وقد الماريشال نالار واما خسائر الانكليز وحلفائهم فكانت ١٢ ألفًا . وفي ايام هذه الملكة أخذ حصن جبل طارق سنة ١٧٠٤ من الاسبانيوليين وهو اعظم حصن في العالم ويعتبر مفتاحًا للبحر المتوسط وقد اجتهد الاسبانيوليون والفرنساويون مرارًا عديدة على اخذه من ايدي الانكليز فلم يستطعوا . واشهر عصر الملكة حنة بوجود العلماء والفلاسفة المشهورين مثل نيوتون ولوك وميلتون وبنيان ودريدن الذين عاشوا وقتئذٍ والفوا مؤلفات عديدة في الفلك والهندسة والشعر والديانة وغير ذلك وبواسطتهم امتدت العلوم والفنون في اقطار الملكة وفي العالم اجمع . واستبدت الملكة حنة بالتصرف الملكي مدة ١٢ سنة وماتت سنة ١٧١٤ ولها من العمر ٤٩ سنة وكانت هي آخر من ملك على انكترا من عائلة استوارت الذين كانت بداية احكامهم على ملكة الانكليز سنة ١٦٠٣

الباب الثامن

في ملوك بريطانيا العظمى من عائلة هانوفر

وكان الملك جيس المنفي قد توفي في فرانس سنة ١٧٠١ وخلف ابنا هناك

تغصب له لويس الرابع عشر ملك فرنسا وتوجه ملكاً على انكلترا فطلبه شعب
الانكليز بالمدعي اذ كانوا مضمينين على عدم قبولهم ملكاً كاثوليكياً عليهم . وكان
اقرب وريث بروتستانتى للملكة حنة اميرة الماني من آل هانوفر انة ابنة جنس
الاول وعمره يومئذ ٥٥ سنة فنودي بهذا الامير ملكاً على انكلترا تحت لقب
جورج الاول وهو اول ملك من العائلة الهانوفرية ولم يكن يعرف اللغة الانكليزية
ولاشيئاً عن احوال المملكة التي كان مزماً ان يتقلد زمامها . فصرف اكثر اوقاؤه
في هانوفر لانه احب وطنه محبة شديدة ولم يكن له ميل ورغبة في السكن في قصر
ملوك الانكليز . وفي ايام هذا الملك حدث حملة حروب مع اسبانيا لانها ارادت
ان تمنع اتصال التجارة الانكليزية مع مملكتها الاميركانية ولان نستخلص منها جبل
طارق فلم ينجح ولا في واحدة منها ثم مات سنة ١٧٢٧

وخلفه ابنه جورج الثاني الذي ولد ايضاً في جرمانيا وكان في حياة ابيه
متقلداً رياضة العساكر الانكليزية . وفي ايامه كانت الحرب مع اسبانيا لا تزال
سائرة على قدم الاسراع فانهصر جورج في موقعة ديتجن ولكنه خسر في موقعة
فونطينوي ثم حارب فرنسا وبيت لاتحادهم مع اسبانيا وانتصر عليهم . وسنة
١٧٤٥ حاول ابن جيمس الثاني ان يعيد اليه تاج ابيه فجهز بجيش قليل
مؤلف من فلاحى اسكتلندا وتقدم الى انكلترا ولكنه لم ينجح في مشروعه
واضطر اخيراً الى الفرار ووقعت خجوعه في ايدي الانكليز فقتلوه عن اخرهم .
ثم في سنة ١٧٥٥ انتهت الحروب ثانية بين فرنسا وبيت الانكليز بسبب
مملكتهم الاميركانية فان كلاً من الدولتين ارادت استخلاص مملكات الدولة
ال اخرى والسيادة في تلك الاقطار . وكان وقتئذ في وزارة انكلترا ولم يت الشهير
بالسياسة وحسن التدبير فجعل انكلترا تتعد مع بروسيا وتساعد في الحروب
القائمة وقتئذ بينها وبين اوستريا وروسيا بسبب بولونيا وبعض املاك جرمانية
واذ كانت فرنسا من التحالفين ضد بروسيا التزمت عند ما رأت معاضدة انكلترا
لفريدريكوس الكبير ان تزيد قوتها العسكرية في اوروبا لمقاومة التحالفين ففتح

عن ذلك وضعها في اميركا وكان ذلك غاية مراد ولم يت فاعتم الانكليز
الفرصة المناسبة وجرى بين الطرفين عدة وقائع مهولة في اميركا انتصرت فيها
الانكليز واستولت عساكرها على مدينة كويك تحت قيادة الجنرال ولف وعلى
مقاطعتي كندا اللتين كانتا من تملكات الفرنسيين و اضافتهما الى املاكها
الكثيرة فصارت كل البلاد المتحدة تملكات انكليزية . وبعد نهاية هذه الحروب
بمئة و خمسة و ثمانين سنة من العر ٧٧ سنة

ثم قام بعده ابنه جورج الثالث سنة ١٧٦٠ . وله من العر نحو ٢٢ سنة
وكانت احوال الملكة وقتئذ جيدة جداً فتراكمت عليها مصائب شتى حتى انه
كان خيراً له لو مات يوم تويجه . وكان عاقلاً حكماً ذا سيرة حسنة يُعَدُّ من
افضل عوم الملوك ولكنه كان غنياً بهذا المقدار حتى انه كان احباً كثيرة برفض
مشورة من كانوا احكم منه . وفي ايامه حدثت الثورة الاميركانية واستقلت تلك
الملكة العظيمة وخضعت طاعة الانكليز كما سيأتي تفصيل ذلك عند ذكر اخبار
دولة اميركا وتظاهرت فرانساً بمساعدة الاميركان ومقاومة الانكليز واغتنمت
اسبانيا ايضاً تلك الفرصة لاستخلاص جبل طارق من ايدي الانكليز فلم ياعها
ذلك بادنى فائدة لمهارة وبراعة واليها اليوت الشجاع المشهور الذي دفع عنها
مصادمة العدو بشرف جريل . وبسبب بعض تعصبات دينية في مدينة لندن
بين الكاثوليكين والبروتستانت حصل نوع من الهيجان بواسطة الغضب فاخذ
البعض يحرق بيوت البعض فكانت ٢٦ حريقاً في وقت واحد في كل اطراف
المدينة . وسنة ١٧٩٨ تظاهرت ايرلاندا بالعصاة وكان السبب في ذلك
استقلالية اميركا وجمهورية فرانساً فبعيناً فيها الرغبة والاشتياء الى الاقتداء بها
ولكن اذ لم يكن بين شعبها روح الحزم والانضام بسبب اختلاف المذهب ولم
يوافق البروتستانت الكاثوليكين على مشروعهم تحولت تلك السياسة الى قضية
دينية بين الطرفين

وقد اشتهر في ذلك العصر الاميرال نيلسون احد روساء العارة الانكليزية

باتصاراته الكثيرة منها غلبته في ابي قبر على العمارة الفرنسية التي جاءت
بنابوليون وجيوشه لاقتاج الديار المصرية والتقدم على الولايات الانكليزية
الهندية فوافاهما في ٢١ آب سنة ١٧٩٨ واصطلت نيران الحرب بين الطرفين
وكانت القوة متساوية وفي اقل من ست ساعات انتصر عليهم انتصاراً كاملاً ولم
يسلم من سفن الفرنسيين التي كانت سبع عشرة قطعة غير اربع فقط فانها
فازت بالفرار والبقية أُسرت وحُرقت وكان من جملتها مركب الاوربان المعروف
بمركب نصف الدنيا فان لهيبه حوّل ظلام الليل الى نهار واذا كانت رجالة
في اشد الضنك والخطر ارسل لم نيلسون القوارب وخلصهم . وفي اثناء هذه
المعركة أصيب نيلسون برصاصة في جبهته ولكنها لم تكن قاتلة . وكان هذا الاميرال
المذكور من عجائب الدهر ذكاه وفهاماً وشجاعة لا يباي بالاختطار ولا يقدر
العواقب وقد ارتقى الى هذا المنصب الرفيع بهارته ودرايته لانه كان من عائلة
خاملة الذكر . وما يستغنى ان يحكى انه كان بعين واحدة ويد واحدة ففدها في
بعض وقائعه السابقة وكان من اشد الناس بغضاً للفرنساويين حتى انه اصطنع
لنفسه تابوتاً من خشب السفينة المدعوة بنصف الدنيا واوصى ان يدفن به عند
موته وهذا من اغرب الامور

وسنة ١٨٠١ اتحدت دولة الدنياركة مع دولة اسوج ونروج على حرب
الانكليز بحراً وكان ذلك باتفاق وراي روسيا وفرنسا فجهزت انكليزاً عمارة
بحرية وارسلتها الى بحر البتليك تحت رياسة سارهيد باركر وكان نيلسون حينئذ
متقلداً الرياسة الثانية فلما اشرفا على خليج مدينة كوبنهاجن عاصمة الدنياركة وجدا
تحصينات قوية جداً برّاً وبحراً تمنعها عن العبور في ذلك الخليج نظراً لكثرة
حصونه وقلة مائه فوّلج سارهيد باركر الاميرال نيلسون ان يتعاطى امر الهجوم
فامر نيلسون بفتح البناجر واطلاق النار من بعد ما قسم مراكبه الى فرق ورتب
كيفية المعركة فاشتبك القتال بين الفريقين واضطربت نيران الحرب وصعد
لهيبها على نوع مهول جداً حتى ان نيلسون عند اجتماعه بولي العهد بعد هذه

الواقعة قال انه في المئة وخمس مواقع التي حضرها لم يشاهد قتالاً مريباً مثل ذلك القتال نظراً لعدم وجود عمق كافٍ والتزام المراكب ان تقدم الى قدام لكي يتمكن من العدو. وما زالت الحرب قائمة على قدم وساق حتى مست بعض سفن القاع ولم يعد يمكنها الحركة فحسرت نيلسون في اثناء ذلك ربع قوته ووقع في خطر عظيم فحينئذ رفع له سارهيد باركر علامة الرجوع خوفاً من حلول الادي عليه واما نيلسون فلما اخبر بان الرئيس الاول يدعوه للانحاب انتزع النظارة ووضعها على عينه العوراء ووجهها نحو الاشارة وقال اني لا ارى شيئاً ما نقولون فابقوا راية الحرب منتشرة وواظبوا على اشغالكم ثم رجع الى ما كان عليه من تشديد الحرب والهجوم على الاعداء حتى اعدم جملة من مراكب الاعداء ونكس رايانهم وضعه احوالهم وبعد انتصاره هذا عليهم عقد معهم صلحاً تحت شروط معلومة. ومن ذلك الوقت ارتفعت منزلة نيلسون ووقعت محبة في قلوب رجال الدولة الانكليزية فسموه لوردًا وقلدوه رياسة البحر العمومية. ثم توفي هذا البطل سنة ١٨٠٥ في حرب ترافالكار الشهيرة عند ما تعاضدت فرانس واسبانيا ضد انكلترا فالتفها نيلسون بسبع وعشرين قطعة حربية بينما كانت عمارة العدو ٤٠ قطعة. وكان نيلسون قبل وقوع الحرب قد دخل الى غرفته فكسب وصيته ثم صعد الى ظهر المركب واعطى اشارة لباقى ضباط المراكب بمحتم على الحرب ويعلم بان انكلترا تنتظر في ذلك اليوم من كل رجل من رجالها ان يقوم بمجنى خدمته ويعمل ما يتوجب عليه ثم امر باطلاق القنابر والمنايع فاطلقت في الحال واشتد بين الفريقين القتال وكان نيلسون لسوء حظ لا يأساً كل نياشينه فجلب عليه ذلك مراقبة خصوصية من طرف الاعداء. وكان بجانب بارجه سفينة فرنساوية على مسافة عشرين ذراعاً فقط فاطلق عليه احد جنودها رصاصة اصابت ظهره فكسرت العظم وجرحته جرحاً بليغاً فوق وقع مغشياً عليه فقلوه الى غرفته ثم افاق وهو على اخر رمق فاستدعى القبطان اليه فلم يحضر الا بعد خمسين دقيقة لانه كان منهمكاً في ادارة الحرب ولم يمكنه ان يترك مركبه الا بعد نهاية المعركة

فدخل عليه ليهبته على الاتصار العام الذي انتصرته انكلترا في ذلك اليوم
فسأله نيلسون ان يعلمه عن عدد المراكب الماخوذة من الاعناء واذ لم يكن
بعد واقفاً على حقيقة عددها قال ليست هي باقل من ١٤ او ١٥ فاجاب
نيلسون جيداً ولكنني كنت اشترطت على نفسي عشرين مركباً وبعد ذلك الوقت
بماعتين اسلم الروح وهو يقول انني لم ارضى ومسرور ان تميت ما علي. ومن
ذلك الوقت ثلاثت قوة نابوليون البحرية ولم يبق لها فاقم بعد

ولكن مع ذلك لم تزل انكلترا في خوف واحساب من سطوة ذلك الجبار
العنيد فكانت تراقب خطواته وتنهز كل فرصة لنصفته وتكسر شوكة فسادت
ملك نابولي عليه براً وخوفاً من ان نابوليون يستعين عليها بمراكب الدنياراك
ارسلت عمارة قوية فصرمت كونها جن واخذت مراكبها الحربية رهينة بشرط
انها ترجعها لما عهد ما يتم الصلح العام في اوروبا

ففيما كانت انكلترا تكتسب نجاحاً وفخراً من خارج بواسطة اقتصاراتها
العديدة وتوسع تملكاتها ونوطيد قواها حكمها في الهند كانت من داخل تزداد
غنىً وفخاحاً وغنى بواسطة تقدم المعامل وسائر الصنائع فصار يمكنها غزل القطن
وبعده باثمان بخمسة اذ لم يمكن لاحد غيرها ان يسايقها على ذلك فصارت رئيسة
سوق العالم في السطوة والتجارة هذا فضلاً عن تقدمها بالاختراعات الميكانيكية
وبالاستقرجات الكيميائية وفي اصلاح الطرق الكثيرة وايجاد العربات الهومية
لتسهيل منقولاتها في داخل البلاد وفي فتح الترع الكثيرة حتى انة في ظرف
اربعين سنة فتحت مئة وخمسة وستين ترعة هذا فضلاً عن عزمها الشديد في
امتداد علومها واكتشافاتها الجديدة فانها اكتشفت شطوط اوستراليا وزيلاندا
الجديدة التي قصدها كثير من الناس سنة ١٧٨٨ وسكنوها وغير ذلك من
البلاد. واما العلوم والفنون فكانت سوقها في رواج لا مزيد عليه ولا سيما علم
الهيئة الذي بواسطة نظارة الفيلسوف هرشل تقدم تقدماً بليغاً وكذلك علم
الكيمياء بواسطة بريستي وكافنديش. واما النش والتصوير والشعر فقد بلغت

درجة سامية وما يستحق الذكر أكثر من كل ذلك ابطالها التجارة بالعيد
ولنرجع الآن الى ما كنا بصدد من اخبار الملك جورج المذكور فنقول انه
كان قد اعتراه اختلال في عقله ابتداءً فيه سنة ١٧٨٨ ودام معه عدة شهور ثم
اشد عليه الحال سنة ١٨٠٤ وما زال في ازدياد حتى اخل بالكلية ولم يعد يعلم
ما هو جار في الملكة فتولج ادارة الملك ابنه الاكبر . وفي زمن وكالته كسرت
انكلترا شوكة بونا بارت باتحاد بعض دول اوروبا ولا سيما في واقعة واترلو
الشهيرة التي بها انقضى حكم نابليون الاول وكان وقتئذ قائد جيوش الانكليز
الدوك ولينتون الشهير الذي ذاع صيته واشتهر في اقطار العالم بالبسالة والإدارة
الحرية والانتصارات العديدة في بلاد الهند ولوروبا ولا سيما في واقعة واترلو
المذكورة . ثم توج هذا الملك سنة ١٨٢٠ تحت اسم جورج الرابع ولم يحدث في
ايامه من الامور المهمة سوى مداخلة انكلترا مع فرنسا وروسيا في اطفاء نيران
الحرب التي كانت متقدة بين الدولة العثمانية والدولة اليونانية عندما نهضت
طالبة استقلاليتها . وسنة ١٨٣٠ توفي هذا الملك وخلفه ولم الرابع وفي ايامه
انسعت دائرة المعاملات التجارية وتحسنت احكام الملكة وصدرت نظمات
جديدة مستحسنة اوقت الحكومة من الثورات الداخلية . وفي السنة الاولى من
حكمه صار انشاء السكة الحديدية الاولى بين ليغربول ومانشستر . وسنة ١٨٢٤
صدر قرار المجلس الكبير باعناق عيد الهند الغربية واعطاء ساداتهم على سبيل
التعويض مبلغاً قدره ٢٠ مليوناً من الليرات الانكليزية

ثم خلف ولم الرابع فيكتوريا الملكة الحالية وذلك سنة ١٨٣٧ وهي ابنة
الدوك كنت الابن الرابع لجورج الثالث تزوجت في ١٠ شباط سنة ١٨٤٠
بالبرنس البرت من جرمانيا . وفي ايامها حدث جملة حركات في تملكات انكلترا
لا سيما في الهند لم تنل اصحاب المقاصد والغايات فيها ما رجا بل اخذت هذه
الملكة نيرانها بالقوة الفاتكة وامتدت سطوتها وهبتها في كل جهاتها . وكذلك
اشهرت الحرب على بلاد افغانستان واستولت عليها بعد وقائع هائلة . وقد

اشتركت أيضاً في محاربة الدولة المصرية واخراجها من الديار الشامية سنة ١٨٤٠. وفي سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤١ حاربت بلاد الصين وفتحت الباب لدخول التجارة الانكليزية اليها. ثم حاربت الروسيين في القرم سنة ١٨٥٤ واستظهرت عليهم كما ذكرنا ذلك باكثر تطويل في اخبار الدولة العثمانية. واخضعت بلاد الهند عندما عصت عليها سنة ١٨٥٧ واستلمت زمام حكومتها من ايدي الشراكة التي كان قد صار لها فوق المئة سنة مسئولية زمامها وبذلك انتظمت الاحوال نظاماً لا يشوبه فساد ونودي باسم فيكتوريا سلطانة الهند. ثم حاربت ثانية ملك الصين واجرت معه معاهدات افضل من الاولى يمكنها بواسطتها ان توصل تجارتها الى اقصى تلك البلاد وتزيد غناها. ثم حاربت المصريين وقت الثورة العراقية خوفاً على طريق الهند ودخلت مصر سنة ١٨٨٢ وما زالت فيها الى الآن ساعية في اصلاح شؤونها ولكنها سنبارحها مجال ايجاد الراحة فيها وبالاجمال ان احوال انكلترا في ايام هذه الملكة في غاية النجاش والاقبال من داخل ومن خارج ولذلك ترى رعاياها يحبونها ويعتبرونها ويشنون عليها وهي في الواقع تستحق ان تنظم في سلك اكابر الملوك العظام نظراً لحكمها وجودة رايها وحسن سياستها

الباب التاسع

في ذكر مقاطعة ويلس اي غال

ان الذي يزور هذه المقاطعة ويختلط مع شعبها لا يخطر في باله قط انه موجود في قسم من بريطانيا العظمى نظراً لاختلاف اسماء سكانها ولغتها عن اسماء الانكليز ولغتهم ولكن اكثرهم في هذه الايام صاروا يتكلمون اللغة الانكليزية حتى ان لغتهم الاصلية كادت الآن تزول وتضهل وهي اشبه باللغتين الايرلاندية

والغالية فهذا أكبر دليل وبرهان بان اهلها واهل ايرلندا او جبال اسكتلندا هم من جنس واحد. واما تاريخ ويليـس القديم فهو مجهول غير معروف . ولما دخل الرومانيون الى بريطانيا كان سكان جبال ويليـس اناسا اشداء غلاظ الرقاب ماهرين في استعمال ضرب النبوت فلما فعلوا عن جبالهم ومواطنهم بشجاعة وبسالة لا مزيد عليها فلم يتمكن الرومانيون من الاستيلاء عليهم . ولما اتى السكسونيون لحرب انكلترا اخضعوها باسرها ما عدا ويليـس فانهم لم يتمكنوا منها الا على جانب صغير فقط وبقي القسم الأكبر منها مستقلاً تحت حكم امراءهم واشراقهم كما فعل سلفاؤهم في زمن الرومانيين فيظهر ان اولئك الامراء كانوا ساكنين في قصور منيعة وحصينة كان الاهالي يحامون ويدافعون عن انفسهم فيها في زمن الحرب . ولم يزل اثار بعضها باقياً الى الآن . وجاء الى ويليـس في تلك الازمنة قوم من الغرباء فتوطنوا فيها واذا كانوا من الشعراء نظموا اشعاراً نفيسة وقصوا قصصاً تضمن غارات ووفائع امراء وابطال ويليـس فكان عامة الشعب يسر ويضطرب من استماعها لتضمنها اخبار وحروب قوادهم ومواقعهم المهولة الدموية . وكانوا يدعون اولئك الشعراء الى قصور الامراء فيعيشون بكل رفاهية وسرور . وقد توصل اهل ويليـس الى درجة قبيحة بهذا المقدار حتى انهم كانوا يدعون النبوة نظراً لسطونهم وقوة باسهم وشجاعتهم

ولا يخفى ان وجود عشيرة صغيرة مستقلة في جوار مملكة ذات شوكة عظيمة ما يصعب احتماله عليها فلذلك رأت ملوك انكلترا ان السكوت عن هذه المقاطعة وعدم ادخالها تحت الطاعة والانقياد ما يشين شرفها ويحط مقام عظيمها فصممت على محاربتها وارسلت جيشاً عرمرماً لقتالها واخضاعها فلم تتمكن منها الى سنة ١٢٥٨ حين كان ادورد الاول ملكاً على انكلترا ولوين اميراً على ويليـس . فجهز ادورد عسكرياً جراراً لحرب ويليـس واذا كان شعراء ويليـس يجوبون المحروب الشديدة هيجوا امراء البلاد ليظهروا نشاطهم وشجاعتهم في تلك الوقائع وكان احد الشعراء قد اخبر لوين المذكور بانه سوف يسود ويملك على

جزيرة بريطانيا ولذلك عندما اشرفت مواكب الملك ادورد على تلك الاطراف خرج للقائه الامير لويج بعسكر قليل فانكسر وقتل ثم قام مكانه اخوه داود فدافع عن وطنه بكل بسالة وبعد عدة وقائع انهزمت جموعه وتفرقت اما هي فوقع في اسر الملك ادورد فامر بشقه . وبموتها انقرضت سلالة امراء ويلس وزالت استقلاليتها وصارت ابالة انكليزية من ذلك اليوم . وكان الملك ادورد قد غضب على اولئك الشعراء بسبب تهميمهم الشعب ضده فامر بجمعهم وقتلهم على ما قيل . واما الملك الذي قام بعده فكان مولد في ويلس وأعطى لقب برنس اوف ويلس المعروف ببرنس دي غال ومن ذلك الوقت الى الان صار هذا الاسم لقباً لابكار ملوك انكلترا . واهل ويلس الآن يعتنون بزراعة ارضهم وبالصنائع المختلفة وفي بلادهم بعض معادن ثمينة من الفحم والحديد

الباب العاشر

في تلخيص اخبار اسكوتلاندا اي اسكوتسيا

ان سكان اسكوتلاندا على ما يستفاد من التواريخ كانوا من الامة الغالية والمظنون انهم من نفس الشعب الذي سكن بريطانيا وويلس وارلاندا في الازمنة القديمة وكانوا اصحاب سطوة وبأس حتى انهم قاوموا الرومانيين وحاربوهم عند هجومهم على بلادهم ولما تغلبت الرومان عليهم لم يتمكن قط من اخضاع اهالي الجبال وكانوا يضاربون الرومانيين بهذا المقتلار حتى انهم التزموا باقامة سور من نواحي صلوى فريث الى نهر التين ليتخلصوا من مضايقتهم ومع كل هذه الاحتياطات لم يكن ذلك السور كافياً لمنع تعديات اعدائهم على الآخر . وفي الجبل الثالث او الرابع اتى قوم من الغوثيين من اوروبا واستوطنوا في اسكوتلاندا في الاراضي الواطئة واستعملوا الزراعة وكانوا يعيشون منها . واما

الاسكوتسيون فكانت مساكنهم في الجبال وكانت معيشتهم بواسطة القنص وهكذا
انقسم الشعب الى اهالي الجبل واهالي الوطا وكثيراً ما وقع بينها حروب
ومنازعات ولم يزالوا على هذه الحالة نوعاً الى يومنا هذا

قبل انة سنة ٨٢٩ نهض كيث الثاني الذي كان من قواد اهل الجبال
وحارب عشيرة البكت واخضعها وصار ملكاً على اسكوتلاندا وكان هو اول من
استولى على تلك المملكة ومن ذلك الوقت الى زمن ادورد الاول ملك انكلترا
قام ملوك كثيرين ولكن ليس في تاريخهم شيء مهم

وقد نقدم القول في تاريخ انكلترا ان ملكها ادورد الذي اخضع ويلس
اثار حرباً على الاسكوتسيين وجهز جيشاً لاختضاع ما بقي من الايلات العاصية
في اسكوتلاندا وكيف مات قبل انتم قصده وذكرنا ايضاً عن كسرة ابنه ادورد
الثاني في موقعة بانوكبرن على يد روبرت بروس سنة ١٢١٢ وكانت تلك
الحادثة سبباً لتحرير اسكوتلاندا التي كانت ملوك انكلترا تهددها . فمن ذلك
العصر الى زمن جيمس الخامس ليس في تاريخ اسكوتلاندا سوى حوادث حروب
اهلية ومقاتلات شديدة مع انكلترا . اما جلوس جيمس المذكور على كرسي المملكة
فكان سنة ١٥١٢ وله من العمر ١٢ سنة . وفي اخرايامو مقنة الشعب ورذلة حتى لم
يعد احد يطيع له امراً . فشق ذلك عليه وانتهت به الحال الى انه امانت نفسه
جوعاً وعطشاً وهو ابن ٢١ سنة . وكان للذكر ابنه اسمها ماري ولدت قبل
موتها بايام يسيرة فتسمت بعد ابيها ملكة تحت وكالة امها التي كانت قد ارسلتها
الى فرانساً للتهديب والتعليم . فانقنت العلوم والاداب وبرعت فيها فضلاً عن
ذلك كانت على جانب عظيم من الجمال حتى قيل انها كانت اجمل نساء
عصرها . ولما بلغت سن الست عشرة تزوجت بامير فرنساوي صار ملكاً على
فرانساً بعد زواجها به بسنة واحدة وهو المعروف بفرنسيس الثاني ولسوء حظها
لم تطل حياة زوجها اكثر من ثمانية عشر شهراً حتى توفي فالتزمت ان ترجع الى
اسكوتلاندا حيث ليست ناج ايها المحفوظ لها

جزيرة بريطانيا ولذلك عندما اشرفت مواكب الملك ادورد على تلك الاطراف خرج للقائه الامير لوفين بعسكر قليل فانكسر وقتل ثم قام مكانه اخوه داود فدافع عن وطنه بكل بسالة وبعد عدة وقائع انهزمت جموعه وتفرقت اما هو فوقع في اسر الملك ادورد فامر بشقه . وبموتو انقرضت سلالة امراء ويلس وزالت استقلاليتها وصارت اياتة انكليزية من ذلك اليوم . وكان الملك ادورد قد غضب على اولئك الشعراء بسبب تهميمهم الشعب ضده فامر بجمعهم وقتلهم على ما قيل . واما الملك الذي قام بعده فكان مواء في ويلس وأعطى لقب برنس اوف ويلس المعروف ببرنس دي غال ومن ذلك الوقت الى الان صار هذا الاسم لقباً لابكار ملوك انكلترا . واهل ويلس الآن يعتنون بزراعة ارضهم وبالصنائع المختلفة وفي بلادهم بعض معادن ثمينة من الفحم والحديد

الباب العاشر

في تلخيص اخبار اسكونلاندا اي اسكوتسيا

ان سكان اسكونلاندا على ما يستفاد من التواريخ كانوا من الامة الغالبية والمظنون انهم من نفس الشعب الذي سكن بريطانيا وويلس وارلاندا في الازمنة القديمة وكانوا اصحاب سطوة وبأس حتى انهم قاوموا الرومانيين وجاربوم عند هجومهم على بلادهم ولما تغلبت الرومان عليهم لم يتمكن قط من اخضاع اهالي الجبال وكانوا مضايقون الرومانيين بهذا المنقار حتى انهم التزموا باقامة سور من نواحي صلوى فريث الى نهر التين ليختصوا من مضايقتهم ومع كل هذه الاحياطات لم يكن ذلك السور كافياً لمنع تعديات احدهم على الآخر . وفي المجمل الثالث او الرابع اتى قوم من الغوثيين من اوروبا واستوطنوا في اسكونلاندا في الاراضي الواطئة واستعملوا الزراعة وكانوا يعيشون منها . واما

الاسكوتسيون فكانت مساكنهم في الجبال وكانت معيشتهم بواسطة القنص وهكذا
انقسم الشعب الى اهالي الجبل واهالي الوطا وكثيراً ما وقع بينها حروب
ومنازعات ولم يزلوا على هذه الحالة نوعاً الى يومنا هذا

قبل انه سنة ٨٢٩ نهض كيث الثاني الذي كان من قواد اهل الجبال
وحارب عشيرة البكت واخضعها وصار ملكاً على اسكوتلاندا وكان هو اول من
استولى على تلك المملكة ومن ذلك الوقت الى زمن ادورد الاول ملك انكلترا
قام ملوك كثيرون ولكن ليس في تواريجهم شيء مهم

وقد تقدم القول في تاريخ انكلترا ان ملكها ادورد الذي اخضع ويلس
اثار حرباً على الاسكوتسيين وجهاز جيشاً لاختضاع ما بقي من الايلات العاصية
في اسكوتلاندا وكيف مات قبل انتم قصده وذكرنا ايضاً عن كسرة ابنه ادورد
الثاني في موقعة بانوكبرن على يد روبرت بروس سنة ١٢١٢ وكانت تلك
الحادثة سبباً لتحرير اسكوتلاندا التي كانت ملوك انكلترا تنهدها . فمن ذلك
العصر الى زمن جمس الخامس ليس في تاريخ اسكوتلاندا سوى حوادث حروب
اهلية ومقاتلات شديدة مع انكلترا . اما جلوس جمس المذكور على كرسي المملكة
فكان سنة ١٥١٢ وله من العمر ١٢ سنة . وفي اخرايامو مقنة الشعب ورذلة حتى لم
يعد احد يطيع له امراً . فشقى ذلك عليه وانتهت به الحال الى انه امات نفسه
جوعاً وعطشاً وهو ابن ٢١ سنة . وكان للمذكور ابنه اسمها ماري ولدت قبل
موتو بابامر يسيرة فتسمت بعد ابيها ملكة تحت وكالة امها التي كانت قد ارسلتها
الى فرانساً للتهديب والتعليم . فائقنت العلوم والاداب وبرعت فيها فضلاً عن
ذلك كانت على جانب عظيم من الجمال حتى قيل انها كانت اجمل نساء
عصرها . ولما بلغت سن الست عشرة تزوجت بامير فرنساوي صار ملكاً على
فرانساً بعد زواجها به بسنة واحدة وهو المعروف بفرنسيس الثاني ولسوء حظها
لم تطل حياة زوجها اكثر من ثمانية عشر شهراً حتى توفي فالتزمت ان ترجع الى
اسكوتلاندا حيث لبست تاج ابيها المحفوظ لها

ثم تزوجت برجل من اقاربها يدعى لورد هنري دارنلي فغار عليها واتمها برجل ايطالياني يسمى دافيد رينسيو كان مستخدماً عندها بوظيفة معتمد وكاتم اسرار فاستدعى به ذات يوم وقتله بحضورها . واتفق بعد ذلك بايام قليلة انه مرض مرضاً شديداً فنقلته من سرايها الى قصر منفرد خارج المدينة كان ملفوفاً بالبارود ففي صباح ٩ شباط سنة ١٥٦٧ اشتعل ذلك القصر بالنار فالتهب البارود واقتلع ذلك البيت بمن فيه فكانت جثة الملك ممزقة ومطروحة في احد الخنول . فاستعظم الشعب ذلك الامر واتمها به اللورد بوثويل الذي كان تزوج بماري بعد تلك الحادثة بثلاثة اشهر وانه لم يقتل الملك الا بسعيه . فقام عليه البعض وارادوا ان يقتلوه فهرب الى نورمنديا حيث مات بعد عشر سنين . ومن ذلك اليوم وقعت بغضة ماري في قلوب الناس ولا سيما لتمسكها بالذهب الكاثوليكي بينما كان الاصلاح قد امتد بين الاهالي فقاموا عليها واتفقوا على خلعها ولما علمت منهم ذلك بادرت في الحال وقصدت انكلترا خوفاً على نفسها من القتل والتجاث الى الملكة اليبابات قريبتها ولسوء حظها عاملتها اليبابات بس المعاملة فانها قبضت عليها واقفها تحت الترسيم نحو ١٩ سنة ثم قتلها بعد ذلك

وكان لماري ولد من اللورد دارنلي خلفها على ملك اسكونلاندا تحت اسم جس السادس . وبعد وفاة الملكة اليبابات صار ملكاً على انكلترا ايضاً تحت اسم جس الاول فكان محباً للعلوم وانتشار المعارف واقام عدة مدارس في اسكونلاندا لم تزل آخذة في التقدم الى عهدنا هذا . واستمرت اسكونلاندا من سنة ١٦٠٣ الى هذه الايام خاضعة لاحكام انكلترا مع انها عصت احياناً وحاربت حروباً عديدة لاسترجاع الملك الى عائلة استوارت ولكنها لم تنجح

الباب الحادي عشر

في تلميح اخبار ايرلاندا

ان تاريخ ايرلاندا او ايرن الخضراء كما تسمى احياناً هو مملوء من الحوادث
 اللاذعة . ولكننا نقول بوجه الاختصار ان سكانها الاولين كانوا من الكلتيين
 الاشداء نظير البريتانيين الذين كانوا يقاتلون بالنبايت ويميلون الى القتال
 اكثر من التمتع والرفاهية . وكانوا ينقسمون الى عشائر عديدة ويدعون رؤساءهم
 ملوكاً وكانت ملوكهم في نفور ومشاجرات مستديمة بعضهم مع بعض . اما ديانهم
 الاصلية فنظير بقية العشائر الكلتية كديانة الدرويد ولكن سنة ٥٥٠ اناهم
 رسول مسيحي اسمه پيريك وكان رجلاً نقياً حكماً فاحبوه واثلثوه واقتبلوه منه
 الديانة المسيحية وابتدأوا يتقنون بالتدريج وعاش پيريك المذكور عمراً طويلاً
 ومات عندهم وبعد مائة شرع الناس ينسبون اليه اعمالاً عجائبية الى انهم اخبروا
 حسبوه قديساً ويزعمون حتى الآن انه يجامى عن صوامح بلادهم في السماء
 ويفرزون يوماً في كل سنة لاجل تقديم الصلاة والاکرام له فيذهبون الى الكنيسة
 ويشربون الخمر ويقتلون بعضهم مع بعض بالنبايت . ومن جملة نوهاتهم الغربية
 الباقية الى هذا اليوم اعتقادهم بان القديس المذكور قد اهلك وباد جميع
 الافاعي والدبابات المضرة التي كانت في ايرلاندا واما السبب الذي جعلهم
 يعتقدون بذلك فهو عدم وجود شيء من تلك الحيوانات عندهم حتى ان
 الفلاحين القاطنين بقرب بحيرة كالأرني يعتقدون بخرافة مضحكة عن هذا القديس
 وهي انه في اواخر حياة پيريك هذا وجدت حبة عظيمة في تلك البلاد تنمت
 عن التراع مع باقي الدبابات المذكورة فحاولها پيريك زمناً طويلاً ولم يقدر عليها .
 وكانت تلك الحبة تتردد كثيراً الى شواطئ بحيرة كالأرني فلما اعياء امرها احضر

صندوقاً كبيراً من خشب السندبان ذا اقفال قوية وجاء به الى تلك البحيرة
ولما اقترب من تلك الحجة حياها بالسلام ولاطفها بالكلام وقال لها قد انيتك
بهذا البيت الجميل لتسكني فيه وتعيشي باقي عمرك في ارغد عيش واحسن حال
واما الحجة فلم تسلك عليها تلك الحيلة ولكنها اذ لم ترد ان تهبته ونصده نظراً
لصدافته المظاهرة اعذرت قائلة ان الصندوق لا يسعها فأكد لها بانه كافٍ
لسكنها ثم خاطبها قائلاً ان كان عندك يا عزيزتي ادنى شبهة في كلامي فادخلي
وجربي واما هي فلكي نقشة وتظهر خضوعها له دخلت ذلك الصندوق تاركة
قبراطاً او أكثر من ذنبها خارج الصندوق وقالت ألم اقل لك انه لا يسعني
فقال لها احرصي على ذنبك يا عزيزتي ثم اطبق الغطاء عليها فاضطرت ان
تجذب ذنبها الى داخل الصندوق فعند ذلك قفله وحمله على كتفه فصرخت
الحجة اطلقني فقال لها مهلاً اني ساطفك غداً ثم اتى الصندوق في البحيرة ففرق
وذهب القديس الى حال سبيله . ومن العجب ان الصيادين المقيمين بقرب
تلك البحيرة ينقلون هذه الخرافة القريبة ويعتقدونها ويؤكدون بانهم ما زالوا
يسمعون صوت الحجة الى هذه الايام وهي تقول ألم يات القديس بعد ألم يات
القديس بعد

وكان هنري الثامن ملك انكلترا قد حارب ايرلاندا واخضعها ولم تزل
الى الآن تحت حكم الانكليز ولكنهم لم يلتفتوا اليها كما يجب الى زمن جيمس الاول
فانه شرع في اصلاح حاله شعبها وارباب الشرائع والحكام في ايماننا هذه قد
اجتهدوا ايضاً في تدنيسها وتحسين حالها

الفصل العاشر

في وصف مملكة البلجيك وتاريخها

هذه المملكة يحدها شمالاً مملكة هولاندا . وشرقاً بلاد جرمانيا . وجنوباً فرنسا . وغرباً البحر الشمالي . اما ارض هذه البلاد فمبسطة وهواؤها معتدل وفيها كثير من الاشجار المتنوعة والرياض والمزارع المخصبة وبها عدة اودية وجبال وفي ارضها كثير من معادن الرصاص والحديد وحجر الفحم والزنك . ومقاطع البلاط الاسود والرخام وغير ذلك . ومن حواصلها القمح والشعير والكتان . والصنائع فيها رائجة من ذلك الاقمشة الجيدة والجوخ والصوف . وعدد اهل هذه المملكة خمسة ملايين اكثرهم لاتينيون . وبالنسبة الى مساحة البلاد لا يوجد مملكة في العالم مزدهجة بالناس مثل هذه المملكة . وحكمها من نوع الملكي المقيد . ولاهها شهرة عظيمة في التجارة وصنع الاقمشة المتنوعة واستخراج السكر وعمل البيرة وهم اشداء لباس لطفاء الطباع يميلون الى اكتساب العلوم واتقان الصنائع ويعتنون بالفلاحة والزراعة

واعظم مدن هذه المملكة مدينة بروكسيل وهي قاعدة البلاد وعدد اهلها نحو مئة الف نسمة وفيها مكتبة عظيمة تحتوي على جميع انواع العلوم والفنون تنيف عن ١٠٠ الف مجلد . وعلى اربعة فرائخ الى الجنوب الشرقي منها قرية واترلو التي انهزم فيها نابوليون الاول وكسره المتعاهدون مجنودهم بعد موقعة سنة ١٨١٥ كما مر

اما تاريخ هذه البلاد فلا يحتاج الى التطويل لنصر عهده وقلة اهميته لان المملكة لم تناس وتستقل الا من سنة ١٨٣٠ فقط . وكانت قبل ذلك العهد

تابعة ممالك اخرى . فان يوليوس قيصر كان قد ضمه الى احد الاقسام التي قسم فرانسوا اليها عند استيلائه عليها ومكثت في ايدي الرومانيين الى سنة ٤٠٩ . ولما دخلت الافرنك الى فرانسوا كانت بلجيكا وقتئذ تابعة سلطنتهم التي كانت ممتدة في ايام الملك كلوفيس من حدود الرين الى اللوار . وعقب توفي هذا الملك سنة ٥١١ تقاسمها بنوه الاربعة وتناووا خلفاؤهم الى سنة ٨٠٠ حين ضمه شارلمان وجعلها قسماً من سلطنته . وبعد انقراض سلطنته انقسمت بلاد البلجيك الى جملة امريات اخصها امرية برابان فانها كانت اعظم الجميع ثم اخذت في التمزق والامتداد يوماً بعد يوم حتى ابتلعت باقي الامريات وانحصرت البلاد فيها . وبسبب الوراثه انتقلت سنة ١٤٠٦ الى العائلة البورغونية ومنها سنة ١٤٧٧ الى عائلة اوستريا الملكية بسبب الزواج وبعد ذلك بقليل صارت من املاك سلطنة شارلكان الذي قسمها الى ١٧ ولاية متحدة تعرف بدائرة بورغونيا

وبعد شارلكان تناول البلجيك ورثته ملوك اسبانيا وبقيت في ايديهم الى سنة ١٧١٤ ثم رجعت الى اوستريا واستمرت تحت احكامها الى سنة ١٧٩٣ حين دخلت اليها جيوش الجمهورية الفرنسية وامتلكتها وقسمتها الى ٩ مقاطعات ولبثت في يدها الى زمن سقوط نابليون الاول سنة ١٨١٥ عند ما انتقلت الدول المتحدة يومئذ على ضم بلجيكا وهولاندا معاً . فانضممتا تحت راية غلبوم الاول ملك هولاندا وصارتا دولة واحدة معروفة بمملكة البلاد الواطية ولكن اذ لم يحصل الاتفاق في ذلك الاتحاد بين الفريقين انتهز اهالي بلجيكا فرصة طرد البوربونيين من فرانسوا سنة ١٨٣٠ فرفعوا راية العصيان على الحكومة الهولاندية وحاربوها وجرى بين الطرفين عدة وقائع مهلكة افضت اخيراً الى انفصال احداها عن الاخرى . ومن ذلك الوقت صارت البلجيك دولة مستقلة بذاتها وكان اول من تولى عليها ملكاً ليوبولد الاول امبرساكس كوبرج سنة ١٨٣١ ثم خلفه ابنه ليوبولد الثاني سنة ١٨٦٥ وهو الملك الحالي

الفصل الحادي عشر

في وصف هولندا المعروفة ببلاد الفلمنك وتاريخها

هذه البلاد يحدها شمالاً وغرباً بحر جرمانيا وشرقاً هانوفر وبروسيا الرينية وجنوباً مملكة بلجيكا. ويقال لهذه المملكة ايضاً البلاد الواطية سميت بذلك لوطوا ارضها عن مساحة البحر. ويخترقها نهر الرين في عدة اماكن وفيها انهر عظيمة ومجاري كثيرة تسلك فيها السفن الصغيرة في ايام الصيف ولكنها تجلد في فصل الشتاء. اما هواء هذه البلاد فرديء على الاغلب لكثرة البحيرات والانهر التي تمر فيها ولولا مجاورتها البحر ونظافة سكانها لكان مضرًا للبدن. وفيها كثير من المروج والادوية المستخرقة البهجة والمراعي الخصبة للواشي التي يتخذون من البانها السمن والجبن والزبدة. ومن محصولاتها القمح والشعير والقوة والدخان. وفي ارضها كثير من معادن الحديد وغيره. وفيها كراخين ومعامل كثيرة يصنع بها قماش الكتان والصوف والحديد والمجوج والقطن والورق. وعدد اهلها بحسب تعداد سنة ١٨٧٠ بلغ ٣ ملايين و٦١٨ ألفاً اكثرهم من البروتستانت. ولهذه المملكة املاك خارجة كثيرة في اسيا وجزائر البحر وافريقية واميركا اخصها في الهند الشرقية يبلغ عدد سكانها نحو ٢٢ مليوناً ونصفاً

واهل هذه المملكة بوجه الاجمال من اهل السخاء والكرم واكثرهم مغرمون بشرب الدخان وموصوفون بالشجاعة والفتنة وعمل الخير. ولم رغبة كلية في المطالعات والتعليم حتى ان اكثر شبانهم على جانب عظيم من التهذيب والمعرفة لاجتهادهم وكثرة مدارسهم. وحكمهم من نوع الملكي المنبد. ومن اعظم مدن هذه المملكة مدينة امستردام وهي مدينة ظريفة ذات ميناء حسن واسواق جميلة مبنية

على راس خليج وعدد سكانها ٢٢٠ ألف نسمة وكانت قديماً من أشهر مدائن الأرض في التجارة . ومدينة هاي وهي قاعدة البلاد ومقر كرسي الملك وأهلها يبلغون نحو ٧٠ ألف نفس

أما تاريخ هولندا فهو سهل المناولة لعدم قدميته وأهميته وكان الرومانيون يسمون بلاد الفلنك بجزائر الباناتيين نسبة إلى قبيلة جاءت قديماً إليها وسكنت فيها حتى أنه في أيام يوليوس قيصر اشتهرت وصارت أمة عظيمة . وكانت قبل دخول الناس إليها مهجورة تغطيها المياه ستة أشهر في السنة وفي السنة الأخرى يكثر فيها العشب والنبات فتصير أراضيها رطبة ومضرة إلى الغاية . فعند دخول الناس إليها شرعوا في بناء سدود عظيمة في بعض الأماكن لوقاية أرضها من الفيضان عند علو المد فاخذواؤها بصطح بهذه الوساطة ثم قصدها بعد ذلك قبائل آخر كالفريزانيين والبروكتاريين وانضموا إلى الباناتيين أي الهولنديين واتخذوها لهم مسكناً . ففي الجيل الثامن لما كانت أمة الأفرنك مستولية على فرانسأ حارب ملكها شارل مارنل هولندا فانتصر عليها وأخضعها . وفي أيام شارلمان صارت جزءاً من أملاك سلطنته الغربية وأدخل إليها الديانة النصرانية . ولكن لضعف خلفاء شارلمان ولأزدياد سطوة الأشراف حسب روج ذلك العصر انقسمت هولندا إلى ١٧ قسمًا كل قسم منها تناوله أمير واستقل به . فمنها كانت أميرة الفلدرين وأمريات برايان ولوكزبورج وليمبورج وأسقفينا غرونينجين وأوترخت وغيرها . واستمر حال البلاد على هذا المنوال إلى الجيل الخامس عشر حين ضمها معاً فيليب الثالث الملقب بالصالح أحد أمراء بورغونيا وتناولها بعده ابنه كارلوس الملقب بالبحسور

وفي سنة ١٤٧٧ تناول أميرة بورغونيا ماريا ابنة كارلوس البحسور وورثت جميع أملاك أبيها . وكان لويس الحادي عشر ملك فرانسأ قد صم يومئذ على أن يتغلب على تلك الأميرة ويضمها إلى ملكوته وإذ كانت رعايا ماريا المذكورة غير متفادة إليها ورافعة راية الخروج عن طاعتها خافت من عواقب الأمور

وطلبت ان تتزوج من بقدر على حمايتها فتزوجت بمكسبيلان اريشودوك
اوستريا وبسبب هذا الاتحاد انتقل الى عائلة اوستريا الملكية جميع املاك وحقوق
امراء بورغونيا ومن جراء ذلك وقعت بينها وبين فرانسوا الخصومات والفتن
التي لم نحمد نارها الا بعد عدة اجيال . ولكن بعد توفي الامبراطور شركان
انتقلت هولاندا الى ورثته في اسبانيا واستمرت تحت تسلطهم مدة طويلة . ولما
عول فيليب الثاني ملك اسبانيا ان بلاشي مذهب البروتستانت الذي كان
منتشراً وممتداً في بلاد الفلنك ساء ذلك الاهالي وصمموها على خلع طاعة
الاسبانيول فانحد سبع من ولاياتها سنة ١٥٧٩ ونادوا بالمشيخة وقاوموا
الاسبانيولين ببسالة لا مزيد عليها وحرروا انفسهم واستقلوا ببلادهم . ولما كان
الاسبانيوليون لا يفترون عن مقاومة الفلنكيين طمعاً باخضاعهم والانتقام منهم
كانت الحروب بين الطرفين متصلة فالتزم الهولنديون ان يستجدوا بالانكليز
ويطلبوا مساعدتهم في ايام الملكة اليبابات فارسلت لمعونتهم عمارة بحرية
مشحونة بالمقاتل والعساكر الحربية فالتفت بالعمارة الاسبانيولية في بوغاز قادس
فحاربتها واتصرت عليها واستولت على المدينة عنوة سنة ١٥٩٧ . وسنة ١٦٠٠
حاربوا النمساويين وفازوا عليهم في نيوبورت وغنموا منهم غنائم جسيمة ومع انهم
كابدوا مشقات واهوالاً شديدة وفقدوا رئيسهم ولم يبرس اورانج نجوا في نوال
مقاصدهم حتى التزمت اسبانيا والنمسا ان تقرأ لهم باستقلاليتهم اقراراً نهائياً في
مصالحة وستفاليا سنة ١٦٤٨

وكان يومئذ الهولنديون في رفاهية وعيش رغيد وتجارتهم في انساع ونجاح
حتى ان مدينة انتورب كانت تعد في ذلك الوقت كاعظم مدائن العالم في
التجارة والشهرة ولكن بسبب الحروب المار ذكرها التزم تجار هذه المدينة ان
يتقلوا الى امستردام ويجعلوها مركزاً لهم فكان ذلك سبباً لتقدمها . وكان
للهولنديين عزم واقدام غريبان في جميع اعمالهم . وقوة وشجاعة عظيبتان في
حروبهم . فكانوا اعظم دولة اوروية في النجاح والاقبال وتقدم التجارة اذ اقتنوا

اثار البورتوغاليين في اسفارهم الى الصين والهند واستولوا على جملة اراضي فيها ثم تبعوهم ايضاً الى اقطار قارة اميركا وكادوا يستخلصون منهم مملكة برازيل . وكانت احوال الداخلية مع كل ذلك في تقدم وارتقاء وعارنهم الحرية في ازدياد واقتدار فخدمتهم اكثر الدول وخافهم بعض الملوك وقد وقع بينهم وبين الانكليز عدة وقائع بحرية فكانوا يصادمونهم بنوع غريب حتى كان الانكليز بكل صعوبة يستظهرون عليهم في بعض الاحيان

ولما نشأت حروب الوراثة الاسبانيولية في اوروبا وكانت فرنسا ساعية في توسيع دائرة اراضيها عقد الهولنديون مع الانكليز والاسوجيين اتحاداً على مقاومتها وهو المعروف بالاتحاد الثلاثي فالتزم لويس الرابع عشر ملك فرنسا ان يتوقف عن عزمه ويجري مخاضة الصلح مع باقي الدول فتمت شروطه في اكتوبر لاشابل سنة ١٦٦٨ وبوجهها ترك لفرنسا جميع الاراضي التي كانت امتلاكها الى ذلك الوقت واشترط عليها ان تتنازل عن كل دعاويها بالولايات الاسبانيولية . ولكن اذ كانت بغية الملك لويس الانتقام من هولندا على ما بدا منها في مقاومتها له سعى في حل ذلك الاتحاد المذكور واخذ يستميل انكلترا اليه حتى استعجب خاطر ملكها كارلوس الثاني نحوه بعدما غره بالدرهم الجزيلة فنهض لمعوتيه وحارب معه الفلمنكيين برأً وبحراً واضروا بهم ضرراً جسيماً وربما كانوا ابادوهم لو لم يتصر لهم امبراطور جرمانيا ومنتخب براندنبرج وملك اسبانيا . ولكن اذ لم يكن شعب انكلترا راضياً باعمال الملك كارلوس باتحاده مع فرنسا على حرب الهولنديين نهض المجلس الكبير في السنة التالية وقاوم الملك على صنيعه المذموم والزمه ان ينسحب عن ساحة القتال فانسحب من يومه واعتزل وبعد ذلك انسحبت فرنسا ايضاً

وسنة ١٧٩٥ استولى على هولندا المشيخة الفرنسية ولقبها بمشيخة باتاف . ولما جلس نابوليون الاول امبراطوراً على كرسي مملكة فرنسا اطلق عليها لقب مملكة سنة ١٨٠٦ بعدما اقام اخاه لويس بوناپارت ملكاً على كرسيها .

وسنة ١٨١٠ انضمت الى فرنسا وصارت قسماً من املاكها فتعطل ميجرها وتوقفت حركتها فانهزت الانكليز تلك الفرصة واستولت على املاكها الخارجية ولكن عند سقوط نابليون سنة ١٨١٤ حصل لهولاندا الفرج من ذلك الاسر ورجع اليها برنس اورانج الذي هرب منها سنة ١٨٠٥ فضم اليه بلاد البلجيك ونسي على المملكتين ملكاً تحت لقب غليوم الاول ودُعيت البلاد من ذلك اليوم مملكة البلاد الواطية. فارجع الانكليز حيثلذ للهولانديين كل املاكهم الخارجية التي كانوا استولوا عليها ما عدا راس الرجاء الصالح وسيلان وغيانا

وسنة ١٨٢١ حدث ثورة عظيمة في بلاد البلجيك لم تستطع حكومة هولاندا على اخاد نارها فالتزموا ان يعتزلوا عن البلجيكيين وجعلوا بينهم حناً فاصلاً بمعاهدة جرت سنة ١٨٢٢. وسنة ١٨٤٩ نبوا سرير مملكة هولاندا الملك غليوم الثالث وهو الملك الحالي ولم تزل هذه المملكة حتى الآن تدعى مملكة البلاد الواطية

الفصل الثاني عشر

في الممالك الجرمانية او السلطنة الالمانية

الباب الاول

في وصف هذه البلاد واقسامها

ان بلاد جرمانيا وتعرف ايضا بالمانيا يجدها شمالا البحر الجرمانى ونجوم دنهارك وبحر البلتيك وشرقا بروسيا ولوسنديا وجوبا اوسنديا وسويسرا وغربا فرانسو وبلجيكا وهولاندا واهلها يبلغون نحو ٤١ مليوناً ونيف بما فيه بروسيا ولحفاتها الجديدة. واذ كانت جرمانيا تتضمن ممالك وامريات عديدة وليس لنا محل هنا ان نصف كلاً منها على حدها ونحدد وضعها ونذكر حالة شعوبها واوصافهم اقتصرنا على وضع الجدول الآتي لنبين منه اسماء وعدد الممالك والدول التي تكون منها السلطنة الجرمانية واية منها مملكة واية امرية وعدد شعوب كل منها لتكون الفائدة تامة

جدول الدول الجرمانية وعدد شعوبها

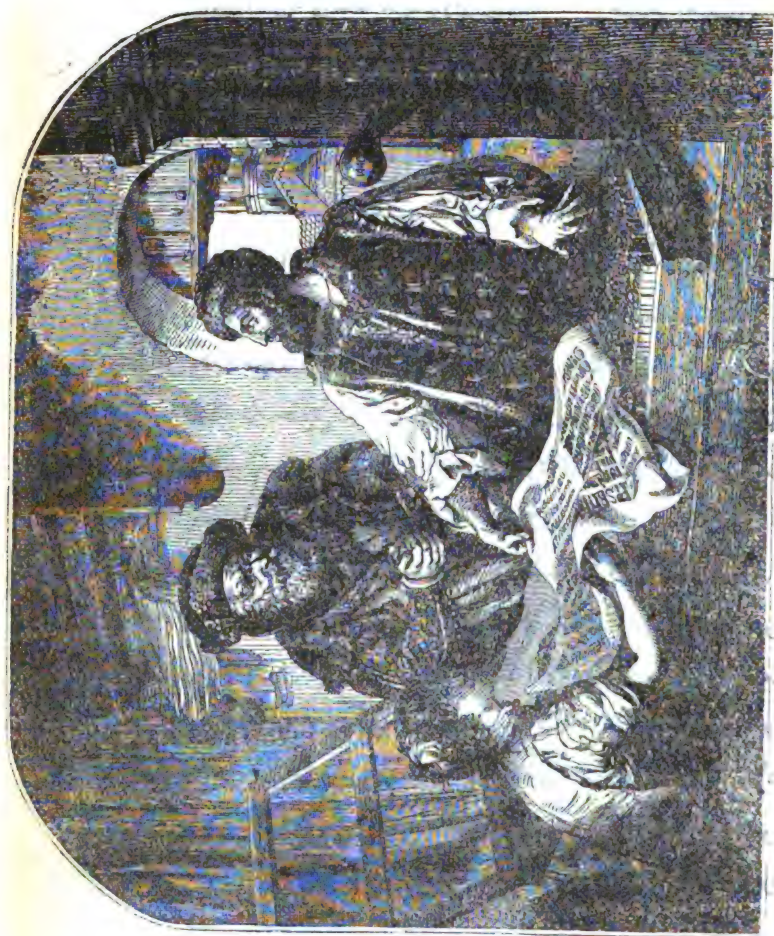
عدد	اسماء
٢٤٧٠٠٠٠	١ مملكة بروسيا ولحفاتها
٤٨٦٥٠٠	٢ " بافاريا
٢٥٦٠٠٠	٣ " ساكس
١٨٢٠٠٠	٤ " ورتنبرج

كراندوكات بادن	٥	١٤٦٥٠٠٠
هس "	٦	٨٥٥٠٠٠
مكلنبورغ سويرين	٧	٨٦٠٠٠٠
ساكس وايمر	٨	٢٧٠٠٠٠
مكلنبورغ استريلينس	٩	١٠٠٠٠٠
اولدنبورغ	١٠	٢١٧٠٠٠
دوكات برونزويك	١١	٢١٢٠٠٠
ساكس مينجن	١٢	١٨٨٠٠٠
ساكس الثنبورغ	١٣	١٤٢٠٠٠
ساكس كوبورغ غوطا	١٤	١٧٥٠٠٠
دانهاالت	١٥	٢٠٥٠٠٠
امرية شوارسبورغ رودولستان	١٦	٧٦٠٠٠
شوارسبورغ سوندرسهاوزن	١٧	٦٨٠٠٠
والديك	١٨	٥٧٠٠٠
روس (في سلالة الابكار)	١٩	٤٦٠٠٠
روس	٢٠	٩٠٠٠٠
شوامبورغ ليب	٢١	٢٢٠٠٠
ليپ دينمولد	٢٢	١١٢٠٠٠
ملائن حرة لويك	٢٣	٥٢٠٠٠
برم	٢٤	١٢٢٠٠٠
هيمبورغ	٢٥	٢٤٠٠٠٠
مكتسبات جرمانيا من فرانسا الالزاس واللورين	٢٦	١٥٥٠٠٠٠

ومن اعظم مدائن الممالك الجرمانية همبورج وهي مدينة شهيرة لتجارها . ثم مونخ قصة مملكة بافاريا . ودرسدن عاصمة ساكسونيا وهي من اطرف مدن اوروبا . ولبسبك وكالسروخ عاصمة امرية بادن حيث يجتمع بها كثير من عطاء واغنياء العالم في كل سنة للتزهر في زمن الصيف ويصرفون اكثر اوقاتهم في الملاهي ولعب القار وبهذه الواسطة يتبعهم جمهور غفير من الناس المتوسطي الحال من ذوي المطامع في المكاسب السريعة فكثير منهم يفقدون اموالهم وبعضهم الحياة بسبب خسائرهم الباهظة . وما عدا مدائن جرمانيا الظرفية فيها انهر عديدة اكثر من خمسين اكثرها عظيمة وكيرة بحيث تجري فيها السفن واشهرها الدانوب والرين والالب والادر والمين

واكثر اهالي جرمانيا على مذهب البروتستانت والحرية مطلقة لجميع المذاهب . وهم موصوفون بالحنم والثبات في الاعمال والحرص والامانة . وهم الذين اخترعوا البارود وعمل النظارات وصناعة الطبع النخب في افضلها اخترعها غوتنبرج الشهير في اواسط الجيل الخامس عشر بمساعدة رفيقه بطرس شافر ويوحنا فاوست . ولم اليد الطولى في اصطناع الآلات الموسيقية . والالاب المتنوعة للولاد . وعلماءهم مشهورون بالغيرة في تاليف الكتب والتدقيق في اللغات الاجنبية . ولم انصباب غريب على المباحث في العلوم والفنون والتدقيق في الامور البعيدة فلا يكفون عن الاجتهاد في تحصيل المعارف وايجاد الفوائد للبشر . وينهم اشتر الاصلاح الدني في الجيل السادس عشر . وقد تقدم الجرمانيون تقدماً عظيماً في معرفة فنون الحرب فيعدون الان من اعظم الدول واشدها قوة في اوروبا وما ساعدتهم في تقدمهم انما هو انضمامهم لبعض وانقيادهم لروسائهم

وانقسمت بلاد جرمانيا قديماً الى ٢٩ قسماً وكل قسم منها له حاكم مخصوص اما من رتبة الامراء او من رتبة القواد المشهورين ثم جرت العادة بين اهالي تلك الولايات من بلادة سنة ١٩١٢ ان يتخبوا ملكاً من اولئك الامراء ويسمونه امبراطوراً



يوحنا غوتنبرج وفاوست مخترا فن الطبع

على كل أعمال جرمانيا فيكون مطلق الذئف ورئسا على الجميع وبعد موته
يتخبون اخر واستمر الحال كذلك الى سنة ١٤٣٨ حين اتتحت هذه العادة
وصارتاج الملكة وراثة في عائلة هابسبورج الى سنة ١٨٠٦ عند ما انحلت السلطنة
الجرمانية واتحدت ممالكها الغربية وأنشئت المعاهدة المعروفة بمعاهدة الرين
تحت حماية نابوليون الاول. ولكن بعد سقوط المذكور سنة ١٨١٥ تبدلت تلك
المعاهدة باخرى جديدة بين اربع وثلاثين دولة وتلقت بالمعاهدة الجرمانية تحت
رياسة امبراطور النمسا. اما الخمس ممالك الاخر تمة التسع والثلاثين فالتحت
بمالك اخرى اما بالارث او بانقراض سلالة الملك. وكانت كل مملكة من
الاربع والثلاثين المذكورة مستقلة في داخلها الا انها خاضعة الى مجلس عام
منظم من وكلاء كثيرين يرسلون من طرف المقاطعات المختلفة الى مدينة فرنكفورت
لاجل المحاماة عن حقوق الممالك الداخلية وتحسين حالة الامة وسن الترتيب
والقوانين العمومية. وبسبب ذلك الاتحاد والارتباط كانت الممالك الجرمانية
ملتزمة ان تساعد بعضها البعض وقت الحاجة حتى ان جميع رجالها كانت تخرج
الى الحرب عند الطلب بدون استثناء وليس ذلك الا احتياطا من مهاجمات
الاعداء على بلادها وحررا من سطوة فرانس التي كانت قد اضرت بها ضررا
عظيما في ايام نابوليون الاول. فدام هذا الترتيب الى سنة ١٨٦٦ حين اضطرت
نيران الحرب بين بروسيا والنمسا واتصرت فيها الاولى بعد حرب وجيزة
فانفصلت دولة النمسا من المعاهدة الجرمانية واسست دولة بروسيا معاهدة
تعرف بمعاهدة المانيا الشمالية فتحالف معها احدى وعشرون دولة من الدول
الجرمانية واما البقية فعقدت منها معاهدة تحت رياسة دولة بافاريا تعرف
بالمعاهدة الجنوبية وستضمها بروسيا الى املاكها واثنان بقيتا تحت تسلط
ملك هولندا وهما دوكاتو لوكزيمبورج ودوكاتو ليمبورج

الباب الثاني

في اخبار الجرمانيين القدماء وما حدث في ايام سلاطينهم من
سنة ٩١٢ مسيحية الى ظهور مرتينوس لوثيروس

ان قبائل جرمانيا الاولى كان يقال لها برايرة منها قبيلة الغوثيين
والفيديغوثيين والفنراليين والسويثيين والكمبريين والتوطونيين والمروليين
والالمانيين وغير ذلك من القبائل والطوائف التي جاءت من اسيا وسكنت
تلك البلاد . وكانوا على جانب عظيم من الوحش والتمرد يلبسون جلود
الوحوش الضارية ويشنون الغارات في كل جهات اوربا حتى انهم استولوا
على عدة مدائن واستخلصوا جملة ممالك واضروا باكثر السلطنات العظيمة
واقلة الارض بحروبهم ووقائعهم المتصلة حتى ان السلطنة الرومانية مع كل
سطوتها وقوة بطشها وشوكها كانت تهاجم وتغصب حسابهم وما زالوا كذلك الى
زمن قبصر فخارهم واخضعهم بعد حرب شديدة ووقائع عديدة

فبواسطة دخول الرومانيين الى جرمانيا تحسنت احوال هؤلاء البرابرة
فانهم اقتبسوا عنهم جملة صنائع وعوائد مفيدة جعلتهم متدينين نوعاً سواء كان
في معيشتهم ورفاهيتهم ام في امورهم وسياستهم الحربية واصطناع السفنهم . وازدادوا
يوماً في التقدم والنجاح بينا كان الرومانيون يضعفون ويستطون ولم يمس عليهم
اربع مئة سنة حتى اغتم الجرمانيون تلك الفرصة فاستعدوا ونهضوا لافتتاح
البلاد التي كانت خاضعة لرومية فدخلوا اسبانيا واطاليا وبلاد اليونان وغيرها
من الممالك واستوطنوا بين تلك المدائن الزاهرة الغنية حيث جمعت رومية غناها

ومعدها. وإما ما بقي من أولئك البرابرة في بلاد جرمانيا الذين لم يخرجوا مع القوم للغزو فاخذوا يتقدمون وينمون حتى انهم في ايام شارلمان ملك فرنسا الشهبير صاروا امة عظيمة ذات شوكة وبأس. ولكن مع كل ذلك استظهر عليهم هذا الملك فاخضعهم في الجبل الثامن واستولى على بلادهم ونسي سلطاناً عليها وإقام فيها وأصلح شأنها وتناولها خلفاءه من بعده وبقيت متحدة بالسلطنة الغرية الجديدة التي اسسها شارلمان المذكور الى سنة ٨٨٧ نهاية امبراطورية كارلوس السمين. فمن ذلك الوقت اخذ بنهان الامبراطورية في ارتجاج واعقب ذلك سقوطها التام فاضطربت وتلاشت كائنها اضغاث احلام وانفصل تاج المانيا عن تاج فرنسا وصارتا دولتين ممتازتين عدوتين لبعضهما الى هذا اليوم. وبعد ذلك بقليل اتحد بعض مالك جرمانيا وابطلوا حقوق الوراثة الملكية واستنفر الراي على قيام الملوك بالانتخاب

ولم يكن الاتحاد الالماني في اول الامر عاماً بين كل مالك جرمانيا بل كان منحصراً بين خمس مالك فقط وهي فرانكونيا وساكسونيا وسوابيا وبافاريا ولورين. وكان القصد في ذلك الانضمام ليكونوا بدءاً واحدة للمحاربة والمدافعة عن بلادهم من غزو الهونيين الذين كانوا منتشرين في كل جهات بانونيا التي انبتت جهونكارياء نسبة لهم وهي بلاد المجر. فتعالف شعب هذه الممالك وامراؤها واقاموا عليهم ملكاً يدعى كونراد امير فرانكونيا وذلك سنة ٩١٢ وهو الاول من ملوك جرمانيا فاستبد بالسلطنة العامة الى سنة ٩٣٠ واذا رأى نفسه متعباً من مهام السياسة والحروب تنازل عن تاج الملك الى خصمه هنري الاول امير ساكسونيا الذي به ابتدأت عائلة ملكية جديدة فاعظم مزبد الشجاعة والبسالة في محاربة المجر اذ كسر شوكتهم ودفع ضررهم عن بلاده

وكانت جرمانيا وقتئذ بعد سقوط سلطنة شارلمان رئيسة السياسة في اوروبا ولها التقدم العام على باقي الممالك في اهم الامور والاعمال ولا سيما في ايام اوثنون الكبير الذي خلف ابيه هنري الاول سنة ٩٣٦ فانه كان ملكاً مهيباً ذا سطوة

وشوكة فاجده للسلطنة رونقا جديداً وبهجة غريبة فعظم بأسها وخيف بطشها في
اوروبا. ولكن لم تكن الراحة نائمة داخل البلاد لانه اذ كان الاشراف يشتغلون
في توطيد شوكتهم التي اكتسبوها في ما مضى كان الامبراطور اوثنون و خلفاؤه
بعده يسعون في كسر تلك الشوكة فنشأ عن ذلك منازعات اهلية اوجبت
اشهار السلاح بين الامبراطور وبعض الاشراف المذكورين

وكان السبب في اكتساب اشراف المانيا الشوكة والاستقلال هو انه بعد
موت الامبراطور كارلومان (احد خلفاء شارلمان في السلطنة الغربية) حصل
لبعض خلفائه عجز وعسر عظيمان . فانتهزت تلك الفرصة الاشراف ومن هو اقل
منهم ايضاً وأدعوا لانفسهم حقوقاً وامتيازات جديدة فحصلوا عليها لعدم وجود
من يقاومهم . وكان ايضاً البعض الآخر من اولئك السلاطين مشغولين بحروب
دائمة من داخل فاضطروا ان يطلبوا مساعدة الاكابر واحزابهم فلذلك كانوا
يراعون خاطرهم ويتغافلون عن تعدياتهم الكثيرة وبخونهم حقوقاً فوق العادة .
فبهذه الوسطة صار للاشراف مقام كبير وشوكة عظيمة وبالتدريج صارت
الالتزامات وراثية في العائلة بطلبها وتناولها الوارثون كحقوق شرعية . وفضلاً
عن ذلك كان هؤلاء الاشراف يرتبون في اراضيهم قوانين واحكاماً خصوصية
مخالفة لنظام الملكية حسب استفسانهم . وكان السلاطين يرون ذلك ويفضون
النظر عنه لاحنياجهم اليهم ولكي يطمئن اوثنون من ثورات اولئك الاشراف
وهياجهم ارتأى ان يقيم في البلاد حزباً اخر يوازي ويعادل حزب الاشراف
لدمع به شوكتهم عند اللزوم فاخذ ينشط حزب الاكلبوس ومنهم حقوق الامراء
المدنيين وامتيازاتهم وغمرهم بالانعامات وسأواهم بالصف الآخر فكان ذلك من
بش السياسات لانه ولئن اتى هذا التدبير موقتاً ببعض الفوائد ولو وقف سير
شوكة الاشراف ولكنه عاد اخيراً بنتائج ردية لانه لما تقوى حزب الاكلبوس
واغتنى رجاله وجد ملوك المانيا فيهم عداوة مرة ومقاومة شديدة لمناصدهم فعوض
العدو الواحد صار لهم اثنان وكان الاخير اضر من الاول

وقد قهر اوثنون مملكة بوهيميا و اضافها الى احكام جرمانيا وضرب عليها المال . ثم حارب المجر في اوكسبرج وانتصر عليهم وحارب الدينبارك وفرانسا وقهرها وبالمجمل كان رجلاً مسعوداً ومنصوراً في جميع حروبه ومغازبه . وقد تزوج بعد لايد ارملة لوثير ملك لومبارديا واذ صار له بسبب هذا الزواج حق المداخلة في امور ايطاليا دعاه البابا يوحنا الثاني عشر ليخلصه من جور يرنجر ملك ايطاليا فذهب اوثنون اليه وخلعه عن كرسي الملكة وضم ايطاليا الى امبراطورية المانيا بعد ان توج ملكاً عليها سنة ٩٦٢ . فلما راي اوثنون ما هو فيه من النجاج والظفر عمت بصائرُه واغترَّ بفتوحاته ولقب نفسه اوغسطس قيصر زعمائه خائفة امبراطرة الرومانيين القدماء وانه وريثهم في حقوقهم وسلطنتهم فلم يسر البابا يوحنا الثاني عشر من انتصار اوثنون الغريب ومن دعواه بالامبراطورية الرومانية وخاف ان يفقد رياسته الزمنية فجاهر ضده وحرك الآخرين ايضاً فانقضَّ اوثنون عليه وخلعه عن كرسيه ونصب مكانه ليو الثامن وصم من ذلك الوقت ان يجعل السلطة المدنية تسود على السلطة الكنائسية وان تسمية الباباوات وتوقيض الاساقفة ينحصران فيه وفي خلفائه من بعده . ولكن بعد رجوع اوثنون الى بلاده وتوفي البابا ليو انكر اهل رومية على اوثنون حق تسمية الخليفة الجديد فالتزم ان يحاربهم فوافاهم بالجنود والرجال واخضعهم واقام من اراد ثم مات هذا الملك الشهير سنة ٩٦٣ مكلاً بالجد والظفر

وخلف اوثنون الكبير ابنه اوثنون الثاني الذي كان قد نسي خليفة في حياة ابيه وكان قد قام له خصم من اقاريه وهو امير مملكة بافاريا فاظهر له العداوة والعصاة طمعاً بالملك ولكنه لم يقدر عليه . واذ كان قد صم لوثير ملك فرانسا على امتلاك مقاطعة اللورين ارسل جيشاً واستولى على مينس وغيرها من الولايات التابعة لاحكام جرمانيا فزحف اليه اوثنون وحاربه ودخل مجنده الى وسط مدينة باريس قوة وجبراً والزم فرانسا على التبعاد والسكوت عن تلك

الدعوى ثم زحف من هناك الى ايطاليا واخضع بعض البلاد التي اظهرت العصاة. وكان يومئذ شعب عظيم بين اهل الرومية بسبب انتخاب ثلاثة باباوات في وقت واحد وكان كل واحد منهم مجرم وبلغن الآخر فاعاد اوثنون بنديكتوس السابع الى كرسي الحبرية وبعد ذلك مدة يسيرة توفي في رومية وعمره ٢٨ سنة وخلفه ابنه اوثنون الثالث سنة ٩٨٣ فكانت بداية ايام متعبة بسبب تمرد الايطاليين لانه كان قد ظهر يومئذ في رومية بعدما خلع البابا غريغوريوس لقب نفسه قنصلاً وشرع بارجاع المشيخة الى رومية بعدما خلع البابا غريغوريوس عن كرسيه فوافقه عامة الشعب على هذا المشروع ولكنه لم يتمكن من اتمام مقاصده اذ لم يجد بين الشعب الروماني محبة الحرية. فوافاه اوثنون الثالث وحاربه في مدينة ميلان وقبض عليه وقتله بعدما استولى على المدينة ثم اعاد البابا غريغوريوس الى كرسيه. وقد استظهر هذا الامبراطور على الدنيارك وعند معاهدة مع ملكها ايريك الذي كان ملكاً ايضاً على اسوج ونروج ومن جملة الشروط المدرجة فيها ان يسمح الملك ايريك للرسليين المسيحيين بالدخول الى بلادهم وتكون لهم الحرية في تعليم الشعب فاني ذلك بفوائد جلية. ومن جملة اعماله ايضاً انه طرد المسلمين من جنوبي ايطاليا حيث كان صار لهم ٤٠ سنة يغزون البلاد

وبعد موت اوثنون الثالث وقع الانتخاب على هنري الثاني حفيد اوثنون الثاني فاقاموه امبراطوراً عليهم وكان المذكور على جانب عظيم من التواضع والزهد حتى قيل انه نزع تاج السلطنة عن راسه وذهب الى بعض الاديرة قاصداً ان يصرف باقي عمره في العيشة المنفردة. فقال له رئيس الدير ذات يوم وكان قد قبله كاحد الرهبان اعلم ايها الاخ انه من شروط الرهبنة الطاعة والخضوع لاوامر الرئيس فبحسب كوني رئيسك آمرك الآن ان ترجع الى كرسيك فان ذلك افضل جداً من انسحابك فاجاب هنري سؤاله ورجع الى سريره ملكه واستمر امبراطوراً الى ان توفي سنة ١٠٢٤. فاجتمع امراء جرمانيا

للمفاوضة والمذاكرة في انتخاب خليفة له وبعد مرور ستة اسابيع اتفق رايهم على كونراد الثاني امير مقاطعة فرانكونيا فبايعوه بالملك والبسوه التاج وفي مدة حكمه الحبيب يرغونيا بالسلطنة الجرمانية . وبعد موته خلفه هنري الثالث فكانت ايامه في بداية الامر مشهكة بحروب متصلة مع الجر واهالي بوهيميا وبولونيا فانتصر في جميع وقائعهم . وكانت سطوته مطلقة أكثر من جميع سلفائه من سلاطين جرمانيا فتدبر اشراف الشعب من صنعوه وحسدوا عليه ولكنهم لم يستطيعوا التظاهر بالعلوة الى ايام ابنه هنري الرابع الذي تنبأ سرير السلطنة

سنة ١٠٥٦

واشتهر حكم هنري الرابع بالحروب والفتن التي وقعت بينه وبين بابا رومية بسبب حق تسمية وتقليد الاكليروس وظائفهم . وقد ذكرنا فيما تقدم ان اوثنون الكبير ومن خلفه قد جعلوا هذا الامر تحت سلطة كرسي السلطنة ولكن في ايام هنري الثالث انكر عليهم هذا الحق البابا اسكندر الثاني واصدر منشوراً يصرح به انه بما ان السلطنة الروحية هي اعظم من السلطنة العالمة فلا يليق للاكليروس ان ياخذوا اسميتهم وحق التصرف بوظائفهم من رؤساء عالمين بل انهم ينالون ذلك راساً من الله وبناء عليه ينبغي ان الامبراطور يخضع للسلطة الكنائسية ولا يكون له حق ان يتصرف بملكه الا برخصة من البابا . ففي ايام هنري الرابع الذي نحن بصدده ارسل اليه البابا غريغوريوس السابع رسولا يبعثه عن التشبث في دعواه بحق السيامات الاكاديمية ويطلب اليه ان يجنب الشعب على ما هو من وظائف الباباوات فلم يقبل هنري ترك هذه الحقوق لانها كانت ثابتة لاسلافه فرفض مداخله البابا في ذلك واحترق رسوله وردّه خائباً . فغضب غريغوريوس من معاندة هنري واذا كان يعلم ما سيفعل قلوب اشراف الجرمانيين من البغضة والعداوة المتسلسلة من ايام هنري الثالث وما قبل اشتهر حرماً ضد هذا السلطان مانعاً اياه عن التصرف بحكمه ومحرضاً الشعب للخروج عن طاعته فنشأ عن ذلك منازعات شديدة افضت لاختد

الاسلحة وسفك الدماء زمناً طويلاً. وتُعرف تلك الحروب بحروب السوامات
الأكليزيكية. وكان من جملة من خرج عن طاعة هنري الرابع امراء المانيا
واعيانها واكابر قسوسها فاختلوا في قتاله وحرصوا عليه امه وزوجته ولولاده
حتى ابغضوه وتبرأوا منه وانضموا الى حزب اعدائه. فاصبح هذا الامبراطور
محاطاً بالاختطار من جميع قومه ومنروگا من اهل و لم يجد سيلاً للتخلص من
تلك الورطة الا بواسطة تهديد غضب الحبر الروماني فذهب اليه سنة ١٠٧٦
الى ايطاليا ليطلب العفو والسماح على ما صدر منه فلم يقبله البابا في اول الامر
بل ابقاه ثلاثة ايام داخل الدار الخارجية ملفوفاً بعباءة وحافي الرجلين في شهر
كانون الثاني ثم بعد ذلك اذن له بالدخول عليه. وبعد ما اخذ عليه
عهد الطاعة واشترط عليه شروطاً مفصّلة حلّه من الحرم واطلقة. ولكن بعد
ذلك بسنتين نهض هنري للانتقام من البابا وكان قد نجذب معه جمهورٌ غفيرٌ
من اللومباردين وبينما كان مشغولاً في محاربته عصنة رعاياه فخرمه البابا ثانية
ونادى بتنزيله بعد ان عين مكانه رودولف امير الصوابين فلم يثن عزم
هنري عن الاستمرار في سبيل تنميم مقاصده فاخذ عاجلاً في تقوية قوته الحربية
وكان قد استمال اليه بعض الاساقفة الذين لم يسروا من صنع غريغوريوس
فانزل البابا عن كرسي الحبرية بالقوة الحبرية واقام مكانه اكليمنضوس
الثالث. ثم ان هنري بعد ما اخذ الفتن الداخلية في جرمانيا وقتل رودولف
اشتى على ايطاليا واقام الحصار على رومية حتى افتتحها بعد سنتين متواليتين
اما غريغوريوس فهرب والتجأ الى روبرنوس ملك نورمنديا ومات هناك.
وبعد رجوع الامبراطور الى جرمانيا نهض جماعة من اهل رومية من كانوا
يعادون هنري المذكور فانزلوا البابا اكليمنضوس الذي كان قد اقامه واقاموا
مكانه البابا فيكتور الا انه لم تطل ايامه حتى توفي وبوت فتح الباب لدخول
اوربانوس الثاني

اما هنري فكانت مصائبه الاخيرة اشر من الاولى لان البابا اوربانوس

هجم عليه المحروب من كل جهة وجعل ابنه كونراد يقوم عليه ويعصيه ويتخذ مع باقي اعدائه فاستخلص أكثر ولايات ايطاليا بمساعدة البابا المذكور واقام عليها ملكاً ولكن لم يصف الزمان لا للبابا اوربانوس ولا لكونراد لان الموت فاجأها في وقت قريب . فختلف اوربانوس البابا باسكال الثاني وقد حذا حذو سالفه فانه عند جلوسه على كرسي الحبرية اشهر حرماً ضد هنري الرابع واغرى هنري ابنه الاصغر ان يعصي ابيه ويجلس مكانه كما اغرى اوربانوس كونراد قبله ففجح الابن بهذا المشروع وخلع والده عن سرير السلطنة واذا له وجلس مكانه تحت اسم هنري الخامس فهرب هنري الرابع الى بلاد البلييك وهناك صرف باقي عمره باحتياج شديد

وقد نشأ عن المشاجرة التي حصلت بين هنري المذكور وبين البابا غريغوريوس عداوة مرة وحروب كثيرة بين حزين عظيمين احدهما يقال له حزب الفوالف والاخر حزب الجيبيلين . فمكثت نيران تلك الحروب مضطربة بين المانيا واطاليا ثلاثة قرون من غير خمود فكان حزب الفوالف يعصد الباباوات ومدعيانهم وحزب الجيبيلين يحامي عن شوكة الامبراطورية ولا محل هنا لذكر الوقائع والخسائر التي حدثت بسبب تلك الحروب

اما هنري الخامس فلم يستقر زماناً طويلاً مكان ايرو حتى اخذ يسلك سلوكه في مقاومة الكنيسة وروسائها وذلك لان البابا باسكال كان لا يزال مصراً على رفض حقوق السلاطين والملوك في المداخلة بمسئلة السيامات الاكبريكية . فاستمر هنري الخامس في تلك المنازعات عدة سنوات يغزو ايطاليا ويضرب بها حتى اضعف شوكة البابا بتكرار مغازيه وحروبه واخيراً اسره والزمه قهراً ان يقر له بتلك الحقوق ويخضع لسلطان غير ان البابا بعد تخلصه من قبضة الاسراقام الهجة على تلك المعاملة الاغصائية التي اجراها معه الامبراطور هنري وحرمة فاستشاط هنري غيظاً وقصد مدينة رومية بالعساكر والابطال فاضرب بها وباملاكها ضرراً جسيماً وطرده البابا منها واقام حبراً اخر مكانه وكسر شوكة

المعاندین. واستمرت تلك المنازعات مدة ليست بيسيرة حتى قام البابا كاليكتوس الثاني واصلى الامور واسطة مجمع عقد في مدينة وُرمس حيث تنازل الامبراطور هنري الخامس لكرسي رومية في حق التصرف الديني للاكليسوس . وكان هذا الامبراطور قد اقام حروباً كثيرة مع الجر واهل بولونيا وفرنسا وغيرها فعُدَّت مدة احكامه من جملة الاحكام الدموية التي جرت في ممالك اوروبا ثم توفي سنة ١١٢٥ ولم يترك نسلًا

وجلس بعده على سرير السلطنة لوثير امير سويلتبرج سنة ١١٢٥ بانتخاب الشعب فخارب البوهيميين واخضعهم ثم انتصر للبابا اينوسنت الثاني ضد اناكليتوس الذي ادعى بالباباوية وزحف على ايطاليا لاجل توطيد سلطة البابا في رومية . وكان روجير امير ملكة ابوليا متعصبًا لاناكليتوس فوقع بينهما حرب بهذا السبب المجأت روجير ان يترك املاكه في ايطاليا ويقصد سبيلها التي كان قد تملكها مؤخرًا من المسلمين واما اناكليتوس فكان قد قبض عليه ومُجِن

وتبوأ تخت السلطنة بعد لوثير المذكور كونراد الثالث سنة ١١٤١ وفي ايامه وقعت حروب اهلية كان سببها امير ولاية بافاريا الذي انكر على كونراد حق السلطنة فنهض لمحاربة بعضها بعضًا واستمرت بينها الحروب زمانًا طويلاً . وبعد نهايتها اشترك كونراد في الحروب الصليبية فسار بجيش عديد الى بيت المقدس ولكنه رجع بالخيبة كما مرّ ذلك في تاريخ الصليبيين . ثم تولى بعده زمام السلطنة فريدريك بارباروسا سنة ١١٥٢ بانتخاب الشعب وكان شجاعًا مقدامًا وبطلًا هامًا حارب البولونيين واخضعهم ووقع الرعب في قلوب البوهيميين الذين كانوا لا يفتنون عن التظاهر بالعصاة والتمرد . ثم حارب ملك الدنيارك واذله . وكان وقتئذ اللومباردون يصبون لاسنشق نسيم الحرية والتخلص من جور جرمانيا فثجهم على ذلك البابا اسكندر الثالث فخلعوا الطاعة ورفعوا راية العصيان على السلطنة فخاربهم فريدريك ولم يفر منهم بطائل ثم

زحف الى ايطاليا ليمش جزار لاخذ الخار والانتقام من اهلها لانهم كانوا سببا
لهذه الحروب فحاصر بعض مدن تلك البلاد وهدمها ولاسيا ميلان فانه على ما
قيل محاربا بالكلية وزرعها ملحا

ثم خلفه ابنه هنري السادس سنة ١١٩٠ وكان كاييه موصوفا بالشجاعة
وقوة البأس فادعى بناج ملك صقلية بعد موت ولم ملكها لان زوجته كانت
اخت الامبراطور المذكور فانكرت عليه ما ملك ايطاليا هذا الحق واذا اعترضوه
في هذا الامر جرد عسكريا وزحف به على ايطاليا واستولى تقريبا على كل كامبانيا
وكالابريا وابوليا ثم افتتح في تجريدة اخرى ملكتي صقلية ونابولي ونال ما كان
يملأه وكانت مقاصد هذا الملك متجهة الى ابطال عادة انتخاب السلاطين وان
يجمعها وراثية في عائلته فسهل له بعد مشاجرات طويلة بتسمية ابنه فريديريك
الثاني امبراطورا من بعده . وكان فريديريك المذكور صغير السن عند موت
اييه فاقم عمه فيليب وصيا عليه الى ان بلغ العمر اللائق فاستلم زمام السلطنة .
وكانت وقتئذ الحروب الصليبية منتشرة في بلاد الشرق . واذا رغب البابا في ان
يستميل هذا الامبراطور لمعاوضة المصلبيين ازوجه ابنة يوحنا بريان ملك
القدس بعد ان وهبها ابوها تلك الملكة في مقابلة جهازها وكان البابا يلح عليه
للقيام الى تلك الجهات فوعد فريديريك بالذهاب ولم يذهب . ولما طال
الوقت وانقطع الامل لم يعد الخبر الروماني بمجد سيلا سوى اشهار الحرر على
فريديريك الامر الذي دعى هذا الامبراطور الى اشهار الحرب على ايطاليا .
فزحف اليها وضيّق عليها فالتزم البابا ان يهرب من رومية ووضع فريديريك يده
على كل املاك الكرسي الروماني . ثم وفي بعد ذلك نذره وذهب الى الاراضي
القدسة ففتح في سفرته اكثر من سلفائه اذ عقد صلحا بدون حرب على عشر سنوات
مع الملك الكامل الايوبي تحت شروط معلومة منها استرجاع مدينة القدس مع
بعض البلاد المجاورة . ولما صم فريديريك ان يتوج نفسه ملكا على مدينة القدس
اعترضه البابا غريغوريوس التاسع في ذلك ومنع الاكليروس عن توجيحه

فالنزم فريدريك ان يتناول الحاج عن المذبح ويتوج نفسه بيده. فخرمه البابا ثانية وهذا المسبب اتمت الحرب مرة اخرى بينة وبين ايطاليا واشتدت بهذا المقدار حتى جرت فيها الدماء كسواقي الماء . وبينما كانت جرمانيا في تلك الايام مضطربة الاحوال وعديمة الانتظام من جرى الحروب والوقائع نهضت بعض الممالك المتحالفة مع السلطنة الجرمانية وهي دنياك وهولاندا وهنكاريا وخاضت الطاعة واستقلت

وسنة ١٢٤١ جرى الاتحاد المعروف بالاتحاد الانسيانيكي بين اكثر مدائن جرمانيا الجنوبية مثل هامبورج ولويك وبرونزويك وغيرها قصداً لحفظ حريتهم وردع سطوة امراء الولايات واهل الطمع عن اذيتهم . وقد سميت تلك المدن بمدائن الهانس التي معناها باللغة الجرمانية المدائن المشتركة واتى هذا الاتحاد بنتائج مفيدة للتجارة بهذا المقدار حتى انه دخل تحت لوائه ثمانون مدينة من اعظم المدائن الكاثنة على بحر البلتيك ونهر الرين وانقطعت اهلها اثار المكاسب والسلم والقوة الناجمة ضرورة من التوافق والتعاقد . وكانت المعاهدة الانسيانيكية مكرمة ومهابة عند الجميع حتى ان اعظم الملوك كانوا يودون مصاحبها ويخشون بأسها ويحافظون على علاقاتها الحدية معها . ولكن عند اكتشاف اميركا وافتتاح باب جديد للتجارة اخذت صوالمح المدن الانسيانيكية ترجع الى الوراء فانحل عقد ذلك الاتحاد سنة ١٦٢٠ ولم يبق مشتركاً فيه سوى ثلاث مدن فقط وهي هامبورج وبرم ولويك وانضمت هذه ايضاً الى بروسيا سنة ١٨٦٧ ولم يبق للحكومة الانسيانيكية اسم الآن

ثم بعد موت فريدريك الثاني حدث اضطراب عظيم بسبب انتخاب خليفة له فقتل جملة اشخاص ولكنه لم يقع اتفاق عام على احد منهم حتى قام اخيراً رودولف هامبورج احد الامراء المشاهير من عائلة الغوالف القديمة وكان ذا ثروة واملاك كثيرة في بلاد السويس فبايعوه بالسلطنة سنة ١٢٧٣ ومنه نبغت

ملوك النمسا وكثير من ملوك جرمانيا ضربنا صفحا عن ذكرهم لعدم اهمية اخبارهم في مختصر كذا الى حين ظهور الامبراطور كارلوس الخامس المعروف بشارلكان

الباب الثالث

في بعض اخبار مرتينوس لوثيروس والاضطراب الذي
حدث في جرمانيا بسبب آرائه الدينية

ان اول من تظاهر في اراء دينية مخالفة للمعتد الروماني الكاثوليكي بعد
وبكيلف الانكليزي رجل يقال له يوحنا هس من مدينة براك في بوهيميا في
اواخر الجيل الثالث عشر وبسبب اذاعته تلك الراء ومناداته بها بين الشعب
حدث بحس عظيم في الكنيسة. ولما عظم الامر واشتد فقد سيجسموند سلطان
جرمانيا ان يزيل تلك الاسباب ويصلح حال الكنيسة فاتفق مع الحبر الروماني
على عقد مجلس للنظر في تلك الامور فعقد مجمع في مدينة قسطنسية التابعة
امرية بادن سنة ١٥١٤ وأحضر يوحنا هس المرافعة فحكم عليه بالهرطقة ومن ثم
بالموت تحرق ولم يرد عن آرائه. وكان ليوحنا هس صديق عالم يقال له
جيروم فوافقه في آرائه وعلم بها فاصابه ما اصاب صديقه ومات حرقا بالنار
بعد رفيقو بستين ولكن لم تمت تلك التعاليم يموت ذنبك الرجلين فانها امتدت
اكثر فاكثر واشغلت افكار الشعوب حتى انفجرت اخيرا في الجيل السادس
عشر بمناداة مرتينوس لوثيروس

وكان لوثيروس المذكور من مدينة اسلابان من اعمال سكسونيا وُلد سنة

١٤٨٢ ومع ان امله كانوا من ذوي الفقر والفاقة تربي تربية جيدة وتمكن من
المعلوم وكان له صفات خصوصية تدل على نباهته وتدور فرجه وكانت نفسه
تميل طبعاً الى معرفة الامور الصعبة التي تقصر دونها هم الرجال وكان زاهداً في
امور الدنيا يحب الوحدة والانزاد. فدخل الى دير من اديرة الرتبة
الاوغسطينية وترهب واشهر بالتقوى والصلاح والاجتهاد الغريب في المطالعات
والعلوم اللاهوتية وعذب يوماً على نسخة من الكتاب المقدس في مكتبة الدير
فاخذها وبذل جهده في تصحيحها ومراجعتها المرة بعد الاخرى حتى تمكن من
تعاليمها ومعانيها فانتخب منها ايات كثيرة لم يكن اقرانه قد اعتادوا على
استعمالها فحصل على تقدم عظيم وشهرة فانتخبه حتى ان فريدريك امير ساكسونيا
انتخبه ان يكون معلماً للفلسفة واللاهوت في مدرسة انشأها في مدينته ونبرج.
وكان وقتئذ البابا لاون العاشر حبراً في رومية فتوسع سنة ١٥١٧ في مخ
الغفرانات التي كان سلفه قد شرعوا فيها لمن يذهب ويساعد في الحروب
الصليبية او لمن يبذل شيئاً من الدراهم لبناء كنائس او مقاصد اخرى دينية
ولم انا مسخصوصين لبيع تلك الغفرانات بالدراهم وفاء عن ذنوبهم ومعاصيهم
من جلتهم احد رهبان الدومينيكيين البغاء اسمته تتزل فكان يجول مع رفقاءه
بين شعوب جرمانيا منادياً بالبركات الروحية التي تعقب الغفرانات المنوحة
من راس الكنيسة المنظور يبيعونها للعامة باجنس الاثمان. فنشرت قلوب الملوك
والامراء من ذلك الصنيع اذ راوا اموال رعاياهم ذاهبة الى خريفة البابا لاون
ليستفيها في الاسراف والتبذير. وكان كثيرون من انقياء الناس يأسفون على
ضلال العامة في تصديق ذلك التعليم والاعتماد عليه في خلاص الانفس من
جلتهم مرتينوس لوثيروس الذي نحن في صدره فانه لم يتوقف عن المنادة
علناً في الكنائس والمحافل بنساذ ذلك التعليم وغيره من المفائد التي حسبها من
البدع المضرة بالديانة والآداب فاستولى كلامه على قلوب الناس وجمعت
العامة على استماع مقالاته. فاقترح ٦٥ مسألة تضمن فحوى افكاره واراته في

شان الغفران ونشرها على العامة وطرحها امام العلماء ليحول ويثبتوا منها ما استحسنوه وعين اياماً معلومة لاجتماعهم لاجل المناكرة والمفاوضة فيها وكان مع ذلك مظهرًا غاية الطاعة والانقياد للكنيسة الرومانية

فخصت الایام المعينة ولم ياتوا احد بل تصدّى لمعارضته بعض العلماء فكتبوا ردًا على تلك المسائل ونشروها مشعين بحق كل التشيع . وكانت استناداتهم في احتجاجاتهم مبنية على اراء العلماء والاحبار والقوانين الكنائسية اما هو فكان قدحه يبيع الغفرانات مبنياً على نصوص وبراهين قاطعة مقتبسة من الكتاب المقدس ومن العقل السليم . فظهر للامة ان مجادلة اولئك اللاهوتيين واعتراضاتهم انما كانت مبنية على اغراض نفسانية لا ثقة فيها نظراً لركابها ومخالفتها العقل والنصوص الالهية

ولما لم يقدر لوثيروس عن المكوث في تغليظ تلك الاقوال اخذ اخصامه يلحون على ديوان رومية بتأديبه ومعاقبته لان تعاليمه كانت قد اثرت تأثيراً عظيماً في جميع الاقطار الالمانية وصارت من الامور المخطرة المتقضي مداركتها . فارسل البابا لاون يستدعي لوثيروس الى رومية للتحاكم . فابي التوجه خوفاً من الغدر والخيانة والتبس فخص دعواه في نفس المانيا وساعده على ذلك اصدقاؤه وامير سكسونيا وكتب هو كتاباً في ذلك الشأن الى الخبر الروماني يظهر به طاعته وامثال له لاوامر ديوان رومية فعناه البابا لاون من التوجه الى رومية وامر نائبه في المانيا الكردينال كاتيجان ان يفحص تلك التشنكات ويحكم بما يستحسنه فذهب اليه لوثيروس الى مدينة اوجسبرج وجرى بينها مباحثات ومجادلات كثيرة فسلك كاتيجان معه مسلك الكبر والعنفوان لا مسلك الحق والاذعان وتهدده بالقبض والخصاص عندما رآه متشبهاً بارائه وغير مثني عن عزمه فخاف عليه اصحابه وعلوا على ارجاعه لوطيو فقبل لوثيروس النصيحة ورجع . اما كاتيجان فلما بلغه هرب لوثيروس غضب وكتب الى فريديريك امير سكسونيا يطلب منه ان يقبض عليه ويرسله اسيراً الى رومية فابي

فريدريك اجابة ذلك الطلب . ولكن مع كل هذه المساعدة كان لوثيروس في ريب وخوف من جهة دوايم حماية فريدريك له نظراً لما يعلمه من سطوة الكنيسة في ذلك الوقت

واذ كانت حالة السياسة يومئذ في ارتباك بسبب موت الامبراطور مكسيميليان وانتخاب خليفة له والكنيسة مهوكة في ذلك لم يلتفت كما ينبغي الى لوثيروس ومقالاته فكان على نوع ما في هدوء وسكون وتمكنت تعاليمه في قلوب كثيرين في سكسونيا وباتي جرمانيا واتصلت الى بلاد السويس حيث كانت تباع الغفرانات بدون عائق ولا اعتراض بمعرفة رهبان الفرنسيسكانيين . وعندما كانوا يعرضون هذه البضاعة على الشعب للبيع في مدينة زورنخ نهض لمقاومتهم زوينكليوس العالم الشهير وبمسارعة غريبة اعترضهم وصدّهم ولم يقبل بدخول هذا الامر الى وطنه ولم يحسب ذلك مضراً فقط بالعباد بل عدّه سلباً واختلاساً للحقوق الربانية ايضاً وساعده على المجاهرة والصدى لمقاومة تلك الاعمال حرية البلاد وحكومتها الجمهورية غير المفيدة براس مخصوص فكان مطلق التصرف في حركاته . فسر لوثيروس بذلك اذ وجد له مساعداً يؤيد رايه في تلك المسئلة المهمة وابتدأ حينئذ يتظاهر باكثر جسارة في فساد اعتقادات الكنيسة الرومانية حتى زلزل بنياداته واعتراضاته اركان قواعد ديوان رومية . حينئذ امتلأ البابا لاون وجميع اساقفة الكنيسة ومناصبها غيظاً وحنقاً على لوثيروس فعقدوا مجلساً للبحث والمشورة في تلك التعاليم التي كان قد صار لها ثلاث سنوات تنشر وتمتد بين قبائل المانيا واصدروا منشوراً يحرمون به لوثيروس وموّلقاته وكل من يطالعها ويحتمون العامة على حرق كتبه ورسائله وعينوا له مهلة ٦٠ يوماً للتوبة والرجوع الى حضن الكنيسة وانه بعد مضي المدة المذكورة ان لم يرجع ويعترف بخطائهم على رؤوس الاشهاد يكون مقطوعاً ومعدولاً وضالاً فلم تنتر همة لوثيروس من هذا الحرم لانه كان منتظراً من قبل بل زاد تشبهاً بما عنده واخذ يذم البابا وظلمه وتعديبه مسمياً اياه المسيح الدجال ويحرّض

الملوك على الخروج عن طاعته وعلم الانبياء لامره وانفخر بكونه استوجب
غضبه جبا بجرمة البشر والصالح العموي. ومع انه الى ذلك الوقت لم يتبع احد
من الامراء وعظماء الناس مذهب لوثيروس ولم يكن قد حصل تغيير في صورة
الدين ولكنه تفرر في عقول الاكثرين مجادلات لوثيروس واعتراضاته وادركوا
ضعف احتجاجات الاكليروس واستعصموا التخلص من اسرديوان رومية وفرحوا
بالفرصة التي اتهم للهرب من نعمت ذلك النير. على انه يجب ان نذكر ان
الطرق التي سلك فيها لوثيروس لاجل انتشار تعاليمه ومذمته من لم يوافق عليها
اوجبت له اللوم في الاعصر المتاخرة وحسبت من المثالب غير اللائقة ولكن لم
تفر منها القلوب في عصره بل تلقاها الجميع بفرح وقبول لان الناس كانوا
في قلق وكرب من جور رومية وتعديتها.

ولما تبارك كان سرير سلطنة جرمانيا ورأى انه لا بد له من استقالة البابا
اليه لاجل مصالحه في بلاده الخارجة عن سلطنة جرمانيا ولا سيما لاجل مقاومة
عدوه الاكبر فرنسيس الاول ملك فرنسا لم يجر على الخلة عن لوثيروس
فالزمه ان يحضر الى مدينة ورمس امام الجمعية المنعقدة فيها تحت رئاسة
الامبراطور نفسه لكي يجالوب عن الشكيات والدعاوى القائمة عليه. فذهب
بكل جسارة وتلقاه الاهالي بالاحرام والاحترام وكان عدد المحدثين به من الناس
اكثر من اجتمع حول شارل كان وقت دخوله المدينة بالاحتفال. ولما وقف
لوثيروس امام ذلك المجلس اظهر من الشجاعة والبسالة ما يدل على ثبوت جنته
ومع انه اعترف بكونه تجاوز الحد في طعمه وذم الكنييسة قال انني لا احيد
عن معتقدي الا اذا اقتنعوني بالبراهين القاطعة والادلة الواضحة من كلام الله
عن بطالته.

واذ لم تنفع معه الماورات والتهديدات اشار بعض القسوس على ارباب
المجلس ان يسلكوا معه سلوك جمعية قسطنسية مع يوحنا هس ويريجوا الكنييسة
من هرطقة هذا المبتدع. فلم يقبل ذلك الراي لانه كان حضر تحت الاستثمان

ويُحسب القدر به على تلك الصورة من الأمور المنكرة قضى لوثيروس أمناً .
ولكن بعد ذهاب بايام يسيرة صدر امر من البابا باسم شارلكان وعموم مجلس
ورمس بتاريخ ٢٦ نيسان سنة ١٥٢١ مضمونة ان لوثيروس قد استوجب القتل
وانه لا يجوز لاحد من الامراء والاعيان ان يدخله تحت ظل حماه بعد نهاية المدة
المعيّنة في ورقة الامان

واذ كان فريدريك امير ساكسونيا محباً للوثيروس وعرف انه لا بد من
تحمله اذا بقي جائلاً حسب عادته ارسل له جماعة من الفرسان قبضوا عليه في
الطريق وهو راجع من ورمس وجاءوا به الى قلعة ورنبورج حيث بقي تسعة
اشهر تحت الحفظ في مكان خفي لا يطلع احد عليه صارفاً اوقائه في الكتابات
والتأليفات الدينية لاجل احياء عزم اصحابه التاليمين آراءه وبواسطة صديقه
ملائكثون العالم البلّغ كانت تلك المؤلفات تُطبع وتُشرى للناس . وسيما كان
لوثيروس في ذلك المني اخذ يترجم بعض الكتاب المقدس الى اللغة الجرمانية
مسمياً سجنه باسم بطرس اشارة الى الجزيرة التي بُني اليها يوحنا اللاهوتي . فكان
المذهب اللوثيري في تقدم واتشار مع كل المفاوضات والاضطهادات التي
هاجت عايد ليس فقط في جرمانيا واطاليا بل في فرانسوا وانكلترا ايضاً لان
جمعية العلوم في باريس (اونيفرسيتيه) لصدرت حكماً قاطعاً بطلان مذهب
لوثيروس واعلنت ذلك بكتابات رسمية لمعرفة الجميع وكذلك هنري الثامن
ملك انكلترا فانه كتب ردّاً على لوثيروس سماه بالاسرار المسبعة مدافعة عن
الكنيسة الرومانية ولكن مع ذلك كله لم يثن عزم لوثيروس ولم يكثر بمجمعة
احبار باريس ولم يخش سطوة هنري الثامن بل بادر حالاً بنشر رده على حكم
جمعية باريس وعلى كتاب الملك هنري وسلك في نصه مسلك الخشونة والقدح
ولم يُحسب ذلك وقاحة منه في ذلك العصر بل كان برهانا ودليلاً على جسارته
وثباته . وبعد مضي تسعة اشهر من سجنه خرج من قلعة ورنبورج ورجع الى مدينة
وتبرج حيث قبله الجميع فرحين

واذ كان الامبراطور شارلكان يومئذ مهتماً بامور اخرى اتم من امر
لوثيوسوس تستدعي كل الالتفات اليها لاجل خير سلطنته اشتهرت تعاليم
لوثيوسوس وامتدت اكثر فاكثر في مدة الثمان سنوات التي عقيبت مشورة ورمس
فاتصلت الى فرانسوا وانكلترا وهولاندا . ولكن لما هدأت حروب شارلكان مع
فرانسوا امر بالتشام مجمع في سپاريس لاجل فض الجدل الديني الذي اوجب
القلق فصدر حكم المجلس المذكور بشيبت حكم مجمع ورمس ورفض التعاليم المستعجة .
فاجتمع حينئذ امير ساكسونيا مع بعض الامراء والوكلاء الى مدينة من مدائن
جرمانيا واقاموا الحجة على ذلك المحكم ومن ذلك اليوم غلب عليهم وعلى تابعي
الاصلاح لقب بروتستانت اي محاجين . ثم امر شارلكان بعقد مجلس اخر في
اوجسبورج لم يسمح البروتستانت للوثيوسوس ان يحضره خوفاً عليه من الغدر
فحضر مكانه ملائكتون وقدم للمجلس صورة الايمان البروتستانتي واجتهد ان
يصلح الحال بين الطرفين فلم يأت ذلك بادنى فائدة واصدر المجلس حكماً
صارماً ضد البروتستانت حينئذ اجتمع البروتستانت وعقدوا تحالفاً بعضهم مع
بعض سنة ١٥٢١ وهو المعروف بمحالفه هالكالدا (اسم مدينة في جرمانيا) اتحد
بها جميع البروتستانت وتمدوا على مقاومة من يقاومهم واجروا ايضاً انحاداً سرّياً
مع هنري الثامن ملك انكلترا وفرنسيس الاول ملك فرانسوا عدو شارلكان
الاكبر . فمن ذلك الوقت الى سنة ١٥٤٤ كانت جماعة البروتستانت في المانيا
في راحة وهدوء بسبب انشغال شارلكان بحاربة فرانسوا والأتراك فكانوا ينمون
ويزدادون في كل اقطارها وفي البلاد الخارجية ايضاً . وسنة ١٥٤٦ توفي
مريتيوس لوثيوسوس ناركا الاسف لجميع اصحابه

الباب الرابع

في اخبار الامبراطور كارلوس الخامس المعروف بشارلكان

ان اخبار هذا الامبراطور وسيادته على اوروبا ما نستحق ان نخلد في بطون التواريخ نظراً لشهرته وكثرة وقائعه وحروبه ومها قصدها ان نضيل الكلام في ذكر اخباره وحالة اوروبا في عصره لا نستطيع ان نستوفي الشرح اللازم عنها في هذه الصحف ولذلك نخصر ونقول . ان شارلكان هو الابن الاكبر لفيليب ارشيدوك النمسا وملكة حنة ابنة فردينند ملك اسبانيا وايزابله ملكة اسبانيا . ولد سنة ١٥٠٠ للبلاد وتربى في بلاد الفلمنك التي ورثها عن ابيه وتزوج ملكاً على اسبانيا ونابولي سنة ١٥١٦ بعد موت جده فردينند . وكان مكسيميليان الاول امبراطور جرمانيا جده ابا ابيه . فلما توفي هذا الامبراطور انتخب الشعب شارلكان خليفة له سنة ١٥١٩ وكان من افراد رجال الدهر ذا سطوة وشوكة فتمسكت احوال السلطنة في ايامه ووقعت هيبتها في قلوب ملوك اوروبا لان الدولة الجرمانية وقتئذ كان لها التقدم ونفوذ الكلمة على سائر الدول الاخرى لاسيما اذا كان امبراطورها من اصحاب الذكاء والمهارة

ولكن قبل جلوس شارلكان على سرير سلطنة جرمانيا نهض فرنسيس الاول ملك فرانسوا زاحمة على لبس التاج اذ ارسل رسلاً الى بلاد المانيا لالقاء الوسوس بين الشعب وعدم قبولهم شارلكان امبراطوراً مظهرًا لم انه صغير السن وليس فيه لياقة واهلية لمكافئة المسلمين الذين كانوا يهددون ممالك اوروبا وان السلطنة تمحاج الى رئيس خير صاحب دراية وسياسة لكي يحمدهم بحكمته نيران الاضطرابات الممتدة في داخلها بسبب المنازعات الدينية التي اشغلت عقول الاكثريين . وكان مع تلك النصائح يذل المال واهدايا لمن

يده زمام الحل والربط ليستعملهم اليه ولكن كل تلك الوسائط لم تنفع لان
الالمانيين بوجه العموم رفضوا سؤاله ولم يرتضوا باقامة امبراطور اجنبي عليهم
فبحسب عادتهم في اوقات كهذه اجتمع رؤساء الممالك وعقدوا مجلساً عاماً في
مدينة فرانكفورت حيث استقر رأي السبعة الذين لم حق الانتخاب بمبايعة
شارلكان بعدما اختاروا اولاً فريدريك امبرساكسونيا ولم يقبل

فلما اشتهر في ممالك اوربوا وقوع الانتخاب على شارلكان غضب فرنسيس
الاول غضباً شديداً وداخلة من الحقد والحسد ما بداخل كل من كان طامعاً
وصم من ذلك الوقت على معاكسته ومقاومته كما كان شارلكان ايضاً عند حصوله
على ما كان يصبو اليه صم ايضاً على الانتقام من عدوه ومن ثم نشأت العداوة
التي نتجت نيرانها في كل مدة هذين الملكين . على انه كان يوجد اسباب آخر
موجة للنفور والحصام بين الطرفين . منها ان ملكة نابولي كانت في ايدي
الفرنساوين فاستخلصها منهم فردينند ظلماً وعدواناً وضمها الى اسبانيا فكان
فرنسيس يسعى لاسترجاع تاجها . ومنها ان اميرة ميلان كانت وقتئذ في ايدي
فرانسا وكان شارلكان يطلبها كإراضي امبراطوريتو وحسب اميرة بورغونيا
ايضاً من متروكات اجداده وان وضع يد فرانسا عليها هو من باب التعدي
والاغصاب . فهذه الاسباب مع ما تقدم ذكره من العداوة هيئت الفتن بين فرانسا
والمانيا زماناً طويلاً واشترك فيها اكثر الدول الأوروبية

واذ كانت انكلترا وقتئذ ذات صولة وشوكة تحت حكم ملكها هنري الثامن
اخذ كل من شارلكان وفرنسيس في استعمال الوسائط لاستغلال خاطر هذا
الملك اليه ففتح شارلكان بنوال غايته بواسطة الكردينال ولسي وزير هنري
الثامن واعداً اياه بالكرسي الخبري . فانقم هنري الى الامبراطور شارلكان
وكان سنداً عظيماً له ضد فرانسا . اما البابا لاون فكان يتردد في اول الامر
بين الحزبين محارفاً في سياسته لان الخصمين كانا قويين ولا بد للتصير منهما من
الاستيلاء على كل ممالك ايطاليا مع ان غايته العظمى كانت ابعاد الاثنين عن

ابطاليا واستخلاصها من ايدي الاجانب فمكث مدة وهو يتردد ولكنه اخيراً عقد معاهدة مع الملك فرنسيس ووعده بمساعدة الايطاليين بشرط ان يقتضاها مملكة نابولي التي كانت تحت نسط شارلكان . ولكن بعد ذلك بقليل نجى البابا لاون عن فرنسيس وانضم الى حزب شارلكان وعقد معه شروطاً ضد فرنسا فكانت تلك المعاهدة اساساً لشوكة شارلكان في ايطاليا

فبناء على هذه المعاهدة نشر المتعاهدان راية الحرب على فرنسا وبينما كانا مستعدين على مهاجمة امرية ميلان اشتبكت الحرب في مملكة نافار التابعة اسبانيا . وسبب ذلك ان هذه المملكة كانت في ايدي عائلة والبرت على نوع من الاستقلال واستخلاصها منهم الاسبانويوليون في زمن ملكها حنا والبرت . وطلب اولاد هذا الملك مراراً عديدة من شارلكان ان يردهم لمملكة ابيهم فكان يحاولهم من وقت الى آخر فانتصر لم فرنسيس ملك فرنسا وامدهم بالجيوش الفرنسية فدخلوا المملكة وتغلبوا عليها اذ لم يجدوا فيها من يقاومهم ثم تقدموا على مملكة كاستيل واداموا الحصار على بعض مدنها فوافتهم حيثئذ العساكر الاسبانية وانضمت الى عساكر كاستيل وهجمت عليها وقاتلتهم واذ كان قائد الجيوش الفرنسية الامير لسيار لايجسن ادارة العساكر انهزم ثم أسر مع جملة من أسرى اعيان الضباط واسترجع الاسبانويوليون مملكة نافار في وقت اقل مما لزم للفرنساوية لافتحها

واذ رأى فرنسيس ما حل بجنوده ازداد حنقاً واخذ يبحث عن علة يتعلل بها ليهجم على اراضي شارلكان فاخذ يهجم الامير روبرت دي لامرك ملتزم اقليم بولون وشبانيا ليجرح عن طاعة شارلكان فقبل روبرت النصيحة وبعث اليه بعلته بما قد صم عليه وبعد ماضٍ جيوشه الى الجيوش التي جمعها سرا من فرانك زجف على لوكزمبورج وحاصر قلعة ورتون فتعجب شارلكان من وقاحة ذلك الامير وعرف باطن الطوية فاخذ يشكو من مداخلة فرنسيس الاول المغاير اليهود بينها . فادعى فرنسيس بان ليس له مداخلة في ذلك الامر وا

الجيوش الفرنسية التي مع روبرت لم يرسلها هو برضا بل انضمت اليه بدون علمه. واذ كان ذلك عنراً غير مقبول ارسل شارلكان من ساعته يطلب من هنري الثامن ملك انكلترا ان يوجه جنوده لمحاربة الفرنسيين فخاف فرنسيس من عواقب الامر وامر روبرت ان يطلق سبيل العساكر الفرنسية. اما شارلكان فلم يكتف بذلك بل جهز الجنود وارسلها للانتقام من روبرت فتغلبت على سائر مدنه واقاليه ثم بعثها الى فرنسا فاستولت على مدينة موزون وامتدت من هناك الى محاصرة ميدير فلم تنجح هناك بل رجعت مدبرة بالفشل والخيبة

حينئذ امر ملك انكلترا بانعقاد جمعية في مدينة كاليب لاجل المذاكرة في امر الصلح بين الطرفين فاجتمع الوزراء واخذوا يتخابرون ويتداولون ولكن بدون فائدة لان كلا من الدولتين كانت تطلب من الاخرى مطالب باهظة. وفي اثناء المذاكرة ذهب الكردينال ولسي وزير انكلترا للمقابلة الامبراطور شارلكان في جرمانيا بقصد اقناعه للمساهلة في شروط الصلح ولكن لما اجتمعا تخابرا واعصبا على حرب الملك فرنسيس وتوافقنا على ان شارلكان يهجم عليه من جهة اسبانيا وهنري الثامن من جهة بيكارديا

وكان البابا لاون العاشر بناء على عهده مع شارلكان وبناء على مخاصمته مع فرنسيس ملك فرنسا بحجة تعدي حكومة ميلان الفرنسية عليه وعتكها حرمة الكنيسة في اغارتها على بعض اراضيها قد تجهز واستعد لمحاربة فرنسا واستاجر عسكرياً من بلاد سويسرا وضمه الى جيوش الامبراطور فهاجوا الفرنسيين في امريه ميلان واستظهروا عليهم واخيراً فتحوا مدينة ميلان واستولوا على باقي المدن وفر الجنرال لوتريك الفرنسي الى ارض البندقية وانضمت مدينة پارما ومدينة پليزانسا الى الكنيسة وخسر الفرنسيون جميع املاتهم في البندقية ما عدا مدينة كريمون وبعض القلع والحصون. فلما بلغ البابا لاون اخبار تلك النصر العظيمة كاد يطير فرحاً ولفرط سروره أصيب بحمى شديدة

لم يتدارك امرها في مبدئها فتمكنت منه ومات بها على زعم بعض المؤرخين .
وقبل الانتقال من هذا الموضوع لا بد من ذكر الحادثة الغريبة التي اوجبت
انكسار العساكر الفرنسية في هذه الحرب فنقول انه كان قد تعين بين العساكر
الفرنساوية جمهور من اهالي سويسرا اما حبا بالكسب اولغاية اخرى . وكان
ايضا البابا لاون قد استاجر منهم ١٢ ألفا وضمهم الى عساكر شارل كان . فلما رأت
جمهورية سويسرا ان شعبها قد انضم مع الدولتين المتحاربتين وانهم سوف
يدمرون بعضهم البعض فضلا عن العار الذي يجلبونه على بلادهم بعثت
تطلب من قومها نخبة صفوف المعسكرين والعودة الى الوطن . فأخفي الامر
الذي باسم العساكر التي من جهة البابا والامبراطور ولم يدل الى محلولان
الكردينال روسيون كان ارشى الرسل حاملي تلك الرسالة . اما الامر الآخر
الذي باسم اولئك الذين في صفوف الفرنسيين فوصل وكان السويسيون
قد ضجروا من المحروب ولا سيما من عدم صرف اجورهم فبادروا حالا للامثال
الى امر حكومتهم وخرجوا من المعسكر ومن ذلك الوقت اخذ الفرنسيون
ينحسرون ويتأخرون

وبعد توفي البابا لاون أقيم مكانه ادريان السادس وكان ادريان هذا
كردينالا نائبا للامبراطور شارل كان في اسبانيا فعظمت شوكة الامبراطورية من
ذلك اليوم وصفت لما الايام وفازت نفوذا على باقي دول اوروبا ولا سيما على
فرانسا التي كادت حروبها معها تكون بلا انقطاع وعلى الخصوص في واقعة پاويا
حيث انتصر جيش الامبراطور وأسر الملك فرنسيس وبقي نحو سنة في الاعتقال
ولم يطلق الا في بداية سنة ١٥٣٦ تحت شروط مهينة

ومن اعمال هذا الامبراطور انه تغلب على رومية وافتتحها سنة ١٥٢٧ في
ايام البابا اكليمندوس وذلك بسبب اتحاده مع فرانسا ضد السلطنة الجرمانية
فاسره وابقاه تحت الحفظ مدة من الزمان ولم يطلقه الا خشية من زيادة التعصب
ضده في اوروبا . ومنها انه ذهب الى افريقية سنة ١٥٣٥ بهارة عظيمة وجيش

كثير فاستقلص تونس من يد مفتضها ببروس واعادها الى ملكها الاصلي
المولى حسن الذي استجار به فكان هذا المشروع من اعظم اعماله واكثرها فائدة
لانه خلّص من الاعتقال نحو ٢٠ الف نفس من اسرى النصارى في تونس
ومراكش من كان المغاربة قد قبضوا عليهم في مغازيم البحرية

وكان قد داخل هذا السلطان الباهر الشان الزهد والورع بعد تلك
الوفائع والانتصارات العظيمة التي جرت على يده فترع تاج السلطنة عن راسه
ووضعه على راس ابنه فيليب وانقطع عن العالم واضطرباؤه وقصد دبرا في احدى
مقاطعات اسبانيا فصرف فيه نحو ستين منعكاً على النسك والعبادة. وكان في
اوقات تفرغه يقصد الجبينة ويلي نفسه في شغلها وزرع النباتات. وكان له رغبة
عظيمة في اصطناع الساعات وفي فن الآلات الميكانيكية فصرف فيها اوقافاً
ولكن دأبه الاكبر كان الصلاة والعبادة والتأهب للرحيل الى ديار الاخرة. ثم
هجر كل نسليه واتبع الطرق المتعبة الشاقة بقصد التكفير عن ذنوبه وجرائمه فكان
يجلد نفسه احياناً جلداً مؤلماً حتى كانت دماؤه تسيل على الارض ومن جرى
ذلك اعترأه الفلق والخوف وتراكت عليه الاوهام والاحزان حتى انسلبت
راحته واضطرب ذهنه. ومن اغرب ما فعل انه صم يوماً ما على ان يعل له
جنازة في حياته لكي يكون له سبباً قوياً فعلاً لعدم نسيان الموت فلف نفسه
بلفائف الكفن وامر اتباعه ان يجلوه الى القبر الذي كان قد اعد له لدفعه فجلوه
على نعش ويدهم الشموع وهم يتلون امامه صلاة الاموات فكان هو يتلو معهم
وينوح ويندب كما لو كانت جنازة حقيقية وعند نهاية الجنازة تركوه في الكنيسة
وانصرفوا. فبعد انصرفهم قام وذهب الى مخدعه وهو في حالة الاضطراب
الشديد متأسفاً على نفسه ومناثراً من صورة الموت فاعترأه غيب ذلك حتى
شديدة انتهت بها حياته وكان موته في ٢١ ايلول سنة ١٨٥٠

ومن سلاطين جرمانيا بعد شارل كان المذكور فردينند الثاني قام سنة
١٦١٩ وكان عدواً مرّاً للبروتستانت في كل الاقطار الجرمانية حتى دحاه

الكاثوليكيون الامبراطور الرسولي ولما كثر جورهُ وتعديه على البروتستانت انتصر لهم فريدريك الخامس متخبا امرية اليا لاتين واشهر السلاح ضد فردينند فلم ينجح في مساعيه . ثم انتصر لهم ايضا كريستيان الرابع ملك الدنمارك ولم ينجح ايضا فالتزم البروتستانت ان يستغيثوا بغوستاف اذولفوس ملك اسوج فاعانهم وزحف على جرمانيا وحاربها فاتصر في عدة وقائع فاغنمت فرانسا تلك القرصة واتحدت مع اسوج ضد المانيا واستمرت تلك الحروب عدة سنين وهي المعروفة بحروب الثلاثين سنة الى ان انتهت سنة ١٦٤٨ في معاهدة وستفاليا التي عادت بالمختصر لن على بيت اوستريا وعلى الحبر الروماني . اما على الاولين فلانها انزلهم عن حقوق واريضي كثيرة تابعة السلطنة الالمانية الى فرانسا واسوج وغيرها واما على الثاني فلانها اضعفت شوكه ديوان رومية ومدعيات فسوسها من جهة محي المراطنة عن وجه الارض وجعلت للبروتستانت الحرية التامة في استعمال شعائر دينهم . وقام بعد فردينند المذكور جملة سلاطين ضربنا صفحا عن ذكرهم لعدم اهمية ما حدث في ايامهم

وسنة ١٧٩٢ تسلطن على جرمانيا فرنسيس الثاني وفي ايامه حدثت حروب نابوليون الاول فكان المذكور من جملة الملوك والسلاطين الذين خضعوا لبطشه واقباله فالتزم في سنة ١٨٠٦ ان يتنازل عن سلطنة جرمانيا وانتصر على ان يكون امبراطورا على اوستريا واستمر سلطانا الى ان توفي سنة ١٨٣٦ وكانت سلطنة النمسا في اواخر ايامه من اعظم ممالك اوربا . ومن سنة ١٨٠٦ لم يعد يتم امبراطور على البلاد الجرمانية الى سنة ١٨٧١ حين تغلب حضرة وليم الاول ملك بروسيا على فرانسا فعرض عليه الالمان لقب امبراطور فقبله وبهذه الوسطة اتحدت جرمانيا ثانية تحت سلطنة واحدة

الفصل الثالث عشر

في وصف سويسرا اي بلاد السويس وتاريخها

يحد هذه البلاد شمالاً امانة بادن وشرقاً اوستريا وجنوباً ايطاليا وغرباً
فرانسا وستة ١٨٧٠ بلغ عدد اهلها ٢٦٧٠٠٠٠ وهو اؤها جيد وترتبطها مخصصة
وبها جبال الالب او الباء وفي اعلى جبال اوروبا لا ينقطع عنها الثلج من سنة الى
سنة وفيها من الاماكن البهجة المكتسبة بالنبات ما يسر عيون الناظرين . ويخرجها
عدة بحيرات عذبة وانهر كبيرة والمراعي فيها عظيمة مشبعة فيخرج منها احسن
انواع السمن والزبدة والجبن ولذلك يعتني اهلها بتربية الحيوانات والمواشي . ومن
معادن هذه البلاد الحديد والنحاس والرخام والكبريت وفيها كثير من المياه
المعدنية التي تقصدها الناس للعلاج . ولاهلها رغبة عظيمة في اكساب العلوم
والمعارف ولم اليد الطولى في جميع الصنائع ولا سيما في عمل الاقمشة القطنية
والحريرية وفي اصطناع الساعات ودفع الجلود . اما ديانة هذه البلاد فهي بين
اللاتينية والبروتستانتية مناصفة وحكما من نوع المشيخة الجمهورية ولها رئيس
منتخب الشعب كل سنة . وتنقسم هذه المملكة الى ٢٢ مقاطعة كل واحدة منها مستقلة
بنفسها في مصالحها الداخلية ولها مجلس ورئيس وجميع هذه المقاطعات متحدة اتحاداً
عاماً كدولة جمهورية كبيرة . ومن اعظم مدنها زيورخ وبرن وولسن وجنيف .
ومع ان وسائل المعيشة في هذه البلاد كثيرة يوجد بين اهلها فقر كبير فلذلك
يضطرون الى ترك اوطانهم ويقصدون ممالك اوروبا في طلب معاشهم فمنهم
من يتجند بين عساكر الاجانب ومنهم من يجول في البلاد الغربية متعاطياً اسباب

التجارة والغناء والموسيقى بحيث لا يكاد يوجد قطر في العالم خالياً منهم وكانت بلاد سويسرا تُعرف قديماً عند الرومانيين باسم هلوچيا وشعبها من جملة قبائل برايرة الشمال استولى عليها الرومانيون سنة ٥٨ قبل الميلاد وبقيت تحت تسلطهم الى القرن الخامس حين انقضت سلطنتهم الغرية فانضمت الى جرمانيا ما عدا بعض ولايات منها. ثم بعد ذلك صارت قسماً من ملكة بورغونيا (التي هي الآن ولاية فرنساوية) فتسلط عليها نارة الفرنساويون ونارة الالمانيون. وفي زمن الاتزامات في اوروبا دخلت في ايدي عدة عشائر اخصها عائلة هابسبورج التي منها رودولف هابسبورج سلطان جرمانيا. فكانوا يحكمون البلاد ويتصرفون فيها كيفما ارادوا. ولما جلس رودولف المذكور على سرير سلطنة جرمانيا وكان ذا ثروة وشوكة عظيمتين في بلاد سويسرا ضم القسم الأكبر من هذه البلاد الى سلطنته فصارت تابعة لها فاحسن معاملتهم وكان محبوباً منهم. ولكن لما قام بعده ابنه البرت سنة ١٢٩٨ اساء التصرف معهم وجار عليهم وارسل لهم عمالاً قساة فكانوا يظلمونهم ويتعدون عليهم بحيث نفرت قلوب الناس منهم فابغضوهم واخذوا يسعون في التخلص من حكمهم

ومن هؤلاء العمال رجلٌ قبيح الخصال يقال له جسرل نصب ذات يوم عموداً في احدى ساحات المدينة ووضع على راس ذلك العمود برنيطته وامر بان كل الذين يمرون من هناك يخضعون امامها ويقدمون لها مزيد الاحترام. فامتل الناس امره خوفاً من العقاب والاهانة الا رجلاً حرّاً يقال له وليم تلّ فانه لم يخضع لامر جسرل ولم يحترم برنيطته. فلما بلغ جسرل عدم انقياد تلّ الى امره غضب وصم على قتله فارسل واستدعى بابن تلّ. ثم التفت وقال لايو اني اشتاقاً عليك اريد ان اعطيك فرصة لتنجو من الموت فما اني ساضع على راس ابنك تفاعاً فأنت بقوسك وارم هذه التفاعه بنبله من بعيد فان اصيبتها عفوت عنك والا فلا بد من قتلك. وكان تلّ المذكور من ارى الناس بالنشاب فجاء بقوسه ورمى تلك التفاعه فاصابها وحصل على العفو. وكان مع تلّ نبلة اخرى محبّة

بين ثيابه فابصرها جسر وسأله عنها فقال هي لكي أرميك بها وأريج الناس من
 شرك وإذاك. فاستعظم خطابه فأمر بقبضه وقبضه وجم على نفيه ثم القاه في
 بعض القوارب وعبر به قاصداً القاطع الثاني من بحيرة لوسرن لينتهي هناك.
 وبينما كان الملاحون يذفون هبت عليهم ريح عاصفة حتى كاد القارب يفرق
 بهم. وإذا كان تل نوتياً ماهراً حلوه من وثاقه ليعينهم ويساعدهم في تدبير ما يلزم
 لنجاة القارب فعند وصولهم إلى الشاطئ خرج تل أولاً من القارب وجلس على
 بعض الصخور وبينما كان جسر ساعياً في الخروج رماءً بنبله القاه فتبلاً ثم أخذ
 في الهرب واجتمع بأصحابه في إقليم شونيز حيث كانوا جميعاً ساعين في استخلاص
 بلادهم والحصول على حريتهم

وكان للسويسيين ثلاثة رؤساء من محبي الوطن قد اجتمع راہم على العصاة
 وخلع طاعة السلطنة الجرمانية وكانوا مترقبين القرص المناسبة لذلك. ولما بلغهم
 ما فعله ولم تل سروا جداً وحسبوا تلك الحادثة فرصة مناسبة للعمل فاقاموه
 عليهم رئيساً وانفقوا من ذلك اليوم على حرب القوم وجرت بينهم حروب عديدة
 ابتدأت سنة ١٢٠٤ وانتهت بانتصارهم على الجرمانيين سنة ١٢١٥ فطردوهم من
 بلادهم واستخلصوا الملكة من أيديهم

وما يستغنى التعجب منه أنه لم يزل إلى الآن بعض جماعة من السويسيين
 يعتقدون بأن ولم تل لم يمت إلى الآن لكنه راقد في مغارة بالقرب من بحيرة
 لوسرن مع رفيقين له من المساعدين في تأسيس الجمهورية للمحافظة والحماية
 عن بلادهم حتى إذا دخلت سويسرا مرة أخرى في قبضة الأسر ينهض هؤلاء
 الرجال من رقادهم ويتقلدون أسلحتهم القديمة ويحشون الشعب على القيام
 وطلب الحرية

وبعد استقلال سويسرا لم تفتقر الحروب بين أهلها وبين ملوك جرمانيا
 الذين صلبوا إلى استرجاعها ليس فقط لأجل توسيع دائرة سلطتهم وثروتها

ولكن لاجل الاستعانة بهم على الاعداء لانهم كانوا من الشجعان والفرسان
المعدودين. فدامت تلك الحروب بين الطرفين الى الجيل الخامس عشر وكان
الاتصار فيها غالباً للسويسيين. فالتزمت حينئذ جرمانيا ان تقر باستقلاليتهم
بعد ان انسحبت عن محاربهم. وسنة ١٦٤٨ انعقدت الشروط العمومية بين
الدول الأوروبية المعروفة بصلح وستفاليا وافر الجميع باستقلاليتها ودامت
كذلك الى سنة ١٧٩٢ حين استولت عليها الجمهورية الفرنسية ونظمت لها
تراثيب وقوانين جديدة ولكن بعد سقوط نابليون الاول سنة ١٨١٥ رفضوا
تلك التنظيمات ورجعوا الى قوانينهم الاصلية من بعد ما حسنوها وهذبوها. وسنة
١٨٤٨ نظمو ترتيبات جديدة لاتحادهم واحكامهم وهي التي اشرنا اليها في اول
الفصل

ولول من نادى بالمذهب البروتستانتي في هذه البلاد زوينكليوس سنة
١٥١٩ في مدينة زورنخ ثم كلثينوس في مدينة جينيف في الجيل نفسه وهو
فرنساوي الاصل من اعمال بيكارديا وكان من فطاحل العلماء واعيان
اللاهوتيين وله عدة مؤلفات مشهورة واكثر الفرنسيين البروتستانت يلقبون
كلثينيين باسمه

الفصل الرابع عشر

في بلاد النمسا اي اوستريا

الباب الاول

في وصف هذه البلاد

ان مفر سلطنة النمسا واقع في اواسط اوروبا ومجدها شمالاً روسيا وبروسيا
وساكسونيا وشرقاً روسيا ايضاً ومولدافيا وجنوباً ايطاليا وبحر البندقية ونوركا
في اوروبا وغرباً بافاريا وورتمبرج وسويسرا . وسنة ١٨٦٩ بلغ عدد سكانها
نحو ٢٦ مليوناً بما فيه اهالي بلاد المجر الذين يبلغ عددهم ١٥ مليوناً ونصفاً . والديانة
الغالبة في اوستريا هي اللاتينية وعاصمة البلاد مدينة فيانا بخرقها نهر الدانوب
المسمى نهر طونة الذي كثيراً ما يجهد ماؤه في فصل الشتاء وتجتازهُ الناس على
الجليد . وفي هذه المدينة كثيرٌ من الابنية الفاخرة والمعابد المستظرفة والساحات
الجميلة وعدد سكانها بلغ سنة ١٨٦٤ نحو ٦٠٠ الف نفس بما فيه العساكر المقيمون
فيها . ومن هذه السلطنة ايضاً مدينة ترستة الواقعة على شاطئ بحر البندقية وهي
ميناء للتجبر واهلها نحو ٧٥ ألفاً

اما هواء هذه البلاد فعلى الاغلب باردٌ وترتبطا جيدة سواء للزرع ام للرعي
وهي تُعدُّ من اغنى الممالك الاوروبية من جهة المعادن فان فيها معادن الذهب
والفضة والنحاس والزنق والرصاص والحديد والملح والتوتيا والاتييون والزاج
والزرنج وفي بعض المواضع من بلاد النمسا بعض الاحجار الثمينة كالياقوت الاحمر

وغيره واتربة جيدة لعمل الخزف الفاخر وغير ذلك. وفيها كثير من المعادن المعدنية فان في بلاد المجر ما ينوف عن الالف عين. اما الصنائع في اوستريا فهي في رواج وفيها عدة معامل معتبرة ولاهملها الاعتناء في اثنان صناعة الجوخ والافشة الحريرية والقطنية والكتان والقرطاس والزجاج الصيني وعمل ائمة البيوت وصناعة الفراء ولكن ليس لهم خبرة كافية في الفلاحة والزراعة فلذلك الحزاة قليلة عندهم بالنسبة الى غيرها من البلاد. وفي هذه البلاد عدد عظيم من الحيوانات النافعة مثل البقر والحمل والمجهر والضان والمختير وقد اخذ تعديلها. فبلغت نحو ٥٥ مليوناً. وفيها ايضاً عدة جمعيات لتقدم صناعة الفلاحة وحمل شراكات لاعانة الفلاحين وامدادهم بالمال بفوائد قليلة لا تقان مشروعاتهم. وللنساء وبين اعتناء بالعلم والتعلم وعندهم مدارس كثيرة يبلغ عدد تلامذتها مليونين ونصفاً بين ذكور واناث. ولم يكتف لسائر العلوم الرياضية وعدة مكاتب مخصوصة بالصنائع وغيرها من المدارس الخاصة بالفنون البحرية والعسكرية والاحكام وغيرها

وتنقسم هذه السلطنة الآن الى قسمين كبيرين القسم الاول مملكة النمسا وما تبعها من البلاد الالمانية والسلافية كالمربية سالسبورج وكارينول وسيريا والتيبول النمساوي ومملكة بوهيميا ومورافيا وغيرها من كانت مرتبطة بالانحد الالمانى وانصلت عنه. والقسم الثاني مملكة المجر التي ولتن كانت تعتبر قسماً من دولة النمسا منذ سنة ١٥٦٢ لم يلبس تاجها الامبراطور فرنسيس يوسف الا سنة ١٨٦٧ وقد هذه الدولة من الدول الاولى مادياً وإدبياً

الباب الثاني

في تاريخ بلاد النمسا

ان هذه المملكة كانت في اول الامر ولاية من ولايات الرومانيين المسماة

نوركاو بانونيا العليا انضمت للسلطنة الرومانية سنة ٢٣٠ للميلاد في ايام طيباريوس قيصر. وفي ايجل الخامس بعد انقراض تلك السلطنة استولت عليها بربارة الشمال كجاعة الهون والاسندروغوث والوندال واللونغوبارد. ثم اتسمتها اهل بافاريا والندر الى ان استولى عليها شارلمان ملك فرانسا سنة ٧٩١ للميلاد وأطلق عليها اسم اوستريا وبقيت في ايدي الفرنساويين الى سنة ٩٨٢ حين استولى عليها اوتون الثاني سلطان جرمانيا وولى عليها ليوبولد الاول من عائلة بامبرج وتوارثها نسله من بعده تحت لقب مرغراف اي ولاية ثم تحت لقب مركز ودوك. وكان عدد من نولى اوستريا تحت هذه الالقب من هذه العائلة اثني عشر رجلاً. ثم بعد انقراض هذه العائلة سنة ١٢٤٦ دخلت اوستريا في ايدي فريديريك الثاني امبراطور جرمانيا ثم انتقلت بعد سنين الى اوتوكاد ملك بوهيميا ثم انضمت الى المانيا سنة ١٢٧٦ في زمن الامبراطور رودولف هابسبورج الذي ولى عليها ابنة البرت سنة ١٢٨٢ وبقيت تحت نسل تلك العائلة يتداولها الخلف عن السلف تحت لقب دوك الى سنة ١٤٥٢. ثم بعد ذلك العهد أطلق عليها لقب ارشيدوك بدون ان تنفصل عن السلطنة الجرمانية وقد قام من ارشيدوكاتها الذين هم من عائلة هابسبورج عدة اشخاص نبواً و سريرو السلطنة الالمانية ولكن لم يستقر لهم حق الوراثة فيها الا الى سنة ١٤٢٨ حين انتخب لسريرها البرت الخامس ارشيدوك اوستريا تحت اسم البرت الثاني

وفي ذلك الوقت كانت اوستريا قد تعاضمت جداً أولاً بانضمام ستيريا والالزاس والصواب المعطاة اليها من الامبراطور رودولف وثانياً بسبب اقتران الامبراطور مكسيميليان بماريا من عائلة بورغونيا سنة ١٤٧٧ فأضيف اليها بلاد هولندا وقسم كبير من بورغونيا اي برغنديا. ولما استولى شارلكان على السلطنة الجرمانية واوستريا اضاف اليها مملكة اسبانيا مع كل تملكاتها الخارجية ولكن بالقسمه التي جرت بينه وبين اخيه الارشيدوك فردينند سنة ١٥٢١ وقعت هولندا ودائرة بورغونيا في سهم شارلكان وارشيدوكاتو اوستريا مع توابعها في

سهم فرديند الذي في سنة ١٥٢٦ سُي ملكاً على بوهيميا عقب موت ملكها لويس فضمها الى اوستريا مع ولايات مورافيا وسيليزيا ولوزاس مع الاسقفيات الثلاث التي كانت تحت حكم المطارين وهي نول ومتس وفردون . ولما تنازل شارليكان عن الاحكام سنة ١٥٥٦ وجلس اخوه فرديند مكانه على تخت السلطنة الجرمانية قاومة البابا بولس الرابع تحت حجة ان تنازل الواحد وانتخاب الثاني بدون مصادقة مجلس رومنة لا يصح فلم يعباُ فرديند بهذا الكلام ورفض لزوم التثبيت من الكرسي الروماني كما كانت العادة جارية في تلك الايام . وكانت احكامه في غاية من الهدو والسلم حتى انه صرف اكثر ايامه الاخيرة في الاجتهاد بان يصلح الكاثوليك مع البروتستانت ولم ينجح

وسنة ١٦٤٨ في ايام سلطنة فرديند الثالث عند انعقاد صلح وستفاليا الذي هو نهاية حروب الثلاثين سنة بين المانيا وفرنسا واسوج انتزعت من اوستريا ولايتا اللوزاس والانزاس والاسقفيات الثلاث ولكنها استعاضت تلك الخسارة فيما بعد باستيلائها على ترانسلفانيا اي الاردل في ايام الامبراطور ليوبولد الاول سنة ١٦٩٩ وعلى كرواتيا . وفي سنة ١٧١٢ ورثت اوستريا من كارلوس الثاني ملك اسبانيا اراضي بورغونيا وامرية ماتو ومملكتي نابولي وسردينيا ولكنها استبدلت سردينيا بملكة صقلية سنة ١٧١٤ ثم بعد ذلك ببضع سنين ارجعت الصقليتين اي نابولي وصقلية الى دون كارلوس الاسبانيولي واخذت عوضاً عنها امرية پارما وبلاشنسا وكواستالا

وعند موت كارلوس السادس ارشيدوك اوستريا وامبراطور المانيا ورثته ابنة مارياتريزا في السلطنة سنة ١٧٤٠ اذ لم يترك نسلاً من الذكور فتزوجت بفرنسيس دوك لورين وجعلته شريكاً بالاحكام . وكان وقتئذٍ مُتخيم امرية بافاريا يصبو للحصول على السدة الامبراطورية وعضدته فرانسوا قفاومة فرنسيس اشد مقاومة وبعد منازعات ومتاعب كثيرة نودي باسم فرنسيس الاول امبراطوراً سنة ١٧٤٥ وهو جد العائلة المعروفة بعائلة اوستريالورين المستولية

الآن . ثم توفي بعد ان حكم ٢٠ سنة . وظف سنة عشر ولما منهم يوسف الثاني الذي خلفه على الكرسي من بعد موت ليو ماري تريز سنة ١٧٨٥ ومنهم ماري اناست المنكودة الحظ التي تزوجت بلويس السادس عشر ملك فرنسا وقتها الشعب اشنع قلة

ثم ان حروب الجمهورية الفرنسية مع المانيا في اخر الجبل الثامن عشر وحروب نابليون الاول في اوائل الجبل التاسع عشر حين فاز على النمساويين ودخل مدينة فيانا بالقوة والافتدار سلبت من اوستريا قسماً كبيراً من املاكها في المانيا وابطاليا مع جانب عظيم من سطوتها وساداتها وانزلت فرنسيس الثاني عن سلطته الجرمانية وحشرت حكمة في المالك التي له فيها حق الوراثة فقط . فمن ذلك الوقت نبغت الامبراطورية النمساوية ولقب فرنسيس الثاني بفرنسيس الاول وانحلت السلطنة الجرمانية . ولكن عند سقوط نابليون ووقوع حوادث سنة ١٨١٥ استرجعت اوستريا ولاياتها القديمة ما عدا دائرة بورغونيا فانها استعاضتها بمملكة لومبارديا وفنيس اي البندقية

وسنة ١٨٤٨ غلب الثورة الفرنسية نبع في اوستريا ثورة . تعرف بثورة اللومباردية والبندقية كان المقصود فيها خلع سلطنة النمسا والاتصاق بايطاليا لانها فرعان منها . واذ كان النمساويون غير مرتضين من سياسة مترنخ الوزير قاموا هم ايضاً في مدينة فيانا واطهروا العصيان . فالتزمت العائلة الامبراطورية مترنخ ان يتنازل عن وظيفته فتنازل وهرب الى انكلترا . اما الامبراطور فردينند الاول فاذ لم يقدر على تهدئة الشعب ترك هو ايضاً فيانا وذهب الى اينسبروك حيث اقام نحو ثلاثة اشهر . ثم رجع الى العاصمة بطلب من الاهالي ولكن اذ رأى ان روح الثورة لم يزل متفكراً في قلوب الشعب اخذ عائلته ووزرائه وذهب الى اولوتز واقام الحصار على فيانا وبعد قتال شديد دخلتها جنوده واخضع اصحاب القن . ولما حصلت الراحة في البلاد تنازل فردينند الاول عن تاج السلطنة لابن اخيه فرنسيس يوسف في ٢ كانون اول من سنة

١٨٤٨ وهو الامبراطور المستولي الآن.

وسنة ١٨٥٩ نبغ النزاع بين سردينيا والنمسا بسبب بعض املاك ايطاليا في
واغراض سياسية افضى بهم الى القتال رغما عن كل الوسائط التي اسعملتها
الدول المتحاربة لحفظ السلام. واذ كانت فرنسا تريد مساعدة الايطاليين
في حصولهم على حريتهم نهض نابليون الثالث لمساعدة سردينيا واستظهرت
الدولتان المتحاربتان على اوستريا في واقعي ماجتا وسولفرينو ثم عقد نابليون
صلحا مع امبراطور النمسا بعد ما حصل منه على تنازل عن الجانب الاكبر من
لومبارديا الى ايطاليا وانصب عساكر الفريقين بعد ما نودي باسم فيكتور
عمانوئيل ملكا على لومبارديا. اما فتيس فع انها بهت تحت تسلط اوستريا
اشترط بدخولها في الاتحاد الايطالي في

ولما كانت العلاقة بين دولتي النمسا وبروسيا متأسة من قدم الزمان
بسبب الرئاسة على الممالك الجرمانية. وكانت ايطاليا ترغب استخلاص عمالة
البندقية من النمسا وقمت المعاهدة بين ايطاليا وبروسيا على محاربة النمسا
فاصطلت نيرانها سنة ١٨٦٦ واتصر البروسيون على النمساوين في معركة شهيرة
في سادوفا واستخلصوا منهم جملة اماكن انضمت الى بلادهم وصار التنازل لاطاليا
عن البندقية وبقي لومبارديا. وبسبب الحروب المار ذكرها ترتب على النمسا
ديون كثيرة ووقعت في الازنيك ولكن لحسن الثفات امبراطورها وتلاييره
الحكيمة اخذت البلاد تخلص من ذلك الازنيك وتقدم في سيرها ونموها في
الثروة والافتقار. وفي ٨ حزيران سنة ١٨٦٧ توج هذا الامبراطور ملكا على
بلاد المجر فصار لقبه سلطان النمسا وملك المجر فازداد بسبب ذلك دخل
الدولة وسطوبها

الفصل الخامس عشر

في مملكة بروسيا

الباب الأول

في وصف هذه البلاد وأهلها

هذه المملكة يحدها شمالاً بحر بلتيك ومملكة الدنمارك وشرقاً روسيا وجنوباً بلاد النمسا وبعض الممالك الجرمانية وغرباً مملكة البولنديين ودوقاوتو لوكزامبورج الكبرى وفرنسا. وكان عدد أهلها قبل حربها مع النمسا سنة ١٨٦٦ تسعة عشر مليوناً ولكن بعد أن انضمت إليها مملكة هانوفر وأراضي شليسويك هولشتاين ولانوبيرج وهس كاسيل وهس هامبورج وأمريه ناسو ومدينة فرانكفورت وبعض أقسام بافاريا وغير ذلك من الولايات والأقاليم انضمت أملاكها وزاد عدد سكانها فصارت تحسب نحو ٢٥ مليوناً. أما أنهارها وجبالها فتوسطه وهولها بارد رطب ولكنه في النواحي الجنوبية معتدل وتربتها بالأجمال قليلة الخصب وإنما ما يخرج من زرعها يكفي لوازم أهلها ولبرد أقلها نقل بها زراعة العنب. ولكن الأقاليم التي على شاطئ نهر الرين تكثر فيها الكروم ويخرج منها العنب المجيد. ومن محصولاتها البطاطا واللفت والدخان وقصب السكر والعسل والقمح والزعفران وفيها أيضاً الخيل والحديد والكهرباء. ومن معادنها الفحم والرصاص والشب وملح البارود والزاج والحديد والملح. والصناعات في بلاد بروسيا عظيمة متقدمة حتى أنها تضاهي تقريباً صناعات فرنسا وإنجلترا خصوصاً

قماش الكتان والصوف والحبر والقطن واصطناع الاسلحة المتنوعة والقرطاس والساعات والبلور والخزف . والمطابع فيها عديدة والعلوم ناجحة والمدارس كثيرة بحيث قوانين البلاد تلزم الاهالي ان يرسلوا اولادهم للمدارس عقب بلوغهم سن الست سنين وقد بلغ عدد التلامذة سنة ١٨٦١ ثلاثة ملايين والديانة العامة هي البروتستانتية

ومن امهات مدن بروسيا مدينة برلين عاصمة المملكة وهي من المدن الظرفية ذات ابنية وقصور جميلة واسواق واسعة يحيطها سور له ستة عشر باباً واهلها يبلغون ٥٠٠ ألفاً . ثم مدينة برسلو وهي ثانية برلين في الاتساع وكثرة الاهالي وبها معامل وصنائع عديدة ونجارها كثيرة . ومدينة كونيبرج وهي مدينة ظرفية وعدد اهلها نحو ٨٠ ألف نفس وبها قصر جميل للملك وكنيسة عظيمة جيدة البناء

اما الحكم فمن نوع المكي المقيد . وعساكرها كثيرة العدد نظراً لقوانينها وشرائعها لان كل رجل من الاهالي عند بلوغه السبع عشرة سنة يجب ان يدخل في العسكرية ثلاث سنوات وبعد ذلك يبقى رديفاً الى سن الثلاثين سنة وفي اثناء هذه المدة يلتزم ان يتعلم مرة واحدة في كل اسبوع وبهذه الوسطة ترى اكثر رجالها عسكرياً عند اللزوم والاحتياج وبالمجمل ان عساكر هذه البلاد وشهرة قوادها وخبرتهم في امور الحرب تفوق باقي جنود اوروبا كما اتضح من حروبها الاخيرة مع النمسا وفرنسا . ولكن بمقدار ما قوتها البرية عظيمة ومتظمة بعكس ذلك عمارتها البحرية . اما الآن فهي مجتهدة في تكثير مراكبها الحربية وقد خصصت مبلغاً جسيماً لبناء سفن جديدة مدرعة اقتناء بياقي الدول

وتنقسم هذه المملكة الآن الى تسع ايلات وهي بروسيا وبوزن وبرندابورج وهوميرانيا وسيليزيا وساكسونيا وستفاليا والريف وهوهرتولرن . ولغة هذه المملكة هي اللغة الجرمانية ولكنه يوجد في اطرافها اقوام من الصقالبة الذين لم يزالوا يتكلمون بلغتهم الاصلية

الباب الثاني

في تاريخ مملكة بروسيا

انه في القرن الاول من الميلاد جاء قوم من الوميلديين وجماعة من قبائل الصواب والاندال واستوطنوا اباله براندبورج التي هي من جملة ابالات بروسيا المار ذكرها. ومكثوا سوية الى القرن الخامس حينما نهض الكنداليون وطردوا تلك الشعوب من بينهم واستفروا في تلك الاباله واخذوها لانفسهم الا انهم لم يمشكوا بها زماناً طويلاً حتى دهمهم الرومانيون فاخضعوهم واستولوا عليهم. ثم جاء بعد ذلك شارلمان ملك فرانساً وضم تلك البلاد الى سلطنته ومن بعده اخذت تناولها بعض امراء المقاطعات الجرمانية الى ان دخلت في ايدي البرت الملقب بالذئب ففي ايامه تهذبت اخلاق اهلها واعترفوا الديانة النصرانية بعد ان كانوا وثنيين ثم في الجيل الخامس عشر لما كان سيجرmond امبراطوراً على المانيا اقام فريديريك السادس من عائلة هوهنولرن حاكماً على اباله براندبورج فاشتراها منه بمبلغ ٢٠٠ الف فيوريني واخذ لقب اليكتور حسب العادة الجارية في تلك الايام ونسب فريديريك الاول من براندبورج وجميع حكام بروسيا وملوكها من ذلك الوقت الى الآن هم من ذرية هذا الامير وكانت يومئذ اباله براندبورج منقسمة الى ثلاثة اقسام وهي المارش القديمة الكائنة غربي وادي الالب والمارش المتوسطة بين وادي الالب ونهر الاودر. واما المارش الجديدة فلم تنضم اليها الا سنة ١٤٤٥ في ايام فريديريك الثاني الملقب بمن الحديد عندما استخلصها من الكفلالرية الوطنيين الذين كانوا مسئولين على اباله بروسيا المنفصلة عن باقي الابالات الجرمانية واما السبب في تنمية هذه الاباله ببوسيا فهو انه بعد خروج الامم الغوثية

بمنها لغار عليها جماعة من السلاف الذين كانوا يسكنون وادي الثيستول وكان يقال لم برومي فامتلكوها ونسبت باسمهم وكانوا من البرابرة عابدي الاوثان . وفي اواخر الجبل الثالث عشر اخضع هؤلاء القوم قبيلة التوبلونيين التي كانت في محاربة المسلمين في فلسطين واستولوا على بلادهم وحكموها . وكان قائدهم يسمى هرن سالزا فجعل دار اقامته في مرينبورج سنة ١٣٠٩ . ثم تواردت عليهم طوائف الالمان التي في جوارهم فسكنت بينهم وفي مدة قصيرة تحسنت احوالهم وكثر عددهم ونما قوة وغنى وايتنوا لم مدناً وقرى . ولكن اذ كانوا لا يحسنون التصرف مع الرعايا ويكثرون في ظلمهم نهض الالهالي للتخلص منهم واستعانوا باهل بولونيا عليهم فساعدوهم على قتالهم حتى ظفروا بهم وتخلصوا من حكمهم سنة ١٤١٠ . وبعد محاربات اخرى بينهم وبين باقي طوائف البلاد المختلفة انقسمت بروسيا الى قسمين غربي وشرقي فالاول تبع مملكة بولونيا والثاني بقي يد ولائو باسم بروس التوطوني تحت حماية بولونيا

سنة ١٠٢٥ استولى زمام القسم الشرقي الامير البرت من عائلة براندبورج السلاف ذكرها فاستقل به واورثه لذريته ومن ذلك الوقت صارت تلك الايالة معروفة بدوكانو بروس . يتناولها حكام ايالة براندبورج الذين اقتنوا ادارتها وسعوا في تقويتها حتى صارت من الامريات المتسعة ذات سطوة وشوكة يتبعها جملة بلخفات . ففي سنة ١٦٨٣ لما كان فريدريك الثالث اميراً على امرية بروسيا وليوبولد امبراطوراً على السلطنة الجرمانية اعان فريدريك لهوبولد على محاربة الاتراك وتحالف معه سنة ١٧٠٠ ضد لويس الرابع عشر ملك فرنسا في حروب وراثة اسبانيا فمقابلته لتلك الخدمة طلب من الامبراطور ان يلقبه ملكاً فاجاب طلبه سنة ١٧٠١ لقبه ملكاً تحت اسم فريدريك الاول فصارت بلاده مملكة مستقلة من ذلك اليوم واعترف بتبويجه جميع دول اوروباء بحكم وعدل وايقن احوال المملكة وسعى في تزقية اسباب تقدمها ثم توفي سنة ١٧١٢

وجلس بعده على كرسي الملكة ابنة فريدريك غليوم الاول ولم يكن ميلاً
كايه الى امتداد المدن والمعرفة بل انجذبت امياله الى الامور الحربية والترتيب
العسكرية والاعمال الجسدية . وكان دابة التفتيش على من كانت ابدانهم
واجسادهم قوية وقاماتهم طويلة فيأتي بهم ويدخلهم في سلك عسكره . وكان
لهذا الملك الاني مخصوص لخدمته من نخب الرجال واطولهم قامه يبلغ طول
الرجل ثلاثة اذرع ونصفاً . ومن جملة مزاياه انه كان محباً للمال لا يطيق ان
يرى انساناً كسلاناً بدون شغل وكثيراً ما كان يحمل عصاه ويدور في اسواق
برلين وحيثما وجد شخصاً بلا شغل ضربه ضرباً مؤلماً

وبعد موت فريدريك غليوم الاول خلفه ابنة فريدريك الثاني الملقب
بالكبير سنة ١٧٤٠ وكان شديد البأس عالي الهبة وفي السنة الاولى من حكمه
توفي الامبراطور كارلوس السادس من عائلة اوستريا تاركاً السلطنة لابنته ماريا
تريزا واذا كانت المذكورة في ارتباك عظيم من جهة احوال الملكة وسياساتها
انتهز الملك فريدريك تلك الفرصة وادعى بحقوقه في اباله سيليزيا فزحف اليها
بالعساكر وامتلكها وضماها الى مملكته . واذا نهضت الملكة المذكورة لقتاله واسترجاع
تلك الابال حاربها وانتصر على جيوشها في فريدبرج سنة ١٧٤٥ ثم عقد معها
شروطاً في مدينة دريسدن تضمن تنازله عن الابال المذكورة . وكانت همه
فريدريك لا تفتر عن اصلاح حال الملكة طرفه عين فبذل غاية جهده في
ترقية التجارة والصنائع المختلفة والفنون والعلوم خصوصاً في التنظيمات والترتيبات
العسكرية . فاصبحت البلاد في ايامه في اعلى درجة من الجهد والعز والشوكة
والغنى فاحدقت بها اعين الجميع وحسدها المحاسدون وخافها اكثر الملوك
وتظاهروا ضدها ولاجل تنكيس سطوتها اتحد على حربها ومقاومتها فرانساً
والنمسا وروسيا ثم ساكسونيا واسوج فانضمت جيوشهم بعضها مع بعض واشهروا
على فريدريك الحرب وهي المعروفة بحرب السبع سنين وقاتلوه فانتصر عليهم
في بعض الوقائع ولكنهم اخيراً استظفروا عليه واستخلصوا منه عدة اماكن ومدائن

حتى اوشكت ملكة نفع فريسة في ايدي المتحمدين ولكنه شمر اخيراً عن ساعد العزم والثبات واقنع صفوف النمساويين والفرنساويين سنة ١٧٥٧ في روسباخ ففتك بهم فتكاً عظيماً واخذ في استرجاع املكه شيئاً فشيئاً وسنة ١٧٦٣ عند صلح مع الدول المذكورة واقروا له بايالة سيليزيا التي كانت في اول الامر سبباً لهذه المنازعة . وبعد خروج فريديريك من هذه الحرب المستطيلة حول التفاته الى داخلية بلاده ورجع الى ما كان عليه من الاصلاح والتعسين فاجدد فيها السعة والنجاح وضم اليها سنة ١٧٣٢ القسم الغربي من بروسيا وبعض الاقاليم والمخفات وذلك عند انتمام اراضي بولونيا . وما يستحق الذكر انه كان قد شرع يوماً في بناء قصر عظيم للترفيه في بستان كبير الاشجار والزهور وكان بجانب ذلك البستان طاحون تدور بالهواء لرجل من عامة الناس وكان يضرب نظارة القصر لقربها منه فارسل فريديريك بعض غلامه ليشتريها له من صاحبها بالثمن فاني ولم يقبل فضاغف له في ثمنها فامتنع ايضاً ولما بلغ فريديريك ذلك استعظم الامر واستدعى الرجل اليه وقال له ماذا يمنعك عن بيعها وقد ضاعفت لك في ثمنها فاجابه يا سيدي انها عزيزة عليّ وهي عندي بمثابة قصرك يونسد . فازداد الملك تعجباً من جسارته وقال له يا جاهل الانعم اني قادر على اخذها منك غصباً وقهراً . فاجابه الرجل نعم كان بمكنك ذلك لو لم يكن عندنا قضاة في برلين . فنبس الملك والتفت الى من حوله من الوزراء والاعيان قائلاً لقد صدق الرجل في كل كلامه ثم اطلقه وبقيت الطاحون كما كانت الى هذا العصر شاهدة على حلم هذا الملك وعدله واستمر فريديريك المذكور بالملك الى ان مات سنة ١٧٨٦ في عزٍ واقبال

ثم خلفه ابن اخيه فريديريك غليوم الثاني وكان منعكفاً على الملاهي واللذات غير ملتفت لصالح البلاد وراحة العباد وفي ايامه انقسمت بولونيا ثانية سنة ١٧٩٣ وحازت بروسيا على جميع اقاليم بولونيا الكبرى وغيرها من الاراضي . وكان هذا الملك قد عول على محاربة الجمهورية الفرنسية ولكنه عدل اخيراً عن

قصده ونوفي سنة ١٧٩٧ بعدما حكم ١١ سنة . وخلفه ابنه فريدريك غليوم الثالث الذي في ابامو وقعت حروب نابوليون الشهيرة وخسرت بروسيا خسائر جسيمة اذ قتل من جيشها في معركة يانه سنة ١٨٠٦ نحو عشرين ألف نسمة وكانت الاسرى اضعاف هذا العدد ودخل الفرنسيون برلين فاسعولوا عليها وعلى غيرها من المدن . وسنة ١٨٠٧ ففتحت بروسيا جميع املاكها في ابالي وشتغاليا و فرانكونيا ثم خسرت ايضا بولونيا الكبرى التي اعطتها نابوليون لملك ساكسونيا بعد ان جعلها امرية ولقبها بامرية قرسوقيا ولكنها التفتحت سنة ١٨١٥ واقتسمتها بروسيا وروسيا . وفي سنة ١٨١٢ وسنة ١٨١٤ وقع ايضا بين بروسيا وفرنسا حروب مهلكة خسرت فيها بروسيا خسائر ليست بقليلة فقل اعتبارها وسقط رونق مجدها غير انها في السنة التالية بعد انتصارها مع باقي الدول المتحدة على الفرنسيين في واقعة واترلا وسقوط نابوليون اخذت بثارها ودخلت عمارها مدينة باريس واستخرجت اراضيها واملاكها . وشرع ملكها فريدريك المذكور من ذلك اليوم باصلاح حال الملكة ويدل غاية الجهد في ارجاعها الى ما كانت عليه . وكان غيوراً ومحباً لرعاياه لا يفتد عن خيوم الروحي حتى انه كان يوزع عليهم الكتب المقدسة . ثم توفي سنة ١٨٥١ نازكاً الملك لابنوه فريدريك غليوم الرابع

فحكم هذا الملك الى سنة ١٨٥٨ . واضاف الى ملكته امار في هوهنولرن سنة ١٨٥٨ ثم اعترأه مرض في دماغه واشتد عليه حتى انه لم يعد يمكنه الاتباه الى هام الملكة فتولج اخوه مكانه نائباً وما زال الحال يشتد على الملك الى ان توفي في ٢ كانون الثاني سنة ١٨٦١ واستبد اخوه بالملك بعده تحت اسم غليوم الاول وهو الملك الحالي . وكان قبل جلوسه على سرير الملك ازوج ابنة البكر وريث عهده البرنس فريدريك غليوم بانه ملكة انكلترا في بداية سنة ١٨٥٨ فكان ذلك من جملة اسباب التحالف والتعاقد بين الدولتين وقد اشتهر هذا الملك بين الناس في حسن السيرة والسريفة ولاسبا في

انصبوا على ترقية اسباب تقدم شعبهم ونجاحهم. ولكن لما كانت البوابات غير رافقة بين دولتي النمسا وبروسيا بسبب خصوصيتها واختلافها على السيادة والرياسة في قيادة الممالك الجرمانية انفجرت بينها منازعات شديدة سنة ١٨٦٦ افضت بها الى اشهر السلاح ومحاربة بعضها بعضاً فكانت المنازعة في ذلك على النمسا في واقعة سادوا فازنح شان بروسيا في ذلك الاستظهار وازدادت الى املاكها حلة اراضي وامكن كما لحننا عن ذلك في جغرافية هذه المملكة وعقدت اتحاداً عاماً مع ممالك واسيرات ومدائن جرمانيا الشمالية واطلقت من ذلك الموقف اسم بروسيا واطلقت على ذاتها اسم اتحاد شمالي المانيا.

فلما حصل البروسيون على هذه الشهرة والنوذة والقوة فحرك فيهم روح اخذ الخارج من اعنائهم الفرنسيين الذين ظلموا اضروا بهم في ايام نابوليون الاول. فكان هذا الروح عاماً في بروسيا وباقي البلاد الجرمانية. وكان الجميع ساعين ومتظرين الفرصة المناسبة ليس لفتح الحرب ولكن لمقاومة فرنسا التي كانت ترشهم بنظر عكر غير سارة في نجاحهم وتقدمهم. فاستمرت هذه الاحساسات مكونة في صدور الامتين الى ان نبغت قضية انتخاب البرنس ليوبولد هوتهولرن الجرمني لتت مملكة اسبانيا. فهضت فرنسا لمقاومة هذا المشروع الذي من شأنه ان يزيد جرمانيا سطوة ونفوذاً ويعرض فرنسا الى عواقب ردية اذ يجعلها بين امتين قويتين مخمدين في سياسة واحدة فوقع حينئذ التراع بين فرنسا وبروسيا واعلنت هذه الاخيرة عدم مداخلتها في ذلك الامر واخيراً اذ رأى البرنس ليوبولد ما وقع من الخصومة بين الدولتين بسبب رفض انتخاب الاسبانيولين له وحرر لم بعدم قبوله وكان يُظن ان المشكل قد انقضى. ولكن لم تكف فرنسا بهذا التنازل وكانت تريد ان بروسيا تعهد لها بمنع امراء الجرمانيين ان يقبلوا تاج اسبانيا في المستقبل فلم تقبل بروسيا ان تعطي تعهداً عليها في ذلك واذا تشبعت فرنسا بطلب التعهد المذكور بواسطة سفيرها في برلين موسيو بنيدفي الح المذكور على الملك غليوم الاول الحاصلاً بنوق حدود

الباقية فزجره الملك رافضاً ذلك الطلب . حيثئذ نادى فرنسا بالحرب ونهض القومان للقتال واصطلت بينهم نيرانه سنة ١٨٧٠ فاستظهر البروسيون في اغلب وقائعهم وكانوا يتقدمون على الاراضي الفرنسية ويستولون على قلاعهم وحصونهم الى ان استولوا في ٢ ايلول على امبراطورهم نابليون الثالث في واقعة سيدان المهلكة مع عدد عظيم من الاسرى . ثم تقدموا بمجموعهم الى باريس وبعد حصار ١٢١ يوماً افتتحوها في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٨٧١ . حيثئذ عقد صلح بين الدولتين تحت شروط معلومة اخضاها ان فرنسا تسلم بروسيا ولايتي الألزاس وخمس اللورين وتدفع لها فوق ذلك مبلغاً مقداره خمسة الاف مليون من الفرنكات في مقابلة مصاريفها . ومن يجب ذكرهم من مشاهير رجال بروسيا في الجيل التاسع عشر الجنرال مولتك قائد الجيوش والبرنس يزمارك قائد السياسة الفريد



الفصل السادس عشر

في تاريخ روسيا

الباب الاول

في جغرافية هذه المملكة

انه لا يمكن تعيين حدود لهذه المملكة في الازمنة القديمة اذ لم يكن لها حدود طبيعية كما في الازمنة المتأخرة نظراً لما كانت عليه من الانقسامات والتقدم

والتأخر. أما حدودها الآن فمن الشمال البحر المتجمد الشمالي ومن الجنوب البحر الاسود ولوستريا وسلطنة آل عثمان ومن الشرق بحر قزوين او الخزر وجبال اورال الفاصلة بينها وبين املاكها في اسيا ونهر دون ومن الغرب بحر بلتيك واسوج وبروسيا ولوستريا وبعض البلاد العثمانية وفي اوسع ممالك الارض لامتدادها في اوروبا واسيا ويحدها في اسيا بعض المملكة العثمانية والفرس وتركستان والصين وعدد شعوب هذه السلطنة بحسب تعداد سنة ١٨٦٧ بلغ نحو ٨٢ مليوناً وهذا يائة

الف	مليون	
٢٧٠	٦٩	في روسيا في اوروبا بما في بولونيا
٨٣٥	!	امرية فينلاند
٦٦٢	٤	حكمدارية القوقاس
٢٢٠	٢	سبيريا
٧٤٠	٢	اواسط اسيا
٩٢٧	٨١	

واكثر اهالي هذه البلاد من طائفة الروم وفيها ايضاً من جميع طوائف العالم . والحكم فيها من نوع الملكي المطلق وكانت اكثر الرعية بمنزلة العبيد للاشراف واعيان البلاد الذين كانوا يجورون عليهم ويستعبدونهم ولا يرغبون في تهذيبهم ونجاحهم اما الامبراطور الحالي فقد اعتنهم من نير هذه العبودية العنيفة بالامر الذي اصدره في التاسع عشر من شهر شباط سنة ١٨٦١ ومن جرى هذا العمل المحسن المهم الذي اجراه الامبراطور اسكندر الثاني امسى في خطر من مطامع الاشراف الذين لم يرضوا بهذا الاصلاح لانهم لم يكونوا يهتمون سوى في صوامعهم الخصوصية فاطعين النظر عن صوامع البلاد وتقدم الرعايا وكثيراً ما تهددوا امبراطورهم وصموا على قتله من هذا القبيل فنجأ مراراً من اشراك المنية التي نصبوها له

ثم ان اهالي روسيا منقسمون الى خمس طبقات وفي الاشراف وخدمة الدين والبورجوا اي اهل الحضرة واهل البادية والقرى وهم قسمان احرار ومستعبدون واما الآن فجميعهم احرار كما تقدم آنفاً . والامبراطور عندهم هو رئيس الكنيسة من عهد بطرس الاكبر ويعينه في ادارة مهامها المينيدوس اي المجلس الديني ويختلف المدن في هذه المملكة باختلاف البلدان ومواقعها وعادتها اما العلوم والادب والآداب وسائر الحرف والصناعات فليست بنامية الا في مدن مخصوصة

اما اراضي هذه البلاد فواسعة جداً وذات سهول عظيمة جداً تصلح للزراعة وكثير منها مكنسية بالعشب ترعاه المواشي ومنها مقفلة لانبثاق فيه وغير صالح للزراعة وفي اراضيها كثير من انواع المعادن والحيوانات المختلفة وحواسلها كثيرة جيدة على ان كثرة الظلم هناك اخرت الناس عن التقدم والانسان في الغنى . وانهر هذه البلاد كثيرة وعظيمة وجبالها ايضاً لكنها قليلة بالنسبة الى اتساع البلاد . اما هوائها فيختلف بحسب مواقع اجزائها فهو بارد جداً في الشمال ويعتدل في الجنوب ويشد البرد في ثلاثة ارباع السلطنة في الاقل مدة تسعة شهور من السنة ويعقبها صيف في غاية الحر والنصر . وفيها الان عدة مدارس كلية وجزئية ولم يزل امبراطورها مجتهداً في تحرير ادارة لائقة في ما يخص تعليم العامة اما الصنائع فيها فلم تزل متنازلة عن باقي الممالك الاوروبية بمراحل وفي هذه المملكة عدة مدن معتبرة قاعدتها مدينة بطرسبرج وكانت عاصمتها اولاً مدينة موسكو القائمة في وسط سهل واسع جداً في قلب المملكة . ولم يزل الجانب الاعظم من الروسيين الى يومنا في حالة الخشونة ما عدا سكان بعض المدن المعتبرة

الباب الثاني

في اصل الروسيين وبتدأة مملكتهم وديانتهم وعوائدهم من قبل
الميلاد الى سنة ١٤٦٢ للميلاد

ان هذه المملكة الواسعة العظيمة كانت في العصور القديمة متراً لجملة قبائل
رُحْل مختلفة الاجناس والمذاهب والعوائد وافوا من اماكن مختلفة بعد تفرق
بني نوح وقيل ان بعضهم متسلسلون من جومر بن يافث بن نوح الذي سكن
نسلة عند شطوط بحر بلتيك واقدم تلك القبائل قبيلة السلاف ولم يُعرف قديماً
من اهل هذه المملكة الا سكان الاقاليم الجنوبية وكان القدماء يسمون هذه الجهة
باسي سكيثيا وسرمانيا من دون تحديد معلوم والقبائل المستوطنة بها كثيرة منها
الروكسلان والسرما والكيبريس والهازيج والاغاتريس وغير ذلك ومن ثم
واقام لنيف من طوائف مختلفة كالفينية والثر والقلون والمغول والأتراك
وغيرهم ولنا قبل هذه البلاد روسيا اي القبائل المشتقة . وكانوا قديماً على
مذاهب مختلفة فمنهم من عبد الاصنام ومنهم من عبد النار وغير ذلك من
العبادات الخشنة واما عوائدهم فكانت من هذا القبيل ايضاً فكان الوالدون
يقتلون بناتهم خوف الفضيحة والعار والاولاد يقتلون والديهم متى شاخوا وعجزوا
لكي يتخلصوا من الاهتمام بالقيام في امر معيشتهم . وكانوا يحرقون جثث موتاهم الى
غير ذلك من الامور المنكرة وكان الروسيون القدماء على جانب عظيم من البسالة
والشجاعة ودايم الصيد والغزو وشن الغارة على ما جاورهم من الامم والقبائل
ثم انه في القرون الاول من السلطنة الرومانية اغارت قبيلة السرمات
(وهم فرع من السلاف سكان شمال روسيا الاصليين) على الجهات الجنوبية
المتقدم ذكرها واستولوا عليها واستمرت خاضعة لم الى القرن الثالث للميلاد

حين هجمت عليهم ام الغوثيين وتغلبت على اكثر القبائل النازلة بين بحر بلتيك والبحر الاسود وتكون من ذلك بين انهار القولكا والدينير والنيمن والدون ملكة عظيمة شملت جميع ما يعرف اليوم ببروسيا في اوروبا واستمرت الى سنة ٢٧٦ للميلاد الى ان خرجت عليها امة الهونيين واسقطوها فاستمرت بعد ذلك مدة اربعة اجيال مرّاً للام الواردة من الشرق الى اوروبا ومرحاً للقلقل والاضطرابات الدائمة بين الامم المتنازعة فيها . ومع تلك القلقل والاضطرابات المتعاقبة قد تأسست فيها في القرن السادس مدن معتبرة واشهرها نوفوغرود الكبرى وكيف وكانت الاولى اشهر من الثانية حتى كان يقال من ذا الذي يتجاسر على الله ونوفوغرود الكبرى . ولما آل امر الروسيين الى تلك الحالة من تمزيق سلطنتهم وتنازع الامم الاجنبية فيها فلكي يخلصوا من تلك المشاق والمضار اجعلوا على ان يقيموا لهم ملكاً ليسوس احوالهم ويدبر امورهم فارسلوا وفدًا الى امة القاراك وهي من القبائل الجرمانية الساكنين عند شواطئ بحر بلتيك وطلبوا اليها ان تعطيهم ملكاً ليملك عليهم . فاتاهم ثلاثة اخوة اسم احدهم روريك والثاني سيناس والثالث تروفور وذلك سنة ٨٦٢ للميلاد ومن هذا الوقت يتندي لروسيا تاريخ حقيقي متتابع اما المؤرخون فلا يحسبون بداية التاريخ الروسي الا من اواخر القرن العاشر للميلاد حين تنصر ملكها فلاديمير الاول

فاقام الاخوة الثلاثة المذكورون كل منهم على منطقة وكان روريك احذقهم واعظمهم سطوة فاستولى على نوفوغرود بلقب الدوك الاكبر وسنة ٨٦٤ توفي اخوه المتقدم ذكرها واستبد بالحكم وحده واتحدت جميع القبائل الشمالية تحت سلطته واستولى على مدينة كيف ومن ثم اهتم في اصلاح حال بلاده وتحسينها وقاية من هجمات الامم المتبررة وغاراتهم الى ان مات سنة ٨٧٩ وهو بعد اول مؤسس لدولة روسيا وبقي الملك بيد ذريته من بعده زماناً طويلاً وامتدت سلطنتهم في وقت قريب حتى استولوا على القسم الجنوبي من روسيا واستمرت حكومتهم في كيف ولم يزلوا على العبادة الوثنية الى ايام

فلاديمير الاول الملقب بالكبير الذي استولى عليهم سنة ٩٨٠ فازدادت شوكتهم وعظمت سطونهم وقد غزا فلاديمير المذكور بعض املاك السلطنة الرومانية الشرقية وضابق على مدينة القسطنطينية فخاف اهلها وساعدته التفادير ففتح بعض املاكها وعند الصلح مع الامبراطورين باسيليوس وقسطنطين بشرط ان يتزوج بشقيقته الاميرة حنة فتم ذلك ورد الى اخويها ما كان قد استولى عليه من اراضيها ولما عاد الى مدينة كيف تنصر في محفل حافل واقندى به الجاسب الاعظم من رعاياه ومن ثم شرع في محن وملاشاة الاصنام التي كان يعبدها سابقاً

وكان يومئذ على القسطنطينية بطريرك يدعى فوتيوس فطلب اليه فلاديمير ان يرسل الى بلاده كهنة من لدنه لتبصر الاهالي وتعليم فبعث البطريرك المثار اليه اسقفا يدعى ميخائيل سيرا واردفه ببعض الكهنة لينذروا الروسين ويلفوا التعاليم الارثوذكسية في كنائسهم ويضموها الى بطريركية القسطنطينية فكان كذلك وخضعت كنائس روسيا الى بطاركة القسطنطينية الى سنة ١٥٨٨ ولذا استعمل الروسيون في لغتهم حروفاً هجائية من اللغة اليونانية الا ان اساس لغتهم السلافية بقي على ما كان عليه ما عدا بعض كلمات تتعلق بامورهم الدينية الكهنوتية ومن التاريخ السالف ذكره اي من سنة ١٥٨٨ انفصلت كنائس روسيا عن الخضوع لبطاركة القسطنطينية واستقلت بنفسها وأقيم عليها بطريرك خصوصي من نفس البلاد فمن ذلك الوقت اخذ بطاركتها السيادة على باقي البطاركة

وبعد ان استقلت بطاركة هذه الدولة واغتنوا خامرهم طلب المجد والسطوة ورفعة الشأن فصاروا يتدخلون في الامور السياسية التي ليست من تعلقاتهم ويشاركون ملوكهم في احكامهم لا بل تطلبوا السيادة عليهم تحت برقع الديانة حتى كان الملك يمشي يوماً في السنة بين يدي البطريرك مترجلاً مكشوف الرأس قائداً فرسه الى الكنيسة. واتصل بهم الحال الى ان ادعى احد هولاء

البطاركة المدعو نيفون بان تخت البطريركية هو اعلى مقاماً من تخت الملك وزعم انه لا يجوز فتح حرب او عقد صلح الا برايه فتبع عن ذلك فتن وتكميرات كثيرة كما حصل في مالک اخرى من جرى مطامع خدمة الدين . ودام حال هولاء البطاركة على هذا المنوال الى عهد بطرس الاكبر حين ابطال وظيفة البطريركية وايدلها بالاسقفية وجعلها خاضعة للحكم المدني كسائر الرعية الامر الجاري الى هذا اليوم

ولم تزل شوكة الروسيين تزداد في مدة فلاديمير الكبير الى ان توفي سنة ١٠١٥ وهو ذاهب لاختضاع احد بنيه الذي كان قد عصى عليه . وكان فلاديمير اثنا عشر ولداً فوقع بينهم الشقاق بعد موت ابيهم وبعدما كانت البلاد قد اخذت في الاتحاد والتقدم في عهد ابيهم امست بعد موته في حالة الارتباك ومع ذلك ارتفع شان روسيا وازدادت شوكتها زماناً قليلاً في مدة الامير الاكبر ياروزلاف الاول صاحب شرائعهم واحكامهم وذلك من سنة ١٠١٩ الى سنة ١٠٥٤ ب م ثم بعد ذلك بانث في اسوا حال فاقدة ما كانت قد حصلت من السطوة ورفعة الشان وثبت فيها نيران الحروب الاهلية التي اُهرق فيها انهر من الدماء وذلك بسبب عاداتهم السيئة من تقسيم المملكة بين امراء العائلة الملكية . فان كل امير منهم كان يستولي على اقليم بما فيه ويستبد فيه على نوع ما وهكذا كان يعطى ايضاً للاناث عند زواجهن فكان ذلك داعياً لشبوب نيران الحروب الاهلية التي انقسمت بها المملكة الى اقسام عديدة يتعذر بسببها اتحاد السلطنة فبقيت مدينة كيف مقرّاً للدوك الاكبر وبقيت الاقسام تحت سلطة امراء من تلك العائلة ومع هذا الاضطراب الذي كان داخل المملكة كانت الغارات المشرقية تزداد عليها . ولكن بينما كانت اخذة ثانية في الاتحاد والتمو وسائرة في طريق النجاح دهما من سنة ١٢٢٤ وصاعداً ما لم تكن تترصد من البلايا والمصائب العظيمة التي انت البلاد بالويل والهوان وذلك انه كان في تلك الاثناء قد ظهر في العالم الشرقي جبار عظيم يقال

له نيمونشين الذي تلقب فيما بعد باسم جنكيزخان اي الامير العظيم فهذا الجبار المغولي الذي كان قد نشأ من حالة بسطة بعد ان تغلب على الجانب الاعظم من العالم الشرقي حوّل افكاره ونظره ووجه سهامه نحو الامصار المغربية وارسل جيشاً سنة ١٢٢٢ للميلاد تحت امره اثنين من عظماء رجاله لغزو بعض الاقاليم الروسية الشرقية . فتقدم القائدان المذكوران بمجيوشهما ولما صارا على الحدود ارسلوا وفداً الى بعض القبائل الروسية يطلبان منهم الخضوع والامتثال الى بعض الشروط ففضب الروسيون من وقاحة التمر وتبعوا من قبول مطالبهم وقتلوا الرسل . فلما بلغ ذلك القائدين المتقدم ذكرهما غضباً غصباً لا مزيد عليه ونهضا من ساعتها وزحفا بمجيوشها الجبارة فاتشروا كالجراد في تلك البلاد واخذوا في تدمير الاماكن التي بطاؤونها خاربين وناهبين وقائدين ما وجدته ايديهم غير محترمين لا شيئاً عاجزاً ولا طفلاً قاصراً ولا صبياً ولا امرأة وافسدوا مدناً كثيرة واضرموا فيها النيران وبعد ان غنموا غنائم جسيمة قتلوا راجعين الى سيدهم جنكيزخان فالتفاهم احسن ملتقى وانعم على القائدين ووهبها هبات كثيرة ووهب العساكر الجانب الاعظم من السلب

اما الروسيون فظنوا ان ما جرى كان نهاية البلايا التي حانت بهم وان التمر لا يعودون الى عمل ما قد علموه فلم ياخذوا الاحتياطات اللازمة من هذا القبيل لاسيما في الاماكن التي لم تطأها ارجل التمر وحسبوا ان ذلك امر لا يمتدّ به . ولكن جاء الامر بخلاف ما نوهوا اذ لم تطل مدة غياب اولئك القوم الفاتكين حتى وافهم ثانياً وعلموا من الفطائع والخراب والتدمير وانزلوا بالروسيين من البلايا ما يعجز القلم عن حق وصفه واسس باتوخان بن جنكيزخان في القسم الجنوبي من روسيا السلطنة العظيمة المعروفة بسلطنة كيوچاك وصار الروسيون يحملون الخراج الى التمر . ثم في سنة ١٢٤٠ استولى باتو بن توشي احد امراء المغول على امربة كييف فامست روسيا على نوعٍ ما مملكة تربية ولم يبقَ منها مستقل بامر الا موسكو التي تأسست سنة ١١٤٧ والتي تلقب صاحبها سنة

١٢٢٨ باسم الدوك الكبير هذا ودامت حال روسيا على هذا المتوال يؤدي
امراؤها الطاعة والمخراج الى خانات التتر مدة أكثر من قرنين وذلك من
سنة ١٢٤٠ الى سنة ١٤٨١ بعد ان قام فيها ايثان الثالث فحررها من ثقل تلك
العبودية الجائرة

الباب الثالث

في ما جرى منذ تولي ايثان الثالث من سنة ١٤٦٢
الى سنة ١٥٨٤

قد ذكرنا في ما تقدم ان مملكة روسيا انقادت للتتر واستعبدت لم زمناً
طويلاً ثم تغير حالها بالكليّة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر باستيلائها
على عدة امريات وجمهوريات وذلك ان خاتة هوردة الكبرى الم بها الضعف
لما وقع فيها من الشقاق والحروب الداخلية ثم بوقوع حروب اهلية في المغول
والتتر واستيلاء نيمورلنك على بلادهم ارتفعت عن روسيا ربة العبودية وعظم
شان دوكاتها الذين كانوا يحملون المخرج لتلك الحكومة وقويت شوكتهم حيث
انضم اليهم عدة امريات خصوصية كانت منجدة تحت حكومة روسيا الشمالية منذ
مدة مستطيلة . ثم ان ايثان الثالث ابن باسيلوس الثالث وولي عهده الذي
كان من اشهر امراء دولة روريك اخذ بزمام دوكية موسكو الكبرى سنة ١٤٦٢
للمسيح وله من العمر ٢٢ سنة فاقبل عليه الدهر وسالته الايام فانتهاز الفرصة من
ذاك الوقت وسعى في تمكين حكومته وتوطيدها في داخل المملكة واخذ في
توسيع دائرتها بالحروب والغارات وبعد عدة غزوات تغلب على نوفوغرود
التي كانت يومئذ جمهورية قوية الشوكة نظهار بالاستقلال تظاهراً كلياً
فادخلها ايثان المذكور تحت الطاعة سنة ١٤٧١ ثم خرجت عن طاعته سنة
١٤٧٨ فلحق حكومتها من الظلم والعسف ما لا مزيد عليه وفقدت مجدها

ومزايها واملاكها وسقط رونق فخارها واخذت في الانحطاط والخبول يوماً بعد يوم حتى انه في اقل من مئة سنة اضمحلت بالكلية وصارت لأتعد من المداين العظيمة

وكان ايثان الثالث اول من ابطال من حكام روسيا ما كان جارياً عندهم من العادة الموجبة للمذلة اذ كان يجب على الدوكات الكبار ان يخرجوا الى مقابلة سفراء خانات هوردة التي لقيت هوردة الذهب مشاة على اقدامهم بل رفض حكومتهم بالكلية وامتنع عن دفع الجزية التي كان يدفعها سلفاؤه الى حكومة كيوچاك منذ بضعة قرون . ففي سنة ١٤٨٠ بعث اليو احمد خان سفراء من لدنه ومعهم رسالة مخنومة بالختم الملكي يطلب بها منه الجزية فرمى ايثان بالرسالة الى الارض ووطئها بقدميه وقتل الرسل جميعهم الا واحداً رده الى مولاه ففكر ذلك على الخان المار ذكره وعزم على الانتقام من ايثان في نظير هذه الاساءة فشن الغارة على روسيا وما زال يتقدم فيها حتى الى شواطئ نهر اوغرا فوقع هناك في ايدي الروسيين وقتلوه بعد ان كان هرب من ايديهم وامسكوه ثانياً وبموتهم طفتت بهجة هوردة وفخارها ولم تبق من سلطنة كيوچاك ذات الشوكة والسطوة الا بعض القبائل وهي فازان وازدراهان والقرم . وصار لايثان الثالث مهابة وحرمة عظيمة عند هؤلاء النر لاسبانتر فازان الذين اخضعهم بعد مفا نلات كثيرة وضرب عليهم المال واستولى اخيراً على بلادهم ومن ذلك الوقت صارت فازان تابعة لروسيا وصار الدوك الكبير يولي عليها حكماً من طرفه وكان ذلك سنة ١٤٨٦ . ثم ان ايثان فتح ايضاً جملة امريات وضماها الى مملكته ولم تات سنة ١٤٩٩ حتى تمت وحدة الحكومة الروسية في عهد ايثان الثالث فصار يحكمها امير واحد واكتسب ايثان شهرة عظيمة بما بذله من الجهد في جلب الهدن الى بلاده وبما صدر عنه من الفتوحات وبما انشأه من التنظيمات والابنية الفاخرة منها صرح كرميلين وهو قصر عظيم في مدينة موسكو سكنه القباصرة الروسيون الى عهد بطرس الكبير واحدث في سائر مواضع ادارته

نظاماً جديداً وترتيباً عسكرياً وبالمجلة هو اول من اسس لمملكة روسيا اركان
عظما وفخارها ثم ادركته الوفاة سنة ١٥٠٥

ولا يخفى ان ملوك روسيا يسمون كزار او تزار ولعل ذلك مأخوذ من
لفظة جار التي هي لقب لكل من غلب على مقاطعة قازان واول من تلقب بهذا
اللقب ايثن الثالث بعد ان تغلب على قازان في القرن السادس عشر ثم صار
يلقب به من خلفه في الحكم وربما ان كلمة تزار مأخوذة عن لفظة تراس التي
يلقب بها ملوك الفرس او عن لفظة قيصر التي يلقب بها ملوك الرومان والروم .
ولم يكن ابراد دولة روسيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر للبلاد الا
٢٥ مليوناً من الفرنكات فثمان بين الحالة التي كانت عليها حينئذ وبين حالتها
الآن من الثروة والشوكة

وقد خلف ايثن الثالث ابنه باسيلوس او باسيل الرابع وفي السنة الثالثة
من ملكه التفت اليه امير بلاد بولونيا الذي اراد الاستقلال بالحكومة واستغاث
به فانتصر له باسيل وشبت نيران الحرب ودامت مدة طويلة وانتهت سنة
١٥٢٢ بانتصار الروسيين في اكثر المواقف وعما قليل ادخل باسيل تحت
طاعته ندر قازان الذين كانوا قد نظاهروا بالعصيان ثم ادركته الوفاة سنة
١٥٣٤ وفي ايام اوزدادت مملكة روسيا انساءً حيث انضمت اليها اميرة ريزان .
وبعد موت باسيل الرابع خلفه ابنه ايثن الرابع الملقب بالهائل نعمت وكالة امو
هيلانة اذ لم يكن له من العمر الا اربع سنين . وكان الروسيون قد اعتادوا على
ان ارامل ملوكهم يعتزلن في الاديرة ويتنازلن عن ابيه المنصب الذي فقدته
بموت ازواجهن فاعتناظوا من استيلاء امرأة وليد صغير فتعكرت ايام نيابة هيلانة
ولكنها فازت بالصعوبات التي حالت قليلاً دون المرغوب الا انها لم تمتع مدة
طويلة باجناء ثمة تعبها اذ ماتت بعد ذلك باربعة سنوات . واذ كان ايثن
لا يزال حديثاً وغير كفوء للقيام بادارة المملكة بانت الدولة في اختلال عظيم
ولكن لما بلغ ايثن السنة الرابعة عشرة من العمر اظهر من الدراية والذكاء

والحيات ما يفوق طاقة سنو فتولى ادارة الملكة وسعى في قتل ونفي ظلمته ووقع
نعصبات اهل البغي والفساد وهكذا لما كان مضطراً منذ حادثه على اجراء
الانتقام وايقاع الرعب في قلوب رعاياه تعود قساوة الاخلاق التي استعملت الى
الظلم وحب سفك الدماء ولذا لُقّب بالقاسي والمائل

وكان تترقازان يعملون مع الصخر ربة الخضوع التي الزمهم بها ايثان
الثالث فبيذوها عنهم سنة ١٥٥١ فرح ايثان الرابع في جيش كبير لاختصاصهم
ثانية وبعد ان كسروهم في حملة مواطن فجع مدينتهم عنوة واباد حكومتهم . وسنة
١٥٥٤ جارب اميورغي امير اسنرخان واستولى على بلاده سنة ١٥٥٥ وقعت
حرب بينه وبين خان القرم فكانت الدائرة فيها على الاخير . سنة ١٥٥٦ اشهر
غوستاف واصا ملك اسوج الحرب على روسيا اجابة لتوسل اهل ليثونيا الذين
بانوا هدفاً لتهديدات الروسيين فارسل ايثان جيشاً الى فينلاندا فانتصر على جيش
الاسوجيين بقرب ويربرج واذ لم يات الاسوجيين الامدادات التي كان الليثونيون
قد وعدوا بها عقدوا مع ايثان الصلح سنة ١٥٥٧ على ٤٠ سنة . ثم تغلب ايثان
على ليونيا في السنة التي بعدها واستولى سنة ١٥٦٢ على جملة اماكن من ليثوانيا
ولكنه انهزم في السنة التالية امام حاكم ويلنا عند سواحل نهر دينبير . وكان
تتر القرم قد اغاروا على روسيا بغريض البولونيين ونوغلوا فيها حتى بلغوا
ابواب موسكو واحرقوا ضواحيها سنة ١٥٧١ فدفعهم ايثان وعند معهم صلحاً
وعقد مع ملك بولونيا هدنة اجلها ثلاث سنين ثم وجه سهامه نحو الاسوجيين
واتصر عليهم وعقد سنة ١٥٧٥ مع ملكهم كريستيان الثالث هدنة اجلها سنتان
وكان ايثان قاسياً جداً سريع الغضب يفعل افعالا تنفر منها الوحوش
وتشعر منها الابلان فانه كثيراً ما اطلق الوحوش الضارية على جواهر الناس
الذين كانوا يقفون احياناً للمكاملة في الشوارع فكانت تلك الوحوش تهجم عليهم
وتوقع بهم اضراراً عظيمة وتهلك بعضهم وهو جالس عند احدى نوافذ قصره
ينظر اليهم ضاحكاً على القوم الذين كانوا يولولون ويتراكون من امام

الوحوش . واذ كان يوماً يتناول الطعام زارُهُ احد خواصه فبشَّ في وجهه متبسِّماً فدينا ذلك المسكين من كرسيه وانحنى امامه بكل وقار فاخذ ايثان سكيناً وقطع اذنه وهو ينتهقه ضاحكاً . وكثيراً ما كان يُلبس بعض المنكودي المحظ جلود الادياب ويطلق عليهم الكلاب الانكليزية الكبيرة فتحجم عليهم وتتهش اجسادهم وهو ينظر اليهم ضاحكاً حتى يستلقي على قنائه وفضائمه اكثر من ان تذكر . فان كانت هذه افعالة في اوقات نعيمه وحظه فكَم بالبحري تكون في اوقات بؤسه وغبطه ومع ان ايثان كان قاسياً بهذا المقدار بعد من مشاهير ملوك روسيا بسبب التحسينات والتنظيمات الكلية التي اوجدها لترقية اسباب التجارة والعلم والصنائع

ومن ثم ينسب الى ايامه استكشاف بلاد سيبيريا . وذلك ان تاجراً من اصحاب الثروة كان مقبلاً في حكومة اركانكل اخبر اولاً بوجود هذا القطر وتم استكشافه رئيس من روساء الكرك يُسمى بورماك فان هذا الرئيس كان مولعاً بالغزو وشن الغارات وايقاع السلب والنهب في سواحل نهر قولكا وفي اكفاف بحر الخزر فطردته فرقة من جيش روسيا ودفعته الى ما وراء الحدود . فتوجه الى نواحي سيبيريا ونجاسر على الشروع في فتحها مع فرقة قدرها ٧٠٠٠ الاف نفس من الكوزك . وبعد ان هم بضع مرار على تتر سيبيريا وعلى خاتم كوتشوم تغلب ايضاً على مدينة سيبيريا التي كانت اعظم حصونهم سنة ١٥٨١ الا ان معظم اصحابه هلكوا . فلما لم تيسر له الاقامة بها مع العدد القليل من الرجال الباقين معه اشترى من الكزار ايثان الغنم عن ذنوبه القديمة بالتنازل عن فتوحه هذا . فتملكت العساكر الروسية بلاد سيبيريا سنة ١٥٨٣ ومع ذلك لم يتم انتياد هذه البلاد تماماً الا في ايام الكزار فيودور ايثا نوفيتش ابن ايثان ووليَّ عهده وفي سنة ١٥٨٧ مدينة توبولسك التي صارت من ذلك الوقت تحت سيبيريا للولاة الروسين

الباب الرابع

في ما حدث منذ وفاة ايقان الرابع وانقراض سلالة روريك
الى ظهور بطرس الأكبر من سنة ١٥٨٤
الى سنة ١٦٨٢

وبعد وفاة ايقان الملقب بالهائل خلفه في الملك ولده فيودور وكان عمره
اذ ذاك سبع عشرة سنة غير انه كان فاجر المهمة قليل النشاط والصحة لا يصلح
لادارة زمام ملكة عظيمة متسعة تكثر فيها التغييرات والانقلابات . ولما كان
والده ايقان عالماً بعدم لياقة ولده المذكور اقام ثلاثة وكلاء مساعدين له فكان
زمام المملكة بيدهم ولم يكن ليفودور من الملك الا مجرد الاسم فقط .

وان بوريس غودونوف اخا زوجة ايقان وخال فيودور لما رأى ما كان
من ضعف ابن شقيقته وعدم صلاحيته للملك واتحال جسمه طمع بالاستيلاء على
الملك من بعده واخذ يزرع الفساد والشقاق بين الوكلاء المذكورين وغيرهم
من الاعيان واخيراً بمساعدة اعوانه اقام الحجة على الواحد بعد الآخر فقتل
البعض ونفى البعض الآخر واصبح ذا سطوة وهيبة عظيمة . ثم قتل سنة
١٥٩٧ الامير ديمتري ابن ايقان من زوجته الاولى الذي كان له الحق في ارث
تخت الملك . وكانت صحة فيودور تزداد انتحالاً وامال بوريس تزداد امتعاشاً .
وفي تلك الاثناء ولد ليفودور ابنة وتعلقت آمال الناس بها وابس بوريس من
بلوغ الارب على انه لم تطل حياة تلك الابنة بل ماتت بعد ولادتها بسنة . ثم
مات اخيراً فيودور سنة ١٥٩٨ وبه انتهت دولة روريك

فاستولى بوريس على الملكة زوراً وتعدياً وتزوج بتاج الملك باحتفال

عظيم وبعد ما ارتكب كثيراً من الجرائم والفظائع لنوال مرغويه اخذ بحتميل
قلوب الاهالي لتوطيد اركان دولته الجديدة . وفي غضون ذلك ظهر شاب
يقال له غريغوري يوريف كان قد دخل في زمرة الرهبان فوسوس له بعضهم
انه شبيه بالامير ديمتري الذي قتله بوريس . وكان هذا الراهب على جانب
عظيم من الدراية والذكاء فحدثه غفلة انه سينبأ يوماً ما عرش امپراطورية
روسيا فسي نفسه ديمتري واخذ يستميل بكثيرين اليه زاعماً انه هو الامير
ديمتري الذي شاع عنه انه قُتل وانه هو الملك الشرعي للمملكة وانه لم يقتل بل
فر من ايدي الذين ارادوا قتله . ولما شاع امره اخيراً عند بوريس خاف ان
يفعل به ما فعله بغيره ففر هارباً وانجأ الى بولونيا . فعقد دعواه ملك بولونيا
مع خلق كثير ممن كانوا يكرهون بوريس وامده بجيش لمحاربة بوريس وتربله
عن الملك . ولما بلغ الامر الى بوريس خاف ولزعد وارسل جيشاً لمحاربة ديمتري
الكاذب فكسر ديمتري جيشه فارسل بوريس جيشاً ثانياً فانكسر ديمتري وعاد
الى بولونيا

فاجهد بوريس ان يفتح ملك بولونيا ان دعوى ديمتري كاذبة فلم يجده
نفعاً . وانفق ذات يوم بعد الغذاء انه اصاب بوريس ألم شديد في احشائه
فمات بعد ساعتين فانتهر ديمتري هذه الفرصة وقام بالعاكر البولونية وتقدم
ودخل روسيا ولبس ناچ الملك بالقوة زوراً وعدواناً . ولكن لم يطل الحال حتى
انكشف امره فقام عليه الاهالي وقتلوه واحرقوا جثته بالنار فتعاقب بعده كرسي
الملك ثلاثة ملوك زعم كل منهم انه الامير ديمتري الوريث الحقيقي . وهذه الامور
الحلة تدل على الاختلال الذي كان في هذه الدولة وعدم انتظام اجوالها ولا
عجب من ذلك فان كل امة كسدت فيها بضاعة العلم والنور سهل اغراؤها
لان من طالع مطولات الاسفار لا يخفى عليه ما ترتب على دعاوي اولئك المدعين
المزورين من ازدياد اختلال دولة روسيا
ان البولونيين الذين هم اول من عضدوا دعوى المزور الاول واضرموا

نيران الفتن والفتن اوشكوا اخيراً ان يستولوا على دولة روسيا . وتقاسم اهل اسوج جزءاً من بلادها في فيلاند وزعموا ان لم حقا في تاج المملكة المذكورة فطلبوه فلقى ذلك الدولة بالخراب والدمار مدة طويلة وكادت تسقط الى حضض الاضطلال . ولما كانت الدولة غارقة في وسط هذه الانواء والشدائد عند اخيراً كبار الروسيين جمعية سنة ١٦١٢ واستقرّ الرأي فيها على انتخاب شاب عمره خمس عشرة سنة يقال له ميخائيل رومانوف وهو جد بطرس الكبير وقدّوه المنصب الملكي . وكان هذا الشاب من عائلة اكليريكية وهو ابن مطران يقال له فيلاريت وامه راهبة لها قرابة من جهة نساء ملوك روسيا الاقدمين

ولعل البعض يستغربون كيف ان مطراناً يكون ذا اولاد من راهبة فالسبب في ذلك هو ان المطران المذكور كان من اعيان البلاد المتزوجين اصحاب الصولة فجبره بوريس غودونوف على التهرب كما جبر زوجته على ذلك ايضاً . وكان بعد ذلك ان ديمتري الكاذب جعله مطراناً وارسله سفيراً الى بولونيا فبجته البولونيون لانهم كانوا يومئذ في حرب مع الروسيين . وكان انتخاب ميخائيل المذكور ملكاً في مدة عشرين اية في بولونيا ففدى والده باسرى البولونيين ورفاهه الى منصب البطريركية فكان في الواقع هو صاحب الامر والنهي وكان الملوك الروسيين من سنة ١٤٩٠ للبلاد لايتزوجون بينات الدول الاجنبية وربما اقتبسوا ذلك عن العوائد الشرقية منذ استيلائهم على امارتي قازان واسترخان . فكان اذا اراد الملك الزواج اتوا الى قصره باجل بنات البلاد حسناً فتستقبلهن كيرة نساء القصر وتجهل كلاً منهن في مكان على حدة ثم تجمعن ساعة الاكل على مائدة واحدة فيشاهدن ويتنجب منهن من ارادها . وكان يُعين للزفاف يوماً قبل الانتخاب فاذا جاء اليوم المعين خلع على التي وقع عليها الانتخاب سراً خلع العرس ثم يوزع خلعاً اخرى على باقي البنات وينصرفن الى حيث اتين وعلى هذا الوجه كان زواج الكزار ميخائيل بابة رجل فقير الحال يحرث الارض

هذا ولم يكن تنصيب الملوك في روسيا بطريقة الانتخاب ولكن لما لم يبق احد من ذرية ملوكها القدماء انقضى انتخاب ملك جديد وتبع بمسب هذا الانتخاب حروب جديدة مع الاسوجيين والبولونيين فان كلا من الفتيين زعمت ان لها حقاً في الاستيلاء على كرسي مملكة روسيا . ودامت الحرب بينهم زمناً طويلاً ثم عقد الصلح فاخذ اهل بولونيا امرية سمولانسك والاسوجيون اخذوا اقليم اينفريا . وبعد هذا الصلح سكنت احوال دولة روسيا ولم يعرض عليها من التغييرات ما يفسد ادارتها او يصلح حالها

وسنة ١٦٤٥ توفي بمغائيل وخلفه ولده الكسيس وهو ابو بطرس الكبير وله من العمر ست عشرة سنة وقد سلك الكسيس في الزواج مسلك ابيه سنة ١٦٤٧ ثم تزوج ثانية سنة ١٦٧١ . وفي عهد الكسيس حدثت منازعات وفتن داخلية وخارجية سفكت فيها دماء كثيرة ووقع ايضاً بينه وبين اهل اسوج واهل بولونيا حروب جديدة ففاز على الفئة الثانية واسترجع منها بعض الاقاليم ولكنه لم يخرج مع الفئة الاولى . وكان الكسيس من افاضل ملوك الروسين فانه اول من وضع دستوراً للشرائع والقوانين وادخل في ممالك التسعة صنائع الاثنية والحزير . وكانت العادة في تلك الايام ان الاسرى يكونون ارقاء لمن وقعوا في اسره فجعلهم الكسيس في خدمة الفلاحة وزراعة الاراضي وبذل غاية جهده لادخال النظام والزرية العسكرية بين عساكره غير ان الدهر لم يسأله الى النهاية لكي يتم مقاصده اذ ادركته المنية سنة ١٦٧٧ وبموته وقع الاختلال بنظام الامور كلها

وكان الكسيس قد اعقب من زوجته الاولى ولدين ذكرين وست بنات وكان اسم البكر منها فيودور والثاني ايثان وكان الاثنان نجفي الجسم لاسيما ايثان . وكان عمر فيودور اذ ذاك خمس عشرة سنة وكان شاباً فاضلاً محبوباً فتبوا تحت الملك بعد موت ابيه . وكان الكسيس قد اعقب ايضاً من زوجته الثانية ولدين بطرس وهو المعروف بالكبير وابنة يقال لها ناتالي واما البنات

الست اللواتي من زوجته الأولى فكان أشهرهن الأميرة صوفية التي امتازت على شقيقاتها بذكائها ووفور عقلها . وكان ولده من زوجها الثانية غير محبوبين من الاهالي فلم يكن احد يظن ان بطرس سيتبوأ يوماً تخت ملكة روسيا . ولما كانت عادة ملوك روسيا ان يتزوجوا بنات رعيتهن كانت هناك عادة اخرى وهي ان بناتهم كان يندر في تلك الايام زواجهن فينضي اغلبن حياتهن في الاديرة . وكان فيودور يزداد جمته من يوم الى اخر نحولاً وسماً . وسنة ١٦٨٢ لما احسّ بقرب حلول اجله وكان يعلم ان اخاه الثاني ايوان لا يصلح لمنصب الملكية اوصى بوراثته الملك لاخته بطرس ولم يكن لهذا الاخير اذ ذاك من العمر الا عشرين سنة لكنه كانت تلوح على وجهه دلائل النشاط ووفور العقل

وقد سبقت الاشارة ان الاميرة صوفية كانت على جانب عظيم من الدراية وجودة العقل وكانت شاعرة كاتبة فصحة جميلة المنظر غير ان طبعها كان سيباً في خسران عجزها . فلما احسّت ان اخاها فيودور صار على همة مفارقة الحياة وراث ان اخوها ايوان وبطرس لا يصلحان اذ ذاك للحكم لعدم صلاحية احدهما له ولصغر سن الثاني خرجت من عالم المتفي اي الدبر الى عالم الشهرة وعزمت على ان تاخذ بزمام الدولة وقصدت ان تضر باخيها بطرس لكي تسلب منه حق التملك . فاخذت تضرم نيران الدسائس والفتن بقصد الوصول الى مرغوبها فوقع في وفاق عساكر المسترلينس فتنة كبيرة سُنك بسببها دماء كثيرة واصبحت البلاد كأنها قبر مفتوح لابتلاع الناس فكثرت التعدي والاضطراب ووقعت الحكومة في ارتباك لا مزيد عليه . وكانت الاميرة صوفية تخرض اولئك الطفافة سراً على الازدياد في الفواحش والقبائح طمعاً بنوال المرغوب ففعلوا من الامور ما بهز القلم عن وصفه فانهم فاقوا على الانكشارية من هذا القليل . هذا وما زال المهرج والقتال آخذة كل مأخذ الى ان انتهت اخيراً في شهر حزيران سنة ١٦٨٢ واستقرّ الرأي بتنصيب الاميرين ايوان وبطرس ملكين سوية واختها صوفية شريكة لهما في الملك بطريق الوكالة

الباب الخامس

في استيلاء بطرس الكبير واعماله العظيمة وما حصل من
المشاجرات والفتن في ايامه والحروب الى غير ذلك
من سنة ١٦٨٢ الى سنة ١٧٢٥

وحدث ايضا بعد ذلك قلاقل واضطرابات كثيرة وكانت الاميرة صوفية
تحاول الاستيلاء بالحكم وحدها وعزمت على اهلاك اخيها بطرس املاً بالوصول
الى المرغوب . على ان مساعيها لم تات بفائدة فان اخاها بطرس تقوى وهما
له حرب عظيم فانتصر على كل الموانع التي كانت تحول بينه وبين توطيد
سلطته فكشف عن دسائس اخيه صوفية واعادها الى عالم المضي في دبرها
بمدينة موسكو . ومن ثم تولى الملك بطرس ولم بعد لاختراع الجان بد في حمام
الدولة ولم تطل حياته بل مات سنة ١٦٩٦ لليلاد . فاستبد بطرس بالامر
وحده ولم يعد له معارض ولا منازع على انه كان يخشى عليه من بعض الاشراف
نظراً لحدائثه . وكان اول امر حاول اصلاحه في مملكته فبع شوكه عسكري
السندلنس وردعهم عن العصيان . وكان حازماً على محاربة تدرالفرم وشن عليهم
الغارة ولكن من دون ان يبلغ اربعة منهم وانتهى اخيراً الحال منهم بقصد مدينة
لم يجر العمل بموجبها الا مدة وجيزة

وفي اثناء ذلك اخذ بطرس في تحصين بلاده من داخل ومن خارج
قاصداً بذلك ردع مهاجمات الاعلاء لكي يفرغ لادخال الهدن والفتون
والمعارف الى مملكته اذ كان الروسيون لم يزالوا الى ذلك العصر في غابة الافتقار
الى ذلك ولم يكن عندهم منه الا القليل بالنسبة الى ما كان عند غيرهم من

دول أوروبا المتمدنة . وكانت أفكاره تصبو الى الفتوحات وتوسيع مملكته من جهة بحر بلتيك شمالاً والبحر الاسود جنوباً . وكانت مملكة آل عثمان يومئذ في ارتباك فانتهز بطرس هذه الفرصة واخذ في تمرين جيوشه استعداداً للحرب وجهاز سنة ١٦٩٤ جيشاً كبيراً تحت قيادة الجنرال شرمتوف وسار هو بنفسه مع هذا الجيش بصفة جندي طوعي وحاصروا في اوائل فصل صيف سنة ١٦٩٥ مدينة ازوف وقهوها بعد حروب وحصار طويل وفازوا على التتر والأتراك وغلب هذا النصر امر بتحصين المجر عند ازوف واقام فيه عدة سنين حرية احتياطاً . ثم عاد الى موسكو باحتفال عظيم وكان دخوله اليها بهذا الاحتفال شبيهاً باحتفالات قدماء الرومانيين عند رجوعهم من حروبهم واتصافهم وغلب هذا الفوز عليل في روسيا اول نشان للافتخار اذ لم يصنع قبل هذا المهد

ولما رأى في اثناء غزواته المار ذكرها ان سفنه لم تكن على اهل مملكته تأسف كثيراً فاحذنه المحبة من ذلك وارسل سنة ١٦٩٧ حملة من شبان الروسين الى هولندا واطاليا وروسيا لينتسبوا العلوم والفنون من كل نوع ولم يكتف بذلك بل عزم على ان يتغرب هو بنفسه في الممالك الأوروبية المتقدمة يومئذ في الإصلاح والتدبير لكي يتعلم منها حسن الادارة والتدبير وليدرس بعض العلوم والفنون . فبعد ان مهد ووطد سطوته في بلاده واناط بامر ادارتها وتهدير مهامها بعض اعيان وكبار دولته خرج متكرراً وبصحبه خادم واحد وندية واتوا جميعاً مدينة امستردام قاعدة هولندا . فالتحق له هناك متراً ضيقاً في الترخيفات البحرية وتربى بزي رئيس مركب ثم اتى قرية هناك يقال لها ساردم حيث كان يصنع بها كثير من السفن فتعجب من كثرة ارباب المهن والاشغال التجارية بها فابتاع لنفسه سفينة وكان قلبها مكسوراً فاصطحبه هو ثم اخذ يتعلم صناعة بناء السفن وسلك في معيشته مسلك اهل تلك الحرفة في اللبس والمأكل والمشرب كواحد منهم الامر الذي لم يسبق له نظير من انسان في مقامه ورتبه .

وكان يشتغل مع أولئك الفعلة في معامل الحديد والجبال والطواحين وغير ذلك وفيد نفسه في دفتر الترسانة من جملة الفعلة باسم بطرس ميخائيلوف . ثم رجع الى امستردام ثانية وتعلم فيها فنّ التشريح وبعض عمليات جراحية وتعلم علم الطبيعيات والمواليد وغير ذلك . وبعد ما جال في اماكن اخرى رجع الى امستردام وعاد الى ما كان عليه من الاشغال وتمّ بنفسه بناء سفينة حربية تحمل ستين مدفعا كان قد شرع في عملها قبل سفره واستمر على تلك الحال منعكفاً على الدروس والاعمال الى ان سافر في اول سنة ١٦٠٨ الى انكلترا في اثر سفارة كان قد بعث بها قبل خروجه من مملكته للطوائف في الممالك الأوروبية الاكثر تمدناً . فاقبله الملك وليم ورعاياه بالترحاب . فاقام بطرس مدة في انكلترا وهو على حالة البساطة واتخذ له منزلاً بقرب الترسانة الكبرى وصرف معظم وقته في الشغل والتعلم . فاتفق هناك صناعة عمار السفن على طريقة اكل ما هي في بلاد هولاندا وتعلم ايضاً فنّ الساعات واتقنه غاية الاتقان . وبالمجمل انه لم يدع شيئاً من الفنون البحرية من عظيمها وخفيفها من سبك المدافع الى قتل الجبال الا وباشره يده . وبعد ان اقام مدة طويلة في انكلترا رجع الى هولاندا ومنها أتى فينّا عاصمة اوستريا واقام فيها مدة . وبيضا كان يستعد للسفر الى ايطاليا والبندقية لتبني مشروع ورد اليه خبر وقوع بعض قلاقل في مالكة فعُدل عن مشروعه وقفل راجعاً سرّاً في شهر ايلول سنة ١٦٩٨ الى مدينة موسكو . ولما دخل موسكو تعجب الاهالي غاية العجب من مشاهدته على حين غفلة فاخذ حالاً في ملافاة الامر واصلاح ما قد فسد وفاض المذنبين باشد واصرم العقابات وكافأ الذين يستحقون المكافاة . ثم ابطل وجاق عساكر السترلينس ولم يبق منهم الا نفرًا قليلاً . واقام سنة ١٦٩٩ عوضاً عن هذا الوجاق جنوداً منظمّة اشبه بالعساكر النمساوية وحدث ايضاً عدة اصلاحات في العوائد المخشنة وفي نظام الدولة والديانة الى غير ذلك ما يستحق الاعتبار . وكنا نود ان نذكر اموراً كثيرة منها على ان ضيق المقام لا يسمح بذلك

وحدث في اثناء غياب هذا الملك أن الدولة الروسية كانت قد انتصرت على ترالقروم وتغلبت على مدينة بريكوب المعروفة بمدينة الذهب ولم يكن بينها وبين الدولة العثمانية سلم فبرجوع بطرس الى دياره عند هدنة بينه وبين الدولة المشار اليها وخوفاً من الفشل لم يجسر على ما طالما كان يصبوا اليه لجهة توسيع حدود مملكته من ناحية الملكة العثمانية . واذ رأى ان بحر الخزر لا يصلح المعارات الحربية انتهز فرصة الهدنة المذكورة ووجه مقاصده نحو بحر بلتيك ليكون له موانئ في تلك الاطراف . وكان لدولة روسيا في الناحية المذكورة اقلبان قد فتحتهما بالحرب ثم خسرنها ثانية في عهد الدولة الدنيترية الكاذبة واستولى عليها الاسوجيون . فتمتعاهد بطرس مع فريدريك ملك دنمارك واوغسطس ملك بولونيا ونحروا جميعاً على كارلوس الثاني عشر ملك اسوج الذي مع صغرسه كان يعد من افراد ابطال القرن السابع عشر . فاشتبكت الحرب بين التحالفين والاسوجيين وجاء الامر بخلاف المظنون فان كارلوس المذكور فاز عليهم جميعاً في وقائع عديدة حتى ايس بطرس من الغلبة . ولكن مع ذلك لم يثن عن عزمه واستمر على محاربة كارلوس مدة أكثر من تسع سنوات يرجح في جهة ويخسر في الاخرى الى ان ظفروا اخيراً سنة ١٧٠٩ في واقعة ييلتوفا . ففر كارلوس والتجأ الى الدولة العثمانية واستولى بطرس على جملة اقاليم في الجهات الشمالية واعاد اوغسطس ملك بولونيا الى ملكه بعد ان كان قد عزله عنه كارلوس ومع انشغال بطرس في هذه الحروب لم ينفك عن الالتفات الى صوالح مملكته وتحسينها . وسنة ١٧٠٢ وضع اساسات مدينة بطرسبرج التي صارت من ذلك الحين قاعدة السلطنة الروسية الى الآن

وسنة ١٧١٠ اشهر السلطان احمد الثالث حرباً على روسيا وكانت فيها الواقعة المعروفة بواقعة نهر يروث فدارت فيها الدائرة على الروسيين ولولا تدارك كاترينا زوجة بطرس الثانية الا في ذكرها لاوشك بطرس ان ييات اسيراً في قبضة الفريق العثماني فانها ألزمت زوجها على عقد الصلح الذي تقررت

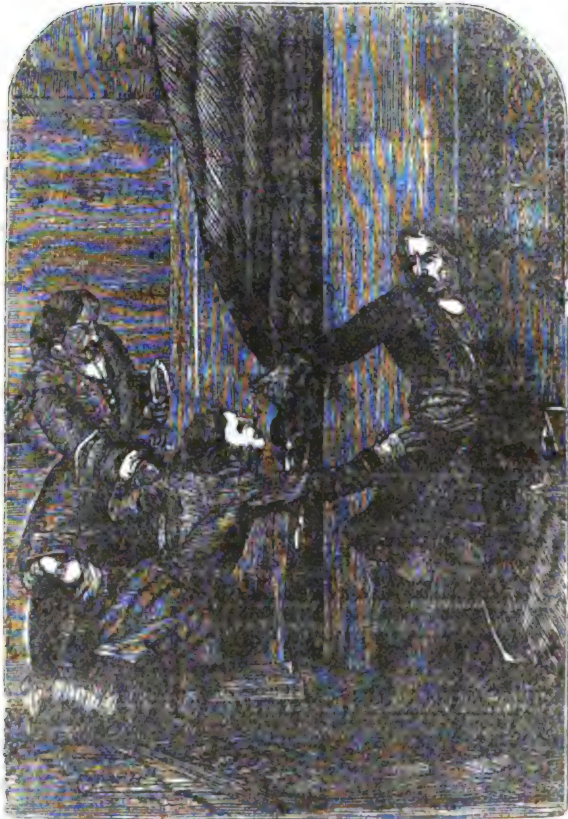
شروطه بين الدولتين كما مر في تاريخ الدولة العثمانية

اما كاترينا زوجة بطرس المذكورة فكانت ابنة احد الفقراء من قرية
رنجان ولما بلغت سن الاربع عشرة سنة خدمت عند قسيس برونستاني في
مدينة مريانبورغ ولما صار عمرها ثمان عشرة سنة تزوجت بعسكري اسويجي سنة
١٧٠٢ وفي غد عرسها هزم الروسيون شردمة من جيش الاسويجين كان زوجها
من حملتهم ولم تنف له على خبر وبعد ذلك بمدة يسيرة اسرها القائد الروسي
بوير فخدمت عنده ثم انتقلت لخدمة السرعسكر كررمتوف ثم اعطاها للامير
منريكوف فانفق ان بطرس الاكبر رآها يوماً عنده فاحبها وتزوج بها خفية سنة
١٧٠٧. وكان منذ مدة طويلة قد طلق امرأته الاولى لانها كانت تعارضة في ما
يريد اجراءه بما لكو. ولما تزوجت كاترينا ببطرس تركت الديانة البرونستانية
التي تربت فيها واعتمدت الديانة الروسية فهدوما ثانية وبدلوا اسمها من مرثا
الى كاترينا

وبعد ان رجع كارلوس الثاني عشر من بلاد آل عثمان في اواخر سنة
١٧١٤ حدثت وقائع جديدة بين الروسيين وبينه كان الفوز فيها لهم. فانسفت
حدود دولتهم من الشمال والغرب. ولما كانت سنة ١٧١٧ جدد الامبراطور
بطرس سياحته في الممالك التي كان قد زارها قبلاً ليقبس منها العلوم والفنون
وذلك لاغراض سياسية ولمشاهدة ما كان متولعاً بمشاهدته في الممالك الاجنبية
واتى اخيراً فرانساً وهناك حصل له مزيد الاعتبار والاحترام ثم عاد راجعاً منها
الى بلاده

وكا بين بطرس وولده وولي عهده ألكسيس نفور من زمان طويل من
جملة اوجه وكان يومئذ هذا الامير في مدينة نابولي هارباً من وجه ابيه فاستدعاه
والده واعداً اياه اذا حضر بالعبق والسماج. فلما اتى مدينة موسكو عقد مجلساً
من الامراء والاعيان وخدمة الدين واشهر امام هذا المحفل حرمان ولده المذكور
من وراثته الملك بعده وفي هذا المعنى كلام طويل لا نقدر على استيفائه في هذا

الباب المختصر. على اننا نقول ان الامبراطور بطرس بعد حرمانه ولده من الملك امر اخيراً بقتله ايضاً لاسباب لا نستدعي هذا الامر الهائل زاعماً ان الذي حمله على ذلك الاثم حبه للوطن والمملكة لانه كان يخشى بعد موته من ان ابنة ذا السمرة المنهورة بلاشي ويهدم كل ما بناه والده وعمله في مدة طويلة ويرجع بالمملكة القهقري والتأخر وكان ذلك سنة ١٧١٨



بطرس الأكبر

ثم ان ما بقي من ايام الامبراطور بطرس بعد قتل ولده لم يصرفها الا في

تكمل اغراضه ومآربه العظيمة . وسنة ١٧٢٢ وقع بينه وبين دولة الفرس نزاع
افضى الى فتح الحرب فسار في ١٥ من ايار سنة ١٧٢٢ مع زوجته كاترينا وجيش
عظيم وفي ١٤ ايلول من السنة المذكورة وصل بجيوشه الى مدينة دربند وحدث
بينهم وبين الفرس بعض مواقع كان الفوز فيها للروسين . غير انهم لم يستطيعوا
وقتيئذ ان يتقدموا في فتوحاتهم لان سفنهم الحربية ومهانهم وخيلهم وجيش نجدهم
غرقت جميعاً بقرب مدينة ازدهان ففقدوا راجعين الى موسكو ثم جددت
الحرب ثانية في السنة التالية وفاز الروسون واخذوا من الفرس بعض الاقاليم
الواقعة عند بحر الخزر وهي جيلان واستراياد ومانزدان . وكان بطرس سنة
١٧٢١ قد عقد صلحاً مع دولة اسوج يعرف بصلح الشمال اورث دولته فخراً عظيماً
اذ بهوجيه استولى على اقاليم ليونيا واستونييا واينغرمانيا ونصف كاريليا وويربورج .
فلقبه عقب ذلك الصلح كبار دولته ووكلائها الاكبر وايا الوطن وامبراطوراً
وما زال الدهر مسالماً له الى ان توفي في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٧٢٥ . وعند ما
احس بقرب حلول اجله اراد ان يكتب وصيته لكنه لم يستطع ولم يكتب الا
بعض كلمات غير ظاهرة عسرة القراءة جداً فلم يمكن ان يُقرأ منها الا ما معناه
اعطوا كل شيء الا

الباب الخامس

في ذكر ما حدث بعد موت بطرس الكبير وانقطاع سلالة

رومانوف وقيام الدولة الهولستينية من سنة ١٧٢٥

الى سنة ١٨٨٤

قد سبق في ما تقدم ان بطرس عند موته لم يعين خليفة له وقد مات عن

حفيد بطرس الثاني وهو ابن الكسيس المتول وعن ابنته البكر زوجة دوك
 هولستين غوترب . وكان هناك حربٌ كبير لابن الكسيس غير ان الامير
 منتريكوف الذي كان يميل الى الامبراطورة كاترينا زوجة بطرس الاكبر
 تدارك امر اخضاع نفوذ المعصين لابن الكسيس واثبت حق الوراثة لكاترينا
 فتبوأّت تحت الملك بعد زوجها وكانت امرأة عاقلة وعلى جانب عظيم
 من الدراية ووفور العقل ولئن كانت لا تعرف القراءة والكتابة على ما قيل .
 وكانت ذات مقاصد عالية سامية كزوجها غير ان الدهر لم يسح لها بابرارها
 من حيز القوة الى الفعل اذ ماتت بعد استيلائها الملك بستين فخلعها سنة ١٧٣٧
 بموجب وصيتها بطرس الثاني ابن حفيد زوجها وهو في سن الاثني عشرة سنة
 تحت وكالة ابنتها حنة واليصابات ودوك هولستين والامير منتريكوف وخمسة
 اشخاص من اعضاء المجلس العالي الى ان يبلغ سن الست عشرة سنة من العمر .
 غير ان ايامه كانت قصيرة اذ أصيب سنة ١٧٣٠ بمرض الجدري فمات سريعاً
 فكان ينتضي بموجب وصية كاترينا الاولى ان يخلف بطرس الثاني ابنتها
 البكر حنة زوجة دوك هولستين وذريتها ولكنها اذ توفيت تولّت الملك الاميرة
 حنة ابنة ايفان الخامس اخي بطرس الاكبر ودام ملكها الى سنة ١٧٤٠ ولم
 يحدث في ايامها امر مهم يستحق الاعتبار فخلعها الاميرة اليصابات ابنة بطرس
 الكبير . وسنة ١٧٤٢ لما استقرّت بالملك ارسلت وانت باين شقيقته حنة الدوك
 هولستين لان له حقاً بالوراثة قبلها واعلنت بانّه يكون وريثاً لها فاعتنق المذهب
 الرومي ودُعي باسم بطرس الثالث . ثم زوجته في اول شهر ايلول سنة ١٧٤٤
 بصوفيا اوغسطا ابنة كريستيان اوغسط التي اعتنقت المذهب الرومي ايضاً
 ودُعيّت كاترينا . وبعد عشر سنين من هذا الاقتران وُلد لها ولدٌ سمي بولس
 تولّى في ما بعد تحت اسم بولس الاول . اما اليصابات فماتت في ٢٩ كانون
 الاول سنة ١٧٦١ بعد ان حكمت عشرين سنة وكانت حاذقة عاقلة محبة للعلم
 والآداب وانشأت داراً للعلوم في موسكو واكاديمية للفنون

وبعد مواعها خلفها بطرس الثالث وهو دوك هولستين المذكور انفا فلما انتقل الملك سنة ١٧٦٢ الى العائلة الهولستينية يموت اخر وريث لدولة رومانوف وقفب تقدم الدولة الروسية هنيئة ولم يعيش بطرس الثالث الا سنة واحدة ومات مخنوقا قبل ان زوجته كاترينا اشتركت بهذا الفعل . فتبوأب عرش الملك سنة ١٧٦٢ واشتهرت جبا هذه الملكة بوفور عنفها وبمحسن التدبير والسياسة وعادت الدولة في ايامها الى التقدم وارتقت الى اعلى درجات العز والنفار حتى بلغت ما بلغت من البطوة والشهرة الى ان صارت تعد من اعظم دول اوروبا واوقعت العرب في ما جاورها من الممالك . وحدث في زمن استيلاء كاترينا الثانية حملة حروب بين روسيا والدولة العثمانية وبولونيا واسوج كان الفوز والغلبة لما في جميعها فتفتحت بلاد التتر الصغرى مع اقليم القرم واخذت ليشوانيا من البولونيين واستولت على كورلاد والشركس وظفرت سنة ١٧٧٢ بنصف مملكة بولونيا ودلم ملكها معززا الى سنة ١٧٩٦ وهي تعد من مشاهير هذه الدولة مع بطرس الكبير وقد فضلها بعضهم عليه

وخلف كاترينا ولدها بولس الاول فكان فاتر المهمة ضعيف الراي يئنه وبين امو بون عظيم وكانت يومئذ الحروب قائمة في اوروبا على قدم وساق بين دولة فرانس وئول اوستريا وايطاليا وانكلترا . فدخل بولس المذكور في الحزب الاوروي على فرانس وجهاز سنة ١٧٩٩ جيشا وارسله تحت قيادة القائد سوفاروف الى نواحي ايطاليا وبلاد السويس لمحاربة الفرنسيين . وسنة ١٨٠٠ لما عاد بونا بارت من مصر تحالف معه على انه مات في السنة التالية والمظنون ان موته كان اغتصابا . فخلته سنة ١٨٠١ ولده اسكندر الاول وكان شابا نجيبا شجاعا سافر العزم . فجدد النفور في ايامه بين دولئو ودولة فرانس الى سنة ١٨٠٥ وتحزب مع دولة اوستريا بمدخلات انكلترا فانتصر نابوليون الاول عليه وعلى اوستريا في واقعة اوسترليت الشهيرة وكانت واقعة مائلة حضرها كل من امبراطوري روسيا ولوستريا وفرنسا ولذلك دُعيت بموقعة الثلاثة

امبراطورين . فعقدت لوستريا مع نابوليون صلح بريسبورج واما اسكندر
فالتحق بباقي جيشه من دون ان يعقد صلحا . وسنة ١٨٠٦ بينا كان نابوليون
الاول يحارب بروسيا انتصر لها اسكندر فنهز نابوليون بعد ان قهر بروسيا في
جولة معارك عظيمة اخضاها معركة فريدلند التي دامت اثني عشرة ساعة وهلك
فيها من الطرفين ٥٠٠٠٠ نفس . فطلب اسكندر الصلح فاجابه نابوليون اليه
وعقدت شروطه عند نهر النيامين المعروفة بشروط تيلسيت وقد سبقت الاشارة
عنها في تاريخ فرانس

ولما كان في شروط هذا الصلح ما يصعب القيام به نكت اخيرا اسكندر
ببعضها فجددت الحرب سنة ١٨١٢ بينه وبين فرانس ودخل نابوليون الاول
روسيا بجيش جرار . فكان الروسيون يخلون البلاد ويحرقونها فاضر ذلك
بالفرنساوين كثيرا ولما دخلوا موسكو وظنوا ان المصاعب قد زالت حرق
الروسيون عاصمتهم حتى لا يكون لاعدائهم مأوى بها ولا واسطة للتزود فكاد
يهلك نابوليون مع جيشه وانهمزوا جميعا على اسوأ حال من جرى شدة البرد
القاسي ولحق بهم الروسيون واعمالوا فيهم السيف والنار فهلك منهم مئات الوف
وقد مر ذلك في تاريخ فرانس . ومع ما تحمله روسيا في هذه الحرب من الخسائر
المجسية لم تنك عن اظهار البسالة في اعمالها فانها اخذت في تلك الاثناء اقليم
فينلاندا واقليم الكرج وبوثلنيا الشرقية وحاربت فرانس سنة ١٨١٢ وسنة ١٨١٤
مع الدول المتحدة ودخل الامبراطور اسكندر باريس حين حدث تنزيل
نابوليون الاول عن الملك المرة الاولى وسنة ١٨١٥ استولت على اكثر من ثلثي
بولونيا التي كان نابوليون الاول قبل ذلك بثمان سنين عقب صلح تيلسيت
انشأها دولة مستقلة فجعل لها اسكندر حكومة ذات كونستيتوشيون تحت اسم
مملكة بولونيا . وكانت روسيا وقتئذ من اعظم كُول اوروبا في السطوة والنفوذ
ورئيسة للاتحاد المعروف بالاتحاد المقدس المتعقد بينها وبين دول اوستريا
وانكلترا وبروسيا وبعض كُول اوروبا الثانوية على محاربة فرانس ونابوليون

وسنة ١٨٢٥ توفي اسكندر الاول وخلفه ولدهُ نقولا ولما ربحته قدمه واستبد بالسلطنة تتبع خطوات سلفائه في محبة الافتتاح وتوسيع دائرة ممالكهم فتسلطت روسيا في ايامه على القسم الاعظم من ارمينيا واخذته من يد الفرس واخذت ايضا اياالة اخالسكي ومصب نهر دانوب من الدولة العثمانية وتظاهرت في مساعدة تحرير اليونان من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٢٧. وسنة ١٨٢٩ وقع خلاف بينها وبين الدولة العلية وبلغت الجيوش الروسية الى نواحي القسطنطينية فتدخلت الدول الاولى في اوروبا وفصلت الخلاف الواقع بين الطرفين بدون قتال . ثم سعت روسيا في تحرير اهل السرب والابلاخ والبقدان ولكنها لم تنجح يومئذ بان تجعلهم تحت حمايتها على نوع رسمي . وفي سنة ١٨٣٠ اثار اهل بولونيا ثورة عظيمة فقهرهم الامبراطور نقولا وادخلهم في الطاعة ثانياً بعد صعوبات كثة ومن ذلك الحين امست بولونيا قسماً من مملكة روسيا بعد ان كانت حاضرة قبل ذلك على نوعٍ من الاستقلال ومراعاة المخاطر . وما زالت روسيا متقدمة في طرق النجاج والفلاح الى سنة ١٨٥٢ . ولما رأى الامبراطور نقولا ان الظفر سائر في مقدمة اعلامه في كل صنف وناد وان الدهر قد صفاه وسالمة الايام عزم في السنة المذكورة على محاربة الدولة العثمانية لاسباب ذكرناها في تاريخ الدولة العلية فاصطلت نيران الحرب بين الدولتين واشترك فيها بعض دول اوروبا ضد روسيا فاستدامت اكثر من سنتين وسفك فيها دملاً كثيرة وانكسر الجيش الروسي في اغلب المواطن وفي غضون هذا الحرب توفي الامبراطور نقولا وخلفه ابنه اسكندر الثاني وبعد ان نبوا زمام السلطنة بيضمة اشهر بعث الى الدول المتحدة بطلب الصلح بعد فقد مدينة سيباستبول في القرم فعقدت جمعية دولية في باريس تمت فيها شروط الصلح في اواخر شهر اذار سنة ١٨٥٦ وقد استوفينا ذلك في تاريخ آل عثمان

وبعد اتمام شروط المصالحة المذكورة اخذ اسكندر في ملافاة واصلاح ما فسد في الحروب المشار اليها وارجاع السلم والراحة الداخلية وتوطيد وتقوم

حال سلطته وشرع في مشروعات حسنة جداً لم يسبقه اليها احد من سلفائه فابتدأ بتحرير الرعايا العامة من ثقل نير سلطة الاعيان المجائرة ووضع نظم جديدة من هذا القليل ونظم كيفية تعليمهم فامسى من جرى اجراءاته هذه المدحوخة في خطر مبین من مطامع الاشراف لان تلك الاصلاحات كانت تبين مقاصدهم ومآربهم كل المبایة وكثيراً ما تهددوه بالقتل فجاء من اشراك المنيبة التي نصبوها له . وبينما كان في اثر هذه المشروعات والاصلاحات متفقداً حال بلاده تجددت الثورة في بولونيا سنة ١٨٦٣ فخلاقي الامر حالاً غير انه لم يتمكن من ارجاع الثائرين الى حيز الطاعة الا بعد الثورة بستين فسفكت فيها دماء كثيرة وادخلهم اخيراً في الطاعة واقام اخاه قسطنطين نائب ملك عليها فهدأت الاحوال واستكنت . وفي هذا الوقت تقدمت فتوحات روسيا في الشرق الاعلى من قارة اسيا فاستولت على اغلب خانات تركستان كنجارى وسمرقند والكشغار وغيرها . ولما كانت شروط معاهدة باريس ثقل على روسيا انتهزت فرصة اشغال فرانس بالحروب الاخيرة مع بروسيا سنة ١٨٧٠ وطلبت ابطال بعض شروط المعاهدة فعقدت جمعية دولية في مدينة لندن حيث صار نسوية الخلاف في تنفيج بعض الشروط ايجاباً لطلب روسيا

وفي سنة ١٨٧٦ اذ كانت نار الفتن مشتعلة في بعض ولايات الدولة العثمانية الكائنة في اوروبا كالمهرسك والبشناق وجبل الاسود اتخذ الملك اسكندر تلك الحوادث وسيلة لاشهار الحرب على آل عثمان بغية تحرير تلك البلاد الثائرة من سلطان المسلمين فامد الاهلين اولاً بالذخائر والمؤن الحربية ثم بالمال ثم بالرجال فاصطلت نيران الحرب في كل تلك الانحاء واستدامت نحواً من ستين وكان الظفر بها للروس بعد ان كابدوا خسائر بكل عن وصفها القلم ووصلت عساكرهم الى ابواب القسطنطينية ولولا تظاهر الانكليز لمقاومتهم وادخال بوارجم الى مرفاء المدينة لدخلوها وفي اثناء ذلك وقع الصلح بين الدولتين وتقررت شروط بين الطرفين ونهدت الدولة بدفع غرامة الحرب وقدرها

نحو ٢٠ مليون ليرا واما كيفية حل تحرير تلك البلاد النائرة وما يتعلق بادارتها المستقبلية فقد ترك لراي الدول الكبيرة التي اجتمعت نوابها في برلين سنة ١٨٧٨ ومقتضى ما تقرر في ذلك المؤتمر صار الاجراء بموجب وحيث قامت العساكر الروسية من امام القسطنطينية ورجعت الى الاوطان وفي تاريخ نوركما ذكرنا فجاء عن قرارات مؤتمر برلين . وقد عاش الملك اسكندر الثاني بعد ذلك الى سنة ١٨٨١ ومات قتلاً من جماعة النيهيلست اصداديه الذين كانوا يطلبون حرية الشعب وتغيير نظمات البلاد وجلس مكانه ابنه اسكندر الثالث في ١٢ اذار سنة ١٨٨١ والله اعلم ماذا يكون من امره واجراءاته

الفصل السابع عشر

في وصف بلاد اسوج ونروج وتاريخها

ان مملكة اسوج ونروج ويقال لها سويد ونورويج ومجدهما شمالاً البحر الشمالى . وشرقاً مملكة روسيا وبحر البلتيك وخليج بوتنيا . وجنوباً بحر البلتيك المذكور وبوغازا كاتينات وسكاجيراك . وغرباً البحر الشمالى . وعدد اهلها اربعة ملايين ومئتا الف في اسوج ومليون و٧٥٠ الفاً في نروج . وقد كانت المملكتان منفصلتين احدهما عن الاخرى ثم اتحدتا معاً وصارتا تحت حكم ملك واحد سنة ١٨١٤ ولكلٍ منهما لغة وعوائد واصطلاحات تخالف الاخرى . وفي هذه المملكة كثير من البحيرات والانهر والجبال الشاهقة التي لا ينقطع عنها الثلج . وفيها ايضاً معادن الحديد والفضة والنحاس والكبريت والرصاص . وهوؤها بارد والشتاء بها قاس الى الغاية ويدوم سنة اشهر بحيث لا يوجد وقت

للربيع والخريف وصيفها قصير جداً لا تزيد مدته أكثر من خمسين يوماً . وأما تربتها فقليلة الخصب ولا يصلح للزراعة إلا القليل منها . وفي اعراشها وجبالها اجناس كثيرة من الحيوانات يحدون جلودها للفراء . وهناك حيوان يسمى الرنة وهو عظيم الخلق على قدر الثور الكبير اشبه بالابل يستعمله الافغاني لنقل الامتعة وجر العربات . وفي مجربها كثير من انواع السمك خصوصاً النوع المسمى مورق اي الحوت فانهم يصطادون منه مقادير وافرة ويستخرجون منه اللحم والزيت المعروف بزيت كبد الحوت المفيد لبعض الامراض

اما الصنائع في هذه البلاد فرائجة وفيها كثير من المتعامل لاصطناع اقمشة الصوف والقطن والخبر وغير ذلك . وتنقسم اسوج الى ٣٤ مقاطعة . ونروج الى ١٧ مقاطعة . ومن مدن اسوج استوكلم وهي من امهات مدن المملكة ومقر كرسي الملك واهلها نحو ١٢٠ الف نفس وهي مدينة ظريفة ذات ميناء حسن ومعامل كثيرة . ومدينة غوتنبرج وهي بعد استوكلم في التجارة والصنائع . ثم مدينة كريستيانيا وهي قصبة بلاد نروج واهلها نحو ٢٥ الف نسمة وهي مدينة حسنة ذات تجارة عظيمة في الحديد والخشب والسمك وبها مقر كرسي نائب الملك . وليس لهذه المملكة من الولايات خارج اوروبا الا جزيرة ماربرثولماوس في اطراف الهند الغربي وهي جزيرة صغيرة يبلغ عدد اهلها نحو خمسة الاف نسمة

واكثر اهالي هذه البلاد من طائفة البروتستانت . وحكما من نوع الملكي المفيد . وبما ان بردها قاس جداً تجد اهلها من ذوي الشجاعة واللباس وهم ايضا حسان الخلقة اصحاب خفة ونشاط يتجلبدون على الاشغال الشاقة ويميلون للحرب طبعاً ولكنهم مع ذلك موصوفون بالانس والدعة ولم رغبة شديدة في العلوم والمطالعات حتى يقال انه لا يوجد بينهم واحد في الالف من مجهل القراءة والكتابة

اما تاريخ هذه المملكة فلا يعلم عنه شيء في الازمنة القديمة سوى ان اهلها

كان اصلهم من الجرمانين فاتوا واستوطنوا فيها منذ القدم وتنصروا في الجبل التاسع بواسطة مرسلين انكليز وفرنساويين وكان يقال لم القبائل السكندبنافية. وكانت هذه البلاد خاضعة للملك دنيارك ولول من اخضعها الملكة مرغرية والدنيار اذ تغلبت عليها بقوتها وحيلتها وصيرتها مع نروج ودنيارك مملكة واحدة. ولكن بعد موت هذه الملكة هاج الاسوجيون على طلب الحرية وبعد قتال يذكر تخلصوا من اسر الدنياريين ثم رجعوا اليهم ثانية واخذوا لم منهم ملوكاً ومدبرين. ولما كانت سنة ١٥٢٠ اذ كان كريستيان الثاني ملكاً على دنيارك ومطران اويسال رئيساً على مطارنة الملكة وكانا كلاهما كثيري العيوب فاسي القلب متفقين على ظلم الرعايا ونهبهم لم يعد ممكناً للاسوجيين نحل ذلك الجور العنيف فاخذوا يسعون في ايجاد طريقة لتخلصهم. فلما شم الملك رائحة ذلك اتفق مع المطران على ضبط اكابر مدينة استوكلم وحكامها فالتى القبض على ٩٤ رجلاً من ارباب المشورة وامر بقتلهم محتجاً بان البابا قد حكم بكفوفهم واخرجهم من دين النصرانية لعدم طاعتهم للمطران. فحينئذ نذر الاهالي من هذا العمل الفظيع ولم تعد الصعوبات تمنعهم عن طلب الاستقلال من عبودية الدنياريين فاقاموا عليهم قائداً يسمى غوستاف واصا. وهو شاب من نسل الملوك القدماء كان مختبئاً في وسط الغابات وكان شجاعاً مشهوراً فصيحاً اديباً محباً لوطنه وجاهدوا الجهاد الحسن في مقاومة ظالمهم وبعد عدة وقائع يطول شرحها انتصروا عليهم وقبض غوستاف واصا على الملك كريستيان والمطران وطردها من اسوج فانتخبه الاهالي ملكاً عليهم سنة ١٥٢٣ وحالما استامن على مركزه اخذ يتشم من الاساقفة والقس من اعتقد انهم مستولون على اموال اسوج وينفقونها في ظلم الناس ومحاربة الملوك فعاقبهم ما امكن وفي مدة وجيزة نزع من البلاد الديانة اللاتينية الغالبة وجعل رعاياه يتمسكون بالمذهب البروتستانتي ثم توفي في عزٍ وفخر وله من العمر ٧٠ سنة وخلفه في الملكة احد اولاده المسي غوستاف ادولف فنبأ تاجها سنة

١٦١١ وكان من اشجع ابناء زمانه موصوفاً بالحزم والهم سعيًا في مغازبه فاخذت البلاد في ايامه تقدم حتى اكتسبت شهرة عظيمة لاسيما بواسطة انتصاراته الكثيرة وافتتاحاته العديدة . وكانت الملكة يومئذ مشنكة في حرب مع روسيا ودينبارك وبولونيا فبعد ما عقد صلحاً مع الدولتين الاولين استظهر على بولونيا في موقعين عظيمتين والزمها ان تنازل له عن كل حصون ليفونيا وبولونيا البروسية . وبعد نهاية هذه الحروب اتحد مع امراء المانيا البروتستانت ونحزب للطائفة البروتستانتية ضد الامبراطور فرديند الثاني الذي كان يعاملهم بالتساو والجننا فاشهر عليه حرباً واقتم جيوشه سنة ١٦٣١ في واقعة ليبسيك التي كانت تحت قيادة الجنرال تلي فنتك بها وانتصر عليها انتصاراً عظيماً بعدما قتل منهم عدداً وافراً . ثم في سنة ١٦٣٢ فتلك ثانية بجيوش فرديند في لونسين ولكنه قُتل في وسط المعركة . وخلاصة الكلام انه اضعف سلطنة فرديند الثاني وفتح نحو مئة محل في بلاد المانيا ارجعت بعد موته

وجلس على سرير الملكة بعد ادولف المذكور ابنته كريستينا وكانت كاثوليكية المذهب فريدة في جودة العقل واللفظة محبة للعلوم والعلماء غير ان بعضهم اتهمها بفتح السيرة فبعد ان استبدت بالملك بعض سنين تنازلت عن الكرسي لفريها كارلوس العاشر من العائلة المسماة بالفنطرين ففتح حملة فتوحات وانتصر على الدينباركيين مراراً واشتهر بانتصاره في واقعة وارسوا عند محاربته في بولونيا وازداد اقليم ايسكانيا الى اسوج

ومن اعظم ملوك العائلة المذكورة الملك كارلوس الثاني عشر وُلد في ٢٧ حزيران سنة ١٦٨٢ وكان منذ صغره فريداً بين الناس ذاهمة عالية وصفات مستحبة محباً لركوب الخيل وللرياضات العنيفة وتحمل الانعاب المشاقة وكان مع ذلك غير ناقص في العلوم والفنائل الادبية فنشأ شاباً حكيماً وجاراً متعباً . ولما كان له من العمر خمس عشرة سنة جلس على سرير الملك مكان ابيه كارلوس الحادي عشر وقام باعباء الملكة اتم قيام ففتح فتوحات كثيرة وفعل افعالاً عجيبة

يقصر اللسان عن وصفها ونعجز الاقلام عن شرحها . وكان بطرس الكبير ملك روسيا قد اتحد مع فريدريك ملك دنمارك واوغسطس ملك بولونيا على حربه فالتقاهم كارلوس وحاربه وانتصر عليهم في عدة وقائع بعدما فرّق جوعهم ومزقها وانزل اوغسطس عن نخت بولونيا قوةً واقتداراً واقام مكانه ملكاً اخر يدعى استانيلاس . ثم حدث بينه وبين بطرس المذكور مواقع اخرى انتصر فيها عليه لاسيما في واقعة نرفا المشهورة سنة ١٧٠١ فانه كسر فيها جيوش الروسيين اسماً كسرة فذاع صيته وانتشرين ممالك الارض حتى امست اكثر دول اوروبا في خوف وحذر من سطوته وبطشه . وما زالت الحروب بينه وبين بطرس المذكور متصلة بدون انقطاع مدة تسع سنين الى ان حدثت بينها اخيراً واقعة بيلتوفا المشهورة سنة ١٧٠٩ وكانت قد كلت وضعفت جيوش كارلوس من كثرة الحروب والمشقات المتتابعة وهلك اكثرها من الجوع والبرد فاتصر بطرس عليه بعد موقعتين عظيمتين وانجرح كارلوس فيها جرحاً بليغاً ونشنت شمل جيشه كل التشنج واسر منه جانب ففر هارباً وهو على اسوأ حال والتجأ الى الدولة العثمانية واقام في بلادها مدة طويلة بعدما فقد اكثر فتوحاته وضاعت على مملكة اسوج اقاليم وولايات معتبرة . وبعد رجوع كارلوس الى بلاده نهض سنة ١٧١٨ لمحاربة نروج واسترجاع الاقاليم التي كانت قد استولت عليها من بلاده وفي اثناء محاصرته مدينة فردريكها ل اصابته رصاصة في صدغه مات منها على الفور . ولم يبق لاسوج قائم بعد كارلوس الثاني عشر واخذت من بعده المملكة في الانحطاط شيئاً فشيئاً وغيّرت الامة نظمات البلاد ورفعت من ايدي ملوكها التصرف المطلق واودعته مجالس شورية فكان ذلك سبباً لاطفاء نيران كثيرة على ان البلاد لم تخل من الفتن والمفاسد

وسنة ١٧٥١ تنبأ سرير مملكة اسوج ادواف فريدريك من عائلة هولستين غونورب ثم تناول المملكة بعده كارلوس الثالث عشر واذا لم يكن له من بورثة من ذريته تنبى المارشال برندوت الفرنساوي ليكون وريثاً وفي ايامه انضمت

مملكة نروج الى اسوج سنة ١٨١٤. وبعد توفي كارلوس المذكور قام بالملك بعده المارشال برندوت المذكورة سنة ١٨١٨ نحت اسم كارلوس الرابع عشر وقام بعده باعباء المملكة اوسكار الاول سنة ١٨٤٤ ثم خلفه اوسكار الثاني سنة ١٨٧٢ وهو الملك الحالي

الفصل الثامن عشر

في وصف مملكة الدنمارك وتاريخها

هذه المملكة هي احدى الممالك الاسكندنافية الثلاث واصغرهن مجدها شمالاً مضيق سكاجيرك الفاصل بينها وبين نروج وشرقاً اسوج وجنوباً هامبورج ونهر الالب اللذان يفصلانها عن هانوفر وغرباً بحر جرمانيا ابي بحر الشمال. وهي على شبه جزيرة يتبعها ارخيل للشرق وبعض جزائر صغيرة وعدد سكانها قبل سنة ١٨٦٦ كان مليونين ونصفاً ولكن بعد انفصال الثلاث امريات التي ضمها بروسيا اليها وهي شليسويك وهولستين ولانبرج تنازل عدد اهلها الى مليون. ويتبع هذه المملكة بعض املاك في الخارج منها جزيرة ايسلاندا في اميركا الشمالية اكتشفها احد قرصان نروج سنة ٨٦٠ ومن ذلك الوقت اخذ النرويجيون يستوطنون فيها. وبها جبل مهول يدعى هكلا وهو بركان يتصاعد منه احياناً نار ودخان ومواد ملتهبة فتهتز الجزيرة من هيجانه. وعدد سكان هذه الجزيرة ٦٥ ألفاً. ومن املاكها جزيرة كريتلاندا وهي ايضاً في اميركا الشمالية اكتشفت في الجبل التاسع وعدد اهلها نحو عشرة الاف نسمة يسكنون في القسم الغربي الجنوبي من الجزيرة. ومن املاكها ايضاً جزائر فارو في شمال اسكوتلاندا يبلغ عدد سكانها نحو ٦٠٠٠ نفس وثلاث جزائر صغيرة في الهند الغربية اهلها نحو ٢٨ ألفاً.

وكانت بلاد فنلندا أيضاً تابعة لاسوج قديماً اخضعها الاسويجوني في واسط الجبل الثاني عشر وادخلوا اليها الديانة المسيحية بعد ان كان اهلها عبدة اوثان ولكن في معاهدة نيسناد الواقعة سنة ١٧٢١ استولت روسيا على ما كان يعرف باقليم فيبورج وسنة ١٨٠٩ استقلت باقي البلاد من الاسويجين قهراً بحيث لم يبق لهم علة في تلك الناحية . ومن مدن هذه المملكة مدينة كوبنهاغن قصبة البلاد وهي مدينة حصينة جميلة ذات ميناء حسن وتجارة عظيمة ممتدة في غالب بلاد اوروبا واهلها نحو ١٥٠ ألفاً . ثم مدينة السنبور موقعها على البوغاز الداخل الى بحر بلتيك المسمى سند وفي هذه المدينة كانت تؤخذ قديماً الخفارة للملك من جميع السفن التي تدخل في البحر المذكور

اما هواء هذه البلاد فرطب لان الجانب الاكبر منها محاط بالمياه وبردها معتدل بالنسبة الى موقعها . وفيها بقصر النهار ويطول بخلاف المادة المألوفة فيكون في بعض شهور الشتاء ست ساعات ونصف وفي بعض شهور الصيف سبع عشرة ساعة ونصفاً

اما محصولات هذه البلاد فتكاد لا تذكر بالاجمال واشهرها القمح والشعير والذرة . ومع انهم يستخرجون من اشجار البيرا التي في مشروب عموم الاهالي ويصطنعون من الذرة اكثر خبز البلاد يرسلون من هذين الصنفين منادير وافرة الى الخارج برسم التجارة . ولاهل دينبارك اليد الطولى في اصطناع اقمشة الصوف والكتان والفخار والساعات الخشبية والوجافات . وفي هذه البلاد معامل كثيرة لصب الحديد والقرطاس وعمل البلور والعرييات والاث الموسيقى والصابون والشمع والسكر . واكثر هذه المعامل تخلص بالحكومة منها معمل عظيم في مدينة كوبنهاغن لعمل الفرغوري وكرخانة جوخ في ارسرود

اما الحكم فيها فهو من نوع الملكي المقيد يجري بواسطة مجالس ودواوين . والديانة العامة هي البروتستانتية والعلوم فيها ناجحة . وقد اشتهر فيها جملة افاضل مثل نيقوبراي وثورسوالدسن واندرسن وغيرهم

اما تاريخ هذه البلاد فهو كتابي تاريخ المالك الصغيرة لا يحاط باهمية عظيمة وكانت قديماً تنقسم الى عدة مقاطعات صغيرة يسكنها شعوب مختلفة الاجناس كالغوثيين والكبريين والانغليين وكانوا قبائل متبررة بجون الحرب وشن الغارات براً وبحراً . ولكن بمعاشرتهم الرومانيين تحسنت احوالهم واكتسبوا منهم فوائد كثيرة واشتهروا في الشجاعة والثبات في الوقائع والمغازي حتى انهم قاوموا شارلمان واضروا بالسلطنة الكارلوفنجية وبالمانيا واسبانيا ضرراً جسيماً وينوع خصوصي بانكثرا حينما افتتحوها في الجبل التاسع وامتلكوها مرتين لاسيما في ايام كانتوت الذي ادخل اليها الديانة النصرانية في الجبل الحادي عشر كما سبقت الاشارة في الكلام على انكثرا

وسنة ١٢٩٧ انضم الى مملكة الدنياروك ملكنا اسوج ونروج نحث رياسة الملكة مرغريته ابنة والدهمار الثاني التي كانت على جانب عظيم من الذكاء والبطش حتى انهم يسمونها سميراميس الشمال تشبيهاً لها بسميراميس ملكة المشرق . والاتحاد المذكور يعرف باتحاد كلمار ولكن لم يكن له من الفائدة سوى الاسم فقط لان الاضطراب والاختلال كانا متصلين وانتهى الحال بانفكاك سنة ١٤٤٩ . وسنة ١٤٢٨ انتخب الدنياريون ملكاً عليهم كريستيان الاول امير اولدنبورج . الذي دام الملك في عقبه الى سنة ١٤٦٢ ومن اعماله انه كان قد ضم امريني شليسويك وهولستين . سنة ١٥١٢ نبأ نحث الملكة كريستيان الثاني حفيد الاول وكان فاسياً ظالماً اطلق عليه لقب نبرون الشمال . واذ كانت اسوج يومئذ منقسمة الى حزين حرك رئيس اساقفة اويسال كريستيان على اقتراح تلك الملكة فزحف اليها وجارها وقتل ملكها . وبعدما استولى عليها عمل وليمة دعا اليها الاشراف والاساقفة فلما اجتمع الجميع وكان عددهم اربعة وتسعين شخصاً قتلهم عن بكرة ابيهم ثم اطلق العساكر على الاهالي فانقضوا عليهم كاللباشق وقتلوا من وقع بين ايديهم فكانت الدماء تجري من كل اطراف المملكة . فالترم حيثئذ الاسوجيون ان يفروا بالرياسة ونوجوه ملكاً عليهم سنة

١٥٢٠ فدام كريستيان متسلطاً عليهم الى سنة ١٥٢٢ حين قام غوستاف واصا احد اشراف الاسوجيين مع جمهور من ابناء وطنه وخلعوه عن كرسي ملكتهم . ثم خلع ايضاً عن تخت ملكة الدنيارك ومات محبوساً سنة ١٥٢٩ ومن ذلك الوقت انفصلت اسوج عن دنبارك انفصلاً نهائياً واما نروج فبقيت منضمة اليها الى سنة ١٨١٤

ومن ملوك هذه الدولة فريدريك الثاني تلك سنة ١٥٥٩ وكان اول امر شرع به اشهار الحرب على الاسوجيين طمعا باخضاعهم الى ملكته فحاربهم مدة سبع سنين بدون نتيجة . وهو الذي وهب نيجوراهي الفلكي الشهير جزيرة هون لبناء مرصد سلطاني لرصد الاجرام السماوية باق الى هذا اليوم . ومن ملوكهم ايضاً كريستيان السابع جلس على كرسي المملكة سنة ١٧٦٦ وتزوج بكارولين ماتيلد اخنت جورج الثالث ملك الانكليز . وبما ان حكومة الدنيارك كانت من حرب فرانساً في زمن حروب نابليون الاول هاجمت الانكليز عاصمتها سنة ١٨٠٧ واطلقت عليها القنابر واستولت عليها فحرب الملك الى هولستين ومات هناك في السنة التالية . وخلفه ابنه فريدريك السادس فاصلح ما دمره الانكليز في المملكة . ثم حارب الاسوجيين الذين كانوا مصممين على استخلاص بلاد نروج فاستظهر عليهم والزهم في طلب المصالحة . وسلك مسلك ابيه في الخرب والميل الى فرانساً ولكنه سنة ١٨١٤ اعند مع انكلترا واسوج صلحاً بعد ان تنازل عن نروج الى اسوج وعن جزيرة هليكولاند^(١) الى انكلترا . وسنة ١٨١٥ تنازل الى بروسيا عن بوميرانيا الاسوجية وعن روغن الماخوذتين من اسوج بدلاً عن نروج واستعاضها بامرية لاونبرج التي استرجعتها بروسيا مع غيرها فيما بعد كما

١ ان جزيرة هليكولاند ومعناها الارض المتقدمة كائنة في البحر الشمالي وفي ذات فائدة عظيمة لانكلترا في وقت الحرب لانها تستخدمها اذ ذاك كمنزل لوضع مهاجمها ولحاربها البحرية . وعدد سكانها ٢٨٠١ ويقصدها كثيرون في هذه الايام للقترة والاستحمام في البحر

نقدم القول : وكان آخر ملوك عائلة اولدنبورج الملك فريدريك السابع تولى
سنة ١٨٤٨ وتوفي سنة ١٨٦٢ واذا لم يترك وارثاً تولى بعده الامير
كريستيان غلوسبورج وفقاً لمعاهدة لندن سنة ١٨٥٢
وتلقب بكريستيان التاسع
وهو المتولي
الآن

القسم الرابع

في تاريخ اميركا

الفصل الاول

في وصفها الجغرافي وأخبار أهلها القدماء

اعلم ان قارة اميركا هي قسمٌ عظيمٌ جداً من الكرة الارضية وهي الجزء الثاني من اجزاء الدنيا الخمسة . اما حدودها فمن الشرق الاوقيانوس الاندلسيكي الذي يفصل بينها وبين قارتي افريقيا واوروبا . ومن الغرب الاوقيانوس الباسيفيكي وهو الفاصل بينها وبين اسيا . ومن الشمال البحر الشمالي . ومن الجنوب المحيط ايضاً . وعدد اهلها ٩٠ مليون نفس منها ٥٥ مليوناً في اميركا الشمالية وخمس ملايين في الهند الغربية و٢٠ مليوناً في اميركا الجنوبية

وهذه القارة قسمان اصليان يُعرف احدهما باميركا الشمالية والثاني باميركا الجنوبية يفصلهما برزخ داريان الذي يبلغ عرضه بين ٢٠ او ٤٠ ميلاً . وبين اميركا واسيا من الجهة الشمالية الغربية مسافة وجيزة يفصل بينها بوغز بيرين او بهرين وهو بوغاز ضيق معظم طوله نحو ٢٠ او ٤٠ ميلاً وفي بعض الاماكن ١٨ ميلاً فقط . وقد انقسمت هذه القارة الى عدة اقسام كبرى منها ستة في

اميركا الشمالية واثنا عشر في اميركا الجنوبية سنذكرها في محلاتها ان شاء الله تعالى . والحكم في هذه الاقسام من نوع الجمهورية ما عدا برازيل فانها سلطنة . وبين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية عدة جزائر حسنة يقال لها جزائر الهند الغربية . واكثر هذه البلاد غنية بالمعادن الثمينة من ذهب وفضة وحديد ونحاس وورصاص وزئبق وغير ذلك . وفيها انواع الرخام والحجارة الثمينة كاللؤلؤ والزمرد والياقوت والماس . اما هواؤها فمختلف بحسب مواقع اجزائها في المنطقة الحارة او الباردة . فانه في شمالي اميركا الشمالية يشتد البرد بهذا المقدار حتى لا تنمو فيها الاشجار ولا ينبت بارضها نبت ويجد بحرهما من الجليد مدة تسعة اشهر فلا يمكن للمخلوق ذي حياة ان يسكنها حتى في الصيف ايضاً ومن النواذر ان يرى فيها دباً او رنة . ولكن كلما تقدمت جنوباً اعتدلت المنطقة بحيث منى وصلت الى الولايات المتحدة والاماكن التي تجاه خليج مكسيكو وباقي الاراضي الواقعة شمالي اميركا الجنوبية نجد اعتدالاً كاملاً وهواء لطيفاً كحواء الربيع والصيف . واذا تقدمت اكثر فاكثر نحو الجنوب يبرد الهواء ويطول فيها الشتاء حتى ان البلاد التي عند راس هورن يدوم شتاؤها مدة تسعة اشهر . اما حيوانات هذه القارة فكثير منها ما يوجد في بقية اجزاء العالم كالنمل والجمل والنمر والكركدن والاسد والنعام وفرس النهر والزرافة ومنها ما يندر وجوده او لا وجود له في باقي القارات كالبجamos البري والماعز البري والغنم البري والوعل وانواع كثيرة من الغزلان والقرود والدبابات والزحافات والطيور . وفيها ايضاً جبال كثيرة وانهر عذبة اعظمها نهر امازون ونهر مسيسيبي اللذان لا نظير لهما في باقي قارات الكرة . وبالاجمال ان هذه القارة كثيرة المحصولات وافرة الخيرات والغلال واسعة الاراضي والفلوات حتى لو زاد اهلها على عدد عشر اضعاف لكان لهم مكان ومعاش . واكثر سكان هذه القارة من نسل اهل اوربا الذين هاجروا اليها بعد اكتشافها واستوطنتها . وفيها بعض من العبيد الذين جلبوا اليها من افريقية وبعض من الهنود الاصليين الذين كانوا هناك

قبل اكتشافها

ولم تكن هذه القارة معروفة عند اهل العالم القديم حتى كشفها كريستوفر كولومبوس سنة ١٤٩٢ للميلاد ووجد هناك يومئذ قبائل كثيرة في حالة التوحش يشبهون اهل الهند في اللون والصفات ولهذا سموا هنوداً . وقد اختلف العلماء في كيفية وصول هذه القبائل الى هناك اختلافاً كثيراً ولم يفي ذلك اقاول عديده فعلى حسب راي بعض المدققين ان اول من دخل قارة اميركا قوم الاسكيمو الذين يسكنون الجزء الشمالي من اميركا الشمالية وهم قوم من شمالي اوروبا سافروا اليها بسفنهم الصغيرة كما فعل التروجيون في الجيل التاسع وامت اكتشافهم جزيرة في ايسلاندا وكرينلاندا ولكنهم لم يستوطنوها . وما يؤيد ذلك امتياز الاسكيمو عن هنود اميركا ومشابهم الكلبة باللايلانديين في شمالي روسيا في اوروبا . اما دخول الهنود فليس هو الا من اسيا التي كما تقدم القول تكاد تكون متصلة باميركا فلا يبعد ان قوماً من التتر في الاعصر السالفة اتوا اميركا من تلك الجهة القريبة كما يفعل اهل اسيا حتى الآن اذ يعبرون هذا المضيق بالقوارب . ويظن ايضاً ان اهل جنوبي اسيا قد دخلوا اميركا عابرين بالاقويانوس الباسيفيكي ومتقلين من جزيرة الى اخرى بسفنهم الصغيرة . وما يؤيد صحة ذلك مشابة هنود اميركا بعض القبائل من اسيا في الهيئة وبعض العوائد وقد ظن البعض ان الفرطجنيين اكتشفوا اميركا الشمالية وسكنوها ونشروا بعض كتابات عند موتي فيديو ولكن حقيقة ذلك مجهولة وبالاخرى هو وهم لاصحة له ولكنه امر محقق في هذه الايام ان الدنماركيين الذين اتوا اولاً الى جزيرة ايسلاندا ثم الى كرينلاندا دخلوا ايضاً الولايات المتحدة سنة الف للميلاد تقريباً ولم يسكنوها ونبئت اخبار دخولهم مطبوعة الى حين اكتشاف كولومبوس القارة

الفصل الثاني

في اكتشاف اميركا من سنة ١٤٩٢ الى موت كريستوفورس
كوليبوس سنة ١٥٠٦

انه بعد ان بقي نصف العالم الغربي احثاباً عديدة مجهولاً عند اهل العالم
القديم ونحو خمسة عشر جيلاً للتاريخ الحديث ظهر اخيراً بعناية الله رجل عجيب



كريستوفورس كوليبوس

كشف الحجاب عما استتر من دنيانا ادواراً مستطيلة وهو كريستوفورس
كوليبوس . وكانت ولادة هذا الرجل في مدينة جنوا سنة ١٤٣٥ ولما بلغ سن

الخمس عشرة سنة انتظم في سلك الملاحين فارس هذه المهنة وانتها غاية الاتقان حتى فاق فيها على اقراء وتعود الاسفار وانقحام الاخطار. فانفق ذات يوم بينما كان في احدى سفرائه وقع بين سفينته وسفينته قرصانية معركة قوية كانت الدائرة بها على سفينته فالتى نفسه في البحر طالباً النجاة ويده مجذاف واخذ في السباحة حتى قطع مسافة طويلة وبعد ان قاسى اهلهاً كثيرة التفت المتبادر على شواطئ بلاد اليورنوغال فسار قاصداً عاصمة الملكة الى ان وصل الى مدينة ليسبون وكان له يومئذ من العمر نحو ٢٥ سنة. فسكن في تلك المدينة وبعد مدة تزوج هناك بابتة فبطان بورتوغالي كان ابوها قد صرف زمانه في الاسفار فاكتسب منه كولبوس فوائد كثيرة وتكرار اسفاره الى جزائر البحار اصبح من احسن ملاحي اوروبا وامهرهم. ولكن اذ كان هو وزوجته في حالة فقرية اخذ يشتغل في رسم الخارنات لاجل تحصيل معاشه

وبينا كان ذات يوم مهوگا في رسم الخارنات اندهل متعباً عندما افكر بالجهات المتسعة من الكرة الارضية التي لم يكن احد يعرف عنها شيئاً الى ذلك اليوم. ثم اخذ يحدث نفسه بقوله ياترى هل الارض مسطحة او كرة فاذا فرضنا انها مسطحة فابن تكون نهايتها وان كانت كرة فما هو حجمها فارأى اخيراً بعد البحث الدقيق والتأمل الكثير انها كرة وحكم باستدارتها وحجمها وقد استنتج ذلك عقلاً كما يستنتج كل حاذق ليسب أن اوروبا واسيا وافريقية ليست الاً قسماً من الكرة الارضية يلزم بالضرورة ان يوازيه قسم آخر يقابله. ومازاده اقتناعاً وتوكيداً على صحة افكاره ما كان يسمعه من ارباب الملاحة من الملاحظات والتجربينات في هذا الخصوص. من ذلك ان ملاحاً بورتوغالياً حدثه ذات يوم انه كان قد توغل في بعض اسفاره لجهة الغرب وقطع مسافة طويلة من البحر لم يقطعها احدٌ غيره من اهل ذلك العصر فوجد قطعة خشب متفوشة وعائمة على وجه الماء تدفعها نحو رباح غربية فاستنح كولبوس من ذلك انها آتية من بعض اراضي مجهولة واقعة في تلك الناحية. ثم حدثه اخرائه شاهد

على سواحل جزائر اسورة اشجاراً مقلوعة قذفها الامواج الى تلك الجهة غيب
رياح غربية شديدة وبلغه ايضاً انه شوهد مرة جثتا رجلين ميتين لا يشبهان اهل
اوروبا وافريقية في هيئتهما. فذه المعلومات مع ما استفادته من الملاحين الذين
كانوا يترددون عليه بعد رجوعهم من اسفارهم البعيدة حققت له وجود اراض
جديدة في العالم ذات غنى وبهجة مجهولة عند الناس

واذ كان لابد لكوليبوس ان يستعين بمن يمدُّ بالمال للوصول الى هذا
الامر لاجل بفكره اولاً ان يجعل فخار ذلك المشروع عائداً لوطنه فسافر الى جنوا
واعرض للحكومة بما في ضميره ملتصاً منها المعاضدة والامداد فلم يجبه المجلس الى
طلبه وحسبه ضرباً من الجنون فارتد راجعاً الى ليسبون وعرض افكاره على
ملك البورتوغال يوحنا الثاني فاجابه الى سؤاله وترحب به الا انه لما اشترط
عليه كوليبوس ان يكون نائبه على تلك البلاد المزمع ان يكتشفها وان يكون له
عشر ايراداتها مكافأة لاتعاقب توقف عن الاجابة واحال روية ذلك الى عمدة
خصوصية من علماء ليسبون لاجل النظر في هذه المسئلة فاستحسن بعضهم افكار
كوليبوس لكن الاكثرين رفضوها وحكموا بان ما ذهب اليه انما هو وهم
وهذهان

فلما لم يلج كوليبوس لافي جنوا ولا في البورتوغال ذهب الى اسبانيا في
اواخر سنة ١٤٨٤ ليعرض مشروعه على الملك فرديناند والملكة ايزابلا ومع انهما
كانا يومئذ مشتغلين بقتال العرب وطردهم من اقطار البلاد قابلاً بكل انس
وسمعة له باصفاء ولذة ثم فوضا النظر في قضيتهم الى معلم ذمة الملكة ايزابلا فاخذ
يبحث ويستعلم من له خبرة في ذلك ويستدعي كوليبوس لايراد ادلائه وبراهينه
امامهم فحضر عليه خمس سنوات وهو يناقشهم ويبرهن لهم واخيراً حكموا بما
لا يوافق غرضه. فازداد بكوليبوس الحزن والقلق وعزم على التوجه الى انكلترا
ليعرض افكاره على ملكها هنري الرابع فنعته احداً صديقاً وكان رئيساً على بعض
الاديرة ومعلم ذمة الملكة ايزابلا سابقاً فبعث اليها بكتاب يلتمس به الالتفات

المعظم الى منصد كوليبوس . فاثربها كتابة واذعنت لرايه وارسلت نستدعيه اليها فتمض مسرعاً واثي غرناطة حيث كانت الملكة محاصرهما . ولما تمل امامها انقضا بمجن ذلك المشروع فطلبت حضور كوليبوس لمقابلتها فحضر حالاً واتفق وصوله في الوقت الذي انتصر فيه الاسبانول على العرب . فعند اجتماع الملكة بكوليبوس سالتة عما يريد فاخبرها بما كان في ضميره من ذلك الامر وقال اني التمس من عظمتك ان تاذني لي ببعض السفن لاكتشاف اراض جديدة ذات ثروة وغنى واريد مكافاة عن ذلك ان اكون نائباً لعظمتك على ما اكشفته من الاراضي والبلاد وان يكون لي عشر ما يتج من تلك الاكتشافات . فاستعظم الوزراء وارباب الديوان هذا الطلب ومحبوه منه وقاحة وجسارة فطلبت الملكة من كوليبوس تخفيض ما طلبه فلم يقبل وخرج بغضب من وسط الديوان فركب فرسه وارتد راجعاً الى الدبر في بالوس قاصداً السفر من هناك الى قرانسا

فانزعجت ايزابله من خروج كوليبوس على تلك الكيفية وخافت ان نخسر اسبانيا شرف ذلك الاكتشاف اذا تم فكاشفت زوجها عما لاج في خاطرهما من هذا القيل فقال لها ان الخزينة الآن في عسر لكثرة الاموال التي انفقناها في الحروب مع العرب ولا يوجد فيها ما يقوم بمصروف هذا المشروع . فاجابته ايزابله قائلة انني اجري ذلك على نفقتي الخصوصية وسأرهن ما عندي من الجواهر والحلى واستحصل ما يلزم من النفود لهذا الامر . ثم ارسلت في الحال ساعياً في اثر كوليبوس تستدعيه اليها فرجع واجتمع بها فترحبت به كثيراً واجابته الى ما كان قد طلبه من الشروط المذكورة وهكذا وضع فرديند وايزابله اعضماها في السابع عشر من شهر نيسان سنة ١٤٩٢ على المعاهدة التي عقدت بينهما وبين كوليبوس بهذا الصدد

وبعد عقد الشروط بين الطرفين صدر الامر الملكي للحكومة في بالوس بتجهيز سفينتين حريتين مشحوتين بما يلزم من المؤونة والملاحين للسفر مع كوليبوس

الى حيثما اراد . وجهاز كوليبوس سفينةً ثالثة على حساب صديق له اسمه مرتين
الوتزو . وكان جملة ما صرف على هذه العمارة المحفزة مائة الف فرنك . وفي
اليوم الثالث من شهر آب سنة ١٤٩٢ سافر كوليبوس من ميناء بالوس وبعد
اسبوع اشرف على جزائر كناري المعروفة بالمخالدات التي تبعد نحو الف ميل
عن اسبانيا وكان قد تعطل معه سفينة في اثناء الطريق فاقام في تلك الجزائر
نحو ثلاثة اسابيع حتى جهّز سفينة جديدة مكانها . ثم اقلع من هناك قاصداً تلك
الجهات ولما توغل في البحر وصار في وسط البحر المحيط انزعج الملاحون وخافوا خوفاً
عظيماً فاخذوا يتذمرون على كوليبوس ويلومونه على هذه المخاطرة . وكانت
تذمراتهم تزداد يوماً بعد يوم وعزموا ان لم يرجع بهم الى اسبانيا أن يطرحوه
في البحر ويقتلوا منه . واما هو فكان نازلاً بقوةهم وينشطهم بالكلام ويهدم
بيلوغ المرام وتارة يهددهم . فلما طال الامر اشتد حنهم عليه وصمموا على قتله
ليجوا من تلك البلية فلم يبلغوا منه مراماً لان ثباته وشجاعته مع صبره ولطفه جعلته
يسود عليهم ويقتادهم الى الطاعة

واتفق في مساء اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٤٩٢ بينا
كان البحر هادئاً والنسيم رائفاً لطيفاً لمح كوليبوس في منتصف الليل نوراً سطع
عن بعد ثم اخفى حالاً فاندهل واخذ يقول في نفسه ما عسى ان يكون هذا
النور وبينما هو مندهش حائر ظهر له النور مرة اخرى . ثم بعد ذلك بضع
ساعات سمع صوتاً من السفينة المسماة بتا التي كانت تتقدمهم وقائلاً يقول
البر البر . فاجاء النهار حتى اشرفوا على جزيرة بهية المنظر ذات اشجار وغابات
فكان النسيم اللطيف يهب عليهم من الشاطئ حاملاً روائح الزهور العطرة . واذ
كانوا قد ملوا وسجروا من مشقات المحيط واهوال الحجو مدة اكثر من شهرين
كان ذلك المنظر لديهم كنظر الفردوس فالتوا مراسيمهم واخذوا يسبحون الله
رافعين اصواتهم بالشكر فحوق ثم بكوا من شدة الفرح والتعجب وبعد ذلك خرّوا
على اقدام كوليبوس وطلبوا منه الصنع والمسامحة على ما فرط منهم في حقهم . ثم انهم

عند طلوع الشمس تقلعوا اسلحتهم وانزلوا القلارب فنشروا فيها الرايات
الاسبانيولية وقصدوا البر وكانوا كلما دنوا من الشاطئ يزيد منهم منظر الجزيرة بهجة
وفرحاً لاسبيا معظريوت الاهالي الظرفية المتفرقة بين تلك الغابات الخضراء
التي كسها الطبيعة باجل خلاها . وعند وصولهم الى البر خرج كولبوس اولاً
رافعاً سيفه ثم سجد على ركبتيه ورفع عينيه نحو السماء وشكر الله تعالى على حفظه
اية وتكليل عمله بالنجاح فكان هو اول من وطئ من اهل اوروبا ارض الدنيا
المجدبة

وقد سمي كولبوس هذه الجزيرة سان سلفادور ومعناه المخلص ثم رفع راية
اسبانيا باحتفال عظيم على شاطئها وبعد ذلك حلف له بين الطاعة جميع من
كان معه من الملاحين والانباع . وبينما هم في سرور وانسراح اقبل عليهم اهالي
تلك الجزيرة وهم ينظرون اليهم متعجبين من بياض الثياب وطول اللحام ومن
اسلحتهم اللامعة وراياتهم الحمرية . وكان اهالي هذه الجزيرة على جانب عظيم
من اللطف وسلامة النية . فصرف كولبوس واصحابه ذلك النهار بالطواف
بين الغابات والاحراش وهم يتناولون من ثمارها الشبية وتعجبون من مناظرها
ثم ذهب بهم الاهالي الى منازلهم وترحبوا بهم غاية الترحب وكان عندهم ذلك
النهار يوم عيد وفرح عظيم . ورأى كولبوس اكثر سكان تلك المدينة يعلقون
في انوفهم اقرطة من الذهب فسألم عنها وعن الاماكن التي يستخرجونها منها
فاشاروا له الى جهة الجنوب . فاصحب معه جماعة منهم وسار قاصداً تلك الجهة
المذكورة فاكتشف على عدة جزائر صغيرة واراخي واسعة منها جزيرة كوبا فجال
فيها وتعب من نصب اراضيها لكنه لم يجد فيها من الذهب ما يشفي الغليل .
فدله اهله على جزيرة ثانية في الجهة الشرقية تدعى هايتي فقصدها كولبوس
ووصل اليها في ٦ كانون الاول وسماها اسبانيولا ثم سماها فرنساويون والانكليز
بعد ذلك بسانت دومينيكو ولم تزل الى الآن تعرف بهذه الثلاثة الاسماء . واذ
وجد كولبوس عند اهالي هذه الجزيرة ذهباً كثيراً اقام عندهم بضعة ايام وبادلهم

على ذهيم باشيء لا قيمة لها كاجراس وخرز ودبايس ومسامير وما اشبه ذلك

ثم اخذ بطوف من جزيرة الى اخرى فانكسرت معهم سفينة ولم يبق معه سوى سفينة واحدة صغيرة لان الثالثة كانت قد انفصلت عنه غيب هذا الاكتشاف . فارتبك في امره خوفاً من ان يكون رئيسها قد عاد الى اسبانيا ليكون اول مبلغ بنجاح مشروعه فكان ذلك سبباً لرجوعه الى اسبانيا بدون ابطاء . فترك في الجزيرة جماعة من اصحابه ليتعلموا لغة الاهالي ويستميلوهم اليهم وبني لهم حصناً من خشب السفينة المكسورة وحصنه ببعض المدافع ثم ودع اصحابه واصحب معه جماعة من اهالي البلاد وارتد راجعاً الى اسبانيا فوصل اليها بعد غياب سبعة اشهر واحد عشر يوماً . فالتفت الملكة ابنة الملك وزوجها الملك فرديند بالترحاب والاکرام وسالاه ان يقص عليها اخبار سفرته فحدثها بواقعة الحال وما جرى له من البداية الى حين رجوعه واراها ما كان قد جاء به من الذهب ففجبا غاية العجب وسراً به فرفعا منزله وقرباه اليها . ولما شاع في اوربا خبر نجاح مشروعه استعظمه الناس واستغربوه وكان ذلك موضوع مجتمهم ليلاً ونهاراً

وبعد ان اقام كولبوس مدة وجيزة في دار الملك استأذن الملكة بالرجوع الى اميركا ليقوم بمحق اكتشافات جديدة فاذنت له بذلك وجهزت له سفناً حربية لتكون في خدمته ونحت طوع اوامر . فاخذ معه كثيراً من البضائع واللعب التي يعلم رواج سوقها بين الهنود واصحب معه بعض المبشرين لينذروا القوم ويهدوهم الى الديانة المسيحية . وكان عدد الذين دخلوا السفن المذكورة ١٥٠٠ نفس . وفي ٢٥ ايلول سنة ١٤٩٢ اقلع كولبوس من ميناء قادس وفي ٢ من تشرين الثاني من السنة المذكورة اشرف على جزيرة لم تكن معروفة عنده بعد واذا تفق ان يوم وصوله الى تلك الجزيرة كان يوم الاحد سماه ادمينيكا ومعناه يوم الاحد وفي نفس ذلك النهار اكتشف ست جزائر اخرى وكان اهلاها من

البرابرة الذين ياكلون لحوم البشر. وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني وصل الى جزيرة اسبانيولا فلم يجد بها احداً من الاسبانيولين الذين كان قد تركهم هناك فاحذو العجب من جرى ذلك وعند خروجه الى البر وجد الحصن خراباً. وكان السبب في ذلك ان الاسبانيولين بعد ارتحال كوليبوس عنهم سلكوا مع الاهالي مسلك الظلم والجور فقتلهم وكرههم وابادهم عن اخرهم فلما رأى رفقاء كوليبوس ما كان من امر فقد اخوانهم اخذوا يشتمونه ويصفونه بالكر والخداع فلكي يلهمهم بعض بنوم منهم الى داخلية الجزيرة لكي يغتصوا على معادن الذهب وشرع يني عوض الحصن مدينة جديدة صغيرة وسماها باسم الملكة ايزابلا وبعد ان فرغ من ذلك مرض مرضاً شديداً كاد يموت به. ولما شفي اخذ يطوف منابل شطوط جزيرة كوبا حتى وصل الى جزيرة جامايكا فتمتع اهلها عن الخروج فخرج قهراً عنهم واذ لم يجد فيها ذهاباً انشأ راجعاً الى كوبا. ثم طاف مدة خمسة اشهر واكتشف عدة جزائر وبعد ذلك عاد راجعاً الى جزيرة ايزابلا فلما وصل اليها وجد ان جماعة الاسبانيولين قد اثاروا حروباً كثيرة مع قبائل الهنود واذلوم واستعبدوهم معاملهم بس المعاملة

وكان قد رجع الى اسبانيا بعض رفقاء كوليبوس فوشوا به الى الملك والملكة وتكلموا عنه بما لا يلين حسداً وبغضاً. فبعثا من طرفها سفراء لاجل الفحص والتحقيق عن ذلك وعند اجتماعهم بكوليبوس عاملوه بعنف وقساوة فالتم ان يرجع الى اسبانيا لكي يبرئ نفسه من تهمة وعند وصوله دخل الى الملكة وامنها يبطل ما اتهمه به اعداؤه. ثم جهزت له سفناً اخرى فعاد بها الى امريكا وهي السفرة الثالثة. وبعد ان جال جنوبي القارة ليشتق أجيرة في ام لا رجع الى انزابلا في هايتي في ٢٠ آب سنة ١٤٦٤ فوجدها في اسوأ حال لان قومة الاسبانيولين بسبب الحروب التي اثاروها على الاهالي حولوا تلك المجنة المدينة الى قرية تقريباً واسمى القرية في انفس حال

وسنة ١٥٠٠ وثى بكوليبوس بعض مبغضيه مرة أخرى الى حكومة اسبانيا

فارسلت مأموراً من العائلة الملكية لينظر في تلك الشكايات ورخصت له في عزله والتولي مكانه ان وجد مذنباً . واذ كان ذلك المأمور كل الصالح في تجميع كوليبوس لم تعسر عليه الوسائط لتذنيه فامر بوضع الحديد في رجله وارسله مقيداً الى اسبانيا . فلما بلغ فرديندوا ايزابله ما لحق بكوليبوس من الاساءة والاهانة غضباً لذلك وامراً بفكه من الاغلال . وعندما استحضراه اليها واثبت برأته لدى الديوان امراً بعزل المأمور المذكور عن ولاية تلك البلاد ولكنهما لم يعيدا كوليبوس الى منصبه بل اقاما مكانه نولادي وندو سنة ١٥٠١

ولكن مع كل هذه المظالم والتعديت لم تقتره كوليبوس عن مداومة الاكتشافات بل شرع سنة ١٥٠٢ في رحلة رابعة فكانت مشومة عليه وقاسى بها من المتاعب والاضطرابات ما تعجز الاقلام عن استيفائه فالتزم ان يرجع الى اسبانيا بعد غياب سنتين وعند وصوله اليها بلغه وفاة الملكة ايزابله فانقطع بموتها ما كان يؤمله من مساعدتها وامدادها . ولما كان زوجها فرديندوا لا يلتفت اليه زاده ذلك هما وغماً . وانتهى الحال بموته سنة ١٥٠٦ وهو في حالة الفاقة وله من العمر سبعون سنة وبعد ان دُفن في مدينة اشيلية نفلة الاسبانوليون الى اميركا وما زالت بقاياه موجودة الآن في مدينة هافانا في جزيرة كوبا . فابن عيانه لتنظرا ما وصلت اليه الآن تلك البلاد الزاهرة وتلك الشعوب المتمدنة وتنسيا تلك المخاطر والمناظر المريعة التي صادفتها وذلك السهر الذي حرّم اجفانها لذيق النوم سنين عديدة

اني رايت وفي الايام نجيبة

للسبر عاقبة محبودة الاثر

وقل من جد في امره بمحاولة

واستصحب الصبر الافاز بالوظير

الفصل الثالث

في مداومة اكتشافات الاسبانيولين وسبب تسمية القارة اميركا الى حين اكتشاف مكسيكو

وكان لما رأى الاسبانيوليون نجاح ما شرع به كوليبوس حمدوه وصار لهم
رغبة عظيمة للتوجه الى تلك الاماكن فالتمسوا من الملك ان ياذن لهم بالسفر
على نفقة انفسهم ليكتشفوا ما بقي هناك من البلاد المجهولة فاذن لهم واخذ يسافر
الواحد بعد الاخر بدون رضى كوليبوس . وكان اول من سافر رجلاً يقال له
الونزو احد رفقاء كوليبوس في سفره الثانية فسافر من اسبانيا سنة ١٤٩٩
وبرفقته رجل من اعيان فلورنسا يسمى اميريكوس فسبوسميوس وكان ذا معرفة
وخبرة بعلم سلك البحر . فلما رجع اميريكوس الى اوروبا ألف كتاباً ضمنه
المحادثات التي وقعت له في هذا السفر وسلك في تاليفه مسلكاً حسناً ونسب به
لنفسه فخر ذلك الاكتشاف فكان اول تخطيط اشتهر في وصف العالم الجديد .
فاخذ الناس من ذلك العهد يتعودون رويداً رويداً على تسمية العالم المذكور
باسم اميريكوس مع انه كان يجب ان يسمى باسم كاشفه الحقيقي . وفي سنة ١٥٠٠
وصل البورتوغاليون الى بلاد برازيل فاستولوا عليها وهي باقية الى الآن في
ايدي عائلة ملوك البورتوغال!

وكان لما وُثي بكوليبوس المرة الثانية ان الملكة ايزابلا ارسلت والياً من
طرفها على جزيرة اسبانيولا يقال له اوفاندو فكان ذا همة ونشاط واستس عدة
مدن في اكنرجهات الجزيرة المذكورة وزرع في اراضيها مزارع متسعة من قصب
السكر . وفي مدة قصيرة اصحبت هذه الزراعة معظم شغل اهل اسبانيولا وعلة

ثروتهم. الا ان الوالي المذكور بقدر ما كان محبوباً من الرعايا الاسبانيولين نظراً
 لحسن تصرفه معهم كان بعكس الامر مكروهاً من الهنود لسوء معاملته اياهم. فلما
 بلغ ايزابله جور الاسبانيولين على الهنود صدر امرها برفع المظالم عنهم ومعاملتهم
 باللطف ولم يطل ذلك اذ ماتت هذه الملكة فادخلهم الوالي ثانية في الاسر
 والعبودية ومن جرى ذلك هلك بعضهم من الانعاب الشاقة التي كانوا
 يكابدونها وبعضهم قتلوا انفسهم بايديهم ليخلصوا من تلك الشقاوة. ومن ثم
 صاروا يتنافسون على وجه سريع ولم يمض عليهم ١٥ سنة حتى اصبحوا نحو ٦٠
 الف نسمة بعد ان كانوا عدداً غفيراً. وسنة ١٥٠٨ عزل ذلك الوالي واقيم
 مكانه دون ديبغ ابن كولمبوس حيث اثبت لنفسه وراثته حقوق ابيه فلم يات هذا
 التغيير بنتيجة حسنة للهنود بل لم تات سنة ١٥١٦ الا وتناقص عددهم الى ١٤
 ألفاً فانصرف للهنود جملة من الاسبانيولين والمرسلين الذين حضروا من اوروبا
 لتبشير الاهالي وتنصيرهم واعترضوا الحكومة في ذلك الامر المنكر وكتبوا الى
 الدولة في مادريد يعلمونها بواقعة الحال فلم تلتفت الى اقوالهم

وبينا كان اهل الرافة والشفقة يتصرفون للهنود بدون نتيجة كان لا يزال
 الاسبانيوليون مستمرين على اكتشافاتهم. ففي سنة ١٥٠٨ توغل جوان
 بونس دي ليون في جوانب جزيرة پورتوريكو واستبعد اهلها وعاملهم كما عامل
 رفاؤه اهل اسبانيولا فلم يمض عليهم الا زمن قليل حتى انقضوا واضمحوا
 بالكلية. وفي اثناء ذلك طاف سياستمان او كيهو حول جزيرة كوبا وعلم انهما
 ليست ارضاً فارغة كما كانوا توهموها قبلاً. وفي سنة ١٥٠٩ طاف رجلان اخران
 كانا قد اكتشفا في السنة الماضية اقليم بوكاتان الواسع فجالا في اماكن عديدة
 حتى وصلا الى الدرجة الاربعين من العرض الجنوبي وعادت رحلتها هذه
 بالمنافع على الاسبانيولين اذ استتبعوا منها في شان امتداد اميركا فوائد كثيرة
 اصح مما كانوا استتبعوها سابقاً وعن لم عند ذلك ان يصنعوا لم منازل
 ومستعمرات جديدة. وكان اول من انشأ مستعمراً نونيز بالبويا في خليج داريان

وترأس عليه . وسنة ١٥١١ قصد دون دييغ كولمبوس ادخال جزيرة كوبا تحت الطاعة وقلد رجلاً من اتباعه يدعى فيلاسكيز ادارة هذا المشروع . فلما علم اهل كوبا قدوم الاسبانوليين اليهم نهضوا لمقاومتهم تحت راية رئيسهم هانوي فزعم الاسبانوليون وبددوا ثلهم واسروا قائدهم المذكور وحكموا عليه بالموت حرقاً بالنار فربطوه الى عمود وجعلوا تحته الحطب . فيما هو على تلك الحالة اذ وافاه راهب فرنسيسكاني فاخذ يرغبه في الديانة المسيحية وبشجته على الموت ويطلب اليه ان يتنصر وبعده بنعيم الفردوس ان مات مسيحياً . فقال له ذلك المسكين هل في الفردوس الذي ذكرته لي احد من الاسبانوليين . فقال له الراهب نعم ولكن لا بدخلة الا الاخبار الصالحون فقط . فاجابه الهندي قائلاً وهل بين الاسبانوليين صالحون ان هذا من المستحيل واما انا فلا اريد قط ان اذهب الى مكان يجعني بواحد منهم ثم مات وهو في لمب النار . فمن هنا نرى درجة كراهية سكان اميركا للاسبانوليين

وسنة ١٥١٢ سافر بونس دي ليون بقصد الاكتشاف فلما جاوز جزائر لوكايس قصد الجهة الجنوبية الشرقية واكتشف جزيراً من ارض القارة الشمالية فسمه فلوريدا . وكان قد بلغه من بعض الهنود ان بقرب خليج بهاما في احدى جزائر لوكايس المذكورة عين ماء كل من اغتسل فيها من ذوي الامراض شفي حالاً وان كان شجماً عاد شاباً . فصدق بونس هذه الخرافة واستمر مدة طويلة وهو يطوف ويبحث عن تلك العين ولكن مع ان تنهيشه كان على اوهام خرافية تتج عنه منافع جسيمة وفي معرفة خليج بهاما على وجه حقيقي فان الملاحين بعد ذلك اخذوا في سلوكه الى اوروبا

وسنة ١٥١٢ بلغ بالبوا حاكم داريان من احد مشايخ البلاد انه على مسيرة ستة ايام للجهة الجنوب يوجد محيط آخر يكتنف ولاية عظيمة بكثرتها الذهب حتى ان اهلها يستعملونه في الاشياء التي لا طائل تحتها . وكان هذا الخبر اول دليل للاسبانوليين على وجود ييرو فبادر بالبوا لتأكيد ذلك وسار

من يومه بقي رجل ولم يبال بكل الصعوبات التي حالت دونه ودون
المرغوب . وما برح يتوغل في مسيره حتى اشرف على الاوقيانوس الجنوبي
واستولى على اطراف شطوطه وتحقق من هتود هذا الساحل انه يوجد على البعد
من الساحل المذكور في الجهة الشرقية مملكة قوية غنية فصم على افتتاحها ولكنه
لم يجسر ان يتغلبها في شرذمة قليلة من الجنود بل آخر ذلك الى وقت آخر
وارتد راجعاً الى سلت ماري كربي ولايتو وبعث الى اسبانيا يخبر الدولة في
ذلك الشأن طالباً الامتداد لانجاز هذا المشروع . فبعثت الدولة عمارة بحرية
مجهزة بالمهات والعساكر تحت لواء پدرارياس وقلدته حكومة داربان . وسنة
١٥١٥ سار جوان دبار بجانب اميركا الجنوبية وتوغل في تلك الاطراف حتى
اشرف على مصب ريو دولا بلانا وهو نهر عظيم من هذا الجزء فتتله الهنود
الذين ياكلون لحوم البشر وقتلوا ايضا بعض اصحابه فارند من بقي منهم الى اوروبا
ولم يتدوا في استكشافاتهم اكثر من ذلك خوفاً من العواقب . وسنة ١٥١٨
اكتشف الاسبانوليون بلاد المكسيك ولزيادة الابضاج سفتح لها فصلاً مخصوصاً

الفصل الرابع

في الاستيطانات الاوروبية

ولما انتشر في اوروبا خبر اكتشاف العالم الجديد والمكاسب التي كان
الذاهبون اليه يحصلون عليها اخذ الناس بهاجرون اوطانهم ويقصدونه افواجا
افواجا ويبنون لهم مستعمرات ويستوطنون فيها . فكان اشهر من قصد تلك
القارة بعد الاسبانوليين الفرنسيون والبرتوغاليون والانكليز والهلنديون

ولول قسم استوطنوه مواحل اميركا الشمالية . فان احد الفرنسيين المدعى
جس كارنيا كان اول من اكتشف بوغاز ونهر مارلورنس سنة ١٥٤٣ فبنى
هناك قلعة عظيمة واقام فيها مع جمهور من قومو ثم انضم اليهم بالندريج جامدير
كثيرة من فرانسفاخذوا يبتدون ويجولون في تلك الاراضي والاقاليم الواسعة
حتى توصلوا الى كاندا وسكنوها ثم الى اسكونسيا الجديدة واستولوا على جميع
اراضيها وبنوا لم فيها ابنية وحصونها . وسنة ١٦٠٨ شرعوا في تأسيس مدينة
كويك وبنوا فيها قلعة عظيمة وحصونها بالسلاح والمدافع فاصبحت احسن
مستعمرات اميركا . وعلى نمادي الاوقات صار لم املاك واسعة وكانت فرانسفا
ترسل من طرفها واليا مخصوصا لادارة احكام املاكها ورجالها . وكان الفرنسيون
في وداي ومحبة مع سكان اميركا الاصليين فكانوا يتزوجون من نسائهم ويتعاملون
معهم في التجارة ويحتنون خبرات بلادهم ويشترون منهم الفراء الثمينة بالمخس
الاثمان ويرسلونها الى اوروبا فيربحون فيها ارباحا جسيمة

اما الانكليز فلم يبتدئوا ان يهاجروا الا في اواسط الجيل السادس عشر
ولول محل سكنوه مقاطعة فيرجينيا سنة ١٥٨٤ وهم الذين لقبوها بهذا الاسم
ومعناه عذراء نسبة الى ملكتهم الصابات التي صرفت حياتها بدون زواج .
ولكن لم يلبث هذا الاستيطان زمنا حتى اندثر بالكلية بسبب الامراض التي
استعوزت على سكانه ولكنه تجدد ثانية سنة ١٦٠٧ بواسطة القبطان كريستوفر
نيوبورت الذي هو اول من وضع اساسا لمدينة خمس ناون

وسنة ١٦٠٩ اكتشف نهر هدسون رجل انكليزي يدعى بهذا الاسم وكان
يومئذ مستخدما في مراكب الفلمنكيين فوقع النزاع بين الطائفتين من جهة
النهر المذكور وكان كل من الفريقين يدعي حق الشفعة به فلم يقع بينهما اتفاق
نهائي في اول الامر الا انه دخل في حيز الانكليز فيما بعد . وسنة ١٦١٤ استولى
الفلمنكيون على الاراضي المجاورة النهر المذكور واقاموا فيها ابنية فكان ذلك
اساسا لمدينتي نيويورك والياني الحاليتين . اما نيويورك فذعوها امستردام نسبة

الى عاصمة بلادهم في هولندا وبقيت في ايديهم الى سنة ١٦٦٤ حين تنازلوا عنها
للانكليز بعد وقائع شديدة

وسنة ١٦٢٠ ذهب الى اميركا قوم من الانكليز الاتقياء مع نسائهم ولولادهم
وقسوسهم في مركب يقال له ميفلاور كانوا قد طردوا من انكلترا بسبب
اضطهاد ديني فاستوطنوا في الجهات الشمالية من البلاد المتحدة وبنوا لهم فيها
أكواخا وصاروا يتعشون من الصيد والزراعة ولكن ليس بدون مشقات وأكدار
شديدة سواء كان من حالة الاحياج ام من مقاومات الاهالي المتوحشين . ثم
انضم اليهم شعوب اخرون من اهل الفاقة والاحياج فاخذوا يتحدون في تلك
البراري الشاسعة ويقبضون فيها الابنية المختلفة فاصبحوا في برية وجيزة اربعة
جماهير غفيرة متفرقين في اربعة اماكن مختلفة الاول في بيلماوث الثاني في
ميساشوسنس الثالث في كونكتيكوت والرابع في نيوهافن . وكان لكل من هذه
المقاطعات حكومة خصوصية ولاربعة اتحاد واحد ومجلس عام يجتمع فيه كل
سنة نواب من طرف المقاطعات الاربع المذكورة لاجل المفاوضة في ما يتعلق بخير
الشعب وسن النظمات المنتضة لحفظ الراحة العمومية

ولما كان كارلوس الاول ملكا على انكلترا وهب احد اشرف بلاد
المدعو لورد باليمور اقلية من اراضي اميركا الشمالية فانها سنة ١٦٣٤ بنتي
نسمة من الانكليز الكاثوليكين وعمروها وسموها ولاية ماري لاند اي ارض ماري
نسبة لماري زوجة كارلوس المذكور . ثم سنة ١٦٨١ شرع رجل انكليزي يسمى
وليم بن في غمار اقليم بنسلفانيا فاخذ يشتري من الهنود بعض الاراضي ويصلحها
للزراعة ويقم فيها الابنية حتى صارت في وقت قصير من المستعمرات المهمة وهكذا
بالتابع امتلأت تلك الاقاليم بالعائر والابنية المختلفة . ولكن لم يكن للانكليز
سلم في مستيطانهم لان الفرنسيين والاسبانيوليين كانوا يقاتلونهم اشد مقاومة
ويظهرون لهم العداوة ويوقعون بهم الضرر اما جهاراً او بواسطة الاهالي . وكان
الفرنساويون كثيراً ما يتحدون مع الهنود على محاربتهم فيقتلون منهم ويأسرون

ويعرفون قرام فكان ذلك يزيد العداوة المتأصلة بين الاثنين ويضيف على الاتحاد القديمة البغض الشديد وروح الانتقام. وبالجملة كانت المنازعات بينهم متصلة دائمة والخصومات والحروب غير منقطعة فمن اراد الوقوف على اخبارها وتفاصيل احوالها فعليه بطولات الاسفار

واذ كانت مدينتا كويك ولوبزبورك من احسن وامنع مستعلكات فرنساويين في اميركا كانت اعين الانكليز منجبه اليها لاسما كويك لانها كانت مفتاح كل ولاية كاندا. فقصدها سنة ١٦٢٩ السارد دافيد كاتز مجبور من الانكليز وانفتحها فبقيت في ايديهم الى سنة ١٦٣٢ حين التزموا ان يرجعوها. وسنة ١٧١١ ارسلت الحكومة الانكليزية عمارة بحرية مع ٧٠٠٠ جندي تحت لواء الاميرال سار هاندن والكر بقصد ضرب كويك واستيلائها من فرنساويين. فلما وصلت السفن الى فم نهر مارلورانس وشرعت في الدخول غطاها ضباب حالك حجب عنها ضوء النهار ثم هبت ريح عاصفة عتب ذلك الفت ثمانيا منها على الصخور فكسرتها وانلقها فاتي ذلك بمخسرة جسيمة على الانكليز اذ فقد منهم في تلك الحادثة نحو الف شخص ما عدا خسارة المراكب وما فيها من المهمات والمؤونة والتزم الباقون ان يتوقفوا عن سيرهم لاختد كاندا وسنة ١٧٤٥ اجمع راي الانكليز على ان يستخلصوا من فرنساويين مدينة لوبزبورك الكاتنة في راس بريتون فارسلوا اليها فرقة من الجنود بقودها رجل تاجر من مدينة بوستون يقال له ولم باهريل صاحب دراية ونشاط ولكنه عدم الخبرة في فنون الحرب وابواب القتال. وكانت جنوده تجهل ايضا امر الحرب لانها ماخوذة من وراء الخراف والآت الصنائع غير معتادة على مواقف الاهوال فاحاطت بالمدينة وبعد مهاجمة خمسة عشر يوما اختتمتها عنوة ولكن بعد نهاية الحرب ارجعتها الى فرنساويين ثم استخلصتها ثانية سنة ١٧٥٨ بمناظرة الجنرال ولف

وفي السنة التالية زحف الجنرال ولف المذكور بمساركر لانتاج مدينة

كوبيك فحالت عدة صعوبات بينه وبين اخذها نظراً لمناعتها وارتفاعها وكثرة عدد محافظيها من داخل ومن خارج اذ كان بحسب امتلاكها امراً مستحلاً. ولكن اذ كان الجنرال ولف من ذوي الشجاعة ومتعوداً خوذ المعامع والقتال الاخطار لم بدع تلك الصعوبات تمتعاً من نوال المرغوب فعزم على فتح المدينة قوةً واقتداراً ولو اضطره الامر الى فقد حياته وصم على مهاجمتها. فصعد بجندِه ليلاً الى جهة مرتفعة وهناك اخذ مركزاً مساوياً لمركز المدينة وعند الصباح اقتحمها بعسكره. فصدمة الماركيز موتكالم بجيوش فرنساويين واشتبك القتال بين الفريقين فكان يوماً عظيماً اشتد فيه الويل من هجمات الرجال والابطال وسقوط الكرات والرصاص المتوالية. هذا والجنرال ولف في مقدمة صفوفه يشدد الرجال بالكلام ويحثهم على الهجوم والافتحام. وكان قد جرح في موضعين ولم يرض ان يفارق ساحة المعركة حتى أصيب برصاصة ثالثة فالتفت طريحاً على الارض. ولما بش من السلامة حمله العسكر الى مضربه وبينما كان في ألم شديد وهو على اخر رمق سمع رجلاً ينادي ويقول انهزموا. انهزموا فسال من هم الذين انهزموا اجابه احد الفواد وقال فرنساويون فروا وانهزموا ونحن انتصرنا وقهرنا فقبض وظهروا على وجهه علامات الفرح وقال اني اموت الان مسروراً ثم اسلم الروح. وهذا السرور نفسه شمل الماركيز موتكالم ايضاً لانه كان قد أصيب برصاصة فائتة ولعله بانتصار الانكليز قال وهو في حالة التراجع اني اموت فرحاً مسروراً بحيث لا ترى عيناى تسليم المدينة. وبعد ذلك بايام يسيرة سلمت مدينة كوبيك للانكليز. وسنة ١٧٦٣ جرت معاهدة الصلح في باريس وتنازلت فرنسا للحكومة الانكليزية عن جميع ولايات كندا وعن جميع املاكها الشمالية وهي باقية الى الان تحت تسليطها

الفصل الخامس

في البلاد المتحدة الاميركانية

الباب الاول

في وصف البلاد المتحدة وذكر الاسباب التي هيأت
انفصالها عن انكلترا

يحد هذه البلاد شمالاً الاملاك الانكليزية وشرقاً الاوقيانوس الانلاتيكي وجنوباً خليج مكسيكو وغرباً الاوقيانوس الباسيفيكي ومساحتها كمساحة قارة اوروبا تقريباً وعدد سكانها بحسب تعداد سنة ١٨٦٠ بلغ ٢٢ مليوناً بما فيه الهنود الذين يبلغون ٢٠٠ الف نسمة تقريباً واما الان فيؤكدون ان عدد الاهالي هو ٤٠ مليوناً. ولكن كثير من القسم الغربي من هذه البلاد اما مهجور او مسكون ببعض الناس المتفرقين بين قبائل الهنود. وكانت البلاد المتحدة تنقسم قبل الان الى ١٣ ولاية واما في هذه الايام فهي ٢٤ ولاية متحدة اتحاداً واحداً وهذه اسمائها. الاولى مين. ثم نيومشير. وماساشوسنس. وفرمونت. ورود ايلند وكونكتيكت. ونيويورك. ونيوجرسي. وبنسيلفانيا. ودلاوير. وماريلاند. وفيرجينيا. وكارولينا الشمالية. وكارولينا الجنوبية. وجاروجيا. وفلوريدا. والاباما. وتينيسي. وميسيسيبي. ولوزيانا. وتكساس. ويسكونسين. وايوا. وميسوري. وايلينوي. وانديانا. ومشيكان. وواهايو. وكتوكي. واركانساس. وكلفورنيا التي

ظهر فيها معدن الذهب ١٨٤٨ ومنيستونا . وكانساس . ولور يكون . ولكل من هذه الولايات حاكمٌ مخصوصٌ بقيمة الشعب بالانتخاب على مدة معينة ما عدا القضاة فانهم ينتخبون على مدة حياتهم ولا يعزلون الا تحت جنحة او ذنب . وجميع هذه الولايات متحدة اتحاداً عاماً تحت نظارة رئيس عام ومجلسين كبيرين في مدينة واشتوتون العاصمة بحضرها وكلاء الولايات المذكورة لتدير امور البلاد والمخارة في ما يتعلق بالعلاقات الاجنبية . وما عدا الولايات المار ذكرها اقاليم أخر لم تدخل بعد في المعاهدة العمومية لقلة اهلها ومقاطعة واحدة لها معاهدة خاصة بها يقال لها مقاطعة كولومبيا

وفي هذه البلاد كثير من الانهر العظيمة والترع الكبيرة والجبال المرتفعة ما لا سيل الى ذكره هنا . اما تربتها فجيذة وحواصلها كثيرة متنوعة . ومن اعظم واغني نتائجها القطن والسكر والبن والحبوب المختلفة . وفيها كثير من المعادن اخصها الذهب فانه وجد منه مفادير وافرة سنة ١٨٤٨ في ولاية كليفورنيا ولحد الان يقصدها الناس من جميع الجهات ويستغلون في استخراج

اما الديانة الغالبة في هذه البلاد فهي البروتستانتية . والعلوم فيها ناجحة الى الدرجة القصوى ووسائط التعليم كثيرة فان فيها عدداً كبيراً من كل رتبة المدارس . اما المطابع فيها فتكاد لا تُعد لكثرتها ويسبب ذلك تنازل اسعار الكتب والجرائد وتسهيل وسائط التنوير . واما اهلها فيعدون من الرتبة الاولى في التنوير وحسن الصفات . ولم رغبة شديدة في التقدم والتجّاح وشهرة عظيمة في الحزم وقوة الجنان وهم بوجه الاجال من اهل اللطف بحقوق السلام وخير القريب . وما يستحق العجب تكاثر عددهم ونموهم الى الدرجة التي هم عليها الآن في وقت قصير اعني في اقل من ٢٠٠ سنة على ان عدد الذاهبين الى تلك البلاد من الانكليز والفلنك والاسوجيين وغيرهم منذ ارتحالهم اليها الى وقت استقلالها البلاد لم يزد عن مليوني نسمة فيسبب ان تكاثرهم الى هذه الدرجة ليس من التسلسل او غلب الذرية بل من استدامة انضمام الناس اليهم ولا سيما

من الاملاك الانكليزية المجاورة لم

اما الاسباب التي اوجبت الاميركانيين ان يتصلوا عن انكلترا اهم فليست هي الا جور العمال الانكليز والمظالم التي اجروها عليهم في تلك الاطراف . فلا يخفى انه عند ما كثرت الاهالي في البلاد المتحدة وصار لم فيها املاك واسعة سواء كان بالشراء ام ما اكتسبوا في حروبهم مع الهنود قسم الحكم الانكليزي البلاد الى اقسام شتى وارسل اليها عمالا ليقوموا باشغالها ويدبروا اعمالها فاخذ هؤلاء العمال يثقلون على الاهالي ويجورون عليهم حتي الزموم ان يشكوا من سوء معاملتهم ويستخرجوا من الدولة الانكليزية التخفيف عنهم فاجابت طلبهم وصدر حينئذ امرها بعزل اولئك الولاة وان ينصب غيرهم بانتخاب الاهالي بحيث يبق للحكومة الانكليزية السطط العام فلم يات ذلك بعظيم فائدة ولم يحصل الشعب من ذلك الامتياز الظاهر على راحة بل بقوا على ما كانوا عليه من المتاعب والانتقال

وفضلاً عما تقدم لما رأت الحكومة الانكليزية نـجـاح الشعب وتقدمه في الثروة قصدت ان تنظف منه بعض المكاسب لذاتها فسعت في ضرب المال على الاهالي . وكان اول شيء اجرته انها اصدرت حكماً مجلسياً سنة ١٧٦٥ لاجل استعمال الطوابع في البلاد المتحدة على جميع صكوك المبيعات والمضابط والمعاهدات وغيرها وان كلما كان محرر على ورق بغير طوابع يكون غير صحيح ولا يعمل به واقامت اناساً مخصوصين لهذا العمل وسلمتهم تلك الاوراق ليبيعوها للاهالي بالثمن . فاناف الاميركانيون من ذلك جداً ورفضوا هذه الاجراءات واستعظموها ليس فقط هرباً من دفع ثمن الورق في المستقبل ولكن خوفاً ما سوف يحدث من المنازعات والدعاوي التي تنصدر عليهم من جهة املاكهم المستولين عليها من مدات مستطيلة يعني وضع اليد من دون صكوك شرعية على اوراق اميرية . فلذلك عند الاهالي جمعية عمومية في مدينة نيويورك استقرت اراؤهم فيها على عدم قبول ما شرع به الحكم الانكليزي ثم قدموا معروضاً للملك والجلوس

الإشراف والعامّة في لندن يسترحمون رفع تلك الضريبة ورفضوا من ساعته
مشتري الورق المذكور وعاملوا من هو منوط في بيعه أسوأ معاملة . فالتزم
حيث الحكم الانكليزي ان يبطل ذلك القرار

ولكن اذ كان لا بد للدولة الانكليزية من ان تربط اهالي المستعمرات
الاميركانية وتخضعهم لاحكامها لانهم رعاياها اصدرت قراراً بالزام الاميركانيين
الى دفع رسم جمرك على الشاي الوارد الى بلادهم ونشبت في اجراء ذلك ولو
بالقوة الجبرية . فلم يقبل الاميركانيون ايضاً بهذه الضريبة الجديدة واطهروا
النور وعدم الامثال فالتزمت حيث الحكم الحكومة ان تستعمل القوة الفاصبة
لاقتيادهم الى الطاعة . فلما كانت سنة ١٧٧٣ اشرف على ميناء مدينة بوسطن
ثلاث سفن انكليزية مشحونة بالشاي . فتزل اليها ليلاً بعض الاميركانيين وهم
متشكرون في زي الهنود والقوا كل ما فيها من الشاي الى البحر . فلما بلغ خبر
ذلك الى انكلترا استشاطت الحكومة غيظاً وحنقاً من وفاحة اولئك القوم وعدم
انقيادهم لاحكامها واذ رأت ان تسلطها عليهم آخذ في الضعف والاضطراب
عمدت على اخضاعهم بقوة الاسلحة . فارسلت جيوشاً وقواداً لحرهم واذلالم

الباب الثاني

في استقلالية البلاد المتحدة وحوادثها الى هذا اليوم

فلما رأى الاميركانيون ما عزم عليهم الحكم الانكليزي من ضررهم واخضاعهم
اخذوا يجهزون للقتال ويستعدون للثral ودفع القوة بالقوة . اما الانكليزي
فانوا بعارنهم المحرّية الى مدينة بوسطن واذ علم قائد الجيش بان اللاميركانيين
بعض مدافع وادوات حرية في مكان يقال له كوناكورد بالقرب من بوسطن
بعث ٨٠٠ جندي لاثلاف تلك التجهيزات . وعند وصولهم الى تلك الجهة نجحوا

بانتلائها ثم القاهم الاميركانيون وصدومهم صدمة قوية فهزموهم وارجعهم الى المدينة بعد ان قتلوا منهم ٢٧٠ نفراً وكان ذلك اول واقعة جرت بين الطرفين. ثم اخذ الاميركانيون بتمهيزون باكثر نشاط وغيرة ويجمعون حتى انه في برهة وجيزة بلغ عدد التجمعيين حول بوسطن وضواحيها عشرين الف مقاتل. وفي الحال اجتمع ارباب الديوان العام في مدينة فيلادلفيا وعقدوا مجلساً لاجراء التدابير اللازمة فاستقر الراي على مداومة الحرب وتحرير بلادهم من ايدي الانكليز فقلدوا الجنرال واشنتون وكان من شجعان الرجال في ادارة الحرب وولجوه بالحماماة عن الوطن



الجنرال واشنتون

ولما كان مقصد الاميركانيين طرد الانكليز من بوسطن صعدوا ليلاً على تل عال يقال له تل بنكر يكشف المدينة واخذوا فيه مركزاً محكمًا وشرعوا في

تحصينه بإقامة الخاريس فيه . فقاومهم الانكليز اشد مقاومة . وحصد اليهم ثلاثة الاف من العسكر ووقع بينهم قتال مرير ثم تداركت بينهم الحملات والهجمات بضرب السيوف وطقس الحرايب فانتصر الانكليز في تلك الواقعة على الاميركانيين وطردوهم من ذلك المركز ولكنهم خسروا أكثر من ثلث جمهورهم . اما الاميركانيون فلم يفتن عزيمتهم من خصالهم المركز المذكور ولجئوا مثابرين على المعاصرة والمقاومة ولقاهم الجنرال واشنطن القائد العام الحصار على يوسن بعد ان كان استولى على المستعمرات والقلع الجاورة لها . وفي ١٧ اذار سنة ١٧٧٦ التزم الانكليزان بتسليم المدينة . وبسبب الى مراكزهم بعد اخراجهم اكثر الاسلحة البحرية . وبينما كانت الحرب قائمة على قدم وساق في هذه الاطراف من البلاد ارسل الجنرال كانيون فرقتين من العساكر تحت لواء بعض الفراد لانتهاج كندا . وضرب الانكليز هناك فلم ينجحوا في مشروعه وفي اثناء مهاجمتهم مدينة كويلشفتيل قتلده جيشهم وتفرق شمل جنودهم فرجعوا بالخيبة والفشل

ولما كان اليوم الرابع من تموز سنة ١٧٧٦ قرّر الدايوان الكبير المتعقد في فيلادلفيا بوجوب استقلالية البلاد المتحدة وطرح نير الانكليز فغادوا بالبحرية بعد ان اخفوا عهوداً على معاصرة الجمهور في انام ذلك غير مباين بالصعوبات والاضطار المحقة بهم ففسروا رايات الحرب واستعدت جماهيرهم للقتال والذلال وانتشبت الحروب بين الطرفين حتى لم يعد سبيل لاتحاد نارها لان الاميركانيين كانوا قد صموا على عدم الطاعة والانقياد لاحكام الانكليز مهاكلهم ذلك . وكانت فرانسوا واسبانيا وهولندا نظراً لما هن من البغض والنفور لانكلترا يجر كن الاميركانيين على العصيان وبعدتهم بالمساعدة والامداد عند الحاجة والازوم . فاستمرت الحروب بين الانكليز والاميركانيين مدة ثمان سنين متوالية وجرى بينهم عدة مواقع كبيرة وصغيرة يطول شرحها كانت الفوز والانتصار في اكثرها للانكليز ما عدا واقعتين عظيمتين فانها خسرت بها خسارة جسيمة وانتصر عليها الاميركانيون انتصاراً عظيماً . اما الاولى فحوت في ساراتوكا سنة ١٧٧٧ وكان

قائد جيوش الانكليز الجنرال بوركون وقائد جيوش الاميركان الجنرال كينس اشتد فيها القتال وانتهى الامر بانحصار الانكليز في مراكزهم حتى لم يعودوا قادرين على الانسحاب فالتزموا ان يسلموا انفسهم للاعداء وكان عدد من قُتل وجرح وأسر منهم نحو ٢٠٠٠ نفس . فهذا الانتصار انعش قلوب الاميركانيين وشدت عزائمهم وجعل فرانسبا تبعث جنوداً ومراكب لمساعدتهم . واما الواقعة الثانية فحدثت سنة ١٧٨١ بين الجنرال واشنطن وبين لورد كورنواليس في مدينة يورك التابعة ولاية فيرجينيا حيث كان اللورد المذكور معسكراً ومنتظراً الامداد من المعسكر المقيم في نيويورك . فانتهر واشنطن تلك الفرصة المناسبة واظهر من التدابير ما يدل بان غاية قصده مهاجمة نيويورك . فجعل ذلك واليها السار هنري كلينتون يتأهب للدفاعه ويتنعم عن ارسال الامداد للورد كورنواليس فاتي ذلك بما رآه واشنطن . ولما تم له ما اراد حول عنان عزمه بسرعة غرية الى مدينة يورك وبعد ان اختلط بعسكر فرانسبا الذي كان قد حضر في السنة الماضية اقحم جنود الانكليز وامسكت العارة الفرنسية عليهم فم نهر يورك لتنع عنهم الامداد والذخائر فحصل بين الفريقين معركة هائلة وبذل اللورد كورنواليس كل الجهد في ملافة العدو ومصادمته فلم يجده ذلك نفعا والتزم اخيراً ان يسلم في ١٩ من ١٧٨١ مع من معه من الجنود وكان عددهم سبعة الاف نفس . واستولى الفرنسيون على بارجين حريتين وعشرين سفينة ومقبة مشحونة بالمهمات والذخائر .

فهذه الضربة مع انها آلمت بالانكليز واضعفت امالم لم تمنعهم عن مداومة القتال ولم تكن سبباً لانسحابهم من ميدان القتال لانهم لبثوا مثابرين على عزمهم بعد هذه الحادثة مدة سنتين من الزمان ناشرين الوية الحرب غير مباين بخسائرهم ولا مقرين للاميركانيين باستقلاليتهم . ولم يكن امراً صعباً على انكلترا ان تستمر على تلك الحال زماناً طويلاً في مقاومة اعدائها ومصادمهم ولكنها اذ رأت من الجهة الواحدة ان التشبث في ذلك الامر لا ياتيناها بالمرغوب لان

الشعب الاميركاني كان مصراً على المجاهرة والمناضلة تحت اية كلفة كانت وان اتصاراتها عليهم في عدة مواقع مشهورة لم تكسبها الا اراضي خربة ومستعمرات خالية من السكان . ومن الجهة الاخرى اذ كانت فرانس واسبانيا وهولاندا متحدات على محاربتها في اوروبا واسيا ومجتمعات في مقاومتها ونزع ما امكن من املاكها وسطوعها كان امراً مستحيلاً على انكثرا ان تقابل اعدائها بقوة كافية في كل الجهات وتغوز عليهم جميعاً فلذلك عمدت حكومتها على ترك مشروع اخضاع الاميركانيين والانسحاب من تلك البلاد في صيف سنة ١٧٨٣ ابتدأت جنودها ان ترحل راجعة الى اوطانها . وفي شهر ايلول من السنة المذكورة وقع الصلح في بارينروجرت المعاهدة بين الدول المار ذكرها على ان انكثرا ترجع لفرانسا اراضي السنيكال الكائنة في غربي افريقية وان ترجع لاسبانيا اقليم فلوريدا في اميركا الشمالية وان تقر باستقلالية البلاد المتحدة وعلى هذا الوجه انتهى النزاع وترك الاميركانيون اسلحتهم والتفتوا الى اصلاح بلادهم وترتيبها

وقد اشتهر الجنرال واشنتون شهرة عظيمة في اثناء محاربة الانكليز ليس فقط لبسالته ودرايته في فنون الحرب ولكن لتدابيره المحسنة وثباته وحسن مقاصده لانه مجال انفكك الحرب قصد اكثر جماهير الشعب الاميركاني ان يقيموا عليهم ملكاً فلم يقبل . وغب نقديهم دفاتر الحمايات والمصاريف للديوان اصرف القواد الذين كانوا تحت رياسته ثم اصرف نفسه ايضاً وانسحب الى منزله . ومن اشتهر ايضاً في الحروب المذكورة ويعتبره الاميركانيون اعتباراً عظيماً الماركيز لافايت وهو رجل فرنساوي ذهب الى اميركا اذ كان عمره ٢٠ سنة بفرقاطة على نفقة نفسه واشترك مع الاميركان على حرب الانكليز واظهر من الخلوص والبسالة ما لا مزيد عليها ولم تنحصر مساعدته في تقديم ذاته فقط ولكنه قدم من امواله ما امكن للوازم الحرب . فكان الشعب الاميركاني ممنوناً له بهذا القدر حتى انه في سنة ١٨٢٤ عندما رافت البلاد واستراحت دعوه من فرانسا

لزيارتهم واحتفلوا به احتفالاً عظيماً وأهدته الحكومة مبلغاً مقداره ٢٠٠ ألف ريال مع قطعة أرض غنية في ولاية فلوريدا

ولما استغل الاميركانيون اخفئوا يسعون في ترتيب حكومة لبلادهم فنظم علماءهم وقضاةهم سنة ١٧٨٩ الترتيب الجمهوري الحالي فجعلوه دستوراً لهم وقانوناً لشراعتهم. وكان اول من انتخبوه ليكون رئيساً عاماً للجمهوريينم الجنرال واشنطن واخملوا جونف ادامس نائباً له فاقننا واجبات ماموريتها واصلحا احوال البلاد فزادت رغبة الاهالي بها وانتخبوها على اربع سنين اخرى. وفي سنة ١٧٩٤ افتتح باب النزاع ثانية بين حكومة البلاد المتحدة وانكلترا. وكان السبب في ذلك ان الاميركانيين كانوا يتعاملون مع الفرنسيين ويبيعونهم غلات بلادهم بينما كانت انكلترا مشتبكة في حرب معهم. فاغناظت الحكومة الانكليزية من هذا القيل ونسبت الى الاميركانيين الاشتراك مع اخصلها فاصدرت الاوامر لعاراضيها البحرية ان تفش كل المراكب الاميركانية حتى اذا وجد منها ما هو مشهور بالحبوب يحجز عليه. فذه المعاملة مع عدم نخلة الانكليز لبعض اماكن البلاد المتحدة ما كان يجب تسليها وتخليها للاميركانيين بحسب معاهدة سنة ١٧٨٣ اوجبت الحكم الاميركاني ان يحجز كل مراكب الانكليز الموجودة في مواني بلادهم مدة ثلاثين يوماً. فادى ذلك الى الخصام والنزاع ولكن ثُوركة الامر بالخبايا والمداولات وارسل الاميركانيون معجلاً من طرفهم الى بلاد الانكليز ففقدوا مع حكومتها معاهدة تجارية فيها تجددت الحقوق والضرور التي من شأنها ان تمنع بواعث النزاع

وسنة ١٧٩٧ توفي الجنرال واشنطن في سن الثمانين وترك المحزن والاسف لجميع ابناء وطنه لانهم كانوا يحسبون رئيساً لاستقلاليتهم وآباء للجمهوريينم. فاتخذوا مكانه جون ادامس الذي كان وكيلاً ونائباً وجددوا القنابة عند نهاية مدة الاربع سنين. ثم خلفه توماس جرسون الذي اشتهر مدته بمشترائه من فرانسا ولاية لويزيانا الوسيعة بمبلغ خمسة عشر مليون ريال سنة ١٨٠٣

وسنة ١٨١٢ تمكرت السياسة ثالثة بين الامتين المذكورتين وسبب ذلك ان انكلترا عندما كانت في ارتباط عظيم من جهة افتتاحات نابوليون الاول وامنداد سطوة فرنسا في اوربا كانت مجتهدة كل الاجتهاد في توقيف ذلك التقدم والنجاح حبا بحفظ الميزانية الهومية ولذلك اشتركت في اشهار الحروب ضدها . وكانت تجهد باتباع شديد على توقيف كل ما من شأنه ان يؤدي لقوية عدوتها ولاجل نوال الغاية المذكورة كانت كلما عثرت مراكبها بسفينة اجنبية تطاردها وتفتشها فان وجدت فيها شيئا من الامداد والمهمات المشبوهة تضع يدها عليها ونجزها . فحدث يوما ان البارج الانكليزية التفت ببعض السفن الاميركانية فقبضت عليها وفتشتها وبعد ان اخذت ما ارادت منها اشبهت في ان بعض الملاحين هم من رعاياها فاخذتهم ايضا ومنعهم عن خدمة الاجانب ولم تلتفت الى تأكيد الاميركانيين بان اولئك الرجال هم اميركانيون ومولودون في البلاد المتحدة . فانف الحكم الاميركاني من هذه المعاملات وحسبها عارا وامانة في حق وفي ١٨ حزيران من سنة ١٨١٢ اشهر الحرب على الانكليز وانتشرت رايانها وزحف جيوش الاميركانيين على الاملاك الانكليزية التي في جوارهم واصطلت نيران القتال بين الفريقين ووقع بينهم عدة وقائع براء وبجرا كان النصر فيها نارة للفريق الواحد ونارة للآخر . وقد اشهر وفتش الاميركانيون في معاركهم البحرية لانهم اتصروا في اكثرها واما في الوقائع البرية فكان النجاح للانكليز لانهم استولوا على العاصمة الاميركانية واحرقوا ابنتها الفاخرة بعد ان كانوا هزموا جمعا غفيرا من الجيش . واما الواقعة الاخيرة التي جرت بين الفريقين في ٨ ك ٢ سنة ١٨١٥ المعروفة بحرب نيواورلينس فقال فيها الاميركانيون فخرًا عظيما اذ فازوا على اعدائهم وقتلوا بهم وهزموهم ولكن لم يحصلوا على مرغوبهم من جهة افتتاح كندا . وبعد قليل وقع الصلح بين الامتين ونمت شروطه في كنت سنة ١٨١٥ وارجعت كل دولة منها للآخرى ما كانت استخلصته منها ولم يعد يقع بينها قتال ولا نزاع من ذلك الوقت

أما الحكومة الأميركية فاخذت بعد عقد الصلح المذكور في اجراء التناير والتنظيمات الحسنة لاصلاح احوال البلاد وسعت في اقامة المباني والحصون ونوسيع دائرة التجارة والزراعة والصنائع وساعد على ذلك ميل الانبالي وجدّم وحيم للوطن . فاقبمت البنوك الكيرة والشراكات التجارية وتأسست المعامل وانشئت الطرق الحديدية وغير ذلك من وسائل التقدم فانضم اليها اقليم بعد اقليم وولاية بعد ولاية حتى اصبحت البلاد المتحدة ٢٤ ولاية كما تقدم القول

وسنة ١٨٤٦ وقع الخصام بين البلاد المتحدة ومكسيكو من جهة اقليم تكساس الذي كان قد انضم للعاهدة الاميركانية مع ان مكسيكو كانت تدعي لنفسها وتكر على اهلها حتى الانضمام للجمهورية . فانهى الحال بوقوع الحرب بين الدولتين وتكافح الفريقان في عدة مواقع واتصر الاميركانيون على المكسيكيين ودخلوا عاصمتهم واذلوم واخبروا عقدوا معهم صلحا بعد ان اخذوا منهم نيومكسيكو وكاليفورنيا بمبلغ ١٥ مليون ريال دفعوه لهم كرمًا وانعامًا خلافا لعادة الامة الظافرة التي من اصطلاحها ان تغرم الامة المغلوبة وتضرب عليها المال . فهذه الحادثة تستفي بالحقيقة ان نورخ في بطون الصحف والتواريخ دلالة على حسن صفات الاميركانيين وصفاء نياتهم

وسنة ١٨٦١ انتشبت الحرب الاميركانية الاهلية التي دامت نحو اربع سنوات وهُرق فيها دماء كثيرة . وسببها ان الحكم الاميركاني كان قد صم على ابطال التجارة بالعبيد وملاشابتها من البلاد المتحدة فلم يوافق على ذلك اهالي الولايات الجنوبية اذ كان لهم في تلك التجارة صواح عظيمة فوقع النفور والخلاف بين الطرفين واستمرت المنازعة بينهما جملة سنين ثم انتهى الحال بانفصال احدى عشرة ولاية من ولايات الجنوب عن الجمهورية والانفكاك من عهودها فاشهروا ذلك علنا واقاموا لانفسهم رئيسا ونظمو قانونا ودستورا فلم تقبل بذلك الولايات الشمالية وحسبته خرقا للعهد . فاضطربت الحرب بين الفريقين ثلاث سنين وانتهت بانتصار الشماليين على الجنوبيين واخضاعهم . وكان يومئذ رئيس

الجمهورية الامبركانية البرازيدنت لينكون وكان رجلاً مدهوفاً ومحبوفاً من ابناء وطنه فحدث انه في ساعة الانتصار التام التي خمدت بها نيران الحرب دخل على رجل مجنون وطعته بسكين قتله بها .

ومن رؤساء الجمهورية المشهورين الجنرال غرانت وهو من شعبان الرجال اشهر في الحرب الاهلية السالف ذكرها موصوفاً بالاستقامة وحسن الدراية انتخبته الجمهورية سنة ١٨٦٩ ولحسن تصرفاته انتخب ثانية عند نهاية مدته الاولى

الفصل السادس

في وصف بلاد مكسيكو وتاريخها

يحد هذه المملكة شمالاً وشرقاً الولايات المتحدة الامبركانية وخليج مكسيكو^٣ وغرباً البحر المحيط . وجنوباً كواتالا والمحيط ايضاً . وهي عريضة في الجهة الشمالية وضيقة جداً في الجنوبية . اما شطوطها فاكثرها واطبة يجتريها من البر بعض خلجان صغيرة . اما الشطوط التي الى جهة المحيط فهي واسعة جداً ومرتفعة اكثر من غيرها . وتخرق هذه البلاد سلسلة جبال صخرية . وفيها براكين كثيرة يبلغ ارتفاع بعضها نحو ٢٠ الف قدم . ويحدث فيها زلازل كثيرة . وراضي هذه البلاد جيدة ولكن قلما يعتني الاهالي بها ولذلك ترى اكثرها مهلاً . وفيها عدة مجبرات عظيمة واثار ابنية قديمة . اما هواؤها فخير في الاراضي المتوسطة واما في السواحل فيشتد الحر زمن الصيف وتكثر امراض الحميات . وفيها كثير من معادن الذهب والفضة والرقيق . وتنقسم هذه المملكة الى ٢٧ ولاية . ومن

مدنها مكسيكو وهي كرمي الحكومة ونيمكو وكيراتيمو وغير ذلك من المئات .
واهلها يبلغون بحسب تعداد سنة ١٨٦٨ فوق التسعة ملايين . والديانة العامة
فيها هي الديانة الكاثوليكية . وحكمها الآن جمهوري . واهلها من الاسبانيولين
وبينهم اخلاط من سكانها الاصليين

اما شعوب هذه البلاد قبل الاكتشاف فكانت مؤلفة من قبائل مختلفة
اشهرها قبيلة الارتيكيين . وكانت منهم عادة وحشية وهي تقديم قرابين بشرية
لالههم الوثنية . وكانوا يقتنصون بعضهم بعضاً في الحروب والمغازي فمن وقع في
ايدي الآخرين ذبحوه ضحية ثم اخذوا لحمه وطبخوه وعللوا عليه وليمة عظيمة .
قبل انه وجد في مكان كومة من حجاج المذبحين على الكيفية المذكورة فأحصيت
فبلغت ١٠٠ الف جمجمة .

اما تاريخها المعروف فيمنذ سنة ١٥١٨ فقط حينما اكتشفها القبطان
يوحنا غريجالا الاسبانيولي . ثم اقتحمها الاسبانيول عن يد فرنند كورتيز في زمن
الامبراطور شارلكان سنة ١٥١٩ بعد عدة وقائع جرت بينهم وبين اهاليها
القدماء . وكان لما ذهب اليها كورتيز المذكور لم يكن معه من العسكر سوى
ست مئة نفر وبعض مهمات حربية . وكان يومئذ موتيزوما ملكاً على المكسيك
فخاف من قدوم الاسبانيولين واشتبه في كونهم بشرام الله وتردد بين مقاومهم
او الاسترحاب بهم فاستصوب اخيراً ان يتخلص منهم بالتي هي احسن . فارسل
الى كورتيز هدايا فاخرة من جلته هلال من فضة وشمس مذهبة وعدة برانس
ثينة مشغولة ومزخرفة بريش الطيور الجميلة واصحب هذه الهدايا بجانب من اثمار
تلك البلاد وزهورها وطلب اليه ان يتحول عن تخومهم ولا يقترب لعاصمتهم .
فهذه الهدايا بدلاً من ان تاتي بالمطلوب اهاجت طبع كورتيز وازالت مخاوفه
وجلته يتصلب على عزمه . فكان يقول للمكسيكيين ان الاسبانيولين طالبون
ذهبا لا هدية وانه معتبرهم مرضي في القلب لا يشفي الا الذهب
ثم ان كورتيز لشدة عزمه ولكي يقطع امل اصحابه من الرجوع احرق مراكة

بالنار وتقدم باعوانه من مدينة فيراكروز الى العاصمة فاستقبله الملك بالاكولم
واضافة احسن ضيافة فقدر به كورتيز وقبض عليه وحبسه . ولما مات في السنة
التالية قام مكانه ابن اخيه كواناموزين الذي وقع هو ايضا في اسر الاسبانوليين
فعدبوه عذابا اليما وبعد ذلك قتلوه واخضعوا البلاد

وبعد ان تم للاسبانوليين هذا الافتتاح ارسل كورتيز يعلم الامبراطور
شارلكان باستخلاصه تلك البلاد فصدر امره بتقليد حكمها . فاقام في مدينة
مكسيكو وجعلها كرسي الولاية ولما استقر له الامر اخذ يرم هذه المدينة ويقم فيها
القصور والحصون حتى اصبحت بالتدرج عروسا بين مدائن العالم الجديد .
وسميت تلك المملكة من ذلك اليوم باسم اسبانيا الجديدة . وبقيت خاضعة لاحكام
الدولة الاسبانولية حتى استقلت تحت الحكم الجمهوري سنة ١٨٣٤ ولكنها لم
توطد فيها الجمهورية كما يجب لانقسام اهلها الى احزاب عديدة

ثم حدثت فيها حروب أهلية اضررت بها كثيرا وكانت دائما في اضطراب
وقلاقل لاختلاف الاحزاب . وسنة ١٨٤٥ تعكرت السياسة بينها وبين الولايات
المتحدة واتشبست الحرب بين الدولتين سنة ١٨٤٦ ودامت سنتين فانتصرت
جيوش الولايات المتحدة في كل قائمها وانتهت حملة مدائن واخيرا دخلت
مدينة مكسيكو قوة واقتدارا . فاضطرت حينئذ دولة المكسيك الى المصالحة .
وسنة ١٨٤٨ تقرر شروط الصلح فاخذت الولايات المتحدة منها الاراضي
الكائنة شرقي ريونورتي ومكسيكو الجديدة وكاليفورنيا الجديدة واعطتها في مقابلة
ذلك ١٥ مليون ريال اميركاني

وسنة ١٨٦٠ بينما كان جوارز رئيس الجمهورية اجهد بعض الاحزاب في
اقامة سلطنة في المكسيك بدل الجمهورية ومن جرى ذلك وقع الاختلال في
اطراف البلاد . ولما اشتد الحال انتخب له وزيراً من اهل الشرف والدرابة
ليكون له معينا ومساعداً على توطيد حكمه . ولكن اذ كانت الملكة يومئذ
مدبونة لانكلتها وفرانسا واسبانيا ديناً باعظاً وكان صندوق الجمهورية في عسر

وضرورة الحال تحتاج الى ملافاة الامر وتديروا من شأنه ان يسكت طلبات اصحاب الديون لم يتمكن جوارز من نوال اربو بحيث امست الحكومة في هرج واضطراب حيثئذ كتب جوارز الى الدول المذكورة يطلب منها مهلة ليتحقق مقدار الديون المطلوبة وهل في امكان الحكومة دفعها بالمقاسطة ام لا الا ان هذا الطلب لم يناسب ارباب الدين وحسبوه من باب المحاولة . فتشبثت حيثئذ انكلترا وفرنسا واسبانيا على اجبار الحكومة لدفع الدين المذكور وانما تقدم لم كفلاء مقتدرين في المال والشرف واذ كان الاوروبيون الفاطنون في المكسيك يتشكون من ظلم الحكومة وجورها في معاملتهم وكان لنابوليون الثالث مقصد سياسي في ابطال جمهورية المكسيك واقامة الامبراطورية فيها اتفقت فرنسا وانكلترا واسبانيا على ضرب المكسيك بينما كانت الولايات المتحدة مشتتة في محاربة الجنوب . ولكن بعد قليل استصوبت انكلترا الانحباب من ذلك الاتفاق وتبعنها اسبانيا اما نابوليون فلم يثن عنما شرع به وارسل سنة ١٨٦١ العمارة البحرية متهمة بالهبات والجهوش الفرنسية الى المكسيك تحت قيادة الجنرال بازين . فلم تنصر الراية الفرنسية كما كان يظن ولم يستول الفرنسيون الا على بعض اساكل مجرية بعد خسائر جسيمة .

فترب حيثئذ في المكسيك حكومة موقفة بدل الجمهورية . ثم اجتمع اشراف البلاد وعقدوا مجلساً قرأهم فيه على وجوب اقامة سلطنة عوضاً عن مشيختهم . فوقع اختيارهم على الارشيدوك فرديند مكسيميليان شقيق امبراطور النمسا فارسلوا في ٣٠ نيسان سنة ١٨٦٣ سفيراً من طرفهم الى الارشيدوك المشار اليه يطلبون منه قبول هذا الانتخاب فامتنع اولاً ثم اجابهم الى ذلك وسافر مع زوجته الاميرة كارلوتة في بارجة نساوية فوصلا في ٢٨ ايار سنة ١٨٦٤ الى مينا فبراكروز ومنها سافرا برا الى مدينة مكسيكو فاستقبلها الاهالي بالفرح والسرور ودخلا المدينة بركب عظيم

وكان هذا الامبراطور متعلماً بجميل الاخلاق فلما تقلد زمام السلطنة

اشتغل بتنظيمها وحسن ترتيبها فاصح قوانين الاحكام ونظم ادارة المالية وسياسة الملكية وبذل همه في كل ما ياول لخير البلاد وباشر بعمل طريق جديدة من مكسيكو الى ميناء فيراكروز. ولكن مع كل هذه المشروعات لم تنجح مساعي في بلاد نظير هذه خالية من المبادي الادبية والنظامات السياسية لكثرة تقلبات الاهالي ونحزباتهم. وكان جوارز لا يزال مجتهداً غاية الاجتهاد في ان يعيد نفسه ثانية الى رئاسة الجمهورية ولذلك لم يقترطه عين من اثاره الفتن وتهدج الشعب على حرب الامبراطورية فانحاز اليه جمهور غدير من الاهالي ومن جرى هذه الامور والحركات وقع الاختلال وتظاهرت الاحلاف وابست الامبراطورية في قلق واضطراب. فلما راي مكسيميليان تلك الاحوال والتلاقل ناضل بعزم ونشاط بمساعدة الساكر الفرنسية واستظهر على بعض المدائن العاصية بعد حروب شديدة. ولكن عند ذهاب الفرنسيين من مكسيكو سنة ١٨٦٦ ارسلت حكومة البلاد التهمة الى جوارز رسولاً من طرفها تعه بالمساعدة ونقر انه بالرئاسة ان ثبت على عزمه فتوي بذلك ظهر واشتد ساعده واشهر السلاح واجتمعت اهالي البلاد اليه من كل فج عميق

فاستعظم مكسيميليان هذا الامر وخاف من عواقبه ولذلك ارسل الامبراطورة الى اوربا لتستعين بالدول الأوروبية على نجاته من هذه الورطة. فانت اولاً فرنسا وبذلت فيها غاية الجهد فلم تحصل على مرغوبها من نابوليون الثالث لان صوت الشعب كان ضده من جهة ففج هذه الحرب التي لم تورث فرنسا فخراً. ثم قصدت رومية واجتمعت بالبابا وطلبت منه المساعدة فلم تستند شيئاً فضاقت عليها الدنيا بما رحبت ومن فرطهما وحزنها فقدت عقلها وخابت مساعيها

وكان مكسيميليان لما اشتد عليه الخطب ورأى ان الامر لا ينتهي بدون حرب شديدة استعد للقتال وسار للملاقاة العدو ولقد كان فنج وانصر على خصمه لولا خيانة احد اركان حربه الذي اتفق مع الاعداء على مولاه وسله

لئلا الهم فأخذ اسيراً وسقطت من ذلك اليوم الامبراطورية وعادت
الجمهورية وبجئ الامبراطور في صومعة في احد اديرة الكوشيين وكان محلاً قذراً
فقامى في مدة سجنه متاعب كثيرة . ولما بش من السلامة كتب الى اخيه
الامبراطور فرنسيس يوسف وإلى انكلترا وفرنسا ورومية يعلم بواقعة الحال
ويطلب منهم المساعدة بجاهه فبدلوا جميعاً مساعدتهم اديماً لتخليصه فلم يجد ذلك
نفعاً . واخيراً حكم عليه بالقتل . وفي ١٩ حزيران سنة ١٨٦٧ قتلوه ربما
بالرصاصة مع اثنين من قواده في مدينة كوارترو . وبعد مكسيميليان عاد جوارز
فاستولى رئاسة الجمهورية وبقي في الرئاسة الى ان توفي سنة ١٨٧٣ فجأة . وكان
هذا الرجل قبيح الصوت كبير الراس قامى القلب . وكان في اول امره مستخدماً
عند احد المتشريعين فعمل عنده علم الشريعة حتى اتقنه وهذه الواسطة ارتقى الى
درجة القضاة في العاصمة . ثم سمي معاوناً لرئيس الجمهورية . وبعد هزيمة كومون
فورت سنة ١٨٥٨ استلم رئاسة الجمهورية رغماً عن مقاوميه

الفصل السابع

في الكلام عن الهند الغربية

اعلم ان الهند الغربية عبارة عن ارض خيل يتضمن نحو ست مئة جزيرة
كبيرة وصغيرة واقعة في النصف الكائن بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية .
وينسبها الجغرافيون الى ثلاثة اقسام فيسمون الاول جزائر بهاما والثاني جزائر
انتيل والثالث جزائر كاربي . وكثير من هذه الجزر لابل اغلبها وعرة صخرية
خالية من السكان وما هو عامر منها هو في ايدي الاوروبيين ما عدا الجانب
الغربي من سكان دومينكو فانه مستقل بذاته تحت حكم جمهورية هايتي . وهذا

بيان املاك السويلاوروية من جزائر الهند الغربية

الاملاك الاسبانيولية

كوبا . ويونغويكو . والجانب الشرقي من سان توماسكو وكل منها تحتوي على عدة مدن ومقاطعات وعدد سكانها يبلغ نحو مليون وسبع مئة ألف

الاملاك الانكليزية

جايكا . جوامرهما . جزائر غرسيون . باربودا . ماركر يستوفر . انيكلو . مونسيوات . هوالينيك . مارلوسيا . مارغسلان . باربادوس . غرينادا . توباجو . تريبيداد وغيرها . وعدد سكانها يبلغ نحو ٢٥٠ ألفا

الاملاك الفرنسية

كوديلوب . ومارتيك ولحققتها . وعدد سكانها ٢٩٢ ألفا

الاملاك الهولندية

كوراسوا . بونير . وآروبا وغيرها . وعدد سكانها نحو ٢٢ ألفا

الاملاك الدنماركية

سان توماس . سانتا كروز . سان جان . وعدد سكانها نحو اربعين ألفا

املاك اسوج ونروج

سان بورنولوميد وفيها ٢٠٠٠ من السكان

واغلب سكان هذه الجزر هم من جنس العبيد الذين اتى بهم الاوروبيون من افريقية لاجل خدمة الارض ومزروعاتها . ومع ان الدولة الانكليزية ابطلت الاتجار بالعبيد في سائر املاكها بعد ان حررت ما كان منهم تحت تسلط رعاياها وسعت في اقتياد باقي الدول الى هذا الفعل الجبيل لم يزل في هذه الجزائر وفي اماكن من اميركا الجنوبية عدد كبير منهم في حالة الاسر بايدي الاوروبيين يستخدمونهم في حراثة الارض وزراعتها ويعاملونهم معاملة التساق التي ينفر منها الطبع البشري

اما هواء هذه الجزر فهو حار جداً حتى ان فصول السنة فيها تعد كايام الصيف وذلك لعدم وقوع الثلج والمطر . وترتبط بها جمة بهذا المقدار بحيث ان اشجارها لا تعري وثمارها لا تنقطع . ومن نتائجها قصب السكر ويستخرجون منه السكر والدبس ثم اللبث والقطن والنيلة والتبغ والجزر الهندي والليمون والبردقان والكباد والبن والموز والصنوبر وجوز الطيب والفلل وانواع كثيرة من البهار اخصها القانيل المعروف بالخرنوب الاميركاني يستعملونه كثيراً في الحلويات الافرنجية لرائحته وغير ذلك من الاشجار والنباتات التي لا يسعنا ذكرها . وفي بعض هذه الجزر شجر الخبز وثمارها اشبه بالخبز وهي من المغذيات القوية . وفي احرشها كثير من الاخشاب المتنوعة الاجناس منها ذات قيمة كالخشب المعروف بالماهوكاني . وفيها اجناس من الطيور الظرفية وانواع من القرد والافاعي المضرة . ويكثر فيها الضب بحيث شوهده منه ما طوله ذراعان ونصف

وهذه الجزر هي التي جاء اليها كوليبوس اولاً فان اول جزيرة اكتشفها هي ما ساه سان سلفادور المسماة الآن جزيرة كات ثم كوبا وسان دومينكو . وقد ذكرنا كيف استولى الاسبانيول على اعظم هذه الجزر وكيف كانت معاملتهم للاهالي والقساة التي اجروها في هلاكهم بحيث لم يبق اليوم اثر لمساكنها الاصليين . اما جمهورية هايتي فهي في القسم الغربي من جزيرة سان دومينكو وهذه الجزيرة هي من اكتشافات كوليبوس في سفره الاولى . وكان الاهالي يدعونها هايتي . اما الاسبانيوليون فدعوها اسبانيولا كما تقدم وبقيت تحت تصرف احكامهم زمناً طويلاً الى ان اتى الفرنسيون واستولوا على القسم الغربي منها فكانت الجزيرة بالاشتراك بين الامتين . وفي سنة ١٨٠٠ كان قد كثر عدد العبيد في تلك الجزيرة وقوية شوكتهم على سادانهم فنهضوا لمناومتهم واستخلصوا من ايديهم الجزيرة . فارسلت فرنسا ٢٠ الف مقاتل لمحرمهم وقتالهم ووقع بينهم عدة حروب تردد النصر فيها بين الطرفين وانتهى الحال بانتصار

العبيد على الفرنسيين وساعدهم على ذلك وقوع المحميات الخيئة في جيوش الفرنسيين من الجهة الواحدة ومحاصرة الانكليز لمرآكهم من الجهة الثانية فالتزم ما بقي من الفرنسيين ان يسلموا انفسهم الى العارة الانكليزية في ٢٠ ت ٢ سنة ١٨٠٢ بعد ان قتل الاهالي منهم ومن الاسبانيولين عدداً غفيراً . وحينئذ استقل العبيد بانفسهم واقاموا عليهم ملكاً ونظموا لانفسهم قوانين واحكاماً . ثم تبدلت تلك الترتيبات بجمهورية وهم الآن في تقدم ونجاح وكثيرون منهم من ذوي الادراك والبصيرة . والزراعة عندهم نامية والتجرفي تقدم عظيم . اما عدد سكان هذه الجمهورية فيبلغ ٥٧٢ ألفاً

واما القسم الشرقي من سان دومينكو فسكانه من الاسبانيولين وبينهم كثيرون من العبيد . ففي سنة ١٨٢١ نهض العبيد على الحكومة طالبين الاستقلالية ولقبوا البلاد تحت اسم جمهورية هايتي الاسبانيولية . ولكن اذ لم يكن هذا المشروع مقبولاً عند الجميع وكان العبيد والجنس المختلط يرغبون الانضمام الى جمهورية هايتي المتقدم ذكرها نهض الهايتيون لضرب الاسبانيولين قتلوا حكومتهم الجديدة واخضعوهم وضموا الجزيرة كلها تحت حكم واحد مدة ٢١ سنة . ولكن لم يكن هذا الاتحاد اتحاداً مخلصاً فانه في سنة ١٨٦٤ نهض الاسبانيوليون وخلعوا عنهم طاعة جمهورية هايتي وقاوموهم واسترجعوا استقلالهم ولم يدعوا ان يستلوكوا عليهم مرة ثانية . وبعد ان نجح الاسبانيوليون في ردع اعدائهم لقبوا بحكومتهم بجمهورية دومينكا واقترنت لهم فيها انكلترا وفرنسا ودينبارك واجرت معهم عهوداً . ولكن سنة ١٨٦١ بعد ان جرب الاهالي حكم هذه الجمهورية مدة ١٧ سنة التمسوا من اسبانيا ان تسترجع زمام احكامها فضمنها اليها وهي الآن في يدها ونحسب من املاكها ولحقاتها الخارجية

الفصل الثامن

في اميركا الوسطى

ان اميركا الوسطى في الاراضي الواقعة في الوسط القارة بين قسميها الكبيرين يحدها شمالاً مكسيكو وخليج مكسيكو. وشرقاً بحر كاريبيان. وجنوباً اميركا الجنوبية. وغرباً الاوقيانوس الباسيفيكي. ومركزها شبه يتركز استوائي متصل بجميع اطراف العالم لانها فضلاً عن انها توصل اميركا الشمالية باميركا الجنوبية موافقها مفتوحة لاوروبا وافريقية من جهة الشرق ولاسها وجزائر المحيط من جهة الغرب كما ترى بالامعان الى الخارطة

وتتضمن هذه البلاد ما يتضمنه غيرها من الجبال المرتفعة والانهر والبحيرات الكبيرة. وهولائها على الاغلب جيد مع انه كثير التغير. واهلها يتفنون الزراعة احسن اتقان لان باقي الصنائع مهلة هندم وليس لهم معول الا على محصولات الارض. اما الديانة العامة فيها فهي الرومانية ووسائل التعليم والتنوير مقتصرة في بعض المدن الكبيرة فقط فلا يقال الا انها قليلة وتنقسم هذه البلاد الى خمسة اقسام كبرى وهي

عدد السكان بوجه التقريب

١٠٠٠٠٠	كولومبيا
٥٠٠٠٠	سان سلفادور
٢٥٠٠٠	هندوراس
٢٥٠٠٠	نيكاداكوا
١٥٠٠٠	كوستاريكا
٢٢٥٠٠٠	المجموع

وأكثر هؤلاء السكان هم من الهنود الاصليين ومن اجناس مختلطة واما الجنس الايض فهو قليل بينهم لا يزيد عن ستة في المئة ولكل من الاقسام المذكورة بلاد وارض واسعة واحكام مستقلة من نوع الحكم الجمهوري له رئيس ومجالس ونظامات تقارب بعضها البعض في الترتيب والاصطلاح . ولكل منها ايضا قوات عسكرية ونظامات سياسية ومعاملات وعلاقات خارجية ومتميز متوسط ولبعض الدول الاجنبية وكلاء وقناصل في هذه الاقاليم

وكانت هذه البلاد قديما غيب اكتشافها تحت نسلط دولة اسبانيا ولكنها انسلخت عنها واستقلت بذاتها كما استقلت باقي البلاد وانفرد اهلها الاسبانول عن طاعة الدولة ونظروا لهم فيها روابط وضوابط جمهورية سالكين بمتضاها . وليس لهذه البلاد حوادث تاريخية مهمة نستحق الذكر وجل القصد في التكلم عنها انما هو لاجل معرفة وجودها ومركزها وبيان عدد اهلها واحوالها تنميما للفائدة

الفصل التاسع

في الكلام عن اشهر اقسام اميركا الجنوبية

الباب الاول

في وصف اميركا الجنوبية وتعداد بلادها

ان اميركا الجنوبية يحدها شمالاً بحر كاريبيان وشرقاً المحيط الاطلسيكي وغرباً المحيط الباسيفيكي وتتضمن ما تتضمنه باقي القارات من الجبال والسهول والانهر والحيوانات . وفي متسعة الاراضي تقارب مساحتها القسم الشمالي من هذه القارة ولكنها كثيرة الاحراش قليلة السكان لا يزيد عدد اهلها عن ٢١ مليوناً من الشعوب والقبائل المختلفة هذا عدا الهنود الذين الى الآن لم يتدنوا ولم يزالوا في حالة التوحش يجولون بين براريها وصحاريها لانه لا يعلم حقيقة عددهم ولكن بحسب الارحجية يبلغون مليون نسمة

اما الجنس السائر بين شعوب اميركا الجنوبية فهو الجنس الابيض الآتي من اوروبا غلب الاكتشاف والجنس المختلط اي الذي اختلط معه الاوروبيون بواسطة الزواج . واما السكان الاصليون فليس لهم شيء من السيادة والتسلط . وقد ذكرنا في بدلة القسم الرابع عند الكلام عن جغرافية هذه القارة ان في اميركا الجنوبية اثنتي عشرة دولة منها سلطنة برازيل والبقية جمهوريات صغيرة واذا كان لا يهم التكلم عن كل واحدة من تلك الجمهوريات اقتصرنا على ذكر

بعضهن مكتفين بوضع الجدول الآتي ليعلم منه اسماء تلك الجمهوريات وقصباتها
وعدد شعوبها كما ترى

عدد سكان العاصمة	اسم العاصمة	عدد الشعب بوجه القريب	اسم المملكة
٢٠٠٠٠٠	ريوجينرو	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	سلطنة برازيل
٥٠٠٠٠	بوكونا	٢ ٥٠٠ ٠٠٠	بلاد كولومبيا المتحدة (نيو غرانادا)
٨٠٠٠٠	كوتو	١ ٢٠٠ ٠٠٠	جمهورية ايكوادور
٦٠٠٠٠	كاراكاس	١ ٥٦٥ ٠٠٠	" فترولا
٢٥٠٠٠	جورج تاون	٢٥٠ ٠٠٠	" كوايانا ^(١)
٢٥٠٠٠	سوكر	١ ٨٠٠ ٠٠٠	" بوليفيا
١٢٠٠٠٠	لهاء	٢ ٢٥٠ ٠٠٠	" ييرو
٨٠٠٠٠	سانتياكو	١ ٦٠٠ ٠٠٠	" شيلي
١٠١٠٠٠	بوينس ايريس	١ ٢٠٠ ٠٠٠	" الاتحاد الأرجنتيني بما فيه بلاد بوينس ايريس
٤٨٠٠٠	اسونسيون	١ ٢٥٠ ٠٠٠	" باراكواي
٢٨٠٠٠	مونتيفيديو	٢٤٠ ٠٠٠	" اوركواي
			" باناكونيا شرقي جبال انديس

١ تنقسم كوايانا الى ثلاثة اقسام . الاول وهو الاكبر تحت تسلط الانكليز . والثاني
يختص بالفلبينيين ومحكمته والـ منهم . واما الثالث فينتع فرانسا ومحكمته مجلس بلدي
تحتبه الامالي

الباب الثاني

في جمهورية كولومبيا

ان جمهورية كولومبيا المتحدة المعروفة سابقاً باسم نيوغرانادا اي غرناطة الجديدة هي بلاد متسعة ذات اراضٍ فسيحة معظم طولها من الشمال الى الجنوب الف ميل ومن الشرق الى الغرب سبع مئة وستون ميلاً يتبعها عدة جزر صغيرة وخليجان ظرفية ويخترقها جملة جبال وانهر وبحيرات كبيرة وعدد اهلهما نحو مليونين ونصف من اجناسٍ مختلفة وفيها نحو مئة وعشرين الفا من الهنود الاصليين في حالة التوحش والتبرير منششرين في اطراف البلاد وصحاريها لم يدخلوا في المدن والطاعة . وما يستحق الذكر هو انه سنة ١٨١٠ لم يكن عدد اهالي هذه البلاد اكثر من ثمان مئة الف نسمة فقط . فتكون هذه الزيادة قد تمت في ظرف ستين سنة وهذا ما يدل على حسن البلاد ووجود ما يجذب الناس اليها . ويتظم في سلك هذه الجمهورية ثمانية اقاليم او ايالات مستقلة باحكامها واعمالها ولكنها مرتبطة بعضها ببعض بارتباطٍ عام كارتباط البلاد المتحدة الاميركانية . فكل ولاية من الولايات المذكورة ترسل كل سنة ثلاثة نواب من طرفها فيجتمعون في مدينة بوكوتا العاصمة للمفاوضة والمداولة في الاصلاحات والترتيبات اللازمة . اما رئيس الجمهورية فيكون انتخاباً بأكثرية الصوت على ست سنوات عوض الاربع اما الدبابة العامة في كولومبيا فهي الرومانية ولكنه ليس للجنرال الروماني تسلط على اعمال تلك الكنائس لانها غير خاضعة له والذي يسوسها ويدبر امورها الدينية رئيس اساقفة مدينة بوكوتا . ولم يلتفت في السابق الى تقدم العلوم وعذيب الاهالي في هذه المملكة واما الان فقد تحسنت احوالهم وتقدموا كثيراً في

المعارف وأنواع الفنون نظراً لرغبتهم واهتمامهم وعندهم جملة مدارس بسيطة وكية لتعليم الصنائع المختلفة وباقي العلوم . ويوجد في العاصمة مرصد فلكي لا يوجد له مثيل في العالم في الاتقان والارتفاع . اما تجارة هذه البلاد فلا تذكر لانعكاف الاهالي على الزراعة والصناعة غير المفتتين ايضاً كما يجب

ولول من اكتشف نيوجرانادا كوليبوس في سفرته الثالثة والرابعة فسكنها الاسبانوليون تحت احكام مختلفة ولكنه اخيراً اقيم فيها حكمادارية عمومية سنة ١٦٢٢ . وكانت اراضيها تمتد على كل ما يعرف اليوم تحت اسم جمهورية بلاد كولومبيا وجمهورية ايكوادور . وفي سنة ١٨١٠ خلع اهله طاعة الحكومة الاسبانية وجاهروا بالعصيان ودامت الحرب بين الطرفين الى سنة ١٨٢٤ حينما اتصر الاهالي ولم يبق للعساكر الملكية سبيل للدفاع . وكان مقدم هذه الثورة ورئيسها رجل يقال له بوليفار كان قد اشار باتحاد قنزويلا مع نيوجرانادا وايكوادور فاستحسن الاهالي رايه واعتصموا به واتحدوا جميعاً وتلقبت الجمهوريات الثلاث بجمهورية كولومبيا . ولكن لم يدم ذلك الاتحاد أكثر من عشر سنين حتى انحل وانسحبت قنزويلا سنة ١٨٣٠ وتبعها ايكوادور وبقيت نيوجرانادا منفردة وحدها مع ولاياتها التابعة لها الى سنة ١٨٦١ حين تحولت تلك الولايات الى بلدان مستقلة وعقدت تحالفات واتحادات عاماً تحت اسم بلاد كولومبيا المتحدة

الباب الثالث

في سلطنة برازيل

ان هذه البلاد هي اعظم اقسام اميركا الجنوبية واكبر من البلاد المتحدة مساحةً غير ان جانباً عظيماً منها براري واسعة واحراش فسيحة خالية من الانيس

والجليس وعدد اهلها ثمانية ملايين والبعض يبالغون في عددهم ويجعلونهم احد عشر مليوناً. وبينهم قبائل هنود متوحشة وكثيرون من العبيد يستخدمهم الاهالي غالباً في الزراعة وفي التقاط حجر الماس والياقوت الاصفر من بين رمال انهرها لان هذين المعدنين كثيرا الوجود في تلك البلاد والذهب والفضة لا ينقصان ايضاً. اما الزراعة فقلما يعني الاهالي بها. وبين احراشها كثير من الاشجار التي لا توجد في غيرها الا نادراً كشجر صمغ المر والبلهوكاني والشوكولانا. اما تجارها فاعلمها يد الاجانب. ومن محاصيلها التي ترسل الى الخارج البن والسكر والظن والخشب والصمغ والماس والياقوت الاصفر. والحكم فيها من نوع الملكي المفيد والدبابة الغالبة اللاتينية وعاصمة المملكة مدينة ريو جنيرو واهلها نحو ثلاث مئة الف نفس

اما تاريخ هذه المملكة فحديث كما لا يخفى ولول من اكتشفها رجل اسبانيولي يسمى بنسون ولكنه نسب اكتشافها الى رجل بورتوغالي يقال له كابرال ذهب اليها سنة ١٥٠٠ فجال في اراضيها وتوغل في صحاريها وقدم عنها شرحاً مطولاً لم يكن معروفاً عند احد من الناس. ولم يكن للبرتوغاليين في اول الامر ادنى رغبة ولا اعتناء في برازيل ولم يقصدها احد من الناس الا من كان مجرمًا فمينة الحكم اليها وكان يحسب مفقوداً. سنة ١٥٤٨ نفي الى برازيل جمهور من اليهود فاختلوا بزرعون قصب السكر ونجحوا فيه فصارت توارد اليها الناس وتقيم فيها. ولما رأى ملك البرتوغال ان البلاد في تقدم ونجاح اراد ان يشترك في مكاسبها وياخذ ما نابه من ايراداتها فارسل حاكماً من طرفه ليحكم البلاد ويضرب على اهلها المال. ولما تمكنت احكام البرتوغاليين فيها حسد عليهم الاتكليز والفرنساويون والفلمنيكيون والاسبانيوليون وسعوا في استخلاص البلاد منهم فلم يتمكنوا من ذلك لان معاملة البرتوغاليين للاهالي كانت حسنة فكانوا يملكون اليهم. ومع ان الفلمنيكيين كانوا قد استولوا على اكثر اطراف البلاد طردهم الاهالي منها واخذ البرتوغاليون مكانهم

ولما هاجم الفرنسيون مملكة البورتوغال في أوروبا سنة ١٨٠٨ هرب ملكها يوحنا السادس الى برازيل واقام فيها ولم تكن بعد تدعى مملكة . وعند ما سقط نابليون الاول لقب يوحنا المذكور نفسه ملك بورتوغال وبرازيل وبقي مقبلاً هناك الى سنة ١٨٢١ حينما حدثت الثورة في ملكه في أوروبا فالتزم ان يذهب الى ليسبون وترك ابنته دون بدرو نائباً مكانه . ففي سنة ١٨٢٢ طلب شعب برازيل تحرير البلاد وانفصالها عن بورتوغال فانفصلت ونودي باسم دون بدرو المذكور امبراطوراً واقبله الجميع في ذلك . ولما كانت سنة ١٨٢١ اذ لم يكن الشعب مرتضياً من سياسة امبراطورهم تنازل دون بدرو عن تاج السلطنة لابنته ولصغرسه اقيم له وكلاء الى سنة ١٨٤٠ حين نودي بامبراطورته تحت اسم بدرو الثاني وهو المستولي الآن . وقد ابطال مؤخراً الحكم البرازيلي التجارة بالعبيد من بلاده على انه لم يزل يوجد من يعاطاها اما سراً او بوجه آخر

الباب الرابع

بلاد بيرو

اما بلاد بيرو فتحدها شمالاً جمهورية ايكوادور وبرازيل وشرقاً بوليفيا وبرازيل ايضاً وجنوباً احدى ولايات بوليفيا وغرباً المحيط الباسيفيكي . وهي واسعة الاقطار كثيرة الجبال والانهار وعدد سكانها نحو مليونين ونصف ثلثم من الهنود والاثمن من اصل اوروبي والبقية من جنس مختلط وما عدا هؤلاء يوجد بعض العبيد في السواحل البحرية . وقصبة هذه المملكة مدينة ليما واهلها نحو مئة الف نسمة . وتكثر في هذه البلاد معادن الفضة والذهب والنحاس ولا سيما

الفضة فائة من سنة ١٦٣٠ الى الان بلغ قيمة ما استخرج منه ١٥٠٠ مليون ريال .
اما الزراعة فيها فقلما تذكر وترتبط بها تحتاج الى انواع جزيلة واخص محصولاتها
السكر والارز والصوف والجلد وبعض اصناف طيبة تخرج برسم التجارة . اما
نظام الاحكام فهو على النسق الجمهوري والرئيس ينتخب على ست سنوات . وقوتها
البرية ١٢٠٠٠ جندي والبحرية ١٤ مركبا تحمل ٧٤ مدفعاً . والدبابة الغالبة فيها
اللاتينية ووسائل التنوير في داخلها قليلة

اما تاريخ هذه البلاد فيبتدئ منذ اكتشافها فرنسيس پيزارو سنة ١٥٢١
وهذا الرجل من جملة قواد الاسبانوليين الذين ذهبوا الى الهند الغربية . وكان
في اثناء اقامته هناك قد حصل على بعض معلومات من جهة هذه المملكة فرجع
الى اسبانيا ليطلب الرخصة والوسائل لافتتاح تلك البلاد فاذنت له الحكومة
في ذلك ومدة كورتيز الذي اكتشف مكسيكو بمبلغ من المال ليستعين به على
انمام تجهيزاته . فجهز ثلاث سفن صغيرة وجند مئة وثمانين رجلاً وسافر بهم مع
رفيق له يدعى الماكرو . فلما وصل الى پيرو راى تمدن الاهالي وحالتهم العمومية
ليست باحسن حالة من حالة اهالي مكسيكو وراى بينهم انشقاقاً فانهم كانوا
منقسمين الى حريين احدهما مع الملك المستولي والثاني ضده وكانت الحرب قائمة
بينها . فسر پيزارو من تلك الحالة واظهر بانه يريد الانضمام الى حرب الملك
ويعيث على قتال عدوه فقبله الملك وترحب به الجميع وبهذه الوسيلة دخل مع
جماعته الى داخل البلاد فصادف حسن الاستقبال ومزيد اللطف والاکرام
من الاهالي . ولما تمكن منهم وعرف حقيقة احوالهم غدر بهم فقاتلهم واسر ملكهم
وكان اسمه اناباليبا فعرض عليه الملك مبلغاً وافراً من المال ليعتقه من الاسر
فاخذ منه الفدية ثم غدر به وقتله وحارب الاهالي فاخضعهم وجار عليهم جوراً
عنيفاً . وسنة ١٥٤١ وقع الخصام بين پيزارو ورفيقه الماكرو المذكور افضى بها
الى القتال فانقسم العسكر بين الاثنين وجرى بينها عدة وقائع كانت الدائرة بها
على الماكرو فقبض عليه پيزارو وقتله . ولكن لم تذهب تلك المعاملة بدون

مجازاة فانه بعد تلك الحادثة بمره قصيرة اخذ ابن الماكرو بنار ايو اذ وثب على يزارو وقتله

واستمرت بلاد بيرو تحت تسلط الحكومة الاسبانيولية نحو ثلاث مئة سنة وكانت نامية وناجحة أكثر من باقي البلاد الكائنة في اميركا الجنوية ولم تنفصل عنها الا سنة ١٨٢١ وذلك بمساعدة جمهورتي شيلي وبوينس آيريس فانها ارسلتا عسكرياً الى تلك البلاد تحت قيادة الجنرال سان مزين فحارب الاسبانيولين وهزمهم ونودي باستقلالية بيرو في ٢٨ تموز من السنة المذكورة . واذ لم يرضخ الاسبانيوليون الى ذلك دام القتال بين الفريقين الى سنة ١٨٢٤ حين حدثت واقعة اياكوشو فانتهت النزاع باستقلال البلاد استقلالاً تاماً وبابعاد الاسبانيولين ابعاداً نهائياً

وسنة ١٨٢٦ وقع بين الحكومة والاهاالي خصام ونزاع فاستعانت الحكومة بجمهورية بوليفيا التي في جوارها فانها سأتاكروز رئيس الجمهورية المذكورة بم جيش من الجنود وضرب العصاة فادخلهم تحت الطاعة . ثم قسم بيرو الى قسمين شمالي وجنوبي وضمها الى بوليفيا واقام ذاتة محامياً لها . غير انه في سنة ١٨٢٩ طرد المذكور من بيرو وبطلت المعاهدة السالف ذكرها ورجعت كل دولة من بيرو وبوليفيا الى حدودها الاصلية ونظامها الاول ومع كل ذلك لم تنوطد الراحة التامة في بيرو . وكثيراً ما يتنازعون الرئاسة والاحكام الى الان بحيث لم يوجد رئيس من رؤسائهم من اكمل مدة احكامه المعينة على التمام بل خلع الجميع عن كراسهم بدون استثناء قبل نهاية ايامهم . ولكن هذه المنازعات لم تمتد في كل البلاد بل هي منحصرة في العاصمة فقط وحياناً في جوارها

الفضة فائده من سنة ١٦٣٠ الى الان بلغ قيمة ما استخرج منه ١٥٠٠ مليون ريال .
 اما الزراعة فيها فقلما تذكر وتربها تحتاج الى انعاب جزيلة واخص محصولاتها
 السكر والارز والصوف والجلد وبعض اصناف طيبة تخرج برسم التجارة . اما
 نظام الاحكام فهو على النسق الجمهوري والرئيس ينتخب على ست سنوات . وقومها
 البرية ٢٠٠٠ جندي والبحرية ١٤ مركبا تحل ٧٤ مدفعاً . والديانة الغالبة فيها
 اللاتينية ووسائل التنوير في داخلها قليلة

اما تاريخ هذه البلاد فيبندى منذ اكتشافها فرنسيس پيزارو سنة ١٥٢١
 وهذا الرجل من جملة قواد الاسبانوليين الذين ذهبوا الى الهند الغربية . وكان
 في اثناء اقامته هناك قد حصل على بعض معلومات من جهة هذه المملكة فرجع
 الى اسبانيا ليطلب الرخصة والوسائل لاقتناح تلك البلاد فاذنت له الحكومة
 في ذلك ومدة كورتيز الذي اكتشف مكسيكو بمبلغ من المال ليستعين به على
 اتمام تجهيزاته . فجهز ثلاث سفن صغيرة وجند مئة وثمانين رجلاً وسافر بهم مع
 رفيق له يدعى الماكرو . فلما وصل الى پيرو راى تمدن الاهالي وحالتهم العمومية
 ليست باحسن حاله من حاله اهالي مكسيكو وراى بينهم انشقاقاً فانهم كانوا
 منقسمين الى حريين احدهما مع الملك المستولي والثاني ضده وكانت الحرب قائمة
 بينها . فسر پيزارو من تلك الحالة واظهر بانه يريد الانضمام الى حرب الملك
 ويعينه على قتال عدوه فقبله الملك وترحب به الجميع وبهذه الوسيلة دخل مع
 جماعته الى داخل البلاد فصادف حسن الاستقبال ومزيد اللطف والاکرام
 من الاهالي . ولما تمكن منهم وعرف حقيقة احوالهم غدر بهم فقاتلهم واسر ملكهم
 وكان اسمه اناباليبا فعرض عليه الملك مبلغاً وافراً من المال ليعتقه من الامر
 فاخذ منه الفدية ثم غدر به وقتله وحارب الاهالي فاخضعهم وجار عليهم جوراً
 عنيفاً . وسنة ١٥٤١ وقع الخصام بين پيزارو ورفيقه الماكرو المذكور افضى بها
 الى القتال فانقسم العسكر بين الاثنين وجرى بينهما عدة وقائع كانت النائرة بها
 على الماكرو فقبض عليه پيزارو وقتله . ولكن لم تذهب تلك المعاملة بدون

مجازاة فانه بعد تلك الحادثة ببرهة قصيرة اخذ ابن الماكرو بنار ابيه اذ وثب على بيزارو وقتله

واستمرت بلاد بيرو تحت تسلط الحكومة الاسبانيولية نحو ثلاث مئة سنة وكانت نامية وناجحة أكثر من باقي البلاد الكائنة في اميركا الجنووية ولم تنفصل عنها الا سنة ١٨٢١ وذلك بمساعدة جمهوريتي شيلي وبوينس آيريس فانها ارسلتا عسكرياً الى تلك البلاد تحت قيادة الجنرال سان مارتين فحارب الاسبانيولين وهزمهم ونودي باستقلالية بيرو في ٢٨ تموز من السنة المذكورة . واذ لم يرضخ الاسبانيوليون الى ذلك دام القتال بين الفريقين الى سنة ١٨٢٤ حين حدثت واقعة اياكوشو فانتهت النزاع باستقلال البلاد استقلالاً تاماً وبابعاد الاسبانيولين ابعاداً نهائياً

وسنة ١٨٢٦ وقع بين الحكومة والاهاالي خصامٌ ونزاع فاستعانت الحكومة بجمهورية بوليفيا التي في جوارها فانها سأتاكروز رئيس الجمهورية المذكورة بم جيش من الجنود وضرب العصاة فادخلهم تحت الطاعة . ثم قسم بيرو الى قسمين شمالي وجنوبي وضهما الى بوليفيا واقام ذاته محامياً لها . غير انه في سنة ١٨٢٩ طُرد المذكور من بيرو وبطلت المعاهدة السالف ذكرها ورجعت كل دولة من بيرو وبوليفيا الى حدودها الاصلية ونظامها الاول ومع كل ذلك لم تنوطد الراحة العامة في بيرو . وكثيراً ما يتنازعون الرئاسة والاحكام الى الان بحيث لم يوجد رئيس من رؤسائهم من اكمل مدة احكامه المعينة على التمام بل خلع الجميع عن كراسهم بدون استثناء قبل نهاية ايامهم . ولكن هذه المنازعات لم تمتد في كل البلاد بل هي منحصرة في العاصمة فقط وحياناً في جوارها

القسم الخامس

في اوسيانيكيا او اوسيانيا

ان هذا القسم يشتمل على عدد وافر من الجزر الكائنة في المحيط الباسيفيكي والمحيط الهندي قد اكتشفها الناس في اوقات مختلفة بعد اكتشاف قارة اميركا ولذلك يجوز تسميتها بالعالم الجديد . وقد نسمت اوسيانيا او اوقيانيا نسبة الى الاوقيانوس المحيط بها . وهي جزائر كثيرة متفرقة في اماكن مختلفة لو التصفت بعضها ببعض لبلغت مساحتها بين اربعة او خمسة ملايين من الاميال المربعة . اما عدد اهْلِها فتناحية وعشرون مليوناً من شعوب وقبائل متنوعة الاجناس كثير منها تحت تسلط الاوروبيين . وتنقسم هذه الجزر الى ثلاثة اقسام كبرى الاول يقال له ماليزيا والثاني اوسترالازيا والثالث بولينيزيا وستتكم عن كل منها على حدة

الفصل الاول

في الكلام على ماليزيا

ان ماليزيا او الارخبيل الماليزي اسم يطلق على عدة جزائر كبيرة في بحر

الهند بالقرب من قارة اسيا دُعيت بهذا الاسم نسبةً الى اهلها فانهم من جنس ماليزي او ماليكازي نظير اكثر سكان جزيرة مدا كسكر وهذا الجنس هو فرع من العائلة المغولية. واذ لم يكن للاهالي قيدٌ لتسجيل حوادثهم الماضية فلا يندر احد ان يهتدي الى معرفة احوالهم وحوادثهم السابقة الا من زمن الاكتشاف فقط. ويحتوي هذا القسم على عدة جزائر كبيرة نستحق الاعتبار. منها بورنيو وهي اعظم جزيرة في العالم بعد اوستراليا تبلغ مساحتها نحو ٢٢٠ الف ميل مربع يمتد فيها سلسلة جبال من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي يحد منها جملة بنايع فتكون منها انهر كبيرة. ويكثر بين معادنها الماس والذهب وقد وجد مرة بين صخورها حجرٌ من الماس بلغ وزنه ٢٦٧ قيراطاً. وما عدا ذلك يوجد في اراضيها الفحم الحجري والحديد والنحاس والقصدير والانيمن. اما هواه هذه الجزيرة فخارٌ لوقوعها تحت خط الاستواء. ومن حواصلها جوز الهند وقصب السكر وجنس من جوز الطيب لا رائحة له وجنس من الفرفرة وشجر صمغ المرن وغير ذلك. ومن حيواناتها اجناسٌ من القروذ والسعادين فلما توجد في غيرها ثم النمر الكاسر وجنس غريب من الخنزير قبيح المنظر ذو لحية كبيرة ثم الجاموس البري واجناس من الابل. وهذه الجزيرة تحت تسلط الفلبينيين وعدد اهلها نحو مليونين ونصف وهم اجناسٌ مختلفة ينقسمون الى عدة قبائل يرأس عليها شيوخها وبينهم مئة واربعون القبا من الصينيين

ومن جزائر ماليزيا ايضاً سوماترا وهي تقارب بورنيو في الكبر والاتساع ولكنها اكثر منها سكاناً فان عدد اهلها يبلغ اربعة ملايين ونصفاً تقريباً منها ثلاثة ملايين ونصف تحت حكم الفلبينيين والباقي مستقل بذاته. ولكن عين دولة هولندا ما زالت متبعية نحو امتلاك كل الجزيرة وقد وصلت غزواتها الى جوار مدينة انغيت واستولت على جميع الاساكن البحرية. اما الديانة العامة بين السوماتريين فهي الاسلامية واللغة الخارجة الماليزية ومع ان التقدم بينهم في تاخر والتهديب يكاد يكون منقوداً فهم على جانب عظيم من الانس والطف يحبون

السلام وتجنبون الاذية والضرر. واما هواؤها فلا يختلف عن هوا جزيرة بورنيو لانها واقعة تحت خط الاستواء نظيرها. ومن محصولاتها الارز وجوز الهند وقصب السكر والذرة والفلفل والكافور والقطن وشجر القنب وفيها من الحيوانات الفيل والنمر وجنس من الدب الاسود والابل واجناس من القردة الغريبة الشكل والاسم وفيها ايضا الكسلان والفرقنان والظربان وحيوان الزبد والارمديل والتساج. ومن اشهر طيورها الطاووس ومن زحافاتهما الافعى المعروف بالبول والحرباء النشابة ويكثر فيها النحل بحيث يحسب العسل والشمع من جملة صادراتها. ومن معادنها الذهب والنحاس والحديد والكبريت والظرون وفيها عدة بنايع معدنية وتبع جزيرة سوماترا عدة جزر صغيرة مجاورة لها يبلغ عدد اهلها نحو خمس مئة الف نسمة

ومن جزر هذا القسم ايضا جزيرة جافا وهي اعمر من ارضا واكثر من سكانا واعظم من مجرا اكتشفها البورتوغاليون سنة ١٥١٠ واخذ الفلنكيون بعد ذلك في امتلاكها وهي من جملة املاكهم الشرقية الى هذا اليوم. وكان قد استولى عليها الانكليز سنة ١٨١١ ولكنهم ارجعوها لاصحابها بعد ان بقيت في ايديهم مدة خمس سنين. اما عدد سكان هذه الجزيرة فليس اقل من ١٤ مليوناً واغلبهم من العائلة المالكة وكنهم بنو فون عليهم معرفة وتعدنا ولم اليد الطولى في اغان الزراعة وبعض الصنائع كصناعة التجارة والصباغة والدباغة والفزل وغيرها. ومن اشهر محصولاتها الارز والبن والسكر والتبغ والقرقة والفلفل والشاي. واكثر تجارة الامالي في اوروبا هي مع هولاندا وانكلترا. وعاصمة هذه الجزيرة وبقي املاك الفلنك في الشرق مدينة باتافيا وهي مركز الحكومة ومحل اقامة الوالي وعدد سكانها بحسب تعديل سنة ١٧٨٠ بلغ ١٦٠ ألفا واما الآن فلا يزيد عن ١٢٠ ألفا وسبب هذا النقصان هو مهاجرة الاجانب وعدم رغبتهم في الاستيطان فيها لرداءة هواها لانها مبنية عند مصب نهر جوكاترا على ارض منخفضة ويغرقها مياه كثيرة فيحدث فيها حثيات خبيثة قاتلة بحيث شوهد احيانا ان بعض

المراكب الراسية في مينائها فقدت كل رجالها بسبب الامراض المذكورة
ثم يتبع هذا القسم من اوسيانيكيا جزائر الفيليبين الواقعة شمالي الارخبيل
يبلغ عددها على الاقل ١٢٠٠ ما بين كبيرة وصغيرة وعدد سكانها نحو خمسة
ملايين وهي تحت تسلط الاسبانوليين الذين اكتشفوها سنة ١٥٢٠ واستوطنوها
وتحسب من افضل املاكهم الخارجية واحسنها نظراً لحصب اراضيها وكثرة
محاصيلها ولا حاجة الى وصف هوائها وتعداد اجناس حيواناتها ومتوجاتها لانها
لا تختلف عن باقي الجزائر التي ذكرناها . اما سكانها فاجناس مختلفة منهم مليون
نفس من الجنس اليباواني و ٢٧٠٠٠٠٠ من الهنود الماليزيين و ٥٥٠٠٠ من
الصينيين و ٢٤٥٠٠٠ من الجنس الابيض والديانة العامة بينهم الرومانية . ولم
اليد الطولى في اصطناع بعض الاثنية الرفيعة والحصر والبرانيط والسيكارات
التفيسة المعروفة بسيكارات منبلاً وهو اسم لعاصمة جزائر الفيليبين ومركز
الولاية الاسبانولية . ويتبع اوسيانيكيا ايضاً سيليب وهي جزيرة كبيرة تحت تسلط
الفلنك يبلغ عدد اهلها ٢٥٠ ألفاً وكثير غيرها انتصرنا عن ذكرها خوف
الاطالة والممل

الفصل الثاني

في اوسترا ليزيا

ان القسم الثاني من اوسيانيكيا يدعى اوسترا ليزيا وهو يتضمن اوسترا ليا
وتزمانيا اي ارض فانديمان وغينيا الجديدة وزيلاندا الجديدة . واذ كانت
اوسترا ليا من اعظم جزائر هذا القسم واشهرهن راينا ان نوجه اكثر كلامنا اليها
فنقول

ان أستراليا وتعرف أيضاً باسم هولاندا الجديدة هي اعظم جزيرة في العالم ولذلك يسوغ ان تعد من حملة القارات نظراً لاتساعها فان مساحتها نحو ثلاثة ملايين من الاميال المربعة وذلك أكثر من ثلاثة ارباع مساحة قارة أوروبا . وموقعها بين بحر الهند والمحيط الباسيفيكي وعدد اهلها بحسب التعداد الأخير بنوف عن مليون ونصف وهي تحت نسلط دولة انكلترا . وتنقسم هذه الجزيرة الى ستة اقسام كبرى وهي ويلس الجنوبية الجديدة ونيكثوريا وكوينزلاند ولوستراليا الجنوبية وأوستراليا الشمالية ولوستراليا الغربية ولكل من هذه الاقسام والخاص وحكومة خاصة من طرف الدولة الانكليزية

ولول من اكتشف أستراليا الفلمنكيون سنة ١٦١٠ ولم تملكها الانكليز حتى سنة ١٧٧٠ بواسطة القبطان جيمس كوك الساح الشهور الذي جال بين شواطئها الشرقية وكثرة ما وجد فيها من النباتات المختلفة دعاها بوتاني باي اي بوغاز النبات ولكن تحول ذلك الاسم فيما بعد الى ويلس الجنوبية الجديدة . وكانت الانكليز ترسل اليها في اول الامر على سبيل النفي والتصاص كل المذنبين والمجرمين فجمع فيها في وقت قصير عدد كبير من اوباش الانكليز وصعاليهم فكانوا يتعشون بواسطة فلاحه الارض ومتوجانها . ومع توالي الايام وتردد الناس اليها سواء كان على سبيل النفي ام على سبيل الاستيطان الاختياري نموا وكثروا واستولوا على جميع اطراف الجزيرة واخضعوا الاهالي الاصليين . ثم اخذت الحكومة الانكليزية تعني في ترقية اسباب التندم واصلاح سيرة القوم فأسست بينهم المعامل والمدارس واقامت المستشفيات والبيمارستانات وانشأت الترع والجسور والطرق الحديدية حتى صارت بلاداً زاهية لا يأنف الاجانب ان يسكنوها . اما المدارس فيها فليست باقل من ٢٠٠٠ مدرسة بين كلية وبسيطة والحكومة تدفع لهذه المدارس مبالغ جسيمة في كل سنة على سبيل الاعانة اما هواء هذه الجزيرة فبالا جمال معتدل ومياهها قليلة وليس فيها من الانهر الكبيرة الا قليلاً . واما تربتها فهي عذبة الخصب وثلاثها سباخ لا يصلح

الأمريكي ولا يرجى إصلاحه للزراعة أصلاً ولذلك تعد تلك البلاد من الأقاليم القاحلة لقلة محاصيلها ما عدا الحنطة وبالي الحبوب فإنها تعطي منها مقادير وافرة . ويتبع في أقسامها الجنوبية التبغ الجهد والعنب والزيتون والتوت والبلوط . ويوجد في بعض أراضيها عدة معادن ثمينة أخصها الذهب الذي اكتُشف سنة ١٨٥١ وفي مدة عشر سنوات بلغ مقدار ما استخرجه الناس منه ٢٠ مليون أوقية وما عدا الذهب فيها معادن ثمينة من النحاس والحديد والرصاص والفحم وغير ذلك . ومن العجب أنه لا يوجد في هذه الجزيرة حيوان مفترس كالسبع والثور و فرس البحر والفيل حتى ولا الأيل والثرد ولكن من الجهة الثانية يدب فيها بعض حيوانات تفتن بها لا توجد في غيرها من البلاد كالفتور والابوسوم وأنواع كثيرة من ذوي الأكتاس والكلب البري والثعلب الذي يشب وغير ذلك من الأجناس المختلفة المجهولة الأسماء . وبين طيورها النسر والباز والشاهين والبيغاء والبوم . ومن زحافاتهما التمساح والأفاعي الخمسة السامة

أما أهالي أستراليا الأصليون فهم من العائلة السودانية من الجنس البيواني واللواتهم شديدة الاستمرار أشبه بلون الشوكولاتا وهم بوجه الأجمال قصار القامة صغار الرؤوس وشعورهم كثيفة وأيديهم وأرجلهم سبعة ولكنهم مع هذه الأوصاف القبيحة أصحاب قوة وحركة خفيفة وما زال بعضهم إلى الآن في حالة البربرية والتوحش يجولون بين صحاري البلاد المفترة مع أن كثيرين من رفقاءهم قد دخلوا في سلك التمدن والمعرفة

ومن جملة ملحقات وتوابع أستراليا جزيرة ترومانيا وكانت تدعى قديماً أرض فانديمان وهي على مسافة ١٠٠ ميل منها إلى جهة الجنوب يفصل بينها بوغاز باس وهو اسم ضابط أنكليزي تخفق بانها جزيرة . ثم أطلق عليها اسم ترومانيا نسبةً للزمان الذي اكتشفها سنة ١٦٤٢ وهي تابعة للدولة الانكليزية وسكانها نحو تسعين ألفاً . ويقال في هوائها وترينها وحيواناتها وأهلها ما قيل

في أستراليا . وكان يُرسل الى هذه الجزيرة ايضاً بعض المذنبين المنفيين من
بريتانيا ومن أستراليا ولكن من بعد سنة ١٨٥٢ ألغيت تلك العادة . ومن
اشهر معادنها الذهب فانه لغاية سنة ١٨٦١ صار تعدل قيمة المستخرج منه
فبلغت ٧١٢١١٥٠ ليرة انكليزية . والديانة العامة فيها البروتستانتية

واما غينيا الجديدة فهي الى الشمال من أستراليا لم تزل داخلتها مجهولة
الى الآن لعدم وجود من دخلها ويبحث عن احوالها . وتخصر معرفتها بالسواحل
البحرية فقط . وقد تنازع البورتوغاليون والاسبانيون من جهة اكتشافها
وكل منها يدعي حق الاكتشاف لنفسه . وسنة ١٨٢٨ وضع الفلمنيكون ايدهم
عليها واستلموها ولا يوجد فيها الى الآن اسبطنانات اوروية . اما اهلها فهم من
الجنس الهواني المذكور آنفاً ومن جنس ماليزي مختلط . وإلى الشرق من
أستراليا زيلاندا الجديدة وهي جزيرتان كبيرتان تابعتان دولة الانكليز وعدد
سكانها يبلغ ١٤٠ ألفاً منهم ستون ألفاً من الاهالي الاصليين والبقية من
الاوروبيين اكتشفها تزمان المذكور آنفاً سنة ١٦٤٢ ثم قصدها بعد ذلك
القبطان كوك سنة ١٧٦٩ وجال فيها ولكن لم تبتدى فيها الاستبطنانات حتى
سنة ١٨٢١ وكانت اذ ذاك تابعة أستراليا ولكن سنة ١٨٤٥ انفصلت عنها
وصارت حكومة مستقلة . اما اهالي هايتي الجزيرتين فهم من العائلة المغولية
وقد دخلت بينهم الديانة المسيحية ولم يبق من عوائدهم الوثنية الا ما ندر وهم
آخذون الآن في التقدم

الفصل الثالث

في بولينيزيا

ان القسم الثالث من اوسيانكا يدعى بولينيزيا وهو اسم مركب من كلمتين

يونانيتين معناها جزر كثيرة . ويشتمل هذا التسم على جميع جزائر المحيط
الباسيفيكي الواقعة شرقي أستراليا وتمتد الى قرب الشاطئ الغربي من قارة اميركا .
واكثر هذه الجزائر لا يعرف لما عدد حقيقي . وتنقسم هذه الجزائر الى ثلاثة
مراتب طبيعية ممتازة الاولى الجزائر ذات الجبال الثانية الجزائر ذات التلال
الثالثة الجزائر الواطية المرجانية . اما جزائر الرتبة الاولى فهي احسن منظرًا
واظرف من روتنا تكسوها الطبيعة جمالاً لا تستطيع يد الصناعة ان تأتي بمثلها وما
يزيدها بهجة بعض جبالها المرتفعة التي تخبى رؤوسها بين السحب المارة بها
بينما واسطها مكسوة باحراش متنوعة الاجناس ولوديتها مملوءة بشجر ثم الخبز
واشجار اخرى مفيدة . وفي كل هذه الجبال اثار بركانية تنطبخ في داخلها الى
ان تنفام فتنفذ الى الخارج وتضر بالاماكن المجاورة . وقد وجد في رؤوس
تلك الجبال كثير من الصدف والمرجان ومواد اخرى بحرية تدل على
ان تلك الجبال كانت قديماً مغطاة بالمياه . اما جزائر الرتبة الثانية فلا ترتفع
جبالها اكثر من خمس مئة قدم وفي اقل ظرفاً من تلك وصخورها من كربونات
الجير البلوري ومحاصيلها كمحاصيل جزائر الرتبة الاولى . واما جزائر الرتبة
الثالثة فهي واطية جداً لا تعلو عن البحر الا بعض اقدم فقط ولوطو تربتها
يقل فيها النبات ما عدا جزائر الاصدفاء فانه ينتج فيها ما ينتج بجزائر الرتينين
الاوليين وذلك لعمق تربتها . واما الجزائر المعروفة بجزائر الشركة وكثير غيرها
فهي محاطة بصخور مرجانية عرضها من اربع اذرع الى ٢٠ ذراعاً منها على
مسافة قريبة من البحر وبعضها على مسافة ميلين وعلى هذه الصخور تلطم امواج
المحيط العجاج بشدة مخيفة

اما اهالي بولينزيا بوجه الاجال فهم من اجناس ماليزية مختلفة وبينهم
مشابهة كلية تختلف قليلاً بحسب الاقاليم والعوائد وهم على الاغلب قصار القامة
معتدلو السمانة اصحاء البدن ذوو اوجه مستديرة مجوفة الخدود لارتفاع عظم
الخد وعيونهم سود صغيرة كالصينيين . ومن عوائدهم استعمال الوشم على ابدانهم

وأوجهم فينقشون عليها اشكالاً من الاشياح والاشكال الغريبة بحيث كثيراً ما
تخفى صورة الانسان الاصلية . ومن افجع عوائدهم أكلهم اللحوم البشرية وافتراس
من وقع في ايديهم وتقدمة الذبائح البشرية لاصنامهم ولكن في هذه الايام قد
اصطلح حال بعضهم وتؤثر كثير من منهم لاسيما اهالي جزائر سندويج بواسطة
المبشرين بالانجيل واعتنق كثير من منهم الديانة المسيحية

ومن اشهر جزائر هذا القسم جزائر سندويج وهي ١٢ جزيرة ثمانية منها
مسكونة وبالبقية خالية من السكان واعظم جزيرة هاواي المشهورة بجبالها
النارية وفيها جبل ارتفاعه ١٢٦٠٠ قدماً انقذت نبراته سنة ١٨٥٥ واضرت
بكثيرين من الناس . وقد اكتشف هذه الجزائر القبطان كوك الانكليزي
سنة ١٧٧٨ فترحب به الاهالي في اول الامر اذ حسبه الها وكرموا أكراماً
فوق العادة الى ان كان ذات يوم فسرق احدهم له قارباً فقتل اليهم القبطان
المذكور في جماعة من اتباعه وكان قصده ان يقبض على ملكهم ويبقيهم عنده الى
ان ياتوه بالقارب . فعند وصوله الى البر اجتمع اليه عدد غفير من الاهالي
فارتد راجعاً من امامهم حتى اشرف على اصحابه الذين كانوا ينتظرونه على الشاطئ
فقبضه القوم بضجيج عظيم ورموه بالمحجارة ولما اشتد عليه الامر اطلق بارودته على
احدهم فقتله فعند ذلك انطقت عليه جماهيرهم من كل ناحية وضربه رجل
منهم بقطعة خشب القاه على الارض ثم طعنه بحربة انتهت حياته . فاجتهد رجاله
على تخلصه من بين ايديهم فلم يستطيعوا ولوا مدبرين وهكذا انتهت حياة هذا
الرجل الفاضل الذي ترك ذكراً حياً على احوال المشقات والاضطراب في
سفراته الثلاثة التي احاط بها الكرة الارضية ولاكتشافاته العديدة التي لاجلها
اصبح العالم مدبوناً له . اما عدد سكان جزائر سندويج الآن فيبلغ مئة وخمسين
الفا بعد ان كان اربع مئة الف وليس هذا التناقص ناتجاً الا من شرور الاهالي
وكثرة قبائلهم التي تجلب طبعاً الامراض والموت فان لم تأت الوسائط المستعملة
الآن بين اولئك القوم بالفوائد المطلوبة فلا بد انهم يحون من على وجه الارض

وتبقى تلك الجزائر بدون سكان

ثم يبيع بولينيزيا أيضاً جزائر لادروني وهي نحو ١٨ جزيرة تكثر فيها
البراكين وعدد أهلها ٧٥٠٠ نسمة وهم من الأسبانوليين المتقلون من مكسيكو
وأهالي هذه الجزائر يعيشون في الأكواخ ويتنانون من محصولات الأراضي الخصبة.
وقد اكتشف هذه الجزر رجل بورتوغالي كان في خدمة الأسبانوليين سنة
١٥٢١ ودعاها لادروني وهي كلمة إسبانية معناها الصوص ثم دُعيت فيما بعد
جزر مريانا نسبةً إلى اسم ملكة إسبانيا زوجة فيليب الرابع

ويبيع هذا القسم أيضاً جزائر كارولين وهي عدة جزر بعضها خالية من
السكان وبعضها يسكنه اجناس من البشر من رتبة مختلفة في التنوير يعيشون
من غلات أراضيهم وليس لهم من التجارة إلا ما لا يذكر. ومن اخص اشجار تلك
الاماكن شجر جوز الهند وله عندهم منافع حمة فانهم يستظلون بظلي اشجاره
ويأكلون من ثماره ويتعشون من شرب عصيره ويصطنعون من قشره اوعية
الماء ومن سلوخ الاعدة سلالاً ومن القراي حطباً ومن التوبر حبالاً وخطائناً
لصيد الملك فضلاً عن الخشب الذي يستقدمونه لقوام أكواخهم ولوازم سفنهم.
وقد اكتشف هذه الجزائر احد الأسبانوليين سنة ١٥٤٢ ودُعيت بجزائر كارولين
نسبةً إلى كارلوس الثاني ملك إسبانيا

ومن الجزر التابعة لبولينيزيا جزائر الشركة اعظمهن جزيرة ناهيتي يبلغ
طولها ٢٢ ميلاً وعلوها جبالاً مرتفعة مكسوة بالنبات والاشجار فيرى منظرها
من البحر في غاية الحسن والظرف ويكثر فيها شجر الخبز. وقد اكتشف هذه
الجزائر في اول الامر كوبروس الأسبانولي سنة ١٦٠٦ فدعا جزيرة ناهيتي
لأساجيتاريا ولكن لقد الكاشف المذكور بقي ذلك الاسم مجهولاً في العالم إلى
سنة ١٧٦٧ حين ارسلت انكلترا القبطان واليس لبعض اكتشافات في المحيط
وعند وصوله إلى هذه الجزيرة ظن في نفسه بأنه هو اول من اكتشفها فلقبها
بجزيرة الملك جورج نسبةً لاسم ملك انكلترا. ولكن سنة ١٧٦٩ ذهب إليها

ان أستراليا وتعرف أيضاً باسم هولاندا الجديدة هي اعظم جزيرة في العالم ولذلك يسوغ ان تعد من جملة القارات نظراً لاتساعها فان مساحتها نحو ثلاثة ملايين من الاميال المربعة وذلك أكثر من ثلاثة ارباع مساحة قارة أوروبا . وموقعها بين بحر الهند والمحيط الباسيفيكي وعدد اهلها بحسب التعداد الاخير بنوف عن مليون ونصف وهي تحت تسلط دولة انكلترا . وتنقسم هذه الجزيرة الى ستة اقسام كبرى وهي ويليς الجنوبية الجديدة ونيكتوريا وكوينسلاند وأستراليا الجنوبية وأستراليا الشمالية وأستراليا الغربية ولكل من هذه الاقسام وال خاص وحكومة خاصة من طرف الدولة الانكليزية

ولول من اكتشف أستراليا الفلمنكيون سنة ١٦١٠ ولم تملكها الانكلوز حتى سنة ١٧٧٠ بواسطة القبطان جيمس كوك الساحح الشهير الذي جال بين شطوطها الشرقية ولكثرة ما وجد فيها من النباتات المختلفة دعاها بوتاني باي اي بوغاز النبات ولكن تحول ذلك الامم فيما بعد الى ويليς الجنوبية الجديدة . وكانت الانكليز ترسل اليها في اول الامر على سبيل النفي والقصاص كل المذنبين والجرمين فجمع فيها في وقت قصير عدد كبير من اوباش الانكليز وصعاليهم فكانوا يتعيشون بواسطة فلاحه الارض ومتوجاتها . ومع توالي الايام وتردد الناس اليها سواء كان على سبيل النفي ام على سبيل الاستيطان الاختياري نوا وكثروا واستولوا على جميع اطراف الجزيرة واخضعوا الاهالي الاصليين . ثم اخذت الحكومة الانكليزية تعني في ترقية اسباب التندم واصلاح سيرة القوم فأسست بينهم المعامل والمدارس واقامت المستشفيات والبيمارستانات وانشأت الترع والجسور والطرق الحديدية حتى صارت بلاداً زاهية لا يأنف الاجانب ان يسكنوها . اما المدارس فيها فليست باقل من ٢٠٠٠ مدرسة بين كلية وبسيطة والحكومة تدفع لهذه المدارس مبالغ جسيمة في كل سنة على سبيل الاعانة اما هواء هذه الجزيرة فبالاجمال معتدل ومياهها قليلة وليس فيها من الانهر الكبيرة الا قليلاً . واما تربتها فهي عذبة الخصب وثلاثها سياخ لا يصلح

الألمري ولا يرجى اصلاحه للزراعة اصلاً ولذلك تعد تلك البلاد من الاقاليم القاحلة لقلة محاصيلها ما عدا الحنطة وباني الحبوب فانها تعطي منها مقادير وافرة . ويتبع في اقسامها الجنوبية التبغ الجهد والعنب والزيتون والتوت والبلوط . ويوجد في بعض اراضيها عدة معادن ثمينة اخصها الذهب الذي اكتُشف سنة ١٨٥١ وفي مدة عشر سنوات بلغ مقدار ما استخرجه الناس منه ٢٠ مليون اوقية وما عدا الذهب فيها معادن ثمينة من النحاس والحديد والرصاص والفحم وغير ذلك . ومن العجب انه لا يوجد في هذه الجزيرة حيوان مفترس كالسبع والثور وفرس البحر والفيل حتى ولا الايل والرد ولكن من الجهة الثانية يدب فيها بعض حيوانات تخلص بها لان يوجد في غيرها من البلاد كالقنفرة والابوسوم وانواع كثيرة من ذوي الاكياس والكلب البري والثعلب الذي يشب وغير ذلك من الاجناس المختلفة المجهولة الاماء . وبين طيورها النسر والباز والشاهين والبيغاء واليوم . ومن زحافاتهما التمساح والافاعي المجنسة السامة

اما اهالي أستراليا الاصليون فهم من العائلة السودانية من الجنس الهيواني والموانهم شديدة الاستمرار اشبه بلون الشوكولاتا وهم بوجه الاجمال قصار القامة صفار الرؤوس وشعورهم كثيفة وايديهم وارجلهم سلسة ولكنهم مع هذه الاوصاف القبيحة اصحاب قوة وحركة خفيفة وما زال بعضهم الى الآن في حالة البربرية والوحش يجولون بين صحاري البلاد المقفرة مع ان كثيرين من رفقاءهم قد دخلوا في سلك التمدن والحرفة

ومن جملة ملحقات وتوابع أستراليا جزيرة تزمانيا وكانت تدعى قديماً ارض فانديمان وهي على مسافة ١٠٠ ميل منها الى جهة الجنوب يفصل بينها بوغاز باس وهو اسم ضابط انكليزي تخفى بانها جزيرة . ثم أطلق عليها اسم تزمانيا نسبة لتزمان الذي اكتشفها سنة ١٦٤٢ وهي تابعة للدولة الانكليزية وسكانها نحو تسعين ألفاً . ويقال في هوانها وترينها وحيواناتها واهلها ما قيل

في أستراليا. وكان يُرسل الى هذه الجزيرة ايضاً بعض المذنبين المنفيين من بريطانيا ومن أستراليا ولكن من بعد سنة ١٨٥٢ القيت تلك العادة. ومن اشهر معادنها الذهب فانه لقاية سنة ١٨٦١ صار تعديل قيمة المستخرج منه فبلغت ٧١٢١١٥٠ ليرة انكليزية. والديانة العامة فيها البروتستانتية واما غينيا الجديدة فهي الى الشمال من أستراليا لم تزل داخلتها مجهولة الى الآن لعدم وجود من دخلها وبجث عن احوالها. وتخصر معرفتها بالسواحل البحرية فقط. وقد تنازع البورتوغاليون والاسبانيولون من جهة اكتشافاتها وكل منها يدعي حق الاكتشاف لنفسه. وسنة ١٨٢٨ وضع الفلبكيون ايديهم عليها واستلموها ولا يوجد فيها الى الآن استيطان اوروية. اما اهلها فهم من الجنس الهواني المذكور آنفاً ومن جنس ماليزي مختلط. والى الشرق من أستراليا زيلاندا الجديدة وهي جزيرتان تابعتان دولة الانكليز وعدد سكانها يبلغ ١٤٠ ألفاً منهم ستون ألفاً من الاهالي الاصليين والبقية من الاوروبيين اكتشفها تزمان المذكور آنفاً سنة ١٦٤٢ ثم قصدها بعد ذلك القبطان كوك سنة ١٧٦٩ وجال فيها ولكن لم تبندى فيها الاستيطان حتى سنة ١٨٢١ وكانت اذ ذاك تابعة أستراليا ولكن سنة ١٨٤٥ انفصلت عنها وصارت حكومة مستقلة. اما اهالي هاتين الجزيرتين فهم من العائلة المغولية وقد دخلت بينهم الديانة المسيحية ولم يبق من عوائدهم الوثنية الا ما ندر وهم آخذون الآن في التقدم

الفصل الثالث

في بولينيزيا

ان القسم الثالث من اوسيانكا يدعى بولينيزيا وهو اسم مركب من كلمتين

يونانيتين معناهما جزر كثيرة . ويشتمل هذا القسم على جميع جزائر المحيط
الباسيفيكي الواقعة شرقي أستراليا وتمتد الى قرب الشاطئ الغربي من قارة اميركا .
واكثر هذه الجزائر لا يعرف لما عدد حقيقي . وتنقسم هذه الجزائر الى ثلاثة
مراتب طبيعية ممتازة الاولى الجزائر ذات الجبال الثانية الجزائر ذات التلال
الثالثة الجزائر الواطية المرجانية . اما جزائر الرتبة الاولى فهي احسن منظرًا
واظرف من رونقًا تكسوها الطبيعة جمالًا لا تستطيع يد الصناعة ان تأتي بمثلها وما
يزيدها بهجة بعض جبالها المرتفعة التي تخب رووسها بين الشجوب المارة بها
بينما واسطها مكسوة باحراش متنوعة الاجناس واديتها ملوثة بشجر ثم الخبز
واشجار اخرى مفيدة . وفي كل هذه الجبال اثار بركانية تنطبخ في داخلها الى
ان تنفث فتتدفق الى الخارج وتضر بالاماكن المجاورة . وقد وجد في رووس
تلك الجبال كثير من الصدف والمرجان ومواد اخرى بحرية تدل على
ان تلك الجبال كانت قديمًا مغطاة بالمياه . اما جزائر الرتبة الثانية فلا ترتفع
جبالها اكثر من خمس مئة قدم وهي اقل ظرفًا من تلك وصخورها من كربونات
الجير البلوري ومحاصيلها كمحاصيل جزائر الرتبة الاولى . واما جزائر الرتبة
الثالثة فهي واطية جدًا لا تعلو عن البحر الا بعض اقدام فقط ولوطو تربتها
يقل فيها النبات ما عدا جزائر الاصدقاء فانه يتبع فيها ما يتبع بجزائر الرتبتين
الاوليين وذلك لعدم تربتها . واما الجزائر المعروفة بجزائر الشركة وكثير غيرها
فهي محاطة بصخور مرجانية عرضها من اربع اذرع الى ٢٠ ذراعًا منها على
مسافة قريبة من البحر وبعضها على مسافة ميلين وعلى هذه الصخور تلطم امواج
المحيط العجاج بشدة مخيفة

اما اهالي بولينزيا بوجه الاجمال فهم من اجناس ماليزية مختلفة وبينهم
مشابهة كلية تختلف قليلاً بحسب الاقاليم والعوائد وهم على الاغلب قصار القامة
معتدلو السمانة اصحاء البدن ذوو اوجه مستديرة مجوفة الحدود لارتفاع عظم
الحند وعيونهم سود صغيرة كالصينيين . ومن عوائدهم استعمال الوشم على ابدانهم

وارجلهم فينفشون عليها اشكالاً من الاشباح والاشكال الغريبة بحيث كثيراً ما
تخفى صورة الانسان الاصلية . ومن اقبح عوائدهم اكلهم اللحوم البشرية واقتباس
من وقع في ايديهم وتقدمة الذبائح البشرية لاصنامهم ولكن في هذه الايام قد
اصطلح حال بعضهم وتنور كثير من منهم لاسيما اهالي جزائر سندويج بواسطة
المبشرين بالانجيل واعتنق كثير من منهم الديانة المسيحية

ومن اشهر جزائر هذا القسم جزائر سندويج وهي ١٢ جزيرة ثمانية منها
مستكونة موالقية خالية من السكان واعظم جزيرة هاواي المشهورة بمجالها
النارية وفيها جبل ارتفاعه ١٢٦٠٠ قدماً انفذت نيرانه سنة ١٨٥٥ واضرت
بكثيرين من الناس . وقد اكتشف هذه الجزائر القبطان كوك الانكليزي
سنة ١٧٧٨ فترحب به الاهالي في اول الامر اذ حسبه اماً واكرموا اكراماً
فوق العادة الى ان كان ذات يوم فسرق احدهم له قارباً فقتل اليهم القبطان
المذكور في جماعة من اتباعه وكان قصده ان يقبض على ملكهم ويغني عنه الى
ان ياتوه بالقرب . فعند وصوله الى البر اجتمع اليه عددٌ غفير من الاهالي
فارتد راجعاً من امامهم حتى اشرف على اصحابه الذين كانوا ينتظرونه على الشاطئ
فقبضه القوم بضجيج عظيم ورموه بالمحجارة ولما اشتد عليه الامر اطلق بارودته على
احدهم فقتله فعند ذلك انطبقت عليه جماهيرهم من كل ناحية وضربوه رجل
منهم بقطعة خشب القاء على الارض ثم طعنه بحربة انتهت حياته . فاجتهد رجاله
على تخلصه من بين ايديهم فلم يستطيعوا ولوا مدبرين وهكذا انتهت حياة هذا
الرجل الفاضل الذي ترك ذكراً حميداً على احوال المشقات والاضطراب في
سفراته الثلاثة التي احاط بها الكرة الارضية ولاكتشافاته العديدة التي لاجلها
اصبح العالم مديوناً له . اما عدد سكان جزائر سندويج الآن فيبلغ مئة وخمسين
الفا بعد ان كان اربع مئة الف وليس هذا الناقص ناتجاً الا من شروا الاهالي
وكثرة قبائلهم التي تجلب طبعاً الامراض والموت فان لم تأت الوسائط المستعملة
الآن بين اولئك القوم بالفوائد المطلوبة فلا بد انهم يحون من على وجه الارض

ونبقى تلك الجزائر بدون سكان

ثم يبيع بولينيزيا ايضاً جزائر لادروني وهي نحو ١٨ جزيرة تكثر فيها
البراكين وعدد اهلها ٧٥٠٠ نسمة وهم من الاسبانوليين المتقلون من مكسيكو
واهلها في هذه الجزائر يعيشون في الاكواخ ويتنانون من محصولات الاراضي الخصبة.
وقد اكتشف هذه الجزر رجل بورتوغالي كان في خدمة الاسبانوليين سنة
١٥٢١ ودعاها لادروني وهي كلمة اسبانية معناها لصوص ثم دُعيت فيما بعد
جزر مريانا نسبة الى اسم ملكة اسبانيا زوجة فيليب الرابع

ويبيع هذا القسم ايضاً جزائر كارولين وهي عدة جزر بعضها خالية من
السكان وبعضها يسكنه اجناس من البشر من رتبة مختلفة في التنوير يعيشون
من غلات اراضيهم وليس لهم من التجارة الا ما لا يذكر. ومن اخص اشجار تلك
الاماكن شجر جوز الهند وله عندهم منافع حمة فانهم يستظلون بظلي اشجاره
وبالكون من اثماره ويتعشون من شرب عصيره ويصطنعون من قشره اوعية
الماء ومن سلوخ الاعمدة سلالاً ومن القراي حطباً ومن الوبّر حبلاً وخطاناً
لصيد السمك فضلاً عن الخشب الذي يستخدمونه لقيام اكواخهم ولوازم سفنهم.
وقد اكتشف هذه الجزائر احد الاسبانوليين سنة ١٥٤٢ ودُعيت بجزائر كارولين
نسبة الى كارلوس الثاني ملك اسبانيا

ومن الجزر التابعة لبولينيزيا جزائر الشركة اعظم جزيرة ناهيتي يبلغ
طولها ٢٢ ميلاً وعلوها جبال مرتفعة مكسوة بالنبات والاشجار فيرى منظرها
من البحر في غاية الحسن والظرف ويكثر فيها شجر الخبز. وقد اكتشف هذه
الجزائر في اول الامر كوبروس الاسبانولي سنة ١٦٠٦ فدعا جزيرة ناهيتي
لاساجيتاريا ولكن لفقد الكاشف المذكور بقي ذلك الاسم مجهولاً في العالم الى
سنة ١٧٦٧ حين ارسلت انكلترا القبطان واليس لبعض اكتشافات في المحيط
وعند وصوله الى هذه الجزيرة ظن في نفسه بانه هو اول من اكتشفها فلحقها
بجزيرة الملك جورج نسبة لاسم ملك انكلترا. ولكن سنة ١٧٦٩ ذهب اليها

القبطان كوك معصوباً ببعض العلماء بقصد ان يرصد مرور الزهرة على قرص الشمس وفي اثناء ذلك جال القبطان المذكورين تلك الاطراف واكتشف عدة جزائر في جوارها فلقبها جميعاً بجزائر الشركة ولم يزل هذا القلب الى الآن. فصادفت هذه الاكتشافات مزيد السرور في انكثرتا وتحركت همه اهل الخبر والاحسان فارسلوا لاهالي تلك الجزائر مرسلين لينتروهم ويهدوم الى معرفة الله فنجحوا نجاحاً كاملاً ومع توالي الايام ترك الوثنيون عبادة اصنامهم وقبلوا الديانة المسيحية قبولاً حقيقياً. فحمد ذلك النجاح مجمع البروباكاندا الروماني وارسل قسيسين رومانيين للمعارضة كعادتهم فلم يقبلهم الاهالي بل اساءوا معاملتهم فاجب ذلك وقوع التشكي من طرفهم وتدخلت الحكومة الفرنسية في تحصيل الترضية وتهديده الحال فسلبت من الاهالي حريتهم واستقلاليتهم واقامت عليهم محامياً بحيث لم يبق للشعب حرية التصرف. اما عند سكان هذه الجزائر فهو سائر في سيل التناقص لكثير من جزائر المحيط وقد حسب القبطان كوك سنة ١٧٧٤ فبلغ ٢٠٠ الف نسمة اما المرسلون فعدلوه سنة ١٧٩٧ بلغ ١٦٠٥٠ نسمة ولكن بحسب تعداد سنة ١٨٥٧ لم يزد عن ٦٩٠٦ نسمة فقط منه ٥٩٨٠ سكان جزيرة تاهيتي والباقي سكان باقي الجزائر

ويتعلق بهذه الجزائر حادثة غريبة تستحق الذكر وهي انه في سنة ١٧٨٨ ارسلت الحكومة الانكليزية ابريقاً حريماً الى جزائر الشركة لكي ياخذ منها مقداراً وافراً من شجر الخبز وينقله الى الهند الغربية. فلما وصلت السفينة الى جزيرة تاهيتي استقبل الاهالي رجال المركب بكل بشاعة ولطف وترحبوا بهم غاية الترحب بحيث لم يبق لبعض التوتية ميل ان يفارقوا الجزيرة واختاروا ان يصرفوا حياتهم فيها على ركوب الابحار. ولكن اذ كان لابد لهم من السفر امثالاً لاسر القبطان التزموا ان يخضعوا فتركوا الجزيرة باسف شديد وكانوا كلما ابتعدوا ازدادوا تأسفاً وشوقاً الى اصحابهم حتى انهم صمموا على الرجوع باي وجه كان. وكان بينهم ضابط يقال له كريستيان يكره القبطان ويغضه فخرج القوم

على ان يقوموا عليه ويعصوه ويستولوا زمام السفينة . فوقع بينهم الاتفاق على ذلك الامر ونهضوا ذات يوم صباحاً بينما كان القبطان راقداً ودخلوا عليه وقيده وهددوه بالقتل ان اظهر المقاومة ثم طرحوه في قارب مع ١٨ شخصاً من رجال السفينة ممن لم يوافقهم على العصيان وسلموهم لأمواج المحيط وارتدوا راجعين الى جزيرتهم المحبوبة فاقاموا فيها اياماً . اما كريسيان رئيس ومقدم تلك الفتنة فلعلوه بجزرهم وصرامة حكومة بلاده وعدم غض نظرهما عن امر مثل هذا لم يستصوب الاقامة في الجزيرة خوفاً من العقوبة فاقطع هو واصحابه مع عدد من رجال ونساء تلك الجزيرة قاصدين مكاناً اخر يستوطنونه ماعدا اربعة عشر نفرًا من جماعتهم فانهم تخلفوا في الجزيرة ولم يرافقوه هذا ما كان من امر هؤلاء . واما القبطان فلسعاده حظوه وصل الى انكلترا مع رفقائه في حال السلامة واعلم الحكومة بتلك الحادثة فاستعظمت الامر وفي الحال ارسلت بارجة حرية تدعى ياندور للتنقيش على العصاة والقبض عليهم وعند وصولها الى الجزيرة المذكورة لم تجد من القوم الا الاربعة عشر الذين كانوا قد تخلفوا هناك كما تقدم فالتفت عليهم القبض وارتدت راجعة قاصدة انكلترا . وفي اثناء سيرها صدمت صخرة كبيرة فانكسرت وفقد بعض رجالها من جملتهم اربعة من العصاة اما العشرة الآخرون فنقلوا الى انكلترا وهناك شنت الحكومة منهم ثلاثة . فضى على تلك الحادثة مدة عشرين سنة ولم يسمع احد خبراً لا عن كريسيان ولا عن السفينة حتى كان يُظن بانهم غرقوا وفقدوا جميعاً وعلى نمادي الايام تناسى ذلك الخبر بالكلية حتى لم يعد يخطر على بال احد

واتفق سنة ١٨١٢ ان بارجة حرية انكليزية كانت سائرة من بعض جزائر المحيط قاصدة احدى موالي اميركا الجنوبية فمرت في طريقها على جزيرة صغيرة كثيرة النبات والاشجار تدعى بيتكرن تبعد عن جزيرة تاهيتي جملة فرائح الجنوب الشرقي . فاستحسن القبطان ان يرسو هناك قليلاً ليري ما هي تلك الاشجار والزروعات التي كان يشاهدها من المركب ومن هم القوم الساكنون في تلك

الابنية التي كانت تنوق حسنا على مساكن شعوب تلك الجهات وأكواخهم . فبينما كان القبطان وجماعته يتأملون في ذلك اذ راوا قارباً متبلاً من البر وفيه نفران من الملاحين يجذفان بكل شحمة قاصدين السفينة . فلما اقتربا منها وكان البحر هائجا لا يسمح لهما ان يدنيا منها صاح احدهما باعلى صوته الى ملاحي القرفاطة قائلاً باللغة الانكليزية ألا تلقون لنا جيلاً يا اصحاب . فاندھشوا جميعاً عندما سمعوا من يتكلم بلغتهم في تلك الاماكن المهجورة . وبادروا حالاً والتقوا لهما جيلاً فتناولوه واسمعنا به على الصعود الى السفينة ولما تمثلا امام القبطان سألما عن حالهما وقصتهما فلهجرا بانها من جملة ذرية كريستيان واصحابه وان كريستيان عندما عصى رئيسه ورجع الى جزيرة تاهيتي لم يستطع على الإقامة بها خوفاً من قصاص دولته فقصده هذه الجزيرة مع جماعته وعدد اخر من الاهالي ذكور واناث وسكنوها بعد ان احرقوا السفينة خوفاً من انكتشاف امرهم ثم غرسوا هذه المزروعات والاشجار التي تزونها وتزوجوا بالنساء اللواتي حضرن معهن وها نحن من نسلم ، وقد مات كريستيان وباقي جماعته ولم يبق منهم غير شيخ كبير يقال له جون ادامس وهو متعكف الآن على تهذيب الناس وتعليمهم قراءة كتاب الله وان يكونوا مستقيمي السيرة والسريزة فتعجب القبطان ومن حضر من ذلك الاتفاق الغريب واحسنوا الى المقوم بما امكن

جلول

يتضمن ملخص الاختراعات والاكتشافات الكلية

التغار والصيني

التغار قديم جداً واول ما اصطنع منه الطوب في بناء
برج بابل سنة ٢٢٠٠ ق.م ولا بد انه كان قبل الطوفان
ثم تفنن فيه الناس وعلوا منه الآنية . وكان للفرس
والعرب معرفة باصطناع التغار الشبيه بالصيني وقد
اخذه الاوروبيون عنهم سنة ١٤١٥ ب.م. اما الخزف
المعروف بالصيني فكان يصطنعه اهل الصين وياپان
في القرن الاول للمسيح وادخله البورتوغاليون الى
اوروما سنة ١٥١٨

النحاس والحديد

ان وجود هذين المعدنين قديم جداً فقد ذُكر في
الاصحاح الرابع من سفر التكوين قبل الطوفان حيث
قبل ان تو بال قايين الضارب كل آلة من نحاس
وحديد . واما كيفية استخراجها واصطناع الآنية والآلات
منها فمجهولان والعلم عند المتأخرين انه عند احتراق
احراش جبل ايدا في كريت سنة ١٤٠٠ ق.م سال
بعض تراب هذا المعدن الحديدي وجد فعرفوه
وينسبون الى ذلك اول اكتشاف الحديد غير انه
لا يني قديمته

الزجاج

الزجاج قديم ايضاً وقد ذكر في الكتاب المقدس في سفر ايوب وامثال سليمان. وينسب بعضهم اختراعه الى الفينيقيين وبعضهم الى المصريين. والمرجح ان المصريين اخترعوه اولاً وتفننوا في اصطناعه ولونوه وذهبوه. وادخله الرومانيون الى بلادهم سنة ٢٠٠ ق.م واخذوا عمله يمتد في اوربا. وسنة ٥٥٠ للميلاد اصطنعوا منه الواحاً للشبايك. وسنة ١٢٠٠ ب.م عمل اهل البندقة المرأة الاولى من الزجاج. وفي اوائل القرن السابع عشر نقش كازير ليهامان الزجاج وخرطة وما زال يتقدم الى هذا اليوم

الاحرف والكتابة

لا يعلم يقيناً من اخترع اولاً احرف الهجاء فالبعض نسبوه الى ممنون المصري نحو سنة ٢٠٠٠ ق.م. وظن البعض انه كان قبل ذلك وبعضهم يظن ان الفينيقيين اول من اخترعها والامر دائر بين هاتين البلادين فاما ان تكون هذه واما تلك والمعروف بان كادموس ابن احد ملوك فينيقية وضع لليونانيين ستة عشر حرفاً اكملها فيما بعد بلاميدس وسميونيدس

البوصلة او بيت الابرة يقال ان الصينيين اول من استعمالها في البر منذ نحو ٤٠٠ جيلاً ولا يوجد دليل لاستعمالها مابجراً الا في القرن التاسع ب.م في اسفارهم الى خليج الفرس والبحر الاحمر. وعن الصينيين اخذها الهنود. وعن هولاء اخذها العرب ثم اخذها عنهم الاوروبيون في القرن الثاني عشر ب.م وتفننوا في انقائها ولم تستعمل عندهم قبل اواسط القرن الثالث عشر

<p>ضرب النقود والمعاملات</p>	<p>ان ضرب النقود يُنسب الى اليونانيين قال هيرودوتوس في كلامه عن اهل ليديا انهم اول شعب ضربوا النقود ولكن قد اتضح بان ذلك غلط وان اهالي ايجينيا في زمن فيدون ملك ارغوس اول من اخترعه سنة ٨٦٥ ق.م. ثم تطرق من بلاد اليونانيين الى بلاد الفرس والعرب وغيرها</p>
<p>الشطرنج</p>	<p>ان لعب الشطرنج قدم العهد وعُرف منذ سنة ٦٠٨ ق.م. فالبعض ينسب اختراعه الى الصينيين والبعض الاخر الى الهنود والارحج ان هولاء اول من اخترعه وقيل ان واصله الحكيم صصه ويسمونه شاتورانكا. وادخله الصليبيون الى اوروبا بعد خروجهم من فلسطين</p>
<p>الارقام الهندية</p>	<p>لا يُعلم بوجه المحصر بداية وضع الارقام الهندية ولكنه محقق ان اول استعمالها كان بين اهل الهند وعندهم اخذها الفرس والعرب وهولاء اتوها للاروبيين سنة ٩٩١ م. ب</p>
<p>الورق</p>	<p>الورق قدم ايضا كان المصريون يصطنعونه من نبات البابيروس الذي يثبت على شاطئ النيل وكان صالحا لتبول الكتابة عليه. واما الورق الحالي فاول من اخترعه اهل الصين واليابان وكان الصينيون يصطنعونه من الحرير واليابانيون من القطن والكتان وقشر الثوت وقشر الارز. وادخل العرب صناعة الورق الى اسبانيا في القرن الحادي عشر ثم اخذته عنهم الاروبيون وتفننوا فيه حتى اوصلوه الى الحالة الراهنة</p>
<p>المنافع</p>	<p>كان استعمالها في بلاد اليونان سنة ٥٥٤ ق.م</p>

ان الاجراس الصغيرة قديمة جداً بدليل ما جاء في سفر الخروج من انها كانت من جملة ما يتزين به رئيس الكهنة. اما الاجراس الكبيرة المستعملة في الكنائس فاول من اخترعها باولينوس اسقف مدينة نولا في ولاية كامبانيا من ايطاليا سنة ٤٠٠ ب.م

الاجراس

اول الساعات التي استعملها الناس هي الساعات المائية واول من اخترعها اليونان وهي اشبه بالساعات الرملية المستعملة لحد هذا اليوم. ثم اخذها عن اليونان الرومانيون واستعملت في رومية سنة ١٥٨ ق.م وقد اخذها العرب ايضاً عن اليونان وتفننوا في صنعها فان الخليفة هرون الرشيد اهدى الامبراطور شارلمان في اواخر القرن الثامن ب.م ساعة مائية ذات ثقل لم يكن لها مثيل في اوربا. وسنة ١٢٧٠ ب.م اخترعت اول ساعة غير مائية استنبطها رجل الماني يدعى هنري روفيك. اما الساعات الصغيرة التي يحملها الناس فلا يعلم يقيناً اول مصطنع لها ولا زمن اختراعها تماماً

الساعة

بداية استعماله في الكتابات والمعالمات كان سنة ٥١٦ ب.م وواضحة ديونيسيوس السكيثي

التاريخ المسيحي

الطحن بواسطة قوة الماء ينسب اختراعه الى بليساريوس الروماني سنة ٥٥٥ ب.م

الطاحون المائية

طواحين الهواء ادخلها من الشرق الصليبيون الى اوربا سنة ١٢٩٩ ولا يعلم بالتحقيق زمان استعمالها في المشرق اخترعها راهب من مدينة فيزا في ايطاليا يقال له اسبيناس سنة ١٢٩٩ ب.م

الطاحون الهوائية

الموينات

البارود	المقرر اليوم ان الصينيين استعملوه في بدء النار في المسيحي وقيل ان العرب استعملوه في حصار مكة سنة ٦٩٠ ب.م ولكنه لم يُعرف في اوروبا الى سنة ١٢٥٧ ب.م. ولول من فطن في قوة انفجار البارود في اوروبا هو روجير باكون احد علماء القرن الثالث عشر ثم اتفق صناعته راهب الماني سنة ١٢٣٦ ب.م
النار اليونانية	النار اليونانية كان بدء استعمالها في القسطنطينية سنة ٦٧٣ ب.م ومخترعها كالينيكوس السوري. وهذه النار كانت تخرق في وسط الماء والمظنون ان اختراعها كان قبل هذا العهد. يرجحون ذلك لاهل الصين
المدافع	المؤكد الآن ان اول من اخترع المدافع هم الايطاليون من اهل فيلورنسا سنة ١٢٥٥ ب.م. ولول من استعملها في الحرب ادورد الثالث ملك الانكليز ضد الفرنسيين وذلك في موقعة كريستي سنة ١٢٤٦. وكان في المدفع اومع من اسفل
البرانيط	اخترعها رجل سويسري في فرنسا سنة ١٤٠٤ ب.م
الطباعة	المظنون ان الطباعة قديمة عند اهل الصين تقرا على الخشب. اما صناعة الطباعة على ما هي عليه الآن فقد اخترعها يوحنا غوتنبرج من مدينة ماينس في المانيا سنة ١٤٢٦ وتم اختراعه سنة ١٤٥٠ ولول كتاب طبع هو التوراة
المشغرافية	وهي مطبعة الحجر كان اختراعها سنة ١٧٩٩ والمخترع لها ألويس ستفندر من مدينة براغ في المانيا
حفر الصور	حفر الصور على الخشب التي يضعونها في

الكتب اخترعت سنة ١٤٥٢ وواضعها مازو فينبردا من فلورنسا	
اول نظارة فلكية اخترعها يوحنا ليرسي من ميدلبورغ في هولندا سنة ١٦٠٨ ثم تفتت فيها الفيلسوف ايجو نيوتون والبارون هرشل والامير روس وغيرهم	النظارات
الميكروسكوب او النظارة المكبرة اخترع سنة ١٥٩٠ ب.م من رجل هولاندي يدعى زخريا جانسن وقال بعضهم بل هو كرنيليوس ذريل وهو هولاندي ايضا وذلك سنة ١٥٧٢ وله فكر فيه	الميكروسكوب
وهو ميزان ثقل الجو والهواء ولول من اهتدى الى معرفة ثقل الجو توريشلي تليد غليلا وسنة ١٦٣٠ ثم انجز هذه المأثرة العالم الفرنسي پاسكال الشهير سنة ١٦٤٨ وفي اثنائها استعمل اولاً بارومتر منتظم	البارومتر
وهو ميزان الحرارة كان اول استعماله في جرمانيا سنة ١٦٢١ ومخترعه كرنيليوس دريل الهولاندي ثم تفتت فيه العلماء نيوتون واموتون وفهرنهييت وريومور وم الاشهر	الترمومتر
الكهربائية لفظة فارسية معربة ومعناها جاذبة القش وقد عرف القدماء بعض خصائصها ولول اكتشافها في اوروبا كان سنة ١٤٦٧ . ولول آلة اصططعت منها كانت سنة ١٦٠٠ ب.م من رجل الماني من مدينة مكديبورج اسمه اتو دو كوريك ثم تفتت فيها العلماء فتقدمت كثيراً وشتم عنها فوائد جريلة كالتلغراف وغيره كما سيأتي	الكهربائية
اول اصطناع الابركان في انكلترا سنة ١٥٤٥	اصطناع الابرك

جواذب الصاعقة	جاذبة او مانعة الصاعقة اخترعها فرانكلين الاميركاني الشهر سنة ١٧٥٢ واستعملت سنة ١٧٦٠
معمل نسج الحرير	اول معمل لنسج الحرير ظهر في مدينة ليون من فرنسا سنة ١٤٦٦
معمل نسج القطن	اول معمل لنسج القطن ظهر في انكلترا ثم في فرنسا في القرن السابع عشر
صب الحديد	اول معمل لصب الحديد اُنشئ في انكلترا سنة ١٧٤٠
الساعة البرقية	اول ساعة برقية ظهرت هي تلك التي اخترعها ستاتيل من مونيخ عاصمة بافاريا سنة ١٨٢٩ ثم اتقنها وانستون الانكليزي سنة ١٨٤٠
الالة البخارية	لقد تنازع الانكليز والفرنساويون والاميركانيون من جهة اول مخترع للالة البخارية وليس هنا مكان لتفصيل مواقع الخلاف ولكن نقول ان اول من شرع في عمل الالة البخارية هو طيبس بروتستانتى فرنساوي الاصل اسمه دينيس بابين سنة ١٦٩٠ وهو اول من ركب تلك الالة على سفينة صغيرة في وادي فولدا في كاسل سنة ١٧٠٧. ولكن لسوء حظه قام على سفينة بعض الوباش في وادي الويزر وكسروها له ولم يعد في وسع تجديددها ثم اعتنى في هذه المأثرة جنس وات الانكليزي المشهور وحسن الاختراع وكاد ينجح نجاحا تاما في عمل السفينة البخارية. من ثم تناولت هذا العمل اياد كثيرة ولكن لم تات تلك المساعي بتمام المرغوب حتى سنة ١٨٠٢ اذ وضع روبرت فلطن الاميركاني الذي كان في فرنسا اول سفينة بخارية تامة بدواليب على نهر السين في

باريز ولكن لم يتم انجاز هذه المائدة في فرنسا فذهب
فلطن الى اميركا وطه وهناك صار انجازها وفي ١٠ آب
سنة ١٨٠٧ انزل الى البحر السفينة الأولى البخارية المسماة
كلارمون وسافرت من نيويورك الى فيلادلفيا

آلة الذنب للقاطورات ان آلة الذنب المسماة عند الافرنج هاليس او آليس
وهي المستعملة الآن في السفن البخارية عوضاً عن الدواليب
فاول من فكر فيها دوكي الفرنسي سنة ١٧٣٧ . ولكن
لم يتفق انجازها الا عن يد المهندس اريكسون من اهل
اسوج في البلاد المتحدة الاميركانية سنة ١٨٤٤ واستعملت
في السنة التي بعدها

نطعيم او تلقيع الجذري اخترعه الطبيب هنري جنر الانكليزي سنة ١٧٧٦
وانعمت عليه الدولة في مقابلة ذلك الاكتشاف الثمين
بثلاثين الف ليرة انكليزية

المركبة الهوائية
وهي المعروفة بالابروستا والبالون كان اختراعها سنة
١٧٨٣ وصانها الاخوان مونغويفه وصعدا بها في الجو
تلك السنة

التلغراف
انه بعد ان وقف العلماء على خصائص الكهرباء فكر
كثيرون منهم بامكان اختراع التلغراف . وسنة ١٧٦٠
افتكر جورج ليناج الفرنسي الاصل باصطناع
تلغراف وانها سنة ١٧٧٤ ولكن لم يتوفى العمل به حيث
لم يكن مستوفياً الشروط . وما برحت الايدي تتداوله
حتى سنة ١٨٢٣ اذ باشر العمل به الطبيعي صموئيل مورز
الاميركاني وهو يعد المستنبط الاول للتلغراف . وسنة
١٨٤٤ نصب السلك الاول بين واشيتون وبالتيور .

واستعمله من ثم أكثر دول أوروبا ما عدا انكلترا فانها لم تستعمل إلا الطريقة التي وضعها المهندس الانكليزي وانستون . وسنة ١٨٥٠ اتظم اول تلفراف بحري بين فرنسا وانكلترا

آلة النسيج الميكانيكية اخترعها جاكّر الفرنساوي وهي التي تنسج من نفسها من دون واسطة الايدي سنة ١٨٠١

الستينوغرافي كلمة يونانية معناها كتابة ضيقة او مختصرة وهي كيفية تمكن السامع استيعاب كل ما يتكلمه الخطيب وتدوينه باصطلاح مخصوص . والواضع لها رامزي من اسكتلندا في بريطانيا سنة ١٦٨١

الفوتوغرافية او تصوير الشمس ان اول من باشر هذا الاختراع يوسف نيسيفور نياپس الفرنساوي من سنة ١٨١٢ وتم هذا الاختراع بالاشتراك مع داغير الباريزي وظهر للوجود سنة ١٨٣٩ . وكان هذا الاستنباط مقصوراً في اول الامر على الصفائح الخشبية وقد سمي داغير يونيب نسبة الى داغير . اما طريقة اخراج الصورة على الورق كما هو جارٍ الان فقد اخترعها فوكس تالبوت الانكليزي سنة ١٨٣٩ وظهرت للوجود سنة ١٨٤٥

الستيريوسكوب الستيريوسكوب وهي النظارة ذات العينين التي تجسم بها الصور وتستعمل في البيوت لاجل الفرجة اخترع سنة ١٨٣٨ وواضعه وانستون الانكليزي

الطريق الحديدية اول طريق حديدية تامة محكمة تجر به عليها العربات بالبخار تمت سنة ١٨٢٩ وسافرت سنة ١٨٣٠ من

المطبعة الميكانيكية
 لثربول الى منشستر وهي من اختراع جورج وروبرت
 ستيفانسون من انكلترا
 اول مطبعة ميكانيكية اي التي تطبع من نفسها اخترعها
 نيكولسون الانكليزي سنة ١٧٩٠

جدول تاريخي

يتضمن اهم الحوادث العظيمة التي جرت في العالم

قبل المسيح	
٤٠٠٤	الخلق
٢٣٤٨	الطوفان
٢٢٤٧	تبليل الالسن
٢٢٢٩	تأسيس آشور الملكة الاشورية وبناء نينوى
٢٢٠٤	تأسيس نمرود لبابل
٢٠٠٠	قيام نيناس ملك الاشوريين بعد امو سميراميس
١٩٩٦	ولادة ابرهم
١٩٢١	دعوة ابرهم من أور الكلدانيين الى ارض كنعان
١٧٩٩	اختراق سدوم وعمورة
١٧٢٩	بيع يوسف للاسمعييليين
١٧٠٦	نزول يعقوب مع عائلته الى مصر
١٦٨٩	موت يعقوب
١٦٢٥	موت يوسف
١٥٧١	ولادة موسى
١٥٥٦	تأسيس سيكروپ المصري ملكة اثينا . وكدموس الفينيقي
	مدينة ثيبة اليونانية في هذا القرب

المطبعة الميكانيكية
 لبثربول الى منشستر وهي من اختراع جورج وروبرت
 ستيفانسون من انكلترا
 اول مطبعة ميكانيكية اي التي تطبع من نفسها اختراعها
 نيكولسون الانكليزي سنة ١٧٩٠

— ١٨٩١ —

جدول تاريخي

يتضمن اهم الحوادث العظيمة التي جرت في العالم

قبل المسيح	
٤٠٠٤	الخلق
٢٣٤٨	الطوفان
٢٢٤٧	تبليط الالسن
٢٢٢٩	تأسيس آشور الملكة الاشورية وبناء نينوى
٢٢٠٤	تأسيس نمرود لبابل
٢٠٠٠	قيام نيناس ملك الاشوريين بعد امو سميراميس
١٩٩٦	ولادة ابراهيم
١٩٢١	دعوة ابراهيم من أور الكلدانيين الى ارض كنعان
١٧٩٩	اختراق سدوم وعمورة
١٧٢٩	بيع يوسف للاسماعيليين
١٧٠٦	نزول يعقوب مع عائلته الى مصر
١٦٨٩	موت يعقوب
١٦٣٥	موت يوسف
١٥٧١	ولادة موسى
١٥٥٦	تأسيس سبكروپ المصري ملكة اثينا . وكدموس الفينيقي
	مدينة ثيبه اليونانية في هذا القرب

ق ٢	
١٤٩١	خروج الاسرائيليين من مصر وعبورهم البحر الاحمر واعطاء العشر الوصايا
١٤٥٣	موت موسى
١٤٥١	خلافة يشوع بن نون وتغلب الاسرائيليين على ارض كنعان واقسامهم اباها
١٤٤٣	موت يشوع بن نون وايتلاء حكم القضاة
١١٨٤	اخذ اليونانيون تروادة
١١٤٨	انتقال ايليا
١٠٩٥	مسح شاول ملكا على اليهود
١٠٨٣	حرب الهيراكليدية وموت ملكهم كودروس
١٠٥٥	تملك داود النبي على بني اسرائيل
١٠١٤	تملك سليمان ابنه
١٠١٤-١٠٠٤	بناء هيكل سليمان
٩٨٠	موت سليمان
٩٧٠	انقسام اليهود مملكتين اعني يهوذا واسرائيل
٩٠	ولادة هوميروس الشاعر اليوناني
٨٨٠	اعطاء ليكورغوس شرائع الى اهالي سبارتا
٨٥٠	ذهاب يونان النبي ليعظ اهل نينوى
٨٤	تأسيس قرطاجنة وقبل سنة ٨٧٨
٧٧	الملاعب الاولمبية اليونانية
٧٥	انقراض مملكة اشور الاولى
٧٥	تأسيس رومولوس مدينة رومية

٢٢	تملك نابونصر بن بيليزيس على بابل ووضع التارخ الجديد
٤١٧	المعروف بالتارخ الكلداني
٧٢١	اسر شلناصر عشرة اسباط اسرائيل
٧١٥	موت رومولوس
٧١٢	هلاك جيش سنخاريب حول اورشليم
٧١٠	ديجوسيس مؤسس مملكة مادي
٨٦٠	اخذ اسرحدون اورشليم وضمة مملكة بابل الى مملكة اشور
٦٧٢	حرب الهورانيين والكورانيين
٦٢٦	اخذ نابوبولصر بابل
٦١٢	خراب نينوى من نابوبولصر واستياح بن كباكسار
٦٠٥	تملك نبوخذ نصر الثاني المعروف بالكبير
٥٩٤	شرائع صولون للاثينيين
٥٨٨	اخذ نبوخذ نصر اورشليم وخرابة الهيكل وسية اليهود الى بابل. واخذ صور
٥٨٥	تملك استياح على مادي
٥٥٩	تملك كريسوس ملك ليديا الشهير بالغنى
٥٤٧	تغلب كورش ملك فارس ومادي على كريسوس ملك ليديا
٥٢٧	اخذ كورش بابل وجعل مملكتي مادي وفارس مملكة واحدة
٥٢٦	اصداره امراً ببناء الهيكل في اورشليم
٥٢٦	موت كورش وتولي كمبيز ابنة
٥٢٥	تغلب كمبيز بن كورش على الديار المصرية

٢٢٥	انتماء بناء الهيكل في زمن داريوس بن هستانسب
٤٩٦	افتتاح داريوس الاول بلاد السكيثيين
٤٩٤	اخذ اليونان ساردس من الفرس واحراقها
٤٩٠	تغلب اليونان على جيش داريوس في مارانون
٤٨٩	انسحاب كوريلانوس من رومية واتحاده مع الفولسيين
٤٨٥	موت داريوس الاول
٤٨٠	ظهور هيرودوتوس
٤٨٠	هروب زركسيس بن داريوس مع اليونان وانكسار ثورته
٤٧٠	قتل اربطانيس زركسيس وتولي ابنه ارتكزارسيس
٤٦٤	النجاة ثيستوكليس القائد اليوناني المشهور الى ارتكزارسيس
٤٥٧	بناء نحميا اسوار اورشليم بامر ارتكزارسيس
٤٥٠	سينسنانوس مدير في رومية
٤٤٩	قتل فيرجينيا يد ايها في رومية
٤٤٠	سوقراط الفيلسوف في اثينا
٢٩٦	موت سوقراط
٤٢١	بداية حرب البوليبونيسوس اي حرب المورة
٤٢٩	موت بريكليس رئيس احكام اثينا
٢٨٩	هجوم الغاليين الاول على رومية واخذهم اياها وحرقت تحت قيادة برينوس
٢٨٠	تعليم بلاتون في اثينا
٢٨٢	حرب لوكرايين سبارتا واثينا
٢٢٠	ظهور اريسطوطاليس وتعليمه في اثينا
٢٢٨	تلك فيليب المكديوني على بلاد اليونان

٢٢٦	موت فيليب المكديوني وقيام ابنه اسكندر
٢٢٤	تغلب اسكندر الكبير على داريوس وافتتاحه سورية وصور
٢٢٤	ومصر والهند ثم موته وهو في سن الثلاث والثلاثين
٢٠١	حرب ابيسوس وانشاء مملكة اسكندر بين قواده الاربعه
٢٨٠	مهاجمة الرومانيين البلاد اليونانية
٢٦٤	اول حرب الرومانيين قرطاجنة
٢١٨	حرب قرطاجنة الثانية وانتصار هنيبال اولاً وثانياً على الرومانيين
١٩	ناسيس مجمع اليهود الكناسي المسمى سفدرم
١٩٢	تغلب الرومانيين على انتيوخوس الكبير في ثرموبلي
١٦٦	مقاومة المكانيين لانتيوخوس الكبير ملك سوريا
١٤٥	حرب قرطاجنة الثالثة وخرابها من الرومانيين تحت قيادة سيبيو او شيبو
١٤٦	حرب كورنتوس وخرابها وتغلب الرومان على بلاد اليونان وجعلها ولاية رومانية
١٢٢	استيلاء الرومانيين على اسبانيا وجعلها ولاية رومانية
١٢١	صمودة ميديات الكبير ملكاً على بنس
٩١	تغلب الرومانيين على كل ايطاليا
٨٦	حرب ماريوس وسيللا القائدين الرومانيين
٦٦	تغلب يوميبي القائد الروماني على ميديات ملك بنس
٦٠	اقامة يوليوس قيصر ويوميبي وكراسوس حكاماً على المملكة الرومانية وهو المحكم الثلاثي الاول المعروف بالثريشيرات

ق ٢	
٥٨	مهاجمة يوليوس قيصر فرانسا
٥٥	افتتاح يوليوس قيصر برطانيا
٥٤	موت كراسوس القائد في محاربة البارثيين بعد غشاكرو
٤٧	نعمية يوليوس قيصر مدبراً عاماً للملكة الرومانية
٤٧	صدور امره ببناء قرطاجنة وكورثوس
٤٤	موت يوليوس قيصر قتلاً
٤٣	تجديد الحكم الثلاثي الثاني اوكتافيوس وانطونيوس وليبدوس
٤٠	افتتاح الرومانيين القدس واقامة انتيباتر الادومي نائباً على الملكة اليهودية
٢٧	عزل انتيباتر عن ولاية اليهودية واقامة هيرودس الكبير مكانه
٢١	تغلب اوكتافيوس على رفيقو انطونيوس وكليوباترا واخضاعه بلاد مصر
٢٠	اخضاع الرومانيين بلاد مصر وضماها الى الولايات الرومانية
٢٧	ترقي اوكتافيوس الى لقب اوغسطس وصيرورته امبراطوراً
	بعد المسيح
١	موت هيرودس الكبير وقيام ابنة ارخلاوس مكانه
١٤	موت اوغسطس واستتلاف طيباريوس
٢٣	صلب المسيح وقيامته وحلول الروح القدس في يوم الخمسين
٢٤	استنهاد ماري انطفانوس
٢٥	ارتداد بولس
٢٧	موت طيباريوس واستتلاف كاليغولا الشرير
٥٠	القيام المجمع المسيحي الاول من الرسل في اورشليم
٦٦	عصاة اليهود على الملكة الرومانية ومحاربة يهرمون اباهم

اضطهاد المسيحيين الاول من الامبراطور نيرون - (ان عدد	٦٦
اضطهادات المسيحيين في ايام الدولة الرومانية موعشرة انظر	
تبيان ذلك في وجه ٢٦٦)	
استشهاد ماري بولس في رومية	٦٦
قتل نيرون نفسه	٦٨
اخذ تيطس اورشليم في سلطنة ابيه فمبساتونس	٧٠
صبرورة تيطس امبراطوراً على الرومانيين	٧٩
القائه ماري يوحنا في الزيت المغلي وثبته الى جزيرة بطمس	٩٥
حيث كتب الرويا وانجيله معاً	
استشهاد اغناطيوس اسقف انطاكية	١٠٧
محاربة الاعجم الفريثين وطردهم وتولي اردشير اول ملوك	٢٣٠
الدولة الساسانية	
دخول البرابرة الغوثيين وغيرهم اوروبا واستيلائهم على بعض	{ ٢٥١
الولايات الرومانية في ايام الامبراطور ديسيوس	{ ٢٦٠
قيام فاليريانوس على الفرس واسرهم اياه	٢٦٠
تقلب اوريليان على زينوينا ملكة تدمر وتأسيس سطوتو في	{ ٢٧٢
الشرق	{ ٢٧٤
تملك قسطنطين الكبير	٢٠٦
تنصر قسطنطين وجماعة الديانة المسيحية ديانة المملكة	٢١٢
الثام المجمع المسكوني الاول بامر قسطنطين في نيقية ضد اراء	٢٢٦
اريوس	
نقل قسطنطين كرمي السلطنة الرومانية الى مدينة	٢٣٠
القسطنطينية	

٢٠٠	موت قسطنطين بعد ان قسم المملكة بين اولاده الثلاثة
٢٣٧	قسطنطين وقسطنطيوس وقسطنس
٢٥٨	مهاجرة قبيلة الافرنك فرانسوا واستيطانهم فيها
٢٩٥	قسم ثيودوسيوس السلطة الرومانية الى غربية وشرقية
٤١٠	اخذ الارليك رومية وموته فيها
٤٢٧	عبور جنسريك قائد القندال من اسبانيا الى افريقية وتأسيسه
	مملكة فيها
٤٣٠	خروج الرومانيين من بريتانيا
٤٤٩	دعوة الانكليز للسكسونيين لاجل انقاذهم من تعدي
	الاسكوتسيين ويعتبر ذلك بداية استيطانهم في بريتانيا
٤٥٣	تأسيس مدينة فينيس في ايطاليا
٤٥٥	اخذ جنسريك رومية ونهبها غرق ائمة الهيكل والاواني التي
	اتي بها نبطس من اورشليم وهي مشحونة الى قرطاجنة
٤٧٦	انقراض المملكة الرومانية في الغرب واسنيلاه اودواكر ملك
	الهرول على رومية
٤٨١	تأسيس الملكية في فرانسوا بواسطة كلوفيس احد العائلة
	الميروفنجية
٤٩٦	تنصر الملك كلوفيس المذكور مع عائلته وجوده
٥٢٧	تولي جوستينيانوس امبراطوراً على السلطنة الشرقية
٥٢٢	انقراض مملكة القندال من افريقية بواسطة القائد بليسايزوس
٤٧٠	ولادة حضرة محمد نبي المسلمين
٦٣٢	مهاجرة حضرة النبي مكة وذمابه الى المدينة
٦٣٦	حرب الطوائف او الاحزاب ضد النبي

٢٠٠	تغلب عمرو بن اعاص على مصر وافتتاحه الاسكندرية واحراقه
٦٤٠	مكتبتها
٦٥٢	انقلاب يزيد جرد اخر ملوك الدولة الفارسية الساسانية وانضمام
	بلادهم الى المملكة الاسلامية في خلافة عثمان
٦٦١	مهاجمة الخليفة معاوية القسطنطينية
٦٦٧	اختراع الحرايق النارية اليونانية وتخليص القسطنطينية من
	مهاجمة المسلمين
٦٧٢	تأسيس بغداد مركز الخلافة
٧٠٩	تغلب المسلمين على المغاربة في افرقية
٧١٢	دخول طارق الى اسبانيا وتغلبه على الملك رودريك وضم
٧١٢	اسبانيا وبورتوغال الى الخلافة
٧١٤	غلبة شارل مارتل في مدينة نور ومنعه المسلمين عن تقدمهم
	لتملك اوروبا
٧٤١	مقاومة الكنيسة الشرقية للكنيسة الرومانية الغربية من اجل
	عبادة التماثيل
٧٥٢	جلوس بايبن على كرسي فرنسا وهو اول ملوك العائلة
	الكارولنجية
٧٥٤	استخلاص بايبن ملك فرنسا رافينا من اللومباردين
	واعطاؤها للبابا وهكذا كانت بداية الباباوية
٧٧٤	انقراض ملك اللومباردين من ايطاليا بواسطة شارلمان
٨٠٠	تتويج شارلمان امبراطوراً المغرب وانفصال الكنيسة الغربية
	عن الشرقية
٨٠٩	صيرورة البندقية مشيخة مستقلة

٢٠٣	اتحاد السبع حكومات السكسونية في انكلترا تحت تسلط الملك
٨٢٧	اغبرت وهو اول ملك للبريتانيين
٨٤٣	سقوط سلطنة شارلمان الغربية وانقسامها الى ثلاث ممالك
٨٦٠	اكتشاف ايسلاندا للنرويجيين
٨٦٥	ابتداء دخول الدنياركيين الى انكلترا واستيلائهم عليها
٩١٢	بداءة السلطنة الجرمانية بالامبراطور كونراد
٩٥٥	دخول الديانة المسيحية الى بلاد المسكوب
٩٨٧	بداءة تملك العائلة الكاثيانية في فرانسوا ولول ملوكها هوك
	كاييت
١٠١٦-١٠٣٩	تغلب كانتوت ملك دنيارك على انكلترا وتوجع عليها ملكا
	مع ولديه اللذين خلفاه. وتعرف هذه المدة بمدة الملكية
	الدنياركية
١٠٥٦	بداءة حرب السيامات الاكليريكية بين هنري الرابع امبراطور
	جرمانيا وبين احبار رومية
١٠٥٧-١٠٧٤	تملك السلجوقيين، على اخص الخلافة الشرقية تحت راية
	طغرلبك
١٠٦٦	تولي وليم اول ملوك النورمندين على انكلترا
١٠٧٦-١٠٧٨	تملك السلجوقيين القدس وبر الاناضول وتأسيسهم ولاية
	قونية
١٠٧٧	اذلال البابا غورغوريوس السابع لهنري الرابع امبراطور
	جرمانيا
١٠٩٩	الحرب الصليبية الاولى واخذهم القدس
١١٦٤	ظهور جنكيزخان سلطان المغول

٠٢٠	استيلاء الدولة الابوية على مصر الى سنة ١٢٥٠	١١٧١
١١٨٧	انتصار صلاح الدين على الصليبيين في طبريا واخذة القدس منهم	
١١٨٩	حصار الصليبيين عكا واخذها	
١١٩١		
١٢١٠	اضطهاد الوندنسيين والاليجنسيين في اوربا وقتلهم	
١٢٣٢		
١١٤١	الاتحاد الانسانيكي	
١٢٥٠	استيلاء المالك اي الدولة الجركسية على البلاد المصرية الى سنة ١٥١٧	
١٢٥٨	استيلاء الفتر تحت راية ملكهم هلاكو على بلاد العجم وبنفاد وانقراض الدولة العربية في خلافة المستعصم بن المستنصر	
١٢٦٢	اول مجلس شعري ترتب في انكلترا (بارليمنت)	
١٢٧٢	قيام رودولف هابسبورغ امبراطوراً على جرمانيا وهو راس عائلة اوستريا الحالية	
١٢٧٧	قيام ييبس اشهر ملوك الدولة الجركسية في مصر صاحب الفتوحات الكثيرة	
١٢٨٢	انضمام مقاطعة ولس الى ناچ انكلترا	
١٢٠٠	بداية دولة آل عثمان وتأسيسها ببر الاناضول	
١٢٠٥	انتقال مركز الباباوية من رومية الى افينيون في فرنسا حيث بقي ٧٠ سنة	
١٢١٥	استقلالية اهل سويسرا عن جرمانيا	
١٢٣٧-١٤٥٢	بداية حروب فرنساويين والانكليز المعروفة بحروب المئة سنة	

ب. ٢٠٠	ظهور يوحنا وبكليف اول مصلى للديانة المسيحية في انكلترا	١٣٨٤
	انضمام نروج الى بلاد دنمارك	١٣٩٧
	اكتشاف الاوروبيين يابان	١٤٠٠
	تغلب تيمورلنك على السلطان بايزيد واسره اياه في انقرة	١٤٠٣
	موت تيمورلنك	١٤١٠
	معارضة يوحنا هس آراء الكنيسة الرومانية والحكم عليه بالحرق في مجمع قسطنطينية	١٤١٤
	احراق جرم من مدينة براك لاجل مناداته باصلاح الديانة	١٤١٦
	تغلب جان دي لرك (ابنة فرنساوية) على الانكليز وتخليصها	١٤٣٩
	بعض اقاليم فرانسا ووقعا في ايدي الانكليز واحرقهم اياها	
	تتويج هنري السادس ملك انكلترا ملكا على فرنساويين وهو في باريس	١٤٣١
	افتتاح السلطان محمد الثاني القسطنطينية وانقراض السلطنة الرومانية الشرقية	١٤٥٣
	اجلاء الانكليز من فرانسا اصالة	١٤٥٣
	حروب الورد في انكلترا وهي حروب اهلية بين حريين كبيرين	{ ١٤٥٥ ١٤٨٥
	قيام التنيش والتجسس الديني في مدينة اشيلية في اسبانيا	١٤٨٠
	بداية التجارة بالعبيد بواسطة البورتوغاليين	١٤٨٣
	حروب الاسبانوليين مع عرب الاندلس واجلاؤهم في ايام فرديند وايزابلة	{ ١٤٨٠ ١٤٩٣

٢٠٣	
١٤٨٦	اكتشاف راس الرجاء الصالح لبرنثاوس دياس
١٤٩٢	نفي ١٦٠ ألفاً من اليهود من اسبانيا
١٤٩٢	اكتشاف كولومبوس اميركا
١٤٩٨	مرور البورتوغاليين الى الهند عن طريق راس الرجاء الصالح
١٥٠٠	اكتشاف برازيل من البورتوغاليين
١٥١٧	استخلاص آل عثمان بلاد مصر في ايام السلطان سليم الاول من ايدي المماليك
{ ١٥١٧	ظهور لوثيروس ومنادائه بالاصلاح في جرمانيا
{ ١٥١٩	وزوينكليوس في بلاد السويس
١٥١٩	مبع شارلكان امبراطوراً على جرمانيا
١٥٢٠	افتتاح مكسيكو لفرنند كورتيز
١٥٢٢	استفحاج السلطان سليمان جزيرة رودس من انصار بيت المقدس
١٥٢٢	طرده غومناف واصا كريستيان من بلاد اسوج
١٥٢٥	اتصار شارلكان على فرنسيس الاول ملك فرانس واسره اياه
١٥٢٧	مهاجمة جيوش شارلكان رومية ونهبها وقبضهم على البابا اكليمندس السابع وبجته
١٥٢٩	اقامة مسيحيو الاصلاح الحجّة على مقاومهم واطلاق لقب البروتستانت عليهم من جرى ذلك
١٥٣٥	تغلب شارلكان على قرصان المغاربة واخذ تونس
١٥٤٠	تأسيس اغناطيوس لويولا جمعية اليسوعيين
١٥٤٥	التمام الجمع التريدينوي

قيام الاتحاد المقدس في فرنسا لاجل ملاشاة الهرطقة	٢٠٣
بداة عصيان الهولنديين على فيليب ملك اسبانيا بسبب تعرضهم للذهيم	١٥٦٦
استفتاح آل عثمان جزيرة قبرس في ايام السلطان سليم الثاني	١٥٦٧
مذبحة برونستانت فرنسا يوم عيد ماربرثلماوس	١٥٧١
استيلاء الدولة العثمانية على تونس	١٥٧٢
بداة الجمهورية الفلنكية واتحاد سبع ولايات منها	١٥٧٤
ضم البورتوغال الى اسبانيا بواسطة ملكها فيليب الثاني الذي تبوأ تخت اسبانيا سنة ١٥٥٦	١٥٧٩
تملك هنري الرابع على فرنسا بعد حمله الديانة البروتستانتية	١٥٨١
اتحاد اسكتلاند وانكلترا في ايام خمس الاول من عائلة استوارت	١٥٨٠
اكتشاف هدرس النهر المسمى باسمه في الولايات المتحدة الاميركانية	١٥٩٣
قتل رافاليك اليسوعي هنري الرابع ملك فرنسا	١٦٠٣
طرد عدد غفير من المغاربة من اسبانيا في ايام ملكها فيليب الثالث	١٦٠٩
استيطان الفلنكيين في نيويورك والباقي	١٦١٠
اثارة الكردينال ريشيلو في فرنسا حرباً على البرونستانت وحصرهم في قلعة روشيل واخضاعهم	١٦١١
	١٦١٤
	١٦٢١

ب ٢٠٠	
١٦٣٨	افتتاح السلطان مراد الرابع مدينة بغداد من الاعجام
١٦٤٠	انفصال بورتوغال عن اسبانيا وابتداء نملك عائلة براغانسة فيها
١٦٤٢	مجاهرة الانكليز ملكهم كارلوس الاول بالعصيان وبداة الحرب الاهلية بينهم
١٦٤٨	معاهدة وستفاليا
١٦٤٩	اسر الانكليز كارلوس المذكور وقتله
١٦٥٢	صيرورة كروموبل محامياً للجمهورية الانكليزية
١٦٥٤	حروب انكلترا البحرية مع هولاندا ودوامها الى سنة ١٦٦٧ حين تم صلح بريدا
١٦٥٨	موت الجنرال اوليفر كروموبل
١٦٦٠	اعادة الملكية الى انكلترا بواسطة الجنرال مونك وتولي كارلوس الثاني وتعرف هذه المدة عند الانكليز بمدة العود او الاسترجاع
١٦٦٥	حدوث طاعون مهلك في مدينة لندن مات فيه ١٠٠ الف نفس
١٦٦٦	حدوث حريق مريعة في مدينة لندن خرب فيها ١٢٠٠٠ بناية
١٦٦٧	اخذ انكلترا مدينة نيويورك في اميركا من الهولنديين ووقع الصلح بين الامنين
١٦٧٢	نكث كارلوس الثاني ملك انكلترا معاهدته مع الهولنديين ومحاربتهم لم بعد اتحادهم مع فرنسا
١٦٨٢	نكث بطرس الاكبر على روسيا
١٦٨٢	ولادة كارلوس الثاني عشر ملك اسوج ونروج

٢٠٣	انجاد سويساكي النمساوين ومنع الاتراك عن اخذ فينا
١٦٨٣	اتحاد هولندا واسبانيا وانكلترا على فرنسا في معاهدة
١٦٨٦	او كسبورج
١٦٨٨	حدوث الثورة الانكليزية وتزير الملك جيمس الثاني
١٦٨٩	استدعاء الانكليز الامير اورانج الفلمنكي واقامته ملكا تحت اسم
	وليم الثالث
١٦٤٢	استيلاء الاتراك على مدينة ازوف
١٦٤٩	أخذ الاتراك بلفراد وبلاد المجر العليا وخوف اوروا منهم
١٧٠٠	نوصية كارلوس الثاني ملك اسبانيا بملكه الى فيليب دي انجو
	حنيد لويس الرابع عشر ملك فرنسا ووقوع المحروب المعروفة
	بمحروب الوراثة الاسبانيوية
١٧٠١	تغلب كارلوس الثاني عشر ملك اسوج على الروسيين في
	نارفا
١٧٠١	تخرب انكلترا وهولندا والنمسا على فرنسا واسبانيا لمنع
١٧٠٣	البوربون عن التملك في اسبانيا وتغلب فرنسا عليهم
١٧٠٣	تأسيس بطرس الاكبر مدينة بطرسبرج
١٧٠٤	انتصار الدول المتحدة على فرنسا بواسطة ملبوك الشهير في
	حرب بلنهم
١٧٠٤	استيلاء الانكليز على حصن جبل طارق
١٧٠٧	انتصار فرنساوين والاسبانيولين على الدول المتحدة
١٧٠٧	انضمام اسكتلندا الى انكلترا
١٧٠٩	انتصار بطرس الاكبر على كارلوس الثاني عشر ملك اسوج
	في بلنفا

٢٠٠	تغلب آل عثمان على بطرس الأكبر عند نهر بروث	١٧١١
	انتهاء حروب الوراثة الاسبانية بمصالحة تورخوت	١٧١٣
	الاتحاد الرباعي بين انكلترا وفرنسا واوستريا وهولندا	١٧١٨
	لمقاومة مقاصد اسبانيا لجهة استيلائها على فرنسا وبعض ايطاليا	
	تنازل الاتراك عن بلغراد وبعض السرب والفلاح الى اوستريا	١٧١٨
	واستبلاؤهم على المورة من مشيخة البندقية	
	١٧٤٠-١٧٤٨ حروب الوراثة النمساوية ضد الملكة ماريا تريا	
	أخذ الانكليز لوبزبورج من الفرنسيين في اميركا	١٧٤٥
	حدوث زلزلة مهلكة في ليسبون عاصمة البورتوغال خرب فيها	١٧٥٥
	أكثر المدينة	
	نولية المالك البحرية على الديار المصرية من طرف الدولة	١٧٦٥
	العثمانية في زمن السلطان مصطفى الثالث	
	سيادة الانكليز في الهند بعد حرب بلاهي	١٧٥٧
	غلبة الانكليز على الفرنسيين في حرب كويك في اميركا	١٧٥٩
	واستبلاؤهم على المدينة	
	صلح باريز بين فرنسا وانكلترا واسبانيا وتنازل فرنسا عن	١٧٦٣
	كانادا الى الانكليز	
	اقتسام بولونيا الاول بين روسيا وبروسيا واوستريا	١٧٧١
	ابطال عادة تقبيل رجل البابا	١٧٧٣
	مناداة الاميركانيين باستقلالهم ووقوع الحروب بينهم	١٧٧٦
	وبين الانكليز	
	مصالحة باريز ونهاية حرب اميركا واستقلالهم الثامنة	١٧٨٣

٢٠٠٠	قيام الجنرال واشنطن رئيساً أولاً للجمهورية الأميركية
١٧٨٩	بداة الثورة الفرنسية العظيمة وسقوط لويس السادس عشر
١٧٨٩	الذي كان قيامه سنة ١٧٧٤
١٧٩٢	اشهار الجمهورية في فرنسا وإبطال الملكية ويُعتبر ذلك بداية تاريخ فرنسا الحديث
١٧٩٣	قتل الفرنسيين ملكهم لويس السادس عشر
١٧٩٤	انشاء الجمعية الوطنية الفرنسية والحكومة المديرية .
١٧٩٧	إبطال يوم الأحد وترتيب السنين والشهور والاسابيع والمناذاة بقلب جميع الأديان ورئيس هذا المذهب رويسير
١٧٩٧	ذهاب نابوليون بوناپارت الى مصر ونجوها واخذة جريمة مالهطة
١٧٩٧	موت واشنطن محرر اميركا
١٧٩٨	انتصار الاميرال نيلسون الانكليزي وتكسبه البوارج
١٧٩٨	الفرنساوية في ابي فير
١٧٩٨	انضمام مشيخة البندقية الى النمسا
١٧٩٩	مجيء نابوليون الى الشرق ومحاصرته عكا ومقاومة السار
١٧٩٩	سدني سميت له ورجوعه عنها
١٧٩٩	رجوع نابوليون الى فرنسا وتغيير الحكومة المديرية وصيرورها
١٨٠٠	فصلية وتبوءه رياستها
١٨٠٠	انضمام ايرلاندا الى انكلترا
١٨٠٠	شوب الحرب بين الفرنسيين والنمساويين وانتصار نابوليون
١٨٠١	في مارانكو
١٨٠١	حرب الانكليز للدنماركيين والاسويجيين المعروفة بحرب

٢٠٣	كوبنهاجن
١٨٠١	موت بولس امبراطور روسيا وتولي ابنه اسكندر الاول
١٨٠١	خروج الفرنسيين من الديار المصرية
١٨٠٢	تسمية نابوليون قنصلاً أولاً مدة حياته
١٨٠٤	توقيع نابوليون الاول امبراطوراً للفرنساويين
١٨٠٤	معاهدة انكترا ولوستريا وروسيا لمقاومة فرنسا
١٨٠٤	تولي محمد علي باشا خديوي مصر
١٨٠٥	انتصار نابوليون على النمساويين والروسيين في اوسترليس في ك
١٨٠٥	انتصار الانكليز مجراً على الفرنسيين والاسبانويين في ترافلكار وموت نيلسون في المعركة
١٨٠٥	مصالحة اوستريا وفرنسا المعروفة بصلح بريسمبورج في ٢٧ ك
١٨٠٦	انشاء معاهدة الرين تحت حماية نابوليون وانحلال السلطنة الجرمانية واتخاذ فرنسيس الثاني لقب امبراطور اوستريا فقط
١٨٠٦	اتحاد انكترا وبروسيا على فرنسا - انتصار نابوليون على بروسيا في يانا وغيرها ودخوله متصراً الى برلين
١٨٠٦	استيلاء الانكليز على راس الرجاء الصالح من الفلنكيين
١٨٠٧	انتصار نابوليون على الروسيين لاسيا في فريدلند
١٨٠٧	صلح تيلسيت بين نابوليون واسكندر وفصله وستفاليا عن بروسيا واعطاؤها لاخته جبروم
١٨٠٨-١٨٠٧	مهاجمة الانكليز كوبنهاجن واستيلائهم على العارة الدنماركية

٢٠٣

- لأجل منع استعانة نابليون الأول بها
- ١٨٠٧ إرسال نابليون عسكرياً إلى بورتوغال ومهاجرة العائلة الملكية إلى برازيل
- ١٨٠٨ تنازل فرديناند ملك اسبانيا عن الملك إلى نابليون
- ١٨٠٨ قيام يواكيم موراث صهر نابليون الأول ملكاً على نابولي
- ١٨٠٨-١٨٠٩ انتصار الانكليز لاسبانيا والبرتوغال لمنع فرانسوا عن نوال مآربها
- ١٨٠٩ اشتاب الحرب بين فرنسا وروسيا وانتصار نابليون ودخوله فينا وعقد الصلح وتطليق نابليون زوجته وزواجه بماريا لويزا ابنة فرنسيس الأول امبراطور اوستريا
- ١٨١٠ انضمام بلاد الفلنك إلى فرنسا
- ١٨١٢ اشهار الاميركان الحرب على الانكليز لأجل بعض تعديلات بحرية
- ١٨١٢ شوب الحرب بين فرنسا وروسيا. دخول نابليون متصرفاً إلى موسكو. احراق الروسين موسكو. رجوع نابليون بالخبية وهلاك جيشه
- ١٨١٢ احضار نابليون البابا بيوس السابع من رومية وترسيمة عليه في فونتنبلو
- ١٨١٦ الاتحاد السادس ضد فرنسا (جميع دول أوروبا) ودخول المساكر المتحدة إلى باريس. تنازل نابليون الأول عن الملك وذهابه إلى جزيرة البا ملكاً عليها وإقامة لويس الثامن عشر ملكاً على فرنسا
- ١٨١٤ ضم نروج إلى اسوج

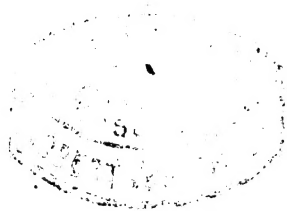
٣٠٣	
١٨١٤	انضمام جينوا الى مملكة سردينيا
١٨١٤	ضم بلجيكا وهولندا وجعلها مملكة واحدة يرأس عليها غليوم الاول ملك هولندا
١٨١٥	مصالحة الانكليز والاميركانيين
١٨١٥	رجوع نابوليون من البا وتولية ثانية مدة ١٠٠ يوم . تجديد المعاهدات الحرب عليه وانتفاضة في واترلو وتسليمه نفسه للانكليز وارسلهم اياه الى جزيرة القديسة هيلانة في المحيط الجنوبي من افريقية
١٨١٥	رجوع الملكية الى فرنسا
١٨١٥	انفصال برازيل عن بورتوغال
١٨١٥	الغاء التجسس الديني في بورتوغال
١٨٢٠	حدوث ثورة في اسبانيا وبورتوغال والغاء التجسس الديني من اسبانيا
١٨٢١	توفي نابوليون الاول في الجزيرة المذكورة
١٨٢٢	عصيان اليونان على الدولة العثمانية ومقتله خيو المملكة
١٨٢٦	قتل الانكشارية في تركيا
١٨٢٧	حرب ناقارين مجراً بين فرنسا وانكلترا وروسيا من جهة والدولة العثمانية من جهة لاجل تحرير اليونان وحرهم العاريتين العثمانية والمصرية وتسليم الدولة باستقلالية اليونان
١٨٣٠	وقوع ثورة في باريس وتزليل كارلوس العاشر وتولية لويس فيليب الاول
١٨٣٠	انتصار الفرنسيين في الجزائر في الغرب

وقوع ثورة في البلاد الواطية وانفصال بلجيكا عن هولندا	١٨٣٠
وصيرة كل منها ملكة قائمة بذاتها	١٨٣١
مصالحة ادرنة بين الدولة العلية وروسيا	١٨٣٢
استيلاء ابراهيم باشا على الديار الشامية	١٨٣٢
ابطال الانكليز التجارة بالعبيد في مستملكاتهم	١٨٣٣
حرب الافيون بين الانكليز والصين	١٨٣٣
جلوس فيكتوريا الحالية ملكة على انكلترا بعد وليم الرابع	١٨٣٧
جلوس السلطان عبد المجيد	١٨٤٠
خروج الدولة المصرية من الديار الشامية	١٨٤٠
حروب الاميركان على المكسيك وانتصارهم عليها	١٨٤٦-١٨٤٧
غلبة الفرنسيين الثامنة على جزائر الغرب وتسليم الامير عبد القادر لهم	١٨٤٧
حدوث الثورة الفرنسية الثالثة في ٢٤ شباط وسقوط لويس فيليب وقيام الجمهورية ثم انتخاب لويس نابوليون الثالث رئيسا لها	١٨٤٨
حدوث ثورات في جرمانيا وبروسيا ووستريا وفي لومبارديا وولايات اخرى ايطالية . هرب البابا الى نابولي واشهار الجمهورية في رومية	١٨٤٨
اكتشاف المعادن الذهبية في كليفورنيا	١٨٤٨
تنازل فردينند عن تاج اوستريا الى الامبراطور فرنسيس يوسف الحالي في ٢ كانون الاول	١٨٤٨
تولي ابراهيم باشا خديوي مصر وموته وقيام اخيه عباس	١٨٤٨

ب. ٢٠	باشا مكانة	
١٨٤٩	تنازل كارلوس البينوس ملك سردينيا عن تاج الملك الى ابنه فيكتور عمانوئيل الحالي بعد تغلب النمساويين عليه واستيلائهم على لومبارديا	
١٨٤٩	ارسال فرنسا جيشا الى رومية وضمهم المدينة واتحلال الجمهورية واعادة البابا اليها	
١٨٥٠	ظهور العصاة في الصين	
١٨٥١	انشاء اول معرض عام في مدينة لندن	
١٨٥٢	اتحلال الجمهورية الفرنسية الثانية وارتقاء نابوليون الثالث الى الامبراطورية	
١٨٥٣	بداءة حرب القرم	
١٨٥٤	تولي سعيد باشا خديوية مصر	
١٨٥٥	موت الامبراطور نقولا وجلس ابنه اسكندر الثاني في ٢ اذار	
١٨٥٥	اخذ الدول المتحدة سيفاستبول وانتهاء حرب القرم	
١٨٥٦	معاهدة باريس من جهة شروط صلح القرم	
١٨٥٩	حرب فرنسا واطاليا ضد اوستريا وتحرير ايطاليا	
١٨٦٠	حادثة لبنان ومذبحة حاصبيا وراشيا ودير القمر ودمشق ومحجده العساكر الفرنسية الى سوريا وانفصال الجبل عن حكومة سوريا وترتيب حاكم نصراني له	
١٨٦٠	موت السلطان عبد المجيد وتولي السلطان عبد العزيز	
١٨٦٠	استيلاء الحكم الانكليزي على الهند من يد الشركة الانكليزية	
١٨٦١-١٨٦٥	حرب اميركا الاهلية	

٢٠٤	حرب فرنسا وبين في المكسيك واقامة مكسيميليان امبراطوراً	١٨٦١
	عليها ثم قتل جوارز اياه واعادة الجمهورية	١٨٦٧
	نبو اسمعيل باشا العدة الخديوية	١٨٦٢
	اتحاد بروسيا واوستريا ومجاريتها دنبارك واخذ بروسيا	١٨٦٤
	اقلبي شلموبك وهولستين منها	
	حرب بروسيا واوستريا وانتصار بروسيا في صادوقا	١٨٦٦
	انفصال البندقية عن النمسا وانضمامها الى ايطاليا	١٨٦٦
	حدوث معرض عام في باريز حضره بعض الملوك	١٨٦٧
	وقوع الثورة في اسبانيا وهرب الملكة ايزابلا الى فرنسا	١٨٦٨
	فتح خليج السويس بمحفل حافل	١٨٦٩
	حرب فرنسا وبروسيا واسر نابوليون الثالث في سيدان	١٨٧٠
	وسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية الثالثة	
	الثام مجمع مسكوني في رومية والمناداة بعصمة البابا	١٨٧٠
	تويج غايوم ملك بروسيا امبراطوراً على المانيا في فرساليا	١٨٧١
	دخول الايطاليين رومية وجعلها عاصمة الملكة	١٨٧١
	تدببت الجمهورية الفرنسية واقامة تيرس رئيساً لها	١٨٧١
	موت نابوليون الثالث في انكلترا	١٨٧٢
	تنازل تيرس وقيام المارشال مكامون رئيساً للجمهورية	١٨٧٢
	الفرنساوية	
	حرب توركيا وروسيا	١٨٧٦
	موت السلطان عبد العزيز وقيام السلطان مراد	١٨٨٦
	قيام السلطان عبد الحميد بدلاً عن السلطان مراد	١٨٧٦

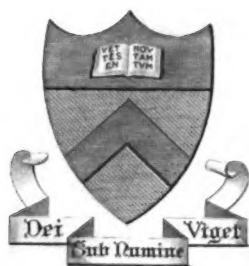
٢٠٣٥	صلح روسيا وتوركيا وعند مؤتمر برلين	١٨٧٨
١٨٧٨	استيلاء الانكليز على جزيرة قبرص بموجب معاهدة خصوصية	١٨٧٨
١٨٧٩	تتريلا اسماعيل باشا خديوي مصر واقامة ابنة توفيق باشا مكانه	١٨٧٩
١٨٨٠	استيلاء فرنسا وبلن على تونس	١٨٨٠
١٨٨٢	الثورة المراتية في مصر	١٨٨٢
١٨٨٢	دخول الانكليز بلاد مصر بعد ضمهم مدينة اسكندرية	١٨٨٢



Arabic History
Presented by
Mr. J. Halabi
June 1910.

2276
.972

Library of



Princeton University.
Theodore F. Sanxay Fund

